المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات
الإسلامية - قسم التفسير

فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الريب

للإمام الطِّيبي الحسين بن عبد الله، المتوفى سنة ٧٤٣هـ

دراسة وتحقيق من سورة الحجر إلى نهاية سورة طه

رسالة الدكتوراة

المجلد الأول

إعداد الطالب : محمد الأمين بن الحسين بن أحمد الشنقيطي

بإشراف : الدكتور عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

١٤١٥ - ١٤١٦هـ



سورة الحجر، تسع وتسعون آية مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ((تلك[2] إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات))، وهو على منوال: هذا أخوك . قال المصنف : لا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ . قال ابن الحاجب[3]: [المشار إليه لا يشترط أن يكون موجوداً حاضراً، بل يكفي أن يكون موجوداً ذهناً]. قال أبو البقاء[4] : [تلك يجوز أن يكون مبتدأ، وآيات الكتاب خبره، وأن يكون خبر الر[5] وآيات الكتاب، بدل أو عطف بيان]، واختيار المصنف الأول لقوله : ((والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً))، فقوله : ((الكامل في كونه كتاباً)) مستفاد من التعريف الجنسي، وإيقاع آيات الكتاب خبراً من اسم الإشارة كما سبق في البقرة[6] .

وقوله : ((أيَّ قرآن مستفاد من التنكير)) التفخيمي في قرآن.

وقوله : ((الجامع للكمال)) من توسيط العاطف بين الوصفين.

---

(1) في الكشاف إلا آية ٨٧، قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي .. ﴾الآية، فمدنية وكذا ذكر الفخر الرازي ١٥١/١٩، وفي الألوسي قال : وفي مجمع البيان عن الحسن أنها مكية إلا آية ٨٧.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾

(3) ابن الحاجب عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الدونيّ الأصل، الأنسائي المولد، المالكي المذهب، صاحب التصانيف القيمة نحواً وصرفاً وفقهاً، وأصولاً، وقراءةً.

ولد سنة ٥٧٠هـ ومات سنة ٦٤٦هـ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٢٤٨/٣، وطبقات القراء ٥١٦/٢، وسير أعلام النبلاء ٢٦٤/٢٣.

(4) أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري، ولد سنة ٥٣٨هـ ومات سنة ٦١٦هـ . انظر ترجمته في : بغية الوعاه للسيوطي ٣٨/٢، وابن خلكان ٤٧٦/١، وذكر هذا في سورة الرعد ٦٠/٢.

(5) ١٨/١ بناء على أن الحروف المقطعة أسماء للسورة.

(6) عند قوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ الآية ٢.

وقوله : ((والغرابة في البيان)) من إيقاع ﴿ مبين﴾ وصفاً للقرآن بعد تعداد حروف التهجي، وأن المبين من أبان بمعنى بان للمبالغة . قال محي السنة[1] : [فإن قيل: لم ذكر الكتاب ثم قال : ﴿ وقرآن مبين ﴾، وكلاهما واحد ؟. قيل : ليفيد أن المراد بالكتاب ما يكتب، وبالقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض]، ذهب إلى معنى العطف[2] من الوصفين، فإن قلت : رجع المآل إلى أن ﴿ الكتاب وقرآن ﴾ وصفان لموصوف واحد أقيما مقامه، فما ذلك الموصوف ؟ وكيف تقديره ؟. فإن قدرته معرفة دَفَعَه ﴿ قرآن مبين ﴾، وإن ذهبت إلى أنه نكرة، أباه لفظ الكتاب، قلت : أقدره معرفة ﴿ وقرآن مبين ﴾ في تأويل المعرّف، لأن معناه البالغ في الغرابة إلى حد الإعجاز، فهو إذا محدود بل محصور، كأنه قيل : تلك آيات الكتاب الكامل المعجز، وإليه أشار بقوله : ((الكتاب الجامع بين الكمال والغرابة في البيان))، فقوله : ((الكتاب)) هو الموصوف المضمر، وأحد الوصفين ما دلّ عليه قوله : ((للكمال))، لأنه معنى الكتاب المذكور في التنزيل، ومعنى ((الكمال)) فيه، مستفاد من التعريف الجنسيّ، كما سبق، والآخر قوله : ((الغرابة في البيان)) وهو المعنيّ من قوله : ﴿وقرآن مبين﴾ على ما أسلفناه. فإن قلت : جعلت ﴿الكتاب وقرآن مبين﴾ (وصفين)[3] لموصوف، والمصنف جعلهما في قوله : والكتاب و القرآن المبيّن : السورة نفس السورة، قلت : لّما قلت : أقيما مقام الموصوف، صحّ ذلك[4].

---

(1) محي السنة الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، الملقب بركن الدين، ولد سنة ٤٣٣هـ، ومات سنة ٥١٦هـ . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٤٣٩/١٩، ووفيات الأعيان ١٣٦/٢. وذكره في تفسيره معالم التنزيل ٣٤٧/٤ بتحقيق عبد الله النمر، وعثمان جمعه، وسليمان مسلم، طبع دار الفكر.

(2) بين الوصفين في ب، م . والمراد بباء النسخة السورية، وبتاء النسخة التركية، وبألف النسخة المدنية، وبميم النسخة المغربية.

(3) (وصفان) في م ، ب.

(4) في ت ، ب ذلك (ولا منافاة لقوله : ((وأي قرآن مبين بالجرّ عطف على كتاب الكامل))

قوله : [قرأ ربما(1)] نافع(2) وعاصم(3) بتخفيف الباء، والباقون بالتشديد، والبواقي شواذّ(4) .

قوله : ((وقد أبَوْا دخولها إلا على الماضي)) . قال ابن الحاجب(5) : [لأنها لتقليل ما ثبت وتحقيقه] . وقيل : هي لتقليل المحقق وهو بالماضي أجدر، نصّ عليه المبرد.

قوله : ((وقيل : إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار، وهذا أيضاً باب من الودادة)). يعني : تأويل هذه الآية بهذا المعنى من الودادة الباطلة، وتفسير لها بما يهوى ويحبّ، قال الأمام(6) : [هذا قول أكثر المفسرين، كابن عباس، ومجاهد]، والعجب من هذا الرجل كيف يجتري على هذا الكلام، وقلت : بل فسرها من هبط

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾.

(2) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي مولاهم، أبو رؤيم المقرئ المدني، أحد أعلام القراء، مات سنة ١٦٩هـ، انظر : معرفة القراء الكبار للذهبي ١٠٧/١، ووفيات الأعيان ٣٦٨/٥.

(3) عاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم، الكوفي القارئ، الإمام أبو بكر، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: وفيات الأعيان ٩/٣، ومعرفة القراء الكبار للذهبي (٨٨/١) . بيّن هذه القراءة : كتاب الكشف عن وجوه القراآت السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ٢٩/٢، وحجة القراآت لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة.

(4) أما الشاذة : ﴿ رُبُما ﴾ بضم الباء وتخفيفه، فرويت هذه القراءة الشاذة عن محمد بن حبيب الشموني، ومحمد بن عبد الله القلاّ عن الأعشى عن أبي بكر. انظر : مختصر الشواذ ٧٠ لابن خالوية.

(5) ابن الحاجب في الإيضاح في شرح المفصّل ١٥٣/٢.

(6) المراد بالإمام : الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التميمي، ولد سنة ٥٤٤هـ، ومات سنة ٦٠٦هـ . انظر ترجمته في : طبقات المفسرين للداودي ٢١٥/٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣٨١/٣. وذكر هذا القول في تفسيره الكبير ١٥٤/١٩.

فائدة: لم تأت ﴿ رب ﴾ في القرآن مع كثرتها في اللغة العربية، غير هذه الآية. انظر الألوسي ٤/١٤.

إليه التنزيل على ما روينا عن الترمذي[1] عن أبي هريرة عن النبي صلى ا لله عليه وسلم في تفسير هذه الآية قال : [إذا أخرج أهل التوحيد من النار وأدخلوا الجنة ودّ الذين كفروا لو كانو مسلمين] وعليه معنى التمني، لأن أمثال هذا التمني إنما يحسن موقعه إذا رأى الكافرون حسن عاقبة المسلمين، وشاهدوا سوء مغبة الكافرين، وأيقنوا اليأس التّام، والإقناط الكلّيّ، كما يقول الكافر : ﴿ ياليتني كنت تراباً ﴾[2]، قال المصنف[3] : [يحشر الحيوان غير المكلّف حتى يقتصّ للجماء من القرناء ثم تردّ

---

(1) أخرجه الترمذي ٥/٢٣-٢٥ كتاب الإيمان باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد ألا إله إلا ا لله من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه ، وجابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنه قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (إن ناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم، فيكونون في النار ما شاء ا لله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك، فيقولون لهم : ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم وإيمانكم نفعكم، لما يريد ا لله أن يرى أهل الشرك من الحسرة، فما يبقى موحد إلا أخرجه ا لله، ثم تلا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ . رواه النسائي في تفسيره ١/٦٢٦ من طريق يزيد بن صهيب الفقير، قال : كنا عند جابر، فذكر الخوارج، قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وساقه، وهو حديث حسن بشواهده، وانظر تحفة الأشراف رقم ٣١٤٣.

ومثله في الطبري١٤/٢ من حديث أبي موسى الأشعري، وكذلك عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي ا لله عنهم . وأخرجه الحاكم ٢/٣٥٣ من حديث ابن عباس رضي ا لله عنهما وصححه ووافقه الذهبي . فإذا ما ذكره الإمام أنه أكثر قول المفسرين كابن عباس هو الصواب، ولا محل للتعجب.

ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٧ : ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ . وقوله في الأنعام الآية ٣١ : ﴿ حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ . وقوله تعالى في سورة الفرقان الآية ٢٧ : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ﴾.

(2) سورة النبأ الآية ٤٠ ، وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/٦٩٢.

(3) يشيرإلى حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه في قول ا لله عز وجلّ : ﴿ أمم أمثالكم ﴾ قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم، والدوابّ، والطير، وكل شيء، فيبلغ من عدل ا لله أن يأخذ للجمّاء من القرناء، ثم يقول : كوني تراباً، فذلك يقول الكافر : ﴿ ياليتني كنت تراباً ﴾ . أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣١٦ وسكت عليه الذهبي.

تراباً فيودّ الكافر حاله]. وقال الراغب[١] : [ومن المودّة الـتي تقتضـي معنى التمـني] قوله تعالى : ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾.

قوله : ((لـو كـان النـدم مشـكوكاً فيـه)) يشـير لقولـه : ((لعلـك سـتندم))، وقوله[٢] : ((ربما نـدم الإنسـان علـى مـا فعـل)) أي : هـذا الـذي فعلـت، ربمـا نـدم الإنسان عليه، وخلاصة الجـواب أن يقـال : لا شـكّ أنهـم يكـثرون الـودادة، ولكـن استعمل ربّ لتقليلها على الاستعارة، أي : تقلّ ودادتهم للإسـلام حينئـذ على إرادة أنهم يبالغون في الودادة، ويكثرون منها لاقتضـاء مقـام التوبيـخ بهـم، ثـم تفيـد هـذه الإستعارة[٣] على طريقة الكناية[٤] الإيمائية، وهي أخذ الزبدة والخلاصة مـن المجمـوع، معنى توخّى : انتهاز فرصة الإسلام أي اغتنموا فرصة الإسلام، وسارعوا في تحصيلـه، فإنكم لو كنتم تودّونـه مـرّة واحـدة فبـالحريّ أن تسـارعوا فيهـا، فكيـف والحـال مـا ذكرناها؟. الانتصاف[٥] :[العرب تعبّر عن المعنى بضدّه، ومنه :

** قد أنزل القِرْنُ مصفرّا أنامله** [٦]

---

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب، توفي سنة ٥٠٢هـ، صاحب التصانيف. انظر : سير أعـلام النبـلاء للذهـبي ١٢٠/١٨، والأعـلام لخـير الديـن الزركلي ٢٥٥/٢. وذكر هذا في كتابه المفردات في غريب القران ص٥١٧.

(٢) وقوله : ((أو كان قليلاً لقوله)) ربما ندم . في ب ، ت.

(٣) الاستعارة لغة : من قولهم : استعار المال طلبه عارية . واصطلاحـاً : هـي اسـتعمال اللفـظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مـع قرينـة صارفـة عـن إرادة المعنى الأصلي، والاستعارة ليست إلا تشبيها مختصراً، ولكنهـا أبلـغ منـه . انظـر : جواهـر البلاغـة ٣٠٣.

(٤) الكناية لغة : ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره . واصطلاحاً : لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته. انظر : جواهر البلاغة ٣٤٦-٣٤٧، والإيضاح في علوم البلاغة ٤٥٦.

(٥) الإنتصاف للإمام أحمد بن المنيّر ، حاشية على الكشاف.

(٦) ~~لم أقف على قائله~~ وانظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ٥٦٩/٢. وعجزه: كأن أثوابه مُجّت بفرصاد انظر اللسان مادة (ورد)

وإنما يتمدّح بالإكثار من ذلك، وعبّر عنه بقد المفيدة للتقليل، ومنه: ﴿وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾[1] ، فإن القصد توبيخهم على الأذى، مع توفّر علمهم برسالته ونصحه . قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلّب وجهك في السماء ﴾[2] أي من حق اهتمامك بشأن القبلة مع كثرة تقلّب وجهك في السماء أن يكون أكثر مما وجد منك وشوهد من حالك، لأن أصل أمرك أن تستقبل قبلة آبائك، ولكونه أدعى للعرب إلى الإيمان، ولوجوب مخالفة اليهود.

قوله : ((فبالحريّ أن تسارعوا)) قيل : أن يسارعوا مبتدأ، وبالحريّ الخبر، وهو مصدر، والباء غير زائدة، أي : المسارعة ثابتة بالحريّ، وإذا حصل صفة مشبهة، فالباء زائدة، وبالحريّ مبتدأ، وأن يسارعوا الخبر، كقولك : بحسبك زيد، وقلت : جواب لو محذوب والفاء في فبالحريّ جواب لشرط محذوف، يعني : لو كانوا يودّون الإسلام مرّة واحدة لكان الواجب المسارعة إليه، وإذا كان كذلك فبالحري أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه في كلّ ساعة؟ ، ويجوز أن يكون جواباً للو، لمعنى الشرطية فيها، وجاء في البقرة في قصّة المنافقين أن قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق، وعقيدتهم عقيدتهم، فهو كفر.

قوله : ((وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم)) .

قال صاحب الفرايد[3] : [لابدّ لقوله : يودّ من مفعول، فَلَو مع ما بعده نزل منزلته، كأنه قيل : ربما يودّ الذين كفروا ما يلازم لو كانوا مسلمين، وهو الخلاص من النار ودخول الجنة، ولو قيل : لو كنّا مسلمين لكان التقدير، ﴿ ربما يود الذين كفروا ﴾ الإسلام قائلين: لو كنا مسلمين، لما ابتلينا بالنار وأدخلنا الجنة، فظهر من هذا أن الغيبة أولى بالذكر، لأنها أقلّ احْوجاجاً إلى التقدير،

---

(١) سورة الصف الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٤.

(٣) صاحب فرائد التفسير للمابرنبادي، توجد منه نسخة في متحف طوثبو سراي، رقم ١٨١٩٢١.

وقلت : ولهذا قدّمه المصنف على الثاني، وقال : ولو قيل : لكان كذا لكان سديداً.

قوله : ((وقيل : تدهشهم)) جواب آخر للسؤال معطوف على قوله ((هو وارد)) ورب حينئذ للتقليل حقيقة.

قوله : ((من ارعوائهم))، النهاية[1] : [لا يرعوي : لا ينكفّ ولا ينزجر عن القبيح][2] .

قوله : ((وأن لا يلقوا)) عطف على سبيل البيان على قوله : ((لطول الأعمار واستقامة الأحوال))، أي : خلّهم يَشغَلُهم توقّعهم أن لا يلقوا في العاقبة إلا خيراً.

قوله : ((حين لا ينفعهم)) ظرف لقوله : ((معاينة)).

قوله : ((فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم)) مسبب عن قوله : ((والغرض)) أي : الغرض من إيراد قوله : ((ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل)) الإعلام بأنهم من أهل الخذلان على سبيل الكناية، لا حقيقة الأمر، فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يخلّيهم لذلك الغرض كما أن الأمر في قوله :

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢٣٦/٢ لابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي الشافعي، يكنى أبا السعادات، ويلقب مجد الدين، ويعرف بابن الأثير، ولد سنة ٥٤٤هـ، ومات سنة ٦٠٦هـ، وكان كثير التصانيف الحسان، منها جامع الأصول والنهاية في غريب الحديث، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف. انظر ترجمته في : معجم الأدباء لياقوت الحموي ٧١/١٧، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٨٩/٣.

(٢) وقوله : ((من ارعوائهم)) هذا تفسير قوله تعالى : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ يعني : اقطع طمعك عن ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه، والصدّ عنه بالتذكرة والنصيحة، وخلّهم ﴿ يأكلوا ويتمتعوا ﴾ بدنياهم وتنفيذ شهواتهم، ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار وسلامة الأحوال وألا يلقوا في العاقبة إلا خيراً، ﴿ فسوف يعلمون ﴾ سوء صنيعهم، والغرض : الإيذان بأنهم من أهل الخذلان، وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه، وألا زاجر ولا واعظ إلا معاينتهم ما ينذرون به حين لا ينفع الوعظ ... الخ، فأمر رسوله بأن يخليهم، وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة، وفيه إلزام الحجة، ومبالغة في الإنذار، وإعذارهم فيهم، وفيه تنبيه على إيثار التلذذ والتنعم، وما يؤدي إليه طول الأمل، وهذه هجيّرى أكثر الناس، وليس من أخلاق المؤمنين، وعن بعضهم : التمتع في الدنيا من أخلاق الهالكين.

﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[1] لطلب الكفر ظاهراً، والغرض منه التهديد والوعيد.

قوله : ((وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً)) فإن قلت: ليس في الآية أمر، فكيف قال : حتى يأمرهم ؟. قلت : قوله : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ﴾ كلمة موادعة ومتاركة، ولا يُذهب إليه إلا بعد الإياس التّام والإقناط الكلّي، كأنه قيل : (كلوا وتمتعوا) كما في قوله تعالى : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ﴾[3]، وموقع قوله : ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ إلي قوله : ﴿ وما يستاخرون ﴾ موقع الإعتراض[4] بين قوله : ﴿ الر تلك آيات الكتار وقرآن مبين ﴾ وبين قوله : ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ كقوله ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم. أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾[5] فإنه تعالى لما بالغ في وصف الكتاب على ما سبق حتى بلغ القصيا[6] في كماله، وبالغوا في التكذيب حتى بالغوه بقولة : ﴿ يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ سُلّي صلوات ا لله عليه بقوله: ﴿ ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ أي : هوّن على نفسك فإنك بالغت في الإرشاد والإنذار، وهم أيضاً أفرطوا في التكذيب، فهم قوم جهلة قليلواالدراية، لو كانوا يودّون الإسلام مرة فبالحريّ أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودّونه كلّ ساعة، وإذا كان كذلك فاقطع طمعك في ارعوائهم، ودعهم عن النهي عما هم عليه، والصّد عنه بالتذكرة، بل مُرهم بالأكل كالأنعام والتمتع فيها أيّاماً قلائل، فسوف يعلمون سوء صنيعهم . وا لله أعلم.

---

(1) سورة الكهف الآية ٢٩.

(2) سورة إبراهيم الآية ١٤.

(3) سورة المرسلات الآية ٧٧.

(4) الإعتراض : هو أن يأتي في أثناء الكلام أو بين كلامين متّصلين معنى بجملة أو أكثر معترضاً بين المعنيين أو نسق الكلام المتصل المعنى . التعريفات للجرجاني مع زيادة من غيره ٤٧ .

(5) سورة يونس الأية ١.

(6) القصيا بالياء هي القياس، لأنها فعلى واوية اللام، قياسها أن تبدل ياء، وإبقاؤها على الأصل نادر كما قال ابن مالك : ** وكون قصوى نادراً لا يخفى **

وهي لغة القرآن، كما قال تعالى : ﴿ وهم بالعدوة القصوى ﴾.

قوله : ((وفيه إلزام)) أي : في قوله : ﴿ ذرهم ﴾، وقلت : في الأمر بالتمتع والإشتغال بالتّلذّذ : إدماج[1] لهذا المعنى، لأن هذا القول لا يصدر عن الرسول إلا بعد الإنذار البالغ حدّه واليأس من الإيمان، أي : أبلغت في الإنذار وألزمت الحجة عليهم، فلله الحجة البالغة.

قوله : ((وفيه تنبيه)) أي في تخصيص الأكل والتمتع بالمشتَهيات واتّلهّي بالأمل إدماج أيضاً بأن هذه الأشياء ليست من أخلاق المؤمنين[2] ، فقوله : ((وهذه هجّيري أكثر الناس)) جملة معترضة، قال بعض المشايخ[3] : التزين بالدنيا من أخلاق المنافقين، والتمتع بها من أخلاق الكافرين، والتمرّغ فيها من أخلاق الهالكين.

قوله : ((وإعذار فيه))، الجوهري[4] : [أعذر أى بالغ في الإنذار، وقيل : يجوز أن تكون الهمزة للسلب.

قوله : ((وهذه هجّيري أكثر الناس)) الراغب[5]: [الهجر : الكلام المهجور لقبحه، وهجر فلان إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد، يقال : رماه بهاجرات فمه،

---

(1) الإدماج : هو أن يتضمن كلام سبق لمعنى مدحاً كان أو غيره معنى آخر، وهو أعمّ من الاستتباع لشموله المدح وغيره، واختصاص الاستتباع بالمدح. انظر التعريفات للجرجاني ٣٠.

(2) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الطور الآية ٤٤ : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ﴾، وقوله في سورة إبراهيم الآية ٣٠ : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾، وقوله في سورة المعارج الآية ٤٢ : ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾.

(3) ذمّ الدنيا على الإطلاق ليس بالصواب، وإنما تذم إذا لم تسخر للآخر، وكان صاحبها عبداً لها، كما قال صلى الله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار) الحديث. أما من سخرها لآخرته فتكون محمودة، قال تعالى في سورة القصص الآية ٧٧ : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾

(4) الجوهري : إمام اللغة أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، مصنف كتاب الصحاح، وأحق من يضرب به المثل في اللغة. انظر معجم الأدباء ١٥١/٦-١٦٥ لياقوت الحموي، وسير أعلام النبلاء ٨٠/١٧-٨٢ للحافظ الذهبي . ذكر هذا في كتابه الصحاح ٧٤٠/٢ مادة (هجر).

(5) ذكره في كتابه المفردات ٥٧٣ مادة (هجر).

أي : بفضائح كلامه، وقولهم : فلان هيّجراه كذا، إذا أولع بذكره، وهذى به هذيان المريض المُهْجِر، ولا يكاد يستعمل الهجّيري إلا في العادة الذميمة].

قوله : ((التمرّغ في الدنيا))، الجوهري[1] : [مرّغته في التراب فتمرّغ، أي : معّكته[2]] وفي تخصيص التّمرغ إشارة إلى دأب الحيوان.

قوله : ((أن لا يتوسط الواو))[3] يعني : ((القياس أن لا تتوسط بين الصفة والموصوف العاطف لشدّة اتّصالها به، كما في قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾[4] ، لكن لما افترق الحكم (بينهما)[5] اختصت هذه بها، فإن لصوق الصفة فيما نحن فيه أشدّ من لصوقها في قوله : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ فإن إهلاك قرية من القرى لكون أجلها مقدّراً لا ينفكّ عن قضائه وقدره، بخلاف إهلاكها عن إنذار منذر، فإنه قد ينفكّ عنه، قال تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾[6].

قوله : ((كما يقال في الحال))، يعني[7] : هذه الواو الداخلة بين الصفة والموصوف كالواو الداخلة بين الحال وصاحبها، فكما أن معنى الحالية لا يتغيّر إذا قلت : جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني زيد وعليه ثوب، كذلك ههنا. وأيضاً كما

---

(١) الجوهري ٤/١٣٢٥ مادة (مرغ).

(٢) معكته (فتمعك) في ت.

(٣) تفسيرقوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾ يقول (ز) ﴿ ولها كتاب ﴾ جملة واقعة صفة (لقرية).

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٠٨.

(٥) الحكم (بينهما) اختصت ما بين القوسين في ت ، م.

(٦) سورة الإسراء الآية ١٧.

(٧) لفظ (يعني) س من م.

أن الواو هناك لمجرّد الربط، فكذلك هـهنا، وذلك أن الأصل في الجملة إذا وقعت موقع الحال أن لا تدخلها الواو لفوات المغايرة، لأن حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه، والخبر ليس موضعاً لدخول الواو، وإنما تدخل لمجرّد الربط، لا سيما إذا كانت جملة إسمية فإنها أشدّ افتقاراً إلى الربط، فحكم الصفة كذلك، ويؤيده قول أبي البقاء[1] : [وساغ دخول الواو، ولّما كانت صورة الجملة هـهنا كصورتها إذا كانت حالاً]، وقال صاحب التقريب[2] : في قول المصنف نظر، لأن توسيط العاطف بين الصفات معهود لا بين الصفة والموصوف، والحال ليس وزانها وزان الصفة، إذ حقّها الواو، وقد تحذف، وإنما لم يجعله حالاً لتنكير ذي الحال، وهو (قرية)، وجاز أن يقال : عمومها يصحّح كونها ذا الحال، كما في المبتدأ، نحو ما أحد خير منك، وهو تبع صاحب المفتاح[3] ، حيث قال : [فالوجه عندي هو أن ﴿ ولها كتاب معلوم ﴾ حال (لقرية) لكونها في حكم الموصوفة أي قرية من القرى، لا وصف، وحمله على الوصف سهو لا خطأ، ولا عيب في السهو]، وقد أطال المالكي[4] في شرح التسهيل في الردّ قياساً ونقلاً، وجعل مصحّح وقوع النكرة ذا الحال كونها منفية، وقال : والمنفي صالح لأن يجعل صاحب حال بما هو صالح لأن يجعل مبتدأً،

---

(1) أبو البقاء ٩٢/١.

(2) صاحب التقريب يعني به السيرافي المتوفي سنة ٧١٢هـ ، توجد نسخة من تفسيره في تركيا ، مدينة أياصوفيا رقم ٨٨.

(3) صاحب المفتاح : محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيف دمشق، من كتبه : المفتاح في شرح التلخيص . ولد سنة ٦٦٦هـ ومات سنة ٧٣٩هـ. انظر : الأعلام للزركلي ١٩٢/٦، وبغية الوعاة للسيوطي ١٥٦/١.

(4) المالكي : بدر الدين محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي الأسكندري المالكي النحوي، المعروف بالدماميني، المولود بالإسكندرية سنة ٧٦٣هـ، المتوفي بالهند سنة ٨٣٧هـ . انظر : الأعلام للزركلي ٥٧/٦، وحسن المحاضرة للسيوطي ٢٥٨/١.

ومن أمثلة أبي علي(1) في التذكرة : ما مررت بأحد إلا قائماً إلا أخاك، فجعل الحال من أحد، لاعتماده على النفي. وسنذكر الجواب إن شاء ا لله في سورة الكهف.

قوله : ((وأنّث الأمّة أولاً)) يعني : في قوله : ﴿ ما تسبق ﴾ ثم ذكّرها آخراً، أي: في قوله : ﴿ وما يستأخرون ﴾.

قوله : ((المعنيين))(2) أي : على سبيل البدل، إما الامتناع أو التحضيض، فإن قوله: لولا علي لهلك عمر، ليس فيه سوى التحضيض.

قوله : ((لوما الحياء ... البيت))(3) ، عوري أي : خللي ونقصي، ويروى عودي أي : أصلي، والبيت يستشهد به (للوما) التي لامتناع الشيء لوجود غيره.

قوله : ((وقرأ ﴿ تَنَزل ﴾))(4) كلهم إلا عاصماً وحمزة(5) والكسائي(6) ، وتنزل أبوبكر(7) ، وننزل حفص(8) وحمزة والكسائي.

(1) أبو علي الفارسي : إمام النحو، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، صاحب التصانيف، من مشايخة الزجاج، وأبو بكر السراج، ومن تلاميذه ابن جني، وعلي بن عيسى الربعي، وكان فيه اعتزال، ومصنفاته كثيرة، مات ببغداد في ربيع الأول سنة ٣٩٧هـ، انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٧٩/١٦، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري ٢٣٢.

(2) قوله : (المعنيين) يشير (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ﴾ الآية ٧، قال : (لو) ركبت مع (لا) و (ما) ((للمعنيين)) معنى امتناع الشيء لوجود غيره، ومعنى التحضيض، وأما (هل) فلم تركب إلا مع لا، وحدها للتحضيض. قال ابن مقبل : لوما الحياء ... البيت.

(3) البيت لابن مقبل، وتمامه :

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ** ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

انظر الانتصاف على شواهد الكشاف ٥٧١/٢.

(4) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف (ما نُنَزِّلُ) بالنون والتشديد، (الملائكةَ) بالنصب، وقرأ عاصم في رواية ابي بكر (ما تُنَزَّلُ) بضم التاء وفتح الزاي (الملائكةُ) بالرفع، وقرأ الباقون (تَنَزَّلُ) بفتح التاء (الملائكة) بالرفع، انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ص٢٢٠، وحجة القراآت لابن زنجلة ٣٨١.

قوله : ((وقيل : الحق : الوحي أو العذاب))[1] عطف على قوله : ((بالحكمة والمصلحة)).

قوله : ((لأنه جواب لهم، وجزاء الشرط مقدر)) أما كونه جواباً لهم فظاهر، وأما كونه جزاء لشرط مقدر، فإنهم لّما قالوا : هلاّ تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك؟ أجيبوا بما ينبئ عن قولنا ((إن جاءتكم الملائكة وشهدوا بصدقي فلم تؤمنوا ((ما

---

(٥) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام، أبو عمارة الكوفي مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي الزيات، أحد القراء السبعة، ولد سنة ٨٠، ومات ١٥٦، انظر معرفة القراء الكبار ١/١١١، وسير أعلام النبلاء ٧/٩٠.

(٦) الكسائي : علي بن حمزة الإمام أبو الحسن الأسدي مولاهم الكوفي المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، ولد سنة ١٢٠هـ ومات سنة ١٨١هـ، وقيل : غير ذلك، انظر معرفة القراء للذهبي ١/١٢٠، وسير أعلام النبلاء ٩/١٣١.

(٧) أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الإمام، أحد الأعلام، مولى واصل الأحدب، واختلف في اسمه على عشرة أقوال، أصحها كنيته، قرأ القرآن على عاصم ثلاث مرات، ولما حضرته الوفاة بكت أمه، فقال لها: مايبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية قد ختمت فيها ثماني عشرة ألف ختمة. مات سنة ١٧٣هـ، انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١/١٣٤، وسير أعلام النبلاء ٨/٤٣٥.

(٨) حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزّار، ولد سنة ٩٠هـ ومات سنة ١٩٠هـ، أعلم أصحاب عاصم بقراءته، أقرأ ببغداد، ومكة، والكوفة، قال يحي بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان. وروايته متروكة في الحديث، انظر تقريب التهذيب ٧٧، وحجة القراء لابن زنجلة ٥٩.

(١) قوله : ((وقيل الحق الوحي او العذاب)) يعني (ز) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين ﴾ الأية ٨ من سورة الحجر. قوله : ﴿ إلا بالحق ﴾ إلا تنزّلا متلبّسا بالحكمة والمصلحة، ولا حكمة في أن تأتيكم الملائكة عياناً تشاهدونهم، ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم حينئذ مصدقون عن اضطرار، ومثله قوله تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴾ وقيل : ((الحق الوحي أو العذاب)) (إذاً) جواب وجزاء ((لأنه جواب لهم)) وجزاء لشرط مقدر، تقديره ((لونزّلنا الملائكة ما كانوا منظرين، وما أخّرعذابهم)).

أخّر عذابكم)) كما قدّر الزجاج[1] معنى قوله ((إذن أكرمك، جواباً لمن قال : أنا آتيك إن كان الأمر كما ذكرت فإني أكرمك، أو إن جاءتكم ملائكة العذاب ((ما أُخّرتم)) فقوله : ((ولو نزلنا الملائكة ما كنا منتظرين وما أخر عذابهم)) يحمل على الوجهين المذكورين لكون قوله تعالى : ﴿ ما تنزل الملائكة ﴾ الآية جواباً عن قولهم : ﴿ لوما تأتينا بالملائكة ﴾ الآية، فسّره فيما سبق بالوجهين.

قوله : ((على القطع))[2] حال من الضمير في فأكّد، أو مفعول مطلق من المنزل، أي إنزالاً على القطع، وإفادة القطع من تصدر الجملة (بأن) وتوكيده (بنحن) والتعظيم بضمير الجمع.

قوله : ((بعث به جبريل)) أي : بعث بالقرآن جبريل، فالباء بمعنى مع، ويجوز أن تكون سببية.

قوله : ((قد جعل ذلك دليلا توجيه الجواب أن الكفرة حين قالوا مستهزئين : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ بمعنى يا أيها المفتري إن الله لم ينزل عليك الذكر، وهذا الذي تزعمه أنه من عند الله ليس منه، بل هو من الجنّ، وإنك لمجنون، ردّ عليهم بقوله : ﴿ إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، يعني : ان الله تعالى هو المنزّل على القطع والبتّ، وأنه هو الذي بعث جبريل إلى محمد صلوات الله عليهما، وبين يديه ومن خلفه رَصَدٌ من الملائكة حتى نزل وبلّغ محفوظاً من الشياطين والجن، فما كان من الله ومحفوظاً من الجن، كيف يكون من الجن؟

---

(1) الزجاج الإمام النحوي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرّى الزجاج البغدادي، مؤلف كتاب معاني القرآن، وله تآليف جمّة، أخذ عنه العربية أبو علي الفارسي، مات سنة ٣١١هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١٣٠/١.

(2) قول (ز) : ((على القطع)) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ الآية ٩ من سورة الحجر، ردّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر ﴾ ولذلك قال : ﴿ إنا نحن ﴾ ، فأكدّ عليهم أنه هو المنزل ((على القطع والبتّ)).

قوله : ((منزل من عند الله آية آية)) حال من ضمير منزل، أي دلالة وعلامة على كونه معجزة، يعني قوله: ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ كالدليل لإثبات المدعى بأنه تعالى لما ردّ بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾ قولهم : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ بمعنى أن المنزّل ليس من قبل الجن كما تزعمون، بل من قبل المليك المعظم شأنه، القاهر سلطانه، عقّبه بقوله ليكون دليلاً على ذلك المدعى، وإليه الإشارة بقوله : ((لوكان من عند البشر أو يكون غير آية معجزة لتطرّق عليه الزيادة والنقصان)). وقال الإمام[1] : [إن الله حفظه بأن جعله معجزاً مبايناً لكلام البشر، لأنه يعجز الخلق عن الزيادة والنقصان فيه، لأنهم لو راموا ذلك لتغير نظمه، وظهر للخلق أنه من كلام البشر، وليس من خالق القوى والقدر].

قوله : ((الشيعة[2] : الفرقة إذا اتفقوا على مذهب))، الراغب[3] : [الشياع الانتشار والتقوية، تقول : شاع الحديث إذا كثر وانتشر، وشاع القوم انتشروا وكثروا، وشيعْت النار قوّيتها، والشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه].

قوله : ((أرسلناه فيهم : نبّأْناه فيهم وجعلناه رسولاً فيما بينهم)) يعني : أن أرسلنا استعمل بفي، والأصل أرسلنا إليهم للإعلام بمزيد التمكن فيهم، فدلّ قوله : (نبّأْناه فيهم) على معنى أعطيناه المعجزة، وقوله : ((جعلناه رسولاً فيما بينهم)) على معنى صيّرناه صاحب كتاب وشريعة لأن النبي كما تقرر صاحب المعجزة، والرسول صاحب الكتاب[4] ، فالآيات تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من استهزاء القوم.

---

(1) ذكره في كتابه التفسير الكبير ١٩/١٦٠.

(2) تفسير قوله : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾ الآية ١٠ من سورة الحجر. يقول (ز) : ﴿في شيع الأولين﴾ في فرقهم وطوائفهم، ((والشيعة : الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة)).

(3) الراغب في مفردات القرآن ص ٢٧٠.

(4) الصحيح أنه ما من نبي ولا رسول إلا كان صاحب معجزة، للحديث الصحيح : (ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) البخاري مع الفتح ٣/٩ كتاب فضائل القرآن، باب الوحي . ومسلم كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم.

قوله : ((ونحوه نسلك ا لذكر))[1] يريد أن المشار إليـه بقولـه : ((ذلـك)) في ((كذلك)) خلاصة معنى قوله : ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴾، ووجه التشبيه : التكذيب والاستهزاء، يعني ((مثل ذلك السلك)) مكذّبـاً مستهزءاً به نسلكه في قلب من هو مجرم مكذّب مستهزئ، فقوله : (مكذّبا بـه مستهزءاً) حـال مقدرة، لأن الذكر ما كان مكذّبا حال إلقائه في قلوبهم، بـل بعـده بزمـان، والـلام في ﴿المجرمين﴾ للجنس، بدليل قوله : ((كذلك أنزلها باللئام))، قـال في الإنتصـاف[2]: [المـراد إقامـة الحجـة على المكذبين بـأن ا لله سـلك القـرآن في قلوبهـم وأدخلـه في سُوَيدَاوَاتِها، كما سلكه في قلوب المؤمنين، فكذب به هؤلاء، وصدّق به هـؤلاء، كـلّ على علم وفهم ﴿ ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حيّ عن بينه ﴾[3] ولتقع الحجّة على الكفار بعلمهم بوجه الإعجاز، كما فهمها المؤمنون، ولذلك عقبه بقوله : ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء ... الآية ﴾ أي : لو أظهر لهم أيَّ دليل ظهر مـن إعجـاز أو صعود إلى السماء، وفي قوله ﴿فظلّوا﴾ التي لا تكون إلا في النهار إشـعار بوضـوح ذلك، وقال القاضي[4] : [الضمـير في قولـه : ﴿كذلـك نسـلكه ﴾ للاستهزاء، وفيـه دليل على أنه تعالى يوجد الباطل في قلوبهـم، وقيـل : للذكـر فـإن الضمـير الآخـر في قوله : ﴿لايؤمنون به﴾ وهو حال من هذا الضمير، والمعنى مثل ذلك السلك نسـلك الذكر في قلوب المجرمين، مكّذباً غير مؤمن بـه، أو بيـان للجملـة المتضمنـة لـه، وهـذا الاحتجاج ضعيف، إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في الرجوع إليه، ولا يتعـين

---

(1) تفسير قوله : ﴿ كذلك نسلكه في قلوب المجرمين . لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولـين ﴾ الآيـة ١٢ و ١٣ من سورة الحجر. قال (ز) : ﴿أي مثل ذلك السلك﴾)(ونحـوه نسـلك الذكـر في (قلـوب المجرمـين) على معنى أنه يلقيه في قلوبهم، مكذّباً مُسْتهزءاً به، غير مقبول كما لو أُنزلت بلئيم حاجة، فلـم يجبـك إليهـا، فقلتَ: ((كذلك أنزلها باللئام)) تعني مثل هذا الإنزال أزلها بهم مردودة غير مقضية.

(2) ٥٧٣/٢ حاشية الزمخشري.

(3) سورة الأنفال الآية ٤٢.

(4) القاضي البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٦٦/٣.

أن تكون الجملة حالاً من الضمير لجواز أن تكـون حـالاً مـن ﴿المجرمين﴾، ولا ينـافي كونها مفسرة للمعنى الأول].

قولـه : ((طريقتهـم الـتي سـنّها الله في إهلاكهـم))[1] روى الإمـام[2] عـن الزجاج[3] أنه قال : [قـد خلـت سـنة الله في الأولـين أن يسـلك الكفـر والضـلال في قلوبهم]. وقـال الإمـام[4] : [هـذا أليـق بظاهر اللفـظ مـن ذلـك]، وقلـت : بيانـه أُن التعريف في ﴿المجرمين﴾ للعهد، والمراد به المكذبون من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم المذكورون بعد قوله : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولـين. ومـا يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴾ أي : مثل ذلك السلك الذي سـلكناه في قلوب أُولئك المستهزئين المكذبين للرسل الماضية، نسلكه في قلـوب هـؤلاء المكذبـين، ثم قرّر ذلك وبيّنه بقوله : ﴿لا يؤمنون﴾، وذيّله بقوله : ﴿وقد خلت سنة الأولـين﴾، والمقام يقتضي التقرير والتأكيد، لأنه تعالى لما وصـف الكتـاب بقولـه : ﴿تلـك آيـات الكتاب وقرآن مبين﴾ وبالغ في بيان كماله وإعجازه الدرجة القصيا، ثم حكى عنهـم أنهم طعنوا فيه واستهزءوا بمن نزل عليه بقوله : ﴿ يأيها الذي نزل عليه الذكـر إنـك لمجنون﴾، وما عدّوه من المعجزة حيث قالوا : ﴿ لومـا تأتينـا بالملائكـة إن كـانت مـن الصادقين ﴾ وسلاّه بقولـه : ﴿ إنـا نحـن نزلنـا الذكـر وإنـا لـه لحـافظون ﴾، وقولـه : ﴿ ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين ﴾، قال كذلك نسلكه في قلوب (هؤلاء)[5] المجرمين، فلك أسوة بالرسل الماضية مـع أممهـم المكذّبـة، ولسـت بـأوحَدِيّ فيـه، وقـد

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين ﴾ الأية ١٣. قـال (ز) : ((طريقتهـم التي سنها الله في إهلاكهم)) حين كذبوا برسلهم، وبالذكر المنزل عليهم، وهو وعيد.

(2) الإمام الفخر الرازي ١٦٦/١٩.

(3) الزجاج ١٧٤/٣

(4) الإمام الفخر الرازي ١٦٦/١٩

(5) ما بين القوسين س من م.

خلت سنة الأولين، فيكون على هذا مزيد تسلية للرسول صلى ا لله عليه وسلم، والوعيد[1] بعيد لأنه لم يسبق لإهلاك الأمم ذكر، وإنما آثر المصنف ذكر الوجه، لأنه أقرب إلى مذهبه.

قوله : ((يعرجون))[2] بالضم السبعة ، وبالكسر شاذ[3] ، ﴿وسكرت﴾[4] بالتخفيف ابن كثير[5] .

قوله : ((من السكر أو السكر فيه)) فسّر الجوهري[6] : [السكران خلاف الصاحي، وقد سَكِر يَسْكَر سَكَراً، والاسم السُّكْرُ بالضم، والسِّكر بالكسر : العزم، والسكر مصدر سَكرت النهر أسكره سكرا إذا سددته]، قيل : إن جعل من السُّكر بالضم فالتثقيل للتعدية، وإن جعل من السكر

---

(1) فالزمخشري، قال : إنه وعيد لأهل مكة على تكذيبهم، والطيبي استبعد ذلك كما ترى، وقال : إنه أقرب لمذهبه الإعتزالي، ولم يتضح لي الاعتزال في هذه المسألة.

(2) تفسير قوله تعالي : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ الآيتان ١٤،١٥ من سورة الحجر.

(3) قرأ ﴿يَعْرِجون﴾ بكسر الراء شذوذاً، ابن أبي الزناد، والأعمش، وعيسى، وأبو حيوة. انظر شواذ القرآن ص٧٠، والبحر المحيط ٥/٤٤٨ وهي لغة هذيل.

(4) ﴿ سُكِرَت ﴾ بالتخفيف ابن كثير، والباقون ﴿سُكِّرَت﴾ بالتشديد. انظر كتاب السبعة لابن مجاهد ٣٦٦، والمبسوط في القراآت العشر لابن مهران أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني المتوفي سنة ٣٨١، ص٢٢٠.

(5) ابن كثير عبد ا لله أبو معبد العطار، الداري، الفارسي الأصل، أُمام اهل مكة في القراءة، ولد سنة ٤٥هـ، ومات ١٢٠هـ، روى عن عدد من الصحابة، منهم عبد ا لله بن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، وهو قارئ مكة، أُخذ عن مجاهد بن جبر، وعبد ا لله بن السائب، وغيرهم، انظر حجة القراآت لابن زنجلة ٥٢، والمبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٩ .

(6) الجوهري في الصحاح ٢/٦٨٧ مادة (سكر).

فالتثقيل للإسناد إلى الجماعة، وقال ابن جني[1] : [كما أن السكر يعترض على الماء ويسدّ عليه مذهبه، كذلك حال السكران في وقوف فكره، والاعتراض عليه بما ينقصه ويحيّره، فلا يجد مذهباً، وينكفي مضطرباً]، الراغب[2] : [السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب، وقد يعتري من الغضب والعشق، ولذلك قال الشاعر :

** ....سُكْرانِ ** سُكْرُ هَوَى وسُكْرُ مُدُامَةٍ**[3]

ومنه سكرات الموت ، والسكر حبس الماء، وذلك باعتبار ما يعرض من السّد بين المرء وعقله، والسكر الموضع المسدود، وليلة ساكرة أي : ساكنة، اعتباراً بالسكون العارض من السكر] . قوله : وقال : ((إنما ليدلّ على أنهم يبتّون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار))، قال الإمام[4] : [إنما للحصر، والحصر ههنا في الأبصار لا في التسكير، فكأنهم قالوا : ما سكرت إلا أبصارنا لا عقولنا، فنحن وإن نتخايل في أبصارنا هذه الأشياء، لكن نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه،ثم أضربوا عن الحصر في الأبصار، وقالوا: بل جاوز ذلك عقولنا بسحره.

---

(1) ابن جني عثمان بن جني الأزدي بالولاء، إذ كان أبوه جني مملوكاً رومياً يونانياً لسليمان بن فهد الأزدي، صاحب الموصل، و(جني) بإسكان الياء وليس منسوباً، معرب كنّى، ومعناه بالعربية فاضل كريم نبيل، وكنيته أبو الفتح، كان مولده سنة ٣٢٢هـ مع اختلاف في ذلك. انظر المحتسب لابن جني ٥/١، والكامل لابن الأثير حوداث سنة ٤١١.

ذكره في كتابه المحتسب ٣/٢.

(2) الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦ مادة (سكر).

(3) البيت للخليع الدمشقي في أبيات له في يتيمة الدهر ٣٣٣/١، وعجز البيت :

** أنّي يفيق فتى به سُكران ** سكر هوى وسكر مدامة **

(4) الإمام الفخر الرازي ١٦٧/١٩. ذكره ضمناً.

قوله : ((من استرق)[1] في محل نصب على الاستثناء))، قال أبو البقاء[2] : [هو استثناء منقطع، ويجوز أن يكون مجروراً على البدل، أي : إلا من استرق، والمبدل ﴿لكل شيطان رجيم﴾، والتقدير : لا يدخلها شيطان إلا من استرق لدلالة ﴿حفظنا﴾ عليه، وقيل : فيه نظر، لأنه في كلام موجب[3] ، وأجيب أن قوله ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ في معنى النفي، كقوله تعالى : ﴿ فشربوا منه إلا قليل منهم ﴾[4]

قوله : ((أو على محلّ لكم))[5] وهو النصب لأنه مفعول به، كأنه قيل : جعلنا لكم معائش ولمن لستم[6]، قال صاحب التقريب : وفيه نظر إذا العطف على محل

---

(1) تفسير قوله تعالى :﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم . إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ الآيتان ١٦، ١٧ من سورة الحجر، يقول (ز) : ﴿من استرق السمع﴾ (في محل نصب على الإستثناء).

(2) قال أبو البقاء : ﴿ إلا من استرق السمع ﴾ في موضعه ثلاثة أوجه، : نصب على الاستثناء المنقطع، الثاني : جرّ على البدل، إي : إلا من استرق، والثالث : رفع على الابتداء . ٢/٧٢-٧٣.

(3) قاله ابن الأنباري، أبو البركات في كتابه البيان في غريب إعراب القران، قال : (من) في موضع نصب على الاستثناء، ولا يجوز أن تكون بدلا من ﴿كل شيطان لأنه استثناء موجب . ٢/٦٦.

(4) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ الآية ٢٠ من سورة الحجر، قال (ز) : ﴿ومن لستم له برازقين﴾ عطف على ﴿معايش﴾ ((أو على محلّ (لكم) كأنه قيل : (وجعلنا لكم فيها معايش، وجعلنا من لستم له برازقين، أو وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين.

(6) قال ابن الأنباري ٢/٦٦ : يجوز في إعراب ﴿من﴾ من قوله : ﴿ومن لستم له برازقين﴾ النصب بالعطف على قوله ﴿ معايش ﴾، أي : جعلنا لكم فيها المعايش والعبيد. والثاني : أنه منصوب بتقدير فعل، وتقديره (جعلنا لكم فيها معايش) وأعشنا (من لستم له برازقين) فأضمر (أعشنا) لدلالة الكلام عليه . والثالث: أن يكون منصوباً بالعطف على موضع (لكم) وموضعه النصب (بجعلنا)، ولا يجوز فيه الجرّ بالعطف على الكاف والميم في (لكم) لأنه ضمير المجرور، والضمير المجرور لا يجوز العطف عليه إلا بإعادة الجار، وقد أجازه الكوفيون.

(لكم) لا يقتضي إعادة اللام، بل كون ﴿من لستم﴾ منصوباً، فلعله على تقدير الجار تصحيحاً للمعنى، ثم نزعه، وقال صاحب التخمير[1] : [قول النحويين المفعول هو المجرور مع الجار سهو، ألا ترى أن الباء في خرجت بزيد، بمنزلة الهمزة، وتثقيل الحشو في أخرجت وخرجت، فكما أنهما ليسا جزءاً من المفعول[2] كذلك هـهنا، ولأن هذا الفعل المتعدي بحرف الجرّ، يجعل مبنياً للمفعول، ولو لم يكن الجار جزءاً من الفعل لما جاز بناؤه للمفعول لأن الفعل اللازم لا يجعل مبنياً للمفعول، ولأن الجار هـهنا قد يعدى به الفعل، فصار معه بمنزلة الفعل المتعدي، وشيء من الفعل المتعدي لا يكون جزءاً من المفعول].

قوله : ((ويخطون)) جملة معترضة، أو حال بحذف المبتدإ.

قوله : ((فضرب الخزائن مثلاً لا قتداره على كل مقدور))[3] يعني : أن أصل الكلام ما من شيء تنتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه فشبّه اقتداره على كل شيء، وإيجاده بالخزائن المودعة فيها الأشياء المهيأة المعدّة، ليؤذن أن مقدوره كأنه حاصل موجود فهو أقوى مما لو قيل : نحن قادرون على إيجاده وتكوينه، فيكون موقع قوله : ﴿وإن من شيء﴾ الآية كالتذييل[4] للكلام السابق، إذا فسر قوله: ﴿موزون﴾ بأن كل شيء وُزن بميزان الحكمة، وقدّر بمقدار يقتضيه. وكالتكميل إذا فسّر بغير ذلك، قال القاضي[5] : [وقد أكّد الآية الاستدلال بجعل

---

(1) صاحب التخمير : هو صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي، وكتابه التخمير شرح المفصل في صناعة الإعراب . طبع في دار الغرب، أربع مجلدات. ٢/٢٦٩

(2) المفعول (وإنما هو جزء من الفعل) كذلك ما بين القوسين في ت ، م .

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ الآية ٢١ من سورة الحجر، قال (ز) : ذكر الخزائن تمثيل، والمعنى : وما من شيء ... الخ.

(4) التذييل : هو جعل شيء عُقيب شيء لمناسبة بينهما من غير احتياج، ومثله التذنيب . التعريفات ٧٧.

(5) القاضي البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل ١٦٧/٣.

الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خِلقة وطبيعة، مع جواز أن لا يكون كذلك، على كمال قدرته وتناهي حكمته، والتّفرد في ألوهيته، والامتنان على العباد بما أنعم عليهم في ذلك] ثم ضرب الخزائن مثلاً لاقتداره.

قوله : ((إن الريح لا قح إذا جاءت بخير))[1] ، الجوهري[2] : [الأصل فيه ملقحة، ولكنها لا تلقح إلا وهي في نفسها لا قح، كأن الرياح لقحت بخير، فإذا أنشأت السحاب وفيها خير وصل ذلك إليه]، وقال ابن جني : قالوا : ألقحت الريح السحاب وهي لاقح، هذا على حذف همزة أفعل، وإنما قياسه ملقح، كأنه خرج بحذف الزيادة تقديراً، وإن لم يخرج إلى اللفظ استعمالاً، كما قالوا : أبقل المكان فهو باقل، وقال أيضاً : [هو من باب الاكتفاء بذكر السبب عن المسبب، فإنها إذا لقحت ألقحت غيرها] . وقلت : لا يبعد أن يكون مجازاً باعتبار ما كان، فيكون الريح أولا لاقحة ثم تصير ملقحة، فقيل : لا قحة وأريد ملقحة، كقوله : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ﴾[3] . قال أبو البقاء[4] : [لقحت الريح إذا حملت الماء، ألقحت الريح السحاب إذا حملتها الماء، كما تقول : ألقح الأنثى فلقحت، وانتصابه على الحال المقدرة].

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءاً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ الآية ٢٢ من سورة الحجر، قال (ز) : لواقح فيه قولان : أحدهما ((أن الريح لاقح إذا جاءت بخير)) من إنشاء سحاب ماطر، كما قيل : للتي لا تأتي بخير : ريح عقيم. والثاني : أن اللواقح بمعنى الملاقح . ثم قال :

** ومُختبط مما تُطيح الطوائح **

(2) الجوهري في صحاحه ٤٠١/١ مادة (لقح).

(3) سورة النساء الآية ٢، يعني : باعتبار ما كان من اليتم.

(4) قاله أبو البقاء في كتابه / إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراآت ، ٧٣/٢.

قوله : ((إن اللواقح بمعنى الملاقح))، الجوهري[1] : [الملاقح الفحول الواحد ملقح، والملاقح أيضاً الإناث في بطونها أولادها الواحدة مُلقَحةٌ، بفتح القاف]، وقال أبو البقاء[2] : [أصلها ملاقح، لأنه يقال : ألقح الريح السحاب، كما يقال : ألقح الفحل الأنثى، أي : أحبلها، وحذفت الميم لظهور المعنى، ومثله الطوائح، الأصل المطاوح، لأنه من أطاح الشيء]، الجوهري[3] : [طاح يطوح ويطيح : هلك وسقط] وطوّحه : حيّره وذهب به ههنا وههنا، وطوّحته الطوائح : قذفته القواذف.

قوله : ((ومُختَبطٌ مما تطيح الطوائح، صدره : القائل الحارث[4] النهشلي

** ليبك يزيد ضارع لخصومه **

يرثي أخاه يزيد ليبك بُنى مجهولاً، كأنه قيل من يبكيه، فقال: ضارع، أي : ليبكه ضارع.

قوله : ((نفي عنهم [5] ما أثبته لنفسه في قوله : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾)) هذا يؤذن أن قوله : ﴿ وأرسلنا الريح لواقح ﴾ عطف على قوله : ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ عطف جبريل وميكائيل على ملائكته.

---

(١) الجوهري في صحاحه ٤٠١/١ مادة (لقح).

(٢) أبو البقاء في كتابه إملاء ما منّ به الرحمن ٧٣/٢.

(٣) الجوهري في صحاحه ٣٨٩/١.

(٤) الحارث بن نهيك النهشلي، قاله : القيسيّ في إيضاح شواهد الإيضاح ١٦، انظر معجم شواهد النحو الشعرية ٣٢٢، وذكر خلافاً كثيراً في قائل البيت، فقيل إنه لضرار بن نهشل، يرثي أخاه يزيد بن نهشل، كما في الحاشية لمحمد بن عليان المرزوقي.

(٥) قوله : ﴿ وما أنتم له بخازنين ﴾ . قال (ز) : ((نفى عنهم .)) الخ يعني : من عطف البعض على الكل)).

قوله : ((واجعله الوارث منا))[1] عن الترمذي عن ابن عمر أنه قال :(ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلسه حتى يدعو بهذه الدعوات لأصحابه) : اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا ... الحديث[2] مختصر، وله ابتداء وانتهاء، النهاية[3] : [أراد بقاءها وقوتها عند الكبر وانحلال القوى النفسانية، فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقيين بعدها، والهاء في واجعله للإمتاع، ولذلك وحده].

قوله : ((من الأولين والآخرين))[4] بيان على النشر، أي : لقد علمنا من استقدم منكم ولادةً وموتاً ومن تأخر منكم ولادةً وموتاً.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون . ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين . وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ﴾.

(٢) أخرجه الترمذي ٤٩٣/٥ كتاب الدعوات، باب ٨٠ رقم الحديث ٣٥٠٢، ثم قال : هذا حديث حسن غريب . والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣١٠ باب ما يقول إذا جلس في مجلس كثر فيه لغطه رقم الحديث ٤٠١ . والحاكم في المستدرك، وأقره الذهبي ٥٢٨/١ . وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم ٤٤٨.

وأول الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : (اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) هذا لفظ الترمذي.

(٣) النهاية ١٧٢/٥ مادة (ورث).

(٤) قوله تعالى : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين ﴾ قال (ز) : (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر ((من الأولين والآخرين)) أو من خرج من أصلاب الرجال.

قوله : ((وروى أن امرأة حسناء ... الحديث))[1] رواه الإمام أحمد بن حنبل والترمذي وابن ماجه والنسائي عن ابن عباس.

قوله : ((أي : هو وحده القادر على حشرهم، والعالم بحصرهم، مع إفراط كثرتهم)) فيه إشعار بأنه اختار الوجه الأول في تفسير قوله : ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ﴾ لأن الكثرة التي تفوت الحصر ولا يحصيها إلا ا لله، إنما يحسن إذا قلنا : المراد من قوله : ولقد علمنا المستقدمين ... الآية ﴾ مَن استقدم ولادةً وموتاً ومن تأخر من الأولين والآخرين، ويؤيّده السياق، وهو قوله : ﴿ وإنا لنحن نحي ونميت ﴾، والسياق، وهو قوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال ﴾ ودلّ على الحصر توسيط ضمير الفصل بين اسم إن وخبرها[2] .

قوله : ((إذا توهمت في صوته مدّا فهو صليل))[3] لما في صليل من حرف مدّ، ((وإن توهمت فيه ترجيعاً، أي : ترديداً فهو صلصلة، لما في الصلصلة من ترديد وتكرير)) رعاية لوجه المناسبة بين الاسم والمسمى.

---

(1) وهو، أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها، وتأخر بعض ليبصرها، فنزلت.

أخرجه الترمذي ٢٧٦/٥ رقم ٣١٢٢ كتاب التفسير، باب ١٦ ومن سورة الحجر ، والنسائي ١٠١/١ كتاب الصلاة ، باب المنفرد خلف الصف. وابن ماجه ٣٣٢/١ كتاب الصلاة، باب الخشوع في الصلاة برقم ١٠٤٦ . وابن حبان برقم ١٧٤٩.

والمستدرك كتاب التفسير ٣٥٣/٢، قال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: روى عن أبي الجوزاء مرسلاً بدون ذكر ابن عباس، وهو أشبه ٢٧٦/٥ . والمسند ٣٠٥/١ رقم ٢٧٨٤. والواحدي في أسباب النزول ٣١٨ -٣١٩

ورواه ابن كثير في تفسيره ٤٥٠/٤ ، وقال : هذا حديث فيه نكارة شديدة . وقال عبد الرزاق : إنه من كلام ابن الجوزاء فقط، وليس فيه لابن عباس ذكر

(2) هذا بناء على أن الحديث لم يثبت.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ الآية ٢٦-٢٧، يقول (ز) : الصلصال الطين اليابس، الذي يصلصل وهو غير مطبوخ،

قوله : ((المصوّر من سنة الوجه))[1] ، الجوهـري[2] : [سـنة الوجـه : صورتـه، قال ذو الرمة :

**تريكَ سُنّة وجْهِ غير مُقرِفَةٍ **[3] مَلْساء ليس بها خالٌ ولا نَدَب **

والمسنون : المصور.

قوله : ((وحق مسنون بمعنى مصوّر)) أي : يكون صفة لصلصـال، لأن الحمأ هو الطين، والطين هو الذي يقبل الصورة فيفرغ الحمأ ليصور منها التمثال ثم ييبـس، فيصير صلصالاً مصـورا كأنـه قيـل مـن حمإٍ، ويعلـم منـه ان المسـنون إذا كـان بمعنـى المنصوب، حقه أن يكون صفة لحمإ، لأن الحمـأ هـو المفـرغ المنصـوب لا الصلصـال. قال أبو البقاء[4] : [من حمإ في موضع جرّ صفة لصلصال] أي صلصال كائن من حمإ، ويجوز أن يكون بدلاً من صلصال بإعادة الجار].

قوله : ((من نار السـموم)) مـن نـار الحـرّ الشـديد النـافذ في المسـامّ))، قـال القاضي[5] : [في قوله تعالى : ﴿ والجانّ خلقناه من قبـل مـن نـار السـموم ﴾ لا يمتنـع خلق الحياة في الأجرام البسـيطة كمـا لا يمتنـع خلقهـا في الجواهـر المجـرّدة فضـلاً عـن الأجساد المؤلفة التي الغالب فيهـا الجـزء الناري، فإنها أقبل لهـا من التـي الغالـب فيها

وإذا طبخ فهو فخّار، قالوا : ((إذا توهمت في صوته مدّا فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلـة)). وقيل : هو تضعيف (صل) إذا أنتن

(1) قوله تعالى : ﴿ من حمإ مسنون ﴾ قال (ز) : والحمأ الطين الأسود المتغير (والمسنون) ((المصور من سنة الوجه))

(2) الجوهرين في صحاحه ٥/٢١٣٩ مادة (سنن).

وقوله تعالى ﴿من حمإ ﴾ قال (ز) : هنة لصلصال، أي خلقه من صلصلال كائن من حمآ ((وحق (مسنون) بمعنى مصور)).

(3) اللسان ٢٨١/٩ مقرف غير حسن، والبيت في ديوانـه ص ٤ . ومقرفـة أي : غـير هجينـة عنيفـة كريمة.

(4) أبو البقاء العكبري في كتابه الإملاء ٧٣/٢.

(5) القاضي البيضاوي في تفسيره الأنوار ١٦٨/٣.

الجزء الأرضي] وقوله : ((من نار باعتبار الغالب كقوله : ﴿ خلقكم من تراب ﴾[1]))

قوله : ((ما يحي به فيه))[2] المستتر في يحي والمجرور في (فيه) للبشر وفي (به) لما أي : معنى نفخ الروح، تحصيل شيء في قالب البشر يحي بذلك الشيء البشر. قال القاضي [3] : [﴿ونفخت فيه من روحي﴾ ومعناه جَرْيُ آثاره في تجاويف أعضائه فحي، وأصل النفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولما كان الروح يتعلق أولاً بالبخار اللطيف المنبعث في القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملاً لها في تجاويف الشرايين إلى أعماق البدن جعل تعلّقه بالبدن نفخاً وإضافة الروح إلى نفسه] للتشريف كقوله : ﴿ ناقة الله ﴾[4] و﴿ بيت الله ﴾ . وقال الواحدي[5] : [النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم رقيق يحي به البدن، ولما أجرى الله الروح في بدن آدم على صفة إجراء الريح، كأنه قد نفخ الروح فيه]، وقلت : رجع أقوالهم إلى أن قوله : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ على منوال قوله تعالى : ﴿ كن فيكون ﴾[6] في أن لا قول، ثَمّ بل هو تصوير إيجاد الشيء وتحصيله من غير امتناع.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ الآية ٢٨-٢٩ من سورة الحجر . قال (ز) : ومعنى ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وأحييته.

(٣) القاضي البيضاوي في تفسير الأنوار ١٦٩/٣.

(٤) سورة الشمس الآية ١٣.

(٥) الواحدي ٤٥/٣ تفسير أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى ٤٦٨هـ.

(٦) سورة النمل الآية ٤٠. ولا داعي لهذه الجراءة، فالله أعلم بالكيفية التي حصلت في النفخ.

قوله : ((وقيل : معناه ولكن إبليس أبى))[1] أي : عطف على قوله : ((واستثنى إبليس من الملائكة))، وأبى حينئذ خبر لكن، وعلى الأول جملة مستأنفة كالتعليل عن امتناعه عن السجود.

قوله : ((لأن اللعن هو الطرد))[2] يريد أن الرجيم كناية تلويحية عن كونه ملعوناً لأن الرجيم هو المطرود، لأن من طرد يرجم، والمطرود هو الملعون، لأن من لعن طرد.

قوله : ((في معنى واحد))[3] أي : عبرت بها عن معنى انتهاء المدة.

قوله : ((وقيل : إنما سأل الإنظار)) هذا وجه آخر، وفيه بيان اختلاف العبارات، فإن قوله : ((لئلا يموت)) يدّل على أن ضرب هذه المدة إلى عند الحشر، وقوله ((إلى آخر أيام التكليف)) يدل على أن المدة قبل الحشر، وقوله أولاً ((إلى يوم الدين من غير أن يعذب)) يدل على أن المدة عند الحساب والجزاء، وهو بعد الحشر.

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ الآية ٣١ من سورة الحجر. قال (ز) : و﴿أبى﴾ استئناف على تقدير قول قائل يقول : هلا سجد؟ فقيل : أبى ذلك واستكبر عنه، ((وقيل معناه : ولكن إبليس أبى)).

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم ﴾ الآية ٢٤ من سورة الحجر. قال (ز) في قوله ﴿رجيم﴾ شيطان من الذين يرجمون بالشهب، أو مطرود من رحمة الله، لأن من يطرد يرجم بالحجارة، ومعناه ملعون، ((لأن اللعن هو الطرد)) من الرحمة والإبعاد عنها.

(3) تفسير قوله : ﴿ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ الآية ٢٥ من سورة الحجر. قال (ز) : و﴿يوم الدين﴾ و﴿يوم يبعثون﴾ و﴿يوم الوقت المعلوم﴾ ((في معنى واحد)) ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة ((وقيل :((إنماسأل الانتظار)) إلى اليوم الذي فيه يبعثون ((لئلا يموت)) لأنه لا يموت يوم البعث أحدٌ، فلم يجب إلى ذلك وأنظر ((إلى آخر أيام التكليف)).

قوله ((بريء من غيّه ومن إرادته والرضا به))[١] . قوله : ((من إرادته)) مذهبه[٢] ، والرضا به مذهب أهل السنة.

قوله : ((وقد فرق الفقهاء بينهما))[٣] أي : بين الإقسام بصفة ا لله تعالى، وبين الإقسام بفعله، فقوله : ((﴿بعزتك﴾ إقسام بالصفة، و﴿بما أغويتني﴾ إقسام بالفعل)) . وفي شرح الوافي : [قال العراقيون : الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين[٤] ، وبصفات الفعل كالرحمة والسخط والغضب والرضا ليس بيمين[٥] ، وصفة الذات ما لا يجوز أن يوصف بضده، وصفة الفعل ما يجوز أن يوصف بضدّه، فإنه تعالى يرضى بالإيمان، ولا يرضى بالكفر، ثم قال الشارح : والمذهب عندنا أن صفات ا لله لا هو ولا غيره، وكلّها قديمة، فلا يستقيم الفرق، والأصحّ ما قلنا، لأن الأيمان مَبْنية على العرف، لأن اليمين إنما ينعقد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم اجمعين ﴾ الآية ٣٩ . قول (ز) : ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك، وا لله تعالى ((بريء من غيّه ومن إرادته والرضى به)).

هذا على مذهب المعتزلة، أن ا لله لا يريد الشر، ولا يخلقه.

ومذهب أهل السنة والجماعة : أن كل كائن فهو بخلق ا لله تعالى هو وإرادته، خيراً كان أو شراً، وإن كان لا يرضى الشر من عبده، كما قال تعالى : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر . وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ الزمر الآية ٧، وقوله تعالى في سورة الصافات الآية ٩٦ : ﴿ وا لله خلقكم وما تعملون ﴾ وهذه أدلة واضحة لأهل السنة.

(٢) مذهبه يعني مذهب الزمخشري الإعتزالي.

(٣) تفسير قوله تعالى :﴿ بما أغويتني ﴾ قال (ز) : الباء للقسم، و (ما) مصدرية، وجواب القسم : ﴿لأزينن﴾ المعنى أقسم بإغوائك إياي ﴿لأزينن لهم﴾ ... الخ، ونحوه قوله ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ سورة ص الآية ٣٨ في أنه إقسام، إلا أن أحدهما ((إقسام بصفته، والثاني إقسام بفعله، وقد فرق الفقهاء بينهما)).

(٤) لأنها صفات لا يشاركه غيره فيها، ولا تؤول.

(٥) لأنها صفات قد تطلق على غيره جل وعلا، فقد يوصف بها المخلوق، فلا بدّ من القصد والنية، فإن قصد الحالف بذلك اسمه أو صفته، فذلك يمين، وإن قصد المخلوق فليس بيمين، وا لله أعلم.

للحمل أو المنع، وهذا إنما يكون بما يعتقد الحالف تعظيمه، وكل مؤمن يعتقد تعظيم الله وصفاته معظم فصارت حرمة ذاته وصفاته حاملا[١] . وقال حجة الإسلام[٢] : [اليمين[٣] عبارة عن تحقيق ما يحتمل المخالفة بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته . ثم اليمين تنقسم إلى صريح وكناية، بالإضافة إلى أسماء الله تعالى، وهو على أربع مراتب : الأولى أن يذكر اسماً لا يطلق إلا على الله تعالى في معرض التعظيم، كقوله : بالله والرحمن والخالق والرازق ... فهذا صريح . والثانية : أن يذكر اسماً مشتركاً يطلق على الله وعلى غيره كالعليم والحليم والرحيم والجبار والحق...، فهو كناية، إنما يصير يميناً بالقصد. والثالثة : أن يذكر ما يقبل التورية، وهو على وجهين: أحدهما : أن يكون من قبيل حق الله وحرمة الله وقدرته وعلمه، إذ قد يراد بها حقوقه من العبادات وحرماته ومقدوره ومعلومه، وثانيهما : أن يكون من قبيل جلال الله وعظمته وكبريائه، ففيه طريقان : أحدهما : كالحلف بالله، وثانيهما : أنه كالحلف بالقدرة، إذ قد يقال : رأيت جلال الله، أي : آثار صنعته . والرابعة : ما لا يصير يميناً وإن نوى، وهو ما لا تعظيم فيه، نحو الشيء والموجود والمربّي . وإن أريد به الله. هذا خلاصة كلامه في الوسيط[٤] . وفيه أن نحو ((بإغوائك ليس بيمين)).

---

(١) للحالف على ذلك . والحق أن اليمين تنعقد إذا حلف الحالف بأحد أسماء الله أو صفاته مطلقاً، ولا فرق في ذلك بين أي اسم، أو أيّ صفة، لأن الكل معظّم عند الحالف، إذا كان قاصداً الحلف باسمه أو صفته جلّ وعلا.

(٢) حجة الإسلام الغزالي، بالتخفيف والتشديد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد حجة الإسلام، له نحو مائتي مصنف، في كل الفنون إلا ما شاء الله، وهو معروف . ولد سنة ٤٥٠هـ، ومات سنة ٥٠٥هـ، انظر الأعلام للزركلي ٢٢/٧، ووفيات الأعيان ٤٦٣/١، وطبقات الشافعية ١٠١/٤، ومن كتبه الوجيز في الفقه وإحياء علوم الدين.

(٣) انظر كتاب الوجيز لحجة الإسلام الغزالي ٢٢٣/٢، والمجموع للنووي ٢٢/١٨، وروح المعاني للألوسي ٥٠/١٤.

(٤) انظر في كتابه الوجيز ٢٢٣/٢-٢٢٤، وذكر هذا المبحث مختصراً.

قوله : ((أو أراد لأجعلن مكان التزيين))[1] يريد أن تعديـة ﴿لأزينـن﴾ بـ(في) إما لإرادة الجهة السفالة بالأرض، وهي الدنيا، أو الأرض نفسها، فقاس[2] تزيين أولاد آدم، وهم في الأرض علـى تزيـين أبيهـم، وهـو في السـماء، وقطـع بحصولـه، فحلـف بقوله : ﴿لأزينن﴾ و﴿لأغوينهم﴾ ومن ثم قال المصنف : ((فأنا على تزيين أولاده في الأرض أقدر)) . وإما لإرادة حقيقتها والتجوز في استعمال (في) بجعـل الأرض مكانـاً للتزيين، وظرفاً له على التوسع، فلا يخرج منها شيء منه، كقوله تعـالى : ﴿ ولكـم في القصاص حياة ﴾[3] وإليه الإشارة بقوله : ((ولأحَدِثَنّهُم بأن الزينة في الدنيا وحدها)) لا في الآخرة.

قوله : ** يجرح في عراقيبها نَصْلى ** وصدره :[4]

وإن تعتذر بالمحل من ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلى.

الضمير في تعتذر للناقة، والباء في بالمحل للتشبية، يقال : اعتذر به، والمراد بـذي ضروعها اللبن : يجرح متعدّ بنفسه، وقد عدى بفي لإجرائه مجرى اللازم، نحو : فـلان يعطي ويمنع، ثم عومل، معاملة (في) تعديته بالجـار للمبالغـة، اي : مـا وقـع الجـرح في عراقيبهـا ,وأَجِـده فيهـا، وبنحـوه قولـه: ﴿ وأصلـح لي في ذريــتي ﴾[5] أي : اجعـل الصلاح مظروفاً لذريتي.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ في الأرض ﴾ من قولـه : ﴿ لأزينـن لهـم في الأرض ﴾ . قـال (ز) : أي : في الدنيا التي هي دار الغرور، كقوله تعالى ﴿ أخلد إلى الأرض واتبع هواه ﴾ سورة الأعراف الآية ١٧٦، أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له للأكل مـن الشـجرة، وهـو في السـماء، فأنـا علـى التـزيين لأولاده في الأرض أقدر ((أو أراد : لأجعلن مكان التزيين)) عندهم الأرض، ولأوقعنّ تزييني فيها، أي لأزيننها في أعينهـم ((ولأحدّثنّهم بأن الزينة في الدنيا وحدها)) حتى يستحبّوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دون الآخرة.

(٢) فقاس (إبليس تزين) ما بين القوسين س من ت ، ب .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٩.

(٤) هذا البيت لذي الرمّة يمدح نفسه. انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ٥٧٨/٢.

(٥) سورة الحقاف الآية ١٥.

قوله : ((أي هذا طريق حقّ (عليّ) أن أراعيَه))[1] بناء على وجوب رعاية الأصلح[2] ، قال الإمام[3] :[إن الإخلاص طريق عليّ وإليّ،أي : أنه يؤدي إلى كرامتي وثوابي]، ومعناه : هذا صراطٌ من مرّ عليه، فكأنه مرّ على رضواني وكرامتي، كما يقال : طريقك عليّ. وقيل : هذا صراط على تقديره، وهو مستقيم حقّ وصدق . وروى ابن جني[4] عن أبي الحسن [أنه قال : هو كقولك : الدلالة اليوم عليّ]، وقال صاحب الفرائد : أي دين الإسلام حق عليّ بيانه، فمن اختاره من عبادي ليس لك عليهم سلطان، ومن لم يختر فلك عليهم سلطان . وقال القاضي[5] : [والإشارة بقوله ﴿هذا﴾ إلى ما تضمّنه الاستثناء، وهوتخلّص المخلصين من إغوائه، أو الإخلاص على معنى أنه طريق يؤدي إلى الوصول إليّ من غير اعوجاج وضلال] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال هذا صراط علي مستقيم ﴾ الآية ٤١ من سورة الحجر . قول (ز) : ﴿قال هذا﴾ أي ((طريق حقّ ﴿علي﴾ أن أراعيه)).

(٢) مذهب المعتزلة أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، ونفوا أن يكون خالقاً لأفعال العباد لما فيها من القبح.

والجواب عن هذا : أن الله لا يفعل القبيح، فهذا لا خلاف فيه، بل أفعاله كلها حسنة. قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله، ولهذا نزّه نفسه عن الظلم، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فهو تعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كلّه، والشرّ وضع الشيء في غير موضعه، فإذا وضع في محلّه لم يكن شرّاً، فعلم أن الشرّ ليس إليه) انظر شفاء العليل ١٧٩.قال تعالى في سورة طه الآية ١٢٠ ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ وقال في سورة ق الآية ٢٩ ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ﴾.

وأما قولهم : إن العباد هم الخالقون لأفعالهم، لأن منها القبيح، فلو كان الله خالقها لكان فاعلاً للقبيح، فهذا باطل، لأن الله تعالى خالق كل شيء . قال تعالى في سورة الرعد الآية ١٦ : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ وقال في الصافات الآية ٩٦ ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾. وقال في الأنعام الآية ١٠٢ ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه ﴾.

(٣) الإمام الفخر الرازي ١٨٩/١٩.

(٤) ابن جني في المحتسب ٣/٢.

(٥) القاضي البيضاوي في كتابه : أسرار التنزيل ١٧٠/٣.

قال الزجاج (١) : [﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾ أي : على إرادتي وأمري] أي: شأني. وقلت : هذا الذي يقتضيه النظم والعلم عند ا لله تعالى ، فإن الإشارة بقوله ((هذا)) إلى قول إبليس ﴿ ولأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ أي: هذا هو الذي حكمت به، وقدّرت على عبادي، وهو حق وصدق. كقوله تعالى : ﴿ولكن حقّ القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾(٢) وقوله صلوات ا لله عليه، على مارواه الترمذي(٣) عن عمرو بن العاص أنه قال : خرج علينا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وفي يديه كتابان... الحديث، ولهذا قرر قوله : بقوله : ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ على طريقة القول بالموجب، وجعل ما جعله مستثنى منه مستثنى ليؤذن بالمقصود الأولى نجاة المخلصين، كما أن مقصود اللعين أوّلا الإغواء، وفيه أن اللعين استقلّ عباد ا لله المخلصين عدداً، حيث جعلهم مستثنى، وأن ا لله سبحانه وتعالى استكثرهم، اعتباراً وعداً ، حيث قلب القضية، ثم فرق ما لكل واحد من الفريقين بقوله : ﴿ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾

---

(١) الزجاج ١٧٨/٣.

(٢) سورة السجدة الآية ١٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٧/٢. والطبري في تفسيره ٧/٢٥. والترمذي ٣٩١/٤ كتاب القدر، باب ماجاء أن ا لله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، الحديث رقم ٣٢٢٧. والبغوي في تفسيره ١١٧٦. والدر المنثور ٣٣٧/٧. والنسائي في تفسره ٢٦٥/٢. والحديث صحيح . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨٤٨.

وتمام الحديث : وفي يده كتابان، فقال : أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا : لا ، يارسول ا لله ، إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار، واسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، فقال أصحابه : فيم العمل يا رسول ا لله إن كان أمر قد فرغ منه؟. فقال : سدّدوا وقاربوا، فإن صاحب أهل الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أيّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أيّ عمل، ثم قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بيديه فنبذهما، ثم قال : فرغ ربكم من العباد، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقوله: ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ ثم أمر حبيبه بالإنباء عن صفتي رحمته وغضبه بقوله : ﴿ نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾، وفيه أن جانب الرحمة سابق، حيث ما وصف الثواب بالعظم، كما وصف العذاب بالألم، بل وصف ذاته الأقدس على سبيل التوكيد، وتكرير الضمير وتعريف الخبر وإرداف الغفور بالرحيم، وكذا في قوله : ﴿ وإن جهنم لموعدهم ﴾، وإن لم يقل : وإنهم لفي جهنم كما قال : ﴿إن المتقين في جنات ﴾ إشارة إلى المعنى، كل هذا يدلّ على أن المشار إليه ما قررناه، وأن سياق الآيات لبيان جريان المشبّه، واستبداد الحكم، لا رعاية المصالح ووجوبها، لأن الكلام في بُدُوّ إنشاء الإنسان.

قوله : ((وقرئ ﴿جزء﴾ بالتخفيف والتثقيل))[1] [2] قال القاضي[3] : [قرأ أبوبكر[4] ﴿جزّ﴾ بالتثقيل][5] .

قوله : ((المتقي على الإطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه))[6] قال الإمام[7] : [قال جمهور المعتزلة : المتقون هم الذين اتقوا جميع المعاصي، لأنه اسم مدح، فلا يتناول إلا من يكون كذلك، وقال جمهور الصحابة

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء معلوم ﴾ الآية ٤٤ من سورة الحجر.

(٢) قرأ الجمهور ﴿جزء﴾ بالهمز، وقرأ ابن شهاب الزهري أبو بكر محمد بن شهاب (جزٌ) بتخفيف الزاي، وقرأ ابن القعقاع (جزٌّ) بتشديد الزاي دون همز، وتوجيه ذلك : أنه حذف الهمزة، وألقى حركتها على الزاي،ثم الوقف عليه بالتشديد، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف . انظر المحرر الوجيز لابن عطية ٣١٧/٨، والمحتسب لابن جني ٤/٢، والإتحاف ٢٧٥.

(٣) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٠/٣.

(٤) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه ، مات سنة ١٢٥هـ تقريب التهذيب ٣١٨.

(٥) والصواب بالتخفيف، كما هو مبين في الحاشية رقم (٢).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ﴾ الآية ٤٥ من سورة الحجر. قال (ز) : ((المتقي على الإطلاق ... الخ))

(٧) الإمام الفخر الرازي ١٩١/١٩ وذكره بتمامه، بما في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والتابعين : وهو المنقول عن ابن عباس، المتقون هم الذين اتقوا الشرك با لله، والكفر به، وهذا هوا لحق الصحيح، لأن المتقي هو الذي أتى بالتقوى مرة واحدة، كما أن الضارب هو الذي أتى بالضرب مرّة] وكما أنه ليس من شرطه صدق الوصف بكونه آتياً بجميع أنواع الضرب، فكذا هنا، ومن ثم ذهب المحققون إلى أن ظاهر الأمر لا يفيد التكرار، فظاهر الآية يقتضي حصول الجنات لكل من اتقى عن شيء واحد، إلا أن الأمّة مجتمعة على أن التقوى عن الكفر شرطٌ في حصول هذا الحكم، ولأن الآية وردت عقيب قوله : ﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾، فوجب أن يعتبر الإيمان فيه، ولا يزاد قيد آخر،لأن التخصيص خلاف الظاهر، فكلما كان التخصيص أقل كان أوفق[1] ، وقلت : قد سبق ان الناس فرقتان : المخلصون والغاوون، وأن جهنّم مقسومة سبعة أقسام، كما جاء عن المفسرين أن الدركة الأولى للموحدين[2] يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون، فإذا لا بدّ من تفسير المتقين في هذا المقام بما يتميزون عن الغاوين، لئلا يختلّ النظم، وهو تفسير المصنف، وإن لم يقصد به ذلك لقوله : ((المتقى على الإطلاق)) ولأن المتقين هم المخلصون المخصوصون في قوله تعالى : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ وإنما إخارج العاصين من النار، فيعلم من نصوص أُخر، لا من هذه الآية[3] .

(1) ذكر هذا المبحث الجميل الفخر الرازي في تفسيره ١٩/١٩١-١٩٢

(2) قال الضحاك : الطبقة الأولى فيها أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون . المرجع السابق.

(3) منها قوله تعالى في سورة النساء الآية ٤٨ : ﴿ إن ا لله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾.

وقوله : ((وتغلغل))[1] ، الجوهري[2] : [تغلغل الماء في الشجر إذا تخللها]، الراغب[3] : [الغلل الماء الجاري بين الشجر، وانغلّ بين الشجر ودخل فيها وتخللها].

قوله : ((الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان))[4] يعني : لما جرى بينهما يوم الجمل، وهي قصة مشهورة.

قوله : ((﴿وإخواناً﴾ نصب على الحال)) قال أبو البقاء[5] : [هو حال من الضمير في قوله ﴿جنات﴾ أو من الفاعل في ﴿ادخلوا﴾ مقدرة، أو من الضمير في ﴿آمنين﴾]، وقال القاضي [6] : [ويجوز أن يكون حالاً من الضمير المضاف إليه، والعامل فيها معنى الإضافة، وكذا في قوله ﴿على سرر متقابلين﴾ ويجوز أن يكونا صفتين لـ﴿إخواناً﴾ أو حالين من ضميره، لأنه بمعنى متصافين، وأن يكون ﴿متقابلين﴾ حالاً من المستقرّ في على سرر[7] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين ﴾ الآية ٤٧ من سورة الحجر. قال (ز) : الغلّ الحقد الكامن في القلب، من (انغلّ) في جوفه ((وتغلغل)).

(٢) الجوهري في صحاحه ١٧٨٢/٥ مادة (غلل)

(٣) الراغب ٣٦٣ مادة (غلّ).

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في تفسيره ٢٥/١٤-٢٦ عن علي رضي الله عنه من طريق الحارث الأعور وغيره، (قال) : كنت جالساً عند علي رضي الله عنه إذ جاء ابن طلحة، فقال له علي رضي الله عنه : مرحباً بك يابن أخي، أما والله أني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال الله ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلّ﴾ فقال له قائل : ((الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان)) واحد فقال لمن هذه الآية لا أم لك، انظر الدر المنثور ٨٥/٥. قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : أخرجه الطبراني في الأوسط، والعقيلي، وابن سعد من طريق الحارث الأعور، وله طريقة أخرى أخرجها الحاكم، من طريق ربعي بن خراش.

(٥) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٨٥/٢ وهكذا قال ابن الأنباري ٧٠/٢.

(٦) القاضي البيضاوي في كتابه الأنوار ١٧١/٣.

(٧) ذكر هذا الإعاريب كلها القاضي أبو السعود في تفسير ٨٠/٥.

قوله : ((وعطف ﴿ نبّئهم ﴾ على ﴿ نبّئ عبادي ﴾ ليتخذوا ما أحلّ من العذاب بقوم لوط عبرة))(١) يعني : لما اشتملت الآيتان على ذكر العذاب، عطف هذه القصة ليضمّنها معنى العذاب . على سبيل الاستطراد، ويمكن أن يقال : إن الآيات السابقة لما اشتملت على الوعد والعيد، وعقّبت بقوله : ﴿ إني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو اعذاب الأليم ﴾ على الجمع ليكون تقريراً لما ذكر وتمكيناً له في النفوس، كما ذكرت وفصّلت بقصتي إبراهيم ولوط عليهما السلام، ليكون حكاية سلام الملائكة وبشارتهم بإسحاق وذكر الرحمة تفصيلاً لقوله : ﴿ أنا الغفور الرحيم﴾، وقصة لوط ودمار قومه واستئصال شأفتهم تفصيلاً لقوله : ﴿ وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴾.

قوله : ((وكان خوفه لامتناعهم من الأكل))(٢) ، قال في هود(٣) : [قيل كانت عادتهم أنه إذا مسّ من يطرقهم طعامهم أمنوه، وإلا خافوه، ويقدّر في هذا المقام بعد قولهم : ﴿ سلاماً ﴾ قال سلام ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ﴾(٤) وقال ﴿ إنا منكم وجلون ﴾ إلى آخره، وقد سبق(٥) في هود تحقيقه.

قوله : ((وقرئ نبشِرك)) حمزة(٦) .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴾ الآية ٥١ من سورة الحجر.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون ﴾. قال (ز) : ﴿وجلون﴾ خائفون ((وكان خوفه ...)) الخ.

(٣) عند قوله تعالى : ﴿ وأوجس منهم خيفة، قالوا لا تخف ﴾ الآية ٧٠ ، جـ٢/٤١٠.

(٤) سورة هود الآية ٦٩.

(٥) الآية ٦٩-٧٠.

(٦) قرأ حمزة ﴿نَبْشِرُكَ﴾ بفتح النون، وتخفيف الباء، والباقون ﴿نُبَشِّرُكَ﴾ بالتشديد . انظر إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي للقلانسي ٣٩٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٧٥.

قوله : ((أو أراد أنكم تبشّروني))[1] ، قيل : على الأول الاستفهام للتفخيم، وعلى هذا للتحقير، وقلت : الظاهر أنه عليه السلام لما أدخل همزة الانكار في قوله : ﴿ أبشرتموني على أن مسني الكبر ﴾ جاء باستفهام آخر، إما لبيان خرق العادة، وأنه أمر عجيب، أو لتقرير ذلك الإنكار، وأن تلك البشارة ليست ببشارة، وإليه الإشارة بقوله : ((لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء)).

قوله : ((وقرئ تبشرون))[2] قرأ نافع ﴿فبم تبشرونِ﴾ بكسر النون مخففة، وابن كثير بكسرها مشدّدة، والباقون بفتحها. قال أبو علي في الحجة[3] : [أراد فبم تبشروني، فعدّ الفعل إلى المضمر المنصوب، لأن المعنى عليه، فأثبت ما حذفه غيره من الكسرة التي تدل على الياء المفعولية، وحذف النون الثانية، لأن التكرير بها وقع، ولم تحذف الأولى التي هي علامة الرفع]، والمصنف ذهب إلى أن المحذوف نون الجمع، وقال الإمام[4] : [أما الكسر والتشديد فتقديره (تبشرونِن) أدغمت نون الجمع في نون الإضافة، وأما الكسر والتخفيف فعلى حذف نون الجمع استثقالاً لاجتماع المثلين]، وقال [أبو حاتم : حذف نافع الياء مع النون، وإسقاط الحرفين لا يجوز،

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون ﴾ الآية ٥٤ من سورة الحجر. قول (ز) : عند ﴿فبم تبشرون﴾ هي ما الاستفهامية، دخلها معنى التعجب، كأنه قال : فبأي أعجوبة تبشّروني، ((أو أراد أنكم تبشروني)) بما هو غير متصور في العادة، فبأي شيء تبشرون، يعني : لا تبشروني في الحقيقة بشيء، ((لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء)) الخ.

(٢) انظر السبعة لابن مجاهد ٣٦٧، وحجة القراآت لابن زنجلة ٣٨٢-٣٨٣، وتوجيه قراءة ابن كثير ﴿فبم تبشرون﴾ بتشديد النون مكسورة، لأن الأصل (تبشّرونني) النون الأولى علامة الرفع، والثانية مع الياء في موضع نصب مفعول ﴿تبشرون﴾، وإنما دخلت لتقي الفعل من الكسر، ثم أدغمت النون في النون، وحذفت الياء ، واستغنى بكسرتها، لأنها نابت عنها.

أما قراءة نافع ﴿تبشّون﴾ بكسر النون مع التخفيف، وأصلها (تبشرونن) كما ذكرنا، فاستثقلت النونان معاً، فحذفت إحداهما وهي الثانية، لأن التكرير بها وقع، ولم تحذف الأولى وهي نون الرفع.

(٣) الحجة ٤٥/٥.

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٩٧/١٩.

وأجيب : بأن المحذوف حرف واحد، وهي النون التي هي علامة الرفع، على أن حذف الحرفين سائغ، قال تعالى :﴿ولا تك﴾ وأما فتح النون فعلى غير الإضافة، والنون علامة الرفع، وهي مفتوحة أبداً.

قوله : ((﴿ومن يقنط﴾[1] بالحركات الثلاث في النون))[2] أبو عمرو والكسائي ويعقوب بالكسر، والباقون بالفتح والضم شاذ، قال ابن جني : وهي قراءة الأشهب[3] .

قوله : ((وقرئ ﴿من القنطين﴾)) قال ابن جني [4] : [قرأها الأعمش ويحيى وطلحة، وهو من قنِط يقنِط بكسر النون، والقانطين من قنَط بفتحها].

قوله : ((استثناء من الضمير في مجرمين، فيكون متصلاً))[5]، قال في الإنتصاف : [جعله منقطعاً على الأول أولى وأمكن، لأن الاستثناء : إخراج ما لولاه

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلأا الضالون ﴾ الآية ٥٦ من سورة الحجر.

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف واليزيدي والحسن والأعمش ﴿ يقنط ﴾ بكسر النون، وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة ﴿ يقنط ﴾ بفتح النون في كل القرآن ، وكلهم قرءوا ﴿من بعد ما قنطوا﴾ بفتح النون. انظر ابن زنجلة ٣٦٧ وإتحاف فضلاء البشر ٢٧٥.

(٣) الأشهب بن رميلة، ذكره المحتسب ١/١٨٥، والشواذ لابن خالوية ٥.

قوله تعالى : ﴿ يقنط ﴾ بضم النون قرأه يحيى بن يعمر، والأشهب العقيلي، وأبو عمرو وعيسى، انظر متخصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوين ٧ والمحتسب لابن جني ٢/٥ في شواذ القراآت

(٤) ذكرها في كتابه المحتسب في تبيين وجه شواذ القراآت والإيضاح عنها ٢/٥.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا إنا إرسلنا إلى قوم مجرمين . إلا آل لوط إنا نجوهم أجمعين ﴾ الآيات ٥٧-٥٩من سورة الحجر. قال (ز) : فإن قلت : قوله تعالى : ﴿ إلا آل لوط﴾ استثناء متصل أو منقطع . قلت : لا يخلو من أن يكون استثناء من ﴿قوم﴾ فيكون منقطعاً، لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان، وأن يكون ((استثناء من الضمير في ﴿مجرمين﴾ فيكون متصلاً)) كأنه قيل : إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم ، وبذلك قال : أبوحيان في البحر ٥/٤٦٠ : إلا أنه رجح الإنقطاع لأن آل لوط لم يندرجوا في قوله : ﴿ قوم مجرمين ﴾ لأن وصف الإجرام منتف عنهم، فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه. وانظر الفخر الرازي ١٩/١٩٩ ذكر القولين أيضاً

لدخل في حكم الأول ، و﴿قوم﴾ نكرة، فعوده إلى الضمير المعرفة متعذر، ولذلك قلّ أن يستثنى من النكرة إلا في سياق النفي، لأنها تعمّ فيتحقّق الدخول لولا الإستثناء، فلا يحسن : رأيت قوما إلا زيداً وحسن ما رأيت أحداً إلأ زيداً] وقلت : ليس ما نحن بصدده من قبيل رأيت قوماً إلا زيداً، بل من قبيل رأيت قوماً أساءوا إلا زيداً على أن قوماً في الآية قوم معروفون محصورون، وإن كان منكوراً بدليل قوله تعالى في العنكبوت : ﴿ قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظلمين . قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله ﴾[1] فلو لم يكن آل لوط داخلين فيما سبق، لم يحسن منه أن يقول : ﴿إن فيها لوطاً﴾، ولو لم يكونوا محصورين لم يقولوا: ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ وههنا لما سأل الخليل عليه السلام عن الرسل ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أجابوا : ﴿إنا إرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أي قوم معروفين، تعرفهم أنت، ونحن لا يخفى علينا ولا عليك شيء من أحوالهم.

قوله : ((وعلى أنهم أرسلوا)) عطف على محذوف عطف تفسير كأنه قيل : إن آل لوط مخرجون من حكم الإرسال، بناء على ما عُلم، وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة[2] ، وكذلك تقدير قوله : ((وعلى أن الملائكة)) أي فهم داخلون في الإرسال،بناء على ما عرف، وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً.

قوله : ((قد اختلف الحكمان، لأن ﴿ إلا آل لوط ﴾[3] متعلق بأرسلنا ﴿ إلا امرأته ﴾ قد تعلق بـ﴿منجُّوهُم﴾))، قال صاحب التقريب : وقد يتوهم أن الإرسال

---

(1) سورة العنكبوت الآية ٣٢.

(2) وعلى هذا يكون الطيبي مرجحاً كون الاستثناء متصلاً، حيث جعل قوله ﴿قوم﴾ كأنها معرفة وليست نكرة، وأن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وهم قوم لوط، وينجوا آل لوط، على أن الاستثناء منفصل، فإرسال الملائكة لقوم لوط لأجل إهلاكهم . انظر الفخر الرازي ١٩٩/١٩.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلا امرأته قدّرنا إنها لمن الغابرين ﴾ الآية ٦٠ من سورة الحجر . قال (ز) : ﴿إلا امرأته ﴾ مم استثني، وهل هو استثناء من استثناء؟ قلت : استثنى من الضمير المجرور من قوله ﴿لمنجوهم﴾ الخ. ثم قال : فأما في الآية، فقد اختلف الحكمان، لأن ﴿إلا آل لوط﴾ متعلق ب﴿أرسلنا﴾، أو بـ﴿مجرمين﴾ و ﴿إلا امرأته﴾ تعلق بـ﴿منجوهم﴾ . انظر النسفي ٢٧٥/٢.

إذا كان بمعنى الإهلاك، فلا اختلاف إذا لتقدير إلا آل لوط لم نهلكهم، فهو بمعنى ﴿منجّوهم﴾ . وجوابه : أن الإستثناء من الاستثناء شرطه أيضاً أن لا يتخلل لفظ بين الاستثناءين متعدّد يصلح مستثنى منه، وههنا تخلّل ﴿إنا لمنجوهم﴾، فلو قال : إلا آل لوط إلا امرأته، لجاز ذلك وقلت : لا سيما إن قوله ﴿إنا لمنجوهم﴾ على تقدير أن يكون الإستثناء متصلاً جملة مقتطعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل، فيبعد من البليغ أن يجعل ما في حيزه متعلقاً بما قبله . وقال أبو البقاء[1] : [والإستثناء إذا جاء بعد الاستثناء كان الإستثناء الثاني مضافاً إلى المبتدأ، كقولك : له عندي عشرة إلا أربعة إلا درهما، فإن الدرهم مستثنى من الأربعة، فهو مضاف إلى العشرة[2] ، فكأنك قلت : أحد عشر إلا أربعة أو عشرة إلا ثلاثة].

قوله : ((وقرئ ﴿لمنجوهم﴾ بالتخفيف والتثقيل[3] ، بالتخفيف حمزة والكسائي وأبوبكر[4] .

---

(١) أبو البقاء العكبري ٧٦/٢.

(٢) وكذا قال النحاس في كتابه إعراب القرآن ١٩٩/٢ وبه قال القاسم بن سلام، وتقدير ذلك : ﴿ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾ فاستثناهم من المجرمين، ﴿ إلا امرأته﴾ فاستثناها من قوم لوط، فصارت مع المجرمين.

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمر، وابن عامر بالتشديد ﴿ إنا لمنجّوهم ﴾.

(٤) أبوبكر بن عياش الأسدي النهشلي الكوفي الحافظ، ولد سنة ٩٥ ومات سنة ١٩٣هـ، راوي عاصم، وأخذ عنه جماعة منهم الكسائي وخلاد، وكان من أئمة السنة، وذكر عنه النخعي ويحيى بن معين : أنه لم يفرش له فراش خمسين سنة لزهده وكثرة عبادته. انظر الحجة لابن زنجلة ٥٨ وإرشاد المبتدئ للقلانسي ٣٩٨.

إلا أنه لم يقرأ بالتخفيف هنا، وإنما قرأ به في الأنعام هو وابن كثير ﴿ منجوك ﴾ وكذلك قرأ بالتخفيف خلف ويعقوب، مثل حمزة والكسائي، فالطيبي ذكر أبابكر هنا، وهو خطأ، وترك خلف ويعقوب، وهو سهو. انظر القلانسيّ ٣٩٨ والمبسوط في القراآت العشر ٢٢١ والإتحاف ٢٧٥.

قوله : ((ولذلك فسر العلماء تقدير ا لله أعمال العباد بالعلم))[1] أي : المعتزلة يقولون : إن معنى قوله : إن ا لله قدر على العباد، عَلِمَ بدليل قوله تعالى ﴿حقّت كلمة العذاب على الكافرين﴾[2] ثبت عليهم قول ا لله الذي كتبه في اللوح المحفوظ، وتلك كناية معلوم، لا كناية مقدّر ومراد، تعالى ا لله عن ذلك . والأصل ﴿ قدّرناها من الغابرين ﴾ فعلّقه عن العمل باللام، ثم جاء بـ﴿إن﴾ . قال القاضي[3] : [ويجوز أن يكون ﴿قدّرنا﴾ مجري مجرى قلنا، لأن التقدير بمعنى القضاء قول، وأصله جعل الشيء على مقدار غيره]، وقال صاحب الانتصاف : [هذا من دفائن الزمخشري في الإعتزال في جحد القضاء والقدر، إذ المعتزلة يمنعون تعلق القدرة بالمعاصي، فالتقدير عندهم هو العلم لا الإرادة، ثم استدلّ على أن التقدير بمعنى العلم، بتعليق فعله . وفي كلامه شاهد على ردّه، لأن التضمين من شأنه أن يبقي المعنى الأصلي مضافاً إليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعاً، فالتقدير : كما أفاد العلم الطارئ أفاد الإرادة إيضاً، على أن من الناس من جعل قوله تعالى ﴿ قدرنا إنها لمن الغابرين ﴾ من كلامه تعالى غير مَحْكِي عن الملائكة[4] ، وهو الظاهر لأن القائل بالأول يحتاج إلى التأويل، كما قال الزمخشري أي ((إنه من باب قول خواص الملك))، لأنا إذا جعلنا ﴿قدّرنا﴾

---

(1) تفسير قوله ﴿قدرنا إنها لمن الغابرين ﴾ قال (ز) : فإن قلت : لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله : ﴿ قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ والتعليق من خصائص أفعال القلوب؟ قلت : لتضمّن فعل التقدير معنى العلم ((وكذلك فسر العلماء تقدير ا لله أعمال العباد بالعلم)) وقد ردّ أحمد بن المنيّر بما فيه كفاية على مذهبه الإعتزالي، فأغنى عن التعليق.

(2) سورة الزمر الآية ٧١.

(3) القاضي البيضاوي في الأسرار ١٧٢/٣.

(4) يقول (ز) : فإن قلت : فلم أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، وهو لله وحده، ولم يقولوا : قدر ا لله، قلت : لما لهم من القرب والإختصاص با لله الذي ليس لأحد غيرهم، كما يقول خاصة المِلك : دبرنا كذا ... الخ. فإسناده للملائكة يحتاج إلى دليل كما قال الإمام أحمد بن المنير. وانظر حاشية محي الدين زاده على البيضاوي ١٥٩/٣

بمعنى علمنا ﴿إنها من الغابرين﴾ فلا غرْوَ في علم الملائكة ذلك بإخبار ا لله إيّاهم به، إنما يحتاج إلى التأويل من جعل ﴿قدّرنا﴾ بمعنى قضينا، وجعله من قول الملائكة. الإنتصاف[1] : [القول بأن التضمين يقتضي إرادة الفعلين المضمن والمضمن فيه معاً مردودٌ، فإنه يجوز أن يؤتى فيه بما يقتضيه أحدهما دون الآخر، فكأنه معمول أحدهما خاصة، ألا ترى إلى قوله : قد قتل ا لله زياداً، عنى ضمّن قتله، وأي يعني التي هي معمول صرفه لا معمول قتله]، وقلت : [هذا خطأ لأن التقدير : قد صرّف ا لله زياداً، عن أنكم قتلاً أو قتل مستعار للصرف على سبيل التبعية والقرينة الجار. الراغب[2] : [الغابر الماكث بعد مضيّ ما معه قال تعالى ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ يعني: قد طال أعمارهم. وقيل : فيمن بقي ولم يَسْرِ مع لوط. وقيل : فيمن بقي في العذاب، ومنه الغُبْرَةُ : البقية من اللبن في الضرع].

قوله : ((بدليل قوله : ﴿بل جئناك﴾))[3] يريد أن قوله : ﴿إنكم قوم منكرون﴾ كناية عن أنكم قوم يخاف منكم الشّر، لأن قوله : ﴿بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ كناية عن الفرح والتشفي، لأنه أضرب به عن الخوف، وذلك أن من ينكر شيئاً ينفر منه، وإنما ينفر منه إذا توهّمه شرّاً مخوفاً، وكذا قوله : ﴿بما كانوا فيه يمترون﴾ كناية عن العذاب، لأنهم كانو يشكّون نزوله، ونزوله عليهم سببٌ لتشفّي لوط عن غيظه، لأنه كان يكابد منهم المشاقّ، كأنه قال : إنكم قوم يخاف منكم الشرّ، فقالوا : مجاوبين : بل نحن ممن يرجى منّا الخير والفرح.

قوله : ((صاحب إلا قليد))[4] .

---

(١) لأحمد بن المنيّر.

(٢) المفردات للراغب ٣٥٧ مادة(غبر).

(٣) تفسيرقوله تعالى : ﴿ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾ الآية ٦٣ من سورة الحجر. فقوله : ﴿منكرون﴾ أي : تنكركم نفسي وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشرّ، بدليل قوله : ((﴿بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴾)).

(٤) قيل : هو تفسير لأبي الفتح الهمْداني، بإسكان الميم، منسوب إلى قبيلة من اليمن.

قوله : ((افتحي الباب)) البيت[1] ، كأنه طال عليه الليل، يخاطب ضجيعته بذلك، أو كان يحب طول الليل للوصال.

قوله : ((شيء صالح من الليل)) أي قطعة طويلة منه، العرب تقول : مضى من عمري شيء، أي : مدة طويلة .

قوله : ((ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الإلتفات)) يعني : كان يكفي في الهجرة أن يقال : ﴿فأسر بأهلك﴾ فما معنى التتميم بهذين القيدين؟، وخلاصة الجواب أن تلك النجاة كانت نعمة من الله مطلوبة تستحق الإقامة بواجب الشكر لها، وذلك الشكر لا يتمّ إلا بفراغ من البال من كل وجه، فأمر باتّباع أدبارهم لئلا يشتغل عن إدامة الشكر، بسبب تعلّق قلبه بمن خلفه، ونُهُوا عن الإلتفات، لئلا ترقّ قلوبهم إذا نظروا إلى ما ينزل على قومهم، فيشتغل قلبه عن إدامة الشكر. الإنتصاف[2] : [اشتملت الآية مع وجازتها على آداب المسافرين في دين ودنياً من أمير ومأمور وتابع ومتبوع].

قوله : ((يقدم سربه))[3] ، النهاية[4] : [السرب بالكسر، والسربة القطيع من الظباء والقطا والخيل ونحوها، ومن النساء على التشبيه بالظباء].

قوله : ((ويفوت به)) فاتني بكذا : سبقني به، وذهب به عني في الأساس[5] ، والضمير في ((به)) راجع إلى السرب.

قوله : ((ويمضوا قُدُماً)) بضمتين، يقال : ومضى قُدُماً : لم ينثن، ولم يعرج.

---

(١) تمامه :

** افتحي الباب وانظري في النجوم ** كم علينا من قطع ليل بهيم **.

(٢) الإنتصاف للإمام احمد بن المنير حاشية للزمخشري ٢/٥٨٤.

(٣) تفسير قوله : ﴿ وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢/٣٥٦ مادة (سرب).

(٥) أساس البلاغة للزمخشري ٤٨٣ مادة (فوت).

قوله : ((تلفت نحو الحي)) البيت[1] ، قال المرزوقي[2] : يقول : أخذت بسيري لما أبصرت حال نفسي، وتأثير الصبابة فيها، ملتفتاً إلى ما خلفته من الحيّ، حتى وجدتني وجع الليت، أي صفحة العنق، والأخدع، وهو عرق فيها لطول إصغائي ودوام التفاتي، كل ذلك تحسّرا في أثر الفائت من أحبابي وديارهم، وتذكر أطيب أوقاتي معهم فيها.

قوله : ((وعدّى ﴿وامضوا﴾ إلى ﴿حيث) تعدية إلى الظرف المبهم))[3] يعني : ﴿حيث﴾ على تقدير النصب على الظرف لا يحتاج إلى (في) ، لأنه مبهم، والظرف المبهم منصوب، والمؤقت حكمه كحكم ما ليس بظرف، فيحتاج إلى (في)، وكذلك الضمير في ﴿تؤمرونه﴾ مبهم، نظر إلى تقديره، وهو راجع إلى حيث، ولو كان مؤقتاً لقيل : تؤمرون فيه.

قوله : ((يعني يستأصلون عن آخرهم))، الراغب[4] : [قطع دابرة الإنسان : إفناء نوعه. قال تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾[5] .

---

(١) تمامه :

** تلفّت نحو الحيّ حتى وجدتني ** وجعْتُ من الإصغاء ليتاً وأخدعاً **

انظر مشاهد الإنتصاف على شواهد الكشاف ٢/٥٨٤.

(٢) المرزوقي : أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي،عالم بالأدب من أهل أصبهان، له شرح على ديوان الحماسة لأبي تمام. انظر الأعلام ٢١٢/١، ومعجم الأدباء ٣٤/٥. والبيت المذكور للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحارث.

(٣) انظر حاشية محي الدين شيخ زادة على البيضاوي، فذكر هذا الوجه ١٦٠/٣ يشير إلى أنه عدّى فعل ﴿وامضوا﴾ إلي ﴿حيث﴾ بدون (في)، وكذلك عدّى ﴿تؤمرون﴾ إلى ضميره المحذوف، أي : (تؤمرونه) على الإتساع، لأن ﴿حيث﴾ من الظروف غير الملازمة للظرفية، ولذا جاءت مفعولاً في قوله تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ الأنعام الآية ١٢٤.

(٤) الراغب ١٦٤ مادة (دبر).

(٥) سورة الأنعام الآية ٤٥.

قوله : ((أهل سدوم))[1] في تهذيب الأزهري : [سذوم بالذال المعجمة] وفي الصحاح[2] : [بفتح السين والدال غير معجمة، قرية قوم لوط عليه السلام].

قوله : ((أولا تشوّرُوا بي))، الجوهري[3] : [شورت الرجل فتشور، أي : خجّلته فتخجّل].

قوله : ((وبين المعترض له)) الضمير في (له) عائد إلى اللام لأنها موصولة.

قوله : ((إن كنتم تريدون قضاء الشهوة)) عن المصنف الأوجه، أن يكون ذلك بناءً على طريقتهم وحالهم في ركوب ما لا يحلّ لهم، كأنه قيل : إن كنتم لا بدّ راكبين ما لا يحلّ لكم، فعليكم بمحالّ المباشرة التي تعارفها الناس دون المنكر الذي لم تسبقوا إليه.

قوله : ((وقيل : الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم))[4] ، قال صاحب الفرائد : لما أمكن الحمل على ما هو المفهوم من ظاهر الكلام وجب الحمل عليه، إذ التقدير بغير ضرورة لا يجوز، وإلا لم يبق للنقل اعتبار أصلاً، لأنه ما من نقل إلا وأمكن التقدير فيه، فوجب الحمل على أنه تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه

---

(1) سدوم : مدينة من مدائن قوم لوط، كان قاضيها يقال له سدوم، وقيل : سذوم بالذال، معجم البلدان ٣/٢٠٠.

(2) الجوهري في صحاحه ١٩٤٩/٥ مادة (سدم).

(3) الجوهري ٧٠٥/٢ مادة (شور).

ملخص كلام الزمخشري : لا تخزون ولا تذلون بإذلال ضيفي، من الخزي وهو الإذلال والهوان. وقيل : ولا تشوِّروا بي من الخزاية وهي الحياء، وفي الصحاح : الشوار : فرج المرأة والرجل، ومنه قيل : شوربه، أي : كأنه أبدى عورته،وكأن لوطا عليه السلام ينهى عن المنكر، ويحجز بينهم وبين الناس، ولا يقبل التعرض للمنكر، فأوعروه، وقالوا : ﴿لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾.

(4) وأنه أقسم بحياته، وما أقسم بحياة أحد قطّ كرامة له، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وهو أكرمها، ولا يجوز لمخلوق أن يقسم بمخلوق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت).

وسلم. وقلت : أراد أن قوله تعالى : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ جملة معترضة للنّعْي عليهم، وتماديهم في ارتكاب تلك الفاحشة، لأن في عرض نبي الله لوط أفلاذ كبده على القوم، دليلاً على بلوغ الغاية في الأمر، وأنه بلغ السيل الزبى[1]، وجاوز الحزام الطُّبْيَيْن[2] ، كأنه قيل : يا محمد، بحياتك اقسم إنهم لفي سكرتهم يعمهون، مستمرون، فاستحضر تلك الحالة في مشاهدتك، وتعجب لها، يدلّك عليه صيغة المضارع، وقال محي السنة : [لعمرك يا محمد وحياتك] عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله نفساً أكرم عليه من محمد صلوات الله عليه، وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته][3] وكذا عن الإمام.

قوله : ((المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء))[4] كأنه حدّ المتفرسين، وهو قول مجاهد[5] ، قال السجاوندي[6] : المتوسّم الذي يعلم باطن الشيء

---

(١) مثل يضرب لما جاوز الحدّ، انظر مجمع الأمثال للميداني ص١٥٨ رقم المثل ٤٣٦. والزبا : العالي من الأرض.

(٢) (جاوز الحزام الطُّبْيين) مثل يضرب عند بلوغ الشدة منتهاها . المرجع السابق ٢٩٥/١.

(٣) أخرجه الطبري ٤٤/١٤، والمطالب العالية ٣٤٧/٣، وسكت عليه البصيري.

(٤) قول الزمخشري ((المتثبتون ...)) تفسير لقوله : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾، أي : المتفرّسين المتأملين، وحقيقة المتوسّمين : النُظار المتثبّتون في نظرهم، حتى يقفوا على حقيقة سمة الشيء، يقال : توسمت في فلان كذا، أي : عرفت وسمه فيه.

(٥) مجاهد بن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، أخذ عن ابن عباس التفسير وغيره، مات سنة ١٠٤هـ، وعمره ٨٣ سنة، سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤، وتذكرة الحفاظ ٨٤/١.

(٦) السجاوندي : محمد بن طيفور الغزنوي، مفسّر مقرئ، من تآليفه عيون المعاني في التفسير وعلل القراآت، انظر طبقات المفسرين للداودي ١٥٥/٢، وهو مقرئ نحوي، مات في وسط المائة السادسة، وانظر أيضاً طبقات القراء لابن الجزري ١٥٧/٢.

بسِمَة ظاهره، وروى الترمذي[1] عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾).

قوله : ((ومطمر البناء))، الجوهري[2] : المطمر الزيج الذي يكون مع البنّائين.

قوله : ((والحجر واديهم))، الراغب[3] : [سمي ما أحيط به الحجارة حجراً، وبه سمي حجر الكعبة وديار ثمود وعاد].

قوله : ((لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً))[4] يعني : التعريف في المرسلين للإستغراق، فهو هنا كناية، لأن الرسول من أتى بكتاب بعد إظهار المعجزة[5] ، وكل من لم يصدّق هذا المعنى وردّه فقد أعمّ التكذيب والردّ.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٨/٥رقم الحديث ٣١٢٧ كتاب التفسير، باب ١٦، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال أبو عيسى الترمذي : حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم. وانظر كشف الخفاء ٤٢/١.

(٢) الجوهري ٧٢٦/٢. قال : والمِطمَرُ : الزيج الخيط الذي يكون مع البنائين، مادة (طمر).

تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنهما لبإمام مبين ﴾ لبطريق واضح، والإمام : اسم لما يؤتم به، فسمي به الطريق، ومطمر البناء، واللوح الذي يكتب فيه، لأنها مما يؤتمّ به.

(٣) الراغب، مادة (حجر) ١٠٨.

والحِجر هو الوادي الذي يسكن فيه ثمود، بين المدينة والشام.

(٤) (المرسلين) يعني صالحاً عليه السلام، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب الرسل جميعاً، أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين، كما قيل : الخُبَيْبُون في ابن الزبير وأصحابه.

(٥) في التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني : الرسول : هو من أوحى إليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب من الله ص٢٣٩.

قوله : ((الخُبَيْبُون في ابن الزبير)) قال ابن عبد البر[1] : كنيته أبـو بكـر[2] ولـه كنية أخرى أبو خبيب. الجوهري[3] : [الخبخبة : رخاوة الشـيء واضطرابـه، وخبيـب اسم رجل وهو : خبيب بن عبد الله بن الزبير، وكـان عبـد الله يكنـى بـأبي خبيـب، والخُبَيْبان : عبد الله بن الزبير وابنه، وقيل : هو وأخوه مصعب، فمـن روى الخُبَيْبُـون على الجمع يريد ثلاثتهم، قال ابن السكيت[4] : يريد أبا خبيب ومن كان على رأيه].

قوله : عن جابر [5] ... الحديث، رويناه عن البخاري ومسلم عن ابن عمر مع تغيير يسير.

قوله : ((فإنه مـا خلـق السـموات والأرض ومـا بينهمـا إلاّ لذلـك))، أي[6] : للانتقام من الأعداء، وإعطاء الجزاء للأولياء، بيان الحصر هو أن الله سبحانه وتعـالى

---

(1) ابن عبد البر الإمام حافظ المغرب شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبـد الله بـن محمـد بـن عبـد البر بن عـاصم النمري الأندلسـي القرطبي المالكي، صـاحب التصـانيف الحسـان، ولـد سـنة ٣٦٨، ومـات ٤٦٣هـ، من تصانيفه : التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب . انظـر سـير أعـلام النبـلاء ١٥٤/١٨، وترتيـب المدارك لعياض ٨٠٨/٤.

(2) ذكـر ابـن عبـد الـبر أنـه يكنـى أبـابكر، ويكنـى أيضـاً أبـاخبيب، انظـر الاسـتيعاب مـع الإصابـة ٣٠٠/٢-٣٠١ لابن عبد البر، والإصابة لابن حجر.

(3) الصحاح مادة (خبب) ١١٨/١.

(4) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، والسـكيت لقـب أبيـه إسـحاق، مـات سنة ٢٤٣ من أئمة اللغة والنحو والأدب، ولا حظّ له في علم السـنن، مـن كتبـه إصـلاح المنطـق. انظـر سـير أعلام النبـلاء ١٦/١٢.

(5) لم أجده من حديث جابر، وهو في صحيح مسلم من حديث ابن عمـر رضـي الله عنهمـا، يقـول : قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم في أصحـاب الحجـر : (لا تدخلـوا علـى هـؤلاء القـوم المعذبـين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصـابهم) . أخرجـه مسـلم، كتـاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا بـاكين، رقـم ٢٩٨٠. والنسـائي في تفسير سورة الحجر ٦٣٣/١. والبخاري مع فتـح البـاري ٣٨١/٨ كتـاب التفسـير، بـاب ﴿ولقـد كـذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ رقم ٤٧٠٢.

(6) تفسير قوله : ﴿وإن الساعة لآتية﴾ قال : وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسنائك وسيآتهم، ((فإنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا لذلك)).

قال : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ...﴾ والحق : هو العدل والإنصاف، وهما إنما يَسْتَتِمان بوجود جزاء المحسن والمسيء، وإن الدنيا ليست بدار جزاء، بل هي دار البلاء والتكليف، فلا بدّ من يوم الدين ليصل إلى كل ذي حقّ حقّه، كقوله تعالى : ﴿ إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم ﴾(١) ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ حم تنزيل الكتاب من ا لله العزيز الحكيم . ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى،والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾(٢).

قوله : ((أو أن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم))(٣) عطف على قوله : ﴿إن ربك هو الخلاق﴾ الذي خلقك وخلقهم، والوجهان مبنيان على تفسير ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ لأنه كالتعليل له، فالوجه الأول مبني على أن الآية من باب المخالفة، وهي غير منسوخة. والثاني : على أنه من باب المداراة والاصطبار، هذا هو الظاهر، لأنه تعالى لما أتمّ الاقتصاص تسلية لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وإرشاداً له إلى اللاِكتساء بلباس الصبراقتفاءً بهم(٤) ، أتى بخاتمة جامعة للتّسلي، وهي الإنتقام في العاقبة من أعدائه، وإيصال الجزاء إليه لحسناته، وللأمر بالمداراة والصبر على المكابرة، وجعلها تخلّصاً إلى مشرع آخر، وهو قوله : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ الآيات، وفيه حديث الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا، وهو من أعظم أنواع الصبر.

---

(١) سورة يونس الآية ٤.

(٢) سورة الأحقاف الآية ١.

(٣) ذكر (ز) عند تفسير قوله ﴿ الخلاق العليم ﴾ : إي : العليم بحالك وحالهم، فلا يخفى عليه ما يجري بينكم، وهو يحكم بينكم، ((أو أن ربك هو الذي خلقكم وعلم الأصلح لكم)) وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح.

(٤) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الزخرف الآية ٨٩ : ﴿فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون﴾، وقوله في سورة البقرة الآية ١٠٩ ﴿فعفوا [فاعفوا] واصفحوا حتى يأتي ا لله بأمره﴾.

قوله : ((كقولك : قطع الثياب))[1] ، قيل : فيه نظر، لأن باب التفعيل لا يختصّ بهذه، وشاهده الصيغة الموضوعة، كالنساج والقطاع، لأجل الحِرَفِ، وجوابه : أنه قد علم أن باب التفعيل إذا كان مما نقل من أصل إليه أفاد بحسب المقام، إما المبالغة، وإما التكثير، كما سبق في قوله تعالى ﴿ ليس بظلام للعبيد ﴾[2] إذا كان موضوعاً كذلك، نحو ﴿ كلم الله موسى تكليما ﴾[3] لم يقدر ذلك ﴿ والخلاّق ﴾ من قبيل الأول .

وقوله : ((وقيل : هي آل حم))[4] عطف على قوله ((وهي الطّوَلُ)) أي : السور المختصة بذكر حم في أوائلها، قال جماعة سور اجتمعن اجتماع القرابات، ولأن الآل إنما يستعمل في قرابات من له شأن ورفعة، كما يقال : آل محمد وآل إبراهيم، وقال تعالى : ﴿ مما ترك آل موسى وآل هرون ﴾ أي : موسى وهرون.

قوله : ((مثّناة)) وروى : مثناة عن نسخة المصنف أو مثنية، أي : المثاني، واحدها إمّا مثناة أو مثنية، اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية، فإن الآية إما أن تُتْلى مكررة، أو هي مثنية، كأنها تُثني على الله بصفاته الحسنى على الإسناد المجازي، أو الإستعارة[5] المكنية.

---

(١) يشير إلى قول (ز) : يعني لما في مصحف عثمان وأبيّ ﴿ إن ربك هو الخالق ﴾ وهذه الصيغة تصلح للمبالغة وعدمها، أما صيغة ﴿الخلاّق﴾ فهي للمبالغة فقط، ((كقولك : قطع الثياب، وقطع الثوب والثياب)) هـ . وهذه القراءة قرأ بها زيد بن علي، والجحدري، والأعمش، ومالك بن دينار، وهي التي في مصحف أبيّ وعثمان رضي الله عنهما، انظر البحر المحيط ٤٦٥/٥.

(٢) سورة الأنفال الآية ٥١.

(٣) سورة النساء الآية ١٦٤.

(٤) قول (ز) ((وقيل هي آل حم)) لأنهم اختلفوا في قوله ﴿سبعاً﴾ من المثاني، قيل : سبع آيات وهي الفاتحة،أو سبع سور، وهي الطوال، واختلف في السابعة، فقيل : الأنفال وبراءة، لأنهما في حكم سورة واحدة، ولذلك لم يفصل بيهما بالبسملة، وقيل : سورة يونس، ((وقيل : هي آل حم)) . والطوال : البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف.

(٥) الإستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حُذف أحد طرفيه، فعلامتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به . ومكنية : وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه . جواهر البلاغة ٣١٣ والبلاغة الواضحة ٧٥-٧٦.

قوله : ((وأما السور))[1] عطف من حيث المعنى على قوله : ((لأن الفاتحة)) [مما يكرر، والتقدير[2] : أما الفاتحة] فكذا ((وأما السور)) فكذا كقوله تعالى ﴿والراسخون في العلم يقولون﴾[3] بعد قوله ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ كما سبق في موضعه.

قوله : ((وللبيان إذا أردت الأسباع)) فلا يجوز على هذا البعضية كما جازت في الصورتين، لأن القرآن في نفسه أسباع، قال الزجاج[4] : [دخلت (من) للتبعيض، أي : ولقد آتيناك سبع آيات من جملة الآيات، يثنى بها على ا لله تعالى، وآتيناك القرآن العظيم، ويجوز أن تكون السبع هي المثاني، وأن تكون (من) للصفة، كقوله تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾[5] أي : فاجتنبوا الأوثان].

قوله : ((ولقد آتيناك ما يقال له : السبع المثاني والقرآن العظيم)) وهو قوله تعالى : ﴿ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء ﴾[6] أي كتابا جامعاً بين هذين الوصفين.

قوله : ((أصنافا من الكفار)) تفسير لقوله : ﴿ أزواجاً منهم ﴾، الراغب[7] : [الزوج يقال لكل من القرينين، من الذكر والأنثى كالحيوانات المتزاوجة، وفي غيرها

---

(١) قوله تعالى : ﴿ من المثاني ﴾ يعني (ز) : أنها من التثنية، وهي التكرير، لأن الفاتحة مما تكرّر قراءتها في الصلاة وغيرها، أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله، الواحدة ((مثناة، أو مثنية)) ((وأما السورة أو الأسباع)) فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك.

(٢) الفاتحة [مما يتكرر، والتقدير أما الفاتحة] فكذا ما بين القوسين س من ا ، م.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) ذكره في كتابه معاني القرآن ٣/١٨٤.

(٥) سورة الحج الآية ٣٠.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٤٨.

(٧) الراغب في المفردات ص ٢١٥-٢١٦ مادة (زوج).

كالخُفّ والنعل، ولكل ما يقرن بآخر مماثلاً له أو مضاداً، قال تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾(١)، أي : أقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم، قال تعالى : ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾(٢) أي أشباهاً وأقراناً].

قوله : ((ليس منا من لم يتغن بالقرآن)) قلت : هذا لا يصلح للاستشهاد، لما رويناه عن أبي داود عن أبي لبابة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ليس منّا من لم يتغن بالقران)(٣) ، قال : فقلت لابن أبي مليكة(٤) : يا أبا محمد : أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال : يحسّنه ما استطاع. النهاية(٥) : [ويشهد له الحديث الآخر (زينوا القرآن بأصواتكم)(٦) وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند

(١) سورة الصافات الآية ٢٢.

(٢) سورة طه الآية ١٣١.

(٣) ذكر (ز) : هذا الحديث : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ﴾ أي فعليك أن تستغني بالقرآن عن غيره.

أخرجه البخاري مع فتح الباري ٥٠١/١٣ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ وأسروا قولكم أو اجهرو به ﴾ الآية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن – وزاد غيره – يجهر به) . وابو داود في سننه كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل في القراءة برقم ١٤٦٨ من حديث أبي مليكة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . وأحمد في مسنده ١٧٢/١ ، ١٧٥، ١٧٩ . والدارمي في سننه ٥٦٣/٢ . والحاكم في المستدرك ٥٦٩/١، ٥٧٠.

واستدلال الزمخشري بهذا الحديث على الآية المذكورة استدلال في غير محله كما قال الطيبي، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري الآنف الذكر (ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به) فلفظ يجهر به دال على تحسين الصوت دلالة واضحة والله أعلم.

(٤) ابن أبي مليكة : عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة بالتصغير بن عبد الله بن جدعان، يقال : اسم أبي مليكة : زهير التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه من الثالثة، مات ١١٧، التقريب ١٨١، والتهذيب ٣٠٦/٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٣٩١/٣ مادة (غنى).

(٦) قوله صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم) أخرجه أبو داود كتاب الصلاة، باب استحباب الترتيل برقم ١٤٦٥ من حديث البراء بن عازب. والنسائي كتاب افتتاح الصلاة، باب تزين القران بالصوت ١٧٩/٢-١٨٠، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت

العرب غناءاً]، قال في الانتصاف[1] : [حمل كثير من العلماء، الحديث، على الغناء وقالوا : التغني من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور، وأن فعله استغنى خاصة، وقد وجدت بناء تغنّى من الغنى المقصور، ففي الحديث الصحيح: (وأما التي له ستر فرجل ربطها تغنيّاً)[2] وتعففا، وإنما هو من الغنى المقصور، وهو مصدر تغنّى، فدّل على جواز استعماله في البناءين جميعاً]. قال الجوهري[3] : [الغناء بالكسر من السماع والمقصور اليسار، أي: استغنى وأغناه الله.

قوله : ((وعَضَوْه))[4] بفتح الضاد، أي : جعلوا القرآن أجزاء قيل : أمر الله أن يكونوا لرسول الله مُعزِّين فكانوا عليه عزين، وأن يجعلوا القرآن عظات، فجعلوه عضين.

قوله : ((وقيل : كانوا يستهزؤن به)) عطف على قوله ((قالوا بعنادهم وعداوتهم)).

بالقران رقم ١٣٤٢، ٤٢٦/١. وأحمد في مسنده ٢٨٣/٤-٢٨٥-٢٩٦-٣٠٤. والدارمي ٥٦٥/٢، والحاكم في المستدرك ٥٧١/١،٥٧٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٩٤/٣.

(١) ٥٨٨/٢ مع الزمخشري للإمام أحمد. ابن المنير

(٢) يشير إلى حديث أبي هرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر ... إلى أن قال : ورجل ربطها تغنياً وتعففا ... الخ، أخرجه البخاري مع الفتح ٧٢٦/٨، كتاب التفسير، باب قوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ رقم ٤٩٦٢ ، وكذلك في المناقب رقم ٣٦٤٤، ٣٦٤٦، والاعتصام برقم ٧٣٥٦، والجهاد والسير رقم ٢٨٦٠، والمساقاة برقم ٢٣٧١. ومسلم كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة حديث ٢٤. والموطأ ٤٤٤/٢ كتاب الجهاد، رقم ٣.

(٣) الجوهري ٢٤٤٩/٦ - ٢٤٥٠ مادة (غنى).

(٤) تفسير قوله ﴿ الذين جعلوا القران عضين ﴾ حيث قالوا بعنادهم وعداوتهم، بعضه حق موافق للتوارة والإنجيل، وبعضه باطل، مخالف لهما فاقتسموه إلى حقّ وباطل . ((وعَضَوْه)) أي : فرقوه.

قوله : ((وهذه تسلية لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم)) أجاب عن السؤال بوجهين[1] أحدهما أن يتعلق (كما أنزلنا) بقوله ﴿ولقد آتينا﴾ والمقتسمون اليهود والنصاري، وهم إما اقتسموا القرآن اجزاء استهزاء واقتسموا كتبهم تحريفاً فأقرّوا ببعض، وكذبوا ببعض، ومكان التسلية هذا الثاني، وذلك أن قريشاً لما جزءوا القرآن إلى سحر وشعر وأساطير، قيل له صلى ا لله عليه وسلم : لا تحزن، ولا يكن في صدرك حرج، للقرآن أسوة بالتوراة والإنجيل، وإليه الإشارة بقوله : ((وهذه تسلية)) بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم بالقرآن بعنادهم وعداوتهم.

قوله : ((ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين))[2] منصوباً بـ(نذير) عطف على قوله : ((وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين)) لأنه على ذلك التقدير مجرور صفة للمقتسمين، وعلى ألأول النذير مطلق في المنذر والمنذَر به ، وعلى هذا المنذَر الذين جعلوا القرآن عضين والمنذر به ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾، وإليه الإشارة بقوله : ((أنذر المعضِين)) وهو بفتح العين جمع مُعَض اسم فاعل من عضى الشاة إذا جزأها.

قوله : ((على أن بيتوا صالحاً، وذلك في قوله تعالى : [قالوا تقاسموا با لله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله ﴾[3] والقصة مذكورة في تفسير هذه الآية.

---

(١) في م (بجوابين).

(٢) فيكون منصوبا بالنّذير أن أنذر المعضين الذين جعلوا القرآن إلى شعر وسحر وكهانة وأساطير، مثل ما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم، لينفّروا الناس عن الإيمان برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم . أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيّتوا صالحاً عليه السلام، كما قصّ ا لله عنهم في قوله : ﴿ قالوا تقاسموا با لله لنبيتنه وأهله ﴾ الآية ٤٩ من سورة النمل.

(٣) سورة النمل ٤٩.

قوله : ((لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم)) أي : لما كان تشبيه إنزال السبع المثاني بإنزال الكتابين على المقتسمين من اليهود والنصارى على ما سبق تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن قوله : ﴿ ولا تمدنّ ﴾ الآية تسلية مثلها، فلم يكن اعتراضاً تاماً؟ قال : اعتراض ما هو مددُ لمعنى التسلية، لأن الجملة المعترضة مؤكدة لمضمون المعترض فيه، وهذا موكّد للازِمه، وذلك أن التسلية إنما يصار إليها إذا وجد الحزن والنكاية من الشخص مما لا يلائمه، فكما يحصل ذلك من جهة المستزئين الذين يجعلون القرآن عضين، كذلك يحصل من جهة الالتفات إلى ما متّع به الكفار من زهرة الحياة الدنيا، وكما يشغله الأول من أن يُقبل بمجامعه على المؤمنين كذلك الثاني، وإليه أشار بقوله : ((ومن الأمر بأن يُقبل بمجامعه على المؤمنين، ويمكن أن يدخل ذلك في حيّز التشبيه، وأن يقال : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرأن العظيم ﴾ ونهيناك عن أن تمدّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم، كذلك أنزلنا على أهل الكتاب الكتابين المعظمين، وقلنا لهم : ﴿ لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ﴾ فلا تكن مثلهم حيث أخلدوا إلى الأرض، ومالوا إلى حطام الدنيا وزخرفها وحرّفوهما فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، وهذا الوجه أحسن[1] ، لأن التشبيه تمثيلي، وكلما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل في الحسن، وعلى هذا لا يكون تسلية، بل يكون من باب الإلهاب والتهيج، كقوله تعالى : ﴿ فلا تكونن من الممترين ﴾[2] ومن المشركين، أو أن يخاطب صلوات الله وسلامه عليه، والمراد أمته. والله أعلم.

قوله : ((عضين أجزاء)) قال الواحدي[3] : [عضين جمع عضة مثل عزة وعزين، من عضيت الشيء إذا فرّقته، وكل فرقةٍ عضة].

---

(١) ويدلّ له قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٨٥ ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ وقوله في سورة النساء الآية ١٥٠ ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٤.

(٣) الواحدي في تفسير الوسيط ٣/٥٢.

قوله : ((هي فعلةٌ من عضهتــه)) قـال السـجاوندي : أو هـو عضهتـه كـأصل صفة شفهه أي الكذب أو البهت أو السحر مشتق مـن العضـاة، لأنـه يـؤذي ويجـرح كالشوك، وجمع سلامته عوض نقصان الواو والهاء، نحو عزين وثبين.

قوله : ((وقيل : سألهم سؤال تقريع))[1] وعلى الأول، لم يرد به السؤال وإنمـا هو كناية عن مجرد الوعيد،كما تقول لمن تهدده:إنما تُسأل عما تفعل، أي:نجازيك به.

قولـه : ((والصــدع في الزجاجـة))[2] الراغـب[3] : [الصــدع : الشـــق في الأجسام، كالزجاجة والحديـد، يقـال : صدعتـه فـانصدع، وصدّعتـه فتصـدّع، قـال تعالى: ﴿ يومئذ يصّدّعون ﴾[4] ، ومنه استعير صَدَعَ الأمر، قال تعـالى ﴿ فـاصدع بمـا تؤمر﴾[5] وكذا استعير منه الصداع، وهو شبه الانشقاق في الـرأس مـن الوجـع، قـال تعالى: ﴿ لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾[6] ، ومنه الصديع للفجر، وصدعت الفلاة : قطعتها، وتصدّع القوم : تفرقوا].

قوله : ((مصدر))[7] من المبني للمفعـول، أي بمـأمرك، ومثلـه : ﴿ لأنتـم أشـد رهبة﴾[8] أي : مرهوبية. وقوله : ﴿ ومن بعد غلبهم ﴾[9] أي : مغلوبيتهم .

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما يؤمر وأعرض عن المشركين ﴾.

(3) الراغب ٢٧٦ مادة (صدع).

(4) سورة الروم الآية ٤٣.

(5) سورة الحجر الآية ٩٤.

(6) سورة الواقعة الآية ١٩.

(7) يعني (ز) قوله : ﴿بما تؤمر﴾ قال : يجوز أن تكون (ما) مصدرية، أي : بأمرك.

(8) سورة الحشر الآية ١٣.

(9) سورة الروم الآية ١.

قوله : ((﴿فسبح﴾[1] فافزع فيما نابك إلى الله)) يريد أن قوله ﴿فسبّح﴾ أمر بإزالة ما كان يلحقه من ضيق الصدر، وفي الحقيقة المزيل هو الفزع إلى الله، فوضع التسبيح موضع اللجاء، واللجاء إلى الخلق بالدخول في كنفه، واللحوق إلى خفارته، وإلى الله بالتضرع إليه بالذكر الدائم والخضوع بين يديه بالسجود المتوالي.

قوله : ((يكفيك ويكشف عنك الغم)) جواب الأمر، وهو ﴿فسبح﴾.

قوله : ((﴿حتى يأتيك اليقين﴾ أي ما دامت حيًا فلا تُخِلَّ بالعبادة))، قال محي السنة[2] : [هذا معنى قوله : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً ﴾[3] ، وقال الإمام[4] : [سمي الموت يقيناً، لأنه أمر متيقّن، وقال الراغب[5] : [اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، يقال : علْم يقين، ولا يقال : معرفة يقين، وهو سكون النفس مع ثبات الحكم، يقال : استيقن وأيقن]. أما دلالة النظم عليه، فإن في عطف ﴿واعبد﴾ على ﴿فسبح﴾ وترتيبه بالفاء، على قوله : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ بعد الأمر بالإعراض عن المشركين إشعارا بمتاركة القوم والإقناط من إيمانهم، أي : بذلت جهدك واستفرغت ما في وسعك في الإنذار والتبليغ، فأعرض عنهم، وفوّض أمرهم إلى مقتضى قولنا ﴿ فسوف يعلمون ﴾ كما قال في حم : ﴿وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون . فاصفح عنهم وقل سلام

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ فسبّح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾.

(2) محي السنة البغوي في تفسيره ٣٩٧/٤.

(3) سورة مريم الآية ٣١.

(4) الفخر الرازي ٢١٦/١٩.

(5) الراغب ٥٥٢، مادة (يقن).

ويدل على أن اليقين هو الموت : قوله تعالى في سورة المدثر الآية ٤٣-٤٧ ﴿ قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين ﴾ وهو الموت.

فسوف يعلمون﴾[1] واشتغل بما هو مختص بك من العبادة حتى تختار جوار الرفيق الأعلى، وأما ما رواه السلمي[2] عن الواسطي[3]: [واعبد ربك لا تُلاحِظ غيره في الأوقات حتى يأتيك اليقين، فيتحقق عندك أنك لا تحسّ بغير الحق، ولا ترى إلا الحق، ولا يجاذبك إلا الحق] فهو إشارة إلى الإرشاد إلى العروج في درجات العبودية والترقي إلى مقام رفع الحول والقوة إلا با لله كما ورد في الحديث القدسي[4]: (ما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرّبُ إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذني أعذته ...

---

(1) سورة الزخرف الآية ٨٩.

(2) السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري أبو عبد الرحمن، من علماء المتصوفة . قال الذهبي : شيخ الصوفية، وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، قيل : كان يضع الأحاديث للصوفيه، له تآليف كثيرة : منها حقائق التفسير على طريقة أهل التصوف، ويوجد في مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم ٥٢ . انظر الأعلام ٩٩/٦ وميزان الإعتدال ٤٦/٣ . ولد سنة ٣٢٥هـ، ومات سنة ٤١٢هـ.

(3) الواسطي لعله خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي أبو محمد، عالم بالحديث من أهل واسط، له تصانيف، استقرّ بغداد. مات سنة ٤٠١ . انظر الأعلام ٣١١/١، والبداية والنهاية ٣٤٤/١١.

(4) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٤٠/١١ برقم ٦٥٠٢، كتاب الرقائق، باب التواضع، من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه، قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (إن ا لله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبُ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته) .

وصحيح ابن حبان ٥٩/٢ وفي سند هذا الحديث خالد بن مخلد، قال فيه أحمد بن حنبل : له مناكير، وقال أبو حاتم : لا يحتج به، قال الذهبي : هذا حديث غريب جداً، لولا هيبة الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد، فإن هذا المتن لم يروَ إلا بهذا الإسناد، ولا خرّجه من عدا البخاري، انظر فتح الباري ٣٤٦/١١.

الحديث) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، ويمكن أن يقال : إن قوله: ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ لما كان حكماً مرتباً على قوله : ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ وفيه إرشاد إلى إزالة ذلك الضيق الذي هو نتيجة القلق والإضراب لأجل النظر إلى الغير في ضيق عالم الشهادة بالأخذ بالتسبيح والعبادة المؤدي إلى حصول ثلج اليقين، وانشراح الصدر بسبب النظر إلى فسحة عالم الغيب، وأن الكائنات تابعة لمراد ا لله ومقتضى مشيئته وحكمته استقام إجراء اليقين على حقيقته، إي : اعبد ربك لكي يتحقق لك ذلك، فيزول عنك ذلك[1] ، وإلى هذا المعنى ينظر قوله : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾[2] ، وما روينا عن أبي داود عن حذيفة: (كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة)[3]، وروى السلمي عن بعضهم : [﴿ واعبد ربك ﴾ انقطاعاً إليه واعتماداً عليه حتى يأتيك اليقين بأن الأمر كله إلى ا لله، وهو متولي إضلال من ضلّ وهداية من هدى]، وعن الواسطي : ﴿ حتى يأتيك اليقين ﴾ [أنه لا إله يسوق إليك المكاره ويصرفها عنك إلا ا لله، ولا يسوق إليك المحابّ ويصرفها عنك إلا هو، وبهذا انكشف أنّ عبادة ا لله هي العمدة العظمى، والمقصد الأقصى، وبها تنال الدرجات العليا، ولو أن أحداً استغنى عنها لكان أفضل الخلق أولى وأحرى، وكيف لا وما شرف بما شرف به في أشرف مقاماته إلا بتشريف : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ﴾[4] ، وروى

---

(١) قد كرر تعالى في كتابه الأمر بالتسبيح، والصبر على أذى الكفار، فقال في سورة طه الآية ١٣٠ ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ . وقال تعالى في سورة غافر الآية ٥٥ : ﴿فاصبر إن وعد ا لله حق واستغفر لذنبك وسبّح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٥.

(٣) أخرجه ابو داود ٧٨/٢ كتاب الصلاة،باب وقت قيام النبي صلى ا لله عليه وسلم من الليل الحديث رقم ١٣١٨. ومسند أحمد ٢٠٦/١ ، ٣٦٨، ٢٨٠، ٣٨٨/٥. والطبري ٩/١ عند قوله : ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ الآية ٤٥.

(٤) سورة سبحان الآية ١.

السلمى عن ابن عطاء ، لم يرض الله من نبيه صلى الله عليه وسلم لمحة عين إلا في عبادته. والله أعلم بأسرار كلامه.



سورة النحل مكية، غير ثلاث آيات في آخرها[1] ، وهي ١٢٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ﴿ أتى أمر الله ﴾[2] أي : ((هو بمنزلة الآتي الواقع))، الراغب[3] : [الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه : أَتيٌّ وأَتاويٌّ، وبه شبّه الغريب، فقيل : أَتاوِيٌّ، والإتيان : قد يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير والشر، وفي الأعيان والأعراض قال تعالى : ﴿ إن أتاكم عذاب الله ﴾ أي بالأمر والتدبير، وقال : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾، وقال أيضاً[4] : والعجلة : [طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه، وهي من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة التنزيل، حتى قيل : العجلة من الشيطان، وقوله تعالى: ﴿ وعجلت إليك ربي لترضى ﴾[5] ، فذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود، وهو طلب رضى الله، وقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل﴾[6] قال بعضهم : من حمإ ليس بشيء، بل ذلك تنبيه على أنّه لا يَتعرّى من ذلك، وإن كان ذلك إحدى القوى

---

(١) ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا ... ﴾ الآيات الثلاث من آية ١٢٦ إلى آخر السورة فمكية. انظر البغوي ٧/٥.

(٢) تفسير قوله : ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ الآية ١، من سورة النحل.

(٣) الراغب في المفردات ٨ مادة (أتى).

(٤) يعني الراغب في مادة (عجل) ٣٢٣.

ويوضح معنى هذه الآية المتضمن قرب الساعة قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية ١: ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ﴾ وقوله في سورة القمر الآية ١ : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾، وقوله في سورة الأحزاب الآية ٦٣ : ﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ وقوله في سورة النجم الآية ٢٧-٢٨ : ﴿ أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة ﴾.

(٥) سورة طه الآية ٨٤.

(٦) سورة الأنبياء الآية ٣٧.

التي ركّب عليها، وعلى ذلك قال : ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾[1] والعجالة ما يُعَجَّلُ أكله] كاللُّهْنَة[2] : وهي السُّفْلَة، وهي ما يتعلّل به الإنسان قبل إدراك الطعام.

قوله : ((قرئ ﴿ينستعجلوه﴾ بالتاء والياء، بالتاء الفوقانية، وهي المشهورة، وبالياء شاذة[3] .

قوله : ((عن أن يكون له شريك))[4] هذا على أن يكون (ما) موصولة، وقوله: ((وأن تكون آلهتهم شركاء)) عطف على سبيل البيان، وقوله : ((عن إشراكهم)) على أن (ما) مصدرية.

قوله : ((لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب، وذلك من الشرك))، فـ((من)) إما ابتدائية، فالمعنى ذلك من أجل الشرك،أوبسببه أو تبعيض، أي : وذلك بعض الشرك، والمعنى على الوجهين[5] ، أن من استهزأ بوعد الله ووعيده، وكذّبه فيما أثبت له العجز والقصور والاحتياج إلى الغير، وأن أحداً عجزه من إنجاز وعده وإمضاء وعيده، قال الإمام[6] : [قال الكفار : هب أنا سلمنا لك ما تقول من أنه تعالى حكم بإنزال العذاب علينا إلا أنا نعبد هذه الأصنام فإنها شفعاؤنا عند الله، فتشفع لنا فنتخلّص من العذاب، فأجاب الله تعالى بقوله : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾،

---

(1) سورة الإسراء الآية ١١.

(2) الصحاح للجوهري ٢١٩٧/٦ مادة (لهن).

(3) ﴿فلا يستعجلوه﴾ بالياء، قرأ بها سعيد بن جبير، وهي شاذة. مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوية ٧٢.

أما قرآة التاء فهي قرآءة العامة.

(4) تفسير قوله : ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾، قال (ز) : تبرأ عزّ وجلّ ((عن أن يكون له شريك)) وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم، على أن (ما) موصولة، أو مصدرية، فإن قلت : كيف اتصل هذا باستعجالهم؟. قلت : ((لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب، وذلك من الشرك)).

(5) في م على الوجهين (هو) أن من استهزأ.

(6) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢١٨/١٩.

وكـذا لخّص القـاضي[1] ، وقلـت : ويمكـن أن يقـال : إن الخطـاب في قولـه : ﴿فـلا تستعجلوه﴾ عـام يـدلّ عليـه مـا رواه لما نزلـت ﴿ اقـتربت السـاعة ﴾[2] إلى قولـه : فنزلت ﴿ اتى أمر ا لله ﴾ فوثب النبي صلى ا لله عليـه وسـلم ورفـع النـاس رءوسـهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة، فنزلت ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ فاطمأنوا، ورواه محي السنة[3] بتمامه عن ابن عباس كأنه قيل : قرب وأتى أمر ا لله فلا تستعجلوه لأن مـا هـو آت، آت، كما يقال لمن يطلب الإغاثة، وقد قرب حصولها : جاءك الغوث، ثم التفت مـن الخطاب إلى الغيبة في قوله ﴿ سـبحانه وتعـالى عمـا يشـركون ﴾ نعيـاً علـى المشـركين خاصة إلى غيرهـم واستبعاداً لسوء صنيعهم، يعني : ماذا يستعجل منـه أولئـك البعـداء مع هذه العظيمة التي ارتكبوها، كقوله تعالى : ﴿ ماذا يستعجل منه المجرمون ﴾[4] فما أبعدهم من قوم، وما أجهلهم من جيل في إشراكهم با لله مع تعـاضد الأدلـة السـمعية والعقلية في قلعة واسـتعجالهم فيمـا يُرْديهـم. وإلى السـمعية[5] الإشـارة بقولـه ﴿ينـزل الملائكة﴾[6] الآية، أي : ينزل ا لله تعالى ملائكته المقربين ملتبسين بوحيه وكلامه الذي هو بمنزلة الروح للجسد وبمثابة الحياة للقلوب الميتة، ويختار لرسالته والإنذار به الخيرة من عباده، والمصطفَيْن من خلقة ليقيموا بالدعوة إلى التوحيد وبـالأمر بـالتقوى الـذي

---

(1) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١٧٥/٣.

(2) سورة القمر الآية ١.

(3) أخرجـه الواحـدي ٣٢١ والبغوي في تفسـيره، يعـني محي السـنة ٨/٥ وبمعنـاه أخرجـه الطـبري ٧٥/١٤ . وانظر الدر المنثور ١٠٨/٥ والقرطبي ٦٦/١٠. والحديث موقوف على ابن عباس.

(4) سورة يونس الآية ٥٠.

(5) يعني الأدلة السمعية.

(6) جزء من آية ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ من الآية ٢.

ويدل لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الشورى الآية ٥٢ ﴿ وكذلك اوحينا إليك روحـاً مـن أمرنـا، مـا كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾، وقوله في سـورة غـافر الآية ١٥ : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾.

هو ملاك الدين. وإلى العقلية الإشارة بقوله : ﴿ خلق السموات والأرض بـالحق ﴾[1] و ﴿خلق الإنسان من نطفة ﴾ وهما من كِلا نَوعي الدليل الإماني والأنفسـي، وضُـم إلى الأول ما ابتدئ به من قوله : ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ تقديراً، وإلى الثاني قوله : ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ تعريفاً[2] ، أي خصيـم لربـه منكـر علـى خالقـه، وصفـاً لـه بالإفراط في الوقاحة والجهـل والتمـادي في كفـران النعمـة، ثـم شـرع في بيـان النعم السابغة والآلاء المتابعة إلى آخر السورة، ولذلك سميت بسورة النّعم، وفي كـل ذلـك إشارة للمؤمنين إلى ترك الاستعجال والتأني في الأمور، والاشتغال بالأهمّ، والأخذ في الاستعداد، وتأهّباً لزاد يوم المعاد، بإلزام التوحيد، والذكر الدائم، والاكتسـاء بلبـاس التقوى، وتقرير الدلائل للإرشـاد، والتذكـير بـآلاء ا لله، شـاكرين مستعصمين بحبلـه مستمسكين بالعروة الوثقى. فإن قلت : ما موقع قوله : ﴿ ينزل الملائكة ﴾؟. قلت : إما حال من واو ﴿يشركون﴾ مقرّرة لجهة الإشكال، وإما استئناف لبيـان الاستبعاد، وكذا قوله : ﴿ خلق السموات ﴾. فإن قلـت : فلـم خولـف بـين العبـارتين مستقبلاً وماضياً مع اتحاد المغـزى؟. قلـت : للإيـذان بالاستمرار في الأول إنـزالاً غـبّ إنـزال وإرسالاً بعد إرسال. والتحقيق في الثاني، وا لله أعلم.

قولـه : ((وقـرئ تشـركون باليـاء والتـاء)) حمـزة والكسـائي بالتـاء الفوقانيـة والباقون بالياء في الموضعين[3]. قال القاضي[4] : [الياء التحتانية على تلوُّن الخطاب أو على الخطاب للمؤمنين، أو لهم ولغيرهم].

---

(1) قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان مـن نطفـة فإذا هو خصيم مبين ﴾ الآيتان من سورة النحل ٣،٤.

(2) تفريعاً في ت.

(3) قرأ حمزة والكسـائي وخلـف ﴿تشـركون﴾ بالتـاء في الموضعين في قولـه : ﴿ أتـى أمـر ا لله فـلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما (تشركون) ﴾ وفي قوله : ﴿ خلق السموات والأرض بغير الحق سبحانه وتعالى عما (تشـركون) ﴾ . وقـرأ البـاقون باليـاء ﴿يشـركون﴾ . انظر الحجـة لابـن زنجلـة ٣٨٤-٣٨٥، وإتحـاف الفضلاء ٢٧٧.

(4) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٥/٣.

قوله : ((﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، بالتخفيف ابن كثير[1] وأبو عمرو)).

قوله : ((بما يحي القلوب الميتة بالجهل من وحيه)) من بيان تلخيصه ينزل الملائكة بالوحي، شبّه الوحي تارة بالروح لما فيه من حياة الروح الميتة بالجهل، وأخرى بها لما يتزيّن به الدين كما تتزيّن الروح بالجسد، ثم أقيم المشبه[2] فصار استعارة تحقيقية مصرّحة، والقرينة الصارفة عن إرادة الحقيقة إبدال ﴿أن أنذروا﴾ من الروح، قيل : من أمره مخرج الإستعارة إلى التشبيه، كما في قوله تعالى : ﴿ حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾[3] ، قلت : بينهما بون بعيد، لأن نفس الفجر عين المشبه الذي شبه بالخيطين، وليس مطلق الأمر ههنا مشبها بالروح حتى يكون بياناً له، لأنه أمر عام بمعنى الشأن والحال، ولهذا يصحّ أن يفسر الروح الحيوانيّ به، كقوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾[4] أي: من شأنه، ومما استأثر الله بعلمه، وأن يفسر الروح المراد منه الوحي به أي : من شأنه ومما أنزل على أنبيائه نعم، هو مجاز أيضاً لأن الأمر العام إذا أطلق على فرد من أفراده كان مجازاً، ومن ثمّ قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾[5] ، [الروح من أمره الذي هو سبب الحياة من أمره، يريد الوحي الذي هو أمر بالخير، وبعث إليه فاستعار له الروح] انتهى كلامه،

---

(1) قرأ ابن كثير وأبوعمرو ﴿ينزل الملائكة﴾)) بسكون النون وتخفيف الزاي، وقرأها روح بالتاء مفتوحة، وفتح الزاي المشددة، مثل قوله ﴿تَنَزَّلَ الملائكة والروح﴾ في سورة القدر، ورفع ﴿الملائكة﴾ ووافقه الحسن، والباقون ﴿يُنَزِّل الملائكة﴾ بالياء مضمومة وكسر الزاي مشددة ونصب ﴿الملائكة﴾ . انظر الإتحاف ٢٧٧.

وقرأ أبوبكر في رواية الكسائي ﴿تُنَزَّلُ الملائكةُ﴾ بضم التاء وفتح الزاي ورفع ﴿الملائكة﴾ . انظر الحجة لابن زنجلة ٣٨٥.

(2) (المشبه به) مقام المشبّه في : ت ، ب.

(3) سورة البقرة الآية ١٨٧

(4) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(5) سورة غافر الآية ١٥. انظر تفسير الزمخشري عند هذه الآية ﴿يلقي الروح﴾ في غافر جـ٣/٣٦٤ وذكره بتمامه.

فيكون البيان والمبين كلاهما مجازين مترادفين، ولما كان البيـان والمبـين كشـيء واحـد جمعهـما في قوله : (الروح من أمره) الذي هو سـبب الحيـاة، وأيضـاً لـو كـان تشـبيهاً لفهم التشبيه على تقدير الوقف على أمره، وا لله أعلم.

قوله : ((بأن الشأن أقول لكم))[1] عن بعضهم إنما زاد في التفسـير أقـول لأن الأمر لا يقع خبراً للمبتدإ، وهـو الشـأن. وقلـت : يعـني أن ضمـير الشـأن مبتـدأ، و ﴿أنذروا﴾ خبره، وهو إنشاء فـلا بـدّ مـن تقديـر القـول ليصـحّ حمـل الإنشـائي علـى المبتدأ، وأما تقديره في الوجه الثاني أي يقول لهم ا لله : أعلموا الناس، فهو معنى ينزل الملائكة، لأنه حينئذ في تقديـر القـول، قـال القـاضي[2] : [الآيـة تـدل علـى أن نـزول الوحي بواسطة الملائكة، وأن حاصلـه التنبيـه علـى التوحيـد الـذي هـو كمـال القـوة العلمية، والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمـال القـوة العلميـة، وأن النبـوة عطائيـة، والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته، من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجـد لأصول العالَم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة، ولو كان لـه شـريك لقـدر علـى ذلك، فيلزم التمانع].

قوله : ((من خلق البهائم))[3] بيان ما يصلحه، وخلق فيه مقحم للتأكيد.

قوله : ((وقرأ ﴿يشركون﴾ بالياء التحتاني حمزة والكسائي))[4] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أن أنذروا ﴾ قال (ز) بدل من الروح، أي : يُنَزّلهم بـأن أنـذروا، وتقديـره : بأنه أنذروا، أي : ((بأن الشأن أقول لكم أنذروا)) .

(٢) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٥/٣.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾، قال (ز) : ثم دل على وحدانيته، وأنه لا إلاه إلا هو بما ذكر مما، لا يقـدر عليـه غـيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لا بدّ له منه ((من خلق البهائم)).

(٤) تقدم الكلام على القراءة في قوله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة . وحمزة والكسائي يقرآنهـا بالتاء خلافاً لما قال الطيبي رحمه ا لله.

قوله : ((﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ فيه معنيان))، يعني : في ترتب ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ على كونه نطفة معنيان أحدهما الإيذان بانتهاء حالتي حقارته[1] وعظمته، وإفراطه وتفريطه، وثانيهما : الإشعار بتعكيس أمره حيث إنه تعالى نقله من أخسّ أحواله إلى أشرفها ليشكر فكفر، كقوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾[2] ، وقلت : ﴿ هذا المعنى مؤكّد لما فسرنا به قوله ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ من قولنا : ما أجهلهم من جيل في إشراكهم با لله، مع تعاضد الأدلة السمعية والعقلية في قلعه.

قوله : ((دلالة على قدرته))[3] مفعول له لمقدر، أي : ذَكر الله تعالى خَلْق الإنسان من نطفة وجعله خصيماً مبيناً دلالة على قدرته، وكذا قوله : ((وصفاً للإنسان))، والفرق أن القصد الأولى في سوق الآية على الأول بيان قدرة الله الكاملة، وأنه تعالى لما خلق من الشيء الحقير هذا الخلق الخصيم كقوله تعالى : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ... إلى قوله : فقدرنا فنعم القادرون ﴾[4] ، وعلى الثاني : القصد إلى بيان وقاحة الإنسان وتعدّيه طوره كقوله تعالى : ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي

---

(1) ويدلّ لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الطارق الآية ٥-٧ : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب ﴾، وذلك تنبيه على حقارة ما خلق منه، ومثله قوله تعالى في سورة المرسلات ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ... ﴾ الآية ٢٠، وقوله في سورة المعارج الآية ٢٩ ﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم . كلا إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾.

(2) سورة الواقعة الآية ٨٢.

(3) تفسير قوله : ﴿ فإذا هو خصيم مبين ﴾، قال (ز) : فيه معنيان : أحدهما : فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من منيّ جماد لا حسّ به ولا حركة ((دلالة على قدرته)) . والثاني : فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل : ﴿ من يحي العظام وهي رميم ﴾ ((وصفا للإنسان)) بالإفراط في الوقاحة والجهل ... الخ.

(4) سورة المرسلات الآية ٢٠-٢٣.

العظام وهي رميم ﴾(١) ، ويؤيد(٢) الأول قوله : ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ وقوله: ﴿والأنعام خلقها لكم ﴾، والثاني قوله : ﴿ فلا تستعجلوه ﴾ تعالى ا لله عما يشركون، وكذا قوله : ﴿ تعالى عما يشركون ﴾ والثاني أوفق لتأليف النظم.

قوله : ((وأكثر ما تقع على الإبل))(٣) (ما) مصدرية، أي : الأنعام أكثر وقوعها على الإبل.

قوله : ((ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم))(٤) دلّ على الحصر لام الاختصاص في (لـ)ـكم، وفحوى الخطاب، ولذلك قال : ((يا جنس الإنسان))، ويمكن أن لا يعلق لكم بخَلَقَها، بل يكون خبر (دفء) لتطابق قرينتها وهي ﴿لكم فيها جمال﴾، فيحصل الإختصاص من تقديم الخبر، وأما تخصيص ذكر جنس الإنسان فلافادة الإلتفات،

(١) سورة يس الآية ٧٧-٧٨.

(٢) وهذا أبلغ زجر عن التكبر والتعاظم، لأن الإنسان خلق للعبادة كما قال ا لله تعالى في سورة الذاريات الآية ٥٦ : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ثم فاجأ ربه بالخصومة والتكذيب، كما دلت عليه ﴿إذا﴾ الفجائية، ﴿ أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ... الآية ﴾، وقوله تعالى في سورة مريم الآية ٦٦ : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما متّ لسوف أخرج حياً . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾، وقوله في سورة الفرقان الآية ٥٤-٥٥ : ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً . ويعبدون من دون ا لله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ الآية ٥ من سورة النحل، قال (ز) : الأنعام الأزواج ((وأكثر ما تقع على الإبل)).

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿خلقها لكم﴾، أي : ((ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان))، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى في هذه السورة الآية ٨٠-٨١ : ﴿ وا لله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾. وقوله في سورة النحل الآية ٦٦ : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾، وقوله تعالى في سورة غافر الآية ٧٩ : ﴿ وا لله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾، وقوله تعالى في سورة يس الآية ٧١-٧٣ : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾.

وهو الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب، وفائدة المكافحة تتميم معنى الإنكار على كفران النعمة الذي يعطيه قوله : ﴿ فإذا هو خصيم مبين ﴾.

قوله : ((من صوفٍ أو وَبَر أو شعر))[1] أي : من الغنم أو الإبل أو المعز، والدفء آلة الدّفء.

قوله : ((ويحتمل أن طعمتكم منها))[2] فهو من إطلاق السبب على المسبب، ويجوز أن يقال : ومنها ينتفعون، فيكون المجاز في تأكلون، لأن الكلام مع أرباب المواشي، وعلى الأول المجاز في الأنعام من إطلاق معظم الشيء على كلّه، وكل ذلك متعسف، لأن التقديم لمراعاة الفواصل، ويكون من عطف الخاص على العام، لأن الأكل أصل الانتفاع.

قوله : ((التفكه))[3] ، الأساس[4] : [ومن المجاز تفكّه بكذا تلذّذ به، وفاكهت القوم مفاكهة طايبتهم].

قوله : ((مَنّ الله تعالى بالتجمل بها))[5] ، الراغب[6] : [الجمال الحسن الكثير، وذلك ضربان . أحدهما : جمال يختصّ به الإنسان في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني : ما يصل به منه إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما روى (إن الله جميل يحب

---

(١) تفسير ﴿دفء﴾ قال (ز) : والدفء : اسم ما يدّفأ به، كما أن الملء اسم ما يملأ به، وهو الدفاء من لباس معمول ((من صوف أو وبر أو شعر)).

(٢) يعني هذه الأنعام من أسباب طعامكم، لأنكم تحرثون بالبقر، فالحبّ والثمار التي تأكلونها منها، وتكتسبون بإكراء الإبل.

(٣) يعني أن الأنعام هي الأكل في أكل لحومها، أما الأكل من غيرها : يعني : من الدجاج والبطّ وصيد البحر والبر، فكغير المعتد به، وكالجاري مجرى ((التفكّه)).

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ٤٨٠ مادة (فكه).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ الآية ٦ من سورة النحل، قال (ز): ((منّ الله بالتجمل بها)) كما منّ بالانتفاع بها.

(٦) الراغب الأصبهاني في مفردات القرآن ص ٩٧ مادة (جمل) بتصرف.

الجمال)[1] تنبيها أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة، فيجِبُ من يختص بذلك، يقال: جاملت فلاناً وأجملت في كذا، والجمل يقال: للبعير إذ أبزل[2]، والجامل قطعة من الإبل معها راعيها]، وتسمية الجمل بذلك، يجوز أن يكون لما قد أشار إليه بقوله: ﴿ ولكم فيها جمال ﴾، لأنهم كانوا يعدون ذلك جمالاً لهم.

قوله: ((وسرحوها بالغداه))[3]، الراغب[4]: [السرح: شجر له ثمرة، الواحدة سرحة، وسُرِّحت الإبل إذا أرسلت أن ترعاه السرح، ثم جعل لكل إرسال في الرعي، قال تعالى: ﴿حين تريحون وحين تسرحون﴾ والسارح الراعي، والتسريح الإبل كالطلاق مستعار من تسريح الإبل كالطلاق في كونه مستعار من إطلاق الإبل].

قوله: ((الرّغاء والثغاء))، الجوهري[5]: [الرغاء: صوت ذوات الخفّ، وقد رغا البعير يرغو رغاء إذا ضجّ] [والثغاء[6]: صوت الشاة والمعز وما شاكلهما]، وفي قوله: ((وتجاوب فيه الثغاء والرغاء)) معنى قول أبي العلاء:

** معان من أحبنا مَغانٍ ** يجيب الصّاهلات بها القيان **

قوله: ((وهو من باب التكميل)) ولهذا قال ((وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، ومنه قوله: ﴿ لتركبوها وزينة ﴾ جمع بين الإنتفاع والزينة، كما جمع بين ستر

---

(١) جزء من حديث طويل في مسلم ٩٣/١ كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم ٩١، والمستدرك ١٨١/٤، ٢٦/١.

(٢) بزل البعير يبزُل فطر نابه أي: انشق.

(٣) تفسير قوله: ﴿ وحين تسرحون ﴾، يقول (ز): لأن الرعيان إذا روّحوها بالعشيّ ((وسرّحوها بالغداة)) فزيّنت بإراحتها وتسريحها الأفنية ((وتجاوب فيها الثغاء والرغاء)).

(٤) الراغب في المفردات ٢٢٩-٢٣٠ مع اختلاف وتقديم، وتأخير مادة (سرح).

(٥) الصحاح للجوهري ٢٣٥٩/٦ مادة (رغا).

(٦) المرجع السابق ٢٢٩٣/٦ مادة (ثغا).

العورة والزينة في قوله تعالى : ﴿ يواري سوآتكم وريشاً ﴾[1] ، لأن الريش الجمال والزينة.

قوله : ((ملآء البطون))[2] ، الجوهري[3] : [والملأ بالفتح مصدر قولك : ملأت الإناء، فهو مملوء، والملء بالكسر اسم ما يأخذه الإناء إذا امتلأ، فيقال : أعطى ملأه ومِلأيْه، [وضرع حافل أي : ممتلئ لبناً][4] .

قوله : ((لم تكونوا بالغيه بها))[5] أي : بالأثقال، والباء فيه ظرف لغو للتعدية، وفي بشق الأنفس مستقر، قال أبو البقاء[6] : [بشق في موضع الحال من الضمير المرفوع في ﴿بالغيه﴾]، أي : مشقوقاً عليكم، وأما توجيه السؤال كيف ناسب قوله : ﴿لم تكونوا بالغيه﴾ قَوْلَه : ﴿وتحمل أثقالكم﴾ لأن المناسب أن يقال : لم تكونوا حامليه، لأن الحمل شيء والبلوغ شيء آخر، وأجاب أن المناسبة بحسب المعنى، وهو على وجوه ثلاثة . أحدها : أن تجعل التنكير في بلدٍ للتفخيم والتنكير، أي : بلد بعيد شاسع، ليناسبه البلوغ ويلزم منه الحديث في نفي الحمل بالطريق الأولى[7]، كما قال : فضلاً أن تحملوا على ظهوركم.وثانيها : أن يقدّر في ﴿بالغيه﴾ ما يعود إلى الأثقال.وثالثها : أن يحمل على الأَجْرام. قال في

---

(1) سورة الأعراف الآية ٢٦.

(2) قول (ز) في قوله : ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾، فإن قلت : لم قدمت الإراحة على التسريح؟. قلت : لأن الجمال في الإراحة أظهر ((إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع)).

(3) الجوهري في صحاحه ٧٢/١ مادة (ملأ).

(4) الجوهري في صحاحه ١٦٧١/٤ مادة (حفل).

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشقّ الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ﴾ الآية ٧ من سورة النحل. قول (ز) : وتحمل إلى بلد بعيد، قد علمتم أنكم لا تبلغوه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة، فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم، ويجوز أن يكون المعنى ((لم تكونوا بالغيه بها إلا بشقّ الأنفس)).

(6) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٧٨/٢.

(7) انظر حاشية البيضاوي لمحي الدين شيخ زاده، فذكر هذا التوجيه ١٦٨/٣.

الإنتصاف[1] : [ويمكن أن يقال إنه استغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها، لأن ذلك معلوم من العادة لأن المسافر لا يستغني عن أثقال يستصحبها، والأول أولى].

قوله : ((﴿والخيل والبغال والحمير﴾ عطف على الأنعام))[2] الراغب[3] : [الخيال أصله الصورة المجرّدة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرآة، وفي القلب بعد غيبوبة المرئيّ. ثم يستعمل في صورة كلّ أمر متصوّر، وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال، والتخيل تصوير خيال الشيء في النفس، والتخيّل تصوير ذلك وخِلْت بمعنى ظننت، يقال : اعتباراً بتصوّر خيال المظنون، يقال : خُيِّلت السماء أبدت خيالاً للمطر، وفلان مخيّل بكذا أي خَليق، وحقيقته أنه مظهر خيال ذلك، والخُيلاء التكبر على تخيل فضلية تراءت للإنسان في نفسه، ومنه الخيل لما قيل : إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة.

قوله : ((وقد احتجّ على حُرْمة أكل لحومهنّ)) قال الإمام[4] : [واحتجّ القائلون بتحريم لحوم الخيل بهذه الآية قالوا : منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب، ولو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكر، علم تحريمه، ولأنه تعالى قال في صفة الأنعام ﴿ ومنها تأكلون ﴾ والتقديم يفيد الحصر، ثم قرن بعده الخيل مع البغال والحمير، وذكر أنها مخلوقة للركوب والزيبة، ولأن قوله ﴿لتركبوها﴾ يقتضي أن يكون تمام المقصود من خلق هذه الأشياء هو الركوب والزينة، ولو حلّ أكلها، لم يكن تمام المقصود من خلقها الركوب والزينة]، وقال : أجاب الواحدي بجواب حسن قا ل: لو دلتّ الآية على تحريم أكل هذه الحيوانات،

---

(١) الإنتصاف للشيخ أحمد بن المنير المحشي للزمخشري.٢/٥٩٥.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ الآية ٨ من سورة النحل، قال (ز) : قوله تعالى : ﴿ والخيل والبغال والحمير ﴾ عطفٌ على الأنعام و ﴿الأنعام﴾ منصوب على الاشتغال، لأن عامله وهو ﴿خلق﴾ اشتغل عنه بالضمير، فنصب بفعل مقدر وجوباً يفسره ﴿خلق﴾ المذكور، على حد قول ابن مالك في الخلاصة :

** فالسابق انصبه يفعل أضمرا ** حتماً موافق لما قد أظهراً **

(٣) المفردات للراغب ١٦٢ مادة (خيل).

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢٢٩/١٩.

لكان هذا التحريم معلوماً في مكّة، لأن السورة مكية، ولو كان كذلك، لكان قول عامة المفسرين والمحدّثين أن لحوم الحمر الأهلية حرّم عام خيبر غير صحيح، لأن التحريم لما كان حاصلاً قبل يوم خيبر، لم يبق لتخصيصه بذلك اليوم فائدة، ويعضّده ما روينا عن الترمذي وأبي داود وابن ماجه عن المقداد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته[1] يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ألا لا يحل لكم الحمار الأهليّ ولا أكل ذي ناب من السباع[2] ، والحديث صرّح أن الحمار ما حرّم بالكتاب، بل بالسنة. وقال محي السنة[3] : [واحتج بهذه الآية من حرّم لحوم الخيل، وهو قول ابن عباس، وتلا هذه الآية فقال : هذه للركوب، وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة، وذهب جماعة إلى إباحتها، وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، ومن أباحها قال : ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم، بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه، وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته، واحتجوا بما روى جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل[4]] أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والدارمي وابن ماجه،

---

(١) (الأريكة) السرير في الحجلة من دونه سِتْر، ولا يسمّى منفرداً أريكة، النهاية في غريب الحديث ١/٤٠ مادة (أراك).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده بهذا اللفظ من حديث المقداد بن معد يكرب الكندي ٤/١٣٠، ١٣١. وأبوداود برقم ٤٦٠٤ كتاب السنة، باب في لزوم السنة. والترمذي برقم ٢٦٦٤. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه ٦/١ برقم ١٢ في المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضة، كلهم من طريق المقداد بن معد يكرب، ومن طريق عبيد الله بن أبي رافع يحدث به عن أبيه اسمه أسلم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرجه الشافعي في الرسالة ٢٩٥ وإسناده صحيح.

(٣) محي السنة البغوي في تفسيره ١٠/٧.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الصيد والذبائح، باب لحوم الخيل ٦٤٨/٩. ومسلم كتاب الصيد والذبائح، باب في أكل لحوم الخيل برقم ١٩٤١. وأبو داود في سننه ٣٥١/٣ كتاب الأطعمة، باب في أكل لحوم الخيل برقم ٣٧٨٨، ٣٧٨٩. والنسائي في المجتبى من السنن ٢٠٢/٧ كتاب الصيد والذبائح، باب

والتحقيق هذا، وبيانه أنه سبحانه وتعالى لما نهى المشركين عن استعجال نزول العذاب استهزاء بقوله ﴿ أتى أمر ا لله فلا تستعجلوه ﴾ كأنه ما التفت إلى استهزائهم واخرج الكلام على الأسلوب الحكيم أي : لم تستعجلون بنزول ما يُرْديكم ويستأصلكم ؟، فهلا تنتفعون بنزول ما ينجيكم، وينجيكم منه، وهو هذا القرآن الذي بمثابة الروح لحياة القلوب الميتة، وهذا الرسول الكريم وبالمؤمنين رءوف رحيم يدعوكم إلى التوحيد والتقوى، ويبصّركم الدلائل الدالة على وحدانيته لئلا تشركوا به شيئاً، وينبّهكم على النعم السابقة التي توجب أن تشكروه وتعبدوه من دلائل الآفاق والأنفس وما خلق لكم من الأنعام وغيرها لانتفاعكم بها بالأكل والركوب وجرّ الأثقال والزينة على ما أَلِفتم واتّخذتم شعاراً لأنفسكم وافْتخرتم بها، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ وأما الجواب عن قولهم: لو كان أكل لحوم الخيل جائزاً لكان هذا المعنى أولى بالذكر ؟، فقد أشار إليه القاضي[1] بأن قال : [لا دليل فيه، إذا لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد به غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً]، وأما الجواب عن الحصر بتقديم معمول ﴿يأكلون﴾، فهو النظر إلى رعاية الفواصل لا غير، كما سبق هذا، ولو فهم الصحابة رضوان ا لله عليهم من هذه الآيات غير ما هي عليه من بيان الإمتنان، لم يكن فعلهم يوم خيبر رشداً، على ما روينا في صحيح البخاري عن البراء بن عازب وعبد ا لله بن أبي أوفى: (أنهم كانوا مع النبي صلى ا لله عليه وسلم، فأصابوا حمراً فطبخوها فنادى منادي رسول ا لله صلى عليه وسلم، اكفؤا القدور)[2] . فإن قلت : لم لا يجوز أن يستنبط التحريم على

تحريم أكل لحوم الخمر برقم ٣٠. وابن ماجه ١٠٦٦/٢ كتاب الذبائح، باب لحوم الخيل والبغال برقم ٣١٩٨. والدارمي ١١٩/٢ باب في أكل لحوم الخيل برقم ١٩٩٣ . والترمذي في سننه ٢٢٣/٤ كتاب الأطعمة، باب في أكل لحوم البغال برقم ١٧٩٣ . والدارقطني ٢٨٧/٤ كتاب الصيد والذبائح والأطعمة ٦٠، ٦١ . وأحمد في مسنده ٨٩/٤. وشرح السنة للبغوي ٢٥٤/١١ كلهم من حديث جابر رضي ا لله عنه.

(١) القاضي البيضاوي ١٧٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٨١/٧ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، الحديث رقم ٤٢٢١، ٤٢٢٢ من حديث البراء بن عازب وعبد ا لله بن أبي أوفى. وكذلك الحديث رقم ٤٢٢٣، ٤٢٢٤ وفي الذبائح ٥٥٢٥ باب تحريم أكل لحم الحمر الأهلية . ومسلم برقم ١٩٣٨ كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم

طريقة إشارة النص؟. قلت : إشارة النص من الدلائل الدقيقة اللطيفة المستخرجة من الأحكام، والكلام مسوق للامتنان، كما سبق. نعم فيه إشارة إلى جل الغرض فيها، ومعظم الإنتفاع منها ما ذكر من الركوب والزينة، وأما التحريم فلا، ولا بدّ من دليل منفصل للتحريم والتحليل، والدليل من جانبنا ولولا أن ورود الآية للامتنان بحسب ما ألفوا واعتادوا لم يذكر الزينة أصلاً، وكيف ذلك وقد ورد النهي عنها على ما روينا عن البخاري ومسلم ومالك وأبي داود والنساء عن أبي هريرة في حديث طويل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الخيل ثلاثة : هي لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله)، وساق الحديث إلى قوله : (ورجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها، فهي لذلك الرجل ستر، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء على أهل الإسلام، فهي على ذلك وزر الحديث[1] .

قوله : ((ما ذكره في الأنعام)) أي : في شأن الأنعام وهو قوله تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾.

قوله : ((وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق))[2] يعني : يكفي في شرط حذف اللام أن يكون مصدراً وفعلاً لفاعل الفعل المعلل، وفيه دليل على أن المقارنة ليست بشرط قال صاحب التحبير: المقارنة ليست بشرط، بدليل قوله : وزينة قرينة منصوب بمعنى اللام، ولم تكن موجودة وقت الخلق، فالمعنى بالمقارنة أن لا يكون

أكل لحم الحمر الإنسية. والنسائي ٢٣٠/٧ كتاب الصيد، باب أكل لحم الحمر الأهلية. وصحيح ابن حبان ٨٢/٢ . وابن ماجه برقم ٣١٩٤ كتاب الذبائح، باب لحوم الحمر الوحشية. وأحمد في مسنده ٢٩١/٤ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١) تقدم تخريجه في سورة الحجر عند قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ... الآية﴾.

(٢) قول (ز) عند قوله ﴿وزينة﴾ فإن قلت : لم انتصب ﴿وزينة﴾ قلت : لأنه مفعول له، وهو معطوف على محل ﴿لتركبوها﴾، فإن قلت : فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد، قلت : لأن الركوب فعل المخاطبين ((وأما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق)) يعني بسنن واحد، بأن يقول : لتركبوها ولتتزينوا بها، والجواب قوله : لأن الركوب فعل المخاطبين ... الخ. انظر رغائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري لعالم الدين الحسن بن محمد ابن الحسين ألقمي النيسابوري ٤٨/١٤.

متقدّماً، ولا بأس بالتأخر، نحو شربت الدواء إصلاحاً للبدن والصلاح متأخر غير واقع عند الشرب وقال السجاوندي في شرح المفصل ولا بدّ من أن يكون المصدر واقعاً بعد الفعل . وقال صاحب الإنتصاف(١) : [والجواب القوى أن الركوب هو المقصود الأصلي من هذه الأشياء والتزيين تابع، فاقترن المقصود باللام الصريحة لأنه أهمّ الغرضين، وحذفت من الزينة لأنها تبع]، وكذا عن القاضي(٢) .

قوله : ((وخلقها زينة لتركبوها)) أي : خلق بمعنى جعل وزينة ثاني مفعوليه.

قوله : ((ولذلك أضاف)) يعني : دلّت الإضافة.

وقوله : ((ومنها جائر))(٣) على أن المراد بالسبيل الجنسي، وهو من إضافة الخاص إلى العام، ونحوه خاتم الفضة، سحق الثوب، لأن السبيل إما مستقيم وهو المارد من القصد، وإما معوجّ وهو الجائر. وقال أبو البقاء(٤) : [وقصد مصدر، بمعنى إقامة السبيل أو تعديل السبيل، وليس مصدر قصدته بمعنى أتيته].

قوله : ((كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك)) وهو من باب طريق سائر ونهرٍ جارٍ.

---

(١) الإمام أحمد بن المنير، حاشية الكشاف ٣٢٣/٢.

(٢) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٧٦/٣ والفخر الرازي ٢٣٠/١٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾ الآية ٩ من سورة النحل . قال (ز) : المراد بالسبيل الجنس، ولذا أضاف إليه القصد، وقال ((ومنها جائر)) والقصد مصدر بمعنى الفاعل، وهو القاصد، يقال : سبيل قصد وقاصد اي مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومن هذا المعنى قول امرئ القيس :

** ومن الطريق جائر وهدى ** قصد السبيل ومنه ذو دخل **

(٤) أبو البقاء ٧٨/٢.

قوله : ((ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة(١) لقيل وعليه جائرها)) قال الإمام(٢) : [أجاب أصحابنا عنه بأن المراد على الله بحسب الفضل والكرم بيان الدين الحق، والمذهب الصحيح، فأما بيان كيفية الإغواء والإضلال فذاك غير واجب] وقلت : ويجوز أن يكون التقدير على الله بيان استقامة الطريق بالآيات والبراهين على سبيل التّفضّل والكرم، وبيان اعوجاج الطريق، فمنها مستقيم كطريق الإسلام ليهتدوا بها، ومنها جائر كطريق سائر الأمم الضالة ليتجنّبوا منها(٣) ، فاختصر على تقدير اللف(٤) والنشر التقديري، وإضافة طريق الحق دون الجائر إلى الله تعالى على أسلوب قوله تعالى : ﴿ أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ﴾(٥) .

وقوله : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾(٦) ويعضّد ما ذكرنا من أن على الله تمييز الطريقين وبيان السبيلين تفضلا قول محيي السنة(٧) : [وعلى الله قصد السبيل

---

(١) الجبرية : طائفة تقول : إن العبد مجبور على الأفعال، ولا دخل للعبد فيها بتاتاً وهم الجهمية، والأشعرية تثبت للعبد كسباً . انظر التعريفات للجرجاني ٨٤ . ومذهب المعتزلة : وجوب الطريق الموصل إلى الحق على الله تعالى، ولا وجوب على الله تعالى عند أهل السنة، بل ذلك فضل منه تعالى، لكن الكريم ينجز الوعد بالخير في صورة الواجب، وهو لا يجب عليه.

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٩/٢٣٢.

(٣) ويشهد لهذا المعنى وأنه تعالى بين طريق الحق على ألسنة رسله في قوله تعالى في سورة النساء الآية ١٦٥ ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقوله في سورة الإسراء الآية ١٥ ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ وقوله تعالى في سورة المائدة الآية ٢٢ : ﴿إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقوله تعالى في سورة الإنسان الآية ٣ : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ وقوله تعالى في سورة البلد الآية ٨-١٠ : ﴿ ألم نجعل له عينين . ولساناً وشفتين . وهديناه النجدين ﴾ وهناك معنى آخر، وهو أن معنى قوله : ﴿ وعلى الله قصد السبيل﴾ أن طريق الحق التي قصد السبيل إلى الله، أي موصلة إليه، ليست حائدة، ولا جائرة عن الوصول إليه، وإلى مرضاته، ﴿ ومنها جائر ﴾ إي : ومن الطريق جائر لا يصل إلى الله، بل هو زائغ وحائد عن الوصول إليه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٣: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وقوله في سورة يس الآية ٦١ ﴿ وأن اعبدون هذا صراط مستقيم ﴾.

(٤) في م (على طريقة) اللف، وهو الصواب.

(٥) سورة الفاتحة الآية ٦.

(٦) سورة الشعراء الآية ٨٠.

(٧) محي السنة البغوي في تفسيره ٥/١١.

يعني بيان طريق الهدى من الضلالة، فالقصد من السبيل دين الإسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر، قال في الإنتصاف[1] : [أين يذهب الزمخشري عن تتمتها ﴿ ولو شاء لهداكم أجمعين ﴾، ولو كان بزعم القدرية : لقال فقد هديناكم أجمعين : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾[2] ففسروها بالقسر والإلجاء وحرفوا الكلم عن مواضعه وأما المخالفة بين الأسلوبين، فلإقامة حجة الله على الخلق، وأنه بيّن السبيل القاصد والجائر، وهدى قوماً اختاروا الهدى، وأضلّ قوماً اختاروا الضلال، وقد علم أن للفعل اعتبارين، فإضافته إلى الله تعالى باعتبار خلقه له وإضافته إلى العبد باعتبار اختياره له[3].

قوله : ((جائر جار عن القصد))، الراغب[4] : [الجار : من يقرب سكنه منك من الأسماء المتضايفة، ولما استعظم حقّ الجار شرعاً وعقلاً عبّر عن كل من يعظم حقه او يستعظم حق غيره بالجار . قال تعالى : ﴿ والجار ذي القربى ﴾[5] ويقال : استجرت فلاناً فأجارني، ﴿ وقال إني جار لكم ﴾[6] وقال : ﴿ وهو يجير ولا يجار عليه ﴾[7] ، وباعتبار القرب، قيل : جار عن الطريق، ثم جعل ذلك أصلاً في العدول عن كل حق، فبنى منه الجور. قال تعالى : ﴿ ومنها جائر ﴾ أي : عادل عن المحجّة].

---

(1) لابن المنير، حاشية الزمخشري ٢/٥٩٦.

(2) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(3) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويشهد لذلك قوله : ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾.

(4) الراغب في المفردات ١٠٣.

(5) سورة النساء الآية ٣٦.

(6) سورة الأنفال الآية ٤٨.

(7) سورة المؤمنون الآية ٨٨.

قوله : ((والشراب ما يشرب))[1] عن بعضهم[2] : [الشرب تناول كل مائعٍ، ماءً كان أو غيره والشَّرِيبُ المشَارِبُ والشَّراب].

قوله : [وفي حديث عكرمة : لا تأكلوا ثمنُ الشجر][3] يعني : الكلأ، النهاية[4] : وفي الحديث (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ)[5] النبات، والعشب سواء رطبة أو يابسة، ومعناه : أن البئر تكون في البادية ويكون قريباً منه الكلأ، فإذا ورد عليها وارد، فغلب على مائها، ومنع من يأتي بعده من الإستقاء منها فهو يمنعه الماء، مانع من الكلأ، لأنه متى ورد عليه رجل بإبله فأرعاها ذلك الكلأ، ثم لم يسقها قتلها العطش، فالذي يمنع ماء البئر يمنع النبات القريب منه، وقال الزجاج[6] : [كل ما نبت من الأرض فهو شجر، قال الراجز [7] :

** نعلفها اللحم إذا عزّ الشجر ** والخيل في إطعامها اللحم ضرر **]

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ الآية ١٠ من سورة النحل . وقول (ز) : ((والشراب ما يشرب)).

(2) ذكر ذلك الراغب في مفرداته ٢٥٧ مادة (شرب).

(3) أخرجه أبو عبيد في الأحوال عنه موقوفاً، وزاد نحوه، وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن منبّه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا السحت، قالوا : وما السحت؟ . قال : بيع الشجر وثمن الخمر وإجارة الأمة المساحقة. تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٥٩٧ المسمى الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف.

(4) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٩٤/٤.

(5) أخرجه البخاري برقم ٢٣٥٣ كتاب الأشربة، باب من قال : إن صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى. وأيضاً برقم ٦٩٦٢ كتاب الحيل، باب ما يكره من الإحتال. ومسلم برقم ١٥٦٦ كتاب المساقاة، باب تحريم فضل بيع الماء الذي يكون بالفلاة . وأحمد في المسند ٢٤٤/٢، ٢٧٣ ، ٣٠٩ ، ٤٨٢ . والبيهقي ١٥١/٦ . والبغوي برقم ١٦٦٨. وابن ماجه برقم ٢٤٧٨ كتاب الرهون، باب النهي عن بيع فضل الماء ليمنع به الكلأ . والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٣٣٠/١١ . والترمذي برقم ١٢٧٢ كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع فضل الماء.

(6) الزجاج ١٩٢/٣ في كتابه معاني القران.

(7) الراجز نمر بن تولب العكلي، أحد بني عدي بن عوف بن عبد منات بن أدّ، وهو مُخْضرم، كان جواداً شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق، وعمّر طويلاً . انظر طبقات الشعراء للجمحي محمد بن سلام ٦٨-٦٩. وقبل البيت :

** إنا أتيناك وقد طال السفر ** نقود خيلاً ضمرا فيها صعر **

قوله : ((ينبت : بالياء والنون)) وبالنون أبوبكر[1] .

قوله : ((لأن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة))[2] أي : إنما قيل ﴿من كل﴾ بزيادة (من) التبعيضية، يدلّ على أن كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة، وإنما أنبت في الأرض بعضٌ من كلها.

قوله : ((بعضٌ من كلّها للتذكرة)) أي : إذا رأوا ما في الجنة من الثمرات ذكروا ما في الدنيا ليعلموا التّفاوت، كما ذكر في أول البقرة في قوله تعالى : ﴿ وأتوا به متشابها ﴾[3] ، [4] .

قوله : ((على، وجعل النجوم مسخرات))[5] أي : يجعل ناصب النجوم مضمراً وهو جعل، ومسخرات ثاني مفعولَيه، والجملة معطوفة على جملة قوله : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ﴾، ولا يجوز على هذا أن يعطف على المنصوبات بـ﴿سخّر﴾، وهي ﴿الليل والنهار والشمس و القمر﴾، لأن

---

(1) قرأ (ينبت) بالنون أبو بكر، والباقون بياء الغيبة (ينبت) . انظر حجة القراآت لابن زنجلة ٣٨٦ والإتحاف ٢٧٧.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن كل الثمرات ﴾ .

(3) سورة البقرة الآية ٢٥.

(4) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة السجدة الآية ٣٧ : ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾، وقوله في سورة ق الآية ٩ : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحبّ الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد ... الآية﴾، وقوله في سورة النبأ الآية ١٤ : ﴿ وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً . لنخرج به حبّا ونباتاً . وجنات ألفافاً ﴾، وقوله في سورة البقرة الآية ٢٢ : ﴿ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ﴾.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ الآية ١٢ من سورة النحل. قال (ز) : قرئت كلها بالنصب عطف ((على : ﴿وجعل النجوم مسخرات﴾)).

﴿مسخرات بأمره﴾ حينئذ حال من المذكورات[1] ، وقيل : للفعل، فكان المعنى : سخر هذه الأشياء في حال كونها مسخرات بأمره، فهو خلق نعم، يجوز أن يستعار سخر لكم لقوله : نفعكم، لأن الغرض من تسخيرها النفع، فكأنه قيل : ونفعكم بها في حال كونها مسخّرات لما خلقت له.

قوله : ((إنه سخرها أنواعاً من التسخير))، أي : جعل مسخرات مفعولاً مطلقاً على تأويل مسخّر بمعنى التسخير، وإنما جمع لإرادة الأنواع.

قوله : ((وقري[2] ﴿والنجوم مسخراتٌ﴾ بالرفع (بالرفع وما قبله بالنصب ابن عامر ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات﴾ بالرفع في الأربعة، وحفص موقع ﴿والنجوم مسخرات﴾ فقط)[3] والباقون بالنصب، القاضي[4] : [هذا على الإبتداء والخبر، فيكون تعميماً للحكم بعد تخصيص].

قوله : ((لأن الآثار العلوية أظهر دلالة))[5] من السفلية، يعني : حين ذكر الآثار السفلية أفرد الآية، وذكر التفكر[6] ، وحين ذكر العلوية جَمَعها، وذَكر العقل، وذلك أن الآثار السفلية مخفية، فتحتاج إلى إمعان النظر، ودقة الفكر، والآثار العلوية تدلّ في بدو العقل، وهي مع ذلك متشعّبة، وفيها أنواع من الدلالات.

---

(١) على قراءة النصب أنها حال مؤكدة لعاملها، والعامل ما في سخر من معنى (نفع) أي : نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء. انظر أبو السعود ١٠٢/٣.

(٢) قرأ ابن عامر : ﴿ والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ ﴾ كله بالرفع، وقرأ حفص عن عاصم : ﴿والشمسَ والقمرَ﴾ بالنصب، ﴿والنجومُ مسخراتٌ﴾ بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب في الجميع. انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٣، والسبعة لابن مجاهد ٣٧٠.

(٣) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٤) القاضي البيضاوي ١٧٧/٣ يعني أن حفصاً قرأ : ﴿ والنجوم مسخراتٌ ﴾ على الإبتداء والخبر ... الخ.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ قال (ز) : جمع الآية وذكر العقل ((لأن الآثار العلوية أظهر دلالة)) على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

(٦) يعني قوله تعالى : ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون ﴾.

قوله : ((ووصفه بالطراءة، لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله))[1]، الراغب[2] : [طرياً غضّاً من الطراء والطراوة، يقال : طَرَّيت كذا فطَرى، ومنه : المُطَرَّاةُ من الثياب، والإطراء مدح يـجَدَّدُ ذكره : وطرأ بالهمزة طلع]، الإنتصاف[3] : [وفيه إرشاد إلى أنه لا ينبغي أن يتناول إلا طرياً، فقد قال الأطباء : أكله بعد ذهاب طراوته من أضرّ ما يكون].

قوله : ((ما بال))[4] قيل ((ما)) مبتدأ و ((بال)) خبره، و((قالوا)) حال من الفقهاء، لإنه في المعنى فاعل، لأن قولك : ما بالك ما تصنع نحو ما شأنك.

قوله : ((لأنهن إنما يتزيّن بها من أجلهم، فكأنها زينتهم ولباسهم))[5] ، الانتصاف : [لله در مالك حين جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له من مالها، وهو مقدار الثلث فحقه فيه بالتّجمل][6] ، وفي هذه الآية جعل حظ المرأة من زينتها للزوج، فجعل لباسها لباسه إذا ركب السفينة.

قوله : ((بحيزومها))[7] أي : السفينة، [والحيزوم : وسط الصدر، وما يضم عليه الحزام][8] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا ن فضله ولعلكم تشكرون ﴾ الآية ١٤ من سورة النحل . وقال (ز) في قوله: ﴿لحماً طرياً﴾ : هو السمك ((ووصفه بالطراءة ... الخ)).

(٢) الراغب في مفرداته ٣٠٣.

(٣) الانتصاف لابن المنير أحمد، حاشية الكشاف ٥٩٨/٢.

(٤) إعراب لكلام (ز) حيث قال : ((فإن قيل : ما بال الفقهاء؟ قالوا)) : إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً، فأكل سمكاً لم يحنث، والله تعالى سماه (لحماً).

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿حليه) قال (ز) : هي اللؤلؤ والمرجان، والمراد بلبسهم : لبس نسائهم، لأنهن من جملتهم ((ولأنهن إنما يتزين بها ... الخ)).

(٦) قال خليل بن إسحاق المالكي في باب الحجر : (وعلى الزوجة لزوجها ولو عبداً في تبرع زاد على ثلثها) قال شارحه : ويحجر على الزوجة الحرة الرشيدة لزوجها البالغ الرشيد لحقه في التجمل بمالها الخ.

(٧) تفسير قوله : ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾ قال (ز) : ﴿المخر﴾ شق الماء ((بحيزومها)).

(٨) الصحاح للجوهري ١٨٩٩/٥ مادة (حزم).

قوله : ((المائد الذي يدار به))[1] أي الشخص الذي يدور رأسه، الأساس : [والدهر بالإنسان دوّاريّ يَدُورُ بأحواله المختلفة][2]، قال القاضي[3] : [قبل[4] أن تَخلق فيها الجبال كانت كالكرة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب، فلما خلق عليها الجبال تفاوتت جوانبها، وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز، فصارت كالأوتاد التي تمنعها من الحركة].

قوله : ((لأن ألقى فيه معنى جعل))[5] يعني : لا يقال : ألقى فيها أنهاراً لكن لما تضمن ﴿ألقى﴾ معنى جعل، صحّ عطف ﴿أنهارا﴾ على ﴿رواسي﴾، قلت : ويجوز ﴿أنهار﴾أن يكون من باب قوله : علّفْتُها تبناً وماءً بارداً[6] ، أي : وأجرى فيها أنهاراً.

قوله : ((والمراد بالنجم الجنس))[7] ، الراغب[8] : [أصل النجم الكوكب الطالع، وجمعه نجوم ونجم طلع نجماً ونجوماً، فصار النجم مرة اسماً ومرة مصدرا، ومنه شُبِّه به طلوع النبات والرّأيُ، فقيل : نجم النبت والقرن، ونجم لي رأىٌ نجماً ونجوماً، ونجم فلان على السلطان صار عاصياً، ونجّمت المال عليه إذا وزّعته، كأنك فرضت أن يَدْفع عند طلوع كل نجم نصيباً، ثم صار متعارفا في تقدير دفعه بأي شيء قدرت ذلك].

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ﴾ الآية ١٥ من سورة النحل . قال (ز) في قوله : ﴿ أن تميد بكم ﴾ : كراهة أن تميل بكم وتضطرب ((والمائد الذي يدار به)) إذا ركب البحر.

(2) الأساس : والفلك دوار، والدهر بالإنسان ... الخ ١٩٨ مادة (دور).

(3) القاضي البيضاوي في الأسرار، قال : إن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال ... الخ ١٧٨/٣.

(4) في م (إن الأرض) قبل، وهو الصواب.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وألقى ﴾ قال (ز) : ((لأن ألقى فيه معنى جعل)).

(6) وعجزه :

** حتى شتت همّالة عيناها ** لم يعرف قائله. وذكره اللسان. مادة (علف).

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ الآية ١٦ من سورة النحل. قال (ز) : ﴿وعلامات﴾ هي معالم الطريق، وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك، ((والمراد بالنجوم الجنس)).

(8) الراغب في مفرداته ٤٨٣ مادة (نجم).

قوله : ((هو الثريا والفرقدان وبنات نعش . الثريا : هي أنجم ستة منتظمة تشبه عنقود الكرم. والفرقدان : نجمان متوقدان من نجوم البنات. والجدي : نجم عند القطب تعرف به القبلة، المغرب[1] : [يقال : كوكب القبلة : جَدْي الفَرْقَد، بفتح الجيم وسكون الدال، ومنه قول ابن المبارك[2] في تحرّي القبلة : أهل الكوفة يجعلون الجَدْيَ خلف القفا. والمنجّمون يسمونه الجُدَيّ، على التصغير، فَرْقاً بينه وبين البُرُج].

قوله : ((وقرأ الحسن بضمتين، قال ابن جني[3] : [قرأ الحسن وبالنُّجُم، وقرأ يحي وبالنُّجْمِ بضم النون وسكون الجيم، النجم : جمع نجم ومثله مما كُسِّرَ من فَعْل على فُعُلٍ سَقْفٍ وسُقُفٍ ورَهْنٍ ورُهُنٍ، وإن شئت أراد النجوم فقصر الكلمة فحذف واوها، ومثله من المقصور من فُعُول قول أبي بكر في أسُدٍ إنه مقصور من أسُودٍ فصار أسُداً ثم أُسكن].

قوله : ((﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ مخرّج عن سنن الخطاب)) يعني: أن هذا التركيب مشتمل على خواص فنّ المعاني بالمسند إليه، أحدها : أن الآيات السابقة من لدن فاتحة السورة إلى ههنا واردة على سنن الخطاب، فما بال هذه أخرجت عن الخطاب إلى الغيبة، وثانيها : فيه تقديم المجرور وهو ﴿وبالنجم﴾ على عامله، وهو ﴿يهتدون﴾، وثالثها : توكيد التركيب بقوله : ﴿هم﴾ فدلّ تلون الخطاب على امتياز هؤلاء عن السابق ذكرهم. ودلّ تقديم ﴿بالنجم﴾ على اختصاص هولاء بالإهتداء بالنجم دون غيرها مما يهتدى به، ودلّ التوكيد بإقحام ﴿هم﴾ على اختصاصهم بهذه

---

(1) المغرب ١٣٥/١ مادة (جدي).

(2) ابن المبارك عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة الأعلام، روى عن حميد الطويل وغيره، وعنه معمر وسفيان، قال ابن مهدي : الأئمة أربعة : مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد، وابن المبارك. انظر طبقات الحفاظ للسيوطي ١١٧، وتاريخ بغداد ١٥٢/١٠.

(3) قاله ابن جني في كتابه المحتسب في شواذ القراآت، قال : قرأ الحسن ﴿وبالنُّجُم﴾ ٨/٢، ومختصر شواذ القرآن لابن خالوية ٧٢ فقال ذلك أيضاً. وانظر البحر المحيط ٤٨٠/٥). وقرأ النخعي ومجاهد ﴿النجوم﴾ المرجع السابق، وقرأ يحي بن وثاب ﴿النُّجْم﴾ بضم النون وسكون الجيم . انظر المحتسب ٨/٢.

الهداية، دون غيرهم. وأجاب عن تلوين الخطاب بقوله : ((كأنه أراد قريشاً)) وعن التوكيد بقوله : ((كأن لهم اهتداء وبالنجوم في مسايرهم)) وعن التخصيص بقوله : ((وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم)) وقلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ ألقى في الأرض سبلاً ﴾ عام في أهل القرى والمدن والبوادي ﴿ لعلكم تهتدون﴾ إما أن يتعلق بأول الآية أو بقوله ﴿سبلاً﴾ ويكون ﴿لعل﴾ للتحقيق، وأما الاهتداء بالنجم فمختص بمن هو حاذق في سلوك البحر، والمَهَامِهُ[1] البيد التي لا منار لها ولا سبيل، وتقديم ﴿وبالنجم﴾ لأن معناه وبالنجم خصوصاً لا بغيره يهتدون، أو لمراعاة الفواصل وإقحام ﴿هم﴾ لتقوّي الحكم، والعدول إلى الغيبة للالتفات، والإيذان بأن هذا الإهتداء أغرب من الأول، والمعرض عنه أدخل في الكفران، والفاء في فكان الشكر للسببية وكذا في قوله : ((فخصصوا)).

قوله : ((المشاكلة بينه وبين من يخلق))[2] يعني جيء بمن الذي هو مختص بأولي العلم للجماد الذي هو أصنام، لأنها مصحوبة مع ذكر من يخلق، كقوله تعالى : ﴿جزاء سيئة سيئة مثلها﴾[3] .

قوله : ((لا أنها لو صحّت لهم هذه الأعضاء لصحّ أن يعبدوا)) يريد أن الآيتين من باب المبالغة والإلزام بالطريق الأولى لا لتصحيح العبودية للأصنام بحصول

---

(١) المهامة : جمع (مهمهة) والبيد : جمع بيداء.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ الآية ١٧ من سورة النحل. قال (ز) : فإن قلت : ﴿من لا يخلق﴾ أريد به الأصنام، فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم، قلت : فيه أوجه، أحدها: أنهم سموهم آلهة وعبدوها، فأجروها مجرى أولي العلم. والثاني : ((المشاكلة بينه وبين من يخلق)) . والثالث: أن يكون المعنى : أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بمن لا علم له. كقوله ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾ يعني : أن الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجلٌ وأيدٍ وآذان وقلوب، لأن هؤلاء أحياء وهم أموات فكيف تصحّ لهم العبادة ((لا أنها لو صحّت لهم هذه الأعضاء لصحّ أن يعبدوا)).

(٣) سور الشورى الآية ٤٠.

ماهو مفقود عنها موجود في الناس. الإنتصاف[1] : [الزمخشري يجزم على أن العباد يخلقون أفعالهم، فالمراد ظهور التفاوت بين من يخلق ومن لا يخلق منهم كالعاجزين والزمني حتى يثبت أن التفاوت بين ما لا يخلق كالأصنام أولى].

قوله : ((هو إلزام للذين عبدوا الأوثان)) وجه السؤال[2]: أن المشركين ما شبهوا الخالق بالأصنام حتى ينكر عليهم بقوله : ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾، وإنما شبّهوا الأصنام بالخالق، فكان حقّ الإلزام أن يقال : أفمن لا يخلق كمن يخلق. ووجه الجواب : أن وجه التشبيه إذا قرن بين الطرفين أعني المشبه والمشبه به، ويرجع التشبيه إلى التشابه، فيقال : وجه الخليفة كالقمر، والقمر كوجه الخليفة، والمشركون لما تعاملوا مع الأصنام بما ينبغي أن يعامل به الإله الحقّ من تسميتها بالآلهة، والتوجه بالعبادة إليها، فلم يبق عندهم فرق بينها وبينه، تعالى عما يفعل الظالمون علواً كبيراً، حصل التشابه، فقيل ما قيل، أو ذهب إلى التعكيس، لأن من حق المشبه أن يكون أحط من المشبه به فيما وقع فيه الشبه، فإذا قلب انعكس مزيداً للتقريع والتجهيل.

قوله : ((أتبع ذلك))[3] أي اتبع قوله : ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ ما عدّد أي جميع ما عدّد من أول السورة إلى ههنا من النعم، فقوله : ﴿ذلك﴾ مفعول أول، وقوله : ((ما عدّد)) مفعول ثاني، يعني لما عدّد النعم المتكاثرة، وأريد استيفاء جميع أقسامها وأنواعها، وكانت مما لا تنحصر بحسْب العادّ، ختم بجامع يحتويها كلّها تنبيهاً على أن وراء المذكورة مما لا يعدّ، كقوله تعالى : ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾.

---

(1) الانتصاف ٢/٥٩٩ .

(2) انظر البيضاوي وحاشيته ٣/١٧٢ فقد بين كلام الطيبي، وكذلك غرائب القرآن، ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ١٤/٥٦.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴾ الآية ١٨ من سورة النحل، قال (ز) : في قوله : ﴿ لا تحصوها ﴾ : لا تضبطوها عدَدًا، ولا تبلغه طاقتكم، فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر ((أتبع ذلك)) ما عدّد من نعمه، تنبيهاً على أن وراءها ما لا ينحصر.

قوله : ((﴿ إن ا لله لغفور رحيم ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم إلى آخره[١] ، فيه إشارة إلى أن التعليل بقوله : ﴿ إن ا لله لغفور رحيم ﴾ للتذييل، وفي قوله : ﴿وا لله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ إشعار بوجود تقصير في أداء شكر ما أولاهم من النعم، وذلك من مفهوم قوله : ﴿ وإن تعدوا نعمة ا لله لا تحصوها ﴾ يعني : أن إنعام ا لله لا نهاية لها، فإذاً لا يقدر أحد أن يقوم بحقها، كما هو حقها، وهو يقتضي سلب تلك النعمة، وإنزال النقمة بدلها، ﴿ وا لله غفور رحيم ﴾ يتجاوز عن التقصير عاجلاً، رحيم لا يقطع النعمة لكن لا بدّ أن يجازيكم آجلا على أعمالكم، لأنه يعلم ﴿ما تسرون وما تعلنون﴾، وفيه إشعار بأن تكليف ما لا يطاق جائز، لكن غير واقع من ا لله تعالى تكرّماً وتفضّلا.

قوله : ((ومعنى : ﴿ أموات غير أحياء ﴾ أنهم لو كانوا آلهة))[٢] يعني : كان يكفي أن يقال : هم أموات، فقرن بقوله : ﴿غير أحياء﴾ ليكون تعريضاً بالإله الحق في أنه حيّ لا يموت، فمن كان بعكسه لا يكون إلهاً.

قوله : ((وفيه دلالة)) أي في قوله : ﴿ وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ إدماج[٣] لمعنى أنه لا بد من البعث وأن البعث من لوازم التكليف، يعني من شأن المعبود أن يجازي عابده الذي كلفه على عبادته، وهو في الدنيا مفقود كما نشاهد في ظاهر الحال، فلا بدّ من دار الجزاء وبعث الخلق للثواب والعقاب، ثم إذا كان كذلك، لا بدّ للإله من العلم بالكائن الواجب، فنفى عنهم ذلك العلم لتنتفي إلـهيتهم ، وعليه قوله تعالى : ﴿ ذلكم ا لله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون . إليه مرجعكم جميعاً وعد ا لله

---

(١) وآخره يعني حيث تجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ الآية ٢٠، ٢١ من سورة النحل. وقال (ز) : ((ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة)) على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات.

(٣) الإدماج في اللغة : اللف، وإدخال الشيء بالشيء، وفي الإصطلاح : أن يضمن كلام سيق لمعنى مدحاً كان أو معنى آخر، وهو أعمّ من الإستتباع لشموله المدح وغيره، واختصاص الاستتباع بالمدح. التعريفات للجرجاني ٣٠.

حقا إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم ... ﴾[1]

قوله : ((ووجه آخر، هو : أن يكون المعنى)) عطف على قوله[2] : ((نفى عنهم خصايص الإلهية)).

قوله : ((وأنهم أموات)) أي : لا بدّ لهم من الموت غير أحياء غير باقية على حياتهم، اعلم أن المؤلف حين أثبت الموت للأصنام، كانت جمادات أول توكيده بقوله تعالى : ﴿ غير أحياء ﴾ بقوله : ((أنه غير جائز عليها الحياة))، تنبيهاً على أنها أقل من الحيوان دون النامي، لجواز إثبات الحياة لها حقيقة ومجازاً، وحين أثبته للملائكة وجعله مجازاً باعتبار ما يؤول، أكّده بما يناسبه من قوله : ((غير باقية على حياتهم))، كقوله تعالى : ﴿ إنك ميّت وإنهم ميتون ﴾[3] .

كقوله : ((يعني أنه قد ثبت بما تقدم))[4] فاعل (ثبت) ضمير يرجع إلى قوله تعالى: ﴿ إلـهكم إله واحد ﴾[5] فذلكة[6] لما سبق وإعادة للمدعي مجملاً بعد إقامة الحجة عليها مفصلاً، المعنى قد ثبت بالدلائل الدالة على أن الإلهية مختصة با لله، وأنه منفرد بالألوهية، وهو المعبود الحق، وإذا كان كذلك، فمن حقه أن

(١) سورة يونس الآية ٤.

(٢) يعني قول (ز) : في قوله تعالى : ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ وقرئ بالتاء ﴿تدعون﴾ وقرئ بالياء ﴿يدعون﴾ على البناء للمفعول ((نفى عنهم خصائص الإلهية)) بنفي كونهم خالقين، وأحياء لا يموتون.

(٣) سورة الزمر الآية ٣٠.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلـهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. لا جرم أن ا لله يعم ما يسرون وما يعلنون ﴾ الآية ٢٢، ٢٣ من سورة النحل. فقول (ز) في قوله : ﴿إلـهكم إله واحد﴾ : ((يعني أنه قد ثبت بما تقدم)) من إبطال أن تكون الإلهية لغيره، وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوحدانية، ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم، وأن قلوبهم منكرة للوحدانية، وهم مستكبرون عنها ((وعن الإقرار بها)).

(٥) واحد (يريد أن قوله ﴿إلـهكم إله واحد﴾) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٦) الفذلكة : مجمل ما فصّل وخلاصته. وهي محدثة . المعجم الوسيط ٦٧٨/٢.

يختصّ بالعبادة، وأن لا تنكر إلـهيته، وهـؤلاء عكسـوا واستمروا على شركهم وقلوبهم منكرة للوحدانية، فقوله : ((قد ثبت بما تقدم)) إلى أخر قوله : ((وعن الإقرار بها)) تفسير لقوله تعالى : ﴿ إلـهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بـالآخرة قلوبهم منكرة ﴾ فالفـاء[1] في قولـه : ((فكـان مـن نتيجـة)) هـي الفـاء في قولـه : ﴿ فالذين لا يؤمنون ﴾، ومجاز هذه الفاء، كمجاز اللام في قولـه : ﴿ فالتقطـه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾[2] .

قوله : ((وهم مستكبرون عنهـا وعـن الإقـرار بهـا)) الراغـب[3] : [الكِبْرُ والتَّكبُّر والاستكبار والكبرياء متقارب، فالكبر الحالة التي يتخصـص بها الإنسـان من إعجابه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظـم التكـبر التكبر علـى ا لله بالامتناع من قبول الحق والإذعـان لـه بالعبـادة. ويقـال : التكـبر علـى وجهـين : أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقـة وزائـدة علـى محاسـن غـيره، وعلى هذا وُصِف ا لله بالمتكبّر، فهو محمود، يؤيده قوله تعـالى : ﴿ سـأصرف عـن آياتي الذين يتكـبرون في الأرض بغـير الحـق ﴾[4] . وثانيهمـا : أن يكـون متكلفـاً لذلـك متشـبّعاً، وذلـك في وصـف عامـة النـاس، في قولـه تعـالى : ﴿ فبئـس مثـوى

---

(١) قال الألوسي : إن الفاء في قوله : ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾ للسببيه، كما في قولك : أحسنت إلى زيـد فإنـه أحسـن إليّ، لأن إصرارهـم على الإنكـار واستمرارهم على الإستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين القطعيـة على اختصـاص الإلهيـة بـه سبحانه وتعـالى، فكان من نتيجة ذلك إصرارهم على الإنكار، فإن الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجـزاء يـؤدي إلى قصـر النظر إلى العـاجل وعـدم الالتفـات إلى الدلائـل الموجـب لإنكـارهم والإستكبار عـن اتبـاع الرسـل . انظـره ١٢١/١٤.

(٢) سورة القصص الآية ٨.

(٣) الراغب ٤٢١ مادة (كبر).

(٤) سورة الأعراف الآية ١٤٦.

المتكبرين ﴾[1] . والإستكبار يقال على وجهين : أحدهما : أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيراً، وذلك متى كان على ما يجب وفي مكان يجب وفي زمان يجب فمحمود، والثاني : أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهو مذموم، وعليه قوله تعالى : ﴿ أبى واستكبر ﴾[2] وقال : ﴿ الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ إلى فرعون وملائة بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾[4] ، نبّه بقوله : ﴿ فاستكبروا ﴾ على إعجابهم بأنفسهم وتعظّمِهِمْ عن الإصغاء إليه، ونبّه بقوله : ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ أن الذي حملهم عليه هو ما قدموا من جرمهم، وأن ذلك كان دأبهم، والكبرياء الترفع عن الانقياد، وذلك لا يستحقه غير ا لله، قال تعالى : ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾[5]].

قوله : ((ويجوز أن يعمّ كل مستكبر)) يعني : أن قوله : ﴿المستكبرين﴾ إما من وضع المظهر موضع ضمير المشركين، ويراد بالاستكبار : الإستكبار عن التوحيد فقط، لقرائن المقام، والمراد منه من عرف الحق أيّاً كان واستكبر، وتعرف بالنّعمة فغمط وكفر، فيكون ﴿المستكبرين﴾ مطلقاً، على منوال : فلا يعطي ولا يمنع، ويدخل في هذا العامّ من سيق له الكلام دخولاً أولياً.

قوله : ((﴿ماذا﴾ منصوب[6] بـ﴿أنزل﴾ بمعنى : أي شيء أنزل)) قال صاحب الفرائد : الوجه أن يكون مرفوعاً بالإبتداء[7] بدليل قوله : ﴿ أساطير الأولين ﴾

---

(1) سورة النحل الآية ٢٩.

(2) سورة البقرة الآية ٣٤.

(3) سورة الأعراف الآية ٤٦.

(4) سورة الأعراف الآية ١٣٣.

(5) سورة الجاثية الآية ٣٧.

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين . ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ الآية ٢٤،٢٥ من سورة النحل. قال (ز): ﴿ماذا﴾ منصوب بـ﴿أنزل﴾.

(7) وعلى هذا فتكون (ذا) موصولة، و(ما) مبتدأ، وجملة (أنزل) صلة الموصول، والموصول وصلته خبر المبتدأ، ويحتمل أن يكون مجموعهما اسماً واحداً في محل نصب على أنه مفعول ﴿أنزل﴾ كما أشار له في الخلاصة بقوله :

** ومثل ماذا بعد ما استفهام ** أو من إذا لم تلغ في الكلام **

بالرفع، لأن جواب المرفوع مرفوع، وجواب المنصوب منصوب، ولم يقرأ أحد : ﴿أساطير الأولين﴾ بالنصب، وقال صاحب التقريب : [في كلام المصنف[1] نظر، إذ لا مقتضى للتقدير في أحدهما بما فيه صورة فعل، وهو ما ﴿يدعون﴾ وفي الآخر ﴿بالمنزل﴾، وأيضاً لم خالف بين لفظي الدعوى والإنزال في التقديرين مع أنه حمل الإنزال على السخرية؟. ويمكن أن يجاب عن الأول بأن الرفع أدلّ على ثبات الإنزال من النصب لأنه جملة اسميه، فقال فيه المنزل ﴿أساطير﴾، وفي النصب ما يدعون ﴿أساطير﴾، أو أن أنزل في النصب باق على فعليته فيقتضي في الجواب فعْلاً، ولم يمكن مطابقة الجواب السؤال مطلقاً، لأن ﴿أساطير﴾ مرفوع، فأتى بما فيه صورة فعل على الجملة، وهو ما يدعون و﴿أنزل﴾ في الرفع مقدر بمفرد، لأنه خبر أي شيء المنزل، فأتى في الجواب بما يجانسه، فقال : المنزل أساطير الأولين. تمّ كلامه]. وقلت : مدار المطابقة بين السؤال والجواب على موافقة السائل المجيب ومخالفته كما ذكره المصنف بعيد هذا في قوله : ﴿ ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً ﴾، إنما نصب هذا ورفع الأول للفصل بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، فالمجيب بقوله : أساطير الأولين ههنا المشركون قطعاً، وأما السائل فيحتمل أن يكون أيضاً منهم، كما قال : ((وهو كلام بعضهم)) وأن يكون من المسلمين أو الوافدين كما صرح بهما، والمجيب في تلك الآية ليس إلا المسلمون، فلذلك طابقوا في الجواب، فههنا على الأول، وهو أن يكون كلام بعضهم لبعض المطابقة اللازمة، فالوجه الرفع، وأن يجاب بقوله : المنزل أساطير، فيرد عليه السؤال الذي ذكره، وأجاب أنه من باب السخرية، وعلى الثاني والثالث

---

(1) يعني بالمصنف الزمخشري قال : إذا نصبت فمعنى ﴿أساطير الأولين﴾ ما تدعون نزوله أساطيرالأولين، وإذا رفعته فالمعنى : المنزل أساطير الأولين.

وعلى التقديرين، فقوله : ﴿أساطير الأولين﴾ بالرفع، ليس بجواب الكفار، وإلا لكان المعنى : الذي أنزل ربنا ﴿أساطير الأولين﴾ والكفار لا يقرون بالإنزال، فهو إذا كلام مستأنف، وذكر في دفع التناقض أنه على السخرية، كقوله : ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾.

قال ابن عطية : ﴿أساطير الأولين﴾ ليس بجواب عن السؤال، لأنهم لم يريدوا أنه نزل شيء، ولا أن ثم منزلا، ولكنهم ابتدءوا الخبر، بأن هذه أساطير الأولين، وإنما الجواب عن السؤال قول المؤمنين في الآية المستقلة : ﴿خيرا﴾، وقولهم : ﴿أساطير الأولين﴾ إنما هو جواب بالمعنى، فأما على السؤال وبحسبه فلا. ٣٩٨/٨

الموافقة بين السائل والمجيب مفقودة، فيجب الإختلاف، وهو ما قدره، ما تدّعون نزوله أساطير الأولين، فلا يرد عليه السؤال، ولهذا قال القاضي[1] : [وإنما سموه منزلاً على التهكم أو على الفرض، أي : على تقدير أنه منزل، فهو أساطير الأولين، لا بتحقيق فيه]، وتمام التحقيق في المسئلة ما ذكره ابن الحاجب[2] ، قال : [وذكر، أي : الزمخشري (فيماذا صنعت) وجهين، وقال : جواب أحدهما بالرفع والآخر بالنصب على ما ذكر، وهذا على سبيل الاختيار، وإلا فالوجهان جائزان في الوجهين، لأنه لو صرح بما يفسر به كل واحد منهما لجاز الوجهان، ثم المناسب في النصب أن يقدر الفعل المذكور فينصب به، وفي الرفع أن يقدر مبتدأ على حسب المعنى، ليطابق الجواب السؤال، وهذا كلّه إذا كان المجيب موافقاً للسائل في أحد جزئيه فيحذفه ويستغنى بدلالة كلام السائل عليه، مثل قوله : ما كتبت، وهو قد كتب. فيقول : مصحفاً أو شبهه، فأما إذا لم يكن موافقاً له في الفعل تعذر تقديره لإخلاله بالمعنى، إذ يفهم منه الإثبات، وهو غير مريد له، كما إذا قال له، وقد سمع صوتاً ظنّه ضرباً منه، فيقول : من ضربت؟. فيقول له القائل : هو صوت مناد، فالنصب ههنا لا يستقيم لأنه قاصد نفيه في المعنى مثبت لغيره، فهو يفسد المعنى، ومنه قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ﴾، فلو نصب ههنا لم يستقم، لأنهم ليسوا مقرّين بإنزال من ا لله، متعلّق بأساطير الأولين، بل منكرين الإنزال من ا لله مطلقاً، وقولهم : ﴿أساطير الأولين﴾ : نفي الإنزال، أي : هذا الذي يقول : إنه إنزال هو أساطير الأولين، فيفسد تقدير الفعل على هذا]، وقلت : ولهذا الأمر لما جعله من كلام بعضهم لبعض وطابق الجواب السؤال قال : هو على السخرية، ويجوز أن يقال : هو من أسلوب القول بالموجب على التهكم، كأنهم لما سألوا : ﴿ماذا أنزل ربكم؟﴾ أجابوا : المنزل أساطير الأولين، أي : هو منزل، لكن أساطير كما قال تعالى: ﴿ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن با لله ويؤمن للمؤمنين﴾[3] .

---

(١) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١٧٩/٣.

(٢) ذكره في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ٤٩٥/١.

(٣) سورة التوبة الآية ٦١.

قوله : ((لأن المضلّ والضّالّ شريكان))[1] تعليل لحمل المضل بعض أوزار الضّال، الذي هو سبب فيه، كأن ما يعمله الضالّ مشترك بينه وبين المضلّ، وهما متحاملان الوزر، وإليه ينظر قوله تعالى : ﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾[2] فإن استمتاع الناس بالجن دلالتهم إياهم على استيفاء اللذات والتمتع بالشهوات، واستمتاع الجن بالإنس اعترافهم بكونهم رؤساء متبوعين، وإليه أشار بقوله : ((هذا يضله وهذا يطاوعه))، وأما قوله ((بعض أوزار من ضلّ بضلالهم)) فمبنيّ على أن (من) في قوله : ﴿من أوزار الذين يضلونهم﴾ تبعيض[3] ، وأن المضلّ غير حامل كلّ أوزار الضال، وهذا غير مخالف لما روينا عن مسلم ومالك وأبي داود والترمذي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)[4] ، لأن المراد ببعض أوزار من ضل الذي بسبب المضلّ فيه، وكذلك الآثام في

(١) تفسير قوله : ﴿ ليحملوا أوزارهم ﴾ أي : قالوا ذلك إضلالاً للناس، وصداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحملوا أوزار ضلالهم ﴿كاملة﴾ ((وبعض أوزار من ضلّ بضلالهم)) وهو وزر الإضلال ((لأن المضِلّ والضالّ شريكان)) ((هذا يضله وهذا يطاوعه)).

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٨.

(٣) قال القرطبي : ﴿من﴾ لبيان الجنس، فهم يحملون مثل أوزار من أضلوهم كاملة، وأوضح تعالى هذا المعنى في سورة العنكبوت الآية ١٣ : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾. واللام في قوله ﴿ليحملوا﴾ تتعلق بمحذوف دلّ المقام عليه،أي : قدرنا عليهم أن يقولوا في القرآن :﴿ أساطير الأولين ﴾ ليحملوا أوزارهم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٧٤ كتاب العلم، باب لزوم السنة، عن يحي بن أيوب بهذا الإسناد. وأبوداود ٢٠١/٤ كتاب السنة، باب لزوم السنة برقم ٤٦٠٩. والترمذي ٤٢/٥ كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى برقم ٢٦٧٤ وقال : حديث حسن. والموطأ ٢١٨/١ كتاب القرآن، باب العمل في الدعاء برقم ٤١ مع اختلاف. وابن ماجه ٧٥/١ المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة. وأحمد في المسند ٣٩٧/٢. والبغوي في شرح السنة ٢٣٢/١ برقم ١٠٩. والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٣١٨/١ باب ذكر الحكم فيمن دعا إلى هدى . والبغوي في معالم التنزيل ١٥/٥، وذكر الحديث المذكور.

الحديث، وذهب أبو البقاء[1] إلى أن (من) زايدة على مذهب الأخفش[2] .

قوله : ((خرجت من البلد مخافة الشر))[3] ويجوز أن يكون اللام للصيرورة، قال القاضي[4] : [قالوا ذلك إضلالاً للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة، فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال، فعلى هذا اللام للصيرورة كقوله : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا ﴾[5] ، ويجوز أن يكون لام الأمر الذي هو الغيبة.

قوله : ((وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلّوه)) أي : إنما نسب البالغ إلى الضلال في قوله : ﴿ الذين يضلونهم ﴾، وأضيف الأوزار إليهم في قوله : ﴿ ومن أوزار الذين يضلونهم ﴾ أي : من أوزار الضالين، والحال أنهم غير عالمين بذلك لتقصيرهم، والواحدي جعل بغير علم حالاً من الفاعل[6] ، حيث قال : إنهم يفعلون ذلك جهلاً منهم بما كانوا يكسبون، ومثل أوزار من تبعهم، ثم ذمّ صنيعهم فقال : ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾، ويمكن أن يجعل حالاً منهما كما قال ابن جني في قوله تعالى : ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾[7] تحمله : يجوز أن يكون حالاً من كل واحد منهما، ومنهما معا، وهذا أنسب لاقتضاء المقام، ثم قول الواحدي : أنسب منهما، لأن التذييل بقوله : ﴿ ألا ساء ما يزرون ﴾ لا يحسن إلا على ذلك التقدير، وكذلك

---

(١) أبو البقاء في كتابه الإملاء ٢/٧٩ قال : ﴿ومن أوزار الذين﴾ أي : وأوزارا من أوزار الذين، وقال الأخفش : ﴿من﴾ زائدة.

(٢) الأخفش لعله الأخفش الأكبر، عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة، أبو الخطاب من كبار العلماء بالعربية، لقى الأعراب وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر تحت كلّ بيت، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله، وأخذ عنه سيبويه والكسائي ويونس وأبوعبيدة، مات سنة ١٧٧هـ. انظر طبقات اللغويين بغية الوعاة، ٢/٧٤.

(٣) متعلق بتفسير قوله : ﴿ ليحملوا أوزارهم ﴾ قال (ز) : ومعنى اللام التعليل من غير أن يكون غرضاً، كقولك : ((خرجت من البلد مخافة الشرّ)).

(٤) القاضي البيضاوي ٣/١٧٩.

(٥) سورة القصص الآية ٨.

(٦) انظر تفسير أبي السعود ٣/١٠٧ أي : يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال، أو حال من المفعول، أي : يضلون من لا يعلم أنهم ضلال.

(٧) سورة مريم الآية ٣٧.

قوله : ﴿ قد مكر الذين من قبلهم ﴾ وتعقيبه بقوله : ﴿ وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ ولأن الكلام وارد في ذمّ المشركين الذين اقتسموا مداخل مكة يضلّون الوافدين والمسلمين[1] ، فنجب المبالغة في ذمهم وتجهيلهم.

قوله : ((منصوبات))[2] قال المصنف : المنصوبة الحيلة، يقال : سوى فلان منصوبه، وفي الأصل صفة للشبكة أو الحبالة، فجرت مجرى الأسماء كالدابة والعجوز، وفي الكلام حذف، أي : هذا تمثيل حالهم في أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا، فجعل ا لله هلاكهم فيها، كحال قوم بنوا إلى آخره، وهو استعارة تمثيلية[3] ، لأن التشبيه إنما وقع في الحال والأمور المنتزعة، وعلى هذا كان من الواجب فيه مراعاة مفردات المعاني من الجانبين، وعلى ما قرره أخل في المشبه به معنى في المشبه، لأن من بنى بنياناً وعمده بالأساطين، لا يعمد فيه المكر كمن يسوي المنصوبات . نعم لو قدّر بأن بنى بناياناً ويسوي فيه شبه المنصوبات بلطائف الحيل، ويتخذ مادته ليكيد بها عدوه فينقلب عليه من حيث لا يشعر، ويسلم العدو، ونحو بناء نمرود الصرح، كما ذكر

---

(١) قال مقاتل والفراء : هم ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعقاب مكة وأنقابها وفجاجها، يقولون لمن سلكها : لا تغتزوا بهذا الخارج فينا يدعى النبوة، فإنه مجنون، وربما قالوا : ساحر، وربما قالوا : شاعر، وربما قالوا : كاهن، وسُمُّوا المقتسمين، لأنهم اقتسموا هذه الطرق، فأماتهم ا لله شرّ ميتة، وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد، فإذا سألوه عن النبي صلى ا لله عليه وسلم، قال : صدق أولئك . انظر القرطبي ٥٨/١٠، والنكت والعيون تفسير الماوردي ١٧٢/٣، والدر المنثور ٥٨/٥.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قد مكر الذين من قبلهم فأتى ا لله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ الآية ٢٦ من سورة النحل. قال (ز) : القواعد : أساطين البناء التي تعتمده، وقيل : الأساس، وهذا تمثيل، يعني : أنهم سوّوا ((منصوبات)) ليمكروا بها ا لله ورسوله، فجعل ا لله هلاكهم في تللك المنصوبات.

(٣) وهذه استعارة، لأن الإتيان هنا : لإيراد به الحضور من غيبة، ولا القرب من بعد، وإنما ذلك، كقول القائل : أتيت من جهة فلان، أي جاءني المكروه من قبله، وأُتي فلان من مأمنه، أي : ورد عليه الخوف من طريق الأمن، والضرّ من مكان النفع . انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ١٢٣.

والإستعارة التمثيليه تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

لصحّ، ولعله قصد ذلك، ولذلك استشهد بها، وفي ذكر لفظة فوق مع الإستغناء عنه ظاهراً، لأن خرور السقف لا يكون إلا من فوق، مزيد لتقرير التهويل.

قوله : ((فأتى البنيان)) أي خرب، الأساس[1] : [أتى عليهم الدهر أفناهم].

قوله : ((بنى الصرح)) الجوهري[2] : [الصرح القصر وكل بناء عال].

قوله : ((﴿من القواعد﴾ من جهة القواعد)) يشير إلى أن ﴿من﴾ ابتدائية، أي: نشأ تخريب بنيانهم من القواعد مبالغة[3] في الهدم، لأن المتعارف في التخريب الأخذ من السقف إلى أن ينتهي إلى القواعد، وكان أمرهم على العكس، وإليه الإشارة بقوله : ((بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف))[4] ، الجوهري[5] : [ضعضعه: أي: هدمه حتى الأرض، وتضعضعت أركانه : أي : اتّضعت].

قوله : ((هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة))[6] ، أي : العذاب الكامل، وهو الخزي والهوان، لدلالة (ثم) على التفاوت بين العذابين، وفيه أيضاً معنى التراخي في الزمان، كما هو موضوع (ثم)، فيجب أن يعتبر فيها معنى الكناية، وهو مطلق للعبد لا المجاز، لئلا يجتمع إرادة الحقيقة والمجاز معاً.

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري ص١١ مادة (أتى).

(٢) الصحاح للجوهري ١/٣٨١ مادة (صرح).

(٣) وهذا الذي فعل بهؤلاء الكفار الذين هم نمرود وقومه، فعل مثله أيضاً بغيرهم من الكفار، فأبطل ما كانوا يفعلون ويدبرون، كما في سورة الأعراف الآية ١٣٧ : ﴿ ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ وقوله في سورة الحشر الآية ٢ : ﴿ فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾.

(٤) تفسير قوله : ﴿ فأتى الله بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من فوقهم ... الآية ﴾ قال (ز): كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين ((بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف.

(٥) الجوهري في صحاحه ٣/١٢٥٠ مادة (ضعضع).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ﴾ الآية ٢٧ من سورة النحل. كما في قوله تعالى في سورة آل عمران الآية ١٩٢ : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ... الآية ﴾، وقوله في سورة التوبة الآية ٦٣: ﴿ فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ وقوله في سورة فصلت الآية ١٦ : ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ .

قوله : ((حكاية لإضافتهم))[1] بالرفع خبر ﴿شركائي﴾ على الحكاية، هو الصحيح، والنسخة الشائعة بالنصب، والمعنى على الأول : هذا القول حكاية لإضافتهم، يعني كانوا يقولون : هؤلاء شركاء ا لله، فحكى ا لله الإضافة على ما كانوا يضيفونه. وعلى الثاني : قال ا لله تعالى شركائي على الإضافة، حكاية، فهو إما حال أو مفعول له.

قوله : ((تشاقون فيهم تعادون)) الراغب[2] : [الشقاق المخالفة، وكونك في شقّ غير شقّ صاحبك أو من شَقّ العصا بينك وبينه، قال تعالى : ﴿ومن يشاقق ا لله ورسوله﴾[3] أي : صار في شق غير شق أوليائه، نحو : ﴿ ومن يحادد ا لله ﴾[4] ، ويقال : المال بينهما شق الشعرة وشق الأبْلَة[5] ، أي : مقسوم كقسمتهما.

قوله : ((وقرئ ﴿تشاقون﴾ بكسر النون))[6] قرأها نافع، يقولون ذلك أي : ﴿إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين﴾.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ الآية ٢٧ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿شركائي﴾ : على الإضافة إلى نفسه ((حكاية لإضافتهم)) ليوبخهم بها على طريق الإستهزاء بهم.

ومثل هذه الآية كثير في القران كقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ٢٢ : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ وقوله في سورة الشعراء الآية ٩٣ : ﴿ وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون ا لله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴾ وقوله في سورة غافر الآية ٧٤ : ﴿ ثم قيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون ا لله قالوا ضلوا عنا ... الآية ﴾.

(٢) الراغب في مفرداته ٢٦٤ مادة (شقّ).

(٣) سورة الأنفال الآية ١٣.

(٤) سورة التوبة الآية ٦٣.

(٥) الأبْلمة : الخوصة إذا أخذت فشقت طولاً انقسمت بنصفين، وهي مثلثة الهمزة واللام . النهاية ١٧/١ واللسان مادة (بلم).

(٦) قرأ نافع وحده ﴿تشاقون﴾ مكسورة النون خفيفة، والباقون بفتح النون . كتاب السبعة لابن مجاهد ٣٧١-٣٧٢، والحجة لابن زنجلة ٣٨٨.

قوله : ((من أممهم))[1] (من) ابتدائية، اي : من جهة أممهم، كما في ﴿من القواعد﴾، أي قال الأنبياء : من جهة أممهم المكذبة : ﴿ إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ شماتة بهم.

قوله : ((وقرئ يتوفاهم))[2] قرأ حمزة في الموضعين بالياء التحتاني والباقون بالتاء.

قوله : ((وقرئ ﴿الذين تتوفاهم﴾ بإدغام التاء في التاء))[3] قرأها البزي[4] .

قوله : ((وأخبتوا))[5] الجوهري[6] : [الإخبات الخشوع، يقال : أخبت لله، أي: تواضع]، وأصل الإلقاء في الأجسام فاستعمل في إظهارهم الانقياد إشعاراً بغاية خضوعهم استكانتهم، وأنها كالشيء الملقى بين يدي الغالب القاهر.

---

(١) تفسير قوله : ﴿ قال الذين أوتوا العلم ﴾ أي : هم الأنبياء والعلماء ((من أممهم)) الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ... الخ.

(٢) قرأ حمزة وخلف : ﴿ الذين يتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ والذي بعده : ﴿ الذين يتوفاهم الملائكة طيبين ﴾ بالياء في الحرفين، وقرأ الباقون : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ بالتاء في الحرفين. المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤ . واتحاف فضلاء البشر ٢٧٨.

(٣) قرأها بإدغام تاء المضارعة في التاء بعدها، وفي مصحف عبد الله بن مسعود بتاء واحدة في الموضعين . البحر المحيط ٤٨٦/٥.

(٤) البزي : هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزّة المؤذن المكي، يكنى أبا الحسن . توفي بمكة سنة ٢٥٠هـ. انظر البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي ٨. وسير أعلام النبلاء ٥٠/١٢.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فألقوا السلم ﴾ قال (ز) : فسالموا ((وأخبتوا)) وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكفر.

(٦) الجوهري في صحاحه ٢٤٧/١ مادة (خبت).

قوله : ((وهذا أيضاً من الشماتة، وكذلك : ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾))[1] فالشماتة الأولى قولهم : ﴿ إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين . الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ ، أي : الذين يموتون على الشرك لقوله : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾[2] فلما ألقوا السلم أي : ذلُّوا وخضعوا قائلين : ﴿ ما كنا نعمل من سوء ﴾ ردّ عليهم أولوا العلم : بل كنتم تعملون السوء ﴿ إن ا لله عليم بما كنتم تعملون﴾ تحقيقاً لذلك الرد وتعليلاً له على وجه استتبع إيجاب العقاب وشماتة الأعداء، وإليه الإشارة بقوله : ((فهو يجازيكم عليه)) فلما ألزموهم بذلك عقبوه بقوله : ﴿فادخلوا أبواب جهنم﴾ تتميماً للشماتة، وقال محي السنة [3] : [قوله : ﴿ إن ا لله عليم بما كنتم تعملون ﴾ من قول الملائكة]، وقال : صاحب المرشد : إن جعلت ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ﴾ في موضع جر صفة للكافرين، لم يكن الوقف على الكافرين حسناً ولا كافياً، وإن جعلته في موضع رفع خبر مبتدإ محذوف كان الوقف على الكافرين تاماً[4] ، والوقف على ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ في هذا الوجه أصلح، وعلى ذلك الوجه صالح ليس بكاف ولا حسن.

قوله : ((لم نصب هذا، أي : ﴿خيراً﴾ ورفع الأول))[5] أي : ﴿أساطير الأولين﴾ في قوله : ﴿ ماذا أنزل ربكم ﴾.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن ا لله عليم بما كنتم تعملون ﴾ قال :(ز) : فهو يجازيكم عليه ((وهذا أيضاً من الشماتة ... الخ.

(٢) سورة لقمان الآية ١٣.

(٣) البغوي في معالم التنزيل ١٧/٥.

(٤) ذكر ذلك الأشموني أحمد بن محمد بن عبد الكريم في كتابه منار الهدى في الوقف والإبتداء ٢١٤ قال : الوقف على ﴿الكافرين﴾ تام، إن جعل ﴿الذين﴾ مبتدأ خبره ﴿فألقوا السلم﴾ وزيدت الفاء في الخبر، أو جعل خبر مبتدإ محذوف، وكاف إن نصب على الذم، وليس بوقف إن جعل صفة لـ﴿الكافرين﴾ أو بدل مما قبله، أو بياناً له، و ﴿ظالمي أنفسهم﴾ جائز إن جعل ما بعده مستأنفاً، وليس بوقف إن جعل خبر ﴿الذين﴾ أو عطف على ﴿الذين تتوفاهم﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ الآية ٣٠ من سورة النحل. قال (ز) : ﴿خيراً﴾ أنزل خيرا ((فإن

قوله : ((لم يتلعثموا))أبو زيد[1] : [تلعثم الرجل في الأمر إذا تَمَكّث فيه][2] .

قوله : ((بَيّناً)) صفة مصدر محذوف أي : طباقاً بيّناً.

قوله : ((مفعولاً)) حال مترادف، أي : مفعول له أي : نصب هذا فصلاً بين الجوابين مفعولا للإنزال.

قوله : ((بدل من ﴿خيراً﴾ حكاية خبر إن لقوله، وقوله : ﴿للذين أحسنوا﴾.

قوله : ((أي : قالوا : هذا القول، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه يريد أن جواب المتقين عن قولهم : ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ كأن أنزل ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ إلىآخره، فقدّم تعالى عليه ﴿خيراً﴾ وجعله توطئة لقولهم، ثم حكى قولهم : ﴿للذين أحسنوا﴾ إلى آخره. قال القاضي[3] : [فعلى هذا قوله : ﴿ خيراً ﴾ مفعول قالوا].

قوله : ((ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ)) عطف على قوله : ((بدل))، فعلى هذا هو من كلام ا لله تعالى يمدح القائلين ويعدهم على ما أحسنوا فيه من القول، وجاء به تامّاً في جميع ما أحسنوا ليدخل هذا القول فيه أيضاً للذين أحسنوا مظهر وُضِع مَوْضع المضمر للإشعار بأنهم مستأهلون بأن يحسن إليهم دنياً وعقبى.

قوله : ((لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم))[4] يعني يجب تفسير طيبين بطاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي للتقابل، أما الكفر فإن قوله : ﴿ الذين تتوفاهم﴾ إما

قلت : لم نصب هذا ورفع الأول)) يعني : ﴿أساطير الأولين﴾. قلت : فصلاً بين جواب المقر، وجواب الجاحد، يعني : أن هؤلاء لما سئلوا ((لم يتلعثموا)) وأطبقوا الجواب على السؤال ((بيناً)) مكشوفاً ((مفعولاً)) للإنزال.

(1) أبوزيد : لعله أحمد بن سهل البلخي أبو زيد، قال ياقوت الحموي : كان فاضلاً قيماً بجميع العلوم القديمة والحديثة يسلك في مصنفاته طريق الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه، له كثير من المصنفات في شتى العلوم، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٣١١/١.

(2) انظر الصحاح للجوهري ٢٠٣٠/٥ مادة (لعثم) ذكره بلفظه.

(3) القاضي البيضاوي في الأنوار ١٨٠/٣.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿طيبين﴾، قال (ز) : طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي ((لأنه في مقابلة ﴿ظالمي أنفسهم﴾)).

مجرور صفة للكافرين أو مرفوع خبر مبتدإ محذوف، والجملة بيان للكافرين، كما سبق، وأما المعاصي فإن قوله : ﴿ ظالمي أنفسهم ﴾ مجاب بقولهم : ﴿ ما كنا نعمل من سوء﴾، فظهر من هذا أن قوله : ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم ﴾ عطف على قوله : ﴿ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ﴾ على التقابل، فينبغي أن يراعي مضامين القصتين (يعني يطابق)[1] ولذلك ختمت الأولى بقوله : ﴿ فادخلوا أبواب جهنم ﴾، والثانية : بقوله : ﴿ ادخلوا الجنة ﴾، ولما كان دأب[2] المؤمنين وارداً على سبيل الإستطراد للتقابل، وفرغ منه، عاد إلى نوع آخر من حديث الكفار، أعنى قوله: ﴿ينظرون﴾ وا لله علم.

قوله : ((أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب))[3] يعني المشار إليه بقوله ذلك في ﴿كذلك﴾ ما دلّ عليه الآيات السابقة من الشرك والتكذيب، فعلى هذا لا يحسن ترتّب قوله ﴿ فأصابهم سيئات ما علموا ﴾ على قوله : ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ حسنة لوكان المشار إليه ما دل عليه قوله : ﴿هل ينظرون﴾ لأنه نوعٌ آخر من قبائحهم كما سبق، أي : ما لهم استمروا على الكفر والإستهزاء، ولم يؤمنوا مع هذه البيانات الشافية والدلالات الواضحة هل ينظرون إلا مجيءَ الآيات الملجئة حين ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾[4] ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ فيكون قوله : ﴿وما ظلمهم ا لله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ معترضاً بين السبب والمسبب قوله : ((أو هو كقوله : ﴿ وجزاء سيئة سيئة ﴾[5] يعني قوله : ﴿ فأصابهم سيئات ما

---

(١) ما بين القوسين س من م ، ت.

(٢) (ذكر) المؤمنين في ب ، ت بدل (دأب) . والصواب (ذكر).

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم ا لله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ الآية ٣٣ من سورة النحل . قال (ز) : في تفسير قوله ﴿كذلك﴾ ((أي : مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب)).

(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٨.

(٥) سورة الشورى الآية ٤٠.

عملوا﴾ دلّ على أن ما أصابهم سيئة، وليس به، فيجب أن يقدّر مضاف أو يجعل من باب المشاكلة(١) .

قوله : ((هذا من جملة ما عدّد))(٢) يعني قوله : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ معطوف من حيث المعنى على ما سبق من أول السورة من أصناف كفرهم وعنادهم وشركهم با لله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم، أما إنكار البعث واستعجاله فيفهم من قوله : ﴿ أتى أمر ا لله فلا تستعجلوه ﴾. وأما شركهم : فهو ما يلزم من استعجالهم العذاب على ما سبق، وأما إنكار وحدانيته : فهو ما دلّ عليه ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق ﴾، وأما الحجج السابقة، على هذا الإنكار، فهي من قوله : ﴿ ينزل الملائكة بالروح ﴾ ومن قوله : ﴿ خلق السموات ﴾ وخلق الإنسان والأنعام والخيل والبغال، ومن قوله : ﴿أنزل من السماء ماء﴾ وقوله : ﴿وسخر لكم الليل والنهار وسخر لكم البحر﴾ ومن قوله : ﴿ وألقى في الأرض رواسي ﴾ وأما تكذيبهم الرسول، فمن قوله : ﴿قالوا أساطير الأولين﴾، وأما استكبارهم عن قبول الحق، فمن قوله : ﴿ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴾، وفيه إنكار البعث، وخلاصته أن هذه السورة من مفتتحها إلى هذا المقام، واردة في بيان تعداد أصناف قبائح المشركين، وما قد تخلّل بينها من ذكر أجنبي، فللتأكيد لإلزام الحجّة وبيان العناد والاستكبار،

---

(١) المشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، ومن ذلك ما حكى عن أبي الرقمع: أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصبوح في يوم بارد، وقالوا له : ماذا تريد أن نصنع لك من الطعام، وكان فقيراً ليس له كسوة تقية البرد، فكتب إليهم يقول :

** أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة ** وأتى رسولهم إليّ خصّيصاً **

** قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ** قلت اطبخوا لي جبة وقيمصاً **

أي خيطوا لي جبة وقميصاً، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام . انظر جواهر البلاغة ٣٧٥.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء ا لله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ الآية ٣٥ من سورة النحل. قول (ز) : ((هذا من جملة ما عدّد)) من أصناف كفرهم وعنادهم ... الخ.

هذا كلام عال وبيان شاف لكن قوله : ((وهذا مذهب المجبرة بعينة))[١] جاء عقيبه خارجاً عن سنن الحق ومحض فيه التعصب، فحرم ذلك النظم السري، وذلك أنه تعالى لما عدّد كفرهم وشركهم وتكذيبهم إلى غير ذلك على ما سبق، أتى بقوله : ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ ولما ذكر ما يدلّ على إفحامهم، وأن الحجة قد لزمتهم، ولم يبق لهم متشبث إلا التعليل بالمشيئة، وهو قلوهم : ﴿ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴾، كما استقصينا القول فيه في الأنعام[٢] ، أعاد قوله : ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ ليريك أن أحوال هؤلاء المشركين وأقوالهم لم تتجاوز عن أفعال الأمم الخالية، ولا عن أقوالهم حذو القذة بالقذة[٣] ، ثم بين أن الرسل سلفاً وخلفاً ما قصّروا في الإنذار والتبليغ بقوله : ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ ثم عقب المجمل بالتفصيل بقوله : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمه رسولاً ﴾[٤] تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتحريضاً للقوم على الإعتبار، وأن ينظروا إلى وخامة[٥] عاقبة المكذبين

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا﴾ الآية ٣٥ من سورة النحل. قال أحمد بن المنير في الانتصاف ما نصه : [وقالوا لو شاء الله لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينة) يعني : أهل السنة، وليس كما قال، بل قاله المشركون استهزاء، وأهل السنة اعتقاداً، كما أفاده النسفي ٢٨٦/٣ وكل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، شراً كان أو خيراً، وكل أمر بقضائه تعالى وقدره، شراً كان أو خيراً، وهو الخالق لأفعال العباد، وإن كانت بكسبهم واختيارهم، خلافاً للمعتزلة في جميع ذلك كما أطال به فيما سيأتي هنا انتصاراً للمعتزلة] ٦٠٤/٣.

(٢) لعله عند قوله تعالى في الأنعام الآية ٣٥ : ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ... الآية ﴾.

(٣) (القذة بالقذة) القذة بالضم : ريش السهم. القاموس ٣٥٧/١ مادة (القذّة). والنهاية في غريب الحديث ٢٨/٤ قال : [القذة : ريش السهم، واحدتها قذّة، يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان].

(٤) ومعنى هذه الآية ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ هو معنى لا إله إلا الله، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء الآية ٢٥ : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ هذا على سبيل العموم. وأما على سبيل الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٥٩ : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ وهكذا قال هود لقومه : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ وصالح لقومه : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾، وشعيباً لقومه : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ كلهم قالها.

(٥) الوخامة : الشي الذي لا فائدة فيه، يقال : أرض وخيمة وموخمة لا ينجع كلأها . القاموس ١٨٥/٤ مادة (الوخم)

وسوء خاتمتهم، وأن لا تذهب نفسه عليهم حسرات، ومـن ثـم خاطبـه صلـوات ا لله عليه بقوله : ﴿ إن تحرص على هداهم ﴾ فأنى يدخل في الكـلام حديث إنـي لا أقـدّر الشر ولا أنشاؤه.

قوله : ((ورّكوه)) الجوهري[1] : [ورّك فـلان ذنبـه علـى غـيره، أي : قرفـه[2] به].

قوله : ((ولقد امدّ إبطال قدر السوء)) يعني أبطل ا لله تعالى في قوله : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء ا لله ما عبدنا ﴾ إلى آخره، نسبة أفعال السـوء إلى قـدر ا لله تعـالى، ثـم أمـدّ ذلـك الإبطـال بقولـه : ﴿ ولقـد بعثنـا في كـل أمـة رسـولاً ﴾ ، الأنتصاف[3] : [وجه استدلاله بها أن ا لله قسّم العباد قسمين، والأمر والنهي يرجعان إلى المشيئة، بناء على زعمهم في إنكار كلام النفـس]. فعنـده أن ا لله شـاء أن تعبـدوه وشاء أن يجتنبوا الطاغوت، ولم يشأْ إشراكهم[4] ، ومبنى اسـتدلاله علـى إنكـار كـلام النفس، والعجب غفلته عن قوله : ﴿ ومنهم من حقّت عليه الضلالة ﴾، كما قـال في الأنعام : ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾[5] وتقدم هناك ما فيه كفاية.

---

(1) الجوهري في صحاحه ٤/١٦١٤ مادة (ورك).

(2) (قرفه) يقال : قرفت الرجل أي : عبته، ويقال : هو يقرف بكذا أي يرمي به ويتّهم فهو مقـروف. الجوهري ٤/١٤١٥ مادة (قرف).

(٢) الانتصاف ٣/٦٠٤. وقد أجاد وأفاد في الرد على المعتزلة، مما أغنى عن الرد عليهم.

(4) يوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٤٨ : ﴿ سيقول الذين أشـركوا لـو شـاء ا لله ما أشركنا ... الآية ﴾ فذكر في هذه الآية أنهم سيقولون، وذكر في سورة النحل هذه، أنهم قالوا ذلك بالفعل، قال تعالى : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء ا لله ما أشركنا ... الآية ﴾ وقال في الزخرف الآية ٢٠ : ﴿ وقـالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ... الآية ﴾ ومرادهـم أن ا لله لما كان قادراً على منعهم من الإشراك ولم يمنعهم منـه، أن ذلك دليل على رضاه بشركهم، ولذلـك كذبهـم في سـورة الأنعـام بقولـه : ﴿ قـل هـل عندكـم مـن علـم فتخرجـوه لنـا إن تتبعـون إلا الظـن ﴾ وكذبهـم في الزخـرف بقولـه : ﴿ مـا لهـم بذلـك مـن علـم إن هـم إلا يخرصون﴾ وقال في الزمر الآية ٧ : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ انظر أضواء البيان ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(5) سورة الأنعام الآية ١٤٩.

قوله : ((في أني لا أقدّر الشر ولا أشاؤه، حيث أفعل ما أفعل بالأشرار))[1] يريد أن النظر في أحوال الأشرار من الهلاك والدمار، يدل على أني ما قدّرت الشرّ فيهم ولا قضيته عليهم لأني لو فعلت ذلك، ثم عاقبتهم به لم أكن عادلاً لكنهم إنما استحقوا ذلك لأنهم هم الذين فعلوا ما استحقوا به الهلاك، وعلم من قبل أن ما ذكره خارج عن مقتضى المقام.

قوله : ((وقرئ ﴿لا يهدي﴾))[2] على ما لم يسم فاعله، الكوفيون[3] : ﴿لا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال. والباقون بضم الياء وفتح الدال، قال أبو البقاء [4] : [في قراءة الضم وجهان : أحدهما : أن ﴿من يضل﴾ مبتدأ و﴿لا يهدي﴾ خبره. والثاني : أن ﴿لا يهدي من يضل﴾ بأسره خبر ﴿إنّ﴾، كقولك :إن زيداً لا يضرب أبوه] يعني : أن التركيب سببي، ومعناه : أن زيداً بمكان من الشرف والكرامة بحيث استحق أن يكرم أبوه ولا يهان بالضرب، ونظيره في المعنى خولان[5] فانكح ثم ما في التنزيل مع ذلك التقدير واقع جزاء للشرط ولم يكن يصلح جزاء إلا بتأويل الإعلام والإخبار، وقد تقرر أن مثل هذا الأسلوب إنما يَرِدُ للتقريع، أو التنبيه على أمر خطير خفي على السامع، ولا سيما في جعل اسم إن الاسم الجامع للأسماء الحسنى، كأنه قيل : ﴿إن تحرص﴾ أنت وكل مخلوق على هداية من أراد الله إضلاله، فاعلم وتنبه أنك قد حاولت مُزَاوَلَة أمر لا يرام، ومحالٌ لا يستطاع، هذا معنى قوله : ((لا تقدر

---

(١) تفسير قوله : ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ قال (ز) : يعني فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا تبقى لكم شبهة ((في أني لا أقدّر الشر ولا أشاؤه حيث أفعل ما أفعل بالأشرار)).

قلت : هذا على مذهب المعتزلة، ومذهب أهل السنة هو ما قدمنا من أن الله يفعل ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة، وكل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن شراً كان أو خيراً، وكل شيء بقضائه وقدره.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضلّ ﴾ الآية ٣٧ من سورة النحل.

(٣) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر : ﴿ فإن الله لا يُهْدي من يضل ﴾ بضم الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ فإن الله لا يَهْدِي ﴾ بفتح الياء وكسر الدال. انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤ ، وحجة القراآت لابن زنجلة ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) في كتابه الإملاء ٨١/٢

(٥) يشير إلى البيت، وقد تقدم.

أنت ولا أحد على هدايته)) ووجدت لبعض الفضلاء على الحاشية هذه كلمة حقّ، وقد أخرجها ا لله تعالى من فمه بلا اختيار منه.

قوله :((﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ دليل على أن المراد بالإضلال الخذلان)) كأنه قيل : ﴿ إن تحرص على هداهم ﴾ فاعلم أن ا لله لا يهدي من يخذله، وما له من ناصر ينصره، وقلت : ليس تأويل ﴿ من يضل ﴾ بالخذلان أولى من تأويل ﴿ من ناصرين ﴾ بالهادين، أي : ﴿إن تحرص على هداهم ﴾ فاعلم أن ا لله لا يهدي من يضلّه وما له من هاد قطّ، لا أنت ولا غيرك[1] ، وهذا أولى، لأن أول الكلام في الهداية لا في النصرة والخذلان، وأما الختم بعد النصرة فللمبالغة في عدم توخي الهداية والخيبة فيه وعدم الاهتداء.

قوله : ((ويجوز أن يكون ﴿لا يهدي﴾ بمعنى لا يهتدي))، الجوهري[2] : [هدى واهتدى بمعنىً] قوله : ﴿ فإن ا لله لا يهدي من يضل ﴾، قال الفراء[3] : [يريد لا يهدي من يضله، قوله : ((هداه ا لله فهدى)) أي هدى مطاوع هداه، كما أن اهتدى مطاوعه، وهي معاضدة لمن قرأ ﴿لاتَهدِي﴾، أي : لا هادي موجود لمن يضله فإذا لم يكن هاديه موجوداً فلا يُهدى أبداً.

---

(١) وهذا المعنى جاء في القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى في سورة القصص الآية ٥٦ : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا لله يهدي من يشاء ﴾ وقوله في سورة المائدة الآية ٤١ : ﴿ ومن يرد ا لله فتنته فلن تملك له من ا لله شيئاً أولئك الذين لم يرد ا لله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وقوله في سورة الأعراف الآية ١٨٦ : ﴿ من يضلل ا لله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وقوله في سورة الأنعام الآية ١٢٥ : ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾.

(٢) الصحاح للجوهري ٢٥٣٣/٦ مادة (هدى).

(٣) انظر كتابه معاني القرآن ٩٩/٢.

والفراء يحي بن زياد بن عبد ا لله بن منظور الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، أبو زكرياء، صاحب الكسائي، كان ثقة وكان إماماً في النحو، أميراً فيه وفي اللغة، ووكل به المأمون ولديه يعلهما النحو . انظر سير اعلام النبلاء ١١٨/١٠ وتاريخ بغداد ١٤٦/١٤.

قوله : ((وهي معاضدة للأولى)) أي : قراءة من قرأ ﴿ لا يهِدِّي ﴾[1] بمعنى لا يهتدي.

قوله : ((كفَرَتَان)) الجوهري[2] : [الكَفْرُ : بالفتح التغطية، قال ابن السكيت: [ومنه سمى الكافر، لأنه يستر نعم الله تعالى عليه، وفي التخصيص فائدة، وهي أن الكفار يحاولون تغطية ما هو في غاية الظهور والجلاء، والأولى أن يعطف الجملة كما هي على جملة الشرط والجزاء، كأنه تعالى يخبر عن مبالغة حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هدايتهم، وعن تناهي ضلالهم مفوضاً ترتب إحدى الجملتين على الأخرى إلى فهم السامع.

قوله : ((أو أنه وعدٌ واجب))[3] أي : ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أنه وعد واجب على الله، لأنهم يقولون : لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا غيره)) وفيه تعريض بأهل السنة[4] ، قال صاحب الفرائد : [لا دلالة في الآية على ما قال، لكن المعنى : لا يعلمون كمال قدرته، وبالغ حكمته في بعثه بعد إماتته . وقلت: الذي دلّ عليه السياق أن معناه : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك الوعد الحق والقول الصدق لقوله : ﴿ وعداً عليه حقاً ﴾ كقوله تعالى : ﴿ إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات

(1) ﴿لا يهِدي ﴾ قرأه فرقة منهم عبد الله بفتح الياء وكسر الهاء والدال مشددة، قاله ابن عطية، وأصله (يهتدي) فأدغم التاء في الدال مثل (يختصم) (يخصّم) . انظر البحر المحيط ٤٩٠/٥ والمحرر الوجيز لابن عطية ٤١٤/٨ . وتشهد له القراءة المتواترة ﴿أمن لا يهدي﴾ في سورة يونس.

(2) الجوهري ٨٠٧/٢ مادة (كفر)

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأقسموا با لله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ الآية ٣٨ من سورة النحل . قال (ز) : في تفسير ﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفى، أي : بلى يبعثهم، ووعْد الله مصدر مؤكد لما دل عليه ﴿بلى﴾ لأن يثبت موعد من الله.

(4) أهل السنة لا يوجبون على الله شيئاً، وهو متعصب للمعتزلة الذين يوجبون الصلاح والأصلح على الله، تعالى الله عن ذلك، وأهل السنة يقولون إن الله إذا وعد لا يخلف فضلاً منه، ولكن لا يوجب عليه خلفه شيئاً تعالى الله عن ذلك.

بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم ﴾[1] فالمقدّر الوعد الواجب بحسب إنه تعالى لا يخلف الميعاد، لا أن العبد يوجب عليه بسبب[2] عمله . وإما جزاء من الثواب والعقاب، فهو تابع[3] للبعث أو ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أنه تعالى يبعثهم، أي : بمسئلة البعث، التي مبناها على كونه تعالى عالم بكل المعلومات، قادر على كل المقدورات، كالفلاسفة وأضرابهم[4] خذلهم الله، ويؤيد أن الكلام في البعث قوله : ﴿ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ﴾ أي : في البعث ﴿ وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴾ أي : في قولهم : ﴿ لا يبعث الله من يموت ﴾، وكذا قوله : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ لأن فيه إثبات القدرة الكاملة والإرادة الشاملة، وإليه الإشارة بقوله : ((والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شِقِّ المقدورات؟))[5] .

قوله : ((لأن مرادا))[6] نكرة واللام متصل بمثل أيْ أيَّ مراد يكون.

وقوله : ((وأن وجوده عند إرادته غير متوقف)) عطف تفسيري، على أن مراداً لا يمتنع عليه.

---

(1) سورة يونس الآية ٤.

(2) في م (بحيث) وهو الصواب.

(3) فهو (مانع) للبعث في ت.

(4) متعلق بقوله : ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلون ﴾ كالفلاسفة وأضرابهم. والله أعلم.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ الآية ٤٠ من سورة النحل. أي : ((والمعنى أن إيجاد ... الخ))

(6) تفسير (ز) لقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ من (كان) التامة التي بمعنى الحدوث والوجود، أي : إذا أردنا وجود شيء، فليس إلا أن نقول له : أحدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل (لأن مرادا) لا يمتنع عليه ((وأن وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف)).

ومثل هذه الآية في الرد على الكفار المنكري البعث، الذين قالوا : ﴿ من يحي العظام وهي رميم ﴾ وقوله: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ يس الآية ٨٢ ، ولا يحتاج لتكرير الأمر، فتكفي منه جل وعلى (كن) مرة واحدة (كما قال تعالى في سورة القمر الآية ٥٠ : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾.

قوله : ((في شِقّ المقدورات)) فيه توهين لأمر البعث، الأساس[1] : [قعد في شق من الدار في ناحية منها، وخذ من شق الثياب من عُرْضها ولا تَخْتَر].

قوله : ((وقرئ ﴿فيكون﴾)) ابن عامر والكسائي بالنصب والباقون بالرفع[2]، قال الزجاج[3] : [فالرفع على، فهو يكون أي ما أراد الله فهو يكون، والنصب إما على أن تقول : أي يقول، فتكون، أو على أنه جواب ﴿كن﴾. و﴿قولنا﴾ رفع بالإبتداء، وخبره أن يقول معناه : ماذا أراد الله فهو كائن على كل حال، ولو أراد خلق الدنيا والسموات والأرض في قدر لمح البصر لقدر، لكن العباد خوطبوا بما يعقلون، فأعلمهم الله بسهولة خلق الأشياء، فعلم أنه متى أراد الشيء كان، وليس أن الشيء قبل أن يخلق موجود] وقال أبو علي : ﴿كن﴾ وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد هنا الأمر وإنما هو والله أعلم : الإخبار عن كون الشيء وحدوثه، وإلى هذا ذهب أبو العباس[4] ، ويجيء تمام بحثه في يس.

قوله : ((فكيف))[5] متعلقه محذوف، تقديره : لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه، فكيف وقد خلق، أي : لا يطيعُ الله لخوف النار فيكون طاعته لأغراض وعلل، والعارف من يطيع الله لله، ومعنى (لو) في الحديث ليس لامتناع الشيء لامتناع غيره، بل لمجرد الفرض والتقدير.

---

(1) أساس البلاغة للزمخشري ٣٣٤.

(2) ذكره المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤ والحجة لابن زنجلة ٣٨٨.

(3) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٨/٣.

(4) أبو العباس المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، إمام العربية في بغداد، أحد أئمة الأدب والأخبار، ولد بالبصرة سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٦هـ ببغداد . انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢٦٩/١ وتاريخ بغداد ٣٨٠/٣.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ الآية ٤١ من سورة النحل. وقول (ز) : ((فكيف في الله وحقه)) جاء في معرض هجرة صهيب رضي الله عنه في تفسير قوله : ﴿ والذين هاجروا في الله ﴾ لأن صهيباً قال للمشركين لما منعوه من الهجرة، أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، فافتدى منهم بماله، وهاجر، فقال له عمر رضي الله عنه : (نعم الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه) وهو ثناء عظيم، يريد : لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه، ((فكيف)) أي : فكيف لا يطيعه وقد خلقها لمن عصى.

قوله : ((في الله : في حقه)) أي : الذين هاجروا مخلصين لوجه الله لا لأمر آخر دنيويّ، كقوله صلوات الله عليه : (فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) رواه الشيخان[1] وغيرهما.

قوله : ((لتنزلهم في الدنيا منزلة حسنة))[2] يريد أن التَّبْوِئة في المكان بمعنى إعطاء المنزلة، فيجوز أن يستعمل في التمكين في الأرض، نحو : ﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾[3] ولذلك قال : وهي ((الغلبة على أهل مكة – إلى قوله – وعلى أهل المشرق والمغرب)) ولا يبعد أن يقال : إن هذا هو الوعد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾[4] والله أعلم.

قوله : ((والذين صبروا)) واردٌ على ((هم الذين صبروا)) أي الذين صبروا واردٌ على (هم الذين صبروا) أو أعنى كلاهما لإرادة المدح.

قوله : ((قالت قريش : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً))[5] هذا التقرير يقتضيه قوله : ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً ﴾ من جهة ما وإلا، لأنهما إنما يتلقى بهما المخطئ المصرّ على خطابه المبالغ في إنكاره.

قوله : ((لأن أصله ضربت زيداً بالسوط))[6] يعني إلا من حيث اللفظ لغو، والإستثناء على خلاف المشهور، عن بعضهم، التقدير لم يوجد منه ضرب أصلاً لا

---

(1) أخرجه البخاري كتاب الإيمان والنذور، باب النية في الأيمان وأيضاً بدء الوحي ١/١ رقم ١. ومسلم كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنية ... الخ ١٥١٥/٣، كتاب الإمارة برقم ١٩٠٧.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ لنبوئنهم في الدنيا حسنة ﴾ قال (ز) : لنبوئنهم في الدنيا منزلة حسنة ... الخ. وقيل: ((لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة)) وهي الغلبة على أهل مكة ... الخ.

(3) سورة الأعراف الآية ١٠.

(4) سورة النور الآية ٥٥.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ الآية ٤٣ من سورة النحل.

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ الآية ٤٤ من سورة النحل. قول (ز) : فإن قلت : بمَ تعلق قوله ﴿بالبينات﴾؟ قلت : له متعلقات

بالسوط ولا غيره. وقال أبو البقاء[1] : [في تعلق ﴿بالبينات﴾ بـ﴿أرسلنا﴾ بمعنى : أرسلناهم بالبينات ضعف، لأن ما قبل إلا لا يعمل فيما بعدها إذا تم الكلام على ﴿إلا﴾ وما يليها، إلا أنه جاء في قول الشاعر :

** نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بالنار جارَتَهُم ** ولا يُعَذِّب إلا الله بالنار **[2]

وقال صاحب المفتاح[3] : [لك أن تقول : ما ضرب إلا عمراً زيدٌ، وما ضرب إلا زيدٌ عمراً، فتقدم وتؤخر، إلا أن هذا التقديم والتأخير لما استلزم قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف، قلّ دوره في الاستعمال].

قوله : ((والأول))[4] قال : في الأولين والأول نظراً إلى أنه لا إضمار فيه.

قوله : ((وأما بـ ﴿لا تعملون﴾)) على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام، لأن ﴿إن﴾ استعملت في أمر مقطوع معلوم، وذلك أن الكلام مع قريش كما قال : ((قالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً)) فقيل : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . بالبينات والزبر ﴾، وقد علم وحقق أن قريشاً لم يكونوا عالمين بالبينات والزبر، فتعليقه بالسؤال يفيد التبكيت والإلزام، يعني لا ارتياب في أنكم غير عالمين بها، ولستم أيضاً مما تسألون عنهم، لأنكم تعلمون أنهم لا يجيبونكم إلا بما ذكرنا، من أنّا ما أرسلنا من قبله إلا رجالاً يوحى إليهم، فلم يبق لكم طريق سوى التسليم والإذعان، وعليه قوله : ((إن كنتُ

شتى، فإما أن يتعلق بـ ﴿ما أرسلنا﴾ داخلاً تحت حكم الاستثناء مع ﴿رجالاً﴾ أي : وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات، كقولك، ما ضربت إلا زيداً بالسوط ((لأن أصله ضربت زيداً بالسوط)) . انظر البحر المحيط ٤٩٤/٥ والكشاف ٦٠٧/٢، ٦٠٨.

(١) في كتابه الإملاء ٨١/٢.

(٢) لم أقف على قائل البيت، وذكره الفراء في معاني القرآن ١٠١/٢، وأبو البقاء ٨١/٢.

(٣) صاحب المفتاح : محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، شارح التلخيص تقدم.

(٤) يعني أن قوله : ﴿بالبينات﴾ متعلق بما أرسلنا داخلاً تحت حكم الإستثناء مع رجالاً، أي : وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات، اي : والأول على كلام واحد.

عملت ذلك فأعطني حقي))(1) ، وصاحب المفتاح، أخرج هذا المثال في معرض النفي، حيث قال : [ومنه ما قد يقول العامل عند القاضي بالعمالة إذا امتدّ التسويف وأخذ يترجم عن الحرمان : إن كنت لم أعمل فقولوا : اقطع الطمع، نزّلَهُم أن يحرموه منزلة من لا يعتقد أنه عمل مُجهّلاً.

قوله : ((فسألوا أهل الذكر)) اعتراض على الوجوه المتقدمة، يعني في هذا الوجه،ليس باعتراض وليس بجواب للشرط لتقدمه عليه لكنه دالّ عليه.

قوله : ((وهم أهل مكة وما مكروا به))(2) أي : الضمير في (مكروا) لأهل مكة، والمراد بالمكر : ما مكروا به في دار الندوة، الراغب(3) : [المكر : صرف الغير عما يقصده بحيلة].

قوله : ((وهو خلاف قوله : ﴿ من حيث لا يشعرون ﴾ ومن حيث يشعرونه.

قوله : ((من قولك : تخوّفته وتخوّنته))(4) الرغب(5) : [تخوّفناهم : تنقّصناهم تنقّصاً اقتضاه الخوف منه، والتخوف ظهور الخوف من الإنسان، قال ا لله عز وجل :

---

(1) هذا على أن قوله تعالى : ﴿ بالبينات ﴾ متعلق بقوله : ﴿ لا تعلمون ﴾ على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام، كقول الأجير : ((إن كنت عملت لك فاعطني حقي))، ويوضح استغراب وإنكار الكفار إرسال الرسل من البشر، وقالوا : ا لله أعظم من أن يرسل بشراً لأنه لو كان مرسلاً أحداً حقاً لأرسل ملائكة، كما بينه تعالى في آيات كثيرة، قال تعالى في سورة يونس الآية ٢ : ﴿ أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴾، وقوله في سورة ق الآية ٢ : ﴿ بل عجبوا أن جاءهم نذكر منهم ﴾ الآية ، وقوله في سورة المؤمنون الآية ٢٤ : ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء ا لله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ﴾.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف ا لله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ الآية ٤٥ من سورة النحل. قول (ز) : في تفسير ﴿ مكروا السيئات ﴾ أي : المكرات السيئات، ((وهم أهل مكة وما مكروا به)) أعني رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم.

(3) الراغب في مفرداته ٤٧١ مادة (مكر).

(4) تفسير قوله : ﴿ على تخوّف ﴾ قال (ز) : أي متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم، فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله : من حيث لا يشعرون. وقيل : هو من قولك : تخوفته، وتخونته إذا تنقصته، قال الفراء : تحوفته بالحاء : تنتقصته ١٠١/٢.

(5) الراغب في مفرداته ١٦٢ مادة (خوف).

﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾، قوله : ** تخوف الرحل منها .. ** البيت[1] ، تامكاً : أي سناماً مشرفاً، الأساس[2] : [صُوفٌ قَرِدٌ مُلْتَصِقٌ مُتَلَبِّدٌ]، الجوهري[3] : [سحاب قَرِدٌ يركب بعضه بعضاً]، والنبع شجر يتخذ منه القسيّ، والسَّفَن : بالتحريك المِبْرَد، يصف ناقة أثَّر الرحل في سنامها، وتنقص، كما ينقص المِبْرَدُ من العود.

قوله : ((بديوانكم))[4] المغرب[5] : [الديوان : الجريدة، من دَوَّنَ الكتب إذا جمعها، لأنها قطع من القراطيس مجموعة. ويروى أن عمر رضي الله عنه أول من دوّن الدواوين، أي : رتّب الجرائد للولاة والقضاة].

قوله : ((لا يضل)) مجزوم، لأنه جواب لقوله عليكم، وهو بمعنى الأمر، وفي اللباب[6] : [عليكم بديوانكم لا تضلوا].

قوله : ((قرئ : ﴿ أولم تروا ﴾ و ﴿ تتفيؤا ﴾ بالتاء))[7] الفوقاني حمزة والكسائي، والباقون بالياء. أبو عمرو و ﴿ تتفيؤا ﴾ بالتاء الفوقاني، والباقون بالياء.

---

(1) تمامه :

** تخوف الرحل منها تامكاً قَرِداً ** كما تخوَّفَ عودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ **

وهو لأبي كبير الهذلي، وقيل : لزهير، وقيل : لابن مقبل كما في اللسان، وقيل : لذي الرمة .

(2) الأساس للزمخشري ٥٠٠ مادة (قرد).

(3) الجوهري في صحاحه ٥٢٣/٢ مادة (قرد).

(4) يشير إلى كلام عمر رضي الله حين سأل عن معنى التخوف في قوله : ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ فقام شيخ من هذيل، فقال له : التخوف، التنقص. فقال له عمر : وهل تعرف العرب ذلك؟ فأنشده البيت السابق، فقال عمر رضي الله عنه عليكم ((بديوانكم لا يضل))؟

(5) المغرب ٢٩٩/١ مادة (دون).

(6) اللباب في شرح الكتاب للميداني.

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون ﴾ الآية ٤٨ من سورة النحل.

قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ أولم تروا إلى ما خلق الله من شيء ﴾ بالتاء وكذلك في العنكبوت الآية ١٩ : ﴿ أولم تروا كيف يبدئ الله الخلق ﴾ والباقون بالياء ﴿ أولم يروا ﴾ في الموضعين.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب ﴿ تتفيؤا ظلاله ﴾ بالتاء، والباقون بالياء . انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤. والحجة لابن زنجلة ٣٩٠، ٣٩١.

قوله : ((﴿ وسُجّداً ﴾ حال من الظلال)) ﴿ وهم داخرون ﴾ حال من الضمير في ﴿ ظلاله ﴾، والمعنى : ظلالهم ساجدة، وهم في أنفسهم متواضعون صاغرون، فيتفق الباطن مع الظاهر، فإن قلت : لم جعل الحال الثانية حالاً من الضمير في ﴿ ظلاله ﴾ ولم يجعل من الضمير المرفوع المحذوف العائد إلى الموصول؟ قلت : لأنه حال مؤكدةٌ، فإذا جعلت الظلال ساجدة، يلزم منه المبالغة في سجود الأجرام بالطريق الأولى، وهو معنى الدخور، فيقع الحال تأكيداً كما في قوله : ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾(١) ولا يفيد الأول هذا المعنى، وفيه إدماج لمعنى تسخير الأجرام العلوية، لأن الظل إنما يحصل من حركات الكواكب والشمس، ولما بين ذلك، وأراد أن يبين الاختصاص بأنها تسجد لله لا لغيره، قال : ﴿ و لله يسجد ﴾ قال القاضي(٢) : [قوله : ﴿ سجّداً لله وهم داخرون ﴾ هما حالان من الضمير في ﴿ ظلاله ﴾، والمراد من السجود الإستسلام سواء كان بالطبع والإختيار، يقال : سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، وسجد البعير إذا طأطأ رأسه ليُركب، والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها منقادة كما قُدّر لها من التفيئ، أو واقعة على الأرض ملتصقة بها على هيئة الساجد، والأجرام في أنفسها أيضاً صاغرة منقادة لأفعال ا لله فيها]. قال أبو البقاء(٣): [﴿ سجّداً ﴾ حال من الظلال ﴿ وهم داخرون ﴾ حال من الضمير في ﴿سجّداً﴾، ويجوز أن يكون حالاً ثانية معطوفة].

قوله : ((وجمع بالواو، لأن الدخور من أوصاف العقلاء))(٤) وذلك أن من لا يعقل إذا وصف بصفة العقلاء أجرى مجرى العقلاء في الاستعمال، وإذا حكم على العقلاء ، وغير العقلاء (تغلب العقلاء)(٥) على غيرهم.

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٥.

(٢) القاضي البيضاوي ١٨٣/٣.

(٣) أبو البقاء ٨٢/٢.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهم داخرون ﴾.

(٥) ما بين القوسين س من أ ، ب والصواب إثباته.

قوله : ((استعارة)) خبر مبتدأ محذوف أيمان الظلال وشمائل الظلال في قوله تعالى : ﴿ عن اليمين والشمائل ﴾ استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء.

قوله : ((من التفيؤ)) بيان ما سخرها له تتفيأ تتفعّل من الفيء، يقال : فاء يفيء فيئاً، إذا رجع.

قوله : ((الخلق الذي يقال له الروح))(١) فعلى هذا الروح غير الملائكة، وقال فيه الروح جبريل أو أفرد عنهم لشرفه لقوله تعالى : ﴿ تتنزل الملائكة والروح ﴾(٢) وقيل : خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة.

قوله : ((والملائكة خصوصاً من بين الساجدين)) يريد أنه تعالى لما عم من يتأتى منه السجود في قوله : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض ﴾، ثم خص من بينهم هذا الجنس من المكلفين في قوله : ﴿ والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ دلّ على أنهم أولى وأقدم في هذا النوع من العبادة، ثم تمّمه بقوله : ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾.

قوله : ((وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا))(٣) الانتصاف : [استدل بالآية من أجاز استعمال المشترك في معنييه وفي حقيقته ومجازه شمولاً، والزمخشري ينكره في مواضع من كتابه فحمله على القدر المشترك وجعله متواطئا ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز، ويبطله أن الآية آية سجدة، وفيه دليل على أن المراد من السجود المذكور على ما هو منسوب إلى المكلّف من الفعل المتعارف شرعاً فيبطل القول بالقدر المشترك، قلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ يسجد ﴾ واردٌ على عموم المجاز الذي يكون كل من الحقيقة والمجاز فرداً من أفراده، والمكلف إنما

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون﴾. قال (ز) : ويراد بما في السماوات ((الخلق الذي يقال له الروح)).

(٢) سورة القدر الآية ٤.

(٣) قال (ز) : المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم، انقياده لإرادة الله، وأنها غير ممتنعة عليها ((وكلا السجودين يجمعما معنى الانقياد، فلم يختلفا)) ولذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد، وهو قوله : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ﴾.

يسجد لمقتضى ما يناسبه، الراغب[1] : [السجود أصله التّطامن والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان (وغيره وذلك ضربان : اختياري: وليس ذلك إلا للإنسان وبه)[2] يستحق الثواب، قال ا لله تعالى : ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾[3] . وتسخيريّ : وهو للإنسان وغيره، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ و لله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ... الآية ﴾[4] وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبّهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وهو قوله تعالى : ﴿ و لله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾ ينطوي على النوعين[5] .

قوله : ((﴿ يخافون ﴾ يجوز أن يكون حالاً))[6] وأن يكون بياناً لنفي الإستكبار وتأكيداً له، الأنتصاف[7] : [الثاني أصح، لأن الحال تعطي انتقالاً وتوهم تقييداً، والواقع عدم استكبارهم مطلقاً غير مقيد بحال].

قوله : ((إن علقته بـ ﴿ يخافون ﴾))[8] أي : جعلته متصلاً به وتتمة لمعناه، ولم ترد به تعلق المعمول بالعامل، فعلى هذا ﴿ من فوقهم ﴾ متعلق بمتعلق ﴿ يخافون ﴾ يدل عليه جعل المصنف ((أن يرسل)) بدلاً من الضمير في يخافونه، ويمكن أن يقدر : ويخافون عذاب ربهم كائنا من فوقهم.

---

(١) الراغب في مفرداته ٢٢٣ مادة (سجد).

(٢) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٣) سورة النجم الآية ٦٢.

(٤) سورة الرعد الآية ١٥.

(٥) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الحج الآية ١٨ : ﴿ ألم تر أن ا لله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ... الآية ﴾.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ الآية ٥٠ من سورة النحل.

(٧) ٢/٤١٠ مع الكشاف . والدر المصون للسمين ٤/٢٣٤.

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ من فوقهم ﴾. قال (ز) : ((إن علقته بـ ﴿ يخافون ﴾)) فمعناه يخافونه.

قوله : ((دال على شيئين، على الجنسية والعدد))[1] ، وفيه أن العدد عار عن الدلالة على ماهية المعدود، فيجوز أن يكون بياناً لأحد مفهوميه.

قوله : ((والذي يساق إليه الحديث هو العدد)) خبر ﴿إن﴾ والذي يساق إليه الحديث تفسير لقوله : ((المعنيُّ به وشُفِّعَ جواب إذا)).

قوله : ((لو قلت : إنما هو إله، ولم تؤكده بواحد، لم يحسن، وخيِّل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية)) قال صاحب التقريب : [فيه نظر، إذْ إله يطلق على الجنس مجرداً عن العدد، فجاء فيه التخييل. وأما ﴿ إلهين ﴾ فلا يتخيل فيه غير التثنية، مع أنه المبحث، وفي حاشية التقريب : [وفي الأصل نظر، لأن نحو إله وضع للجنسية والوحدة لا يجئ التخيل أيضاً إذا جرد عن الواحد، وإن وضع للجنسية المطلقة لم يكن شفّع بالواحد تأكيداً، إذ التأكيد تقوّية ما فهم من الأول، والمقدر عدم دلالته على الوحدة، وقلت : إن المصنف لما بين دلالة الوضع أولاً، وأن مثل رجل ورجلين معدودان فيهما دلالة على العدد، بني عليه معنى التأكيد، واستدل باستواء مؤدى اللفظين، أعني ثلاثة رجال ورجلان فيما يقصد منهما من إرادة المعدود مع العدد، فلو لم يحمل شفعه بالواحد على التأكيد وبيان الغرض، لكان زائداً، فوجب المصير إلى التأكيد تقوية ما فهم، لأن التأكيد إنما يصار إليه لاحتمال ما عسى أن يتوهّم السامع خلاف المقصود، وكل لفظ أُخلي عن التأكيد لا يمنع الاحتمال، وقد نص الزجاج[2]: [أن ﴿ اثنين ﴾ توكيد لقوله ﴿ إلهين ﴾ كما أن الواحد في قوله ﴿ إنما هو إله واحد﴾]، وقال الإمام[3] : [إن ﴿ إلهين ﴾ لفظ واحد يدلّ على أمرين : ثبوت الإله، وثبوت التعدد، فإذا قيل : ﴿ لا تتخذوا إلهين ﴾ لم يعرف منه أن النهي وقع

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ الآية ٥١ من سورة النحل، قال (ز) : الإسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية ((دال على شيئين، على الجنسية والعدد)) المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أن المعنيّ به منهما ((والذي يساق إليه الحديث، هو العدد)) شفّع بما يؤكده، فدلّ على القصد إليه والعناية به، ألا ترى أنك لو قلت : ﴿ إنما هو إله ﴾ ولم تؤكده بـ ﴿ واحد ﴾ لم يحسن، وخُيِّل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية.

(٢) في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٠٤.

(٣) الإمام الفخر الرازي ٢٠/٤٨.

عن إثبات الإله أو عن إثبات التعدد أو عن مجموعهما] فلما شفع بقوله : ﴿ اثنين ﴾ ثبت النهي عن إثبات التعدد فقط، وكذا عن صاحب المفتاح، وأما بيان النظم فإن قوله : ﴿ وقال ا لله لا تتخذوا إلـهين اثنين ... الآية ﴾ معطوف على قوله : ﴿ ما خلق ا لله من شيء﴾ على منوار قوله : ** متقلداً سيفاً أو رمحاً ** أي : أولم ينظروا إلى ما خلق ا لله من الدلائل المنصوبة الشاهدة على وحدانية ا لله تعالى، وأنه لا معبود سواه، أولم يسمعوا إلى ما قال وأوحاه ا لله في الكتب المنزلة، من بيان التوحيد، ونفي الشركاء.

قوله : ((شفع بما يؤكده)) لا ينافي قول صاحب المفتاح، ففسر ﴿ إلـهين ﴾ باثنين، و ﴿ إله ﴾ بواحد، بياناً لما هو الأصل في الغرض، فإن التأكيد أيضاً بيان وجه، ألا ترى إلى قول المصنف : قبيل هذا في قوله : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ هو بيان لقوله : ﴿ وهم لا يستكبرون ﴾ وتأكيد له، لأن من خاف ا لله لم يستكبر عن عبادته.

قوله : ((وجاز لأن الغائب))(1) أي : وجاز النقل، لأن الغائب في قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ هو بعينه المتكلم في قوله : ﴿ فإياي فارهبون ﴾ لأن شريطة الالتفات هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث إلى الأخرى، لمفهوم واحد.

قوله : ((وهو أبلغ في الترهيب من قوله : فإياه فارهبون)) لما أنك تجد في الإنتقال من الغيبة إلى المواجهة فاراً من نفس المخاطب ما لا تجد إذا استمررت على لفظ الغيبة.

قوله : ((ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم)) أي : هذا الانتقال والاختلاف أبلغ من أن يجاء على سنن واحد، وهو أن يجيء على لفظ الغيبة كما يقال : إنما هو إله واحد فإياه فارهبوه، وأن يجيء ما قبله على لفظ التكلم، كما يقال : إنما أنا إله واحد فإياي فارهبون. قال صاحب الفرائد : [فائدة الإلتفات أن يعلم أن ذلك الواحد هو المتكلم، لا غيره، لأنه لما أفاد قوله : ﴿ لا تتخذوا إلـهين

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإياي فارهبون ﴾ . قال (ز) : نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم ((وجاز، لأن الغائب)) هو المتكلم، وهو من طريق الالتفات ((وهو أبلغ في الترهيب من قوله : (وإياي فارهبون))).

اثنين ﴾ وأفاد قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ الأمر باتخاذ الواحد، وجب أن يبين أن ذلك الواحد هو المتكلم فعبّر عن ذلك بقوله : ﴿ فإياي فارهبون ﴾]. وقلت : وتحريره أن قوله تعالى: ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلـهين اثنين ﴾ إلى آخر الآيات، مفرغ في قالب واحد لأن أصل الكلام : لا تشركوا بي شيئاً في العبادة، لأن المعبود واحد، فانظروا بنظر الانصاف أنه من هو؟ فإذا أدّاكم النظر إلى ذلك المعبود أنا، فخصّوني بالرهبة، مثله في الانتقال والتخصيص قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾[1] بعد قوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ وإجراء الصفات عليه تعالى. ثم عطف قوله : ﴿ وله ما في السموات والأرض ﴾ على قوله : ﴿ إنما هو إله واحد ﴾ بعد ما رتّب عليه التقوى ليؤذن بأن عظمة الإلـهية ، كما تقتضي الخوف كذلك المالكية، فعلق به قوله : ﴿ أفغير الله تتقون ﴾، ثم وبّخهم وأنكر عليهم بعد الشرك كفرانهم نعم الله تعالى بقوله : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ ثم استبعده بقوله : ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾، قال ابن الحاجب : الآية جيء بها لإخبار قوم استقرت بهم نعم جهلوا معطيها أو شكّوا فيه أو فعلوا ما يؤدي إلى أن يكونوا شاكّين فاستقرارها مجهولة أو مشكوكة سبّب للإخبار بكونها من الله تعالى.

قوله : ((أو وله الجزاء دائماً))[2] عطف على قوله ((الدين)) الطاعة) والواصب: الواجب الثابت، والدين إذا فسّر بالطاعة، والواصب يجوز أن يكون بمعنى الواجب، فيكون المعنى : الطاعة واجبة لله تعالى، لأن كل نعمة منه، وأن يكون بمعنى الكلفة والمشقة، ويكون المعنى : وله الطاعة التي فيها كلفة ومشقة، ابتلاء للعباد ليتميز المخلص من غيره، وإذا فسر بالجزاء كقوله تعالى : ﴿ مالك يوم الدين ﴾[3] فالواجب بمعنى الثابت فقط، والمعنى : وله الجزاء دائماً ثابتاً، والضمير في قوله :

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٤.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وله الدين واصباً أفغير الله تتقون ﴾ الآية ٥٢ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير ﴿ واصباً ﴾ : الواصب : الواجب الثابت ، ويجوز أن يكون من (الوَصَب) أي : وله الدين ذا كلفة ومشقة، أو ((وهل الجزاء ثابتاً دائما)) سرمداً لا يزول، يعني الثواب والعقاب.

(٣) سورة الفاتحة الآية ٣.

((ولذلك سمّى)) ﴿ الدين ﴾ المفسر بالطاعة . الراغب[1] : [الوصب : السقم الدائم، وقد وَصِب فهو وصِبٌ، وأوصبته كذا فهو يتوصّب، نحو : يتوجّع، قال تعالى : ﴿ولهم عذاب واصب ﴾[2] وقوله ﴿ وله الدين واصباً ﴾ متوعّدٌ لمن اتّخذ إلـهين، وتنبيه أن جزاء من فعل ذلك لازم شديد، ومعنى الواصب : الدائم، أي : حق الإنسان أن يطيعه دائماً في جميع أحواله].

قوله : ((يراوح من صلوات))[3] البيت، يصف راهباً المراوحة في العملين أن يعمل هذا مرة وهذا مرة.

قوله : ((فما معنى قوله : ﴿ إذا فريق منكم ﴾))[4] أتى في السؤال بالفاء للإيذان بالإنكار على الكلام السابق، يعني مقتضى قوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ الإخبار عن قوم استقرت بهم نِعم جهلوا معطيها، وقد ذكرت أن قوله : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً ﴾ ردّ لطعن قريش في رسالته صلوات الله عليه. وقولهم : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، وذكرت ثانياً أن قوله : ﴿ أفأمن الذين مكروا السيئات ﴾ نازلة فيهم، وهي متصلة بتلك الآية بمعنى : أفأمن مُنكروا الرسالة الباذلون جهدهم في المكر بإبطالها أن يخسف بهم وكَيت وكَيت، وقوله : ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله ﴾ عطف على قوله : ﴿ أفأمن الذين مكروا ﴾ وقوله : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلـهين اثنين ﴾ عطف على ﴿ أولم يروا ﴾ على منوال قوله :

---

(1) الراغب في مفرداته ٥٢٤ مادة (وصب).

(2) سورة الصافات الآية ٩.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ﴾ الآية ٥٣ من سورة النحل. قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿ تجأرون ﴾ أي : فما تتضرعون إلا إليه، والجؤار رفع الصوت والاستغاثة. قال الأعشى يصف راهباً :

** يراوح من صلوات المليْك طَوْراً سجوداً وطوراً جؤراً **

انظر مشاهد الإنتصاف ٦١١/٢.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾ الآية ٥٤ من سورة النحل. قال (ز) : ((ما معنى قوله : ﴿ إذا فريق منكم ﴾ ؟)). قلت : يجوز أن يكون الخطاب في قوله : ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ عاماً، ويريد بالفريق الكفرة ... الخ.

** متقلداً سيفا ورمحاً **(1) أي : أولم يروا إلى دلائله الدالة على القدرة القاهرة المسخّرة لكل شيء، وأولم يسمعوا بآياته الشافية في إثبات التوحيد، وأن له الملك الواسع، والدين الواصب، ليعرفوا أن لا بدّ من رسول ليقرر لهم تلك الدلائل، ويبلغ إليهم ذلك القول البليغ، ويمهّد لهم ذلك الدين الواصب، وأن يضع الشريعة المستقيمة ليوضح منهاج الطريقة القويمة، وخصوصاً توبيخ هؤلاء أوّلاً على ما هم فيه من الإشراك بقوله : ﴿ أفغير الله تتقون ﴾، وثانيا على كفرانهم نعمة الله بقوله : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ﴾، وثالثاً على تعكيسهم الأمر بقوله : ﴿ ثم إذا مسّكم الضر فإليه تجأرون . ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾، وإذا كان كذلك فكيف يدخل في المعنى ذكر فريق وكأن بعضاً من أولئك الموبّخين ما أشركوا، وأجاب بأنه يجوز أن يكون الخطاب ﴿ بكم ﴾ عاماً ويراد بالفريق أولئك المشركون. على أن الناس كُلّهم فعلوا ما يؤدي إلى أن يُستجهلوا أو يُنسبوا إلى الكفران خصوصاً هؤلاء المشركين ضمّوا مع الجهل والكفران ما هو أعظم منها، من أنهم إذا مسّهم الضرّ تضرّعوا إلى الله، ثم إذا كشف الله عنهم ذلك الضرّ ليوحدوه بدّلوا بالاشراك، وأن يكون الخطاب خاصاً في إولئك المشركين، ثم ﴿ من ﴾(2) إما بيان، والمعنى على التجريد(3) ، وإليه الإشارة بقوله : ((وهم أنتم))(4) أو تبعيض على أن المراد لم يصدر منه ذلك الإشراك الخاص فهو المقتصد(5) المتوسط الذي خفض من غُلْوانه في الكفر، فظهر من هذا البيان أن

---

(1) يشير إلى قول الشاعر :

** ياليت زوجك قد غدا ** متقلّداً سيفاً ورمحاً **

أي وحاملاً رمحاً. انظر اللسان ٣/٣٦٦ مادة (قلد).

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ من نعمة ﴾.

(3) التجريد : أن ينتزع من أمر موصوف بصفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة للمبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الأمر المنتزع منه . انظر التعريفات للجرجاني ٧٣.

(4) وهذه عادة الكفار، إذا مسهم الضر تضرعوا لله، وإذا كشف الضر عنهم رجعوا لكفرهم، كما قال تعالى في سورة الإسراء الآية ٦٧ : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾، وقوله في الأنعام الآية ٦٤ : ﴿ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴾.

(5) على حد قوله تعالى في سورة لقمان الآية ٣٢ : ﴿ فلما نجاهم إلا البر فمنهم مقتصد ﴾.

﴿ ثم ﴾ في قوله : ﴿ ثم إذا مسكم الضر ﴾ للتراخي في المرتبة. والثانية : على حقيقتها. وأما قطع قوله : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ فلأنه جملة طلبية[1] واردة، كالطبع على جملة الكلام، وكالتخلص إلى نوع آخر من قبائح المشركين، ولذلك عدل من الخطاب إلى الغيبة إيذاناً بالإياس عن إيمانهم، ونعياً عليهم بسوء الخاتمة، وبأن يقال لهم : دوموا على كفركم فسوف تعلمون وخامة عاقبة أمركم، و لله در فاء فائقة، جلبت هذه المعاني الرائقة، رحم ا لله واضعها في هذا المقام، وا لله أعلم.

قوله : ((تخلية ووعيدٌ))[2] بِشَرّ لقوله : ﴿ فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ يعني : خليناكم وأمهلناكم وتمتُعكم بالدنيا ولذّاتها، وعن قريب يظهر لكم سوء مغبّته ووخامة عاقبته . قال أبو البقاء[3] : [الجمهور : ﴿ فتمتعوا ﴾ على أنه أمر، ويقرأ بالياء، وهو معطوف على ﴿ ليكفروا ﴾ ثم رجع إلى الخطاب فقال : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ وقرئ بالياء أيضاً]

قوله : ((من الأمر الوارد في معنى الخذلان)) والتخلية، وهو كقوله تعالى : ﴿قل تمتع بكفرك قليلا ﴾[4] .

قوله : ((وقيل الضمير في : ﴿ لا تعلمون ﴾ للآلهة))[5] يعنى لما نفوا عنها ما يصحّ أن ينفى عن ذوي العلم أجْروها مجرى أولى العلم، وعلى الأول: الضمير[6] للمشركين، ومفعول ﴿ لا يعلمون ﴾ ضمير ((ما)) المعبّر عن الأصنام، وعلى الثاني

(١) الجملة الطلبية : هي الجملة الدالة على الأمر أو النهي أو الدعاء أو النداء أو التمني أو الإستفهام.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ﴾ النحل الآية ٥٥. قال (ز) : تخلية ووعيد)).

(٣) في كتابه إملاء ما منّ به الرحمن ٢/٨٢.

(٤) سورة الزمر الآية ٨ . وقوله : ﴿ قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار ﴾ وقوله : ﴿ ذرهم يخوضوا ويلعبوا ﴾ الآية

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تا لله لتسألن عما كنتم تفترون ﴾ الآية ٥٦ من سورة النحل. قول (ز) : ((وقيل الضمير في ﴿ لا يعلمون ﴾ للآلهة)) أي : لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر .

(٦) يعني قوله تعالى : ﴿ لما لا يعلمون ﴾ أي : المشركون لا يعلمون آلهتهم ويعتقدون نفعها وضرها، وليس كذلك، وحقيقتها أنها جماد لا ينفع ولا يضر، فهم اذا جاهلون بها.

مفعول ﴿ لا يعلمون ﴾ غير منوي، ولذلك قال : ((لأشياء غير موصوفة بالعلم)) وقوله : ((لا تشعر، أجعلوا لها نصيباً))(١) صفة أخرى لأشياء، وعلى هذا الراجع إلى الموصول ضمير الفاعل في ﴿ لا يعلمون﴾.

قوله : ((الرفع على الإبتداء، والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات، أي : وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور))(٢) نقل الإمام عن الفراء(٣) أنه قال : [المختار الرفع لأنه لو كان نصباً لقال : لأنفسهم ما يشتهون، لأنك تقول : جعلت لنفسك كذا وكذا](٤) ، وقال الزجاج(٥) : [لا يجوز النصب لأن العرب تقول: جعل لنفسه ما يشتهي، ولا تقول : جعل له ما يشتهي، وهو يعني نفسه]، وقال أبو البقاء(٦): [وضعّف قوم هذا الوجه، وقالوا : لو كان كذلك لقال : ولأنفسهم، وفيه

---

(١) أي جعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا ؟ كما قال تعالى في سورة الأنعام ١٣٦ : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ الآية ٥٧ من سورة النحل. وقول (ز) : في قوله ﴿ ولهم ما يشتهون ﴾ : يعني البنين. ويجوز في ﴿ ما يشتهون ﴾ ((الرفع على الآبتداء ... الخ)).

(٣) الفراء : يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أو بني منقر، أبو زكرياء، المعروف بالفراء، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال : الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن كلام ثعلب : لولا الفراء ما كانت اللغة، وعهد إليه المأمون بتربية ولديه. ولد سنة ١٤٤ ومات ٢٠٧ في طريقه إلى مكة، كان كثير العلوم . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٢٨/٢، وغاية النهاية ٣٧١/٢، وتهذيب التهذيب ٢١٢/١١.

(٤) انظر كتابه معاني القرآن ١٠٥/٢-١٠٦.

(٥) انظر كتابه معاني القرآن وإعرابه ٢٠٦/٣.

(٦) انظر كتابه الإملاء ٨٢/٢ . يعني أنهم ضعفوا كون (ما) في موضع نصب، عطفاً على نصيباً، أي : ويجعلون ما يشتهون لهم.

نظر. وقال القاضي[1] : [يجوز النصب عطفاً على البنات، على أن الجعل لمعنى الإختيار، وهو وإن أفضى إلى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لِشَيْءٍ واحد، لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف].

قوله : ((ويجوز أن يجيء ﴿ ظَل ﴾)) بمعناه[2] ، الجوهري[3] : [ظَلِلْتُ أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملته بالنهار دون الليل]، قال صاحب الإنتصاف : [وكذا الإحتمال في قوله : ﴿ فظلوا فيه يعرجون ﴾[4] إمّا صاروا وإما أن يراد نهاراً لقصد المبالغة في الوضوح].

قوله : ((فيظلّ نهاره، نهاره بالنصب والرفع، بالنصب ظرف، وبالرفع على الإسناد المجازي ، نحو نهاره صائم.

قوله : ((مُرْبدّ الوجه)) الجوهري[5] : [تَربّدَ وجه فلان، أي : تغير من الغضب، وتَرَبَّدَ أيضاً : تعبّس].

قوله : ((من الكآبة)) سوء الحال والانكسار من الحزن.

قوله : ((وهو الغني عن العالمين))[6] مقابل لقوله : ((وهي الحاجة إلى الأولاد))[7] ، وقوله : ((والنزاهة عن صفات المخلوقين)) في مقابل: ((ووأدِهنَّ

---

(١) القاضي البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل ١٨٤/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ النحل الآية ٥٨. قال (ز) في تفسير ﴿ظل﴾ بمعنى صار، كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة ((يوجوز أن يجيء ﴿ظل﴾)) بمعناه لأن أكثر المواضع يتفق بالليل، فيظل نهاره مغتمّا ((مُربد الوجه)) من الكآبة والحياء من الناس.

(٣) الجوهري في صحاحه ١٧٥٦/٥ مادة (الظل).

(٤) سورة الحجر الآية ١٤.

(٥) الجوهري في صحاحه ٤٧٢/٢ مادة (ربد).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم﴾ النحل الآية ٦٠ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ : ((وهو الغني عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين)).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ مثل السوء ﴾ ((وهي الحاجة إلى الأولاد)).

خشية الإملاق))، وقوله : ((وهو الجواد الكريم)) في مقابل : ((وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ)) وكل ذلك نتيجة قوله : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾، وقوله : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ... – إلى قوله – ساء ما يحكمون ﴾.

قوله : ((فقال : بلى وا لله حتى إن الحبارى لتموت في وَكْرها))[1] النهاية[2] : [وفي حديث أنس : إن الحبارى تموت هَزْلاً بذنب بني آدم . يعني أن ا لله تعالى يحبس القطر بشؤم ذنوبهم، إنما خصَّها بالذكر لأنها أبعد الطير نجعة، فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء، وبين البصرة وبين منابتها أيام]، وقلت : بلى : إيجاب لما بعد النفي، والنفي هنا مستفاد من دليل الحصر، كأنه قيل : يضرّ نفسه، ولا يتعدى الضرر إلى غيره، فأجاب : بلى وا لله يتعدى الضرر إلى غيره حتى الحبارى، فظهر أن حتى غاية تتعدى المقدر.

قوله : ((أومن دابة ظالمة)) عطف على قوله : ((من دابة قط))[3] فعلى الأول التنكير فيها للجنس، وعلى هذا للنوع.

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو يؤاخذ ا لله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ﴾ الآية ٦١ من سورة النحل. قول (ز) : ((بلى وا لله)) أول الكلام : وعن أبي هريرة أنه سمع رجلا يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال: ((بلى وا لله حتى إن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم)).

(2) النهاية ٣٢٨/١، والطبري ١٢٦/١٤، وابن كثير في تفسيره ٤٩٧/٤ من حديث أبي هريرة وأنس رضي ا لله عنهما والبيهقي في شعب الإيمان التاسع والأربعين، وفيه محمد بن جابر التمامي، وهو متروك. انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦١٣/٢.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في سورة فاطر الآية ٤٥ : ﴿ ولو يؤاخذ ا لله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ... الآية ﴾ ، وقوله في سورة الكهف الآية ٥٨ : ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ... الآية ﴾، وقوله هنا : ﴿ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾، لأنه جلّ وعلا يمهل ولا يهمل، كما قال تعالى في سورة إبراهيم الآية ٤٢ : ﴿ ولا تحسبن ا لله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾، وقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٥٣ : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ... الآية ﴾.

(3) يعني ﴿ ما ترك عليها ﴾ أي : على الأرض ﴿ من دابة ﴾ قط، ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين.

قوله : ((إذا قال ا لله : هاتوا))[1] أي : قال للحفظة : هاتوا.

قوله : ((ومن الإستخفاف برسلهم)) أي : برسل المشركين الذين كانوا يرسلونهم.

قوله : ((﴿ مفرطون ﴾ قرئ مفتوح الراء))[2] نافع ﴿ مفرِطون ﴾ بكسر الراء. والباقون بفتحها مخففاً، والمشدد شاذّ، والمفتوح بمعنى : مُقَدّمُون[3] ، يريد مخففاً ومشدداً.

قوله : ((أو بجعل : ﴿ فهو وليّهم اليوم ﴾))[4] عطف على قوله : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ حكاية الحال الماضية، بناء على أن هذا الكلام إما أن يقال : في الآخرة أو في الدنيا. أما الأول : فعلى وجهين : أحدهما : أن يراد باليوم : يوم الآخرة استحضاراً لما جرى على الكفرة في الدنيا من مُتولّي أموزهم، الذي هو الشيطان، وما زيّن لهم من[5] سوء أعمالهم، وسوّل لهم من[6] المعاصي والكفر، كأن السامع حينئذ يستحضر يوم الدنيا، وتلك الحالة فيتعجب منها. وثانيهما : أن يراد باليوم حينئذ

---

(١) تفسير قوله : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفركون ﴾ النحل الآية ٦٣. قال (ز) عند تفسير قوله : ﴿ أن لهم الحسنى ﴾ : وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار، كيف تكون يوم القيامة إذا قال ا لله تعالى : ((هاتوا ما دفع للسلاطين وأعوانهم، فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة، وإذا قيل : هاتوا ما دفع إليّ، فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له، أما تستحي من ذلك الموقف ؟.

(٢) ﴿ وأنهم مُفْرِطُون ﴾ قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي ساكنة الفاء، خفيفة الراء مكسورة. وقرأ الباقون : ﴿مُفْرَطُون﴾ مفتوحة الراء، خفيفة. وروى عن الأعرج : ﴿ مُفْرَّطون ﴾ بفتح الراء وتشديده، شاذة. المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٤، وحجة القراآت ٣٩١ .

وقرأ بالشاذ أيضاً أبو جعفر المدني . شواذ القرآت لابن خالويه ٧٣، والبحر المحيط ٥/٥٠٦.

(٣) يعني مقدّمون إلى النار والعياذ با لله، ومنه قوله صلى ا لله عليه وسلم : (أنا فرطكم على الحوض) أي متقدمكم.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ تا لله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم ولهم عذاب أليم ﴾.

(٥) لهم (من) سوء أعمالهم . ما بين القوسين في م.

(٦) لهم (من) المعاصي . ما بين القوسين في م.

الزمان الممتدّ في الدنيا، فالتعريف في اليوم للعهد، والمعنيّ بالوليّ : القرين، أي : فهو قرينهم في الدنيا، وليس في هذا الوجه ذلك الاستحضار، بل مجرّد الإخبار . وأما الثاني : فعلى أن إخبار ا لله عن الكائن بمنزلة الواقع الثابت، فيستحضر الآن ما يجري عليهم في القيامة، وهذا على عكس الوجه الأول. والوليّ حينئذ بمعنى الناصر، وإثبات النصرة على سبيل التّهكم، وإليه أشار بقوله : ((نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه))(١) ، ومثله قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ﴾(٢) والغرض استحضار صورة الظالمين موقوفون عند ربهم متقاولين تلك المقالة.

قوله : ((ويجوز أن يرجع الضمير)) يعني في قوله : ﴿ وليهم ﴾، وهو عطف على قوله : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ حكاية الحالة الماضية، لأن الضمير على الأول، لكل من والاه الشيطان، المعني الشيطان قبل قريش، زَيَّن للأمم الماضية من الكفار أعمالهم فهو الآن وليّ هؤلاء الخلف، لأنهم متّصلون بهم في الدين، كقوله تعالى : ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾(٣) وقلت : هذا هو الوجه، وعليه النظم الفائق، لأن في تصدّر القَسَمِيَة بقول : تا لله بعد إنكارهم الرسالة، وتعداد قبائحهم الإشعار بأنها كالتسلية لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، فإن الأمم الخالية مع الرسل السالفة لم تزل على هذه الوتيرة، تلك أسوة بتلك الأنبياء، وقومك خَلَفٌ لتلك الأمم، فلا تَهْتَمَّ بذلك، فإن ربك ينتقم لك منهم بالقتل والدمار في الدنيا، وبعذاب النار في العقبى، واشتغل أنت عنهم بتبليغ ما أنزل عليك من الكتاب الفيصل بين الحق والباطل، الهادي إلى الصراك المستقيم، والرحمة للمؤمنين، وبتقرير أنواع الدلائل المنصوبة على الوحدانية، وبالتنبية على إقامته الشكر على نعم ا لله المتظاهرة، وهذا التقرير يؤاخي التقرير في فاتحة هذه السورة الكريمة، وا لله أعلم.

---

(١) تفسير لقوله تعالى : ﴿ فهو وليهم اليوم ﴾ قال (ز) : حكاية للحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في النار، أي : فهو ناصرهم اليوم، لا ناصر لهم غيره، ((نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه)).

(٢) سورة سبأ الآية ٣١.

(٣) سورة التوبة الآية ٦٧.

قوله : ((وإنما ينتصب مفعولا له))[1] .

قوله : ((مفعولاً له)) تمييز، والفاعل ((ما)) في ((ما كان)).

قوله : ((وأشياء من التحريم))[2] عطف على قوله : ((البعث)).

قوله : ((ثوب أكياش))[3] وفي الحاشية : الأكياش[4] ضرب من الثياب تغزل مرتين.

قوله : ((في كل عام نعم...البيت))[5] وبعده ** هيهات هيهات لما يرجونه **

** أربابه نوكي، فلا يحمونه ** ولا يلاقون طعاناً دونه **

يروى أفي كل عام ذكّر الضمير في يحمونه. الراجع إلى نعم، لأنه اسم مفرد بمعنى الجمع، يخاطب لصوصاً، يقول لهم : يحوون كل عام نعماً لقوم ألقحوه، وأنتم منتجونه في حيكم.

قوله : ((﴿ نسقيكم ﴾ بالفتح والضم))[6] بالضم كلهم إلا نافعاً وابن عامر وأبابكر، قال الزجاج[7] : [سقيته وأسقيته بمعنى. وقال سيبويه والخليل : سقيته

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ الآية ٦٤ من سورة النحل. قول (ز) في تعليل دخول لام (لتبين) قال : لأنه فِعْلُ المخاطب، لا فعل المنزّل، ((وإنما ينتصب مفعولا له، ما كان فِعْلُ فاعل الفعل المعلّل.))

(٢) تفسير لقوله تعالى : ﴿ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ﴾ قال (ز) : والذي اختلفوا فيه البعث، لأنه كان فيهم من يؤمن به، ومنهم عبد المطلب ((وأشياء من التحريم)) والتحليل والإنكار والإقرار.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نُسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ الآية ٦٦ النحل. قال (ز) : ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم : ((ثوب أكياش)) ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً، يعني قوله : ﴿ في بطونه ﴾ .

(٤) القاموس ٢٨٧/٢ : الثوب الأكياش الذي أعيد غزله، مثل الخز والصوف، أو هو الرديء.

(٥) البيت لصبيّ من بني أسد، اسمه : قيس بن الحصين الحارثي . وتمامه :

** أكل عام نعم تحوونه ** يلقحه قوم وتنتجونه **

** أربابه نوكى فلا يحمونه ** ولا يُلاقون طعانا دونه **

** أنعم الأبناء تحسبونه ** هيهات هيهات لما ترجونه **

انظر الإنصاف لابن المنير، حاشية الزمخشري ٦١٥/٢.

(٦) قرأ نافع وابن عامر وأبوبكر عن عاصم ويعقوب ﴿ نَسْقيكُم ﴾ بفتح النون، والباقون بالضم. المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٥.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٢٠٨/٣-٢٠٩.

كقولك: ناولته فشرب، وأسقيته : جعلت له سقياً، وكذلك قول لبيد[1] يحتمل المذهبين:

** سقى قومي بني مجد وأسقى ** نميراً والقبائل من هلال **

وهذا البيت وضعه النحويون على أن سقى وأسقى بمعنى، وهو يحتمل التفسير الثاني]، وقيل : لا يريد الشاعر يسقى قومه : أن يروي عطاشهم، يريد رزقهم ا لله سقياً لبلادهم يخصبون منها، وبعيد أن يسأل لقومه ما يروي العطاش ولغيرهم ما يخصبون، ومعنى ﴿ نُسقيكم ﴾ بالضم : جعلناه في كثرته وإدامته كالسقيا، فهو كقوله : أسقيته نهرا، الجوهري[2] : [سقيته لشفته، وأسقيته لماشيته وأرضه، والاسم السِّقْي بالكسر ، والجمع الأسقية].

قوله : ((قيل : إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها)) ... إلى آخره. وقيل : الأطباء يزعمون على خلافه، قال الأمام[3] : [المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولّد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولّد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهي من الأشياء الموكولة الحاصلة في الكرش، وهذا اللبن متولّد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولاً ثم مما كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً، فصفّاه ا لله تعالى عن تلك الأجزاء الكثيفة الغليظة فإذا تناول الحيوان الغذاء ووصل إلى معدته أو إلى كرشه فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه، فما كان صافياً انجذ إلى الكبد، وما كان كثيفاً نزل الى الأمعاء، والحاصل في الكبد ينهضم ثانياً ويصير دماً، ثم الدم يدخل في الأوردة، وهي العروق الثابتة من الكبد، وهناك يحصل الهضم الثالث، وبين الكبد والضروع عروق فينصب الدم منها إلى الضرع، وفيه لحم غدديّ رخوٌ أبيض،

---

(1) لبيد بن ربيعة العامري، والبيت في ديوانه ١٢٨/١. ورواه أبوعبيدة في مجازه ٣٥٠/١.

(2) الجوهري ٢٣٧٩/٦ مادة (سقى).

(3) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٦٥/٢٠.

فينقلب الدم فيه إلى اللبن، وذلك تقدير العزيز العليم]. قال القاضي[1] بعد ما ذكر نحوا من هذا : ومن تدبر صنع الله في إحداث الأخلاط والألبان وإعداد مقارّها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها، كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته، وعلى هذا الأقرب أن يكون ﴿ من بين فرث ودم ﴾ حالاً من ﴿ لبناً خالصاً ﴾ ولا يكون ظرفاً لغواً.

قوله : ((لأن بين الفرث والدم مكانَ الاسقاء)) روي : مكانُ بالرفع. وقيل : (بين) اسم لا ظرف وانتصابه على الحكاية، وليس أن يعامل هذا النصب، وإنما هو عامل نصب آخر مقدر، والتقدير : لأن محل الفرث والدم مكان الإسقاء أو أن التوسط والمتخلل بين الفرث والدم مكان الإسقاء، وفيه نظر، لأنه حينئذ ظرف لا اسم، والظاهر أن التقدير : أن وسط الفرث والدم مكان الإسقاء كقراءة من قرأ : ﴿ لقد تقطع بينُكم ﴾[2] بالرفع[3] .

قوله : ((أو تعلق بتتخذون))[4] أي : قوله : ﴿ ومن ثمرات النخيل ﴾ وقلت : البيان والكشف أولى لمقابلته قوله : ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾ وهو بيان لقوله : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة ﴾ ولذلك جعل ﴿ من ثمرات ﴾ متعلقاً بالمحذوف لا بهذا الظاهر، لكونه غير صالح للبيان . قال أبو البقاء[5] : [وقيل : التقدير :

---

(1) القاضي البيضاوي ١٨٥/٣.

(2) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(3) ففي هذه الآية الكريمة أن الأنعام عبرة دالة على تفرد من خلقها وأخلص لبنها من بين فرث ودم، بأنه هو وحده المستحق لأن يعبد ويطاع ولا يعصى، وأوضحه في آيات أخرى كقوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ٢١ : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾ وقوله في سورة يس الآية ٧١ : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ الآية ٦٧ النحل. قول (ز) في تفسير قوله : ﴿ تتخذون منه سكراً ﴾ بيان وكشف عن كنه الإسقاء ((أو يتعلق بتتخذون)) .

(5) في كتابه إملاء ما من به الرحمن ٨٣/٢.

وتتخذون من ثمرات النخيل سكراً، وأعاد ﴿ من ﴾ لمّا قدّم وأخّر وذكّر الضمير، لأنه عاد على شيء المحذوف، أو على معنى الثمرات، وهو التّمر أو على النخل، أي : من ثمر النخل، أو على الجنس أو على البعض أو على المذكور.

قوله : ((زيد في الدار فيها))[1] قال في الأنبياء أورد سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيداً : عليك زيد حريص عليك وغير ذلك. قوله :

** ((بِكَفّي كان من أرمي البشر[2] ** وقبله :

** مالك مِنّي غيرُ سهم وحَجَر ** وغيرُ كَبْدَاء شديدة الوتر **

** جادت بكفّي كان من أرمى البشر **

كبد القوس : مقبضها، والضمير في جادت راجع إلى كبداء، صارت جيدة قوله: بكفي كان، أي : بكَفّي رجل كان من أرمى البشر.

قوله : ((فإلى م يرجع الضمير في منه؟))[3] في السؤال إنكار بشهادة الفاء، يعني : إذا جعلت ﴿ من ثمرات ﴾ من باب : زيدٌ في الدار فيها، كان الضمير في منه لغير مدخول ﴿ من ﴾ والثمرات مؤنثة، وأجاب بأنها في تأويل العصير.

قوله : ((إلى الأهل المحذوف)) أي : في قوله تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون)) أي : ومن عصير ثمرات النخيل.

قوله : ((وجاءونا بهم سكر ...)) البيت[4] ، الضمير في جاؤنا للجنس، سكر غضب وسفه، أراد بصحوهم : علمهم بعجزهم عن مقاومتنا، (سكر) مبتدأ، و (بهم) خبر مقدم عليه، و(علينا) متعلق بـ(سكر)، والجملة حال، فأجلى بمعنى جلّى أي : انكشف، قيل : استشهد بالبيت على أن السكر مصدر في الأصل.

---

(١) يعني أن قوله : ﴿ ومن ثمرات النخيل ... الآية ﴾ يتعلق بـ ﴿ تتخذون ﴾، وكرر لفظ (من) للتأكيد، كقولك : (زيد في الدار، فيها). فكرر الظرف للتوكيد، أي : كائن في الدار، فيها كائن، أو مستقر . وا لله أعلم.

(٢) يشير إلى قول الراجز ولم أقف عليه. انظر مشاهد الإنصاف ٦١٦/٢

(٣) يشير إلى كلام (ز) : فإن قلت : ((فإلى م يرجع الضمير في (منه))) إذا جعلته ظرفاً متكرراً ؟. قلت : إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير، كما رجع في قوله : ﴿ أو هم قائلون ﴾ الأعراف الآية ٤ .

(٤) يشير إلى قول الشاعر الذي استشهد به الزمخشري ٣٩٥/٢ وأيضاً ٦١٧/٢ :

** وجاؤنا بهم سَكَرٌ علينا ** فأجلى اليوم والسكران صاحي **

قوله : ((وفيه وجهان))[1] أي : في الجمع بين السكر والرزق الحسن، مَنّ عليهم قبل النسخ بتمكينهم على أن يتخذوا منه السكر والرزق الحسن كسائر ما عدّد عليهم من النعم لقوله : ((لأنهم كانوا يأكلون بعضها ويتّخذون من بعضها السكر)) ثم نسخ السكر.

قوله : ((أن يجمع بين العتاب والمنّة)) يعني : خلقنا لكم ثمرات النخيل والأعناب، بأن تجعلوها ذريعة إلى الطاعات، فجعلتم بعضا منها مادة المعاصي، ولهذا قيد إحدى القرينتين بقوله : ﴿ حسناً ﴾.

قوله : ((وهو حلال عند أبي حنيفة))[2] رضي الله عنه إلى حد السكر، ويحتج بهذه الآية، وعن محي السنة[3] : [وأولى الأقاويل قول من قال : إنها منسوخة] لأنها نازلة قبل تحريم الخمر، وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد، وقلت : في الآية نفسها دلالة على قبح تناولها تعريضاً، وذلك من عطف قوله : ﴿ ورزقاً حسناً ﴾ عليه، وقد فسر بالخلّ والربّ.

قوله : ((الخمر حرام لعينها فيحرم قليلها وكثيرها[4]

قوله : ((والسّكر من كل شراب)) أي : السكر أيضاً حرام من كل شراب فلا يحرم شربه إلا إذا انتهى إلى حدّ السكر فيحرم.

قوله : ((تناولته الدعارة))[5] الأساس[6] : [رجل داعر : خبيث فاجر وفيه دعارة] فهو على حذف المضاف، أي : طَعَمه أصحاب الدعارة، فقبح في المروءة التشبه بهم.

---

(1) ((وفيه وجهان)) أحدهما : أن تكون منسوخة.

(2) قال (ز) : وقيل : السكر النبيذ، وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتد، ((وهو حلال عند أبي حنيفة)).

(3) محي السنة يعني : أبا محمد الحسين بن مسعود البغوي في تفسيره ٥/٢٨-٢٩.

(4) حديث أخرجه النسائي ٣٢١/٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : (حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها، والسكر من كل شراب) وذكره ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف، وقال أيضاً : رواه العقيلي من وجه آخر عن علي مرفوعاً، وفيه محمد بن الفرات الكوفي، وهو منكر الحديث ٦١٧/٢.

(5) يشير إلى ما قاله شيخ الزمخشري الجبّائي، وقد ألف في تحليل النبيذ كتباً، ولما كبرت سنه، قيل له : لو شربت منه، يعني النبيذ ما تقوى به، فقال : ((تناولته الدعارة فسَمَجَ في المروءة)).

(6) الأساس البلاغة للزمخشري ص١٨٨ مادة (سمج).

قوله : ((أي تنقّلت [1] أي : جعلت أعراضهم نُقْلاً. وقيل : هو أي سكراً في البيت.

قوله : ((إذا أبترك))[2] قيل : ابترك فلان في عرض فلان إذا اعتمد في ذمّه. الأساس[3] : [وابترك الفرس في عدوه اعتمد فيه واجتهد].

قوله : ((ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً))[4] عطف على قوله : ((أن يجمع بين العتاب والمنة))، فعلى هذا العطف من باب البيان والتفسير.

قوله : ((والا فنيقتها))[5] أي : حسن صنعها، وعن بعضهم أي : إن لم يقل يعلمها وإدراكها، لم يصح، لأن نيقتها دليل ظاهر على علمها، فأقام سبب الجواب مقام الجواب، أو يقال (إن) شرطية، ولذلك دخلت الفاء في الجزاء، أي : وإن لم تصدقني على ما ذكرت فنيقتها ولطفها وإصابتها دلائل بيّنة على أن الله تعالى أودعها علماً، أما نيقتها في صنعتها فهي ما ترى في بنائها البيوت المسدسة من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض، فإنها لو كانت مربعة بقيت فرج ضائعة عند دخولها فيها، ولو كانت مستديرة بقيت الفرج بين البيوت ضائعة، وأما فطنتها كما

---

(1) يشير إلى قول الشاعر ، ولم أقف عليه . وانظر الكشاف ٦١٧/٢ :

** جعلت أعراض الكرام سَكَارا **

((أي تنقلت)) بأعراضهم ((أي جعلت أعراضهم نُقْلاً)) والنُقل بالضم ما ينتقل به على الشراب. انظر الصحاح للجوهري ١٨٣٤/٥.

(2) يقول (ز) : قيل السكر من الخمر ((وأنه إذا ابترك)) في أعراض الناس فكأنه تخمّر بها.

(3) أساس البلاغة للزمخشري ٣٧ مادة (برك).

(4) كأنه قيل : تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾ النحل الآية ٦٨. قال (ز) عند قوله : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ... ﴾ الآية : الإيحاء إلى النحل إلهامها، والقذف في قلوبها، وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل إلى الوقوف عليه ((والإفنيقتها)) في صنعها ولطفها في تدبير أمرها ... الخ. ومعنى الإ فنيقتها : أي : أناقته وحسنه.

أعطى أولى العلم، فهي ما ذكره الإمام[1] : ﴿ إن لها مقدّما كالرئيس يكون أعظم جُثّة منها، نافذ الحكم بينها، وأنها إذا نفرت عن أوكارهـا، ذهبـت بأجمعهـا، ثـم إذا أريـد عودها ضربوا لها آلات الملاهي والموسيقى، وبواسطة تلك الألحان ترد إلى أوكارها].

قوله : ((﴿ من كل الثمرات ﴾ إحاطـة بـالثمرات))[2] مبتـدأ أو خـبر، أي : هذا اللفظ مفيد للإحاطة العرفية، كقوله تعالى : ﴿ أوتيت من كل شيء ﴾[3] .

قوله : ((تجرسها النحل))[4] الجوهري[5] : [الجرس : الصوت الخفي، ويقـال : سمعت جرس الطير، إذا سمعتَ صوت مناقيرها على شيء تأكله].

قوله : ((من أجوافك ومنافذ مـآكلك))[6] فيـه إشـارة إلى الخـلاف أن العسـل هل يخرج من بطونها أو من منافذ مآكلها كالأفواه، قال القاضي[7] : [واحتـج بالآيـة من زعم أن النحل تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلاً ثم تقيء ادّخاراً للشتاء، ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية حلوة صغـيرة متفرقـة علـى الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادّخاراً، فإذا اجتمـع في بيوتهـا شـيئ كثـير منهـا كان العسل، فسّر البطون بالأفواه]، وكذا عن الإمام[8] : [وقال يسمى كـل تجويـف داخل البدن بطناً، ألا تراهم يقولون : بطون الدماغ]، والذي يدل على أنها تحاول بما تفعل الادخار، أن صاحبها بعد ما يشتال[9] منه يترك لغذائها بقية في بيوتها.

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٧٠/٢٠.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ النحل الآية ٦٩.

(٣) سورة النمل الآية ٢٣.

(٤) تفسير قوله : ﴿ من كل الثمرات ﴾ إحاطة بالثمرات التي ((تجرسها النحل)).

(٥) الجوهري في صحاحه ٩١١/٣-٩١٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿ فاسـلكي سـبل ربـك ﴾ أي الطرق الـتي ألهمـك وأفهمـك في عمـل العسـل، أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي : في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النَّوْر المُرَّ عَسَلاً ((من أجوافك...الخ

(٧) القاضي البيضاوي في تفسيره الأنوار ١٨٦/٣.

(٨) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٧٢/٢٠-73

(٩) اللسان : اشتال بمعنى شال، وأشال الحجر وشاله : رفعه. ٣٧٦/١١ مادة (شول).

قوله : ((أو أراد بقوله : ﴿ ثم كلي ﴾ (ثم اقصدي)[1] عطف على قوله : ((كلي من كل ثمرة تشتهينها)) وهو على أسلوب قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾[2] وعلى الأول : أي على غير هذا الأسلوب، الفاء جواب شرط محذوف. وعلى الثاني : سلوك السبيل على الحقيقة قطعاً، وعلى الأول تحتمل المجاز أيضاً، وهو على وجهين : أحدهما المراد استعمال الصنعة الغريبة في العمل، ومنه سلوك العارف، ومن ثم قال : الطرق التي ألهمك، وثانيهما : استعمال المأكول في أجوافها ومسالكها التي تحيل فيها النَّوْر المرَّ عسلاً. ومنه سلكت الخيط في الإبرة . واما الحقيقة : فهو قوله : فاسلكي إلى بيوتك راجعة ﴿ سُبُل ربك ﴾ . والفرق بين هذا الوجه وبين قوله : ثم اقصدي، أن السلوك على هذا من مراعيها إلى البيوت راجعة، وعلى ذلك : من بيوتها إلى مراعيها قاصدة. الإنتصاف[3] وُكّل الأكل إلى شهوتها فلم يحجر عليها، كما حجر في البيوت، لأن مصلحة الأكل حاملة على الإطلاق . وأما البيوت، فلا يحصل مصلحتها في كل موضع، ولذلك دخلت (ثم) لتفاوت الأمر في الحجر في البيوت، والإطلاق في الأكل، كما تقول : راعِ الحلال فيما تأكله، ثم كل مما شئت. وقلت : إنما عدل من خطابها إلى الغيبة في قوله : ﴿ يخرج من بطونها ﴾ للتخلص إلى امتنان الناس، لأن المقصود من خلق النحل وإلهامه : انتفاعهم به .

قوله : ((وأنّثَ ﴿ ذُلُلاً ﴾)) جمع الخبر، والمبتدأ مفرد، لأن الخطاب في قوله تعالى : ﴿ فاسلكي سبل ربك ﴾ لجنس النحل بدليل قوله : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ﴾ وقوله : ((وتأنيثه على المعنى)) . الجوهري[4] : [النحل والنحلة الدَّبْر يقع على الذكر والأنثى]، ونظيره قوله تعالى : ﴿ يـأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه . فأما من أوتي كتابه ... الآية ﴾[5] ، ويجوز أن يكون الخطاب لكل

---

(١) ما بين القوسين س من م.

(٢) سورة النحل الآية ٩٨.

(٣) هكذا في كل النسخ، وليس بواضح، ولعلها : الانصراف.

(٤) الجوهري في صحاحه ٥/١٨٢٦ مادة (نحل).

(٥) سورة الانشقاق الآية ٦.

واحدة واحدة منها فجمع الخبر (للمبالغة في الذّلة كما)[1] جمع الوصف في قوله تعالى : ﴿ شهاباً رصداً ﴾[2] وقوله : ((معاً جياعاً)) والأول أوجه.

قوله : ((إن رجلاً جاء إليه فقال : إن أُخي ... الحديث ، رواه البخاري[3] ومسلم والترمذي عن أبي سعيد، مع تغيير فيه، وليس في آخره كما أنشط من عقال. النهاية[4] : [أنشط، أي : حلَّ] يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها وأنشطها وأنشطتها إذا أحللتها، وكثير ما يجيء كأنما نشط من عقال، وليس بصحيح لما ذكرنا قوله : ((وكذب بطن أخيك)) النهاية[5] : [الكذب ههنا مجاز حيث هو ضد الصدق، والكذب يختص بالأقوال، فجعل بطن أخيه حيث لم ينجع فيه العسل كذباً، لأن الله تعالى قال : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ يريد أنه من المقابلة والمشاكلة، فلما قال : صدق الله، حسُن أن يقول : كذب بطن أخيك.

قوله : ((وعن عبد الله بن مسعود : العسل شفاء [6] . الحديث رواه ابن ماجه عن عبد الله مرفوعاً، ورواه رزين أيضاً.

---

(1) ما بين القوسين س من ت ، ب.

(2) سورة الجن الآية ٩.

(3) أخرجه البخاري مع الفتح ١٣٩/١٠ كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، وقول الله تعالى : ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ . ومسلم ١٧٣٦/٤ كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه : قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : إن أخي استطلق بطنه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسقه عسلاً، فسقاه، ثم جاءه فقال : إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال له ثلاث مرات. ثم جاء الرابعة فقال : اسقه عسلاً، فقال : لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فبرأ.

والترمذي ٣٥٦/٤ كتاب الطب، باب ما جاء في التدواي بالعسل.

(4) النهاية في غريب الحديث ٥٧/٥ مادة (نشط).

(5) النهاية ١٥٩/٤ مادة (كذب).

(6) يشير إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : عليكم بالشفاءين، العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور. أخرجه ابن ماجه برقم ٣٤٥٢ . والحاكم في المستدرك ٣٠٠/٤ من حديث أبي إسحاق عن الأحوصي وصححه، ووافقه الذهبي، وذكره ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف وفي فتح الباري ١٧٠/١٠ بلفظ : عليكم بالشفاءين العسل والقرآن. وذكر وقفه ورفعه، ورجاله رجال الصحيح. والكامل لابن عدي ١٠٦٥/٣.

قوله : ((أنه قال عند المهدي[1] : هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور، ثالث خلفاء بني العباس، كان أبو جعفر المنصور خليفة وعمه أبو العباس السفاح خليفة، وأخوه موسى الهادي، وابنه هارون الرشيد وإخوته وأولاده كلهم خلفاء[2] .

قوله : ((ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة))[3] يعني قوله : ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ كناية عن النسيان، لأن الناسي يعلم الشيء ثم ينساه، فلا يعلمه بعد ما علمه، وهذه صفة الأطفال. قال تعالى : ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق ﴾[4] والعلم بمعنى الإدراك والتعقّل، المعنى : لا يترقى في إدراك عقله الأول، لأن الشاب في الترقي، والشيخ في التوقف والنقصان، وعلى هذا إذا أجرى العلم على معناه، كما في الوجه الأخير، وإنما خص الزيادة به، لأن العلم يزداد بالترداد. قال الشيخ الشاطبي[6]:

** وخير جليس لا يمل حديثه ** وترداده يزداد فيه تجملاً **

---

(1) يشير إلى ما ذكره (ز) هنا : قال : ومن بدع تأويلات الرافضة، أن المراد بالنحل عليّ بن (أبي طالب) وقومه، وعن بعضهم ((أنه قال عند المهدي)) إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجل : جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم، فضحك المهدي، وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة.

(2) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣١٧ -٣٤٢.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ الآية ٧٠ من سورة النحل. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴾ : ((ليصير إلى حالة ... الخ))

(4) سورة يس الآية ٦٨.

(6) الشاطبي : القاسم بن فيرُّة بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، إمام القراء، كان ضريراً، ولد بشاطبة (في الأندلس) وتوفي بمصر، وهو صاحب حرز الأماني، القصيدة المشهورة في القراآت، تعرف بالشاطبية، وكان عالماً بالحديث والتفسير واللغة، والرعيني نسبة إلى ذي رعين أحد أقيال اليمن . ولد سنة ٥٣٨ ومات ٥٩٠. وفيات الأعيان ٤٢٢/١، ونفح الطيب ٣٣٩/١، وغاية النهاية ٢٠/٢، وهذا البيت من قصيدته (حرز الأماني) وقبله :

** وإن كتاب الله أوثق شافع ** وأغني غناء واهباً متفضلاً **

قوله : ((كما يحكى عن أبي ذرّ رضي ا لله عنه))[1] الحديث من رواية البخاري ومسلم، قال المعرور بن سويد : رأيت أبا ذر وعليه حلة، وعلى غلامه حلة مثلها، فسألته عن ذلك فذكر أنه سابّ رجلاً فقال له النبي صلى ا لله عليه وسلم : إنك امرؤ فيك جاهلية، قلت : على ساعتي هذه من كبر السن، فقال : نعم (هم إخوانكم وخولكم جعلهم ا لله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم)[2] .

قوله : ((فجعل ذلك)) أي عدم المساواة أو الرد بفضل ما رزقوهم عليه، المعنى: ا لله الذي فضل بعضكم على بعض في الرزق، فشُكر ذلك أن تواسوا إخوانكم فيه، فما بالكم لا تواسون أو لا تردون رزقكم عليهم فتستووا في الرزق، فسر الآية بوجوه : أحدها : بيّن فيه حكم حسن الملكة كما سبق . وثانيها : أن يكون تمثيلاً، والممثل به ما تعورف بين الناس من أحوال السادات مع المماليك، فذكره لتوبيخ المشركين. وثالثها : بين أن جميع النعم التي عدّها من أول السورة، واصلة من ا لله تعالى إلى العبيد سواء كانوا أحراراً أو مماليك، لئلا يمنّ أحد على أحد، فإن قلت : لا يجوز أن يكون تمثيلاً لخلوّ الكلام عن القرينة الداعية إلى التمثيل. قلت : يمكن أن تجعل القرينة كون الآية تخلُّصاً إلى نوع آخر من بيان قبائح الكفار وكفرانهم نعم ا لله المتواترة، وهو قوله : ﴿ ويعبدون من دون ا لله ﴾ إلى قوله : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾، والتنبيه على القرينة قوله : ﴿ أفبنعمة ا لله يجحدون ﴾.

قوله : ((وقرئ : ﴿ يجحدون ﴾ بالياء والتاء الفوقانية أبو بكر[3] . والباقون بالياء.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وا لله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على مما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة ا لله يجحدون ﴾ الآية ٧١ من سورة النحل

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٨٤/١ كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، وله أطراف. ومسلم ١٢٨٢/٣ كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه. وأبوداود برقم ٥١٥٨ . والترمذي ٣٥٣/١ . وابن ماجه برقم ٣٦٩٠ . وأحمد ١٥٨/٥.

(٣) قرأ عاصم في رواية أبي بكر : ﴿ أفبنعمة ا لله تجحدون ﴾ بالتاء والباقون بالياء. انظر ابن مهران ٢٢٥.

قوله : ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة))[1] الراغب[2] : [الحافد : المتحرك المتبرّع بالخدمة، أقارب كانوا أو أجانب؟ قال المفسرون : هم الأسباط ونحوهم، وذلك أن خدمتهم أصدق، وفلان محفود: أي : مخدوم، وسيف محتفدٌ، أي : سريع القطع. قال الأصمعي[3] : أصل الحفد مقاربة الخطو].

قوله : ((حفد الولائد ... البيت[4] ، الإماء، يقول : إن الإماء يسرعن بينهّن، وأزمّة الجمال أسلمت بأكفهن، يريد أنهن متنعمات مخدومات ذوات الإماء والأجمال.

قوله : ((وقيل : المعنى : وجعل لكم حفدة، أي : خدماً)) عطف على قوله : ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة)) فعلى الأول الحفدة عام فيمن يسرع في الطاعة والخدمة من القرائب، وعلى هذا : في معنى الخدم نفسه، وعلى الوجه الأخير يكون العطف من باب قوله تعالى : ﴿ إذْ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ﴾[5] .

قوله : ((إلاّ أنموذج منها))[6] المغرب[7] : [النموذج : بالفتح، والأنموذج : بالضم، تعريب نُمُوذة].

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴾ النحل الآية ٧٢ . قال (ز) في تفسير قوله:﴿ حفدة ﴾ : والحفدة جمع حافد ((وهو الذي يحفد، أي : يسرع في الطاعة)) والخدمة.

(2) الراغب ١٢٣ مادة (حفد).

(3) الأصمعي : أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، من قيس عيلان البصري اللغوي الأخباري، أحد الأعلام، يقال :اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب، ولد سنة بضع وعشرين ومائة، حدّث عن ابن عون وسليمان التيمي، وعنه أبو عبيد ويحي بن معين، مات سنة ٢١٥، سير أعلام النبلاء ٤١٠/١٠ والأنساب ٢٩٣/١٠.

(4) وتمامه :

** حفد الولائد بينهنّ وأُسْلِمَتْ ** بأكُفِّهِنَّ أزمّة الأجمال **

والبيت لجميل بن عبد الله بن معمر العذري، الشاعر المعروف . انظر سير اعلام النبلاء ١٨١/٤. وَالكشاف ٦٢٠/٢.

(5) سورة الأنفال الآية ٤٩.

(6) تفسير قوله : ﴿ من الطيبات ﴾ . قال (ز) : يريد بعضها، لأن كل الطيبات في الجنة، وما طيبات الدنيا ((إلا أنموذج منها)).

(7) المغرب في ترتيب المعرب ٣٢٨/٢ مادة (نمذج).

قوله : ((﴿ أفبالباطل يؤمنون ﴾ وهو ما يعتقدون))[1] إلى آخره، فيه إنكار وتوبيخ على ما آمنوا وعلى ما كفروا، وفي التركيب الأول تقديم، فيفسد التخصيص، وتكرير فيؤذن بالتأكيد والتحقيق، لأن الفاء تستدعي فعلاً يعطف المذكور عليه، أي : كفروا بالحق فآمنوا بالباطل، وإلى التخصيص الإشارة بقوله : ((فليس لهم إيمان إلا به))، وإلى التحقيق بقوله : ((كأنه شيء معلوم مستيقن)) . والتركيب الثاني أيضاً كذلك التأكيد من بناء يكفرون على هم، وإلى التخصيص الإشارة بقوله : ((ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها)) لأنهم إذا كفروا نعمة الله مع وجود ما يوجب الشكر من جلائها وظهورها، وأنها كالمحسوس المشاهد، فكأنهم أنكروا أنها نعمة، أو أنها من الله، وإليه الإشارة بقوله : ((منكرون لها كما ينكر المحال، وإلى التأكيد الإشارة بقوله : ((هم يكفرون بها ومنكرون لها)) وقوله : ((نعمة الله)) مبتدأ ، وقوله : ((هم كافرون بها)) خبره وفيه ضرب من التأكيد.

قوله : ((ونعمة الله ما أحلّ لهم))[2] قيل : ((ما)) مصدرية، أي إحلال الله موصولة، أي : أحلّه الله، والأولى الثاني، لأنه مقابل لقوله : ((الباطل ما يسوّل لهم الشيطان، وهي موصوله، لأن (من) في قوله : ((من تحريم البحيرة)) بيان لها[3] .

---

(١) وهو ما يعتقدونه من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وما هو إلا وهمٌ باطل لم يتوصّلوا إليه بدليل ولا أمارة ((فليس لهم إيمان إلا به، كأنه شيء معلوم مستيقن)).

(٢) تفسير قوله : ﴿ وبنعمت الله ﴾ . قال (ز) : ((ونعمة الله ما أحل لهم)).

(٣) قد منّ الله جل وعلا على بني آدم أعظم منّه بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجاً من جنسهم وشكلهم، وهذا من أعظم المنن، وفي نفس الوقت من أعظم الآيات الدالة على أنه جل وعلا هو المستحق أن يعبد وحده، وهذه الآية دالة على ذلك، وكذلك قوله تعالى في سورة الروم الآية ٢١ : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ . ولكن الكافرين نعم الله جحدوا ذلك وكفروا به. ﴿ أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ﴾.

قوله : ((تأكيداً لِلا يملك))[1] أي : (شيئاً) مفعول مطلق، ولذلك بينه بقوله : ((من المِلْك)) بكسر الميم، كما تقول : ضربت نوعاً من الضرب[2] .

قوله : ((بعد ما قيل : ((لا يملك)) على اللفظ إشارة إلى خلاف ذكرناه عن ابن جني. قال صاحب الإنتصاف فيما سبق إن العود إلى المعني بعد الجمل على اللفظ أنكره بعضهم، لما يلزم من الإجمال بعد البيان، وهو خلاف البلاغة، وهو مردود لمجيئة في أفصح الكلام.

قوله : ((ما معنى قوله : ﴿ ولا يستطيعون﴾))[3] وجه السؤال أن مفعول ﴿ لا يستطيعون ﴾ محذوف، وهو الضمير الراجع إلى الرزق، بدليل سياق الكلام عليه، فيلزم عطف الشيء على نفسه. وأجاب[4] : ((ليس في ﴿ لا يستطيعون ﴾)) أي : لا نسلم اشتماله على الراجع، بل هو مطلق من باب فلان يعطي ويمنع، فيكون فلا يستطيعون تذييلا للكلام السابق، ثم قال : ((إلا أن يقدر))[5] أي : ولئن سُلّم اشتماله على الراجع فيكون من باب التأكيد، نحو قوله تعالى : ﴿ لا يعصون الله ما

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ﴾ النحل الآية ٧٣. قول (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ شيئاً ﴾ : أي لا يملك أن يرزق شيئاً، مفعول رزقاً وإن أردت المرزوق كان (شيئا) بدل من رزقا بمعنى قليلاً، ويجوز أن يكون ((تأكيداً لـلا يملك)) أي لا يملك شيئاً من المِلْك، ما ناب عن المطلق، بمعنى لا يملك ملكاً.

(2) ويفهم من هذه الآية الكريمة : أنه لا يصح أن يعبد إلا من يرزق الخلق، لأن أكلهم رزقه وعبادتهم غيره كفر ظاهر لكل عاقل، وهذا المعنى المفهوم من هذه الآية بينه بقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ١٧: ﴿ إن الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون ﴾، وقوله في سورة فاطر الآية ٣ : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ... الآية ﴾ وقوله في سورة الذاريات الآية ٥٧ : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ... الآية ﴾.

(3) إيضاح السؤال (ما معنى قوله : ولا يستطيعون) بعد قوله : (لا يملك) وهل هما إلا شيء واحد.

(4) وأجاب، يعني : الزمخشري : ((ليس في ﴿ لا يستطيعون ﴾)) تقدير راجع، وإنما المعنى : لا يملكون أن يرزقوا، والاستطاعة منفية عنهم أصلاً، لأنهم أموات.

(5) قول (ز) : ((إلا أن يقدر)) الراجع، ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد.

أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[1] أو من باب الترقي، فإن قوله تعالى : ﴿ لا يملك لهم رزقاً ﴾ دلّ على نفي ملك الرزق عنهم مطلقاً، وقوله : ﴿ لا يستطيعون ﴾ على نفي استطاعة أن يكونوا مالكين، وإليه الإشارة بقوله : ((لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه)) ولا يتأتى ذلك فيهم. ويجوز أن يكون تتميماً.

قوله : ((وجَرّأكُم عليه))[2] الجوهري[3] : [الجرأة : الشجاعة، وتقول : جرّأتك على فلان حتى أجرأت عليه].

قوله : ((ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله)) عطف على قوله : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ تمثيل، وعلى التمثيل لا قول ثَمَّةَ، ولا مَثَلَ، ولا ضَرْبَ، لأن الفاء في : ﴿ فلا تضربوا ﴾ رتّب النهي على قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ... الآية ﴾ كأن حالهم في مزاولة عبادة الأصنام المستلزم بالتشبيه حالها بحال المعبود الحق في استحقاق العبادة، حال من يحاول انتزاع أمور متعدّدة غير حقيقة بين المشبه والمشبه به (ليلحقه به)[4] ويقيمه مقام تشبيه، وإليه الإشارة بقوله : ((لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً بحال)) وقوله : ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ تعليل للنهي، كأنه قيل : لا تشركوا بالله شيئاً وأنتم قوم جهلة، ولذلك صدر منكم هذه الغفلة . وإليه الإشارة بقوله : ((فذاك هو الذي جرّكم[5] إليه)). وقوله : ﴿ إن الله يعلم ﴾ اعتراض وارد على الوعيد والتهديد، وهو المراد من قوله : ((إن الله يعلم كنه ما تعملون وهو معاقبكم عليه)). وعلى الثاني : النهي وارد على مثلِ ضربوه، وتشبيهٍ انتحلوه، وقوله : ﴿ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ برمّته تعليل، أي : ضَرْبُ الأمثال من العلوم الدقيقة يستدعي[6] لطف إدراك وخبرةٍ لا سيما في ذات الله عز وجلّ، فلا

---

(١) سورة التحريم الآية ٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ النحل الآية ٧٤. تفسير (ز) لقوله : ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ كنهه وكنه عقابه، فذاك هو الذي جرّكم إليه، ((وجرّأكم عليه)) . فهو تعليل للنهي عن الشرك.

(٣) الجوهري في صحاحه ١/٤٠ مادة (جرأ).

(٤) ما بين القوسين س من أ ، ب.

(٥) في م ، ب : (جرأكم)، وهو الصواب.

(٦) في م : (التي تستدعي) وهو الصواب.

يقدر على الشروع فيه إلا الله والراسخون في العلم. ومن ثم عقبه بقوله : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ﴾[1] وأشار المصنف إليه بقوله : ((ثم علمهم كيف تضرب وأما بيان اتصاله على الوجه الأول، فإنه تعالى لما نهاهم عن ضرب المثل الفعلي، وهو الإشراك بالله المستلزم له، عقّبه بما يكشف لذي البصيرة عن حالهم في تلك الفعلة، وحال من يخالفهم فيها من قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً ... الآية ﴾.

قوله : ((واختلفوا في العبد هل يصحّ له ملك؟ والمذهب الظاهر أنه لا يصح له)) الإنتصاف[2] : [مالك رحمه الله يرى أنه يملك، والآية تعضده، أي : مملوكاً ليس ممن ملكة سيده فَمَلّك بل هو على الأصل المعهود في المما ليك، عاجز، فلو لم يتصور له ملك، لكان قوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ تكراراً، أو قوله : ((احترازاً من المكاتب، بعيدٌ من فصاحة القرآن إذ لو لم يملك من العبيد إلا مكاتب لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ كالألغاز الذي لا يعهد مثله في القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة . وأنكر إمام الحرمين[3] حمل قوله صلى الله عليه وسلم : (أيّما امرأة نكحت بغير إذن وليها) على المكاتبة، لِبُعدِ القصد إليها على شذوذها. وأما الإحتراز به عن المأذون له فينبني على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف أو الملك، وبُعْدِ الأول عن مطابقة قوله : ﴿ ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً ﴾ ولقائل أن يقوله : إن قوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ صفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل، أي : إنما ضربت المثل به، لأن حقيقته اللازمة له المعروفة به أنه لا يقدر على شيء، ومنه :

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّا وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ الآية ٧٥ من سورة النحل.

(2) الإنتصاف لأحمد بن المنير المالكي ٦٢٢/٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(3) إمام الحرمين : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي ركن الدين الملقب بإمام الحرمين، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي، ولد في جوين سنة ٤١٩هـ، وصفه بعض من ترجم له فقال : في الفقه فقه الشافعي، وفي الأدب أدب الأصمعي، وفي الوعظ الحسن البصري. انظر وفيات الأعيان ٢٨٧/١ والسبكي ٢٤٩/٣، والأعلام للزركلي ١٦٠/٤.

﴿ ومن يدع مع ا لله إلـهاً آخر لا برهان له به ﴾[١] وكل مدعوّ مع ا لله لا برهان بـه، إنما المراد به أنه من لوازم دعائـه مـع ا لله إلـهاً، ولنـا أن نقـول في دفعه : الأصـل في الصفة والحال التخصيص والتقييد، وما ورد بخلاف ذلك فهو خـلاف الأصـل. وقـال الإمام[٢] : [احتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد لا يملك شيئاً[٣] ، فإن قالوا : ظاهر الآية يدل علـى أن عبـداً مـن العبيـد لا يقـدر علـى شـيء، فلـم قلتـم : إن كـل عبـد كذلك؟. فنقول : الذي يـدل عليـه وجهـان : الأول : أنـه ثبـت في أصـول الفقـه أن الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يـدل علـى كـون ذلـك الوصـف علّـة لذلـك الحكم، وكونه عبداً وصف مشعر بالذل والمقهورية، وقوله : ﴿ لا يقدر على شيء ﴾ حكم مذكور عقيبه، فهذا يقتضي أن العلة لعدم القدرة على الشيء، هو كونه عبـداً، وبهذا الطريق ثبت العموم. والثاني : أنه تعالى قال بعـده : ﴿ ومـن رزقنـاه منـا رزقـاً حسنا ﴾ فميز هذا القسم الثاني عن القسم الأول، وهو العبد بهذه الصفة، وهـو أنـه يرزقه رزقاً فوجب ألاّ يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الإمتياز بين القسم الثاني وبين القسم الأول، ولو ملك العبد لكان ا لله قد آتاه رزقاً حسناً، لأن الملـك الحـلال رزق حسن، سواء كان قليلاً أو كثيراً] وقلت : لا شك أن قوله : ((ومن رزقناه منـا رزقاً حسنا فهو ينفق منه سراً وجهراً ﴾ مقابل لقوله : ﴿ عبداً مملوكـاً لا يقـدر علـى شيء ﴾، والمقصود من ذكرهما الحجر والمنـع والإطـلاق والتوسـعة، لأن التمثيـل في الأصنام والملك العلام. فلا بدّ من تصور العجز التّام، فإذا أجريناه على ما قال : لـزم

---

(١) سورة المؤمنون الآية ١١٧.

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ، ٨٤/٢٠.

(٣) وقد اختلف هل العبد يملك؟ فقال أبو حنيفة والشافعي : لا يملك، واستدلوا بهذه الآية، وأن قوله : ﴿ عبداً مملوكا ﴾ نكرة عامة في سائر العبيد، وأيضاً أنه شبه بالأصنام من حيث أنها لا تملك.

وقال مالك :إنه يملك إلا أنه ناقص الملك، لأن للسيد أن ينزع منه ما يملكه. انظر القرطبي ١٤٧/١٠، والأحكام للجصاص ١٨٦/٣، والأحكام لابن العربي ١١٦٥/٣.

واستدل مالك بقوله صلى ا لله عليه وسلم : (مـن بـاع عبـداً ولـه مـال فمالـه للبـائع إلا ان يشـترطه المبتاع) فأضاف صلى ا لله عليه وسلم المال إلى العبد، وملكه إياه، وجعله في البيع تبعاً له.

التصرف المحذور، والحاصل[1] أن إتيان صفتان لمزيد التصوير والكشف على[2] حالة العجز لا للتمييز والتّفْصِلَةِ، ألا ترى كيف ترقّى في التمثيل الثاني، وزاد البَكَمَ والكَلَّ، وعدم الإنجاح في المهمات ليدلّ على كمال ذلك المعنى . وكذا في جانب المشبه به، فإنه ترقّى من تصرّفه كيف شاء إلى كونه آمراً بالعدل، ومن كونه مرزوقاً إلى كونه مهدياً إلى صراط مستقيم.

قوله : ((هل يستوي هو ومن هو سليم الحواسّ)) يعني لا بدّ من المقابل بين العدل وما سبق، ولا يأمر بالعدل إلا من يكون موصوفاً بصفات الكمال، وتخصيص المذكورات للتقابل.

قوله : ((أينما أُوجَّه ألق سعداً))[3] يضرب لمن يتلقى الشر أية سلك، وعن بعض : أصله أن أضبط كان سيد قومه فأصابه منهم جفوة فارتحل عنهم إلى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل صنيع قومه، فقال : (أينما أوجه ألق سعداً)، وسعد كان شريراً.

قوله : ((ونحو قوله : ﴿ يستعجلونك﴾))[4] أي : نحوه في استعجال الله تعالى ما يستقرب المدة فيما هو بعيد عند الناس، قوله تعالى : ﴿ يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾[5] أي ألف سنة عندكم بعيد، وعند الله مقدار يوم على عرفكم وعادتكم.

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلّ على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ النحل الآية ٧٦.

(2) (عن) حالة في م ، ت.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ أينما يوجهه الآية ﴾ . قال (ز) : قرئ أينما يتوجه من قولهم : ((أينما أوَجه ألْقَ سعداً)) (والأضبط) بن قريع سيد قومه ... الخ . الأمثال للميداني ٨٨/١. رقم المثل ٢١٨، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٤٤٩ رقم المثل ١٩٠٩.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴾ الآية ٧٧ من سورة النحل. والآية في سورة العنكبوت الآية ٥٣ .

(5) سورة الحج الآية ٤٧.

قولــه : ((وأوحــاه)) أي أســرعه، الأســاس[1] : [اســتوحيته : اســتعجلته]، النهاية[2] : [في الحديث [3] : (إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كانت شراً فانته، وإن كان خيراً فتوجّه) أي : أسرع إليه، والهاء للسَّكْت.

قوله : ﴿ إن ا لله على كل شيء قدير ﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة إشارة إلى أنه كالتعليل لإثبات أمر الساعة وسهولة تأتّيها. ولما كان البعث والحشر موقوف على مسئلتي العلم والقدرة، عطف جملة ﴿ أمر الساعة ﴾ على جملة ﴿ غيب السموات والأرض ﴾ عطف جبريل على الملائكة، ثم علّله بقوله : ﴿ إن ا لله على كل شيء قدير ﴾ فكما عطف ذلك عقب قوله : ﴿ وا لله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴾ قوله : ﴿ إن ا لله على كل شيء قدير ﴾ وأتى بالواو إيذاناً بأن مقدور ا لله لا نهاية له، والمذكور بعض منها. وإليه أشار بقوله : ((دل على قدرته بما بعده)).

قوله : ((قرئ ﴿ أمهاتكم ﴾ بضمّ الهمزة))[4] كلهم إلا حمزة والكسائي .

قوله : ((** أُمَّهتى خِندِفٌ وإِلْياسُ أبي **)) قبله ، لقصي بن كلاب[5] :

** إني لدى الحرب رَخيّ اللَّبَب ** معتزم الصولة عالي النسب **

يقال : فلان في لَبَبٍ رَخِيٍ، أي : في حال واسعة (الاعتزام) لزوم القصد.

---

(1) أساس البلاغة للزمخشري ٦٦٨ مادة (وحى).

(2) النهاية في غريب الحديث ١٦٣/٥ مادة (وحا).

(3) كتاب الزهد لابن المبارك ص ١٤ باب التحضيض على طاعة ا لله عز وجلّ.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ وا لله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ الآية ٧٨ النحل. قرأ حمزة والكسائي : ﴿ أمهاتكم ﴾ بكسر الهمزة هنا وفي النور والزمر والنجم، إلا أن حمزة يكسر الميم. وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم فيهن، انظر ارشاد المبتدي وتذكرة المنتهي للفلاس ٤٠٣، والكشف ٣٨٠/١، والإتحاف ١٨٧.

(5) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، سيد قريش في عصره، ورئيسهم، أول ملك في كنانة، وهو الأب الخامس للنبي صلى ا لله عليه وسلم، ويكفيه هذا فخراً، واسمه الأصلي زيد، وسمي قصياً لأن أمه تزوجت برجل من بني عذرة، فانتقل بها إلى أطراف الشام، فسمى قصياً لبعده من دار قومه، طبقات ابن سعد ٣٦/١ والطبري ١٨١/٢، والروض الأنف ٨٤/١.

قوله ((وما ركّب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل)) الحصر مستفاد من فحوى الكلام وانصبابه في قالب جوامع الكلم، وهو أنه تعالى ما خلق الخلق إلا ليعبد، ويعرفَ لقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾(١) فأخبر تعالى أنه أخرجهم من ظلمات الرحم إلى فضاء عالم التكليف، وهم غير عالمين لِما خلقوا له، كما قال : غير عالمين شيئاً من حق المُنعِم، فخلق لهم السمع ليسمعوا آياته البينات، وبصراً لينظروا إلى الدلائل الدالة على وجوده، وفُؤاداً ليتفكروا في الآية وحكمته، فيجعلوها وسيلة إلى ما خلقوا له من الشكر والعبادة، كما قال : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ فظهر أن هذه آلات ما خلقت إلا لاختلاف العلم والعمل به، فمن جعلها آلات لغير ذلك فقد أبطل حكمة الله في خلقها، وانخرط في سلك ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾(٢) ، قال القاضي(٣) : [لا يعلمون شيئاً جُهَّالاً مستصحبين جهل الجمادية ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ أداة تتعلّمون بها فتحسّون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها، ثم تتنبّهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرير الإحساس، حتى تحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لكي تعرفوا ما أنعم عليكم طوراً بعد طور فتشكرونه] وفي هذا التقرير إشعار بأن قوله : ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ تعليل للجهل لا للإخراج، فيفيد معنى الحصر الذي قرره المصنف(٤) ، كأنه قيل : خلقكم وأنتم كالجماد، ثم جعل لكم أدوات ليتميزوا عنه.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩.

(٣) القاضي البيضاوي في أنوار التنزيل ١٨٨/٣.

(٤) ومثل هذه الآيات قوله تعالى في سورة السجدة الآية ٩ : ﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾.

قوله : ((جرت مجرى جموع الكثرة والقلة))[1] أي : هي مشتركة تستعمل تارة في القلة وأخرى في الكثرة، واستعملت هنا في الكثرة، لأن الخطاب في ﴿ أخرجكم ﴾ عام.

قوله : ((﴿ ما يمسكهن ﴾ في قبضهنّ وبسطهن ووقوعهنّ إلا ا لله))[2] لقوله تعالى : ﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ﴾، قال القاضي[3] : ﴿إن ثقل جسدها يقتضي سقوطها، ولا علاقة فوقها، ولا دعامة تحتها تمسكها]، وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيها.

قوله : ((من بيوتكم التي تسكنونها))[4] الراغب[5] : [أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم قد يقال بغير اعتبار الليل فيه، وجمعه أبيات وبيوت، والبيوت بالمسكن أخص، والأبيات بالشّعْر، وشبّه به بيت الشَّعر، وصار البيت متعارفاً في آل النبي صلى ا لله عليه وسلم، (سلمان منا أهل البيت)[6] أن مولى القوم يصحّ نسبته إليهم، كما قال[7] : مولى القوم منهم، وابنه من أنفسهم.

---

(١) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ الأفئدة ﴾ : والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلة التي ((جرت مجرى جموع الكثرة والقلة)) إذ/لم يرد في السماع غيرها.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا ا لله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ النحل الآية ٧٩.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ١٨٨/٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وا لله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعاً إلى حين ﴾ النحل الآية ٨٠.

(٥) الراغب في مفرداته ٦٤ مادة (بيت).

(٦) أخرجه الحاكم ٥٩٨/٣ . وقال الذهبي : سنده ضعيف. والطبراني في الكبير ٢٦١/٦ موقوفاً على علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه. والطبري ٨٥/٢١ . وطبقات ابن سعد ٥٩،١/٤. ومجمع الزوائد ١٣٠/٦ وفيه : كثير بن عبد ا لله المزني، وقد ضعفه الجمهور.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٤٤٨/٣، ٣٤٠/٤ . والدارمي ٢٤٤/٢ . والطبراني في الكبير ١٩٧/١٢ . وتلخيص الحبير ٢١٤/٤.

قوله : ((خفيفة المحمل)) الراغب[1]: [الخفيف بإزاء الثقيل : ويقال ذلك باعتبار المضايفة بالوزن، وقياس أحد الشيئين إلى الآخر، يقول : درهم خفيف ودرهم ثقيل، وباعتبار مضايفة الزمان، نحو فرس خفيف وفرس ثقيل، إذا عدا أحدهما أكثر في زمان واحد] . وقد مرّ مبسوطاً في سورة التوبة.

قوله : ((على أن اليوم بمعنى الوقت))[2] أي الزمان الممتد، لأن عادتهم إما الإقامة أو الظعن كقوله تعالى : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾[3] وإليه الإشارة بقوله : ((في أوقات السفر والحضر جميعاً)) الانتصاف : [الوجه الأول أولى، إذ ظهور المنّة في خفتها في السفر أتمّ، أما المقيم فلا عليه من ثقلها].

قوله : ((وقرئ : ﴿ يوم ظعْنكم ﴾ بالسكون))[4] ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

قوله : ((وقيل : ما يقى من الحرّ يقي من البرد))[5] الإنتصاف[6] : [الوجه الأول أولى لأنه قدم المنة بالظلال الواقية من الضّحى بقوله : ﴿ مما خلق ظلالا ﴾ فالأهم إذن وقاية الحرّ، وليس كل ما يقى الحر يقي البرد كشفوف القمصان، بل لو لبس إنسان لبوس الحرّ في البرد أو عكس لعُدّ من الثقلاء].

---

(1) الراغب ١٥٢ مادة (خف).

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم ظعنكم ويوم أقامتكم ﴾ قال (ز) : أي : يوم ترحلون، ((على أن اليوم بمعنى الوقت)).

(3) سورة مريم الآية ٦٢.

(4) قرأ : ﴿ يوم ظعنكم ﴾ بفتح العين، أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ يوم ظعْنكم ﴾ بسكون العين . انظر المبسوط لابن مهران في القراآت العشر ٢٢٥، والنشر ١٤٦/٣، والإتحاف ٢٧٩.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾ النحل الآية ٨١. قال (ز) في تفسير : ﴿ تقيكم الحرّ ﴾ لم يذكر البرد، لأن الوقاية من الحرّ أهم عندهم، وقلّما يهمهم البرد لكونه يسيراً محتملاً ((وقيل : ما يقي من الحر يقي من البرد)) فدل ذكر الحر على البرد..

(6) الإنتصاف مع الكشاف ٦٤٥/٢.

قولـه : ((﴿ تُسْـلِمون ﴾ أي : تنظـرون))[1] أي : الإسـلام هـهنا بمعنـى الإستسلام والانقياد، وضع موضع سببه، وهـو ينظـرون ويتفكـرون، المعنـى : مُنِحـوا كذا وكذا من النعم الظاهرة والباطنة ليتفكروا وينظروا ويعرفـوا المنعـم فينقـادوا لـه، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ﴾[2] لأن من تولى أبى الإنقياد، ثم ترقى إلى بيان عنادهم وأنهم يعرفون المنعم المولى، ثم ينكرونها.

قوله : ((فذكر سبب العذر، وهو البلاغ، ليدل علـى المسبّب)) يعـني : كـان من الظاهر أن يقال : فإن لم ينقادوا لله تعالى بعـد تذكـيرك إياهـم آيـات ا لله، والآيـة تمهّد عذرك، لأنك قد أدّيت ما عليك من الواجب، فوضـع موضـع المذكـور. قولـه : ﴿ فما عليك إلا البلاغ ﴾ وضعاً للسبب موضع المسبّب، ففي العدول الإشعار بإلزام الحجّة واستهال العقاب، وفي الظاهر تمهيد للعذر.

قوله : ((لا يقال لهم : ارضوا ربّكم))[3] لأن الاستعتاب : طلب إزالة العتاب، وعتاب ا لله عبارة عن سخطه وعـدم رضـاه، أي : لا يطلـب منهـم إزالـة سـخط ا لله عنهم[4] .

---

(1) تفسير قوله تعالة : ﴿ لعلكم تُسْلِمون ﴾ . قال (ز) : أي تنظرون في نعمـه الفائضـة فتؤمنـون بـه، وتنقادون له. وقرئ : ﴿ تَسْلمون ﴾ من السلامة، أي : تشكرون، فتسلمون من العـذاب، أو تسـلم قلوبكـم من الشرك.

(2) سورة آل عمران الآية ٢٠.

ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى الآية ٤٨ : ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ﴾ وقوله في سورة النور الآية ٥٤ : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون . وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ﴾ النحل الآية ٨٥ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ : ولا هم يسترضون، أي : ((لا يقال لهم : ارضوا ربكم)) لأن الآخرة ليست بدار عمل.

(4) ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة المرسلات الآية ٣٦ : ﴿ هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾، وقوله في سورة التحريم الآية ٧ : ﴿ يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ .

قوله : ((أنهم يمنّون)) أي : يبتلون. الجوهري (١) : [منّوته ومنيته، أي : ابتليته].

قوله : ((وكذلك إذا رأوا العذاب))(٢) قيل : يريد إذا رأوا العذاب أيضاً منصوب بمحذوف، ويقال : إن وجه الشبه يقتضي أيضاً تأخيرالمحذوف في التقدير، أي : يوم يُبعث وقعوا فيما وقعوا فيه، وكذلك إذا رأوا العذاب وقعوا فيما وقعوا أيضاً، وإليه أشار بقوله : ((بغتهم)) وكذا في تركيبه، أعني : إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم، فلا يخفّف، إيذان بأن قوله : ((للذين ظلموا)) مظهر وضع موضع المضمر للإشعار بأن العذاب إنما لم يخفّف عنهم، لأنهم ظلموا، وأن الفاء في : ﴿ فلا يخفف ﴾ فصيحة، وليست بجواب ((إذا))، والجزاء المقدر، هو قوله : ((بغتهم وثقل عليهم)) والشاهد على المقدر قوله : ﴿ بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردّها ﴾(٣) وقوله : ﴿ ولا هم ينظرون ﴾ مثله في الآية المستشهد (بها)(٤).

قوله : ((لما كانوا غير راضين))(٥) يعني : المراد بالشركاء في قوله : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم ﴾، وهم كل من عبد من دون الله من الملائكة

---

(١) الجوهري في صحاحه ٦/٢٤٩٨ مادة (منا).

(٢) قال (ز) في تفسير : ﴿ ويوم نبعث ﴾ : وانتصاب (يوم) بمحذوف تقديره : واذكر يوم نبعث، أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه ((وكذلك إذا رأوا العذاب)) بغتهم وثقل عليهم.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٤٠.

(٤) بها في م.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون . وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ النحل الآية ٨٧.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ندعوا ﴾ بمعنى : نعبد. فإن قلت : لم قالوا : ﴿ إنكم لكاذبون ﴾ وكانوا يعبدونهم على الصحة؟ قلت : ((لما كانوا غير راضين)) بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، والدليل عليه قول الملائكة : ﴿ كانوا يعبدون الجن ﴾ يعنون أن الجن كانوا راضين بعبادتهم، وعليه فلا إشكال، أما الملائكة فقد قال الله عنهم : ﴿ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ سورة سبأ الآية ٤٠

والمسيح وعزير والجن والشياطين كما سبق آنفاً، إذ المقام يقتضي العموم لقوله تعالى : ﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ﴾ ومن هو مثل الملائكة، فكذبوهم لما أنهم كانوا غير راضين بعبادتهم . وثانيهما التكذيب راجع إلى تسميتهم شركاء. وقولهم : ﴿ هؤلاء شركاؤنا ﴾ وعلى الأول إلى فعلهم وعبادتهم لهم، وإنما قلنا : مثل الملائكة لاستشهاده بقوله : ﴿ كانوا يعبدون الجن ﴾.

قوله : ((جاز أن يكونوا كاذبين))[1] أي : الشياطين قالوا للمشركين : إنكم لكاذبون فيما تقولون علينا، فالشياطين كاذبون في هذا التكذيب، لأنهم في الدنيا زيّنوا وسوّلوا ووسوسوا وما قصروا فيه : ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾[2] كما قال : ﴿ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل ﴾[3] وكذب في هذا القول، وهذا لا يصح في قول الملائكة[4] .

قوله : ((حـمّتها))[5] الجوهري[6] : [حُمّة العقرب : سمّها وضرّها، وأصلها حموٌ وحمى، والهاء عوض].

---

(١) قال (ز) : وإن أريد بالشركاء في قوله : ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا ﴾ ((جاز أن يكونوا كاذبين)) في قولهم. وعليه فلا إشكال، لأن المراد بالشركاء خصوص الجن، ومن هو راض بالعبادة من دون الله فقط، لا الملائكة، ومريم، وعيسى، ونحوهم.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٢.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢.

(٤) وقد أوضح الله تعالى معنى هذه الآية في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة الأحقاف الآية ٥ : ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وقوله تعالى في سورة مريم الآية ٨٢ : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزّا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ وقوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٢٥ : ﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ زدناهم عذاباً فوق العذاب ... الآية ﴾ : قيل : في زيادة عذابهم حيّات أمثال البخت، وعقارب أمثال البغال، تلسع إحداهن اللسعة، فيجد صاحبها ((حـمّتها)) أربعين خريفاً.

(٦) الجوهري في صحاحه ٦/٢٣٢٠ مادة (حمى)

قوله : ((وقيل : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾[1]))[2] عطف على قوله : ((أمر فيه باتباع الرسول وطاعته، يعني : أحيل البيان على السنة بوجهين حيث أمر فيه، أي : في قوله تعالى : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾[3] وحيث قيل في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ .

قوله : ((أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم))[4] مثله في جامع الأصول، رواه رزين العبدري عن ابن المسيب، وفي رواية أخبار الشهاب (أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى)[5] ، وذكره الصنعاني في قسم الحسان.

قوله : ((العدل هو الواجب))[6] فيه إيماء إلى مذهبه[7] ، فكنى عنى الواجب بالعدل، لأن الواجب ملزوم العدل، لأن الله تعالى جعل ما فرض على عباده واقعاً تحت طاقتهم، أي : لا يكلفهم فوق طاقتهم، لئلا يكون جوراً، ومن ثمّ سموا أنفسهم

---

(١) سورة النجم الآية ٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ النحل الآية ٨٩. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾ : المعنى : أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((وقيل : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾))، وحثاً على الإجماع في قوله : ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾. سورة النساء الآية ١١٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٩٢.

(٤) أخرجه الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف في أحاديث الكشاف ٦٢٨/٢، وتلخيص الحبير لابن حجر ١٩٠/٤، وميزان الاعتدال له أيضاً برقم ١٥١٢ ولسان الميزان ٤٨٨/٢، وجميع طرقه ضعيفة، فهو حديث لا يحتج به، كما قال ابن حجر رحمه الله، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٨/١ وقال : إنه موضوع، وقال : قال ابن عبد البر لا تقوم به حجة.

(٥) في مسند الشهاب ٢٧٥/٢ . وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعفية والموضوعة : حديث موضوع ٤٣٩/١ برقم ٤٣٨. وفيه جعفر بن عبد الواحد . قال الدراقطني : كان يضع الحديث.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ النحل الآية ٩٠ . قال(ز) في تفسير قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل ﴾ : ((العدل هو الواجب)).

(٧) يعني مذهب المعتزلة في العدل، والمراد به عندهم أن أفعاله تعالى كلها حسنة وأنه لا يفعل القبيح، وأن العقل هو الحاكم بالحسن والقبح.

بالعدلية. هذا تخصيص من غير دليل[1] ، سيما المقام يقتضي العموم، ولهذا قال ابن مسعود[2] : أجمع آية في القرآن هذه الآية، وقال القاضي[3] : [لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين، ولعل إيرادها عقيب قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب ﴾ للتنبيه عليه]، وقال الإمام[4] : [إنما يحسن تفسير اللفظ بمعنى إذا حصل بينهما مناسبة، وإلا كان فاسداً، وبناءً على مجرد التحكم، فإن الله تعالى أمر بالعدل والإحسان، فالعدل عبارة على المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وذلك أمر واجب في جميع ما يصح فيه هذا المعنى، والواجبات إمّا في الإعتقاد، وإما في الأعمال، أو في الأخلاق، فالعدل في الاعتقاد

أما في التوحيد فيجب أن يعتقد أن الإله موصوف بصفات الكمال، فهذا وسط بين التعطيل والتشبيه . وإما في الأفعال : فيجب أن يعتقد أن العبد يصدر عنه الفعل كسباً بواسطة داعية وقدرة يخلقها الله تعالى، لأنه وسط بين الجبر والقدر . أما الأعمال : فالعدل فيها أن يأتي بالطاعات على الطريق السوي. قال الله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾[5] روينا عن البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أيها الناس : خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله تعالى ما يملّ حتى تملوا)[6] عن داود عن سهل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد عليكم (٧)

---

(١) قال أحمد بن المنير رحمه الله ٦٢٨/٢ : وهذه وليجة من الإعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق، لأنه ظلم وجور، وذلك على الله محال. والحق والسنة أن كل قضاء الله عدل، وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ .

(٢) ذكره ابن عطية في تفسيره ٤٩٤/٨ عن ابن مسعود، والقاضي البيضاوي ١٩٠/٣.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٠/٣

(٤) الإمام الفخر الرزاي في تفسيره الكبير ١٠١/٢٠-١٠٢.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٨٦

(٦) أخرجه البخاري مع الفتح ٣١٤/١٠ كتاب اللباس، بالب الجلوس على الحصير ونحوه، من حديث عائشة . ومسلم ٥٤٠/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل

(٨) أخرجه أبو داود ٢٠٩/٥ كتاب الأدب، باب في الحسد، رقم ٤٩٠٤ ومجمع الزوائد

..الحديث)[٧]. وأما الأخلاق : فالعدل في الجود : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾[١] وفي الشجاعة : ﴿ أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾[٢]. ﴿ أذلّة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾[٣] ثم الزيادة على العدل قد تكون إحساناً، وقد تكون إساءة، والإحسان إما أن يكون بحسب الكمية و الكيفية . فالكمية : كالتطوع بالنوافل، والكيفية : كالاستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية، قال صلى ا لله عليه وسلم : (الإحسان أن تعبد ا لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٤] ، وهذه الآية استئناف كالبيان لكون الكتاب تبياناً لكل شيء.

قوله : ((فقال : وا لله لا زدت فيها ولا نقصت، وفي رواية البخاري ومسلم : لا أزيد على هذا ولا أنقص))[٥] .

قوله : ((فعقد الفلاح))[٦] أي : قيده من قولهم : عقدت الحبل والبيع.

قوله : ((استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم ...)[٧] الحديث من رواية مالك وأحمد بن حنبل وابن ماجه عن ثوبان قال : قال رسول ا لله صلى عليه

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٧

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٥١٣/٨ كتاب التفسير، باب إن ا لله عنده علم الساعة من حديث أبي هريرة. ومسلم ٣٩/١ كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ... الخ . وقد أحسن من قال :
** خير الأمور الوسط والوسيط ** وشرها الإفراط والتفريط **

(٥) أخرجه البخاري مع الفتح ١٠٦/١ كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام وقوله : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا ا لله ... ﴾ . ومسلم ٤١/١ كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام من حديث طلحة بن عبيد ا لله.

(٦) ((فعقد الفلاح)) يعني : في الحديث المشار إليه : (أفلح وأبيه إن صدق).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٧/٥، ٢٨٢ . والدارمي ١٧٤/١ كتاب الطهارة، باب ما جاء في الطهور. وابن ماجه، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء برقم ٢٧٧ . والموطأ، كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء، الحديث رقم ٣٦ جزء٣٤/١. والحاكم في المستدرك ١٣٠/١ . والبغوي في شرح السنة ٣٢٧/١ كلهم من حديث ثوبان.

وسلم : (استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) النهاية[1] : [استقيموا في كلّ شيء حتى لا تملّوا، ولن تطيقوا الإستقامة، من قوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾[2] أي : تطيقوا عده وضبطه.

قوله : ((فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل))[3] هذا متصل بقوله : ولذلك قال : هو تعليل لقوله : ((ولا بد من أن يقع تفريط فيجبره الندب، أي : ولأجل أن لا بدّ من أن يقع في الواجب التفريط عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفلاح بشرط الصدق، ولم يجزم القول فيه، وأتى بإنْ التي للشك، وقال أيضاً : (استقيموا ولن تحصوا) أي : لن تطيقوا، وجيء بأن التي للتوكيد، وإذا كان الأمر على هذا فلا بدّ مما يجبر به هذا التفريط وليس ذلك إلا النوافل، لما روينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (أول ما يحاسب به العبد صلاته، فإن كان أتمّها كتبت له تامّة، فإن لم يكن أتمّها قال الله تعالى : انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع، فتكملوا بها فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك)[4] ورواه أبو داود عن أنس بن حكيم.

قوله : ((والمنكر ما تنكره العقول))[5] الانتصاف[6] : [هذا اعتزال، والمنكر ما أنكره الشرع] الرغب[7] : المنكر [كل فعل تحكم العقول السليمة بقبحه أو تتوقف في

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١٢٥/٤.

(٢) سورة المزمل الآية ٢٠.

(٣) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ والإحسان ﴾ ((فما ينبغي أن يترك ... الخ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠٣/٤ ، ٧٢/٥،٣٧٧ ، ٥٢٥/٢ ، ٦٥/٤ . وابن ماجه ٤٥٨/١ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة برقم ١٤٢٦ . ومصنف ابن أبي شيبة ١٢٤/١٤،١٣٣ كتاب الأوائل . والنسائي ٢٣٣/١ كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة . والدارمي ٣٦١/١ كتاب الصلاة، باب أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة برقم ١٣٥٥ . وأبو داود ٥٤٠/١ كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : كل صلاة لا يتمها صاحبها تُتمّ من تطوعه . من حديث أنس بن حكيم عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ المنكَر ﴾ قال (ز) : ((والمنكر ما تنكره العقول)).

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٦٢٩/٢ والزمخشري لا يدع مذهبه في الإعتزال في مسألة التحسين والتقبيح بالعقل.

(٧) الراغب مادة (نكر)

استقباحه، فتحكم بقبحه الشريعة، وإلى ذلك قصد بقوله تعالى : ﴿ الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴾(١)] وقال في قوله تعالى : ﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ فحثّ(٢) على فعل الخير، وندب عن الشر، وذلك بعضه بالشرع الذي شرعه لنا وخصه بالعقل الذي ركّبه فينا، والنهي حينئذ أعم من حيث اللفظ والمعنى، فكما في قوله : ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾(٣) لأنه لم يعن أن يقول لنفسه : لا نفعل، بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عما نزعت إليه، وهمّت به، وكذا النهي عن المنكر يكون تارة باليد وتارة باللسان وتارة بالقلب. وأما اللفظ فكما تقول : أجبت كذا، وأصل النهي : الزجر عن الشيء، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره.

قوله : ((﴿ والبغي ﴾ طلب التطاول بالظلم)) الإنتصاف(٤) : [البغي أصله الطلب، ومنه : ﴿ ابتغاء مرضات ا لله ﴾(٥) ، وإطلاقه في العرف مخصوص بالظلم.

قوله : ((وحين أسْقِطت من الخطب لعنة الملاعنين (٦) ذكر صاحب الكامل في التاريخ(٧) : [كان بنو أمية يسبّون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه إلى إن وُلّي عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك وكتب إلى العمال في الآفاق بتركه، وكان سبب محبته عليّاً أنه قال : كنت بالمدينة أتعلم العلم، وكنت ألزم عبد ا لله بن

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٢.

(٢) في ب ، ت (حث) بدون فاء.

(٣) سورة النازعات الآية ٤٠.

(٤) الإنتصاف مع الكشاف ٦٢٩/٢.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٠٧.

(٦) يشير إلى أن أمراء بني أمية كانوا يلعنون علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه في خطبة الجمعة، ولما ولي عمر بن عبد العزيز أمر بترك ذلك اللعن وإبداله بهذه الآية : ﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية ﴾.

(٧) ذكر ذلك الكامل لابن عدي في التاريخ ١٥٤/٤ بعنوان "ذكر ترك سبّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام".

عتبة بن مسعود[1] رضي الله عنه، فبلغه عنّي شيء من ذلك، فأتيته يوماً وهو يصلي، فأطال الصلاة فقعدت أنتظر فراغه، فلما فرغ التفت إليّ، وقال : متى علمت أن الله تعالى غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم؟. قلت : لم أسمع بذلك، قال : فما الذي بلغني عنك في عليّ؟. فقلت : معذرة إلى الله وإليك، وتركت ما كنت عليه. وكان أبي إذا خطب فنال من عليّ تلجلج في كلامه، فقلت : يا أبت إنك تمضي في خطبتك فإذا أتيت إلى ذكر عليّ عرفت منك تقصيراً. قال : أوفطنت ذلك؟. قلت : نعم . فقال : يابني، إن الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم لتفرقوا عنّا إلى أولاده، فلما ولّي الخلافة لم تكن عنده الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، فترك ذلك، وكتب بتركه، وقرأ عوضه : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية ﴾ فجلّ هذا الفعل عند الناس محلاً عظيماً، وأكثروا مدحه، فمنه قول كثيّر[2] :

* ولّيت فلم تشتم عليّا ولم تخف	برّيا ولم تتبع مقالة مجرم *
* تكلمت بالحق المبين وإنما	تبيّن آيات الهدى بالتكلم *
* وصدّقت معروف الذي قلت بالذي	فعلت فأضحى راضياً كل مسلم *
* ألا إنما يكفي الفتى بعد زيغه	من الأوَدِ البادي ثقاف المقوم *

فقال عمر : رحمه الله حين أنشده هذا الشعر أفلحنا إذن.

قوله : ((وعاد من عاده))[3] . ذكر ابن عبد البر[4] في الاستيعاب، قال : روى بريدة وأبو هرير وجابر والبراء بن عازب وزيد بن أرقم، كل واحد منهم عن النبي

---

(١) عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، ابن أخي عبد الله بن مسعود، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، من كبار الثانية، مات بعد السبعين ومائة، وثقه العجلي، تقريب التهذيب ١٨١.

(٢) كثير عزة أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني، امتدح عبد الملك والكبار، قال الزبير بن بكار : كان شيعياً، يقول بتناسخ الأرواح، وهو عاشق عزة . مات سنة ١٠٥هـ. وفيات الأعيان ١٠٦/٤، وسير أعلام النبلاء ١٥٢/٥.

(٣) جزء من حديث غدير خم الوارد في فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الآتي.

(٤) ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ وأديب، يقال له : حافظ المغرب، له تآليف كثيرة نفيسة منها : الاستيعاب . هذا

صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم غدير خم(1) : (من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)(2) وبعضهم لا يزيد على : (من كنت مولاه فعليّ مولاه).ورواه أحمد بن حنبل عن البراء وحده.

قوله : ((وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون. وروى الإمام(3) في تفسيره [عن ابن عباس أن عثمان بن مظعون الجمحي قال : ما أسلمت أولا إلا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتقرر الإسلام في قلبي، فحضرته ذات يوم، فبينا هو يحدثني إذ رأيت بَصَره شخص إلي السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك، فسألته فقال : بينا أنا أحدثك إذ جبريل نزل عن يميني فقال : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... إلى آخره ﴾ فقال عثمان : فوقع الإيمان في قلبي، وأتيت أبا طالب فأخبرته، فقال : يا معشر قريش : اتبعوا ابن أخي ترشدوا فلئن كان صادقاً أو كاذباً فإنه ما يأمركم إلا بمكارم الأخلاق(4)]، ونحوه رأيت بخط مولاي المرحوم بهاء الدين القاشي(5) رحمه الله.

الذي ذكره الطيبي وغيره . ولد سنة ٣٦٨هـ ت٤٦٣هـ . انظر ترجمته في وفيات الأعيان ٣٤٨/٢ والمغرب في حلي المغرب ٤٠٧/٢ والديباج ٣٥٧.

(1) غدير خم : موضع بين مكة والمدينة حرسهما الله، بينه وبينه الجحفة ميلان، والغدير : فعيل من الغدر، وذلك أن الإنسان يمرّ به وفيه ماء، فربّما جاء ثانياً طمعاً في الماء، فإذا به يبس. معجم البلدان ١٨٨/٤.

(2) رواه أحمد في مسنده ١١٨/١ ، ٣٧٠/٤ ، ٣٦٦/٥ ، ٤١٩ . والترمذي ٦٣٣/٥ كتاب المناقب والحاكم ١١٦/٣، والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ٣٧٦/١٥ من حديث زيد بن أرقم وغيرهم. والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٦٣٠/٢ لابن حجر والاستيعاب مع الإصابة ٣٦/٣.

(3) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٠٠/٢٠.

(4) أخرجه أحمد في مسنده ٣١٨/١. والبخاري في الأدب المفرد . وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، كذا ذكر السيوطي في الدرّ المنثور ١٥٩/٥ . وابن كثير في تفسيره ٥١٥/٤. وقال : إسناده جيد متصل حسن، قد بين فيه السماع المتصل.

(5) لم أقف له على ترجمة

والظاهر لي أن هذه القصة لا تصح، لأن عثمان بن مظعون كان من أشد الناس عبادة، وتقدم إسلامه، وأن إيمانه كان قوياً مبدأ ومنتهى والله أعلم ، ولم أر غير الفخر الرازي ذكر هذا.

قوله : ((عهد ا لله هي البيعة لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم))[1] وإنما أسند إلى ا لله، لأن عهد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عهد ا لله لقوله : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون ا لله ﴾[2] وهو مستشهد لفظاً ومعنى، لأنه في أهل بيعة الرضوان، وإنما خصه ببيعة الرضوان، لأن قوله : ﴿ أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ في قريش يعني : أوفوا بما عاهدتم ا لله، ولا تنقضوه مخافة الأعداء من قريش، وتوفّر عَدِدهم وعُدَدهم، وإنما جعلكم مستضعفين، وأعداءكم أقوياء ليتميز الثابت منكم والناكص على عقبيه، وإليه أشار بقوله : ﴿ إنما يبلوكم ا لله به ﴾ وقوله : ﴿ وأوفوا بعهد ا لله ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله : ﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ الآية عطف الخاص على العام اهتماماً بوفاء العهد والثابت عليه، ولذلك عقّبه بالتمثيلين، وجيء بقوله : ﴿ ولو شاء ا لله لجعلكم أمة واحدة ﴾ اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه.

قوله : ((﴿ بعد توكيدها ﴾)) أي : بعد توثيقها، الراغب[3] : [وكدت القول والفعل وأكّدته بمعنى أحكمته . والسير الذي يشدّ به القربوس يسمى التأكيد، ولا يقال توكيد، قال الخليل : أكدت في عقد الأيمان أجود، ووكّدت في القول أجود، تقول : إذا عقدت فأكّدْ، وإذا حلفت فوكّدْ . ووكّدَ وكْدَه إذا قصد قصده وتخلق بخلقه].

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوفوا بعهد ا لله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم ا لله عليكم كفيلاً إن ا لله يعلم ما تفعلون ﴾ النحل الآية ٩١.

(٢) سورة الفتح الآية ١٠.

(٣) الراغب في مفرداته ٥٣١ مادة (وكد).

قوله : ((انحت على غزلها))[1] الأساس[2] : [أنحى عليه بالسوط : أقبل عليه].

قوله : ((انكاثاً : جمع نكث)) الأساس[3] : [نكث الحبل، ومن المجاز نكث العهد والبيعة]، الراغب [4] : [نكث الأكسية والغزل قريب من النقض، واستعير لنقض العهد، والنكث كالنقض، والنكيثة كالنقيضة، وكل خصلة ينكث فيها القوم، يقال لها : نكيثة] قال أبو البقاء[5] : [أنكاثاً : جمع نكث، بمعنى : المنكوث، أي : المنقوض، و نصب على الحال من (غزلها)، ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على المعنى، لأن معنى نكثت : صيرت] وفي الحاشية : أنكاثاً نصب على المصدر[6] ، لأن معنى نكثت : نقضت، وعلى ما في الكتاب : هو مفعول به لفعل محذوف، لقوله : فجعلته أنكثاً، وهذا أولى الوجوه، وأدخل في معنى التمثيل لأن التركيب من باب : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ... ﴾[7] ولذلك قد أنحت على غزلها، وجاء بالفاء في ((فجعلته)) فجمع بين القصد والفعل، والتشبيه التمثيلي كلما كان أكثر تفصيلاً وأوفر تصويراً كان أحسن، ولذلك أوثر الجمع في : ﴿ أنكاثا ﴾ على الإفراد لتنويع النكوث، وأقيم الوصف في قوله : ﴿ كالتي

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ النحل الآية ٩٢. قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا ﴾ في نقض الأيمان كالمرأة التي ((انحت على غزلها)) بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أنكاثا).

(٢) الأساس، يعني : أساس البلاغة للزمخشري ٦٢٤ (نحو).

(٣) أساس البلاغة للزمخشري ٦٥٤ مادة (نكث).

(٤) الراغب في مفرداته ٥٠٤ مادة (نكث).

(٥) أبو البقاء في إملائه ٨٥/٢.

(٦) قاله ابن الأنباري في البيان في إعراب القرآن ٨٣/٢ . قال : ﴿ أنكاثا ﴾ منصوب على المصدر، والعامل فيه : ﴿ نقضت ﴾ لأنه بمعنى نكثت نكثاً. وكذا ذكر الزجاج ٢١٧/٣ . وقال أبو البقاء ٨٥/٢ : ﴿ أنكاثا ﴾ انتصب على الحال من ﴿ غزلها ﴾ ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً.

(٧) سورة المائدة الآية ٦.

نقضت﴾ منزلة الموصوف ليشعر بأن الناقضة جامعة لمعان، فوجب انحطاط شأنها من كونها خرقاء عاجزة عجوزاً إلى غير ذلك، وهذا التمثيل بجملته توكيد لقوله : ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ وهو إما استعارة مكنية[1] بأن تكون الاستعارة في الأيمان، والنقض القرينة، وتوكيدها الترشيح، أو تمثيلية[2] ، والتمثيلان أعني : لا تنقضوا ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ﴾، وأراد أن على الأمر بوفاء العهد، أعني : وأوفوا بالعهد على الطرد[3] ، والعكس لأن منطوق الأمر بإيفاء العهد مؤكد لمفهوم النهي عن النقض وبالعكس، فظهر أن الغرض من التشبيه إبراز حال ناقض العهد، وأنه خارج من جملة الرجال الكملة والعقلاء المراجيح، داخل في زمرة النساء، بل في أدونها حالاً وأنقصها عقلاً.

قوله : ((صنّارة)) الجوهري[4] : [الصنارة رأس المغزل].

قوله : ((﴿ دخلاً بينكم ﴾ أي : مفسدة ودَغلاً، الراغب[5] : [الدخل كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة، كالدَّغَل، وعن الدعوة في النسب، يقال : دُخِلَ دَخْلاً، ويقال : دخل فلان فهو مدخول، لكناية عن بَلَهٍ في عقله، وفساد في أصله، ومنه قيل : شجرة مدخولة].

---

(١) الإستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. ومكنية : وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيءٍ من لوازمه.

(٢) والاستعارة التمثيلية : تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

(٣) الطرد : ما يوجب الحكم لوجود العلة،وهو التلازم في الثبوت . والعكس عدم الحكم لعدم العلة . التعريفات للجرجاني ١٨٣،١٩٨.

(٤) الجوهري في صحاحه ٢/٧١٦ مادة (صنر).

يشير إلى قول (ز) أن التي تنقض غزلها هي (ريطة) بنت سعد بن تيم، وكانت خرقاء، اتخذت مِغْزَلاً قدر ذراع، ((وصنارة)) مثل إصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن.

(٥) الراغب في مفرداته ١٦٦-١٦٧.

قوله : ((ولو كان هو المضطر إلى الضلال والاهتداء لما أثبت لهما عملاً يسألون عنه))(١) المضطر اسم فاعل(٢) . وقلت : إثبات العمل لهم على طريق الكسب، لا يدفع السؤال . قال الإمام(٣) : [اعلم أنه تعالى لما كلف القوم بالوفاء بالعهد وتحريم نقضه أتبعه ببيان أنه تعالى قادر على أن يجمعهم على هذا الوفاء بالعهد على سائر أبواب الإيمان، ولكنه تعالى بحكم إلـهيته يضل من يشاء، ويدي من يشاء] يريد أن قوله : ﴿ لو شاء الله ... الآية ﴾ دخلت معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، أعني قوله : ﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ وقوله : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ توكيد لمعنى الإبتلاء، وأنه بحكم الإلهية يختبر القليل الضعيف القديم بالقوي الكثير ذي الشوكة كما أشار إليه بقوله : ((هي أزيد عدداً وأوفر مالاً)) إلى آخره، كما أنه بحكم الإلـهية يُضِلّ من يشاء ويهدي من يشاء، فقوله: ﴿وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ﴾ مقابل لقوله:﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾.

قوله : ((أن ينقضوا ما بايعوا))(٤) متعلق بقوله : ((زين لهم الشيطان)).

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ النحل الآية ٩٣.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ : ((ولو كان هو المضطر إلى الضلال، والاهتداء لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه)).

(٢) قال أحمد بن المنير راداً على الزمخشري القول بجبر العبد، وأنه لا خيار له في أفعاله، كما هو مذهب المعتزلة قال : ومما يدل على أن الله لم يَبْنِ الأمر على الإجبار، وإنما بناه على الاختيار قوله تعالى : ﴿ ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ ولو كان هو المضطر للهداية والضلال كما أثبت لهم ما يسألون عنه، ثم قال : أما أهل السنة الذين يسميهم الزمخشري مجبرة، فهم من الإجبار بمعزل، لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختيارا وأفعالاً، وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده، فيجعلون قدرته هي الموجدة والمؤثرة، وقدرة العبد مقارنة فحسب تمييزاً بين الاختياري والقسري، وتقوم بها حجة الله على عبده . والله أعلم ٦٦٣/٢

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٠٩/٢٠.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ النحل الآية ٩٥.

قال (ز) : كان القوم ممن أسلموا بمكة ((زين لهم الشيطان)) لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش وإيذائهم لهم، وكانوا يعدوهم إن رجعوا عن مبايعة محمد صلى الله عليه وسلم ((وأن ينقضوا ما بايعوه عليه)) فثبتهم الله تعالى.

قوله : ((﴿ لنجزين ﴾ بالنون والياء))[1] بالنون ابن كثير وعاصم.

قوله : ((ليعم الموعد النوعين جميعاً))[2] قال صاحب الفرائد : [لو لم يذكر الأنثى لكانت داخلة في الحكم بطريق التغليب، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ دخلت النساء في الخطاب بطريق التغليب، ولما كان المراد من (مَنْ) العموم والإستيعاب لحصول التسوية بينهما في الحكم، لا بطريق التغليب بين قوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ وقال الإمام[3] : [إنه تعالى لما رغب المؤمنين في الصبر على ما التزموه من فعل الواجبات والمندوبات دون المباحات بقوله : ﴿ ليجزين الذين صبروا ﴾ ثم رغبهم في الإيمان بكل ما كان من شرائع الإسلام بقوله : ﴿ من عمل صالحاً ﴾ أتبع ذلك بقوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ تقريراً للوعد وإزالة لوهم التخصيص كرماً وفضلاً.

قوله : ((لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ با لله ﴾))[4] إيذاناً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة. قال القاضي[5] : [وفيه دليل على أن المصلي يستعيذ في كل ركعة لأن الحكم المترتب[6] على شرط يتكرر

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند ا لله باق ولينجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل الآية ٩٦. قال (ز) في قوله تعالى : ((﴿ لنجزين ﴾ بالنون والياء)).

قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم : ﴿ ولنجزين ﴾ بالنون، وقرأ الباقون : ﴿ ليجزين ﴾ بالياء . انظر المبسوط في القراآت العشر لابن مهران ٢٢٦ ، والنشر ١٤٦/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل الآية ٩٧ .

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ من ذكر أو أنثى ﴾ على التبيين ((ليعمّ الموعد النوعين جميعاً)) يعني الذكر والأنثى.

(٣) الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١١١/٢٠.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ با لله من الشيطان الرجيم ﴾ النحل الآية ٩٨.

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٠/٣.

(٦) المرتب في ب ، ت وهو الصواب

بتكرره قياساً][1] قلت : ويمكن أن يقال : إن قوله : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾ متصل بالفاء بما سبق من قوله : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ وذلك أنه تعالى لما منّ عليه صلوات الله عليه بإنزال كتاب جامع لصفات الكتاب وأنه تبيان لكل شيء، ونبه على كونه تبياناً لكل شيء بالكلمة الجامعة، وهي قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ... الآية ﴾، وعطف عليه : ﴿ وأوفوا بالعهد ﴾ وأكّده ذلك التأكيد، قال بعد ذلك : ﴿ فإذا قرأت ... ﴾ أي إذا شرعت في قراءة هذا الكتاب الشريف الجامع الذي نبّهت على بعض ما اشتمل عليه، ونازعك فيه الشيطان بهمزه ونفخه ونفثه فاستعذ بالله، والمقصود : إرشاد الأمة، ويظهر بهذا فائدة وضع القرآن موضع المضمر، لأن القرآن : الجمع والضّم[2] ، ولهذا قلنا : الكتاب الشريف الجامع، وينتظم معه قوله : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ فإن ذلك من منشأ النزع الذي يورده حزب الشيطان، ويقول : لو كان من عند الله لما تطرق إليه النسخ والتبديل والله أعلم.

قوله : ((كقوله : ﴿ إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾[3])) قال صاحب الفرائد : [المستشهد[4] ليس من قبيل ما نحن فيه، لأن هناك ترك للظاهر بدليل، وهنا بغير دليل. قلت : دليله إجماع الفقهاء[5] ، وسنده ما رواه أبو داود وابن ماجه عن جبير بن

---

(1) قال أهل الأصول : إذا علق الأمر على شرط، فالظاهر أنه يكون بحسب ما يدل عليه ذلك الشرط لغة، فإن كان يفيد التكرار، تكرّر ، وإلا فلا. مثال ما يفيد التكرار : (كلما جاءك زيد فأعطه درهما) . ومثال ما لا يفيد التكرار : (إن جاءك زيد فاعطه درهما). فهذا لا يفيد التكرار، ومنه هذه الآية . والله أعلم.

(2) في لسان العرب : قرأت الشيء قرآنا، جمعته وضممت بعضه إلى بعض ١٢٨/١ مادة (قرأ).

(3) سورة المائدة الآية ٦.

(4) في م المستشهد (به) وهو الصواب

(5) الإجماع غير واقع، فمالك رحمه الله لا يرى التعوذ ولا البسمله في صلاة الفرض. قال خليل بن إسحاق في مختصره : (وكرها بفرض) أي : البسملة والتعوذ، قال الدسوقي شارح خليل بن إسحاق : (وكرها) أي : للإمام وغيره سراً وجهراً في الفاتحة، وغيرها ابن عبد البر : وهذا هو المشهور عند مالك، ومحصّل مذهبه عند أصحابه . انظر الدسوقي ٢٥١/١. وعلى هذا فحديث أبي داود المذكور يحمل على النافلة لا الفرض

مطعم أنه رأى النبي صلى ا لله عليه وسلم يقول بعد تكبير الصلاة : (أعوذ با لله من الشيطان الرجيم، من نفخه ونفثه وهمزه)[1] .

قوله : ((وتبديل الآية مكان الآية هو النسخ))[2] يعني : أنه تعالى عبّر عن النسخ بهذه العبارة. قال الإمام[3] : [التبديل : رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، وتبديل الآية رفعلها بآية أخرى مكانها وهو نسخها بآية سواها]، وقلت : فيكون التبديل مضمنا معنى الوضع، أي : وضعنا آية مكان آية تبديلاً . وقال القاضي[4] : [وإذا بدّلنا آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة].

قوله : ((وهذا معنى قوله : ﴿ وا لله أعلم بما ينزل ﴾ قال الإمام[5] : [﴿ وا لله أعلم بماينزّل ﴾ اعتراض دخل بين الشرط وجزائه، أي : هو أعلم بما ينزّل من الناسخ والمنسوخ والتغليظ والتخفيف لمصالح العباد، وهذا توبيخ للكفار على قولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ أي : إذا كان هو أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمداً إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ، وقوله : ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ معناه : لا يعلمون حقيقة القرآن، وفائدة النسخ والتبديل، كما أن الطبيب الحاذق يأمر المريض بشربة، ثم بعد ذلك ينهاه عنها ويأمر بضد تلك الشربة].

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٦/١ كتاب الصلاة، باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء . وابن ماجه برقم (٨٠٧) وابن الجارود برقم (٩٦) والحاكم في المستدرك ٢٣٥/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه . والطيالسي برقم (٩٤٧). والبيهقي ٣٥/٢ . وأحمد في المسند ٨٥/٤ . كلهم من حديث جبير بن مطعم عن أبيه عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم . ومن طريق ابن مسعود رضي ا لله عنه . أخرجه أحمد في مسنده ٤٠٤/١ . وابن ماجه رقم (٨٠٨) والحاكم ٢٠٧/١ . والبيهقي ٣٦/٢.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية وا لله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ النحل الآية ١٠١ . قال (ز) : ((وتبديل الآية مكان الآية هو النسخ)).

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١١٦/٢٠.

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩١/٣.

(٥) الفخر الرازي ١١٦/٢٠.

قوله : ((إن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن))، وقد سبق الكلام عليه في سورة البقرة[1] .

قوله : ((حكم لهم بثبات القدم))[2] جزاء لقوله : ((إذا قالوا فيه، وحتى داخلة على الجملة الشرطية))، وهي غاية لمقدر هو تعليل لقوله : ﴿ نزّله ﴾ في الحقيقة . وقوله: ﴿ إن الله حكيم ﴾ متعلق بقالوا، أي : قالوا فيه ذلك، بناء على معتقدهم أن الله حكيم. وقيل : متعلّق بثبات القدم، وفيه ضعف.المعنى : ﴿ نزّله روح القدس من ربك ﴾ ملتبساً بالحق، ليبلو المؤمنين بالنسخ فيجتهدوا ويعلموا أنه لمصالح العباد حتى إذا قالوا فيه: هو الحق من ربنا، حكم لهم بثبات القدم، ويمكن أن يقال : إن من عرف أن الله تعالى أنزل كلامه المجيد على سيد المرسلين بواسطة الروح المقدسة، علم أن ذلك لا يكون إلا نور وهدى، وإن لم يقف على حقيقة المراد، حتى إذا قال : هو الحق من ربنا، وآمن به ووكل علمه إلى الله تعالى، سواء كان من قسم المتشابه، أو تبديل آية مكان آية، فحينئذ حُكم له بثبات القدم والرسوخ في العلم، كقوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا ﴾[3] ويعضد هذا التأويل مجيء قوله : ﴿ وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ عقيب هذا ، أي : هدى وبشرى للذين ينقادون لحكم ربّهم ويستسلمون لما ورد من جنابه الأقدس، لا كالزائغين ﴿ الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ وكالذين يطعنون في النسخ، هذا موافق لما ذهب إليه القاضي في المنهاج[4] في الناسخ والمنسوخ : [أن حكمه أن يتبع المصالح فيتغير بتغيرها، وإلا فله كيف يشاء.

قوله : ((وفيه تعريض)) أي : في إثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض بحصول أضدادها في المشركين والزائغين، وذلك أن قوله : ﴿ قل نزّله روح

---

(١) عند قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ البقرة الآية ١٠٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ﴾ النحل اللآية ١٠٢. قال (ز) في تفسير : ﴿ ليثبت الذين آمنوا ﴾ : ليبلوهم بالنسخ، حتى إذا قالوا فيه : هو الحق من ربنا، والحكمة : ((حكم لهم بثبات القدم)) وصحة اليقين.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) المنهاج في الأصول للبيضاوي

القدس ... الآية ﴾ جواب عن قول المشركين : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ وهو قريب من باب الأسلوب الحكيم(١) ، فإنهم أرادوا بقولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ : إن هذا ليس من كلام الله تعالى، لأن الله تعالى لا يسخر من أحد، يأمرهم اليوم بشيء وينهاهم غداً عنه، بل هو من تلقاء نفسك، فأجيبوا بأن هذا من الله، فزيد في التصوير بأن قيل : ﴿ نزّله روح القدس ﴾ ثم زيد قوله : ﴿ بالحق ﴾ لينبّه على الدفع عن الطعن بألطف الوجوه، أي : تنزيله ملتبس بالحقّ والحكمة ومصالح الخلق، ثم النعي على قبح أفعالهم بأن قيل : ﴿ ليثبت الذين آمنوا ... إلى آخره ﴾ تعريضاً بأن أضداد هذه الخصال حاصلة فيهم، وأنهم متزلزلون ضالّون موبّخون مُنذَرون بالخزي والنكال واللعن في الدنيا والآخرة، وأن أعداءهم على خلاف ذلك ليزيد في غيظهم وحَنَقِهم، ما أحسن هذا البيان، لله درّه].

قوله : ((فقيل لأحدهما))(٢) يعني : قيل لأحد هذين العبدين : أتعلّمه أنت ؟ . فقال : بل هو يعلمني . وقيل : هذا المجيب هو سلمان الفارسي، وهو غير صحيح، لأن سلمان أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة، والآية مكية.

قوله : ((ثم استعير لكل إمالة عن استقامة))(٣) الراغب(٤) : [الإلحاد : ضربان : إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله، والثاني

---

(١) الأسلوب الحكيم : هو عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً للمتكلم على تركه الأهم . انظر التعريفات للجرجاني ٣٩.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ النحل الآية ١٠٣.

قال (ز) في تفسير : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ : وذكر أن جبراً ويساراً عبدان كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ وقف عليهما يسمع ما يقرآن، فقالوا :يعلمانه، ((فقيل لأحدهما))

(٣) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ يلحدون ﴾ ألحد القبر ولحده، وهو مُلحد وملحود، إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شق منه، ((ثم استعير لكل إمالة عن استقامة)) فقالوا : ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه.

(٤) الراغب في مفرداته ٤٤٨ مادة (لحد).

يُوهن عراه ولا يبطله، وقال : ﴿ الذين يلحدون في أسمائه ﴾ والإلحاد في أسمائه على وجهين : أحدهما : أن يوصف بما لا يصح وصفه به . والثاني : أن يتأول أوصافه بما لا يليق به].

قوله : ((ومنه الملحد)) لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها . قال الشهرستاني[1] في كتاب الملل والنحل : [وفرق الباطنية أوردهم أصحاب التصانيف في كتب المقالات إما خارجة عن الفرق وإما داخلة فيها، وبالجملة هم قوم مخالفون، اثنين وسبعين فرقة[2] ، ثم إن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنّفوا كتبهم على ذلك المنهاج، وسُمُّوا باطنية، لأنهم يقولون : لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل، ولهم ألقاب كثيرة، فبالعراق : يُسَمَّون الباطنية والقرامطة[3] والمزدكية[4] ، وبخراسان : التعلمية والملحدة، وهم يقولون : نحن إسماعيلية[5] ، لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الإسم، وبهذا الشخص، وقال الإسماعيلية امتازت عن الموسوية[6] والإثنا عشرية[7] بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر، وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر].

قوله : ((وقرئ ﴿ يلحدون ﴾)) قرأها حمزة[8] .

قوله : ((مستأنفة، جواب لقولهم : فإنه تعالى لما قال : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ ومرجعه إنه مُفتَر، وأن ما جاء به ليس من عند الله، اتّجه لقائل أن

---

(1) الملل والنحل ٢٠١/١ مع تقديم وتأخير . وانظر أيضاً ج١٩٩/١.

(2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٢/٢.

(3) القرامطة : فرقة من الباطنية، أتباع حمدان القرمطي، من أشد الفرق الضالة مخالفة طريق الحق.

(4) المزدكية : فرقة من فرق المجوس، أتباع (مزدك) بن نامدان. الإعتقادات للرازي ٨٩.

(5) الإسماعيلية : من فرق الشيعة والروافض، نسبة إلى إسماعيل بن جعفر . المرجع السابق ٥٤.

(6) الموسوية : من فرق الشيعة أيضاً، أتباع موسى بن جعفر، ولم ينقلوا الإمامة لأحد بعده. المرجع السابق ٥٥.

(7) الإثنى عشرية : فرقة من الشيعة، هي اليوم أكثرهم انتشاراً.

(8) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ يَلحَدون ﴾ بفتح الياء والحاء. وقرأ الباقون ﴿ يُلحِدون ﴾ بضم الياء وكسر الحاء. المبسوط في القراآت العشر ٢٢٦ والإتحاف ٢٨٠.

يقول : فماذا أجاب ا لله عن ذلك . فقيل : قال : ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ﴾.

قوله : ((ومثله قوله : ﴿ ا لله أعلم حيث يجعل رسالاته ﴾[1] ، وجه التشبيه : هو ان قولهم : ﴿ لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل ا لله ﴾[2] لقوله : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ في إثبات الشيء على خلاف ما ينبغي أن يكون عليه، ومرجعهما أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم مُفْتَر، وأن ما جاء به ليس من عند ا لله، بل من قبل غيره، ألا ترى كيف عقبه بقوله : ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات ا لله ﴾؟،وخلاصة الردّين تجهيل القوم، وعدم تمييزهم بين الحق الصراح والباطل المحض، وأن كلامهم من الجزاف الذي يرمى من غير فكر وروية[3] ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات ا لله لا يهديهم ا لله ﴾ كأنه قيل : إن النبوة ليست بالمال والحسب، وإنما هي بفضائل نفسانية يختصّ بها من يشاء من عباده، فيجتبي لرسالته من عَلم أنه يصلح لها، فكيف تؤتونها وأنتم لستم بمكانها، بل تستحقون أن يفعل بكم كل هوان وخِزي ونكال بقولكم : ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾، لأن المتعلم إنما يستفيد من المعلم ما هو أعلم به، وأقدم منه، وما أتى به صلوات ا لله عليه كلام عربي مبين، أي : بليغ فصيح بلغ غايته في البلاغة والفصاحة، حيث عجزتم عن الإتيان بسورة مثله، فكيف يؤخذ من عجمي ألْكَن جاهل.

قوله : ((﴿ لا يهديهم ا لله ﴾ لا يلطف بهم))[4][5] وعند أهل السنة على الحقيقة.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٣.

(٣) وقد أوضح تعالى هذا المعنى الذي قاله الكفار في قوله تعالى سورة الفرقان االآية ٥ : ﴿ وقالوا أساطير الأوليلن اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ وقوله في سورة المدثر الآية ٢٤ : ﴿ إن هذا إلا سحر يؤثر.إن هذا إلا قول البشر ﴾ وقوله في سورة الأنفال الآية ٣١: ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بآيات ا لله لا يهديهم ا لله ولهم عذاب أليهم إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ النحل الآية ١٠٥.

(٥) هذا تفسير فيه اعتزال، قال الألوسي ٢٣٥/١٤ : وكونه تفسيراً للمعتزلة، يعني قول الزمخشري : (لا يلطف بهم) مناسباً لأصولهم، فيه نظر.

قولـه : ((﴿ وأولـئك ﴾ إشـارة إلى قريـش)) اعلـم أن المشـار إليـه بقولـه : ﴿ أولـئك ﴾ إما قوله : ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ لأنه المذكور أو قريش، لأن سياق الكـلام فيهم، لأنهم هم الذين قالوا : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾، وقالوا : ﴿ إنمـا يعلمـه بشـر ﴾ فعلى الأول عام في قريش وغيرهم، وحينئذ يكون التعريف في ﴿ الكـاذبون ﴾ للجنـس، وإليـه الإشارة بقوله : ﴿ هم الكاذبون ﴾ على الحقيقة الكـاملون في الكـذب، فيدخـل في هـذا العام قريش دخولا أولياً، يعني : المفتري مطلقاً من لا يؤمن با لله ولا بآياته، وهـو الكـامل فيه، لأن تكذيب آيات ا لله لا شيء أعظم منـه. وأمـا الثـاني فعلـى وجهـين : أحدهمـا : ﴿ الكاذبون ﴾ مطلقٌ فلا يقدّر في أي شيء كذبوا، وهـو[1] أيضـاً علـى وجهـين: إمـا أن يكـون قولـه : ﴿ إنمـا يفـتري الكـذب الذيـن لا يؤمنـون ﴾ عامـاً، والكـلام وارد علـى الإستدراج، المعنى : اعلموا أن المفتري منّا ومنكم الذي لا يؤمن با لله ولا باليوم اللآخـر ولا بعقابه، فلا يبالي بالكذب، وقد ظهر أنكم الموصوفون بذلك، فيلزم أنكـم الكـاذبون، ودلّ على هذا الاستلزام الفاء في قوله : فهم الكاذبون. وإما أن يـراد بـالذين لا يؤمنـون قريش وكان من حق الظاهر لم يؤمنوا، فعَـدل إلى : ﴿ لا يؤمنـون ﴾ لإفـادة الاستمرار، أي المفتري من استمر علـى الكفـر ولم يتوقّـع منـه تجـدّد الإيمـان، فيستمر علـى الكـذب ويصير دأبه وعادته، لأن الرادع عن الكذب المروءة، ومن لا إيمان له لا مروءة له، وإليـه الإشارة بقوله : ((أولـئك هم الذين عادتهم الكذب)) لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين . وثانيهما : ﴿ الكاذبون ﴾ مقيد بحسب اقتضاء المقام (وهو المراد من قولـه : ﴿ أولـئك هم الكاذبون ﴾ في قولهم : ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ .

قوله : ((﴿ من كفر ﴾ بـدل مـن : ﴿ الذيـن لا يؤمنـون ﴾ ، فـإن قلـت : كيـف يصح البدل، (وأن قوله)[2] : ﴿ إنما يفـتري الكـذب ﴾ ردّ لقـول قريـش : ﴿ إنمـا أنـت مفتر ﴾ وهم ما كفروا بعد الإيمان . قلت : كلما كان الرد أبلغ كان في الإفحام أدخـل،

والهداية هدايتان : هداية إرشاد، وهي التي يعملها الأنبياء واتباعهم، وهداية توفيق، ولا يملكها إلا ا لله، كما قال تعالى لنبيه صلى ا لله عليه وسلم : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن ا لله يهدي من يشاء ﴾ .

(1) في م : وهي.

(2) ما بين القوسين س من : أ

وإنما عدل من ظاهر قوله : (بل أنتم مفترون) إلى قوله : ﴿ إنما يفتري الكذب (الذين لا يؤمنون ﴾ ليكون إشعار بأن بين الإيمان وبين الكذب منافاة، والكذب من شيمة من عدم الإيمان، تعريضاً)[1] بهم، وبعثاً على التفكر في أن الكاذب منه ومنهم من هو ثم إذا ذهب إلى إبدال : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾[2] منه على أن المراد : من كان متمكنا من الإيمان، ثم أعرض للعناد والتمرد كقوله : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾[3] بلغ الغاية القصيا في المطلوب أيضاً، جعل ذلك سلّما وتخلّصاً إلى ما فعلوا بأولئك السادة من المثلة، والصدّ عن الدين، فإنه أشنع وأقبح.

قوله : ((﴿ شرح بالكفر صدراً ﴾ أي : طاب به نفساً))[4] بيّن بهذا فآل[5] معناه، وإعرابه : أما المعنى : فلأن الشرح هو الكشف، تقول : شرحت الغامض إذا فسّرته، فإن الغامض مما يضيق به الصدر ولا تطيب به النفس. وأما الإعراب : فلأن ﴿ نفساً ﴾ منصوب على التميز، كذا ﴿ صدراً ﴾ وفي اللباب[6] ، أي : شرح صدره فصرف الفعل إلى المضاف فانتصب على التمييز، فكأنه قال : شرحه صدراً، أي : قلبه على اختيار. الراغب[7] : [أصل الشرح : بسط اللحم ونحوه، يقال : شرحت اللحم ونحوه، وشرّحته، ومنه شرح الصدر، أي : بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾[8] وشيج المشكل من الكلام : بسطه وإظهار معانيه].

قوله : ((ويجوز أن يكون بدلا من المبتدأ عطف على قوله : ﴿ ومن كفر ﴾ بدل [من ﴿ الذين لا يؤمنون بآيات الله ... ﴾.

---

(١) ما بين القوسين س من : أ ، م.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ النحل الآية ١٠٦.

(٣) سورة البقرة الآية ١٦.

(٤) تفسير قوله : ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾.

(٥) نسخة أ : (فآل). و ب : (قال) . والصواب ما في ب.

(٦) اللباب في شرح الكتاب للميداني ت ٥١٨ بتحقيق محمود أمين النواوي . مكتبة الرياض الحديثة.

(٧) الراغب في مفرداته ٢٥٨ . مادة (شرح).

(٨) سورة الشرح الآية ١.

قوله : ((وقد جوّزوا أن يكون ﴿ من كفر با لله ﴾ شرطاً مبتدأ، وهو قول أبي علي الجبائي[1] ، أي : من كفر استحق الغضب والعقاب إلا من أكره.

قوله : ((وروى أن ناساً من أهل مكة فتنوا ... إلى آخره))، ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب[2] : [عن أبي عمر كان عمار وأمه سُمَيّةُ ممن عذّب في ا لله ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن قلبه بالإيمان فنزلت الآية[3] ، وهذا مما اجتمع عليه أهل التفسير] وروى النسائي عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من الصحابة قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (ملئ عمّار إيماناً إلى مُشاشِه)[4] . المُشاش : بالضم، جمع مشاشة، وهي رؤوس العظام اللينة.

قوله : ((منهم عمار مبتدأ وخبر وأبواه[5])) مع ما بعده معطوف على عمار، وقوله : ((عذبوا)) جملة مستأنفة، فكأنه قيل : ما فعل بهم؟ فقيل : عذبوا، ونظيره قوله تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ﴾[6] إلا أن صدقوا صفة لرجال، هذا على أن عماراً ممن عذب على ما روي في الإستيعاب، فقوله : ((فأما سمية وأما عمار)) تفصيل لقوله : ((عذبوا)) وقيل : (إن أبواه) مبتدأ والخبر : (عذبوا)، وإن عماراً ما عذب على ما عليه ظاهر كلام المصنف.

قوله : ((وإعزازاً للإسلام)) لأن المخالف إذا رأى أن المسلم يبذل ماله وروحه دون دينه أيقن أن مثل هذا الدين لا يكون إلا حقاً ينصره قوله تعالى : ﴿ وقالت طائفة

---

(1) أبو علي الجبائي : محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة الجبائية، نسبته إلى جبّى (من قرى البصرة) . انظر وفيات الأعيان ٤٨٠/١، والبداية والنهاية ١٢٥/١١، والإعلام للزركلي ٢٥٦/٦.

(2) ذكره ابن عبد البر في الإستيعاب مع الإصابة ٤٧٧/٢.

(3) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٢٦، والطبري ١٢٢/١٤، والقرطبي ١٨٠/١٠/ والبغوي ٤٦/٥.

(4) أخرجه النسائي ١١١/٨ كتابالإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان . وابن ماجه ٥٢/١ المقدمة ١١ فضل عمار بن ياسر.

(5) أبواه : ياسر وسمية رضي ا لله عنهم.

(6) سورة الحزاب الآية ٢٣.

من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾[1] (يشكون في دينهم، يقولون فارجعوا وهم أهل كتاب)[2] وعلم إلا لأمر قد تبين لهم. يؤيده ما روينا في صحيح البخاري ومسلم[3] عن أبي سفيان أن هرقل سأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال : قلت : لا. وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب ... الحديث.

قوله : ((واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم)) جعل سبب وعيد من شرح بالكفر صدراً، وهم الذين ارتدوا بعد ما دخلوا في الإسلام شيئين : أحدهما : استحباب الحياة الدنيا على الآخرة، وفيه إشارة إلى فضْل ما فعل أبو عمار على عمّار[4] . وثانيهما : خذلان الله بكفرهم، وإنما علّل الخذلان بالكفر، لأن قوله : ﴿ لا يهدي القوم الكافرين ﴾ من وضع المظهر معضع المضمر للعلية، ثم آذن بأنهم أحقاء بأن يطبع على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم لذلك الوصفين بقوله : ﴿ أولئك الذين طبع الله ﴾ وتمم بقوله : ﴿ أولئك هم الغافلون ﴾، واللام للجنس، ليفيد ما قال : أولئك هم الكاملون في الغفلة، أي : تصور حقيقة الغافلين، فهم لا يعدون تلك الحقيقة، ومن ثم قال الذين لا أجد أغفل منهم، ثم لما أراد أن يبين البون بين الفريقين والبعد بين المرتبتين، أعني : الثابتين على الإسلام، والناكصين عنه، قيل : ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ... الآية ﴾ وإليه الإشارة بقوله : ((دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك))[5] وقوبل تلك التوكدات السابقة بمجرد اللام في قوله : ﴿ للذين هاجروا ﴾ حيث أوقعه خبراً لأنّ، على ما قال : إنه لهم لا عليهم، بمعنى أنه : وليهم وناصرهم لا عدوهم

(١) سورة آل عمران الآية ٧٢.

(٢) ما بين القوسين س من ب ، م.

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ٣١/١ كتاب بدء الوحي، باب ٦ من حديث أبي سفيان لهرقل . ومسلم في صحيحه ١٣٩٣/٣ كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل

(٤) وثانيهما (استحقاق) خذلان . ما بين القوسين في ت. وهو الصواب.

(٥) تفسير قوله : ﴿ ثم إن ربك ﴾ قال (ز) : ((دلالة)) الخ.

وخاذلهم، يدل على المقابلة تفسير المؤلف قوله : ﴿ وإن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ بقوله : واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، ووضع المظهر موضع المضمر في المتقابلين، لأن قوله : ﴿ للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ﴾ وضع موضع الراجع إلى قوله : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ ففي الآيات جمع مع التقسيم والتفريق، فالجمع : قوله : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴾ والتقسيم : ﴿ إلا من أكره ﴾ ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾ . والتفريق : ﴿ وأن الله لا يهدي ﴾ ﴿ وإن ربك للذين هاجروا ﴾ والله أعلم بمراده من كلامه . ونحن إنما ساعدنا تفسيره ﴿ لا يهدي ﴾ بالخذلان، وتعليله بالكفر، ليقابله قوله : ﴿ للذين هاجروا ﴾ إلى قوله ﴿ لغفور رحيم ﴾ لأن الغفران مقابل للخذلان، لأنا نثبت للعبد أيضاً قدرة تميز بين الفعل الاختياري والقسري لتقوم حجة الله على عباده، وعلم من مفهوم كلامه أن قوله : ﴿ للذين هاجروا ﴾ خبر (إن)، والمقدر نحو ناصرٌ ووليٌ للذين هاجروا، لقرينة قوله : خذلان الله بكفرهم، لأنه مقابل له، كما سبق. وقال أبو البقاء [1] : [خبر (إن) ﴿ لغفور رحيم ﴾ و(إنّ) الثانية واسمها تكرير للتوكيد، ومثله في هذه السورة[2] : ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ... الآية﴾] وقيل : خبره محذوف، لأن خبر الثانية أغنى عن ذلك[3].

قوله : ((وقرئ ﴿ فتنوا ﴾[4] على البناء للفاعل، قرأها ابن عامر.

قوله : ((كالحضرمي))[5] قوله وأشباهه، بيان للفاعل في عذبوا، فإن الحضرمي كما سبق في الكشاف عذب عبده جبراً وأكرهه على الكفر ثم أسلم الحضرمي .

---

(1) أبو البقاء في إملائه ٢/٨٦.

(2) النحل الآية ١١٩

(3) قاله أبو البقاء ٢/٨٦.

(4) قرأ ابن عامر وحده : ﴿ فَتَنوا ﴾ بفتح الفاء والتاء مبنيا للفاعل، وقرأ الباقون : ﴿ فُتِنوا ﴾ مبنيا للمفعول بضم الفاء وكسر التاء، انظر المبسوط لابن مهران ٢٢٦، والنشر ٣/١٤٧، والإتحاف ٢٨٠.

(5) عامر بن الحضرمي : عذب عبده جَبْراً ثم أسلم عامر بعد ذلك وهاجرا معاً.

قوله : ((من بعدها، من بعد هذه الأفعال، وهي الهجرة والجهاد والصبر)) بناء على (إن) الثانية ليست بتكرير، وعلى قول أبي البقاء : التقدير ﴿ إن ربك ﴾ من بعد الفتنة والجهاد والصبر.

قوله : ((﴿ يوم تأتي ﴾ منصوب برحيم أو بإضمار اذكر))[1] والأول أدخل في تأليف النظم، ليقابل قوله : ﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾[2] .

قوله : ((فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته))[3] [4] قال صاحب الفرائد : [المغايرة شرط بين المضاف والمضاف إليه لامتناع النسبة بدون المنتسبين، فلذلك قالوا : يمتنع إضافة الشيء إلى نفسه إلا أن المغايرة قبل الإضافة كافية، وهي محققة ههنا، لأن من مطلق النفس لا يلزم نفسك (ومن نفسك)[5] يلزم النفس، فلما أضيف ما لا يلزم أن يكون نفسك إلى نفسك صحت الإضافة، وإن اتحدتا بعد الإضافة، فلهذا أجاز عين الشيء، ونفس الشيء، وكل الشيء[6] ، ونحوها، ولما لم تكن المغايرة قبل الإضافة في الأسد والليث. والحبس والمنع لم يجز أسد الليث وحبس المنع، وإنما قلنا : إن الاتحاد بعد الإضافة لا يخلّ بالإضافة، لأن الاتحاد يحصل بالاختصاص، والاختصاص يحصل بالإضافة فيكون الاتحاد أثر الإضافة، فكيف يكون مانعاً للإضافة؟. وقلت : قول المصنف، فالنفس

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ النحل الآية ١١١. قال (ز) : ((﴿ يوم يأتي ﴾ منصوب ... الخ.

(٢) سورة النحل الآية ١٠٩.

(٣) تفسير قوله : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾

(٤) قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير قوله : ﴿ يوم يأتي كل نفس تجاد عن نفسها ﴾ : و﴿نفس﴾ الأولى هي النفس المعروفة، والثانية هي بمعنى الذات. كما تقول : نفس الشيء وعينه أي ذاته ٥٢٢/٨.

(٥) ما بين القوسين س من أ ، م.

(٦) وإنما جازت إضافة النفس إلى النفس، ومن شرط المتضايفين أن يكونا متغايرين، أن المراد بالنفس الأولى، وهي قوله : ﴿ يوم يأتي كل نفس ﴾ الإنسان، وبالثانية يعني قوله : ﴿ تجادل عن نفسها ﴾ ذاته، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته، أي : يعتذر عنها، لا يهمه شأن غيره . وا لله أعلم.

الأولى هي الجملة، والثانية عينها، معناه : أن اعتبار الماهية غير اعتبار الجملة، فإن الجملة يقع فيها اعتبار الماهية مع اعتبار أفرادها.

قوله : ((أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً))[1] ضمّن ﴿ ضرب ﴾ معنى (جعل) ليصح المعنى، لأن معنى ضَرْب المثل : اعتماده وصنعه، من ضَرْبِ اللبن والخاتم، كأنه جعل القرية الموصوفة بما يليها مفعولا أولا، و ((مثلا)) مفعولا ثانياً[2] ، وقريب منه ذكر مكي في قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية ﴾[3] قال : [أصح ما يعطي القياس والنظر في (مثل)[4] (وأصحاب) أنهما مفعولان لاضرب، دليله قوله تعالى : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء ﴾[5] فلا اختلاف أن ﴿ مثل الحياة ﴾ ابتداء و ﴿ كماء ﴾ خبره. وقال في موضوع آخر : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء ﴾[6] فدخل (اضرب) على الابتداء والخبر فعمل فيهما، فقد تعدى (اضرب)[7] الذي هو لتمثيل الأمثال إلى مفعولين، بلاخلاف في هذا، فوجب أن يجرى في غير هذا الموضع على ذلك] والفاء في قوله (فـ)يجوز أن يراد قرية تفصيلية[8] . والفاء في (فـ)ضربها الله مثلاً) متعلق بقوله : ((أن يكون في قرى الأولين قرية)).

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ النحل الآية ١١٢ . قال (ز) في معنى قوله : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية ﴾ : ((أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلاً)) لكل قوم أنعم عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا.

(2) التقدير : ضرب الله القرية الآمنة المطمئنة مثلاً، فالقرية وما بعدها من أو صاف، مفعول أول، و(مثلا) مفعول ثان.

(3) سورة يس الآية ١٣.

(4) الصواب (مثلاً) على الحكاية.

(5) سورة يونس الآية ٣٤.

(6) سورة الكهف الآية ٤٥.

(7) اضرب (أي) الذي في ب.

(8) تفسير لقوله تعالة : ﴿ ضرب الله مثلاً قرية ﴾ أي : جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم عليهم فأبطروا النعمة ((فيجوز أن تراد قرية)) مقدرة على هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلاً لأهل مكة)).

قوله : ((إنها أيام طعم ونِعَم))[1] وفي رواية لمسلم أنه صلوات الله عليه أمر خادمه أن ينادي أيام التشريق إنها أيام أكل وشرب[2] .

قوله : ((الإذاقة، واللباس استعارتان)) خلاصة السؤال أنه سأل عن بيان استعارة ﴿ أذاقها ﴾ واستعارة ﴿ لباس الجوع ﴾، وعن نسبة إحداهما إلى الأخرى، فإنه تعالى أوقع إحدى الإستعارتين مفعولاً للأخرى.

قوله : ((أما الإذاقة)) يريد أن الإذاقة بعدما كانت مستعارةللإدراك والإصابة، صارت حقيقة في الإصابة بسبب كثرة استعمالها وشيوعها فيها، ثم انتهض لبيان الجواب عن الإستعارة الأولى على سبيل الإستئناف، بأن قال[3] : شبّه ما يدرك، أي : شبّه ما يدرك الإنسان من أثر الضرر بما يحسّ من طعم المرّ والبشع، ثم أدخل المشبّه في جنس ما يدرك من الطعم، ثم أطلق ما يدرك بالفعل على اسم ما يحسّ بالفم، هذا تقرير أصل الإستعارة، وأنها مسوقة لمثل هذا التشبية، لا بيان أنها استعارة تبعية، لأن قوله : ((ما يدرك من أثر الضرر بفتح الراء اسم مفعول، وهو مثل الفعل في امتناع إيقاع الإستعارة

(١) تفسيره لقوله تعالى : ﴿ كفرت بأنعم الله ﴾ والأنعم : جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع، أو جمع نِعَم، كبؤس وأبؤس) وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى : ((إنها أيام طُعم ونعم فلا تصوموا)) قال ابن حجر في الكافي الشاف لأحاديث الكشاف : لم أجده هكذا .

(٢) أخرجه مسلم ٢/٨٠٠ كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق. والنسائي ٢/٢٦٧ . والدارمي ٢/٣٨ باب النهي عن صيام أيام التشريق . وابن ماجه ١/٥٤٨ . وأبو داود ٢/٨٠٤ كتاب الصيام، باب صيام أيام التشريق . وأحمد ٣/٤٦٠ ، ٢/٢٢٩ . وغيرهم.

(٣) حاصل هذه الإستعارة في قوله تعالى : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ أن حقيقة الذوق إنما يكون في المطاعم والمشارب، لا في الكسا والملابس، وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم، والبلاء الشامل لهم، وقد عرف في لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة، أو أخذ بجريرة ذق غِبَّ فعلك واجن ثمرة جهلك، وإن كانت عقوبته ليست من جنس ما يُحَسّ بالطعم ويدرك بالذوق، فكأنه تعالى لما شمهلم بالجوع والخوف على وجه العقوبة، حسن أن يقول تعالى : فأذاقهم ذلك، أي : أوجدهم مرارته، كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ووخامة الطعم الكريه، وإنما قال تعالى : ﴿ لباس الجوع والخوف ﴾ ولم يقل طعم الجوع والخوف، لأن المراد بذلك – والله أعلم – وصف تلك الحال بالشمول لهم والإشتمال عليهم، كاشتمال الملابس على الجلود، لأن ما يظهر منهم من مضيض الجوع وأليم الخوف من سوء الحال، وشحوب الألوان، وضئولة الأجاسم، كاللباس الشامل لهم، والظاهر عليهم. انظر تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ١٢٨

فيه لامتناع وقوعه موصوفاً، ولو أريد تقرير التبعية لقيل شبهت إصابة العذاب ولحوقه بهم بإذاقهم[1] إلى الطعم البشع المرّ، ثم سرت[2] الاستعارة من الإضافة[3] إلى أذاق، فيكون استعارة مصرحة تبعية، لأن المشبه المتروك أمر عقلي، وإنما اضطر إلى هذا التأويل، لأن الإستعارة وقعت في لباس الجوع، وقد فرع عليها ﴿ أذاقها ﴾، وهو لا يناسبها ترشيحاً ولا تجريداً فيجعل بمعنى الإصابة ليكون تجريدا. الراغب[4] : [الذوق وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإنما يكثر منه يقال له : الأكل، واختير في التنزيل لفظ الذوق في العذاب لأن ذلك وإن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعمّ الأمرين، وكثر استعماله في العذاب نحو ﴿ ليذوقوا العذاب ﴾[5] ، وقد جاء في الرحمة نحو ﴿ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ﴾[6] ويعبّر به عن الاختبار، فيقال : أذقته كذا فذاق . ويقال : فلان ذاق كذا، وأنا أكلته، أي : خَبَرْتُه أكثر مما خَبَر] وقال[7] : [الطعم تناول الغذاء، ويسمى ما يتناول (منه)[8] طَعْمٌ وطعام، ورجل طاعم : حسن الحال] . وقوله تعالى : ﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ فاستعمال الذوق مع اللباس من أجل أنه أريد به التجربة والاختبار، أي : فَجَعَلها بحيث تُمارسُ الجوع والخوف. وقيل : إن ذلك على تقدير كلامين، كأنه قيل : أذاقها الجوع والخوف وألبسها لباسهما.

قوله : ((وأما اللباس)) هذا هو الجواب عن بيان الاستعارة الثانية، أي : شبه ما يغشى الإنسان ويتلبس به من أثر الجوع والخوف باللباس الحقيقي، والجامع كونهما مشتملين على الإنسان وغاشيين له، ثم أطلق اسم اللباس على ما يغشى الإنسان من

---

(١) في ب (بإذاقة الطعم).

(٢) في ب (رشربت).

(٣) في ب ، م (الإذاقة) وهو الصواب.

(٤) الراغب في مفرداته ١٨٢ مادة (ذوق).

(٥) سورة النساء الآية ٥٦.

(٦) سورة هود الآية ٩.

(٧) القائل الراغب أيضاً . مادة (طعم). ٣١٨

أثرهما، وجعل إضافته إليهما قرينة ما نعة عن إرادة الحقيقة، فهي استعارة مصرحة أصلية تحقيقية، لكن المشبّه المتروك عقلياً.

قوله : ((وأما إيقاع)) هو الجواب عن نسبة إحدى الاستعارتين إلى الأخرى، وتقريره أن نسبة الإستعارة الأولى إلى الثانية بعد ما جعلت حقيقة في الإصابة والإدراك بسبب كثرة الاستعمال نسبة تفريع شيء على أصل، ولما كانت الإضافة التي هي بمعنى الإصابة صفة ملائمة لغشيان الجوع والخوف، والمشبه[1] باللباس جعلت تجريداً لها، وهذا هو المراد من قوله : ((فلأنه لما وقع عبارة عن ما يغشى منهما)) فكأنه قيل : فأذاقهم، أي : أصابهم ما غشيهم.

قوله : ((ولهم في نحو هذا)) أي : العرب في نحو تفريع أذاقها على لباس الجوع طريقان : طريق التجريد، وهو أن يفرع على الاستعارة بعد تمامها صفة ملائمة للمستعار له كما نحن بصدده . وطريق الترشيح، وهي أن يفرعَ عليها صفة ملائمة للمستعار منه كما في المثال الآتي . قوله :

** ((غمر الرداء إذا تبسم ... البيت[2]

(غمَرَ) المراد أي : كثير العطاء، يقال : غلق الرهن إذا استحقه المرتهن، وذلك إذا لم يفتك في الوقت المشروط. قال زهير[3] :

** وفارقتك برهن لا فكاك له ** يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا **

---

(١) الخوف (و) المشبه . ما بين القوسين س م ت.

(٢) البيت لكثير : وتمامه :

** غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ** غلقت لضحكته رقاب المال **

انظر الزمخشري ٢/٦٣٩.

(٣) زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح المزني بن مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، ومن أئمة الأدب، منهم من يفضله على الشعراء كافة، نشأ في بيت شعر، فكان أبوه شاعراً وخاله شاعراً وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. مات سنة ثلاث عشرة . الشعر والشعراء (٤٤) ، والأغاني ١٠/٢٨٨-٣٢٤ . انظر اللسان ١٠/٢٩٢ مادة (غلق).

أي : ارتهنت قلبه فذهبت به. يقول : إذا ضحك ضحكة أيقن السائل أنه بذلك التبسم استغلق رقاب ماله ويعطي بلا خلاف.

قوله : ((ووصفه بالغمر الذي هو وصف للمعروف)) أي : فرع على المستعار له، لأن الغمر مناسب للمعروف لا على المستعار، لأن الغمر غير مناسب للرداء. وقلت : وفيه عدول عن الظاهر، لأن الغمر ليس صفتة حقيقية للنوال والمعروف، بل هو وصف للبحر المستعار أولاً للمعروف، يقال : غمره الماء يغمره غمراً، أي : علاه، والغمر الماء الكثير، فهو ههنا تجريداً للاستعارة بعد أن كان ترشيحاً، وهذا المثال المستشهد به يشبه استعماله استعمال الآية في أن التجريد ليس تجريداً محضاً.

قوله : ((ينظروا فيه إلى المستعار))[1] أي : المستعار منه.

قوله : ((ينازعني ردائي)) البيتين[2] ، الاعتجار : لفّ العمامة من غير إدارة تحت الحنك. الجوهري[3] : [الاعتجار : لفّ العمامة على الرأس . قال الراجز[4] :

** جاءت به معتجراً ببرده **

يقول[5] : يجاذبني سيفي عبد عمر، ويريد أن يأخذه مني، فقلت : رويدك، فلي النصف الأعلى منه الذي هو في يميني، وخذ أنت النصف الأخير منه، فلفّ على رأسك. ومثله قول الآخر[6] :

---

(١) متعلق بكلامه السابق، أعني : قوله : ((ولهم في نحو هذا)) يعني العرب طريقان ... الخ. وهذه هي الطريقة الثانية، وهي : ((أن ينظروا فيه)) الخ.

(٢) والبيتان هما :

** يُنازعني رداءي عبدُ عمروٍ ** رويدك يا أخا عمرِو بن بكر **

** ليَ الشطر الذي ملكَت يميني ** ودُونك فاعتَجِر منه بِشطر **

انظر الكشاف ٢/٦٣٩.

(٣) الجوهري في صحاحه ٢/٧٣٧ مادة (عجر).

(٤) الراجز : هو دُكَين يمدح عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراق، وكان راكباً على بغلة حسناء. المعلق على الجوهري أحمد عبد الغفور العطار ٢/٧٣٧ واللسان مادة (عجر).

(٥) وتمام الرجز :

** جاءت به مُعتجراً ببُرده ** سَفْواء ترْدي بِنَسيج وَحْده **

(٦) لم أقف على قائله.

** تُقَاسِمهُم أسيافنا شرَّ قسمة ** ففينا غواشيها وفيهم صدروها **

قوله : ((ضافي الردى)) أي : سابغة.

قوله : ((وما أوتيت به من كفرها))[1] أي : (أهلكت)[2] الضمير في (به) للموصول، يقال : أتى عليهم الدهر، أي : أهلكهم وأفناهم، وأصله من إتيان العدوّ.

قوله : ((وصل بذلك بالفاء في قوله (فكلوا) صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة)) بيان لربط الآيات من لدن مفتتح السورة، ولقد أسلفنا أن هذه السورة في بيان سوء أفعال قريش وقبائحهم، وفي تذكارهم ما خوّل الله لهم من أنواع النِّعم، وفي إنذارهم بنقم الله، وما حلّ بمن سبق من الأمم الخالية، ولمّا عدّد عليهم النعم المتكاثرة من ذكر الأنعام وفوائدها وثمرات النخيل ومنافع ما يصل إليهم من النحل، وأنذرهم بأنواع من النّذر، ثم نعى عليهم ما كانوا يفترون على الله من اتخاذ البنات[3] ، وقال : ﴿ ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ﴾[4] وأراد أن يذكر نوعاً آخر من أفعالهم وهو تحليلهم بأهوائهم ما حرّمه الله من أكل الميتة[5] والدم ولحم الخنزير، وتحريمهم ما أحلّه الله من البحائر والسوائب والوصائل والحوائم، وقولهم :

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ﴾ النحل الآية ١١٤-١١٥.

قال (ز) : لما وعظهم بما ذكر من حال القرية ((وما أوتيت به من كفرها)) وسوء صنيعها، ((وصل بذلك بالفاء في قوله : ﴿ فكلوا ﴾)) لصدهم عن أفعال الجاهلية ... الخ.

(٢) ما بين القوسين ساقط من ب.

(٣) كما قال تعالى عنهم في هذه السورة الآية ٥٧ : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾ وقوله تعال في سورة الصافات الآية ١٥١ : ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾ وقال تعالى عنهم في سورة مريم الآية ٨٩ : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إدًا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًا . أن دعوا للرحمن ولداً . وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ... الآيات ﴾.

(٤) سورة النحل الآية ٦٢.

(٥) يشير إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ﴾ الآية ١٥ من سورة النحل. وكذلك سورة المائدة الآية ١٠٣-١٠٤ : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾.

﴿ ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجا ﴾(١) عقّب ذلك ضَرْب المثل بقوله : ﴿ ضرب الله مثلاً قرية ... الآية ﴾ ليكون كالتخلص إلى قوله : ﴿ فكلوا ﴾ فردف بقوله : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾(٢) ويدل عليه تكرير قوله : ﴿ تصف ألسنتكم الكذب ﴾ فظهر من هذا التقرير أن المأمور به هو ما عدّد الله من أول السورة من المأكول والمشروب . أما المأكول فمنها قوله : ﴿ والأنعام خلقها لكم ... إلى ... ومنها تأكلون ﴾(٣) ، ومنها قوله : ﴿ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ﴾(٤) ، ومنها قوله : ﴿ وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ﴾(٥) وأما المشروب : فمنها قوله : ﴿ أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ﴾(٦) ومنها قوله : ﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ﴾(٧) ومنها : ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ﴾(٨) ومنها : ﴿ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾(٩) والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٩.

(٢) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٥٠ : ﴿ قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ وقوله في سورة يونس الآية ٥٩ : ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ وقوله في سورة الأنعام الآية ١٤٠ : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ... الآية ﴾

(٣) الآية ٥.

(٤) الآية ١١.

(٥) الآية ١٤.

(٦) الآية ١٠

(٧) الآية ٦٦.

(٨) الآية ٦٧.

(٩) الآية ٦٩.

قولـه : ((أو إن صـحّ زعمكـم أنكـم تعبـدون ا لله))[1] يعـني : جـاءت الشــرطية مؤكدة للكلام، فإما أن تُحمل العبادة على الطاعة ليطابق الأمر، وهو : ﴿ فكلـوا ﴾. أو أن يجري[2] على حقيقتها، لكن على الزعم الكاذب.

قوله : ((وانتصاب الكذب[3] بـ﴿لا تقولوا ﴾ وهـو يحتمـل أن يكـون مفعـولاً بـه، وأن يكون مفعولاً مطلقاً، وقد مضى عن ابن الحاجب أن مثل هذا ينبـني على أن القـول يتعدى أو لا يتعدى، ففيه قولان : فإن تعدى فهو مفعول به[4] ، وإلا فمفعول مطلق.

قوله : ((ويجوز أن يتعلق))[5] أي : هـذا حـلال وهـذا (حـرام)[6] (بتصـف) علـى إرادة القـول، فالفـاء في : (فتقـول) في الكتـاب كالفـاء في قولـه : ﴿ فتوبـوا إلى بـارئكم فاقتلوا أنفسكم ﴾[7] .

قوله : ((ولـك أن تنصـب الكـذب بتصـف)) عطـف علـى قولـه : ((وانتصـاب الكـذب بـ ﴿ لا تقولـوا ﴾ و ﴿ مـا ﴾ مصدريـة، والـلام بمعنـى لأجـل، وعلـى الأول موصولة، واللام صلة لقوله : ﴿ لا تقولوا ﴾.

قوله : ((جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه))[8] قـال الإمـام[9] والقـاضي[10] : [كأن ماهية الكذب وحقيقته مجهولـة، وكلامهـم يكشـف عـن حقيقـة الكـذب ويوضـح

(١) تفسير (ز) قوله تعالى : ﴿ إن كنتم إياه تعبدون ﴾ قال : يعني تطيعون ((أو إن صـحّ زعمكـم أنكـم تعبدون ا لله)) بعبادة الآلهة، لأنها شفعاؤكم ... الخ.

(٢) (وأن يجري) في ب ، ت ، م.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الكذب إن الذين يفترون على ا لله الكذب لا يفلحون.متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ النحل الآية ١١٦-١١٧.

(٤) أي مفعول لقوله : ﴿ تقولوا ﴾ وقيل:﴿ الكذب ﴾ مفعول لقوله : ﴿ تصف ﴾.

(٥) إعرابه لقوله تعالى : ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ قال (ز):بدل من ﴿ الكذب ﴾ ((ويجوز أن يتعلق)) يتصف على إرادة القول، أي : ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم ﴿ فتقول ﴾ ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) سورة البقرة الآية ٥٤.

(٨) هذا إجابته عن سؤال طرحه، أجاب عنه : (فإن قلت : ما معنى وصف ألسنتهم الكذب ؟ . قلت : هو من فصيح الكلام وبليغه، أي : ((جعل قولهم : كأنه عين الكذب ومحضه)).

(٩) الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٣٢/٢٠.

(١٠) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٤/٣.

ماهيته] أراد أن قوله : تصف بمعنى توضح وتبين، لأن بعض الصفات بمنزلة الكاشف عن المحدود، والتعريف في الكذب للجنس، فكأن ألسنتهم إذا أخذت في النطق وصفت ذلك الجنس وكشفت عن حقيقته، وعليه قول أبي العلاء[1] :

** سرى برق المعرّة بعدوهن ** فبات برامة يصف الكِلالا **

هذا وأما ما عليه ظاهر كلام المصنف، فهو أن أصل الكلام : لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام، لأجل قولكم الكذب، فالقول وصف بالكذب في قوله : ((لأجل قول تنطق به ألسنتكم)) ليؤذن بأن ذلك تفَوُّهٌ، وتقوُّل من غير تحقيق، كقوله : ﴿ ذلكم قولكم بأفواهكم ﴾[2] وإليه الإشارة بقوله : ((لا لأجل حجّة وبيّنة))، ثم زيد في المبالغة بأن قيل : تصف ألسنتكم الكذب ليعلم أن قولهم لكثرة اتّصافه بالكذب، صار بمنزلة الواصف له، فإذا نطقت ألسنتهم بالكذب، فقد حلّت الكذب بحليته . ونحوه في المبالغة، نهاره صائم وليله قائم، فوصف اليوم الذي يصوم فيه هذا الشخص بصفته لكثرة صدور هذا الفعل فيه، وكذلك وجهها[3] ، كان موصوفاً بالجمال الفائق، ثم صار حقيقة الجمال ومنبعه، بحيث هو الذي يصف الجمال، كقول القائل[4] :

** أضحت يمينك من جود مصورة ** لا بل يمينك منها صورة الجود **

---

(١) أبو العلاء المعري أحمد بن عبد الله بن سليمان يرجع نسبه إلى حمير بن سبأ (نسب للمعرة) وهي بلده، ولد سنة ٣٦٣، وكان ضريراً، كان متزهّداً فلسفيا قنوعاً متعففا، كان إماما في الأدب واللغة والشعر، صاحب التصانيف، والمتهم في نحلته كان يتوقد ذكاء . انظر سير أعلام النبلاء ٢٣/١٨ وتاريخ بغداد ٢٤٠/٤.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤.

(٣) وصفُ الألسنة للكذب تعبير عربيّ مبين للمبالغة، جعلت الألسنة لاستساغتها الكذب وجريانه عليها، وتردّده فيما تنطق به دائما، كأنها تصفه وتجسّده للسامع، ومن ذلك قولهم : وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر . انظر إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش ٣٨١/٥

(٤) لم أقف على قائله، ويوجد البيت في روح المعاني ٢٤٧/١٤.

فالأسلوب من الإسناد المجازي. أو تقول : إن وجهها يصف الجمال بلسان الحال على الإستعارة المكنية بأن تقول : إنما بي من الشكل والغنج[1] والدلال والملاحة، هو الجمال بعينه، وقريب منه : ** وبي ظبي إنس كمّل ا لله حسنه، وقال : لا يضار الخلائق عودي[2] . وعن بعضهم يعني وجهه يذكر ويظهر شيئاً فيه الجمال، وهو الملاحة التي هي سبب (الجمال)[3] .

قوله : ((صفة لما المصدرية))[4] وهي حرف، والحروف لا توصف، والمراد وصف (ما) مع مدخولها، وهو وصف ألسنتكم، ويعلم منه أن (ما) مع ما بعدها معرفة، لأنها شبيهة بأن المصدرية، وهي مع ما بعدها معرفة . قال أبو البقاء[5] : [في قوله تعالى : ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ﴾ الجمهور على فتح اللام على أن اسم كان ما بعد (إلا) وهو أقوى من أن يجعل خبراً، والأول اسما لوجهين : أحدهما : أن ﴿ أنْ قالوا ﴾ يشبه المضمر في أنه لا يضمر فهو أعرف] وذهب هنا إلى أن الكذب بدل من (ما) سواء جعلتها مصدرية أو بمعنى الذي[6] ، وكذا عن ابن جني[7] .

قوله : ((﴿ بدم كذب ﴾[8] قال أي : ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب.

---

(1) (الغُنْجُ) الدلال وملاحة العينين . المعجم الوسيط ٢/٦٦٤. مادة (الغنج) قال الشاعر :

** استجهلتْه المهارى في أزمتها ** وراجحات التلى مغنوجة عين **

وقوله : (التلى) الأعجازْ أي : كبيرة الأعجاز . البلاغة للزمخشري ٤٥٧ مادة (غنج)

(2) لم يتضح لي مقصوده.

(3) ما بين القوسين س من أ ، م.

(4) تابع لإعراب قوله تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾.

(5) انظر أبو البقاء في إملائه ١/١٥٣. سورة آل عمران الآية ١٤٧ .

(6) وقال أبو البركات بن الأنباري ٢/٨٤ : ﴿ ما ﴾ مع الفعل بعدها في تأويل مصدر، و﴿ الكذب ﴾ يقرأ بالنصب والجر، فمن قرأه بالنصب كان مفعول ﴿ تصف ﴾ ومن قرأه بالجر كان مجروراً على البدل من ﴿ ما ﴾.

(7) ابن جني في المحتسب ٢/١٢ قال : أما ﴿ الكذبِ ﴾ بالجر بدل من ﴿ ما ﴾، وهي قراءة الأعرج وابن يعمر والحسن بخلاف، وابن أبي إسحاق وعمرو ونعيم بن ميسرة، وقرأ ﴿ الكذبُ ﴾ يعقوب، وقرأ ﴿ الكُذُبُ ﴾ مسلمة بن محارب، و ﴿ الكَذِب ﴾ القراءة العامة.

(8) سورة يوسف الآية ١٨.

قوله : ((أو هو جمع الكذاب)) قال أبو البقاء[1] : [ويقرأ بضم الكاف والذال وفتح الباء، وهو جمع كَذَابٍ، بالتخفيف، مثل كتاب وكتب، وهو مصدر. وهي معنى قراءة من قرأ بفتح الكاف والباء وكسر الذال، وهو منصوب بـ ﴿ تَصِفُ ﴾ وما مصدرية].

قوله : ((ذكره ابن جني. وعن بعضهم ابن جنّيْ[2] ، بسكون الياء. وليست بياء النسب، وهو في الأصل كنى فعرّب وبنى بالسكون، وكذا وجدت بخطّه مولاي بهاء الدين القاشي[3] رحمه الله.

قوله : ((من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض))[4] فيكون للعاقبة والصيرورة.

قوله : ((يعني في سورة الأنعام))[5] أي : قوله : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ... الآية ﴾[6] واتّصال هذه بما قبلها كاتصالها به، ويجيء بيان الربط إن شاء الله.

قوله : ((وليس من الله بمستنكر ... البيت[7] يروى لله، يعني : أن الله تعالى قادر على أن يجمع في واحد ما في الناس من معاني الفضل والكمال.

---

(1) أبو البقاء في إملائه ٢/٨٦ قال : يقرأ بفتح الكاف والباء وكسر الذال، وهو منصوب بـ ﴿ تصف ﴾ و ﴿ ما ﴾ مصدرية، وقيل، هي بمعنى الذي، والعائد محذوف و ﴿ الكذب ﴾ بدل منه، وقيل : هو منصوب بإضمار أعني ((ويقرأ بضم الكاف ... الخ))

(2) تقدمت ترجمته.

(3) لم أقف على ترجمة له.

(4) تفسير لقوله تعالى : ﴿ لتفتروا ﴾ قال (ز) : واللام في ﴿ لتعلموا ﴾ ((من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض)).

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ النحل الآية ١١٨. قال (ز) في قوله : ﴿ ما قصصنا عليك ﴾ ((يعني في سورة الأنعام)).

(6) سورة الأنعام الآية ١٤٦.

(7) البيت لأبي نواس يستعطف هارون الرشيد على الفضل البرمكي حين توعده بالقتل، وقبله :

** قولا لهارون إمام الهدى ** عند احتفال المجلس الحاشد **

قوله : [((معنى مأموم)) أي مقصود يؤمه الناس يقصدونه ليأخذوا منه الخبر. الجوهري : الأَمُّ، بالفتح : القصد، وأمّمه وتأمّه . يقال : أمّه إذا قصده](١) .

قوله : ((أو بمعنى مؤتمّ به . الجوهري(٢) : [أمّمت القوم في الصلاة إمامة، وائتمّ به، أي : اقتدى به].

قوله : ((كالرُّحْلة والنُّخْبَة)) الجوهري(٣) : [الرُّحلة بالضم : الوجه الذي يريده، يقال : أنتم رُحْلَتي، أي : الذين أرتحل إليهم] والإنتخاب : الاختيار، والنُّخبة(٤) مثل النُّجبة، يقال : جاءني في نُجَبٍ من أصحابه، أي : خيارهم.

قوله : ((وروى الشعبيّ عن فروة بن نوفل))(٥) الحديث بتمامه روى قريباً منه ابن عبد البر في الإستيعاب(٦) .

قوله : ((ولو كان سالماً حيّاً لاستخلفته)) وفي الكامل لابن الأثير أن عمر رضي الله عنه قيل له : لو استخلفته قال : لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته . وقلت لربّي إن

** أنت على ما بك من قدرة ** فلست مثل الفضل بالواجد **

**وليس على الله بمستنكر ** أن يجمع العالم في واحد **

وذكر هذا البيت عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾ الآيات ١٢٠-١٢٢ النحل. انظر الكشاف ٦٤٢/٢.

(١) ما بين القوسين س من أ ، ب.

(٢) الجوهري في صحاحه ١٨٦٥/٥ مادة (أمّم)

(٣) الجوهري في صحاحه ١٧٠٦/٤ -١٧٠٧ مادة (رحل)

(٤) قال الجوهري في صحاحه ٢٢٣/١ : (النُخبةُ) مثل النُجْبة، والجمع نُخُبٌ مثل رُطَبَةٍ ورُطَب، يقال : جاء في نُخَبِ أصحابه، أي خيارهم.

(٥) تفسيره لقوله : ﴿ إني جاعلك للناس إماماً ﴾ ((وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (إن معاذا كان أمة قانتاً لله، فقلت : غلطت، إنما هو إبراهيم، فقال : الأمة : الذي يعلم الخير، والقانت : المطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك.

أخرجه الطبراني في الكبير ٧٠/١٠ برقم ٩٩٤٦ وبرقم ٩٩٤٣ ، ١٩٤٥ ، ١٩٤٤ . وابن جرير في تفسيره ١٩١/١٤ . والحاكم في المستدرك ٢٧١/٣ وسكت عليه الذهبي، وفي الحاكم أيضاً في التفسير قريب منه ٣٥٨/٢.

(٦) ذكر في الاستيعاب لابن عبدالبر مع الإصابة ٣٦١/٣ قريب منه.

سألني : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالماً مولى أبي حذيفة حيّا لاستخلفته . وقلت لربي إن سألني : سمعت نبيك يقول : إن سالماً شديد الحبّ لله. ولم يذكر فيه حديث معاذ. وهذا مؤول لما ذكر في الاستيعاب[1] عن عمر أنه قال : [لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى، وذلك بعد أن طعن، وهذا عندي أنه كان يصدر فيها عن رأيه] يريد أنه لم يكن ممن يستحق الخلافة، لأن الأئمة من قريش، وسالم كان مولى.

قوله : ((أبو عبيدة أمين هذه الأمة)) روينا عن البخاري ومسلم والترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[2] : (إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح).

قوله : ((وهو ذلك المعنى)) أي : قول عمر رضي الله عنه : ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون[3] ، ذلك المعنى الذي قاله ابن مسعود، وهو الأمة الذي يعلّم الخير.

قوله : ((القانت القائم بما أمره الله)). الراغب[4] : [القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع، وفُسِّر بكل واحد منهما في قوله : ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾[5] وقوله تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾[6] قيل : خاضعون، وقيل : طائعون، وقيل : ساكنون، ولم يعن به [كل السكوت، وإنما أعنى به ما قال صلى الله عليه وسلم : (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدمين، وإنما هي قرآن وتسبيح)[7] وعلى هذا سئل أيّ الصلاة

---

(١) الإستيعاب لابن عبد البر مع الإصابة ٧١/٢.

(٢) البخاري مع الفتح ٩٢/٧-٩٣ كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه . ومسلم١٨٨١/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه . والترمذي ٦٢٣/٥ كتاب المناقب، باب مناقب معاذ وزيد بن ثابت وأبيّ وأبو عبيدة بن الجراح برقم ٣٧٩٠

(٣) لم أقف عليه، ويرجع لحديث عبد الله بن مسعود آنفاً.

(٤) الراغب في مفرداته ٤١٣.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٨.

(٦) سورة البقرة الآية ١١٦.

(٧) أخرجه مسلم برقم ٥٣٧ وأبو داود برقم ٩٣٠ والنسائي ١٧٩/١ والدارمي ٣٥٣/١ وأحمد ٤٤٧/٥ ، ٤٤٨ وإرواء الغليل ١١١/٢ وشرح السنة للبغوي ٢٣٧/٣-٢٣٨.

أفضل؟ فقال : طول القنوت، أي : الاشتغال بالعبادة ورفض كل ما سواه، وقال تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً ﴾](١) .

قوله : ((الآن وجبت مؤاكلتكم شكراً لله تعالى))(٢) يعني : إنما يصح الشكر في المؤاكلة إذا كان فيها التكلّف والمشقّة، ولا شكّ أن المؤاكلة مع المجذوم مما ينفر منه الناس وتنفر منه النفس.

قوله : ((اجتباه اختصه)) قال الراغب(٣) : [جببت الماء في الحوض جمعته، والاجتباء الجمع على سبيل الاصطفاء، واجتباء العبد تخصيصه إياه بفيض إلهي، يتحصل له منه أنواع من النّعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء ومن يقاربهم من الصديقين والشهداء، قال تعالى : ﴿ يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾(٤)].

قوله : ((هي تنْويه الله بذكره))(٥) وهو من إضافة المصدر إلى الفاعل، ناهَ يَنُوهُ إذا ارتفع، ونوَّهْتُه تَنْويهاً إذا رفعته، ونَوَّهت باسمه إذا رفعت بذكره.

قوله : ((في ﴿ ثم ﴾ هذه ما فيها))(٦) إبهامية نحوها في قوله : ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾(٧) وفيها تكرير للظرف نحو قولهم : فيك زيد راغب، فيك، أي : حصل من إتيان (ثم) التي تعطي معنى التراخي في علوّ الرتبة مجازا، تعظيم منزلة رسول الله صلى

---

(١) ما بين القوسين ساقط من أ ، م غلطاً، لأنه في الراغب كما بينا.

(٢) ذكر (ز) هذه القصة، عند قوله تعالى : ﴿ شاكراً لأنعمه ﴾ قال : روى أن (إبراهيم) كان لا يتغدى إلا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفاً، فأخّر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام، فخيلوا له أن بهم جذاماً، فقال : ((ألآن وجبت مؤاكلتهم شكرا لله تعالى)) على أنه عافاني وابتلاكم.

(٣) الراغب في مفرداته ٨٧ مادة (جبي)

(٤) سورة الشورى الآية ١٣.

(٥) تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وآتيناه في الدنيا حينة ﴾ قال (ز) : ﴿ حسنة ﴾ عن قتادة : ((هي تنويه الله بذكره)).

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ النحل الاية ١٢٣.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ثم أوحينا إليك ﴾ : في ﴿ ثم ﴾ هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال محله.

(٧) سورة طه الآية ٧٨

ا لله عليه وسلم وإيذان أن شرف ما أوتي خليل ا لله اتّباع رسول ا لله ملّته، يعني : لما أمر حبيب ا لله باتباع ملة خليل ا لله حصلت لخليل ا لله منزلة عالية، لا يدانيها ما وصف به من ابتداء قوله : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً ﴾ إلى هنا، قال صاحب الانتصاف[1] : [كأنه قال : وههنا ما هو أعلى من ذلك قدراً ورتبةً، وهو أن سيد البشر متبع لملة إبراهيم مأمور باتباعه بالوحي، ففي ذلك تعظيم لهما جميعاً، ولكنّ نصيب النبي صلى ا لله عليه وسلم في هذا التعظيم أوفر وأكبر].

قوله : ((وبال السبت))[2] وبال ترك تعظيم السبت. قال محي السنة[3] : [قيل : معناه : إنما جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه، أي : خالفوا فيه، وقيل : معناه : ما فرض ا لله تعظيم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه.

قوله : ((والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب المثل للقرية التي كفرت بأنعم ا لله مثلاً، وغير ما ذكر))[4] عطف على أنعم ا لله، أي : كفرت بأنعم ا لله وبغير أنعم ا لله، ويأباه بيان غير ما ذكر بقوله : ((وهو الإنذار من سخط ا لله)) إلى آخره. لأن مثل هذا الإنذار من أجل النعم. ويمكن أن يقال : إنه عطف على قوله : في ضرب القرية من حيث المعنى يريد المعنى في ذكر هذه الآية نحو المعنى المذكور في قوله : ﴿ ضرب ا لله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ... الآية ﴾ وهو الاعتبار، وإيتاء النعمة والأمن والاطمئنان وكفرانها. ثم استئصالها في الدنيا. ونحو غير ما ذكر فيه، وهو أن أهل هذه القرية أنذرتهم أنبياؤهم بأن يعظموا أمر السبت ولا يتعرّضوا لسخط ا لله بهتك حرمته، فخالفوهم وخلعوا ربقة الطاعة عن أعناقهم، فيجب أن يقدّر فيها هذا المعنى لكون

---

(١) صاحب الإنتصاف مع الكشاف ٦٤٣/٢ .مع تصحيح بعض العبارات.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ النحل الآية ١٢٤.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ السبت ﴾ : والمعنى : إنما جعل السبت ((وبال السبت)) وهو المسخ ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾.

(٣) محي السنة هو الإمام البغوي في تفسيره ٥١/٥.

(٤) تابع لتفسير قوله : ﴿ على الذين اختلفوا فيه ﴾ واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه ... الخ.

الآيتين واردتين في الفريقين من المشركين واليهود، وبعد ما نعى عليهما تحريم ما أحلّه الله وتحليل ما حرمه، وبعد ما أنذروا وكفروا بنعم الله وادّعوا أنهم متبعون ملة إبراهيم، فكذبوا بقوله : إن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً وشاكراً، وهؤلاء مشركون يعبدون من دون الله. واليهود يكفرون نعمه، ولم يكن متابعاً له إلا هذا النبي كما قال : ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي ﴾[1] .

قوله : ((فما معنى الحكم بينهم))[2] يعني : إنما يحسن إطلاق الاختلاف والحكم بين الفريقين إذا وقع التنازع بينهم، بأن كان بعضهم محلّين، وبعضهم محرّمين. وأما إذا كانوا جميعاً محلّين تارة، ومحرمين أخرى، فلا يقع التنازع والاختلاف، فما معنى قوله تعالى : ﴿ ليحكم بينهم ﴾ ؟. ووجه الجواب أن الاختلاف كما يقع بين المتنازعين، يقع أيضاً بين فعلين وإن لم يقع التنازع بين القوم.

قوله : ((ووجه آخر، وهو أن موسى عليه السلام أمرهم)) إلى آخره. هذا الوجه رواه الإمام[3] : [عن ابن عباس، وقال : معنى اختلفوا على نبيهم حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، لأن اختلافهم في السبت كان اختلافهم على نبيهم في ذلك اليوم]، وينصر هذا التأويل، ما رواه البخاري[4] ومسلم وابن ماجه والنسائي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، يعني : الجمعة، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غدٍ) رواه الإمام احمد عنه، وقال : إن رسول الله صلى عليه وسلم

---

(١) سورة آل عمران الآية ٦٨.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن ربك يحكم بينهم ﴾ قال (ز) : فإن قلت : ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محرمين؟.

(٣) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٣٧/٢٠.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٥٤/٢ كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة من حديث أبي هريرة. ومسلم في صحيحه ٥٨٥/٢ كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة. والنسائي ٨٥/٣ كتاب الجمعة، باب إيجاب الجمعة. ولم أجده في ابن ماجه . وأحمد في مسنده ٢٤٩/٢، ٢٧٤، ٣١٢، ٣٤١، ٣٤٢، ٤٧٣، ٥٠٢، ٥٠٤.

قال(١): (ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة، هدانا ا لله له، وأضل الناس عنه، فالناس لنا فيه تبع، اليهود يوم السبت، والنصارى يوم الأحد، إن فيه لساعة لا يوافقها مؤمن يصلّي يسأل ا لله شيئاً إلا أعطاه). وقال الإمام(٢) : إنه تعالى أمر محمداً صلوات ا لله عليه بمتابعة إبراهيم عليه السلام(٣) ، وهذه المتابعة إنما تحصل إذا قلنا : إن إبراهيم عليه السلام قد اختار يوم الجمعة. وعند هذا للسائل أن يسأل : فلم اختار اليهود السبت؟ فأجيب : ﴿ إنما جعل السبت على الدين اختلفوا فيه ﴾.

قوله : ((ومعنى ﴿ جعل السبت ﴾ : فرض عليهم تعظيمه)) فعلى هذا ضمّن جعل فرض، فما وجب باستعانة ﴿ على ﴾، وعلى الوجه الأول قدّر مضافاً لتعلق الجارّبه، وهو قوله : ((جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه)).

قوله : ((إن ربك هو أعلم بهم))(٤) إلى آخره، وضع المضمر موضع قوله : ﴿ من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ثم فصّله بفحو القرينتين، ليؤذن بأن المدعوّ في قوله : ﴿ إلى سبيل ربك ﴾ عام، وكذلك المجادل في قوله : ﴿ وجادلهم ﴾ كأنه تعالى يسلّيه صلوات ا لله عليه وسلم على إذهاب نفسه حسرات على عدم إيمان القوم، أي :

---

(١) أحمد في مسنده ٥١٩/٢.

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٥١/٥.

(٣) ويدل لهذا المعنى، وهو متابعة النبي صلى ا لله عليه وسلم إبراهيم عليه السلام قوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٩١ : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ وقال تعالى في سورة الحج الآية ٧٨ : ﴿ وجاهدوا في ا لله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ... الآية ﴾ وقوله في سورة الممتحنة الآية ٤ : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ... الآية ﴾

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ النحل الآية ٢٢٥.

قال (ز) في تفسير قوله : ((﴿ إن ربك هو أعلم ﴾ بهم))، فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل، والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

ما عليك إلا الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة على طريق اللين[١]. وأما الهداية والإيمان فلا عليك. وأشار إلى التسلية بالإياس في قوله : ((وكأنك تضرب منه في حديد بارد)) وإنما قدم في التنزيل ذكر الضالين، لأن الكلام فيهم، وبه تقع التسلية، وأخّره المصنف بناء على قضية النظم ظاهراً، ثم إنه صلوات الله عليه لما جدّ في الإبلاغ، وبالغ فيه وفي مجادلتهم حرصاً منه على إيمانهم، وظناً منه أنه المسيطر على الكل، والقادر على إيجاد الهداية فيهم، أمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والمجادلة باللين والرفق، وعلل الأمرين بقوله : ﴿ إن ربك هو أعلم ﴾[٢] وكرر العلم، أي : ما عليك إلا البلاغ بالحكمة والمجادلة باللين، فمن علم الله فيه خيراً كفاه ذلك البلاغ، ومن علم أنه لا خير فيه، لا تجديه تلك المبالغة.

قوله : ((كأنك تضرب منه في حديد بارد)) (من) في قوله : ((منه)) تجريد، قال الميداني[٣] : [هذا مثل يضرب لمن طمع في غير مطمع. قال الشاعر[٤] :

** فإذا تساعدت النفوس على الهوى ** فالخلق يضرب في حديد بارد **

(من) في قوله (منه) تجريدية، لأنه جرد منه مثل الحديد البارد، وفي حديد كفى في قوله تعالى : ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ .

قوله : ((سمى الفعل الأول))[٥] أي : ﴿ فعاقبوا ﴾ باسم الثاني، وهو ﴿ كما عوقبتم به ﴾، وهو من باب المشاكلة، سماه المزاوجة لغة، وإنما المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء، كقول الشاعر[٦] :

---

(١) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤٦ : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ... الآية ﴾ وقوله تعالى لموسى وهارون في سورة طه الآية ٤٤ : ﴿ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وهكذا يجب على الداعية إلى الله عزوجل، وهكذا سبيل الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢) وكرر جل وعلا مثل هذه الآية لعلمه بمن ضل من عباده، ومن اهتدى منهم. قال في سورة النجم الآية ٣٠ : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ وقال في الأنعام الآية ١١٧ : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾.

(٣) ١/٩ ٢٢١ رقم المثل ٦٣٨

(٤) لم أقف على قائله.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ النحل الآية ١٢٦. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا ... الآية ﴾ : ((سمى الفعل الأول باسم الثاني)) للمزاوجة، والمعنى : إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله.

(٦) لم أقف على قائله

** إذا ما نهى الناهي فلجّ بي الهوى ** أصاخت إلي الواشي فلجّ به الهجر **.

قوله : ((إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله)) قال القاضي[1] : [لما أمره صلى الله عليه وسلم بالدعوة وبيّن له طرقها أشار إليه وإلى من يتابعه بترك المخالفة، ومراعاة العدل مع من يناصبهم، فإن الدعوة لا تنفك عنه، من حيث إنها تتضمّن رفع العادات وترك الشهوات والقدح في دين الأسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال].

قوله : ((حنظلة بن الراهب[2] . وفي الإستيعاب[3] : هو حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري، أبو عامر، يعرف بالراهب في الجاهلية، قدم مع قريش يوم أحد محارباً، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عامر الفاسق. مات بالروم كافراً. وأما ابنه حنظلة فهو المعروف بغسيل الملائكة، قتل يوم أحد شهيداً. قالت امرأته : حنظلة أجنب وغسلتُ إحدى شقي رأسه، فلمّا سمع الهَيْعَةَ[4] [خرج، فقُتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت الملائكة تغسله].

قوله : ((فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله))[5] الراغب[6] : [الصبر : الإمساك في ضيق، يقال : صَبَرْتُ الدابة، حبستها بلا علف، وصبرت فلاناً خلَفْتُه خِلْفة

---

(1) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/١٩٥.

(2) متعلق بما قال (ز) : روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد ...الخ ((إلا حنظلة بن الراهب)).

(3) الإستيعاب مع الإصابة ١/٢٨٠.

(4) (الهيعة) الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدوّ . النهاية ٥/٢٨٨.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ قال (ز) : ﴿ هو ﴾ إلى صبرهم، وهو مصدر ﴿ صبرتم ﴾ ، ويراد ﴿ بالصابرين ﴾ المخاطبون، أي : ولئن صبرتم لصبركم خير لكم ((فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله)) عليهم بأنهم صابرون على الشدائد. ((أوصفهم بالصفة)) التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة.

(6) الراغب في مفرداته ٢٧٣ مادة (صبر).

لا خروج له منها، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو كلاهما، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة، سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مُضْجرة، سمي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ، ويضادة المَذْلُ، وقد سمى ا لله تعالى كل ذلك صبراً، ونبّه عليه بقوله : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾] يقال(١) : رجل مَذِلٌ، أي : باذل لما عنده من مال أو سِرٍّ.

قوله : ((أو وصفهم بالصفة)) عطف على قوله : ثناء عليهم من ا لله، يعني : وضع الصابرين موضع ضمير المخاطبين مجازاً، لأنهم عند الخطاب ما كانوا صابرين فسماهم ا لله به، إما لمجرد المدح والثناء، لأن الصبر من أعظم أوصاف المتقين، وإما لاكتسائهم بلباس الصبر، جُعلوا صابرين ترغيباً على الصبر، وعلى أن يراد بالصابرين الجنس لا يكون من وضع المظهر موضع المضمر، فلا يكون مجازاً، بل يكون من باب الكناية، فيدخل في هذا العام المخاطبون دخولا أولياً.

قوله : ((كأنه قيل : ((وللصبر خير للصابرين)) حاصل الوجوه أن معنى التركيب أن الصبر عن المعاقبة وترك المقابلة(٢) خير من استيفائها، كقوله تعالى : ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾(٣) ﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على ا لله ﴾(٤) .

---

(١) الأساس للزمخشري : مَذِل بما له، ومَذِل بسرّه. ٥٨٧ مادة (مذل).

(٢) في ب المعاقبة.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

(٤) سورة الشورى الآية ٤٠.

ومثل ذلك قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٤٥ : ﴿ ... والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ... الآية ﴾ وقوله في سورة الشورى الآية ٤١ : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ... إلى قوله : ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾.

قوله : ((فمعزم عليه))[1] بالصبر، الأساس[2] : [عزمت عليك لما فعلت كذا بمعنى أقسمت] أي : وكّد عليه أمر الصبر بأن أمره وحده بالصبر، بعد ما حثّهم عليه بالتركيب القسمي، لأن اللام في ﴿ لئن صبرتم ﴾ موطئة للقسم، وفيه معنى الأمر، ثم بين بأداة الحصر أن الصبر عليه سهل لكونه بتوفيق ا لله وتسديده.

قوله : ((وما فعل بهم الكافرون)) أي : من المثلة[3] .

قوله : ((ولا يضيق صدرك))[4] وهو من باب لا أرتيك هـهنا، أي : ولا تكن بحيث يضيق صدرك إذا نابك منهم مكروه، أي : لا تباشر القلق والضجر، وذلك مستفاد من نهي كَيْنُونَتِه في ضيق والعدول من ((ولا يضيق صدرك)) .

قوله : ((والضيق تخفيف الضيـق)) قال أبو البقاء[5] : [ضَيق بفتح الضاد فيه وجهان : أحدهما : أنه مصدر ضاق مثل سار سيراً. والثاني : هو مخفّف من الضيق، أي : في أمر ضيق، مثل سيد وميت] .

تمت السورة بحمد ا لله وعونه وحسن توفيقه . وا لله أعلم

****

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا با لله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن ا لله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ النحل الآية ١٢٧-١٢٨ .

تفسير (ز) لقوله : ﴿ واصبر ﴾ أنت يا محمد صلى ا لله عليه وسلم ((فعزم عليه بالصبر)).

(2) الأساس ٤١٩ مادة (عزم)

(3) يشير إلى ما فعله كفار قريش بحمزة عم النبي صلى ا لله عليه وسلم رضي ا لله عنه، وقد مثل به المشركون، فرآه بُقر بطنه، واصطلم أنفه، فقال صلى ا لله عليه وسلم : لئن أظفرني ا لله بهم لأمثلن بسبعين مكانه، فنزلت : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... إلى قوله : واصبر وما صبرك إلا با لله ﴾ فصبر ولم يمثل بأحد. أسباب النزول للواحدي ٣٢٧.

(4) تفسير قوله : ﴿ ولا تك في ضيق ﴾ أي ((ولا يضيق صدرك)) من مكرهم.

(5) أبو البقاء في إملائه ٢/٨٧.

سورة بنى إسرائيل مكية، وهى مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ((سبحان))[1] عَلَمٌ للتسبيح كعثمان، الراغب[2] : [السبح المرّ السريع فى الماء، أو فى الهواء ، يقال : سَبَحَ سَبْحاً وسِباحَةً ، واستعير لمرّ النجوم في الفلك ، نحو ﴿ وكل فى فلك يسبحون ﴾[3] ولجرى الفرس نحو ﴿ والسابحات سبحا ﴾[4] ولسرعة الذهاب فى العمل ﴿ وإن لك في النهار سبحا طويلا ﴾[5] والتسبيح تنزيه الله تعالى ، وأصله المرّ السريع فى عبادة الله ، وجعل ذلك في فعل الخير ، كما جعل الإبعاد فى الشر فقيل : أبعده الله ، ثم جعل التسبيح عاما في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية ، قال تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾[6] وقال : ﴿ ونحن نسبّح بحمدك ﴾[7] ، وسبحان أصله مصدر كغفران] ، قال أبو البقاء[8] : [سبحان اسم واقع موقع المصدر وقد اشتق منه سَبّحتُ ، والتسبيح ، ولا يكاد يستعمل إلا مضافا، لأن الإضافة تبين مَن المعظم ، فإذا أفرد عن الإضافة كان اسما علما للتسبيح لا ينصرف للتعريف ، والألف والنون فى آخره مثل عثمان] . وقال ابن الحاجب : والدليل على أن سبحان علم للتسبيح قول الشاعر :[9]

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ﴾ الآية (١) من سورة الاسراء .

(٢) الراغب فى مفرداته ٢٢١ مادة (سبح) .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٣٣ .

(٤) سورة النازعات الآية ٣ .

(٥) سورة المزمل الآية ٧ .

(٦) سورة الصافات الآية ١٤٣ .

(٧) سورة البقرة الآية ٣٠

(٨) أبو البقاء فى إملائه ٢٩/١ عند قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٣٢ ﴿ قالوا سبحانك لاعلم لنا ﴾

(٩) الشاعر أعشى بني ثعلبة ، فقوله : (سبحان أى براءة من علقمة) واسمه "ربيعة بن يحى بن معاوية" من بنى تغلب ، شاعر اشتهر فى العصر الأموي ، كان يمدح "الوليد بن عبدالملك" . أنظر : الأعلام

** قد قلت لما جاءني فخـــره ** سبحان مَن علقمةَ الفاخر **

ولولا أنه علم لوجب صرفه ، لأن الألف والنون في غير الصفات إنما يمنعُ مع العلميـة ؛ ولا يسـتعمل علَمَا إلا شـاذّا ، وأكـثر اسـتعماله مضافـا فليـس بعلــم لأن الأعلام لا تضاف . والتسبيح مصدر سبّح أي قال : سبحان ا لله ، ومدلـول سـبحان تنزيه لا لفظ ، لكن ورد التسبيح بمعنى التنزيه .

قوله ((ودل على التنزيه البليغ)) وذلـك فـى جلـب هـذا المصـدر فـى أصـل التركيب للتوكيد ، وهو أُسبِّح تسبيحا ، ثم أسـبّح سـبحان ، ثـم فـى حـذف العـامل وإقامته مقام الدلالة على أن المطلوب بالذات المصــدر ، والفعـل تـابع فيفيـد الإخبـار بسرعة وجود التنزيه . وأما قوله ((التنزيه البليغ)) من جميع القبائح التى يضيفها إليه أعداء ا لله مما يأباه مقام الإسراء إباء العيوف الورود وهو مزيّفٌ ، بل معناه التعجب، كما قال في النور[1] [الأصل فى ذلك أن يسبّح ا لله عند رؤية العجيب من صنائعـه ، ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه].

قوله : ((أراد بقولـه ﴿ ليـلاً ﴾ [2] بلفـظ التنكـير تقليـل مـدة الإسـراء وأنـه أسرى به فى بعض الليل . قال صاحب الفرائد : قوله [أراد بقولـه ﴿ ليـلاً ﴾ بلفـظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسري به في بعض الليل. قال صاحب الفرائد : قوله : ((أراد بقوله ليلاً)) بلفظ التنكير ، تقليل المدة مسلّم ، وأما قوله في بعض الليل فغير مسلّم ، لأن (ليْلاً) يحتمل الكل ، فلا يلزم البعض فالبعضية بحسب العدد لا بحسـب الجزء ، ولأنه لو لم يذكر (ليْلاً) بعد الإسراء لم يعلم مقدار الإسـراء ، لأنـه يمكـن[3]

للزركلى ١٧/٣ ، والبيت فى ديوانـه ١٤٣ ، ومقـاييس اللغـة ١٢٥/٣ ، وغـير ذلـك ، ومحـل الشـاهد مـن البيت: أن (سبحان) ملازمة للإضافة ، وورودها غير مضافة قليل ، مثل هذا البيت .

(١) انظر سورة النور الآية ١٦ جـ ٢٢٠/٣ .

(٢) تفسير قوله (ليلا) قال ز : فإن قلت : الإسراء لا يكون إلا بالليل ، فما معنى ذكر الليل ؟ قلت ((أراد بقوله (ليلا) بلفظ التنكير .. الخ .

(٣) لأنه أمكن في ب ، ت .

أنه أسرى به ليالي ، كقوله تعالى : ﴿ سيروا فيها ليالي ﴾ (٤) ومن قال : إن ذكره للتأكيد ليس بشئ لأنه لا بدّ من ذكره وقراءة عبدا لله وحذيفة (١) لو كانت بدون لام التعريف أعنى بعض ليل لكانت شاهدةً لذلك ، لأن بعض الليل يمكن أن يكون المراد به بعض الليالي ، فيكون الذى أسرى به ليلاً من الليالي ، وأجيب بأن الاسم الحامل لمعنى التنكير محتمل ، لأن يكون للإفراد شخصا أو نوعا ، ويحتمل أن يكون للتعظيم والتهويل أو التكثير أو التقليل فهو إذاً كاللفظ المشترك ، وإنما يتبيّن معناه بقيام قرينة مبيّنة ، فقوله ﴿ ليلاً ﴾ يحتمل أحد هذه المعانى ، وإنما يتعيّن بمقيد . ولا خلاف أن الإسراء لم يكن أكثر من ليلة فجئ بليل ، وقللّ ليدلّ على أنها كانت فى بعض من تلك الليلة المعلومة ، على أن تصدير السورة بالكلمة الدّالة على التّعجب البليغ ، مناد بحدوث أمر خارق للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها إلا ا لله عزّ وجل ، وهي كما قال : أسرى به فى بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وكذا دلالة قراءة عبدا لله وحذيفة(٢) ، وما ذهب إليه أن بعض الليل يمكن أن يكون المراد به بعض الليالي بعيد جدّا ، ولا يخفى على أحد أن قوله ﴿ ومن الليل فتهجّد به ﴾ (٣) ليس المراد ما قاله . وقال في الانتصاف(٤) [وقد جرى ذكر الليل في موضع لا يليق به الجواب الذى ذكره الزمخشري وهو قوله : ﴿ فأسر بأهلِك بقطع من الليل ﴾ (٥) والظاهر أن ذكر الليل لتصوير السُّرى بصورته ، أو لأن السُّرى دلّ على أمرين السير وكونه ليلاً فأفرد أحدهما بالذكر تقوية له فى ذهن المخاطب مثله قوله تعالى: ﴿ لا تتخذوا إلهين اثنين ﴾(٦) فإن الاسم الحامل للتثنية دالّ عليها وعلى الجنسية ،

---

(١) هذه القراءة ذكرها أبو حيان فى البحر المحيط ٥/٦ .

(٢) (سبحان الذى أسرى بعبده من الليل) أى بعض الليل ، انظر البحر المحيط ٥/٦ ، والطبرى ٢/٩.

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٤٦/٢ .

(٥) سورة هود الآية ٨١ ، والحجر الآية ٦٥ .

(٦) سورة النحل الآية ٥١ .

فأكّد التثنية لأنها مقصودة بالإبطال كما مرّ . وأجيب بأن بين المقامين بَوْنٌ بعيد ، لأنه ما وقع النزاع في أن عروجه صلوات ا لله عليه كان ليلاً أو نهاراً ، كما وقع في اتخاذ الإله ، والعدد في تلك الآية ، وإنما هو بيان إبداء أمر غريب خارق للعادات [1] وأما قوله ﴿ بقطع من الليل ﴾ فهو له لا عليه ، لأنه أتى بالليل هناك ونكّر ليضمّن المعنى المقصود فى الإيراد (من) التبعيض . وجيء بقوله ﴿ من الليل ﴾ هنا ليبيّن أن البعض ما هو ، فهذا منصوص[2] فيه البعضية ، وذاك مضمن[3] . والحاصل أن إعادة الشيء لإناطة أمر زائد أسلوب من الأساليب) وأقول والعلم عند ا لله : ويمكن أن يراد بالتنكير التعظيم والتفخيم[4] ، والمقام يقتضيه ، ألا ترى كيف افتتحت السورة بالكلمة المنبئة عنه ؟ ثم وصف المسري به بالعبودية ، ثم أردف تعظيم المكانين بالحرام وبالبركة لما حوله تعظيم الزمان ، ثم تعظيم الآيات بإضافتها إلى صيغة التعظيم وجمعها ليشمل جميع أنواع الآيات ، وكل ذلك شاهد صدق على ما نحن بصدده ، والمعنى ما أعظم شأن من أسرى بمن حقّق له مقام العبودية وصحّح استهاله للعناية السرمدية (ليلاً) أي ليلٌ له شأن جليل ، ليلٌ دنا الحبيب من المحبوب ، وفاز فى مقام الشهود بالمطلوب ﴿فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[5] فحينئذ ينطبق عليه التعليل بقوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ أى السميع بأحوال ذلك العبد والبصير لأفعاله العالم بكونها مهذّبة خالصة من شوائب الهوى ، مقرونة بالصدق والصفا . مستأهلة للقربة والزلفى ، ولا بعد أن يرجع الضمير إلى العبد [6] كما نقل أبو البقاء [7] عن بعضهم [قال إنه السميع لكلامنا

---

(١) ما بين القوسين س من ت ، والصواب ما أثبتناه فى النسخ الأخرى .

(٢) فى ب (منصوب) فيه البعضية ، والصواب غيره .

(٣) ذكر الطبري ٩/٢ أن قوله ﴿ ليلاً ﴾ أي من الليل .

(٤) ذكر القولين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه ا لله فى اضواء البيان ٣٦٢/٣ .

(٥) سورة النجم الآيات من ٨ – ١١ .

(٦) تفسر قوله تعالى ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ .

(٧) أبو البقاء في إملائه ٨٧/٢ قال فى مرد الضمير فى قوله ﴿ إنه فو السميع البصير ﴾ (إنه) لله تعالى، وقيل : للنبي صلى ا لله عليه وسلم ((أي أنه السميع لكلامنا البصير لذاتنا)) .

والبصير لذاتنا] ، وأما توسّط ضمير الفعل فللإشعار باختصاصه بهذه الكرامة وحده، ولهذا عقّب بقوله : ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ ، لأنه جاء مستطرداً لحديث الإسراء وسماع الكلام ومنح القربة والزلفى ، والجامع أن موسى عليه السلام إنما أعطي التوراة عند مسيره إلى الطّور ، وهو بمنزلة معراجه عليه السلام ، لأنه هنالك شرف بالكلام ، ومنح التكليم ، وطلب الرؤية . وسيجيء في سورة النجم إن شاء الله الكلام في إثبات الرؤية لسيدنا صلوات الله عليه . وأقوال الصحابة ...[1] والعلماء مستوفىً . ولعلّ السر في مجيء الضمير مجملاً [2] محتملاً للأمرين ، الإشارة إلى المطلوب ، وأنه صلوات الله عليه وسلم إنما رأى ربّ العزّة وسمع كلامه به . روينا في صحيح البخاري [3] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ من أداء ما افترضت ، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبه ، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها

---

(١) الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم لم ير ربّه بعين رأسه ، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه بعينه ، فالمراد به الرؤية بالقلب كما في صحيح مسلم أنه رآه بفؤاده مرتين ، كما في مسلم ١٥٨/١ كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء من حديث ابن عباس قال: رآه بفؤاده مرتين ، الحديث رقم ٢٨٥ . وحديث ابن أبي شيبة في مسلم عن ابن عباس أنه رآه بقلبه ، الحديث رقم ٢٨٤ . ولحديث أبي ذرّ رضي الله عنه كما في مسلم ١٦/١ كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام : نور أنى أراه ، وقوله : رأيت نورا . قال أبو ذر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال : نور أنى أراه ، الحديث رقم ٢٩١، ٢٩٢ . ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه، يُرفَعُ إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور (وفي رواية أبي بكر : النار) ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، الحديث رقم ٢٩٣ كتاب الإيمان ، ١٦١/١ . وانظر : أضواء البيان ٣٦٣/٣ قال : التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه لم يره بعينه ، وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ولا يصح في رؤية البصر شيء ، ومن قالها فقد أغرب ، فإنه لا يصح فيها شيء عن الصحابة رضي الله عنهم . وانظر : تفسير السمعاني رحمه الله عند قوله ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ النجم الآية ١١ ، وتعليقنا عليه ٢٢٠/٢ .

(٢) في قوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ .

(٣) تقدم تخريجه عند تفسير قوله تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ الآية ٩٨ من سورة الحجر .

ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ، وإن استعاذني أعذته ، الحديث) ، وفي حقائق السلمي [1] قال ابن عطاء : [ظهر مكانُ القربَة وموقف الدُّنوّ عن أن يكون فيه تأثير لمخلوق بمحال ، فسار بنفسه ، وسرى بروحه ، وسير بسرّه، فلا السر عَلِم ما فيه الروح ، ولا الروح عَلِم ما يشاهد السر ، ولا النّفس عندها شيء من خبرهما، وما هما فيه ، وكل واقف مع حدّه ، مشاهد للحقّ مُتلقّياً عنه بلا واسطة ولا بقاء بَشَرِيّةٍ ، بل حقّ تحقّق بعبده ، فحقّقه وأقامه حيث لا مقام وأوحى إليه ما أوحى جلّ ربنا وتعالى . وقال : قال رجل لجعفر [2] بن محمد : صِفْ لي المعراج ، قال: كيف أصف لك مقاماً لم يسمع فيه جبريل مَعَ عِظَم محلّه ، وقال النصر [3] أبادي : أسقط العلل والاعتراضات بقوله ﴿ أسرى ﴾ ولم يقل : سرى، لأن القدرة تحمل كل شيء. وقال بعضهم : قيل ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ فغمض عينه عن الآيات شغلا منه بالحقّ ، ولم يلتفت إلى شيء من الآيات والكرامات ،فقيل له : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾[4]، حيث لم يشغلك مالنا عنّا ، انتهى ما في الحقائق [5]] .

قوله ((فقيل هو المسجد الحرام [6])) بعينه ، وهو الظاهر لما روينا عن البخاري[7] ومسلم والترمذي والنسائي عن قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة

---

(١) تقدمت ترجمته، ولا يخفى أنه من غلاة الصوفية ، فقد قال كلاما فيه ما فيه من الغلو وادعاء شيء لا دليل عليه ولا يحمله اللفظ القرآني ، ولم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين أبو عبد الله الملقب بالصادق ، لأنه لم يعرف عنه الكذب قط ، كان من أجلاء علماء التابعين ، أخذ عنه مالك بن أنس وأبو حنيفة رحمهما الله تعالى ، الأعلام ١٢٦/٢ ، ووفيات الأعيان ١٠٥/١ ، ولد سنة ٨٠ ومات سنة ١٤٨ .

(٣) النصر أبادي لم أقف على ترجمته .

(٤) سورة القلم الآية ٣ .

(٥) وفي الحقائق ما هو بعيد عن الحقائق . والله أعلم .

(٦) تفسير قوله ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قال ز : واختلف في المكان الذي أسرى منه ((فقيل : هو المسجد الحرام)) في الحجر عند البيت .

(٧) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٠٢/٦ كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وأطرافه الحديث رقم ٣٣٩٣ ، ٣٤٣٠ ، ٣٨٨٧ . ومسلم ١٥٠/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات . والترمذي ٤١٢/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة ألم نشرح . والنسائي ٢١٧/١ كتاب الصلاة ، باب فرض الصلاة ، وذكر اختلاف الناقلين كلهم من حديث قتادة عن أنس ابن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهم .

أن نبي ا لله حدثهم عن ليلة أسري به قال : بينا أنا في الحطيم ، وربّما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال : بين النائم واليقظان إذ أتاني آتٍ ، وفي رواية أخرى للبخاري ومسلم [1] عن أنس قال : كان أبو ذرّ يحدّث أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : فُرِج سقف بيتي وأنا بمكّة .

قوله ((قال : وإن كذّبوني))[2] أي أنا أخبرهم وإن كذّبوني .

قوله ((هلمّ فحدّ ثهم)) ، أي قال هلم : فجاؤوا واستمعوا لحديثه فحدّثهم، فالفاء فصيحة .

قوله ((تعجّباً وإنكاراً))[3] يشير لقوله ((مصفّق و واضع)) من غير ترتيب، وتقديره فلمّا سمعوا هذا الكلام افترقوا فرقتين من غير ريب ، فبعضهم مصفّق منكر، وبعضهم واضع يده على رأسه متعجّباً .

قوله ((مَن سافر إلى ما ثَمّ [4])) ثَمّ عبارة عن المسجد الأقصى وما كنّا به عن المواضع التي حول المسجد الأقصى .

قوله ((فاستنعتوه المسجد)) ، روينا في صحيح البخاري[5] عن جابر قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لمّا كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فَجَلَى ا لله تعالى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر فيه .

قوله ((جمل أورق)) [6] قال الأصمعي : [الأورق من الإبل الذي في لونه

---

(١) البخاري مع الفتح ٣٧٤/٦ كتاب الأنبياء ، باب ذكر إدريس عليه السلام ومسلم في صحيحه ١٤٨/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إلى السماء .

(٢) يشير (ز) إلى ما قصه النبي صلى ا لله عليه وسلم على أم هانئ من الإسراء ، وقولها له : أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم ، قال : ((وإن كذبوني)) .

(٣) يشير إلى قول أبي جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي ((هلمّ)) فحدّثهم ، فمن بين مصفّق و واضع يده على رأسه ((تعجبا وإنكارا)) .

(٤) يشير إلى أن بعضهم قد سافر إلى بيت المقدس ويعرفه ، فطلبوا منه أن يصفه لهم .

(٥) البخاري مع الفتح ١٩٦/٧ كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث الإسراء . وانظر الحديث رقم ٤٧١٠ . وأحمد في مسنده ٣٧٧/٣.

(٦) يشير إلى قولهم له : أخبرنا عن عيرنا ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ، وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ((يقدمها جمل أورق)).

بياض إلى سواد [1]] .

قوله ((وكان العروج به من بيت المقدس . روى البخارى ومسلم[2] عن أنس أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : قد أتيت بالبراق إلى قوله : فركبته حتى أتيت بيت المقدس إلى قوله : ثم عرج بنا إلى السماء الحديث .

قوله ((وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك قال الشيخ محى الدين[3] في شرح صحيح مسلم : قد لخّص القاضي عياض رحمه ا لله في الإسراء جُملاً حسنَةً نفيسة فقال : [اختلف الناس في الإسراء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فقيل : إنما كان جميع ذلك في المنام[4] . والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه صلى ا لله عليه وسلم أسرى بجسده[5] والآثار تدل عليه لمن طالعها ولايعدل عن ظواهرها إلابدليل ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج إلى تأويل] وقال محى السنه[6] فى المعالم [والاكثرون على أنه صلوات ا لله عليه أسرى بجسده فى اليقظة و تواترت الأخبار الصحيحة على ذلك] و قلت : وروينا عن البخارى و الترمزي[7] عن إبن عباس في قوله ((و ما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا

---

(1) الصحاح للجوهري ١٥٦٥/٤ قال الأصمعي : الأورق من الإبل إلخ مادة (ورق)

(2) أخرجه مسلم ١٤٥/١ كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إلى السماء إلخ وأحمد في مسنده ، ١٤٨/٣ والبخارى ٦٦/٥ باب المعراج

(3) انظر : شرح صحيح مسلم للنووى ٤/٢ والشفا للقاضى عياض ٢٤٦/١

(4) وإلى هذا القول ذهب معاوية بن أبى سفيان وعائشة رضى ا لله عنهما . انظر القرطبى ٢٠٨/١٠ والشفا للقاضى عياض ٢٤٥/١

(5) وممن قال بذلك ابن عباس وجابر وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبو هريرة ، ومالك بن صعصعة وابن مسعود والضحاك ، وسعيد بن حبير وقتادة ، وسعيد بن المسيب وابن شهاب وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين . انظر الشفا للقاضى عياض ٢٤٦/١ وأنه بالجسد والروح معاً وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس ، وإلى السماء بالروح انظر القرطبى ١٠ /٢٠٨ والشفا للقاضى عياض ٢٤٦/١

(6) البغوى في تفسير ٥٨/٥

(7) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٩٨/٨ كتاب التفسير، باب (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) الآية ، والترمذي ٢٨٢/٥ كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)

فتنة للناس (١))) ، قال هى رؤيا عين أريها رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس ، و فى مسند الإمام أحمد بن حنبل عن إبن عباس (٢) قال : (شـيء أريـه النبى صلى ا لله عليه وسلم فى اليقظة رآه بعينه حين ذهب إلى البيت) ولأنـه قـد أنكرتـه قريش و ارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه (٣) وإنما ينكر إذا كانت فـى اليقظـة فإن الرؤيا لا ينكر منها ما هو أبعد من ذلك على أن الحق أن المعراج مرتان ، مـرة بـالنوم و أخرى باليقظة ، قال محي السنة (٤) [رؤيا أراه ا لله تعالى قبل الوحى بدليل قول من قـال: فا ستقيظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به فـى اليقظـة بعـد الوحـى قبـل الهجـرة بسـنة تحقيقاً لرؤياه من قبل كما أنه رأى فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة سـت مـن الهجـرة ثـم كان تحقيقه سنة ثمان].

قولـه ((هـى مـن طـرق البلاغـة)) وذلـك أن قولـه ﴿ سـبحان الـذى أسـرى بعبده ﴾ (٥) يدل على مسيره مـن عـالم الشـهادة إلى عـالم الغيـب فهـو بالغيبـة أنسـب وقوله ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ دلّ على إنزال البركات، وتعظيـم شـأن المـنزل ، فهـو بالحكاية على التفخيم أحرى وقوله (ليريه) بالياء إعادة إلى مقام السترْ والغيبوبة مـن هذا العالم ، فالغيبة بها أليق . وقوله ﴿ من آياتنا﴾ عود إلى التعظيـم علـى مـا سـبق . وقوله ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ بشارة إلى مقام اختصاصـه بـالمنح والزّلفـى وغيبَـة شهوده في عين بي يسمع وَ بِي يُبْصر ، فالعود إلى الغيبة أولى .

قوله ((أن لاّ يتّخذوا)) قرأ بالياء أبو عمرو (٦) والباقون بالـتـاء الـفوقانيـــة.

---

(١) سورة بني إسرائيل الآية ٦٠

(٢) أحمد في سنده ، ١/٣٧٠

(٣) القرطبى ٢٠٩/١٠ والبغوى ٥ /٦٥

(٤) محى السنة البغوى فى تفسيره ، ٦٥/٥

(٥) يشير إلى قراءة الحسن (ليريه) قال(ز):ولقد تصـرف الكـلام على لفـط الغـائب والمتكلـم ،فقيـل: (أسرى) ثم (باركنا) ثم (ليريه) على قراءة الحسن ، ثم (من آياتنا) ثم (إنه هو) وهى طريقة الالتفات (التى هى من طرق البلاغة))

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيـلا ذرّية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ الإسراء الآية ٢،٣ .

قال أبو البقاء (١) : [أمّا تقدير الياء التّحتانية ، فهو ﴿ جعلناه هـدى ﴾ لئـلا يتخـذوا ﴿ وآتينا موسى الكتاب ﴾ (٢) ليلا يتخذوا] ، وأما تقدير التاء ففيه وجهـان ، (أنْ) بمعنى أي ، وهي مفسرة لما تضمّنه الكتاب من الأمر والنهي، وثانيهمـا (أن لا) زائـدة (٣) والتقدير مخافة أن يتّخذوا ، وقد رجع في هذا من الغيبة إلى الخطاب .

قوله ((أي ولا تجعلوهم أرباباً))(٤) يريد أنّ في اختصاص هذا الوصف ، وهو كونهم ذرية المحمولين مع نوح وترتّب حكم النهي عن الإشراك عليـه إشعاراً بـأنهم لا يصلحون لأن يكونوا أرباباً من دون ا لله لأنهم عاجزون محصورون في ذات ألـواح ودُسُر ، فكيف يصحّ أن تتّخذوا وكلاء من دون ا لله (٥) ؟

قولـه ((ولا يشـركوا بـي)) عطـف تفسـير لقولـه ﴿ لا تتّخـذوا مـن دونـي وكيلاً ﴾ .

قوله ((لأن نوحا كان عبداً شكوراً)) أي أنه كان مُوَحِّداً ، لأن الشاكر من يقوم بجملته وشراشره (٦) في خدمة النِّعَم ، قال :

** أفادتكم النعماء منّي ثلاثة ** يدي ولساني والضمير المحجبا **(٧)

فإذا توهّـم أدنـى شركـة فيـه لـم يكـن شـاكراً حقيقـة لاسـيما والشـكور مـن ابنيـة المبالغة (٨)

---

(١) أبو البقاء في إملائه ٢/ ٨٧ .

(٢) (أو آتينا) في ب ، ت ، م .

(٣) وبهذا التوجيه وجّه ابن زنجلة في كتابه الحجة ٣٩٦ ، قال : ويجوز أن تكون (أن) زائدة ، وتضمر القول. المعنى ﴿ وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ وقلنا لهم ﴿لاتتخذوا من دوني وكيلا ۔ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ الاية

(٤) يعني ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى و عزير عليهما السلام ، وقد اتخذوهم أربابا .

(٥) (وكيلا) في ب ، م .

(٦) (الشراشر) الأثقال ، الواحدة شُرْشُرَةٌ ، يقال : ألقى عليه شراشـره ، أي نفسه حرصاً ومحبّةً . الصحاح للجوهري ٢/٦٩٦ مادة (شرر) .

(٧) لم أقف على قائله .

(٨) قال في الخلاصة :

** فعّالٌ أو مِفْعال أو فعول ** في كثرة عن فاعل بديل **

قوله ((ما جعلوه أسوتكم [1])) الراغب [2] [الأسوَة والإسوَة كالقِدْوَة والقُدْوَة ، وهي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتّباع غيره إن حَسَناً وإن قبيحاً ، وإن سارّاً وإن ضارّاً ، ولهذا قال تعالى ﴿ أسوة حسنة ﴾ [3] فوصفها بالحسنة] .

قوله ((وقريء ﴿ ذرّيّةُ من حملنا ﴾ [4] بالرفع بدلاً من واو (يتخذوا) ، قال أبو البقاء [5] : [هذا على القراءة بالياء ، لأنهم غيب] ، قال صاحب التخمير [6] : [إنما لم يجز إبدال المظهر من المضمر المتكلم والمخاطب ، لأن ضمير المتكلم والمخاطب لا يكون لغير الواحد ، بخلاف ضمير الغيبة والإبدال للتّبْيين ، فيختصّ بموضع فيه احتمال ، فلذا جاز مررت به زيدٍ ، ولم يجز مرّ بي المسكينِ ، ولا عليك الكريمِ . فإن قلت : فما تقول في قوله تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله ﴾ [7] فقد أبدل فيه الغائب من المخاطب ، قلت : لأن الخطاب ليس لقوم بأعيانهم ، فنزلوا منزلة الغائب ، لأن المعنى لو كان للناس فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله] ، وذكر الركني [8] : أن الكوفيين والأخفش أجازوا إبدال المظهر من المضمر الحاضر مطلقاً ، تمسّكاً بقوله تعالى ﴿ لَيجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم ﴾ [9] ، فإن (الذين) بدل من (كم) ،

---

(١) قال (ز) : فإن قلت : قوله ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ما وجه ملاءمته لما قبله ؟ ، قلت : كأنه قيل : ﴿لاتتخذوا من دوني وكيلاً﴾ ولا تشركوا بي ، لأن نوحا عليه السلام كان عبداً شكوراً ، وأنتم ذرية من آمن به وعمل معه ((فاجعلوه أسوتكم)) كما جعلوه آباؤكم أسوتهم .

(٢) الراغب في مفرداته ٧١/ مادة (أسا) .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢١

(٤) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ٧٤ قراءة مجاهد شاذة .

(٥) أبو البقاء في إملائه٢/٨٨ .

(٦) صاحب التخمير هو صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمي . والتخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب . ولد القاسم المذكور سنة ٥٥٥ ، ومات سنة ٦١٧ هـ ، وذكر هذا الحكم في كتابه التخمير ١٢٠/٢ ، وانظر المفصل للزمخشري ١٤٩ .

(٧) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

(٨) الركني لم أقف على ترجمته .

(٩) سورة الأنعام الآية ١٢ .

قال : وإنما ساغ لأن (الذين) بدل من البعض وإنما غير بدل الكل ، فيجوز لفقدان المانع ، وهو أن يكون المقصود بالنسبة أقلّ دلالة فإن بدل البعض والاشتمال ليس مدلولهما مدلول الأول فيجوز اشتريتك نصفك ، وأعجبني علمك ، ومنه قول الشاعر [1] :

** ذريني إن أمرك لن يطاعا ** وما ألفيتني حلمي مضاعا **

وههنا مفهوم قوله ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ أبْين دلاَلَةً من مفهوم الضمير في (تتخذوا) المعبر عن بني إسرائيل .

قوله ((ويجوز أن يكون تعليلاً [2])) مبني على أن ذرية منصوب على الاختصاص والمدح ، يعني إنما خصّصناكم بهذا الخطاب ، لأنكم أولاد آباء مكرمين، كقوله تعالى ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ [3] ، قال القاضي [4] : [فيه إيماء بأن إنجاءه ومن مَعَهُ كان ببركة شكره ، وحثٌّ للذرية على الاقتداء به] وقلت : اعتبر اختصاص الحمل بالذكر وأدمج هذا المعنى فيه .

قوله ((على سبيل الاستطراد)) فعلى هذا لا يكون تعليلاً .

قوله ((وحْياً مقضياً [5] أي مقطوعاً)) الراغب [6] : [القضاء فصل الأمر قولا كان أو فعلا ، وكلّ منهما على وجهين ، إلهي وبشري ، فمن القول الإلهي

---

(1) الشاعر عدي بن زيد بن الحُمار بمعجمة مضمومة ، هكذا في الأغاني ٩٧/٢ ، التميمي النصاراني جاهلي من فحول الشعراء . انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢٢٥/١ ، ومعاهد التنصيص ١٣٩، والبيت في ديوانه ٣٥ وفي خزانة الأدب ٣٦٨/٢ .

(2) قول (ز) : ((ويجوز أن يكون تعليلا)) يعني قوله تعالى ﴿ إنه كان عبدا شكورا ﴾ أي لاختصاصهم والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح (في السفينة) فهم متصلون به .

(3) سورة الكهف الآية ٨٢ .

(4) القاضي البيضاوي في أنواره ، ١٩٦/٣ .

(5) تفسير قوله تعالى ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرتين ولتعلنّ علوّا كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٤ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل ﴾ وأوحينا إليهم ((وحيا مقضيا)) أي مقطوعا مبتوتا بأنهم مفسدون في الأرض .

(6) الراغب في مفرداته ٤٠٦ .

﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا إليهم وحْياً جزْماً . ومن الفعل الإلهي ﴿ فقضاهنّ سبع سماوات في يومين ﴾ (١) لأنه إشارة إلى إيجاده الابداعي والفراغ منه] .

قوله ((وقريء (لتُفْسِدُنّ))) على البناء للمفعول و (لتَفْسُدُنّ) بفتح التاء من فسد ، قال أبو البقاء (٢) : [المعنى على الأول يفسدكم غيركم ، وعلى الثاني لتفسد أموركم] .

قوله ((وأكثر ما يقال عباد الله (٣))) قال ابن جني (٤) : [أكثر اللغة أن يستعمل العبيد للناس والعباد لله تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ (٥) ﴿ ياعباد فاتّقون ﴾ (٦) ، وهو كثير ، وقال ﴿ وما ربك بظلاّم للعبيد ﴾ (٧)] .

قوله ((سَنْحَارِيَب)) نصب عطف بيان (لعباداً)، ويروى بالرفع أي هم وقوله ((سَنْحَارِيب وجنوده)) (٨) .

قوله ((معناه خلينا (٩) بينهم وما فعلوا)) يعني معنى تسليط الكفرة على ذلك

---

(١) سورة فصلت الآية ١٢ .

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٨٨ ، وانظر المحتسب لابن الجني ٢/١٤ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾ الإسراء الآية (٥) . قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ عبادا لنا ﴾ وقريء عبيدا لنا ((وأكثر ما يقال : عباد الله)) وعبيد الناس .

(٤) ابن جني في كتابه المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ٢/١٤.

(٥) سورة الحجر الآية ٤٢ .

(٦) سورة الزمر الآية ١٦ .

(٧) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٨) (سنحاريب) : كان ملك بابل ، وبختنصر هو ابن بنته ، وكان من كتابه ، (وسنحاريب) هذا قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٣٢ إنه قصد بيت المقدس وفيه بنوإسرائيل بستمائة ألف راية ، وفزع الناس منه فزعا عظيما شديدا إلخ .

(٩) هذا جوابه لإشكاله : حيث قال : فإن قلت : كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك وسلّطهم عليهم؟ قلت : معناه ((خلينا بينهم وبين ما فعلوا)) ولم نمنعهم ((على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه)) .

أي قتل العلماء وإحراق التوراة وتخريب المسجد والسّبْي الانتصاف [1] السؤال يتوجه على القدرية ، وأمّا السنّي فيقول : ﴿ لا يسئل عما يفعل ﴾ [2] .

قوله ((على أن الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم)) ، يعني أن البعث مجاز على أن الحقيقة جائزة [3] أيضاً لأن الله تعالى أسند بعث الكفرة عليهم إلى نفسه، لأنهم ظلموا بقتل زكريّا ويحيى ، وقصد قتل عيسى عليه السلام ، فهو كقوله تعالى ﴿ وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ [4] .

قوله ((وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم)) يعني مثل هذا الإسناد جائز بل مندوب إليه ، يقولون في الدعاء على الكفرة أللهمّ زلزل أقدامهم ونكّس أعلامهم ، وخالف بين كلمتهم ، وهو من قوله تعالى ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ﴾ [5] ، وكَلِمَتُهُم : دعوتهم إلى الكفر واتّفاقهم عليه .

قوله ((وأسند الجوس [6])) إلى آخره ، مراده أنه تعالى أسند إلى نفسه ما يصحّ أن يسند إليه من بعث الكفرة عليهم ، لأجل فسادهم ، وأسند مالا يصحّ أن يسند إليه إلى الكفرة من تخريب المسجد وإحراق التوراة . فيقال له : لو لا بعثه وتمكينه إيّاهم كيف قدروا على ذلك ؟ ، فهو كإعطاء سيف باترٍ ظالماً يقطع الطريق ويسبي الحريم ، فوقع فيما فرّ منه .

---

(١) الانتصاف لأحمد بن المنير مع الزمخشري ٢/٦٤٩ ، وهذا مبني على أنه تعالى لا يفعل الشر ولا يريده ، وهو مذهب المعتزلة ، وعند أهل السنة كل كائن فهو فعله ومراده ، ولو شرّاً .

(٢) ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ الآية ٢٣ من سورة الأنبياء .

(٣) بل هي الصواب ، ولا ينبغي أن يصار إلى المجاز هنا .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٩ .

(٥) سورة التوبة الآية ٤٠ .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ فجاسوا خلال الديار ﴾ قال (ز) : وأسند الجوس وهو التردّد خلال الديار بالفساد إليهم ، فتحريق المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم .

قوله ((وقرأ طلحة فحاسوا [1])) ، قال ابن جنّي [2] : [قال أبو زيد أو غيره ، قلت له : إنما هو فجاسوا بالجيم ، قال : جاسوا وحاسوا واحد ، وهذا يدلّ على أن بعض القراء يتخيّر بلا رواية ولذلك نظائر [3]] .

قوله ((وقريء (فجوّسوا) في الموضح حوّسوا بالحاء غير المعجمة مشدّد الواو . الراغب [4] : [فجاسوا خلال الديار ، أي توسطوها وتردّدوا بينها ، ويقارب ذلك جاسوا وداسوا ، وقيل : الجوس طلب ذلك الشيء باستقصاء] ، والخَلَلُ فرجة بين الشيئين ، وجمعه خلال [5] نحو خلال الديار والسحاب والرماد ، قال تعالى ﴿ فترى الودق يخرج من خلاله ﴾ [6] ، وعن بعضهم : خلل إما مفردة جمعه خلال ، كجبل ، وإما بمعنى الخلال ، والخلال حينئذ مفرد .

قوله ((واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم [7])) ، قال القاضي [8] : [وذلك بأن ألقى الله في قلب بَهْمَن بن أسْفَنْديارْ لَمّا ورث ملك كَشْتَاسِفْ بن لَهْرَاسِفْ شفقة عليهم ، فردّ أسراهم إلى الشام وملّك دَانْيَالْ عليهم ، فاستولوا على من كان فيها من أتباع (بُخْتُ نَصَّرْ)] والله أعلم بحقيقة ذلك .

---

(١) قرأ طلحة وأبو السمال (فحاسوا) بالحاء المهملة ، وقرأ أيضاً (فتجوّسوا) على وزن تكسّروا ، أبو السمال . انظر شواذ القرآن لابن خالويه ٧٥ والبحر المحيط ١٠/٦ .

(٢) ابن جني في كتابه المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراآت ١٥/٢ .

(٣) وهذا لا يجوز ، لأن القراءة سنة متبعة لا يتخيّر فيها بدون رواية . وانظر المحتسب جـ ٢٩٦/١ ففيه زيادة بيان لهذا المأخذ على أن القراءة لا يتخيّر فيها .

(٤) الراغب في مفرداته ١٠٣ ، مادة (جاس) .

(٥) الصحاح للجوهري ١٦٨٧/٤ ، مادة (خلل) .

(٦) سورة الروم الآية ٤٣ .

(٧) تفسير قوله تعالى ﴿ ثم رددنا لكم الكرة ﴾ قال (ز) : أي الدولة ، وعلى الذين بعثوا عليكم حين تُبْتُم ورجعتم عن الفساد والغلو . قيل : هي قتل . بِخْتصر ((واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم)) وأموالهم ورجوع الملك إليهم .

(٨) القاضي البيضاوي في أنواره ١٩٧/٣ .

قوله ((لدلاة ذكره [1])) أوّلاً ، يعني جواب (إذا) قوله ((بعثناهم)) بدليل قوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم ﴾ فعلى هذا قوله ﴿ وليدخلوا ﴾ عطف على ﴿ ليسوؤا ﴾ لاتّفاقهما . فإن قلت : لا ارتياب أن قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد الآخرة ﴾ عطف على قوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما ﴾ وهما تفصيل لقوله ﴿ لتفسدنّ في الأرض مرتين ﴾ وكان من حق الظاهر أن يترك القرينة الثانية عن الفاء إلى الواو ، فما وجهه ؟ ، قلت : وا لله أعلم إن مدخول الفاء وإن كان قسيماً لقوله ﴿ فإذا جاء وعد أولاهما ﴾ لكن تخلّل بين المعطوفين .

قوله ((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)) فجرّه إلى نفسه ، كأنه قيل : (وإن أسأتم فلها) وقد حصل منكم الإساءة ، والإفساد مرة أخرى ، وهما السبب في مجيء الوعد ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ . ألا ترى كيف وصل قوله : ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ بما ذيل به هذا الوعد الآخرة ، وهو قوله ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم ﴾ أى إن تبتم .

قوله ((وقرأ (ليسوء) أبوبكر وابن عامر وحمزة بالياء ونصب الهمزة على التوحيد [2] ، والكسائي بالنون ونصب الهمزة على الجمع ، والباقون بالياء وهمزة مضمومة بين واوين على الجمع)) ، قال أبو البقاء [3] : [التقدير على الجمع ليسوء العباد أو النّفِيرَ . ويقرأ ليسوء بغير واو أي ليسوء البعث أو المبعوث أو النفير أو ا لله تعالى] .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ما علوا تتبيراً ﴾ الإسراء الآية ٧ . قال (ز) في تفسيره لقوله تعالى ﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾ : ((حذف لدلالة ذكره أولا عليه والذي حذف هو قوله : ﴿ بعثناهم ﴾)) .

(٢) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، ويعقوب ، وحفص عن عاصم (ليسوءوا) بالياء وضمّ الهمزة وإشباعها . وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة وخلف (ليَسوءَ) بالياء وفتح الهمزة، وقرأ الكسائي وحده (لَنسوءَ) بالنون وفتح الهمزة المبسوط في القراءات العشر لابن مهران ٢٢٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٨٢ .

(٣) أبو البقاء في إملائه ٨٨/٢ .

قوله ((لنسوء)) بالنون الخفيفة . قال ابن جنّي [1] : [قرأ أبي بن كعب (ليسوءاً) بالتنوين . فطريق القول عليه أن يكون أراد ألفاً فحذفها أي فليسوءاً وُجُوهَكُم ، على لفظ الأمر ، كما تقول : إذا سألتني فلأعطك كأنك تأمر نفسك ، ومعناه فلأعطينّك ، واللّامان بعده للأمر أيضاً ، وهما ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبّروا ﴾ ، ويقوي ذلك أنه لم يأت لإذا جوابٌ فيما بعد ، فالتقدير (فليسوءاً وُجُوهَكُم) أي فليسوءنّ وجوهكم] وهذا يدلّ على أن في ليسوءنّ ألفاً مقدّرةً .

قوله ((وضرب الإتاوة عليهم [2])) أي الخراج ، فإن قلت : ما وجه استقامة هذا الوجه وهو تسليط الأكاسرة عليهم ، وقد مضى مع قوله ﴿ وإن عدتم عدنا ﴾ وهو الاستقبال ؟ ، قلت : استقامته من حيث إن هذه المذكورات كلّها كانت مثبتة في التوراة مقضية عليهم ، لقوله تعالى : ﴿ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ ، والكتاب التوراة كما نصّ عليه المصنف .

قوله ((المرمول [3])) ، الجوهري [4] : [رملت . الحصير أي سَفَفته ، بمعنى نسجته و أرملته مثله] .

قوله ((لما في إبهام[5] الموصوف بحذفه من فخامةٍ تفقد مع إيضاحه)) فإنك إذا ضربت عن ذكر إحدى هذه المقدّرات صفحاً بقي اللفظ مجملاً صلح أن يتناول كلاً منها وما شا كلها فإذا قيد تها بواحدة منها اختصّ بها فكأنك قلت : يهدي لما لا

---

(١) ابن جني في كتابه المحتسب ٢/١٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ الإسراء الآية (٨) .

(٣) قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ حصيراً ﴾ محبساً ، يقال : للسجن محصر وحصير ، وعن الحسن: بساطاً، كما يبسط الحصير ((المَرْمُولُ)) أي المنسوج .

(٤) الجوهري في صحاحه ٤/١٧١٣ ، مادة (رمل) .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم و يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا و أن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ الإسراء الآية ٩-١٠ .

يدخل تحت الوصف و الحصر مما ذكر في الكتاب ، ومما لم يذكر ، كقولك : جاء بعد اللّتيا و الّتي قوله ((و يبشّرَ بالتخفيف)) حمزة و الكسائي[1] .

قوله ((وإنما[2] حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك)) قيل : هذا من أبي حذيفةً واصل بن عطاء [3] . وقلت : هذا من جملة البدع المنهي عنها في قوله صلى الله عليه وسلم خير الهدي هدى محمد و شرّ الأمور محدثاتها و كل بدعة ضلالة أخرجه مسلم و الترمذي [4] عن جابر .

قوله ((ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين [5])) يعني هو عطف على قوله ﴿ يَهْدي ﴾ أي ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذّبون ، هذا أوجه من الأول وأحسن التئاماً كأنه قيل : بشير للمؤمنين ونذير للكافرين . ويمكن أن يكون معطوفاً من حيث المعنى على قوله ﴿ ويبشّر المؤمنين ﴾ أي يبشّر المؤمنين وينذر الكافرين . وأما اتّصال الآية بما قبلها ، فقد قال الإمام [6] : [إنه قال : لّما شرح ما فعله في حقّ عباده المخلصين ، وهو الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإيتاء التوراة لموسى عليه السلام وما فعله في حقّ العصاة

---

(1) قرأ حمزة و الكسائي (يَبْشُرَ) بفتح الياء و سكون الباء الموحدة وضم الشين مخففة أنظر الإتحاف ٢٨٢ وانظر آل عمران الآية ٣٩ ﴿ إن الله يبشرك ﴾ .

(2) يشير إلى مذهب المعتزلة ، و هو أن الفسق عندهم يزيل الإيمان بعكس أهل السنة و الجماعة .

(3) واصل بن عطاء أبو حذيفة المخزومي البصري الغزال ،ولاؤه لبني ضبة . ولد سنة ثمانين بالمدينة المنورة ، وهو وعمرو بن عبيد رأسا الاعتزال ، طرده الحسن البصري عن مجلسه ، لما قال : الفاسق لا مؤمن و لا كا فر ، فانضم إليه عمرو و اعتزلا حلقة الحسن فسموا المعتزلة . وكان خطيبا مفوها . سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥ و معجم الأدباء ٢٤٣/١٩ .

(4) أخره مسلم في صحيحه ٥٩٢/٢ كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة من حديث جابر والنسائي ١٨٨/٣ كتاب الصلاة ، باب كيف الخطبة . و ابن ماجه ١/ ١٦ المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل . و أحمد في المسند ٣١٠/٣ ، ٣١٩ . و الدرامي ٨٠/١ في المقدمة رقم ٢٠٦ ولم أقف عليه في الترمزي ، و لاأحد أعزاه له غير الطيبي رحمه الله .

(5) تفسير قوله تعالى ﴿ أن لهم أجراً كبيراً ﴾ قال (ز) : على معنى : أنه بشّر المؤمنين ببشارتين اثنتين : بثوابهم وبعقاب أعدائهم . ((ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين)) لا يؤمنون معذّبون .

(6) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١٦٠/٢٠ .

والمتمرّدين ، وهو تسليط أنواع البلاء عليهم ، كان ذلك تنبيهاً على أن طاعة ا لله توجب كلّ خير وكرامة ومعصيته توجب كلّ بلية وغرامة ، لا جرم قال : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ثمّ عطف عليه ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ الآية لجامع دليلَيْ السّمع والعقل ، أو نعمَتَيْ الدين والدّنيا ، وأمّا اتّصال قوله ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير ﴾ فهو أنه تعالى لمّا وصف القرآن حتى بلغ به الدرجة القصيا في الهداية أتى بذكر من أفرط في كفران هذه البغية الأسْنى والنعمة العظمى ، قائلا ﴿ اللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ (١) ، فظهر أن الذي ذهب إليه ابن عباس (٢) هو النضر بن الحارث (٣) هو المذهب .

قوله ((كما يدعوه لهم))(٤) أى يدعوا الله لاجل نفسه وماله وأهله ، ففى الضمير تغليب . قال وجه النظم : أن الإنسان بعد إنزال ا لله عليه هذا القرآن واختصاصه بهذه النّعمة الجسيمة والمكرمة العظيمة قد يعدل عن التّمسك بشرائعه ، ويَقْدُمُ على مالافائدة فيه .

قوله ((دعاءه)) الأساس(٥) [دعوت فلانا وبفلان ناديته وصِحْتُ به] .

قوله ((لايستحق))(٦) أى لايستحقّها يعنى اللعنة ((من أهلى)) بيان (من) ورَحْمةً مفعول ثانى (ليجعل) .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢ .

(٢) قال (ز) : وعن ابن عباس رضي ا لله عنهما : هو النضر بن الحارث . قال : (أللهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك) الآية ، فأجيب له ، فضربت عنقه صبراً .

(٣) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف،قتل صبراً من أسارى بدر.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويدع الإنسان بالشّر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ الاسراء الآية (١١) قال (ز) أى ويدعوا لله عند غضبه بالشّر على نفسه وأهله وماله ((كما يدعوه لهم بالخير))

(٥) الأساس ١٨٩ مادة (دعو)

(٦) يشير إلى قول ((ز)) أن النبى صلى ا لله عليه وسلم دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأ قبل يئنّ بالليل ، فقالت له : مالك تئن ؟ فشكا ألم (القدّ) فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب ، فلما أصبح النبي صلى ا لله عليه وسلم دعا به فأُعْلِم بشأنه فقال صلى ا لله عليه وسلم (اللهم اقطع يديها) فرفعت سودة يديها تتوقّع الإجابة ، وأن يقطع ا لله يديها ، فقال صلى ا لله عليه وسلم (إنى سألت ا لله أن يجعل لعنتى ودعاءى على من ((لايستحق)) من أهلى رحمة ، لأنى بشر أغضب كما يغضب البشر فلتسردّ سودة يديها . قال ابن حجر لم أجده من هذه الجهة وقد أخرجه الواقدي فى المغازى من رواية ذكوان عن عائشة رضى ا لله

قوله ((لأنى بشر أغضبُ كما يغضب البشر)) وروينا عن البخارى ومسلم[1] عن أبى هريرة رضى ا لله عنه قال : قال النبى صلىّ ا لله عليه وسلم (إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلهاله صلاة وزكاة وقربة) وزاد أحمد تقرّبه بها يوم القيامة .

قوله ((فضربت عنقه صبراً)) [2] يقال : قتل فلان صبرا إذا حبس على القتل حتى قتل وقد مضت قصة النضر .

قوله ((ممحوّ[3] الضوء مطموسه)) الراغب[4] [المحو إزالة الأثر ، ومنه قيل للشّمال محوة ، لأنها تمحو السحاب والأثر قال ا لله تعالى ﴿ يمحوا ا لله ما يشاء و يثبت ﴾[5]

قوله ((فترى به الأشياء))[6] جواب لقوله ((لم يخلق له شعاعاً)).كقولك : ما تأتينا فتحدّثنا .

قوله ((وقد حققنا القول فيه في سورة النّمل))[7] والمذكور فيها هو أنه كان

عنها وأن عائشة هى صاحبة القصة مع الأسير انظر تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر مع الكشاف ٦٥١/٢ والزيلعى في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٢٦٠ - ٢٦١

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٠٧ كتاب البر والصلة و الآداب ، باب من لعنه النبى صلى ا لله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه ، وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة ، وأحمد فى مسنده ، ٢/ ٢٤٣ ، ٣١٧ ، ٣٩٠ ، ٤٤٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، (٣) ٣٣ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، (٦) ٤٥ كلهم من حديث أبى هريرة رضى ا لله عنه ، والدرامى ٥٢/٢ كتاب الرقاق ، باب فى قول النبى صلى ا لله عليه وسلم أيما رجل لعنته ولم أجده فى البخارى

(٢) يعنى (النضر بن الحارث) كما سبق تفسير قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصّلناه تفصيلا) الاسراء الآية (١٢)

(٣) تفسير (ز) لقوله (فمحونا آية الليل) قال : يريد الشمس والقمر ، فمحونا آية الليل أى جعلنا الليل ((ممحوّ الضوء مطموسه مظلما)) لايستبان فيه شيء

(٤) الراغب في مفرداته ٤٦٤ مادة (محو) .

(٥) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٦) قال (ز) أو محونا آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الأشياء.

(٧) عند قوله تعالى ﴿ قالوا اطّيرنا بك وبمن معك ﴾ الآية (٤٧) من سورة النمل .

الرجل يخرج مسافراً فيمرّ بطائر فيزجُرَهُ قال فإن مرَّ سا نِحاً (١) تيمّن ، وإن مرّ بارحاً(٢) تشاءم ، فلمّا نسبوا الخير والشرّ إلى الطائر ، استعير لما كان سببهما من قَدَرِ ا لله وقسمته ، ومن عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة و النعمة ، ومنه قالوا : طائر ا لله لا طائرك ، أي قدّر ا لله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشرّ لا طائرك الذي تتشاءم به وتَتَيَمّنُ .

قوله ((والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغلّ لا ينفكّ عنه (٣))) ، قال الإمام (٤) : [إنّما خصّ العنق من بين سائر الأعضاء ، لأن الذي يكون عليه إمّا أن يكون خيراً يزيّنه ، أو شرّاً يشيّنه ، وما يزيّن يكون كالطوق والحلي ، وما يشيّن فهو كالغلّ] واعلم أن هذا من أدلّ الدلائل على أن كلّ ما قدّره ا لله تعالى للإنسان وحَكَمَ به في سابق علمه واجب الوقوع ممتنع العدم ، لأن قوله ﴿ ألزمناه ﴾ صريح في أن ذلك الإلزام الذي لا ينفكّ عنه صدر منه تعالى ، وأن كلّ ما حكم ا لله تعالى به في الأزل لابدّ أن يظهر أثره في الأبد ، ويؤيّده ما رويناه عن أبي داود والترمذي (٥) عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : (أول ما خلق ا لله القلم ، قال له : اكتب ، فقال : يارب وما أكتب ؟ ، قال : اكتب مقادير كلّ شيء حتى تقوم الساعة) .

قوله ((يلقّاه (٦) ، بالتشديد)) ابن عامر ، والباقون مخفّفاً والياء مفتوحة ، قيل : هو من لقيت الكتاب ، فإذا ضعّفت ، قلت : لقّانيه زيد ، فيتعدّى إلى مفعولين،

---

(١) (السانح) ما ولاّك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما مما يمرّ من ميا سرك إلى ميامنك .

(٢) (والبارح) ماولاّك مياسره ، بأن يمرّ من ميامنك إلى مياسرك . انظر الصحاح للجوهري ٣٧٦/١، مادة (سنح) و ٣٥٦/١ ، مادة (برح) .

(٣) تفسير (ز) لقوله تعالى ﴿ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ﴾ ، يعني ((أن عمله لازم له)) إلخ .

(٤) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٦٨/٢٠ .

(٥) أخرجه أبو داود ٧٦/٤ كتاب السنة ، باب في القدر.والترمذي٤٢٤/٥ كتاب التفسير، من سورة القلم . وأحمد في مسنده ٣١٧/٥ . والبيهقي في سننه ٢٠٤/١٠ . والطبراني في الكبير ٤٣٣/١١ .

(٦) قرأ أبو جعفر وابن عامر ﴿ كتاباً يُلَقّاهُ منشوراً ﴾ بضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف . وقرأ الباقون ﴿ يَلْقَاهُ ﴾ بفتح الياء وسكون اللام . المبسوط لابن مهران ٢٢٧ ، والإتحاف ٢٨٢ .

فإذا بنى للمفعول قام أحدهما مقام الفاعل وعليه قوله تعالى ﴿ ويُلَقَّون فيها تحيّةً وسلاماً ﴾ .

قوله ((بمعنى الكافي)) أي الحسيب تميز بمعنى الكافي الأساس[1] [احتسبت بكذا اكتفيت به وأحْتسَبني كفاني] وعلاقة المجاز أن الكافي كما يكفي الشخص مما أَهَمّهُ كذلك الشاهد يكفي المدعي ما أهمّه .

قوله ((كضرب القداح)) الجوهري[2] [الضريب الذي يضرب بالقداح وهو الموكل بها] والقِدْحُ بالكسر السّهم قبل أن يُراشَ[3] و يركّب نَصْلُه ، وقِدْحُ الميسر أيضا والجمع قداح] .

قوله ((و كأنه قيل : كفى بنفسك رجلا حسيبا)) يعني جرّد من النفس رجلا شاهداً وهو ، هي [4] .

قوله ((يا ابن آدم [5] أنصفك و الله من جعلك حسيب نفسك)) و في شرح السنة قال الحسن [6] في قوله تعالى : [﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ لكلّ آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله ، فإذا مات طويت ، وقلّدها وإذا بعث نشرت له ، وقيل له : ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ يا ابن آدم أنصفك من جعلك حسيب نفسك] .

---

(١) الأساس ٥٢ ، مادة (حسب) .

(٢) الجوهري في صحاحه ١٦٩/١ ، مادة (ضرب) (وقدح) ٣٩٤/١ .

(٣) الجوهري في صحاحه ١٠٠٨/٣ (رِشْتَ) السهم إذا ألزقت فيه الريش فهو مريش .

(٤) و (هو) أي الرجل ، و (هي) أي النفس .

(٥) يقول (ز) و كان الحسن إذا قرأها ، يعني هذه الآية قال : يابن آدم إلخ . ...

(٦) الحسن البصري أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، مولى الأنصار ، وأمه (خيرة) مولاة (أم سلمة) ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، ونشأ بوادي القرى ، وكان فصيحاً ورعاً زاهداً ، لا يسبق في وعظه ، ولا يداني في مبلغ تأثيره على قلوب سامعيه ، توفي سنة ١١٠ . تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ . وذكر البغوي في تفسيره كلام الحسن البصري هذا ٨٢/٥ .

قوله ((الحجّة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل [1])) ثم قوله بِعْثَة الرسل من جملة التنبيه على النظر الانتصاف] هذا مذهب باطل اعتزالي ،

(1) تفسير قوله تعالى ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً ﴾ الإسراء الآية ١٦ . قال (ز) عند تفسيره لقوله ﴿ نبعث رسولا ﴾ فنلزمهم الحجة . فإن قلت : ((الحجة لازمة لهم)) ، وهذا المذهب الاعتزالي والأشعري أيضاً ، وهو أن أول واجب على المكلّف النظر في مخلوقات ا لله ، وهي التي تقوم بها الحجة على العبد ، وهي التي بها يعرف ا لله تعالى ، ولذا قال الزمخشري هنا : ((الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف ا لله ، وقد أغفلوا النظر وهم متمكّنون منه ، واستيجابهم العذاب ، لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك ، لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلاّ بالتوقيف والعمل بها لايصلح إلاّ بعد الإيمان . وكلام الزمخشري هذا يفهم منه أن الإيمان با لله لا يتمّ إلاّ بالنظر والتفكر ، والحجة تقوم على الخلق بالنظر والتفكر في مخلوقات ا لله لا بالرسل ، وأن الرسل بعثوا لأممهم ، لأجل التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة ، لئلا يقولوا كنّا غافلين عن النظر والتفكر فلو لا بعثت إلينا رسولا ينبّهنا على النظر في أدلة العقل . هذا مذهب المعتزلة الفاسد . وقال أحمد المقري في نظمه المسمى إضاءة الدجنة :

** أول واجب على المكلّف ** إعماله للنظر المؤلّف **
** كي يستفيد من هدي الدليل ** معرفة المصوّر الجليل **
** وتطمئنّ نفسه لمّا سَلِمْ ** من وَرْطَة الجهل وللحقّ عَلِمْ **

إلى أن قال :

** فبان أن النظر الموصّلا ** أول واجب كما قد أصّلا **

وصريح القرآن يردّ هذا المذهب الفاسد ، وأن الحجة لاتقوم على أحد من الخلق إلاّ بالرسل ، وأن ا لله لايعذّب أحدا من خلقه لافي الدنيا ولا في الآخرة حتى يبعث اليه رسولاً ينذره ويحذّره فيعصى ذلك الرسول ويستمرّ على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار ، قال تعالى في سورة النساء الآية ١٦٥ :﴿ رسلا مبشّرين ومنذرين لئلا يكون للناس على ا لله حجة بعد الرسل ﴾ وقال في سورة طه الآية ١٣٤ ﴿ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى ﴾ وقال في القصص الآية ٤٧ ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدّمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتّبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴾ وقال في سورة المائدة الآية ١٩ ﴿ ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير ﴾ وقال تعالى في سورة الملك الآية ٨ ﴿ كلّما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل ا لله من شيء ﴾ وقال تعالى في الزمر الآية ٧١ ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنّم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربّكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ وقال تعالى في سورة غافر الآية ٤٩ ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفّف عنّا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا

ومذهب أهل السنة أنه لا حكم قبل الشرع ولا تكاليف إلا به ، ولا تجب الحجة إلا بالبعثة ، والآية دالة عليه ، فلا معنى لتحريفها . وقال محي السنة (١) : [وفي الآية دليل على أن ما وجب وجب بالسمع لا بالعقل] وكذا عن الواحدي (٢) ، وقلت : يؤيّده قوله تعالى ﴿ رسلا مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل ﴾ (٣) لأن البشارة والنذارة إنما يكونان بالجنّة والنّار ، والعقل لا مجال له في إثباتهما . واعلم أن قوله تعالى ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها ﴾ توكيد لمعنى تلك الآية ، وأن كلّ مكلّف مرهون بعمله ، وعمله كالقلادة في عنقه غير منفكّ عنه لا يفارقه ولا يتعدّى إلى غيره (٤) ثمّ جاء ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ تقريراً لهذا المعنى ، ومفهوم ذلك كلّه أنه تعالى بيّن للمكلّف ما عليه

فادعوا وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال ﴾ ، ونحو هذا كثير ، انظر أضواء البيان ٢/٤٢٩-٤٣١ . ومما كتبت يتّضح أن قول الزمخشري عند قوله تعالى ﴿ وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا ﴾ فيلزمهم الحجة فإن قلت : الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل ، لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله ، وقد أغفلوا النظر وهم متمكّنون منه ، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك ، لا لإغفال الشرائع التي لاسبيل إليها الآ بالتوقيف . والعمل بها لا يصحّ الا بعد الإيمان . قلت : يعني الزمخشري : بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة ، لئلا يقولوا : كنّا غافلين ، فلولا بعثت إلينا رسولا ينبّهنا على النظر في أدلّة العقل أ.هـ) فالعذاب لايستحقّ عند الزمخشري إلا بترك النظر ، وأهل السنة والجماعة لايستحقّ العذاب عندهم إلا لمن عصى الرسل ولم يتّبع إنذارهم وإعذارهم ، كما هو واضح من الآيات التي أوردناها آنفاً مع العلم أن النظر في آيات الله الكونية مأمور به مطلوب من كلّ مؤمن كما قال تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت * وإلى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ ونحوها ، وهو كثير في القرآن الأمر به ، فالإيمان بمخلوقات الله الدالّة على وجوده لا تكفي وحدها ، وأنه لابدّ من تصديق الرسل ، والحجة لا تقوم على الخلق إلا باتباعهم فيما جاءوا به من سائر التكاليف .

(١) محي السنة البغوي ٥/٨٢ .

(٢) الواحدي ٣/١٠١ .

(٣) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٤) وهذا المعنى الذي ذكر في هذه الآية من أن كل إنسان يجني ثمرة عمله خيراً أو شرّاً ، جاء في آيات أخرى منها قوله تعالى في سورة فصّلت الآية ٤٦ ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ﴾ وقوله تعالى في سورة الروم الآية ٤٤ ﴿ من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ﴾ وقوله تعالى في سورة الأنعام الآية ١٠٤ ﴿ قدجاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ وقوله تعالى في سورة يونس .

وما له وما يحتاج إليه وما خلق لأجله إزالة للإعذار ثم أتى بقوله ﴿ وما كناً معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ تذييلا لها وتقريرا لإزالة الاعذار .

قوله ((﴿ وإذا أردنا ﴾ وإذا أردنا وقت إهلاك قوم [1])) جعل الإرادة التي هي السبب في الإهلاك تابعة لدُنُوِّ الوقت . قال القاضي [2] : [إذا تعلّقت إرادتنا بإهلاك قوم لإنفاذ قضائنا السابق ، أمرنا متنَعِّميها بالطاعة [3] على لسان رسولٍ بعثناه إليهم ، أو إذا دنا وقته المقدّر ، كقولهم : إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدّةً] .

قوله ((لأن حذف مالا دليل عليه غير جائز [4])) يعني إذا كان لفعلٍ متعلّق غير مذكور ، فإن وجد في اللفظ ما يدلّ على ذلك المقدّر ، وكان مناسباً له ، قُيِّد المطلق به ، كقولك : أمرته فقام ، فإن قوله : فقام دلّ على أن المأمور به القيام ، وعلى هذا أمرناهم ففسقوا معناه أمرناهم بالفسق ففسقوا ، كما قُدِّر ، وعلى هذا القياس يقال : في قولهم : أمرته بالعصيان فعصاني ، ولكنه لا يستقيم ، لأن الأمر والعصيان متقابلان من حيث التّضادّ ، وإليه الإشارة بقوله : ((ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به)) ، فإذن ليس في اللفظ ما يقيّد به المطلق فيترك على إطلاقه ويجعل

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً ﴾ النحل الآية (١٦) .

(٢) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣/١٩٨ .

(٣) الظاهر أن الأمر هنا في قوله ﴿ أمرنا ﴾ هو الأمر الذي هو ضدّ النهي ، وأن متعلق الأمر محذوف لظهوره ، والمعنى ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ بطاعة الله وتوحيده ﴿ ففسقوا ﴾ أي خرجوا عن طاعة أمر ربّهم وعصوه وكذّبوا رسله ﴿ فحقّ عليها القول ﴾ أي وجب عليها الوعيد . ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ٢٨ ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾ قاله ابن جرير ، وقيل : الأمر هنا الأمر الكوني القدري ، أي قدّرنا عليهم ذلك وسخّرنا هم له ، كما في قوله في سورة القمر الآية ٥٠ ﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾ . وقيل : الأمر هنا بمعنى أكثرنا ، أي أكثرنا مترفيها ففسقوا فيها ، وهي لغة فصيحة ، انظر أضواء البيان ٢/٤٤٢ .

(٤) هذا إجابة لتساؤله ، أعني (ز) ، حيث قال : إن قلت : هلاّ زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا ؟ ، قلت : ((لأن حذف مالا دليل عليه غير جائز ، إلخ)) .

تمثيلا ، كما قال . فكأنهم مأمورون بذلك . قال الإمام [1] : [ولقائل أن يقول : كما أن قوله : أمرته فعصاني ، يدلّ على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له ، فكذلك أمرته ففسق يدلّ على أن المأمور به شيء غير الفسق عبارة عن الإتيان بضدّ المأمور به ، فكونه فسقاً ينافي كونه مأموراً به . وهذا الكلام في غاية الظهور ، فلا أدري لم أصرّ صاحب الكشّاف على قوله !] وقلت : هذا هو الحقّ لقوله تعالى ﴿ كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه ﴾ [2] وتفسير المصنّف الفاسق ، هو الخارج عن أمر الله ، والمعنى أمرناهم على لسان الرسول بالأعمال الصالحة وهم خالفوا الأمر وأقدموا على الفسق ، فالآية من باب الطباق المعنوي [3] ، قال صاحب الانتصاف [4] : [قول الزمخشري حسن إلاّ قوله : أنعم عليهم ليتنكّروا ، والحقّ أنهم خُوّلوا النعمة وأمروا بالشكر ففسقوا وكفروا مخالفة للأمر لا للإرادة] .

قوله ((وقد فسّر بعضهم أمرنا بكثّرنا ، قال ابن جنّي [5] : [وكان أبو علي يستحسن قول الكسائي في قوله تعالى ﴿ لقد جئت شيئاً إمراً ﴾ [6] أي كثيراً من قوله تعالى ﴿ أمَرْنا مترفيها ﴾ ومن قولهم : أمِرَ الشيء ، إذا كثُر ، ومنه قوله ((خير المال سكّة مأبورة ومَهْرَةٌ مأمورة [1])) ، السكّة : الطريقة المُصْطَفّة من النخل ، مأبورة :

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٧٤/٢٠ .

(٢) سورة الكهف الآية (٥٠) .

(٣) الطباق : الجمع بين الشيء وضدّه في الكلام ، وهو نوعان : طباق الإيجاب ، وهو مالم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً . وطباق السلب ، وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً . ويسمى أيضاً المطابقة . والتضادّ . انظر التلخيص ٣٤٨ .

(٤) الانتصاف مع الزمخشري ٦٥٥/٢ .

(٥) المحتسب لابن جني ١٦/٢ .

(٦) سورة الكهف الآية ٧١ .

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ٤٦٨/٣ ، والطبراني في معجمه الكبير ١٠٧/٧ ، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦٥٥/٢ ، ومجمع الزوائد ٢٥٨/٥ ، وانظر النهاية ١٣/١ ، والزيلعي ٢٦١/٢.

مُلَقَّحَةٌ ، مأمورة : مُكْثِرَةُ النَّسْلِ ، والأصل مُؤْمَرَة ، لأنه من أمَرَها ا لله ، لكن أتبعها قوله مأبورة للسجع ، وأما قوله ﴿ أمرنا مترفيها ﴾ فمنقول من أمَرَ القوم ، أي كثروا ، كعَلِمَ و عَلِمْتُه وسَلِمَ وسَلَمْتُه . وروي عن المصنف أنه قال : ما عول من زعم أن أمَرْتُه بمعنى كثَّرْتُه ، إلاّ على قوله ومهرة مأمورة ، وما هو إلا من الأمر الذي هو نقيض النهي ، وهو مجاز أيضاً كما في الآية ، لأن ا لله تعالى قال لها : كوني كثيرة النتاج ، فكانت ، فهي إذن مأمورة على ما تهبه .

قوله ((كثير به)) ، الجوهري [٢] : [التبار : الهلاك] .

قوله ((آمرنا من أمَرَ)) الجوهري [٣] : [آمرته بالمدّ وأمرته لغتان بمعنى كثرته] .

قوله ((وآمرنا بمعنى أمّرنا)) قال أبو البقاء [٤] : [ويقرأ بالتشديد والقصر أي جعلناهم أمراء ، وقيل : هو بمعنى الممدودة ، لأنه تارة يعدّى بالهمزة وأخرى بالتضعيف ، واللازم منه أمِرَ القومُ ، أي كثروا .

قوله ((أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير [٥])) وذلك من ترتّب قوله ﴿ كم أهلكنا ﴾ على قوله تعالى ﴿ خبيراً بصيراً ﴾ أي خبيراً بذنوب العباد وبصيراً بها ، لما يعلم أن الذنوب نتائجها الكفر و الكفران وتكذيب آيات ا لله . وقتل الأنبياء وغير ذلك ، قال ا لله تعالى ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات ا لله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا ﴾ ، فصحّ قوله ((إن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير . والذي يدلّ على فظاعة شأنها قوله ﴿ وكفى بربّك ﴾ .

---

(٢) الجوهري في صحاحه ، ٢/٦٠٠ ، مادة (تبر) .
(٣) الجوهري في صحاحه ٢/٥٨١ ، مادة (أمر) .
(٤) أبو البقاء في إملائه ٢/٨٩ .
(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربّك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ الإسراء الآية ١٧ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴾ : ((على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير)) وأنه عالم بها ومعاقب عليها .

قوله ((من كانت العاجلة همّه ولم يرد غيرها[1]))يدلّ على القيد معنى الإرادة، فإن الإرادة هي عقد القلب بالشيء وخلوص هَمّه فيه ، فإنما قال : كا لكفرة ((والفسقة))[2]، لأن الآية قوبلت [3] بها . قوله تعالى ﴿ و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن ﴾ فإن الكافر ينكر الأجل ، و الفاسق و إن لم ينكر فإنه[4] منهمك في الشهوات ، فكأنه معرض عن الآخرة، و فيه إيماء [5] إلى مذهبه [6] .

قوله ((فإن أو تى [7] فيها)) النهاية [8] [و في الحديث من توضأ للجمعة فبها و الباء متعلقة بفعل مضمرأى فبهذه الخصلة و الفَعْلَة يعني الوضوء ينال الفضل] .

قوله ((لأن الضمير يرجع إلى (مَن))أي الضمير و المجرور في قوله يرجع إلى (مَن) في قوله (مَنْ كَانَ يريد العاجلة) و هو يقتضي العموم لان مريدى العاجلة لا حصر فيهم . وأما المعجّل له فمحصورون .

قوله ((فلا فرق [9] إذن بين القراءتين أي قراءة يشاء بالياء ، و الضميرين .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلا ها مذموما مدحورا و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ الإسراء ، الآية ١٨-١٩ .

(٢) قال (ز) : من كانت العاجلة همه ، و لم يرد غيرها كا لكفرة و أكثر الفسقة .

(٣) (و المقا بلة) : أن يؤتي بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب ، مثل الآيتين هنا .

(٤) في ب (لكنه) بدل (فإنه) .

(٥) (الإيماء) الإشارة .

(٦) وهو أن الفاسق بين المنزلتين ، لا هو مؤمن و لا هو كافر .

(٧) قال (ز) المؤمن التقي قد اختار مراده وهو غِنىَ الآخرة ، فما يبالي أوتى حظّاً من الدنيا أو لم يؤت ((فإن أوتى فيها)) و إلا ربما كان الفقر خيرا له و أعون على مراده .

(٨) النهاية في غريب الحديث ٥/٨٣ .

(٩) يشر إلى قول (ز) : إن قوله ﴿ نشاء ﴾ قرىء ﴿يشاء ﴾ وقيل الضمير لله تعالى ((فلا فرق إذا بين القراءتين)) في المعنى .

و القراءة المشهورة بالنون في كون المشيئة لله تعالى ، فدل النون على التعظيم ، والياء على التجريد ، كأنه قيل :﴿ عجلنا له ما يشاء ﴾(١) .من له المشيئة المطلقه وبيده أزمّة كل لأمور يفعل بمشيئته ما أراد لا يمنعه مانع .

قوله ((الدهماء)) الجوهري (٢) [الدهم العدد الكثير] و دهماء الناس جماعتهم .

قوله ((يريد به ا لله)) ذلك الضمير للعبد و المشار إليه ما يشاء من الدنيا والجملة صفه لواحد .

قوله ((فمن كانت هجرته إلى ا لله الحديث مشهور أخرجه الأئمة (٣) وهو من باب قولهم : من أدرك الضمان فقد أدرك .

قوله ((مدحورا مطرودا)) الراغب (٤) [الدحر الطّرد و الإبعاد ، يقال دحره دحورا قال تعالى ﴿ فيلقي في جهنم ملوما مدحوراً ﴾ (٥) وقال ﴿ ويقذفون من كل جانب دحورا ﴾ (٦) ولم يذكر الدحر في الصحاح .

---

(١) ما بين القوسين س من ب ، ا .

(٢) الجوهري في صحاحه ١٩٢٤/٥ مادة (دهم)

(٣) قال (ز) في قوله تعالى ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ قيل : هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة ، كالمنافق والمراءى و المهاجر للدنيا ، كما قال صلى ا لله عليه وسلم : ((فمن كانت هجرته إلى ا لله)) ، أخرجه البخاري مع الفتح ٩/١ كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، ومسلم في صحيحه ١٥١٥/٣ كتاب الإمامة ، باب قوله صلى ا لله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية إلخ ..) ، وأبو داؤد ٢٣٠/٢ كتاب الطلاق ، باب في ما عنى به الطلاق و النيات ، و الترمذي ٣/١١-١٢ كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء من يقا تل رياء وللدنيا ، و النسائي ٥٨/١ كتاب الطهارة ، باب في النية للوضوء ، و ابن ماجه ٢/ ١٤١٣ كتاب الزهد ، باب النية .

(٤) الراغب في مفرداته ١٦٥ مادة (دحر) .

(٥) سورة الإسراء الآية ٣٩ .

(٦) سورة الصافات الآية ٩ .

قوله ((و يتجافى عن[1] دار الغرور مُقْتَبَسٌ مما روى المفسرون[2] أنه صلى الله عليه وسلم سئل ما علامة شرح الصدر قال : التجافى عن دار الغرور و الإنابة إلى دار الخلود .

قوله ((و السعي فيما كلف من الفعل و الترك)) استفاده من إقران الإيمان[3] بالسعي ليكون على وزان قوله ﴿ الذين آمنوا و عملوا الصالحات ﴾[4] والظاهر أن المراد من قوله ﴿ وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾ السعي المختصّ بها وما ينسب[5] إليها وعرف أن ذلك السعي ما هو ، وهو قمع الهوى وترك زينة الدنياومراقبة الأحوال بين يدي المولى ، كما قال تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنّة هي المأوى ﴾[6] ، وفي الألفاظ النبوية (ومن أراد الآخرة وترك زينة الدنيا)[7] ، ولما كانت هذه الخَصْلَة واسطة القلادة ، جعلت مقدمتها الإرادة ، وقاعدتها الاستقامة على الإيمان ، وبنى الجواب عليها . وقيل : ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكوراً ﴾ ، الراغب[8] : [السعي المشي السريع ، وهو

---

(١) يشير إلى قول (ز) : في قوله تعالى ﴿ وسعى لها سعيها ﴾ قال : اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ، إرادة الآخرة ، بأن يعقد بها همّه ((ويتجا فى عن دار الغرور)) إلخ ...

(٢) ذكره ، ابن كثير في تفسيره ، ٣/ ٣٢٨ و القرطبي ١٠٤/٢ ، ٨١/٧ و الدر المنثور ٤٤/٣ ، ٣٢٥/٥ و يدل له قوله تعالى في الزمر الآية ٢٢ ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ الآية .

(٣) في ب (افتقار) الإيمان و هو الصواب .

(٤) سورة العصر الآية ٢ .

(٥) وما يناسب في (ب) .

(٦) سورة النازعات الآية ٤٠ .

(٧) جزء من حديث طويل عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (استحيوا من الله حقّ الحياء ، قال : قلنا : يارسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حقّ الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليتذكر الموت والبلى ((ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا)) فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حقّ الحياء) . أخرجه الترمذي ٥٥٠/٤ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٢٤ ، ثم قال : إنما نعرفه من هذا الوجه ، وأحمد في مسنده ، ٣٨٧/١ ، والطبراني في الكبير ، ١٨٨/١٠ .

(٨) الراغب في مفرداته ٢٣٣ ، مادة (سعى) .

دون العدو ، ويستعمل للجدّ في الأمر خيراً كان أو شـرّاً . قال تعالى ﴿ وسعى في خرابها ﴾(١) ﴿ وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى ﴾(٢) وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة قال الشاعر (٣) :

** إن أجْزِ علقمة بن سعدٍ سَعْيَه ** لا أجْزِهِ بِبَلاءِ يومٍ واحدٍ **

وقال تعالى ﴿ فلمّا بلغ معه السعي ﴾ أي أدرك ما سعى في طلبه وخُصّ السعي بالمساعاة بطلب المكرمة والسعاية بأخذ الصّدقة وبكسب المكاتب ليعتق رقبته وبالنّميمة والمساعاة بالفجور] .

قوله ((الآنف (٤))) الجوهري (٥) : [الاستئناف الابتداء وكذلك الائتناف].

قوله ((لأنها ثواب وأعْوَاضٌ وتفضُّلٌ ، وكلّها متقاربة))(٦) ، الضمير في (أنها) مبهم يفسّره ما بعده لقوله تعالى ﴿ إن هي إلاّ حياتنا الدنيا ﴾ (٧) ، قال هذا ضمير (٨) لا يعلم ما يعني به إلاّ ما يتلوه من بيانه إلى قوله : لأن الخير يدلّ عليها . ويجوز أن يكون المضاف محذوفاً ، أي أفعال الآخرة يعني أفعال الله في الآخرة مع العبد ثواب وأعواض وتفضّل . وفي بعض الحواشي الوارد على أصولهم (٩) أفعال الله تعالى اليوم لا تخلو من صلاح وأصلح ولطف . وأفعاله غداً على سبيل الجزاء إمّا

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٤ .

(٢) سورة النجم الآية ٣٩ .

(٣) البيت لفدكي بن أعبد ، وهو في البيان والتبيين للجاحظ ٢٣٣/٣ واللسان مادة (لمم) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ كلاً نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك وما كان عطاء ربّك محظوراً ﴾ الآية ٢٠ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ نُمِدُّ ﴾ أي نزيدهم عن عطائنا ((ونجعل الآنف)) منه مدداً للسالف ، لا نقطعه .

(٥) الجوهري في صحاحه ١٣٣٣/٤ ، مادة (أنف) .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ انظر كيف فضّلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ الآية ٢١ ، قال (ز) : جعلناهم متفاوتين في الفضل ، وفي الآخرة التفاوت أكبر ((لأنها ثواب وأعواض)) إلخ .

(٧) سورة الأنعام الآية ٢٩ .

(٨) في ب (خبر) بدل ضمير .

(٩) يعني أصول المعتزلة .

ثواب أو عوض أو تفضّل ، فالصلاح ضدّ الفساد . وكلّ ما عرى عن الفساد سمّي صلاحاً ، وهو الفعل المتوجّه إلى الخير من قوام العالم ، وبقاء النوع عاجلا ، والمؤدي إلى السعادة السرمدية آجلا والأصلح ، وهو إذا كان صلاحان أو خيران ، وكان أحدهما أقرب إلى الخير المطلق فهو الأصلح ، واللطف : هو وجه التيسير إلى الخير ، وهو الفعل الذي علم الربّ تعالى أن العبد يطيع عنده ، وليس في مقدور ا لله [1] لطف وفعل لو فعله لأمن الكفار . ثم الثواب هو الجزاء على أعمال الخير، والعوض هو البدل عن الفائت كالسلامة التي هي بدل الألم ، والنعم التي هي في مقابلة البلايا والمحن والرزايا والفتن ، والتفضّل هو إيصال منفعة خالصة إلى الغير من غير استحقاق ، يستحقّ أي ا لله بذلك حمداً وثناءاً ومدحاً وتعظيماً ، ووصف بأنه محسن مجمل ، وإن لم يفعله لم يستحقّ بذلك ملاما وذمّاً .

قوله ((وروى أن قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي ا لله عنه)) . و روى ابن عبد البر في الاستعياب [2] [عن الحسن حضر الناس بباب عمر رضي ا لله عنه ، وفيهم سهيل بن عمرو القرشي و كان أحد الأشراف في الجاهلية ، و أبو سفيان بن حرب و أولئك الشيوخ من قريش فأذن لصهيب وبلال و أهل بدْر، وكان يحبّهم ، و كان قد أوصى بهم ، فقال أبو سفيان : ما رأيْت كاليوم قط إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد و نحن جلوس لا يلتفت إلينا فقال سهيل : و كان أعقلهم أيّها القوم إني وا لله قد أرى الذي في وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم دُعي القوم و دُعيتم و أسرعوا فأبطأتم أما وا لله مما سبقوكم به من الفضل أشدّ عليكم موتا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه] و روى أيضا [3] أن الحارث بن هشام وسهيلا هذا دخلا على عمر رضي ا لله عنهم مجلساً و هو بينهما فجعل المهاجرون الأوّلون يأتون فيقول : ههنا يا سهيل ههنا يا حارث فينحيهما عنه ، وجعل الأنصار يأتون فينحيهما حتّى صارا في آخر الناس، فلمّا خرجا قال الحارث :

---

(١) لم يتّضح لي ما يعني به ، وهو غير مستقيم ، وواضح فيه الاعتزال .

(٢) الاستعياب مع الإصابة ٢/١١٠ .

(٣) الاستعياب مع الإصابة ٢/١١١ .

لسهيل ألم تر ما صنع بنا ؟ فقال سهيل : إنه الرجل لالوم عليه ، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا دعي القوم فأسرعوا و دعينا فأبطأنا] تمامه ذكر في التوبة .

قوله ((جامعا على نفسك الذّم و ما يتبعه من الهلاك من إلهك (١))) يعني أن المشرك قد ذمّه الله تعالى و من ذمّه يهلك ، و ما يتبعه تفسير الذّم . و الخذلان عطف على الذّم ، و إنما دلّ على الجمع إيقاع (مذموما مخذولاً) خبرا بعد خبر لقوله (فتقعد) قال القاضي (٢) : [ومفهومه أن الموحّد يكون ممدوحاً منصوراً] .

قوله ((و قضى ربّك (٣) ، و أمر أمراً مقطوعاً به)) ضمن قضى ، معنى الأمر ليكون جامعاً للمعنيين ، الأمر و القضاء الذي هو القطع ، و لذلك كان (أن) في قوله (أن لا تعبدوا) مفسّرة ، و كأن النّهْي في معنى الأمر أي اعبدوا ، ليناسب (٤) عطف (و أحسنوا) عليه و سبق في الأنعام عند قوله ﴿ لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحسانا و لا تقتلوا أولادكم .. ﴾ (٥) الآية ما يقرب من هذا العطف .

قوله ((أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا)) هذا على أن تكون (أن) موصولة لا مفسره ففيه لف و نشر (٦) .

قوله ((و هو فيمن قرأ يبلغان)) حمزة و الكسائي (٧) (إما يبلغانّ) بكسر النون و الألف قبلها ، والباقون بفتحها من غير ألف . قال أبو البقاء (٨) : ألف يبلغانّ

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ الإسراء الآية ٢٢ .

(٢) القاضي البيضاوي ٣/١٩٩ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ و قضى ربّك ألا تعبدوا إلا إيّاه و بالوالدين إحسانا إما يبلغنّ عندك الكِبَرَ أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما و قل لهما قولا كريما ، و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ الإسراء الآية ٢٣، ٢٤ .

(٤) (لتناسب) في ب .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

(٦) اللف و النشر : هو أن تلفّ شيئين ، ثم تأتي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يردّ إلى كل واحد منهما ماله ، تارة يأتي به مرتبا ، وتارة معكوسا ، و تارة مشوشا . التعريفات للجرجاني ٢٤٧ .

(٧) قرأ حمزة و الكسائي و خلف (إما يبلغانّ عندك الكبر) بالألف و كسر النون مشدّدةو الباقون (إما يبلغنّ) بغير ألف و فتح النون مشدّدة أنظر المبسوط لابن مهران ٢٢٨ و الإتحاف ٢٨٢ .

(٨) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٠ .

بالتشديد فاعل و﴿ أحدهما أو كلاهما ﴾ بدل منه ، وقال أبو علي : هو توكيد . ويجوز أن يكون ﴿ أحدهما ﴾ مرفوعاً لفعل محذوف ، أي إن بلغ أحدهما أو كلاهما. وفائدته التوكيد أيضاً . ويجوز أن تكون الألف حرفاً للتثنيه والفاعل ﴿ أحدهما ﴾] . قوله ((لو قيل(١) إما يبلغان كلاهما ، كان ﴿ كلاهما ﴾ توكيدا لابَدَلاً)) لأنه مثل قولك : جاءني الزيدان كلاهما ، فإن كلاهما توكيد باتّفاق لأنه يدّل على مادلّ عليه الزّيدان ، فكذا يفهم من كِلاهما ما يفهم من ضمير الأبوين . قال صاحب التقريب [وفيه نظر إذ جاز كونه تأكيداً . وقوله ((لو أريد توكيد التثنية لقيل : كلاهما فحسب)) ممنوع ، وأنه إنّما يلزم لو أريد التأكيد فحسب من غير تقدّم ذكر أحدهما ، وكأنه قال : إما يبلغان أحدهما أو يبلغان كلاهما ، والأول بدلٌ ، والثاني تأكيد وقلت : كلام المصنّف مبنيّ على أن كلاهما عطف على أحدهما ، لاعلى التقديرين فإنه يعود(٢) إلى عطف الجملة على الجملة ، والمقصود أحد الأمرين لا إفادة الشمول والإحاطة فى أحدهما دون الآخر . وأيضاً لو أريد الشمول لم يقل أحدهما لكونه منافيا للشمول والإحاطة فإنه لدفع التجوز فى إرادة الوحدة . وقال صاحب الفرائد : [لّما كان أحدهما لم يصلح أن يكون توكيدا للتثنيه وهو ضمير يبلغان . وجب أن يكون بدلا . والبدل في حكم تكرير العامل ، فلزم أن يكون التقدير : يبلغ أحدهما ، ولّما كان ﴿ كلاهما ﴾ عطف على ﴿ أحدهما ﴾ انقطع عن الضمير فلم يمكن أن يكون مؤكّداً له ، لأنه فاعل فعل آخر ، والمؤكّد لافعل له إلا الفعل المذكور].

قوله ((وقريء (٣) ﴿ أفٍّ ﴾ بالحركات الثلاث نافع وحفص بالتنوين وكسر

---

(١) قال (ز) : فإن قلت : ((لوقيل : إما يبلغان إلخ قلت : لأنه معطوف على مالا يصحّ أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم فى حكمه ، فوجب أن يكون مثله .

(٢) فى ب (على)

(٣) قرأ أبو جعفر ، ونافع وحفص عن عاصم ﴿ فلا تقل لهما أفٍّ ﴾ منونة مكسورة الفاء وكذلك في الأنبياء الآية ٦٧ والأحقاف الآية ١٧ . وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿ أفَّ ﴾ بفتح الفاء في جميعها . وقرأ أبو عمرو وأبوبكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ﴿ أُفِّ ﴾ مكسورة الفاء غير منونة . انظر المبسوط لابن مهران ٢٢٨ والإتحاف ٢٨٣

الفاء وابن كثير وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين وقال ابن جني (١) : [قرأ ابو الشمال(٢) ﴿أُفُّ﴾ مضمومة غير منونة ، وقرأ ابن عبّاس أفْ خفيفة وقال هرون النحوي (٣) ويقرأ أُفٌّ بالتنوين ، ولو قرئت أَفّاً لجاز ، ولكن ليس في الكتاب أِلفٌ . وقال ابن جنى فيها ثمانى لغات أُفِّ وأُفِّ وأُفَّ وأَفّاً وأُفُّ وأُفٌّ وأُفى ممالٌ وأُفْ خفيفة ساكنة] وأمّا قوله ((والتشديد كثمّ)) فمعناه أنه على وزنه . وقال أبو البقاء (٤) : [فمن كسر بناه على الأصل لأنه اسم فعل ومعناه التّضجر والكراهة أى لاتقل لهما كُفَّا أواتْرُكَا . وقيل : هى اسم للجملة الخبرية أى كرهت أو ضجرت من مداراتكما ومن فَتح طَلَب التخفيف مثل رب ، ومن ضم أتبع ومن نوّن أراد التنكير ومن لم ينون أراد التعريف ، ومن خفّف الفاء حذف أحد المثلين تخفيفا] وقال ابن جنى(٥) : [وكان القياس اذا خفّفت أن يسكن آخرها ، لأنه لم يلتق فيها ساكنان فتحرك لكنّهم اتقّوا الحركة مع التخفيف أمارة ودلالة على أنها قد كانت مثقّلة مفتوحة] الراغب(٦) : [أصل الأفّ كل مستقْذَرمن وسخ وقلامة ظفرونحوهما ويقال ذلك لكل مستخفّ به استقذاراً له نحو ﴿ أُفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله ﴾ (٧) وقد أَفّفْتُ لكذا ، إذا قلت ذلك استقذارا له ، و منه قيل للضجر من استقذار شيء : أفّفَ فلان] .

قوله ((هو أن يكبرا و يعجزا (٨))) يعني معنى (عندك) ههنا كناية عن العجز و عن كونهما كلاً على ولدهما .

---

(١) ابن جنى في كتابه المحتسب ٢/ ١٨

(٢) أبو الشمال في النسختين أ ، ب وهو خطأ والصواب أبو السمال بالسين . انظر المحتسب ١٨/٢. وأبو السمال هو العدوي البصري، له اختيار في القراءة شاذة عن العامة، واسمه قعنب . انظر القاموس ٣٩٧/٣ وطبقات القراء لابن الجوزي ٢٧/٢ والتعليق على المحتسب لابن جني ٥٤/١

(٣) هرون بن موسى بن شريك القارئى النحوى أبو عبد الله التغلبى ، يعرف بالأخفش، من أهل دمشق ولد سنة ٢٠١ وقرأ بقرآآت كثيرة ، وروايات غريبة ، قيما بالقراآت السبع ، والتفسير والنحو انظر طبقات المفسرين للداودى ٣٤٨/٢ ومعجم الأدباء ٢٣٥/٧ وطبقات القراء لابن الجوزى ٣٤٧/٢وانظر مختصر شواذ القراآت لابن خاليه ٧٦ .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٠/٢ .

(٥) ابن جنى في المحتسب ١٨/٢ مادة (أف) .

(٦) الراغب في مفرداته ١٩ .

(٧) سورة الأنبياء الآية ٦٧ .

(٨) تفسير (ز) لقوله تعالى ﴿ عندك ﴾ .

قوله ((الدعار [1])) الجوهر [2] : [الدعارة الفسق و الخبث يقال : هو خبيث دَاعِرٍ بَيِّنُ الدّعارة] .

قوله ((نَحَلَنِي أبو بكر كذا [3])) تمامه : ما ذكر في النسائي من حديث أبي بكر رضي ا لله عنه : و إني كنت نحلتك جاد [4] عشرين و سقا الغابة [5] .

قوله ((وقرىء (جناح الذُّلّ [6]) و الذّلّ بالضم و الكسر بالضم السبعة والكسر قرأه ابن عباس و عروة بن الزبير قال ابن جني [7] :[الذّلُّ بالكسر في الدّابة ضدّ الصعوبة و بالضم للإنسان ، و هو ضِدُّ العِزّ كأنهم إنما فَرَّقوا لأن ما يلحق الإنسان أكثر قدرا مما يلحق الدّابة فاختاروا الضّمة لقوتها للإنسان ، و الكسرة لضعفها للدابة و لا يستنكر مثل هذا و لا تنب [8] عنه فإنه من عَرَفَ أنس ، و من جهل استوحش] و في قول المصنف جناحك الذليل أو الذلول لمحة من هذا المعنى .

قوله ((جعل لبيد [9] للشمال يداً و للعزّة زماماً مبالغة)) ، يعني في قوله :

---

(1) تفسير(ز) لقوله تعالى ﴿ و قل لهما قولا كريما ﴾ هو أن يقول لهما : يا أبتاه يا أمّاه كما قال إبراهيم لأبيه : (يا أبت) مع كفره،ولا يدعوهما بأسمائهما، فإنه من الجفاء و سوء الأدب ((و عادة الدّعار)).

(2) الجوهري في صحاحه ٦٥٨/٢ مادة (دعر) .

(3) يشير إلى قول (ز) لابأس (بذكر اسم الأب) في غير وجهه ، كما قالت عائشة رضي ا لله عنها ((نحلني أبو بكر كذا)) و الحديث أخرجه مالك في الموطأ ٧٥٢/٢ كتاب الأقضية ، باب ما يجوز من النحل ، (أي العطاء) .

(4) (الجاد) بمعنى المجدود أي نَخْل يجدّ منه ما يبلغ عشرين وسقا من التمر ، والوسق مكيال معروف النهاية ١/ ٢٤٤ .

(5) (الغابة) موضع شمال المدينة ويبعد عنها بريدا قرب أحد شمالا من وادي الخليل ، المعجم الجغرافي ٢٢٣

(6) ذكر هذه القراءة ابن جني في كتابه المحتسب ١٨/٢ .

(7) المرجع السابق .

(8) نبا الشيء ينبو أي تجافى و تباعد ، ونبا البصر عن الشيء ارتفع الجوهري ٢٥٠٠/٥ .

(9) لبيد بن ربيعة مالك أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية من عالية نجد ، أدرك الإسلام ووفد على النبي صلى ا لله عليه وسلم ، و يعد من الصحابة ، ترك الشعر لما سمع القرآن وبلاغته، و لم يقل بعد إسلامه إلا بيتا أو بيتين ، و هو أحد أصحاب المعلقات و كان كريما جوادا . مات سنة إحدى و أربعين . الشعر و الشعراء ١٢٣ و الإصابة ٣٢٤/٣ .

** وغداة ريح قد كشَفَت وقُرّة ** إذ أصبحت بيد الشمال زمامها **

شبّه الشمال بالإنسان ، ثم خيل أنها إنسان بعينه ، ثم أضيف إليه على سبيل الاستعارة التخييلية (١) ما يلزم الإنسان عند التصرف وهو اليد قائلاً بيد الشمال وحكم الزّمام مع القرة حكم اليد مع الشمال ، كذا ههنا شبّه الذّلّ بالطائر ثم أثبت له ما يلازم الطائر عند انحطاطه وانخفاضه من الجناح . وعلى الأول خفض الجناح كناية عن التواضع ، وكان في الأصل استعارة تمثيليّة شبّه ما يتصوّر من الإنسان في حال التواضع من الانخفاض ، بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجَوّ ، ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن مجرّد التواضع ، ثم أضيف إلى الذلّ تتميماً لإرادة التواضع (٢) ، الراغب (٣) (٤) [الجناح جناح الطائر ، يقال : جنح الطائر ، إذا كسر جناحه ، وسمّي جانبا الشيء جناحيه ، كجناحَي العسكر والسفينة والوادي . وقال تعالى ﴿ واضمم يدك إلى جناحك ﴾ أي جانبك ، وقوله : ﴿ إليك جناحك ﴾ عبارة عن اليد لِكَوْنِ الجناح كاليد . وقوله ﴿ واخفض لهما جناح الذلّ ﴾ استعارة ، وذلك أن الذلّ ضربان ، ضرب يضع الإنسان ، وضربٌ يرفَعه ، وقُصِد في هذا المكان إلى ما يرفعه ، فكأنه قيل : استَعمِلِ الذُّلّ الذي يرفعك عند الله تعالى من أجل اكتسابك الرحمة أو من أجل رحمتك لهما . وجَنَحَ الليل ، إذا أظلّ بظلامه ، والجُنْحُ

(١) الاستعارة التخييلية : هي إضافة لازم المشبّه به إلى المشبّه ، التعريفات ٣٦ .

(٢) وانظر حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي فما فيها أوضح ٢١٩/٣ .

(٣) الراغب في مفرداته ١٠٠ ، مادة (جنح) .

(٤) ويقول شيخنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي رحمه الله رحمة واسعة في كتابه المسمى(منع جواز المجاز في المنزّل للتعبّد والإعجاز) ، ومعلوم أنه رحمه الله لا يقول بالمجاز في القرآن ، قال : ما نصّه عند قوله تعالى ﴿ واخفض لهما جناح الذلّ ﴾ أن الجناح هنا مستعمل في حقيقته ، لأن الجناح يطلق لغة حقيقة على يد الإنسان وعضده وإبطه ، قال تعالى ﴿ واضمم إليك جناحك من الرهب ﴾ والخفض مستعمل في معناه الحقيقي الذي هو ضدّ الرفع ، لأن مريد البطش يرفع جناحيه ، ومظهر الذل والتواضع يخفض جناحيه ، فالأمر بخفض الجناح للوالدين كناية عن لين الجانب لهما ، والتواضع لهما ، كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ إلى أن قال : فيكون المعنى : واخفض لهما الجناح الذليل من الرحمة ، أو الذلول على قراءة الذِّلّ بالكسر ، انظر أضواء البيان ٣٨٥/٦ ، وفيه زيادة بيان تركناها خوف الإطالة .

قطعة من الليل مظلمة ، وجنَحَت السفينة إذا مالت إلى أحد جانبيها ، وسمي الإثم المائل بالإنسان عن الحقّ جناحا ، ثم سمّي كلّ إثمٍ جُناحاً ، وجوانِحُ الصَدْر الأضلاع المتصلة رؤوسها في وسط الزّور ، الواحدة جانحة ، وذلك لما فيها من الميل] .

قوله ((مبالغة في التذلّل والتواضع لهما)) أي للوالدين .

قوله ((﴿ من الرحمة ﴾ من فرط رحمتك لهما)) ، جعل (من) في ﴿ من الرحمة ﴾ ابتدائية لا بيانية ، إذ لو بيّن الجناح بها لرجعت الاستعارة إلى التشبيه التجريدي ، كقوله تعالى ﴿ حتّى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ (١) ، قال أبو البقاء (٢) : [من أجل رفقك بهما فـ (من) متعلّقة بـ (اخفض) ، ويجوز أن تكون حالا من جناح] وقال صاحب الفرائد : [التواضع والتذلّل ربما يكونان لأمر آخر لا للرحمة والعطف ، فقوله ﴿ من الرحمة ﴾ معناه من أجل الرحمة ، يعني ينبغي أن لا يكون ذلك التذلّل للخوف أو لأمرٍ آخر] .

قوله ((وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية ، واجعل ذلك جزاءً لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك)) هذا المعنى يعطيه معنى (٣) كاف التشبيه . قال أبو البقاء (٤) : [(كما) نعت مصدر محذوف ، أي برحمة مثل رحمتهما لي] ، وقال القاضي (٥) : [ارحمهما رحمة مثل رحمتهما عليّ وتربيتهما وإرشادهما لي في صغري وفاءً بوعدك للراحمين] ، وقلت : (ما) في (كما) مصدرية ، والوقت فيه مقدّر ، أي ارحمهما في وقت أحْوَج ما يكونان إلى الرحمة من جميع الأوقات ، كوقت رحمتهما عليّ وأنا في حالة الصغر كَلَحمٍ على وضمٍ (٦) وليس ذلك إلاّ في القيامة ، والرحمة هي

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٠ .

(٣) (معنى) س من ب .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٠ .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣/٢٠٠ .

(٦) قوله (كلحم على وضم) كناية عن شدة الضعف وقلّة الحيلة ، مثل لحم على وضم ، والوضم كل شيء يجعل عليه اللحم من خشب أو غيره ، يوقى به من الأرض . الصحاح للجوهري ٥/٢٠٥٣ .

الجنّة ، ولهذا قال : رحمته الباقية . هذا هو التحقيق . ونقل صاحب اللباب عن بعضهم (١) : [إن الكاف في (كما) ربياني ، لتأكيد الوجود] . وذكر الشارح في توجيهه أنه ليس الكاف فيه للقرآن في الوقوع ، كما في قولك : كما حضر زيد قائم عمر ، ولأن التربية من الوالدين واقعة والرحمة لهما مطلوب الوقوع لأنها مذكورة بصيغة الأمر في ﴿ ربّ ارحمهما ﴾ ، فالكاف ليس للمقاربة في الوقوع ، بل لتأكيد وجود الرحمة أي أوجد رحمتهما إيجاداً مؤكّداً محقّقاً كما أوجدالوالدان التربية (٢) إيجاداً محقّقاً في الزمان الماضي .

قوله ((فقال كل ذلك واصل إليه (٣))) يعني لا تسأل عن الصدقة وحدها ، فإن كلاًّ مما تعُورِف من الميراث واصل إليه .

قوله ((لأمركم به في الأبَوَين)) أي المأمور به الاستغفار . وفي الآية المأمور به الاسترحام لقوله ﴿ قل ربّ ارحمهما ﴾ لأن الاسترحام بمعنى الاستغفار .

قوله ((ولا شيء أنفع من الاستغفار (٤))) يؤيّده ما روينا عن أبي داود وابن ماجه (٥) عن أبي أسيد الساعدي قال : (بينما نحن عند رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إذ جاءه رجل فقال : هل بقي من برّ والديّ شيء أبرّهما به بعد موتهما ؟،

---

(١) صاحب اللباب في شرح الكتاب للميداني أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري المتوفى سنة ٥١٨ ، واللباب طبع بتحقيق وضبط محمود أمين النواوي .

(٢) وقد أمر ا لله جلّ وعلا في غير ما آية من كتابه ببرّ الوالدين والرحمة والرأفة بهما ، وقرنه بعبادته تأكيداً عليهما ، فقال في سورة النساء الآية ٣٦ ﴿ واعبدوا ا لله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ وقال في سورة البقرة الآية ٨٣ ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلاّ ا لله وبالوالدين إحساناً ﴾ وقال في سورة لقمان الآية ١٤ ﴿ أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير ﴾ ، وحثّ ا لله جلّ وعلا على برّ الوالدين والإحسان عليهما ، وإن كانا كافرين ، قال تعالى في سورة العنكبوت الآية ٨ ﴿ ووصّينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم ﴾ وقال في سورة لقمان الآية ١٥ ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾ .

(٣) يشير (ز) إلى قول ابن عيينة حين سئل عن الصدقة عن الميت فقال : ((كل ذلك واصل إليه)) .

(٤) قال (ز) ولا شيء أنفع له من الاستغفار ، ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين .

(٥) أخرجه أبوداود ٣٥٢/٥ كتاب الأدب ، باب في برّ الوالدين برقم ٥١٤٢ ، وابن ماجه في الأدب ، باب صِلْ من كان أبوك يصل ، برقم ٣٦٦٤ .

قال : نعم ، الصلاة عليهما [1] والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما) .

قوله ((رضى الله في رضى الوالدين [2])) عن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رضى الربّ في رضى الوالد وسخط الربّ في سخط الوالد) أخرجه الترمذي .

قوله ((وروي يَفْعَل البارّ [3]))، إن روي بضمّ اللام يكون خبراً في معنى الطلب ، كقوله تعالى ﴿ والوالدات يرضعن أولادهنّ ﴾ [4] ، وإن روي بكسرها ، يكون من قبيل محمد تفْدِ نفسك كلّ نفس ، أي لتَفْدِ .

قوله ((أنت ومالك لأبيك [5])) روى أبو داود عن ابن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال : يارسول الله إن لي مالا وولدا ، وإن والدي يجتاح مالي ، قال :(أنت ومالك لأبيك) ، النهاية [6] : [يجتاح مالي أي يستأصله ، ويأتي عليه أخذاً وإنفاقاً ، والاجتياح من الجائحة ، وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها] .

---

(1) الصلاة عليهما ، المراد الدعاء لهما .

(2) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم ((رضى الله في رضى الوالدين)) ، أخرجه الترمذي ٢٧٤/٤ كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الفضل في رضى الوالدين رقم ١٨٩٩ ، وشرح السنة للبغوي ١٢/١٣ ، وابن حبان في الإحسان ١٧٢/٢ ، والحاكم في المستدرك ١٥٥/٤ وصححه ، وابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٦٥٨/٢ ، والزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف أيضاً ٢٦٤/٢ .

(3) روي يفعل البارّ مايشاء أن يفعل فلن يدخل النار ، ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل ، فلن يدخل الجنة ، أخرجه ابن حجر في أحاديث الكشاف ٦٥٩/٢ وقال : أخرجه الثعلبي ، قال : وفي سنده كذّاب .

(4) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .

(5) أخرجه أبو داود ٨٠١/٣ كتاب البيوع والإجارات ، باب في الرجل يأكل من مال ولده ، وابن ماجة برقم ٢٢٩١ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٢٣٠/٢ ، وأحمد في مسنده ٢١٤/٢ ، وهو صحيح ، انظر ارواء الغليل ٣٢٣/٣ .

(6) النهاية في غريب الحديث ٣١١/١ .

قوله ((ولو طلقة [1])) النهاية [2] [و في حديث ابن عمر أن رجلا حجّ بأمّه فحملها على عاتقه فسأله هل قضى حقها ؟ قال : لا ، و لا طلقة واحدا . الطلقة وَجَعُ الولادة . و الطلقة المرة الواحدة] .

قوله ((لا تذعر [3])) الذعر الفزع .

قوله ((و لو زفرة واحدة)) الأساس [4] على ظهره زِفْر من الأزفار حِمْل ثقيل يزفر منه وقد زَفِره يَزفِره حمله .

قوله ((إن من أبَرِّ البِرّ الحديث [5] من رواية مسلم و الترمذي و ابي داود عن ابن عمر ، و قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أبرّ البرّ صلة الرجل أهل وِدّ أبيه بعد أن تَوَلّيَ) .

---

(1) يشير إلى قول (ز) أن النبي صلى الله عليه وسلم شكا إليه رجل سوء خلق أمّه ، فقال : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين ؟ قال : إنها سيئة الخلق . قال : لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها و أظمأت نهارها ؟ قال : لقد جازيتها . قال : ما فعلت ؟ قال : حججت بها على عا تقي . قال : ما جزيتها ((و لو طلقة)) . لم أقف على من خرجه . و هكذا قال الحا فظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٦٥٨/٢ .

(2) النهاية في غريب الحديث ١٣٥/٣-١٣٦ .

(3) قول (ز) ((لا تذعر)) يشير إلى قول عبد الله بن عمر أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمّه ، ويقول :

** إنّي لها مَطِيَّة ((لا تُذْعَرُ)) ** إذا الرّكابُ نَفَرَتْ لا تنفر **
** ما حَمَلَتْ و أرضَعَتْني أكثر ** الله ربّي ذو الجلال الأكبر **

تظنّي جازيتها يا ابن عمر ، قال : لا و لو زفرة واحدة . قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف قال : أخرجه ابن المبارك في البرّ و الصلة ، و البيهقي في الشعب و البخاري في الأدب المفرد ٦٢/١ باب جزاء الوالدبن .

(4) أساس البلاغة للزمخشري ٢٧١ مادة (زفر) .

(5) أخرجه مسلم ١٩٧٩/٤ كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب فضل صلة أصدقاء الأب و شرح السنة للبغوي ٣٣/١٣ باب بر أم الرضاع . و أبو داود ٣٥٣/٥ كتاب الأدب , باب في برّ الوالدين رقم٥١٤٣ . و الترمذي ٢٧٦/٤ كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد رقم ١٩٠٣ . و أحمد في مسنده ، ٨٨/٢ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١١١ .

قوله ((من قصد البِرَّ)) [1] بيان لما في ضما ئركم ، وإنما خصه ببرّ الوالدين ، وهو عامّ لما سبق من التوصية بهما . وفصل قوله : ﴿ ربّكم أعلم ﴾ عما [قبله للاستيناف [2] على سبيل التعليل ، أى أحسنوا إليهما ، لأن ربّكم أعلم بما في نفوسكم] من قصد البرّ فلا تقصروا فيه ، وأبذلوا جهدكم وطاقتكم ، فإنه يجازيكم على إحسانكم ، ثم اتّجه لهم أن يقولوا : نحن بشر ربّما تفرط [3] منا فرطات وسبق هنات من غير اختيار منّا في بعض الأوقات ، فكيف يكون حالنا ؟ ، فقيل (إن تكونوا صالحين) أى قاصدين الصلاح فإن ا لله غفوربكم . ولما كان قوله : ﴿ إنه كان للأوابين غفورا ﴾ جزاء لقوله ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ ولم يستقم بظاهره أن يكون مسبباعنه ، لأن الغفران يستدعى [4] الذنب لاجرم قدرما يقتضيه المقام من قوله : ((ثم فرَطت [5] منكم)) إلى قوله ((ثم تبتم إلى ا لله واستغفرتم منها)) .

قوله ((هَنَةً)) الجوهري [6] [في فلان هَنَات أى خصلات شرّولا يقال ذلك في الخير] .

قوله ((هي البادرة)) [7] الجوهري [8] [هي الحدَّة] الراغب [9] [يعبّر عن

---

(1) تفسير قوله تعالى ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا ﴾ الإسراء الآية ٢٥ ، قال (ز) في تفسير قوله ﴿ بما في نفوسكم ﴾ أى بما في ضما ئركم ((من قصد البر)) إلى الوالدين

(2) ما بين القوسين س من ب

(3) (تفرط) الجوهرى ٣/ ١١٤٨ فرط في الأمر يفرط فرطاً أى قصّر فيه ، وفَرط عليه أى عجل وعدا

(4) (يستدعى عن الذنب) ب

(5) يقول (ز) فى تفسير قوله تعالى ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ أى قاصدين الصلاح والبرّ ((ثم فرطت منكم فى حال الغضب ، و عند حرج الصدر ، وما لا يخلو منه البشر ، أو لَحَمِيةِ الإسلام هَنَةً تؤدى إلى أذاهم ((ثم أنبتم إلى ا لله واستغفرتم منها ، فإن ا لله غفوررحيم))

(6) الجوهرى فى صحاحه ٢٥٣٧/٦ ، مادة (هنو)

(7) تفسير (ز) لقوله ﴿للأوابين ﴾ أى للتوابين . وعن سعيد بن جبير ((هى فى البادرة)) تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير .

(8) الجوهرى فى صحاحه ٢/ ٥٨٧ ، مادة (بدر) .

(9) الراغب فى مفرداته ٣٨ ، مادة (بدر) .

الخطأ الذى يقع عن حِدّة بادرةٍ ، يقال : كانت من فلان بوادر فى هذا الأمر] .

قوله ((للأوّابين)) التّوابين ، الراغب (١) : [الأوب ضرب من الرجوع ولا يقال إلا فى الحيوان الذى له إرادة و الرجوع عام ، والأواب كالتواب وهو الراجع إلى ا لله تعالى من المعاصي و فعل الطاعات ، ومنه قيل : للتوبة أوبةً] .

قوله ((كلّما أذنب)) (٢) صفة للرجل لإرادة الحقيقة منه .

قوله ((ويجوز أن يكون هذا عاما)) عطف على قوله ((فرطت أى فرطت هَنَة تؤدى إلى أذاهما)) وفرّت بقوله ((هى البادرة)) تكون من الرجل إلى أبيه .

قوله ((وصّى بغير (٣) الوالدين)) الأساس (٤) [و صّيتك بفلان أن تبرّه ، ووصّى الشئ بالشيءوصله له] .

قوله ((وحقّهم إذا كانوا محارم كا لأبوين)) بعد قوله وصّى بغير الوالدين من الأقارب يوهم التناقض ، وكذلك قوله ((وإن كانوا مياسير فحقّهم صلتهم بالمودّة مخالف لقوله ((وهذادليل على أن المراد بمايؤتي ذوي القربى من الحقّ هو تعهدهم بالمال)) ويمكن أن يقال إن ذا القربى مطلق شائع فيمن يوجد فيه معنى القرابة من الوالدين والولد و غيرهم ، فقّيد بغير الوالدين ، بعطف هذه التوصية على التوصية بالوالدين ، وهوالمراد بقوله ((وصّى بغير الوالدين)) بعد التوصية بهما . وأما قوله ((وأن تؤتوا حقهم)) فعطف على مجموع قوله بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما [وأما قوله ((وحقهم)) (٥) فالضمير فيه راجع إلى الأبوين وبذي القربى، ولذلك حقه مطلق شائع] فيما يجب فيه مراعاة حق الأقرباء من النفقة ،

---

(١) الراغب في مفرداته ٣٠ ، مادة (أوب)

(٢) قال (ز) : وعن سعيد بن المسيب : الأوّاب الرجل ((كلّما أذنب)) بادر بالتوبة .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل و لاتبذّر تبذيرا إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين و كان الشيطان لربه كفورا ﴾ ٢٧/٢٦ ، قال (ز) في قوله تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقّه ﴾ ((وصّى بغير الوالدين)) من الأقارب .

(٤) الأساس للزمخشري ٦٧٩ ، مادة (وصّى) .

(٥) ما بين القوسين س من أ ، م .

والزكاة والمودّة وحسن المعاشرة ، فيقيّد أيضاً بالزّكاة لعطف ﴿ و المسكين وابن السبيل ﴾ على ذي القربى ، وهو الذى عنى بقوله ((وآت هؤلاء حقّهم من الزكاة وهذا دليل)) إلى آخره قال الإمام (١) : [آت ذا القربى مجمل و ليس فيه أن ذلك الحقّ ما هو ؟] . و عند الشافعي (٢) رضي الله عنه لا يجب الإنفاق إلا على الوالد والولد بقدر الحاجة ، واتّفقوا على أن من لم يكن من المحارم كأبناء العمّ ، لا حقّ لهم إلا المودّة وحسن المعاشرة . وأما المسكين و ابن السبيل فقد تقدم حكمها في سورة التوبة وقلت : ويمكن أن يترك ذا القربى وحقّه على إطلاقهما ويحمل ﴿ وآت ﴾ على عموم المجاز لتكون الآية من الجوامع ، فيدخل فيه الإنفاق على الوالدين و برّهما فيها دخولاً أوّلياً والله أعلم .

---

(١) الإمام الفخر الرازي ٢٠ /١٩٣ .

(٢) ذهب الشافعي رحمه الله إلى أن النفقة لا تجب إلا على الوالدين والأولاد إذ كان المنفوق عليه منهما معسراً ، أما من كان موسراً منهما فلا تجب النفقة له ، بشرط أن يكون فاضلا عن نفقته ، ونفقة زوجه وولده بالنسبة للولد ، ولا يشترط الإسلام في كل منها . ولا العجز عن الكسب . والحنابلة مثل الشافعية ، إلا أنهم يشترطون أن يكون المنفق وارثا للمنفق بفرض أو تعصيب إن كانا من غير عمود النسب . أما عمود النسب فإنها تجب ولو لم يرث . والمالكية مثل الشافعية ، إلا أنهم يشترطون الحرية وعدم القدرة على الكسب والولد لايجبر على الكسب للانفاق على الوالدين . وكذلك الآباء . والحنفية قالوا : نفقة الآباء واجبة على أبنائهم وإن علوا ، بشرط الإعسار ، ولا يلزم الأب بالتكسب ، كما يلزم الابن ، وتقدم الأمّ في حال عجز الابن عن الأبوين . انظر كتاب المذاهب الأربعة ٤/ ٥٩١ ، ٥٩٢ . والمغني لابن قدامة ١١ / ٣٧٢ ، ٣٧٧ . وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢/ ٥٢٢ ، ٥٢٣ .

قوله ((و فقراء عاجزين)) عطف على محارم ، و أن ينفق عليهم خبر حقّهم.

قوله ((و إن كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم فحقّهم الجملة معطوفة على قوله و حقّهم إذا كانوا محارم إلى آخره .

قوله ((أراد بذى القربي أقرباء الرسول صلى ا لله عليه وسلم)) قال الإمام (١) : [و آت خطاب مع من فيه قولان : أحدهما أنه خطاب للرسول صلى ا لله عليه وسلم فأُمِرَ أن يؤتى أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء (٢) و الغنيمة ، وأوجب عليه أيضاً إخراج حقّ المساكين و أبناء السبيل من هذين المالين . و ثانيهما : أنه خطاب للكلّ لدلالة عطفه على قوله ﴿ و قضى ربّك ألا تعبدوا ﴾.

قوله ((التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي (٣))) الراغب (٤) [و أصله إلقاء البذر و طرحه فاستعير لكل مضيع لماله ، فتبذير البذر تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه قال تعالى ﴿ لا تبذّر تبذيرا ﴾] .

قوله ((مرّ رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم بسعد و هو يتوضأ (٥) الحديث مخرّج في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عمر رضي ا لله عنهم .

قوله ((أمثالهم في الشّرارة ، يريد أن (إخوان) في قوله ﴿ إخوان الشياطين ﴾ إمّا محمول على (معنى (٦)) التشبيه ، كما جاء في الحديث كأخي

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ١٩٣/٢٠ .

(٢) (الفيء)ما رده ا لله تعالى على المسلمين من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال ، إما بالجلاء أو بالمصالحة ، قال تعالى ﴿ و ما أفاء ا لله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب ﴾ الآية ٦ من سورة الحشر . وقيل للغنيمة التي لا تلحق فيها مشقة فيء . الراغب ٣٨٩ و التعريفات للجرجاني ١٧٠ .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ قال (ز) : التبذير تفريق المال إلخ .. على وجه الإسراف .

(٤) الراغب في مفرداته ٤٠ مادة (بذر) .

(٥) و تمامه (فقال : ما هذا السرف يا سعد ؟ قال : أوفي الوضوء إسراف ؟ قال : نعم ، و إن كنت على نهر جار) و يعني بسعد سعد بن أبي وقاص رضي ا لله عنه . أخرجه أحمد في سنده ، ٢٢١/٢ , ابن ماجه برقم ٤٢٥ و إرواء الغليل ١٧١/١ و تلخيص الحبير لابن حجر ١٠١/١ و قال ضعيف في إسناده ابن لهيعة و انظر تخريج أحاديث الكشاف ٦٦١/٢ لابن حجر . و الزيلعي أيضا ٢٦٩/٢ .

(٦) (معنى) س من ب .

السرار [1] أي كمثله ، و هو المراد من قوله ((أمثالهم [2])) و لما كان هذا التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل قال : لأنه شرّ من الشياطين ، و إما مجاز كما في الأساس[3] [بين السماحة و الشجاعة تآخٍ و لَقِيته بأخي الشَّرِّ أي بِخَيْرٍ] فهو بمعنى الصديق ، و ذلك في الدنيا ، لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم . أو بمعنى القرين ، وذلك في النار و هذا وارد على الوعيد و التهديد و الوجهان على الذمّ و التّقبيح .

قوله ((لأنه لا شرّ من الشيطان)) عن بعضهم الأولى لا شرّاً لأن من صلة شرّاً فيكون مشابهاً للمضاف ، نحو لا خيراً من زيد عندنا .

قوله ((فما ينبغي ان يطاع)) يعني قوله (و كان الشيطان لربه كفورا) تذييل للكلام و لذلك أجراه مجرى التعليل .

قوله ((أي ابتغ رحمة ا لله [4])) فسر المفعول له بالأمر ليؤذن بأنه داخل في خير الجزاء ، عطف على (قُل) من حيث المعنى ، فيكون مأموراً بإنشاء القول اللين و إنشاء طلب الرحمة .

قوله ((ويجوز أن يكون معنى ﴿ وإما تعرضنّ عنهم ﴾ وإن لم تنفعهم)) عطف على ((وإن أعرضت عن ذي القربى والمساكين وابن السبيل حياءً من الردّ)) ، وقوله ((((كناية بالإعراض عن ذلك)) خبر ((أن يكون)) والإعراض عن الأوّل مجرى على صراحته لقوله ((أعرَضَ عن السائل وسَكَتَ حياءً)) ، ثم

---

(١) السرار بكر السين المساررة ، أي كصاحب السرار ، يعني المساررة بخفض الصوت النهاية ٣٦٠/٢ ، و هذا الأثر أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ، الحجرات ٤٦٢/٢ و سكت عنه الذهبي، و ذكره الواحدي في أسباب النزول ٢١٩ و ابن كثير ٣٦٤/٧ و سببه أنه لما نزل قوله تعالى في سورة الحجرات الآية ٢ ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول ﴾ الآية، قال أبو بكر رضي ا لله عنه : (و ا لله لا أكلم رسول ا لله صلى ا لله عليه و سلم (إلا كأخي السرار) .

(٢) ((أمثالهم)) يعني أمثال الشياطين .

(٣) الأساس للزمخشري ١٣ مادة (أخو) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ و إمّا تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربّك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ﴾ الإسراء الآية ٢٨ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ ابتغاء رحمة من ربك ﴾ أي ((ابتغ رحمة ا لله)) التي ترجوها برحمتك عليهم .

قوله ((ابتغاء)) على الأول : إما أن يتعلق بقوله ﴿ فقل لهم قولا ميسوراً ﴾ ، والإضافة إلى المفعول لقوله ((ابتغ رحمة الله)) ، وإما أن يتعلق بالإعراض ، وعلى أن يكون كناية يختصّ تعلّقه بالشرط ، ويكون الابتغاء موضوعاً موضع عدم الاستطاعة وضعاً للمسبّب موضع السّبب .

قوله ((خصاصتهم (١))) ، الأساس (٢) : [أصابته خصاصة خِلّة ((واختصّ الرجل ، اختَلّ ، أي افتقر ، وسدَدْتُ خصاصة فلان ، جبرت فقره] .

قوله ((ولا يريد الإعراض)) بالنصب عطف على ((أن يكون)) .

قوله ((فهو مفعول))، أي ميسوراً ، والمعنى قل لهم قولا ليّناً ، وعِدْهم وَعْداً جميلاً . ويجوز أن يراد بالقول الميسور الدعاء لهم باليسر ، أي يذكر فيه معنى اليسر وما أشبهه مثل : أغناكم الله (٣) ورزقنا الله وإياكم ، فعلى هذا يكون مصدراً ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ قولا ميسوراً ﴾ ، وهو اليسير .

قوله ((تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف (٤))) مثل حال من يمنع لشحّه بحال من يَدَهُ مَغْلولَة إلى عُنُقِه ، فلا يقدر على شيء من التصرّف ، وحال من يسرف بحال من بسط كفّه كلّ البسط فلا يثبت شيء في كفّه ، ثم استعمل ألفاظ الممثَّل به في الممثّل .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وإما تعرضنّ عنهم ﴾ قال (ز) : وإن لم تنفعهم ولم ترفع ((خصاصتهم)) لعدم الاستطاعة ((ولا يريد الاعراض)) .

(٢) أساس البلاغة للزمخشري ١٦٤ ، قال : ومن المجاز أصلبته خصاصة إلخ ، مادة (خصص) .

(٣) قال تعالى في سورة البقرة الآية ٢٦٣ ﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ الآية ، وقد أحسن من قال :

** إلاّ تكن وَرِقٌ يوما أجود بها ** للسائلين فإني ليّن العود **
** لا يعدم السائلون الخير من خُلُقي ** إمّا نَوَالي وإما حُسْنُ مردودي **

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً ﴾ ، قال (ز) : ((هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف)) وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير.

قوله ((وعند نفسك إذا احتجت (١))) ، معطوف على قوله ((عند الله))، أي هو ملوم عند الله لأنه غير راض عنه ، وملوم عند الناس ، الفقير يلومه ويقول : أعطى فلاناً وحرمني ، والغنيّ يقول : ما تحسن تدبير المعيشة ، وملوم عند نفسه إذا احتاج ندم على ما فعل ، والحاصل ، أن ﴿ ملوما ﴾ قطع عن متعلّقه ليُعلم التقدير ، الراغب (٢) : [اللّوم عذل (٣) الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم ، قال تعالى : ﴿ فإنهم غير ملومين ﴾ (٤) ، فإنه ذكر اللوم تنبيهاً على أنه إذا لم يلاموا لم يفعل بهم ما فوق اللوم ، ورجل لُومَةٌ : يلوم الناس ، ولُوَمَة : يلومه الناس ، واللائمة : الأمر يلام عليه الإنسان] .

(قوله (٥)) ((منقطعاً بك (٦))) انقطع بالمسافر على بناء المفعول إذا اعُطِبَتْ دابّته أو نفذ زاده ، [فانقطع به السفر دون طِيَّتِه (٧) ، فهو منقطع به] مثله في الأساس (٨) .

قوله ((وحسره)) ، الجوهري (٩) : [حَسَرَ البعير يَحْسُرُ حسوراً : أعيا ، وحسَرْتُه أنا حَسْراً ، يتعدّى ولا يتعدّى] .

قوله ((إنه أبلغ منه)) يقال : بلغ منه المرض ، أي أثّر تأثيراً ثانياً .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ فتقعد ملوما ﴾ ، قال (ز) : فتصير ملوما عند الله وعند الناس ، لأن الاسراف مذموم ((وعند نفسك إذا احتجت)) فندمت على ما فعلت .

(٢) الراغب في مفرداته ٤٥٦ ، مادة (لوم) .

(٣) (العذل) الملامة ، وقد عذلتُه ، من باب نَصَر ، والاسم العَذَلُ ، بالتحريك . الصحاح للجوهري ١٧٦٢/٥ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٦ .

(٥) (قوله) س من النسختين أ ، ب ، وهو خطأ فيهما .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ محسوراً ﴾ ، قال (ز) : ((منقطعاً بك)) لا شيء عندك ((من حسره)) الفراء ((إذا بلغ منه وحسره بالمسألة)) .

(٧) (الطية) بالكسر ، قطع المسافة . القاموس ٣٥٨/٤ ، مادة (طوى) .

(٨) الأساس ٥١٤ ، للزمخشري ، أعني ما بين المعكوفين موجود فيه .

(٩) الجوهري ٦٢٩/٢ ، مادة (حسر) .

قوله ((من ساعة إلى ساعة (١))) قيل من متعلق بمحذوف أي أخرّ سؤالك من ساعة ليس لنا فيها درع إلى ساعة يظهر لنا درع . و درع المرأة قميصها ، و يمكن أن يتعلّق بقوله : يظهر قلت : يمكن أن يقال : إنه لّما طلب الدرع قال صلى ا لله عليه وسلم : مطلوبك لا يحضرنا الآن ،لكن نترّقبه و نرجو حصوله و ظهوره من ساعة (إلى ساعة) (٢) و ينطبق على هذا معنى قوله تعالى ﴿ و إمّا تعرضنّ عنهم إبتغاء رحمة من ربّك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ﴾ و بهذا اقتدى الفضل حين أجاب عن سؤال السائل أكره أن أقول : نعم (٣) ، فأكون ضامنا ، أولا (٤) فأكون مؤيسا ، ولكن ننظر فيسهّل ا لله .

قوله ((وقيل أعطى الأقوع بن حابس)) الحديث من رواية مسلم عن رافع بن خديج قال : أعطى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب يوم حنين (٥) و صفوان بن أمية و عيينه بن حصن و الأقرع بن حابس وعلقمة بن علامة كل إنسان منهم مائة من الإبل . و أعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس الأبيات الثلاثة المذكورة (٦) . و فيه فما كان بدر ((ولا حابس)) و من تخفض

---

(١) يشير إلى حديث جابر رضي ا لله عنه قال : بينا رسول ا لله صلى ا لله عليه و سلم جالس أتاه صبي فقال : إن أمّي تستكسيك دِرْعاً ((فقال : من ساعة إلى ساعة)) يظهر فعد إلينا إلخ ... و هذا الحديث لم أقف عليه .

(٢) ما بين القوسين س من (١) و الصواب ما في ب لظهور المعنى .

(٣) لم أقف على هذا الكلام الجميل و لا على قا ئله .

(٤) أولا يعني أقول : لا .

(٥) حنين تصغير حِنّ ، و ادمن أودية مكة المكرمة يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلا و يسمى اليوم وادي الشرائع ، و أعلاه الصدر ، يعني صدر حنين ، و ماؤه يصب في المغمس ، فيذهب في سيل وادي عُرَنَه، و إذا كنت خارجا من مكة إلى الطائف على طريق اليمانية لقيت الشرائع ، و هي عين و قرية نسب الوادي إليها ، و قد أجرت زبيدة عينها إلى مكة . ثم انقطعت . انظر معجم المعالم للجغرافية ١٠٧ .

(٦)
** أتجعل نهبي و نهب العبيد ** بين عيينة و الأقرع **
** وما كان حصن و لا حابس ** يفوقان جدّى في مجمع **
** وما كنت دون امرىء منهما ** و من تخضع اليوم لا يرفع ** .

اليوم بـدل تضـع قـال فأتـمّ له رسول ا لله صلى ا لله عليـه وسلم مائة . وروايـــة ابـن عبدالبر (١) [قـال رسـول ا لله صلـى ا لله عليـه وسـلم (اذهبـوا فـاقطعوا عـني لسـانه فأعطوه حتى رضي] النهاية (٢) [العبيد بضم العـين و فتـح البـاء الموحـدة اسـم فـرس العباس بن مرداس السّلمي .] و معنـى اقطعـوا عـني لسـانه : أعطـوه حتـى يسـكت فَكَنىّ بالقطع عن السكوت (٣) ، و منه أتاه رجـل فقـال : إنـي شـاعر فقـال يـا بـلال (اقطع لسانه)(٤) فأعطاه أربعين درهماً . قال الخطابي (٥) : [يشبه أن يكون هذا ممن له مال في بيت المال ، كابن السبيل وغيره ، فتعرض له بالشعر فأعطاه لحقّه أو لحاجته لا لشعره] .

---

(١) ابن عبد البر في الاستيعاب مع الإصابة ١٠١/٣ في ترجمة العباس بن مرداس مـن روايـة رافـع بـن خديج رضي ا لله عنهم . و برواية :

** فما كان حصن ولا حابس ** يفوقان مرداس في مجمع ** .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٨٣/٤ مادة (قطع) و مسلم في صحيحه ٧٣٧/٢ برقم ١٠٦٠ .

(٣) ومنه أي الكناية بالقطع عن الإعطاء ، قوله صلى ا لله عليه وسلم لبلال ، المرجع السابق .

(٤) رواه البيهقي في سننه الكبرى ، ٢٤١/١٠ . وانظر كشف الخفاء ١٨٢/١ .

(٥) الخطابي الإمام العالم المحدّث حمـد بـن محمـد بـن إبراهيم بـن خطـاب البسـتي الخطـابي ، صـاحب التصانيف، من ولد زيد بن الخطاب ، ووهم من سماه أحمد ، كما قال الذهبي . ولد سنة بضـع عشـرة وثـلاث مائة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧ ، ومعجم البلدان ٤١٥/١ ، ووفيات الأعيان ٢١٤/٢ .

قوله ((يرهقه من الإضافة [1])) أي يغشاه ، النهاية [2] : [أرهقني فلان إثماً حتى رَهِقْتُه ، أي حمّلني إثماً حتى حمّلته له] ، جعل قوله ﴿ إن ربّك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ تعليلا لقوله ﴿ وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها ﴾ يعني : إن أعرضت عن العفاة لفقد رزق من ربك ترجوا أن يفتح لك ﴿ فقل لهم قولا ميسوراً ﴾ ولا تهتم بذلك ، فإن ذلك ليس لهوان منك عليه ، ولكن بيد ا لله مقاليد الرزق ، وهو يقبض ويبسط كيف يشاء ، وحكمته تابعة لمشيئته ، لا بالعكس كما قال ، ففوّض الأمر إليه ، فيكون قوله ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط ﴾ معترضة تأكيد المعنى ما يقتضيه حكمة ا لله من القبض والبسط ، وأمراً بالتأسّي بسنّة ا لله ، كما هو في الوجه الثالث ، وهو أن يراد بالنهي عن البسط والقبض الأمر بالاقتصاد ، وعلى الوجهين الآخرين ، تعليل للأمر بالاقتصاد ، وعلى الوجه الثاني التعليل مخالف لما ينبغي أن يفعله العبد ، يعني البسط المفرط والقبض المفرط مختصّ با لله . فاقتصد أنت واترك ماهو مختصّ با لله تعالى ، وعلى الثالث موافق له ، يعني أنكم إذا تحقّقتم فيما بسط ا لله وقبض وأمعنتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا ، فاقتصدوا واستنّوا بسنّته .

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ﴾ الإسراء الآية ٣٠ ، قال (ز) : ثم سلّى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عما كان ((يرهقه من الإضافة)) بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ، ولا لبخل به عليك ، ولكن لأن مشيئته في بسط الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة .

(٢) النهاية ٢/٢٨٣ ، مادة (رهق) .

قوله : ((﴿ وخِطاءً ﴾[1] بالكسر والمد))[2] قال أبو علي[3] : (قرأها ابن كثير) ويحتمل أن يكون مصدر ﴿ خاطاء ﴾ وإن لم يسمع . قال أبو عبيد[4] : (هو من قولهم)[5] [6] :

** تخاطأت النبل أحشاءه **

يدل على خاطأ، لأن تفاعل مطاوع فاعل (وقرأ ابن عامر : ﴿ خَطَأً ﴾ بفتح الخاء والطاء من غير مد)[7] وقرأ الباقون : ﴿ خِطْأً ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء وقصرها.

قوله : ((أن تَغْصِب على غيرك أمْرَ أته))[8] الأساس[9] : [غُصِب على عقله، واغْتُصِبَتْ فلانة نفسها جُومِعَت مقْهُورة].

قوله : ((إلا بأحدى ثلاث)) يريد الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)[1] إلا بإحدى ثلاث :

---

(١) قرأ أبو جعفر وابن عامر عن طريق ابن ذكوان وهشام في رواية : ﴿ إن قتلهم كان خَطأً كبيراً ﴾ بفتح الخاء والطاء غير ممدود. وقرأ ابن كثير وابن محيصن ﴿ خِطَاءً ﴾ بكسر الخاء وفتح الطاء ممدوداً مصدر (خاطأ) يخاطئ خِطاءً) يخاطئ خِطاءً، كقاتل يقاتل قتالاً. وقرأ الباقون : ﴿ خِطْئاً ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء، من غير مد، مصدر (خَطِئ) خَطَأً، إذا لم يتعمّد، كأثم إثما . الإتحاف ٢٨٣ والمبسوط ٢٢٨ والنشر ٣٠٧/٢.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٣١.

(٣) أبو علي الحسين بن أحمد بن عبد القادر الفارسي . انظر الحجة لأبي علي ٩٦/٥.

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي بالولاء الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث، والأدب والفقة، من أهل هراة، تولى القضاء بطرطوس ثماني عشرة سنة، مات ٢٢٤ هـ له مصنفات كثيرة . انظر تذكرة الحفاظ ٥/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٨ وابن خلكان ٤١٨/١ وكتابه مجازات القرآن ٣٧٦/١.

(٥) (هو من قولهم) س من أ، والصواب ما في غيره، كما هو في الحجة ٩٦/٥.

(٦) يشير إلى قول أوفي بن مطر المازني كما في الصحاح للجوهري ٤٨/١ مادة (خطأ) والحجة ٩٦/٥:

** تخاطأت النبل أحشاءه ** وأخّر يَومي فلم يُعْجَل **

(٧) ما بين القوسين س من ب، والصواب ما في أ.

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾ الإسراء الآية ٣٢. قال (ز) في قوله تعالى : ﴿ وساء سبيلاً ﴾ وبئس طريقاً طريقه ((وهو أن تغصب على غيرك أمرأته)) أو أخته أو بنته من غير سبب.

(٩) أساس البلاغة ٤٥١ مادة (غصب).

النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة) أخرجه الشيخان والترمذي وأبو داود والنسائي[2] .

قوله : ((حتى قال مهلهل[3] حين قتل بجير بن الحارث[4] قصته سبقت في البقرة عند قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾[5] مستقصى.

قوله : ((بؤبشِسْع)) الأساس[6] : [باء فلان بفلان : صار كفؤاً له، وأبأْتُ فلاناً بفلان قتله به] يعني : قُم مقام شسعه[7] فإنك لست كفؤاً له]

قوله : ((** كل قتيل في كليب غرة **[8]

الغرّة من يفدي به في قتل الجنين عبداً كأن أو أمة، المعنى : كلّ قتيل يقتل فداء لكليب كلا فداء لأنه لا يساويه.

(1) ما بين القوسين س من ب والصواب ما في غيره .

(2) أخرجه البخاري مع الفتح ١٢/٢٠١ كتاب الديات، باب قوله تعالى : ﴿ أن النفس بالنفس ﴾ . ومسلم ٣/١٣٠٢ كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم. وأبو داود برقم ٤٣٥٢ . والنسائي ٢/١٦٥ . والترمذي ٤/١٢ رقم (١٤٠٢).

(3) مهلهل امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر، وقيل : اسمه عدى، وسمي مهلهلاً، لأنه أول من هلهل الشعر أي أرقّة، يقال : أول من قصّد القصيد وهو خال امرئ القيس بن حجر، وأخو كليب الذي هاج بمقتله حرب البسوس بين بكر وتغلب بن وائل المعروفة . خزانة الآدب ٨/١٦٢ والعقد الفريد ٥/٤٧٨.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ... الآية ﴾ الإسراء .

(5) البقرة الآية ١٧٩.

(6) الأساس ٥٣ مادة (بَوَأَ).

(7) (الشسع) السير الذي يصلح به النعل، يقال : شسع النعل جعل لها شسوعاً. الأساس ٣٢٩.

(8) ** كل قتيل في كليب غُرّه ** حتّى ينال القتلُ آل مُرّه **

قوله : ((﴿ فلا يسرفُ ﴾ بالرفع)) قال ابن جني[1] : [رفع هذا على لفظ الخبر، بمعنى الأمر كقولهم : يرحم ا لله زيداً] ويجوز أن يكون معناه دون الأمر، أي : ينبغي أن لا يسرف، وعليه قوله[2] :

** على الحَكَمِ المأْتيِّ يوماً إذا قضى ** قضيته ألا يجور ويقصد **

فرفعه على الأستئناف، ومعناه أن يقصد.

قوله : ((و عن مجاهد[3] أن الضمير للقائل الأول ، عطف على قوله الضمير للوليّ المعنى : لا يسرف القاتل في القتل بأن يقتل من لا يحق قتله فيُقتلُ، فيكون قد أسرف في القتل، حيث كان سببا لهلاك نفسه، وهلاك غيره، وفي الارتداع سلامة نفسه وسلامة نفس الغير، ففيه لمحة من معنى قوله تعالى : ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وعلى هذا الضمير في قوله : ﴿ إنه كان منصوراً ﴾ للمقتول، أي : لا يسرف القاتل المبتدئ، لأن من قُتِل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتص له، وليه أو السلطان.

قوله : ((وقرئ : ﴿ فلا تسرف ﴾[4] على خطاب الولي حمزة والكسائي والباقون بالياء.

قوله : ((﴿ إن العهد كان مسئولاً ﴾[5] أي مطلوباً، يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به)) الانتصاف[6] : [هذا التأويل أرجح، ويحذف الجار والمجرور الذي هو

---

(١) المحتسب لابن جني ٢/٢٠.

(٢) البيت لأبي اللحام التغلبي شاعر جاهلي، واسمه حريث . الكتاب لسيبويه ٤٣١/١ والخزانة ٦١٣/٣.

(٣) مجاهد بن جبر المكي المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، أحد الأعلام، ولد سنة إحدى وعشرين، ومات وهو ساجد بمكة سنة أربع ومائة . تهذيب التهذيب ٤٢/١٠.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ تسرف ﴾ بالتاء على الخطاب للإنسان أو القائل ابتداء بالقتل العدوان، أو القاتل استيفاء، أو ولي القتل بعد أخذ الدية، أو بقتل غير القاتل كعادة الجاهلية، والباقون : ﴿ يسرف ﴾ بالياء على الغيبة، حملاً على الإنسان إو الولي . الإتحاف ٢٨٣ والمبسوط ٢٢٨.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتّى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا ﴾ الإسراء الآية ٣٤. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ إن العهد كان مسؤلا ﴾ : ((أي مطلوباً ... الخ)).

(٦) الانتصاف مع الكشاف ٦٦٥/٢.

(عنه) تخفيفاً كما جاء في قوله : ﴿ كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ ويعضّد سؤال العهد على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤالها عمّن وصلها وقطعها في الحديث الصحيح[1] ، وقلت : الثاني أبلغ عند أرباب البلاغة وفرسان الطراد، وكان ترك (عنه) هنا دون الآية المستشهد به دليلا عليه والحديث المذكور، وسؤال الموءودة[2] معاضدين له.

قوله : ((ويجوز أن يراد على تقدير السؤال على التبكيت، بأن يقال : لم نكث العهد ؟ فعلى الأول ليس في الكلام توبيخ، وعلى الثاني : توبيخ على سبيل التعريض. وعلى الثالث : توبيخ على التصريح.

قوله : ((وقرئ : ﴿ بالقسطاس ﴾[3] حفص وحمزة والكسائي[4] بالقسطاس هنا وفي الشعراء بكسر القاف . والباقون بضمها. الراغب[5] : [القسطاس يعبّر به عن العدالة، كما يعبّر بالميزان عنها قال تعالى : ﴿ وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴾[6]].

قوله : ((القافة))[7] النهاية[8] : [القائف الذي يتتبع الآثار ويعرف شَبَه الرجل بأخيه أو أبيه، والجمع القافة].

---

(١) يعني حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال : نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟. قالت : بلى ... الخ) البخاري مع الفتح ٣٤٩/١٠، ٣٩٢/١٣. ومسلم برقم ٢٥٥٤.

(٢) يشير إلى قوله تعالى في سورة التكوير الآية ٨ : ﴿ وإذا الموءودة سئلت . باي ذنب قتلت ﴾.

(٣) قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف بكسر القاف هنا وفي الشعراء، وكذا الأعمش، والباقون بالضم، وهما لغتان، الضم لغة الحجاز، والكسر لغة غيرهم . الإتحاف ٢٨٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ الآية ٣٥.

(٥) الراغب في مفرداته ٤٠٣ مادة (قسط).

(٦) سورة الإسراء الآية ٣٥.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ الآية ٣٦. قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولا تقف ﴾ أي : ولا تتبع، وقرئ : ﴿ ولا تقف ﴾، يقال : قفا أثره وقافه، ومنه ((القافة)).

(٨) النهاية في غريب الحديث ٩٤/٤ مادة (قفا).

قوله : ((شَبيةٌ بالعَضِيهية)) الجوهري[1] : [هي البَهِيتَةُ، وهي الإفك والبهتان].

قوله : ((رَدْغَةُ الخَبَال)) الحديث من رواية أبي داود عن يحي بن راشد (من قال في مؤمن ماليس فيه أسكنه ا لله رَدْغَةَ الخبال، حتى يخرج مما قال)[2] النهاية[3] : [ومنه حديث حسان بن عطية : (من قفا مؤمناً بما ليس فيه وقفه ا لله في ردغة الخبال)[4] جاء في تفسيرها إنها عصارة أهل النار، والرَّدْغَةُ بسكون الدال وفتحها : طين ووحل كثير، وفي الحديث : إن الخبال عصارة أهل النار، وهو في الأصل الفساد، وقوله : ((حتى يخرج مما قال)) أي : يخرج من عهدة قوله، يريد وا لله أعلم : أنه يحمل عليه من ذنوب المغتاب فيعذب في النار على مقداره، ثم يخرج منها.

قوله : ((ومثل الدُّمى))[5] البيت . الدمى جمع دِمْيَة، وهي : الصُّنُمُ والصورة المنقوشة، والشّمم ارتفاع الأنف، وشُمّ العرانين كناية عن التكبر لا يُشْعِنَ، أي : لا يظهرن التَّقَافِيا، أي : التقاذف، الأساس[6] : [يقال : ومالك تقفو صاحبك؟، أي : تقفه وإيّاك والقفو، وما هجا فلانٌ ولا قفا] يصف جماعة من النساء بالجمال والتكبر والحياء، وصون لسانهن عن القذف، مثله قول حسان في أم المؤمنين عائشة رضي ا لله عنها :

** حصان رزان ما تُزَنّ بريبة ** وتصبح غرثى من لحوم الغوافل **

قوله : ((ولا أرْمي))[7] البيت، الحواصِن : النساء العفائف، قُفينَا أصله قفين.

---

(١) الجوهري في صحاحه ٦/٢٢٤١ مادة (عضه).

(٢) أخرجه أبو داود ٤/٢٣ كتاب الأقضية، باب فيمن يعين على معصية من غير أن يعلم أمرها . وأحمد في مسنده ٢/٧٠ . والبيهقي ٦/٨٢، ٣٣٢٨ . وحلية الأولياء ٨/١٨٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤/٥٩ مادة (قفا).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٨٢ وهو جزء من حديث . وفيه : (ومن قفا مؤمنا أو مؤمنة حبسه ا لله في ردغة الخبال، عصارة أهل النار).

(٥) ** ومثل الدُّمى شُمُّ العرانين ساكن ** بهنَّ الحياء لا يشعنَ التقافيا **

والبيت للنابغة الجعدي

(٦) الأساس ٥١٨ مادة (قَفَوَ).

(٧) ** ولا أرمي البريء بغير ذنب ** ولا أقفو الحواصن إن قفينا **

القائل لهذا البيت : الكميت بن زيد الأسدي.

قوله : ((** والعيش بعد أولئك الأيام **))[1] أوله : ذُمَّ المنازِلَ بعد منزلةِ اللوى **.

ذُمَّ أمْرٌ، أي : العيشة الطيبة ما مضى بمنزلة اللوى، وما سوى ذلك مذموم في جنبه. والغرض من الإستشهاد أن لفظة : أولاء ليست بمخصوصة بالعقلاء، بل تقع على جماة الرجال والنساء والحيوان والجماد والأعراض، قال الكواشي[2] : [أولئك غالب لمن يعقل] وقال القاضي[3] : [أي : كل هذه الأعضاء فأجارها مجرى العقلاء، لما كانت مسؤلة عن أحوالها شاهدة على صاحبها، هذا وإن (أولاء) وإن غلب في العقلاء لكنه من حيث إنه اسم جمع، لذا وهو يعُمُّ القَبِيلين جاء لغيرهم].

قوله : (((فمسْؤُلٌ) مسند إلى الجار والمجرور))[4] قال أبو البقاء[5] : [ما ذكره الزمخشري غلط لأن الجارّ والمجرور يقام مقام الفاعل إذا تقدم الفعل، أو ما يقوم مقامه، وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك فيه، لأن الاسم إذا تقدم على الفعل صار مبتدأ وحرف الجر إذا كان لازما لا يكون مبتدأ، ونظيره قولك : بزيد انطلق، ويدُلّك على ذلك أنك لو ثنيت لم تقل : بالزيدين انطلقا، ولكن تصحيح المسئلة أن يجعل الضمير في مسئول للمصدر فيكون (عنه) في موضع نصب كما يقدر في قولك : بزيد انطلق، وقال صاحب التقريب : وإنما جاز تقديمه مع أنه فاعل لـمْحاً لأصالة ظرفيته لا لعروض فاعليته، ولأن الفاعل لا يتقدم للتباسه بالمبتدإ ولا التباس هـهنا، ولأنه ليس بفاعل على حقيقة، وجاز أن

---

(١) البيت لجرير بن عطية

** لولا مراقبة العيون أرَيننا ** مُقَلَ المها وسوالف الآرام **

** هل ينهينك أن قتلن مرقّشاً ** أو ما فعلن بعروة بن حزام **

** ذم المنازل بعد منزلة اللوى ** والعيش بعد أولئك الأيام **

(٢) الكواشي أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلي، موفق الدين أبو العباس الكواشي، عالم بالتفسير، ومن فقهاء الشافعية، من أهل الموصل، من كتبه تبصرة المتذكر خ في التفسير، ولد سنة ٥٩٠ ومات ٦٨٠ . انظر النجوم الزاهرة ٣٤٨/٧ والأعلام للزركلي ٢٧٤/١.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٢/٣.

(٤) قال (ز) في تفسير (عنه) في قوله : ﴿ كان عنه مسئولا ﴾ في موضع الرفع بالفاعلية، أي : كل واحد منها، كان مسئولا عنه ((فمسئول مسند إلى الجار والمجرور)).

(٥) أبو البقاء في إملائه ٩١/٢.

يكون فاعله ضمير كلّ لحذف المضاف، أي : كان مسؤلا صاحبها عنه. وجاز أن تكون مرفوعة المصدر، وهو السؤال . سأل ابن جنّي أبا علي عن قولهم : فيك يرغب، فقال : فيك لا يرتفع بما بعده، فأين المرفوع ؟. فقال : المصدر، أي : فيك يرغب الراغب، وفيك ظرف لا فاعل، وفي شرح ابن المعطي[1] في الألفية : إن كان مفعول المجهول جاراً ومجروراً فلا يتقدم على الفعل، لأنه لو تقدّم اشتغل الفعل بضميره، ولا يمكن جعله مبتدأ لأجل حرف الجر. ومنهم من أجاز محتجّا بهذه الآية، لأن ما لم يسم فاعله مفعول في المعنى.

قوله : ((وقرئ : ﴿ والفَوَادَ ﴾ قال ابن جني[2] : [قرأها الجراح[3] ﴿ والبصر والفَوَاد ﴾ وأنكر أبو حاتم فتح الفاء، ولم يذكر هو ولا ابن مجاهد الهمز ولا تركه، وقد يجوز ترك الهمز مع فتح الفاء، كأنه قال : ﴿ الفؤاد ﴾ بضمها والهمز ثم خففت، فخلُصت في اللفظ واوا، وفتحت الفاء على ما في ذلك فبقيت واواً].

---

(١) ابن المعطي العلامة شيخ النحو زين الدين أبو الحسين يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي، ولد سنة ٥٦٤ ومات ٦٢٨ بمصر . سير الأعلام ٣٢٤/٢٢ . ووفيات الأعيان ١٩٧/٦.

(٢) ابن جني ف المحتسب ٢١/٢.

(٣) الجراح مقدم الجيوش فارس الكتائب، أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحكمي، ولي البصرة من جهة الحجاج، ثم ولي خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز. وكان بطلاً شجاعاً مهيباً طوالاً عابداً قارئاً كبير القدر، روى عن ابن سيرين . سير أعلام النبلاء ١٨٩/٥ وتاريخ خليفة ٣١٠ والتاريخ الكبير للبخاري ٢٢٦/٢ . وانظر شواذ القرآت لابن خالويه ٧٦ فذكر قراءة الجراح هذه.

وقد نهى الله تعالى في هذه الآية وفي غيرها عن قول الإنسان ما ليس له بعلم، ويشمل ذلك قوله : رأيت ولم ير، وسمعت ولم يسمع، وعلمت ولم يعلم، قال الله تعالى في سورة البقرة الآية ١٦٩ : ﴿ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقوله في سورة الأعراف الآية ٣٣ : ﴿ إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقوله في سورة الحجرات الآية ١٢ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن أثم ﴾ وقوله : في سورة التوبة الآية ٦١ : ﴿ قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾.

قوله : ((وقرئ : ﴿ مَرِحاً ﴾ وهي شاذة[1] ، الراغب[2] : [المرح : شدة الفرح والتوسع فيه، وَمَرْحَى كلمة تعجب]، قال أبو البقاء[3] : [مَرِحاً بكسر الراء حال وبفتحها مصدر في موضع الحال أو مفعول له][4] وفي كلام المصنف تسامح، لأنه قال[5] : وفضل الأخفش[6] المصدر على اسم الفاعل بعدما أوّل المصدر بقوله : ذا مرح وبعد القراءة الدالة على أنه اسم فاعل، وإنما يكون المصدر مفيدا للمبالغة، إذا ترك على حاله، نحو رجل عدل.

قوله : ((لن يجعل فيها خرقاً))[7] بِدَوسِك الراغب[8] : [الخرق قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تفكر وتدبّر قال تعالى : ﴿ أخَرقتها لتغرق أهلها ﴾[9] وهو ضدّ الخلق، لأنه فعل الشيء بتقدير ورفق والخرق بغير تقدير، قال تعالى : ﴿ وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ﴾[10] أي : حكموا بذلك على سبيل الخرق وباعتبار القطع قيل : خرق الثوب وتخرّقه، وباعتبار ترك التقدير، قيل : رجل أخرق وخَرِقٌ وامراءة خَرْقاءُ، ومنه

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ الإسراء الآية ٣٧-٣٨.

وقرئ ﴿ مَرِحاً ﴾ بكسر الراء، قرأها يحي بن يعمر شواذ القراءة لابن خالوية ٧٦.

(٢) الراغب في مفرداته ٤٦٥ مادة (مَرَح).

(٣) أبو البقاء في إملائه ٩١/٢.

(٤) على حد قوله في الخلاصة لابن مالك :

** ومصدر منكر جالا يقع ** بكثرة كبغتة زيد طلع **

(٥) يعني (ز) حيث قال : ((وقرئ : ﴿ مَرِحا ﴾)) وفضل الأخفش المصدر ... إلخ.

(٦) الأخفش لعله الأكبر عبد الحميد بن عبد المجيد، مولى قيس بن ثعلبة أبو الخطاب من كبار العلماء بالعربية، لقي الأعراب وأخذ عنهم، وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت، وما كان الناس يفعلون ذلك قبله، كان ديّناور عاثقة، أخذ عنه سيبويه والكسائي، وأبو عبيد، وغيرهم، مات سنة ١٧٧هـ، طبقات اللغوية بغية الوعاة ٧٤/٢.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ لن تخرق الأرض ﴾ قال (ز) : ((لن تجعل فيها خرقاً بدوسك)) لها وشدّة وطأتك.

(٨) الراغب في مفرادته ١٤٦ مادة (خرق).

(٩) سورة الكهف الآية ٧١.

(١٠) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

الحديث : (ما دخل الخرق في أمر إلا شانه)[1] ومن الخَرق استعيرت المخْرَقةُ، وهو إظهار الخَرقِ توصلاً إلى حيلة والمخْراق شيء يُلعبُ به، كأنه يَخْرِقُ لإظهار الشيء بخلافه].

قوله : ((وهو تهكم بالمختال))[2] الإنتصاف[3] : [لقد حَرَسَ ا لله عوام زماننا من هذه المشْيَةِ المنْهيّ عنها، ووقع فيها قراؤنا وفقهاؤنا حَفِظَ أحدهم مسئلتين وجلس بين يديه طالبان، أو نال طرفاً من رياسة مشى خيلاء، وودّ لو حكّ بيا فُوخِه[4] السماء، يمرون بهذه الآية، وهم عنها معرضون، وماذا يفيد أن يقرأ القرآن، أو يُقرأ عليه، وقلبه عن تدبّره على مراحل].

قوله : ((وقرئ : ﴿ سَيِّئة ﴾[5] الكوفيون وابن عامر كان ﴿ سَيِّئه ﴾ بضم الهمزة والهاء على التذكير، والباقون بفتحها مع التنوين على التأنيث. قال أبو البقاء[6] : [سيئة يقرأ بالتأنيث والنصب، أي : كُلّ ما ذكر من المناهي وذكر : ﴿ مَكْرُوهاً ﴾ على لفظ ﴿ كُلّ ﴾، أو لأن التأنيث غير حقيقي. ويقرأ بالرفع أي : سيّء ما ذكر].

---

(١) ذكره صاحب كشف الخفاء ٢٦٧/١-٢٦٨ وعزاه للعسكري. وانظر المسند ٢٠٦/٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ قال (ز) : أي : بتطاولك ((وهو تهكم بالمختال)).

(٣) الإنتصاف مع الكشاف ٦٦٧/٢.

(٤) (اليافوخ) ملتقى عظم مقدّم الرأس ومؤخره. اللسان ٦٧/٣ مادة (يفخ) وانظر (أفخ) ٥/٣ . وزاد وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل، وهو كناية عن التعاظم والتكبر . انظر الأساس ٧١٣.

وقد نهى ا لله عن هذه المشية، قال تعالى في سورة لقمان الآية ١٨ : ﴿ ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن ا لله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك ... الآية ﴾ وقال تعالى في سورة الفرقان الآية ٦٣ : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ... الآية ﴾ وقد أحسن من قال :

** ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً ** فكم تحتها قوم هم منك أرفع **

** وإن كنت في عزّ وحِرْزٍ ومنعةٍ ** فكم مات من قوم هم منك أمنع **

(٥) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب : ﴿ كل ذلك كان سَيِّئَةً ﴾ منونة منصوبة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف : ﴿ كان سَيِّئُهُ ﴾ بضم الهاء والهمزة. المبسوط لابن مهران ٢٢٨ والإتحاف ٢٨٣ . وقال مع إشباع ضمة الهاء على الإضافة والتذكير اسم كان، و ﴿ مكروها ﴾ خبرها، ووافقهم في هذه القراءة الحسن والأعمش.

(٦) أبو البقاء في إملائه ٩٢/٢.

قوله : ((كل ذلك إحاطة بما نُهِي عنه خاصّة، لا بجميع الخصال المعدودة))[1] قال صاحب الفرائد : [يمكن أن يقال : الإحاطة بالجميع، إلا أن المراد فيما يكون حَسَناً ما يقابله كنقض العهد، وهو كقوله تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ﴾[2] ثم قال : ﴿ ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾.

قوله : ((ذلك إشارة إلى ما تقدم))[3] وقال القاضي[4] : [كلّ ذلك إشارة إلى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل مع الله إلـها آخر ﴾].

قوله : ((كلام محكم لا مَدْخَلَ فيه لِلْفساد بوجه))[5] أي : هي مما لا تنسخ ولا تحمل على وجه من وجوه التأويل التي يدخل فيها الفساد كالمتشابه.

قوله : ((وهي عشر آيات في التوراة)) بعد قوله : هذه الثماني عشرة آية فيه إشكال ولعل المراد بالآيات في التنزيل الكلام المميز بالفواصل وبالآيات العشر في التوراة، المعاني المستقلة. وبالخصال الخمسة والعشرين كل خصلة مأمور بها، ومنْهيّ عنها وروينا عن الترمذي[6] والنسائي عن صفوان أن يهوديين أتيا رسول الله صلى الله

(1) قال (ز) في توجه قراءة ﴿ سيِّئَةً ﴾ قلت : ((كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة، لا بجميع الخصال المعدودة)).

(2) سورة الأنعام الآية ١٥١.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلـهاً آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحوراً ﴾ الإسراء الآية ٣٩

قال (ز) : ((﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما تقدم)) من قوله :﴿ لا تجعل مع الله إلـهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ إلى هذه الغاية.

(4) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٢/٣.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ من الحكمة ﴾ قال (ز) : وسماه حكمة ((لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه)).

(6) أخرجه الترمذي ٧٣/٥ كتاب الاستئذان، باب ما جاء في قبلة اليد والرجل برقم ٢٧٣٣ و٣١٤٥ وصححه. والنسائي ١١١/٧ باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ سورة الإسراء الآية ١٠١. والحاكم في المستدرك ٩/١ كتاب الإيمان. وصححه الذهبي.

عليه وسلم فسألا عن تسع آيات بينات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ... الحديث).

قوله : ((ما أغنت عن الفلاسفة خذلهم الله أسفار الحكم))[1] [قيل : وُجِدَ بخط المصنف رحمه الله : [كان في زمن بني حكيم صنّف في الحكم ثلثمائة وستين تصنيفاً، فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه : إنك قد ملأت الدنيا نباقاً، وإن الله لم يقبل من نبَاقِك شيئاً. كذا ذكره حجة الإسلام رحمه الله في كتابه الإحياء][2] والنباق بالباء الموحدة كثرة الكلام قال الشهرستاني في الملل والنحل[3] : [الفلسفة باليونانية محبّة الحكمة، والفيلسوف : هو فيلاسوفا، وفيلا : هو المحب. وسوفا : هو الحكمة]. أما قوله : ((أضلّ من النعم)) فمقتبس من قوله تعالى : ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾[4] .

قوله : ((يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات))[5] وهو من باب إطلاق الحال على المحل، لأنه تعالى لما كرّر هذا الإبطال في هذا القرآن الكريم، سمي الإبطال باسم القرآن بهذه الملابسة أو أوقفنا التصريف فيه وجعلناه مكاناً للتكرير، يريد أنه من باب : يَجْرَحْ في عراقيبها نصلي[6] .

---

(1) ذكر (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تجعل مع الله إلـهاً آخر)) قال : ((إن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه، وإن بذّ فيها الحكماء، حكّ بيا فوخه السماء ((وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم)).

(2) قال في اللسان ٣٥١/١٠ : هو ينبق في الكلام وينتبطه يستخرجه.

(3) الملل والنحل ٣٦٣/٢.

(4) سورة الأعراف الآية ١٧٩

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً ﴾ الإسراء ٤١. قال (ز) : ((يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات)) لأنه مما صرّفه، وكرّر ذكره.

(6) شطر بيت لذي الرمة، وأوله :

** وإن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي **

وتقدم الإستشهاد به في الحجر الآية ٣٩ : ﴿ قال رب بما أغوتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ﴾.

قوله : ((﴿ ليذكروا ﴾ وقرئ مخففا ومشددا))[1] حمزة والكسائي مخففا بإسكان الذال وضم الكاف. والباقون بفتحها مشددا، فالمعنى على التشديد : التدبر كقوله تعالى : ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾[2] ، وعلى التخفيف : معنى قوله تعالى : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه ﴾[3] ، وفي هذا بَعْثٌ على النظر فيه والتدبر.

قوله : ((ليتعظوا ويعتبروا ويتدبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم)) إنما فسّر : ﴿ ليذكروا ﴾ بذلك ليطابق قوله : ﴿ فما يزيدهم إلا نفوراً ﴾ فإن النفور يقابل الإطمئنان، ووضع ما يحتج به عليهم موضع الراجع إلى المشار إليه بقوله : هذا المعنى كأنه قيل : كرّرناه ليطمئنوا إليه، كما قال : وقلّة طمأنينة إليه، وفيه تعكيس، أي : كرّرنا عليهم هذا المعنى ليطمئنوا فعكسوا وزادوا نفوراً.

قوله : ((وقرئ ﴿ كما يقولون ﴾ بالياء والتاء[4] ابن كثير وحفص بالياء التحتانية والباقون بالتاء.

قوله : ((و ﴿ إذاً ﴾ دالة على أن ما بعدها جواب وجزاء، مضى بيانه في سورة يوسف عليه السلام . قال صاحب الفرائد : [إن في ذكر ﴿ إذاً ﴾ هنا مع الاستغناء عنها لقيام ما بعدها جواباً وجزاءاً لما قبلها فائدة، وهي أن ﴿ إذاً ﴾ مشعرة بأن الجزاء لا

---

(1) قرأ حمزة والكسائي وخلف : ﴿ لِيَذْكُروا ﴾ ساكنة الذال خفيفة الكاف مضمومة، وكذلك في سورة الفرقان الآية ٥٠ مثله . وقرأ الباقون : ﴿ ليذّكّروا ﴾ بفتح الذال والكاف وتشديدهما. المبسوط لابن مهران ٢٢٩. والإتحاف ٢٨٣.

(2) سورة ص الآية ٢٩.

(3) سورة البقرة الآية ٦٣.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولو إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً . سبحانه وتعالى عما يقولون علوّا كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٤٢-٤٣.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو بكر بن عاصم : ﴿ كما تقولون ﴾ بالتاء، و ﴿ سبحانه عما يقولون ﴾ بالياء، و ﴿ يسبح له ﴾ أيضاً بالياء.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب : ﴿ كما تقولون ﴾ بالتاء، و ﴿ عما يقولون ﴾ بالياء، و ﴿ تسبح ﴾ بالتاء.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف كله بالياء . المبسوط لابن مهران ٢٢٩ وابن مجاهد ٣٨١.

يكون إلا المذكور، فإن قولك لصاحبك : إنك ما أعطيتني فيجيبك : لو أتيتني إذا لأعطيتك، فُهِم منه أن الإعطاء مخصوص بإتيانه غير مَرْجوٍّ دونه، فلو لم يذكر لم يفهم الإختصاص.

قوله : ((إلى من له الملك والربوبية))[1] وضع الملك والربوبية موضع العرش على الكناية، كما سيجيء في طه في قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[2] .

قوله : ((كقوله : ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾[3] وحاصله يرجع إلى دليل التمانع ، كما سيجيء في سورة الأنبياء، أي : معنى ﴿ لابتغوا ﴾ لَتَقَرَّبوا إلى ذي العرش، قال صاحب الفرائد : [من تقرب إلى الغير وطلب الوسيلة لم يصلح لأن يطلق عليه لفظ الإله، ومعنى كونهم آلهة مناف لذلك المعنى، على هذا لو كان معه آلهة لم يكونوا آلهة، بل عباد محتاجون إليه، فيلزم عدم الشيء على تقدير وجوده، ويمكن أن يجاب، لّما كان عدم الشيء على تقدير وجوده محالا، وهو لازم للتقدير، وهو كون الآلهة معه، فكان محالاً.

قوله : ((فإن لم يفقهوا التسبيح))[4] أي : جعلوا في أن نظرهم لم يثمر التوحيد، كأنهم نظروا ولم يفقهوا، وتحريره أن المشركين لما نظروا إلى ملكوت السموات والأرض وعلموا أن الله خالقه، ومع هذا الإقرار عما جعلوا معه آلهة، وكأنهم بالحقيقة مافقهوا، وهو على هذا تجريد لاستعارة التسبيح للدلالة . ويمكن أن يجرى على الترشيخ لها على أن معنى قوله : ﴿ لا يفقهون تسبيحهم ﴾ لا تفقهون نُطْقهم به، كقوله تعالى : ﴿ وجد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ قال (ز) : لطلبوا ((إلى من له الملك والربوبية سبيلاً)) بالمغالبة، كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض.

(٢) الآية ٥.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

ومثلها قوله تعالى في سورة المؤمنون الآية ٩١ : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ تسبح له السوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٤.

من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾[1] كأنه قيل : الكائنات تنطق بلسانها بتنزيه ذات الباري عز شأنه وجل سلطانه عن الشريك، والمشركون صمٌّ لا يسمعون ذلك، والأصل ودَلَّت ذات الموجودات على توحيد صانعها، وهم لا يعقلون ذلك. قال صاحب الانتصاف[2] : [إن كان الخطاب للمشركين فما تصنع بقوله : ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾، وإنما يخاطب بالحلم والمغفرة للمؤمنين، والظاهر أن الخطاب للمؤمنين. وأما عدم فقهنا لتسبيح الجمادات، فكناية عن عدم العمل بمقتضى تسبيحها، ولو تَفَطَّن الإنسان أن النّملة والبعوضة وكلّ ذرة في الكون تنزه الله تعالى وتشهد لجلال كبريائه وقهره، لشغله عن قوته، فَضْلاً عن فضول الكلام والغيبة. والظاهر أن الآية وردت على الغالب من أحوال الغافلين، وإن كانوا مؤمنين، فالحمد لله الذي كان حليماً غفوراً]، وقلت[3] : أخطأ في جعل الخطاب للمؤمنين، لأن معنى النّزاهة والبراءة في قوله : ﴿ سبحانه ﴾ ومعنى العُلُوَّ و الكبرياء في قوله تعالى : ﴿ عما يقولون علوا كبيراً ﴾ راجع إلى ما وصفوه من اتخاذ الملائكة بناتاً في قوله : ﴿ واتخذ من الملائكة إناثاً ﴾ ومن اتخذ الآلهة شركاء في قوله : ﴿ لو كان معه آلهة كما تقولون ﴾ وأن مجيء قوله : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾ لتأكيد التنزيه وتذييله، فكيف يقال : الخطاب للمؤمنين . وأما معنى قوله : ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ فعلى التعجب، فكأنه قيل : ما أحلمه وأشد غفرانه، حيث يعلم من هؤلاء المعانِدة ذلك، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وإليه أشار بقوله : ﴿ إنه كان حليماً غفوراً ﴾ حين لا يعاجلكم بالعقوبة على سوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم. ويؤيده قوله تعالى : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ قال المصنف رحمه الله تعالى : نبّه

---

(١) سورة الكهف الآية ٩٣.

(٢) صاحب الإنتصاف الإمام أحمد بن المير الإسكندري المتبع لاعتراليات الكشاف ٦٦٩/٢ وأول الكلام : قال أحمد : ولقائل أن يقول : فما يصنع بقوله تعالى : ﴿ كان حليماً غفوراً ﴾ وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم و إشراكهم ... الخ.

(٣) قلت : يعني بها نفسه، أي : الطيبي.

على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه، أن يُصَبَّ عليهم العذاب صبًّا، ولكن صرف ذلك عنهم ﴿ إنه غفور رحيم ﴾ يُمهل ولا يعاجل.

قوله : ((التسبيح المجازي حاصل في الجميع، فوجب الحمل عليه))[٢]

الإنتصاف[٣]: [تقدم منه منع هذا عند سجدة النحل[٤] ، لكن ذكر هناك[٥] أنه يشملهما الانقياد بطريق التواطؤ ، وههنا جعله مجازاً، ومن الجائز أنه أراد ثمة التواطؤ مع المجاز، وكما يتفق التواطؤ مع الحقيقة، فقد يتفق مع المجاز، هذه الآية . وقوله تعالى : ﴿ و لله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها ﴾[٦] ﴿ و لله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة ﴾[٧] يقتضي أن يكون تسبيحاً على الحقيقة، وسجوداً له على وجه لا يفقه، بدلالة قوله : ﴿ ولكن لا يفقهون ﴾، ودلالة قوله : ﴿ ومن فيهنّ ﴾ بعد ذكر السموات والأرض، ولا يصح أن يكون تقديره : يسبح له من في السموات ويسجد له من في الأرض، لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله : ﴿ ومن فيهن ﴾ والأشياء كلها تسبح له، ويسجد بعضها بالتسخير، وبعضها بالإختيار، ولا خلاف أن السموات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث إن أحوالها تدل على حكمة ا لله، وإنما الخلاف في السموات والأرض هل تسبح بالإختيار ؟، والآية تقتضي ذلك بما ذكرت، وا لله أعلم.

---

(٢) قال (ز) : قلت : ((التسبيح المجازي حاصل في الجميع ثي وجب الحمل عليه)) وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز.

(٣) الإنتصاف مع الكشاف ٢/٦٧٠.

(٤) الآية ٤٩ : ﴿ و لله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ﴾.

(٥) الشكاف ٢/ ٩٦٠-٩١٠.

(٦) سورة الرعد الآية ١٥.

(٧) سورة النحل الآية ٤٩.

قوله : ((سيل مُفْعَمٌ))[1] بفتح العين، يعني جعل اسم المفعول بمعنى الفاعل، فإن الحجاب هو الساتر، والمستور ما واره نحو سيل مفْعَمٌ، فإن السيل مُفْعمٌ والوادي مفْعَمٌ، فعكس مبالغة، فهو من الإسناد المجازي[2] .

قوله : ((فيه معنى المنع من الفقه))[3] يعني أن يفقهوه، إما مفعول له على تقدير مضاف، أو مفعول به على تأويل الجملة، بمعنى المنع، كقوله تعالى : ﴿ فشربوا منه إلا قليلا منهم ﴾[4] فإنه في معنى لم يطيعوه. قال القاضي[5] : [ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى] بقوله : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه ﴾ وعلى إدراك اللفظ[6] بقوله : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾.

قوله : ((و ﴿ وَحْدَه ﴾[7] من باب رَجَعَ عَوْدَه على بدئه)) أي : أنه مصدر سادّ مسد الحال، كأنه قال : عائداً على بدئه، فإن الأصل رَجَعَ عائداً على بدئه، ثم أقيم يَعودُ مقام عائداً، ثم عَودُه مقام يعُودُ.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٥.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ حجاباً مستوراً ﴾ : ذا ستر، كقوله ((سيل مُفْعمٌ)) ذو إفعام.

(٢) الإسناد المجازي : هو الذي يسند إلى سببه أو زمانه أو مكانه أو مصدره.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ قال (ز) : ((فيه معنى المنع من الفقه))، فكأنه قيل : ومنعناهم أن يفقهوه.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٤٩.

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/٢٠٤.

وقد بين الله تعالى في آيات أخرى سبب الحيلولة بين القلوب وبين الانتفاع بالقرآن، وأن سبب ذلك هو الكفر كما قال تعالى في سورة النساء الآية ١٥٥ : ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ١٠ : ﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ٧٦ : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ وقوله في سورة الصف الآية ٥ : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾.

(٦) في أ ، ب ، م (وعلى إدراك اللفظ) ولعل الصواب : (وعن إدراك اللفظ) كما في ت.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾.

قوله : ((وافعله جَهدَك)) الجُهد بالضم الطاقة، وبالفتح من قولك : اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا لأمر، أي : أبلغ غايتك، فهو أيضاً مصدر أقيم مقام الحال.

قوله : ((أصله يحدُ وَحْدَه)) يعني : أصل الآية : ﴿ ذَكرت ربك ﴾ يَحِـدُ وحـده، بمعنى : واحدا وحْده، ثم حذف (يحد) وأقيم المصدر مقامه.

قوله : ((والنفور مصدر))(١) قال أبو البقاء(٢) : [نفوراً جمع نافر، ويجوز أن يكـون مصدراً كالقعود، فإن شئت (جعلته حالاً(٣) ، وإن جئت جعلته)(٤) مصـدراً لـ ﴿ وَلَّـو ﴾ لأنه بمعنى : (نفروا)(٥) .

قوله : ((و ﴿ بـه ﴾ في موضـع الحـال(٦) ، أي : يستمعون ملتبسين بالهزء، قـال أبوالبقاء(٧) : [قيل : الباء بمعنى اللام, وقيل : هي على بابها، أي : يستمعون بقلوبهـم أم بظاهر أسماعهم]. وقال القاضي(٨) : [﴿ يستمعون به ﴾ أي : بسـببه، ولأجلـه مـن الهُـزْء بك وبالقرآن] وهو مأخوذ من قول المصنف أوّلا : ﴿ بما يستمعون به ﴾ مـن الهـزء بـك وبالقرآن، ولا بد من تقرير الهزء، لأن قوله : ﴿ نحن أعلم ﴾ وعيد وتهديد على ما كانوا

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولوا على أدبارهم نفوراً ﴾.

(٢) أبو البقاء في إملائه ٩٢/٢.

(٣) فيكون حالا أي : ﴿ ولوا على أدبارهم ﴾ في حال كونهم نافرين من ذكر ا لله وحده.

(٤) ما بين القوسين س من (أ) فقط.

(٥) ويكون : ما ناب عن المطلق من قوله : ﴿ ولّوا ﴾ لأن التولية عن ذكره وحده بمعنى النفور عنه، وفي معنى هذه الآية قوله تعالى في سورة الزمر الآيـة ٤٥ :﴿ وإذا ذكـر ا لله وحـده أشمأزت قلـوب الذيـن لا يؤمنـون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ وقوله تعالى في سـورة غـافر الآيـة ١٢ : ﴿ ذلكـم بأنـه إذا دعي ا لله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ﴾.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذا يقول الظـالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾ الإسراء الآية ٤٧.

(٧) أبو البقاء في إملائه ٩٢/٢.

(٨) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣

عليه عند سماعهم بالقرآن من الهزء بالنبي صلى ا لله عليه وسلم وبالقرآن على ما قال : ((كان يقوم عن يمينه إذا قرأ ... الى آخره))[١] .

قوله : ((﴿ إذ يقول ﴾ بدل من ﴿ إذ هم ﴾ وقال أبو البقاء[٢] : [(هو) بد من (إذ) الأولى] اعلم أن ﴿ إذ يستمعون ﴾ ظرف لقوله : ﴿ أعلم ﴾، و ﴿ بما يستمعون به ﴾ متعلق به، ﴿ وإذ هم نجوى ﴾ عطف على الظرف، على أن يقدر له ما يلائمه مما قرن بالمعطوف عليه ليستقيم المعنى، فالتقدير : نحن أعلم بما به يستمعون وبما به يتناجون وقت استماعهم ووقت تناجيهم، وإنما قدّم المصنف[٣] الظرف على المفعول به في قوله : ﴿ أعلم ﴾ بوقت استماعهم بما به يستمعون ليؤذن بأن : ﴿ إذ يستمعون ﴾ متعلق ﴿ بأعلم ﴾ لا بـ ﴿ يستمعون به ﴾ لأن تعلق ﴿ إذ ﴾ به يوهم فساد المعنى من حيث المفهوم، ثم المناسب أن يكون قوله : ﴿ إذ يقول الظالمون ﴾ بدلا من المغطوف، لا المعطوف عليه، لأن قولهم : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾ كان خطاباً منهم مع أصحابهم على الحديث. وأما الإستماع عن النبي صلى ا لله عليه وسلم كان على سبيل الهزء فَبَينهما تَنَافٍ . قال القاضي[٤] : [﴿ إذ يقول ﴾ بدل من ﴿ إذ هم نجوى ﴾ على وضع ﴿ الظالمون ﴾ موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم كان ظلماً] ولبيان أن تناجيهم هو قوله : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾.

قوله : ((من السَّحر، وهي الرّئة))[٥] المعنى : هو بشر مثلكم، في كونه ذا رئة، قال القاضي[٦] : [المعنى : إن تتبعون إلا رجلا يتنفس، ويأكل ويشرب، كقوله تعالى : ﴿ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ﴾[٧] أي : ليس بِمَلكٍ، والمناسب أن يراد به الوجه

---

(١) قال (ز) كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار، ورجلان منهم عن يساره فيصفقون و يصفرون ويخلطون بالأشعار

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٢.

(٣) (المصنف) س من ب.

(٤) القاضي لبيضاوي في أنواره ٣/٢٠٤.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ مسحوراً ﴾ قال (ز) : سحر فَجُنَّ، وقيل : هو ((من السَّحر وهو الرئة)).

(٦) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/٢٠٤.

(٧) سورة الفرقان الآية ٧.

الأول، أي سُحِرَ فَجُنّ ليلائم قوله : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ كما قال : مثّلوكَ بالشاعر والساحر والمجنون. الراغب[1] : [السَّحرُ : طرف الحلقوم والرئة، وقيل : انتفخ سحره، وبعيرٌ سحيرٌ، عظيم السحر، والسُّحارةُ ما ينتزع من السَّحر عند الذبح، فيرمى به، وجعل بناؤه بناء النُّقاية والسُّقاطَةِ. وقيل : منه اشتق السِّحْر، وهو إصابة السَّحر، والسِّحْرُ يقال على معان : الأول : الخداع، وتَخْييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذة من صرف الأبصار عمّا يفعله لخفة يدٍ، وما يفعله النمام، يقول : مُزخْرَفٍ عائقٍ للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ سحروا أعين الناس ﴾[2] ، وقال : ﴿ يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴾[3] وبهذا النظر سَمّوا مُوسى عليه السلام ساحراً، وقالوا : ﴿ يا أيها الساحر ادع لنا ربك ﴾[4] . والثاني : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التَّقرب إليه، كقوله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم ﴾[5] وعليه دلّ قوله تعالى : ﴿ ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾[6] . والثالث : ما عليه الأغتَامُ[7] ، وهو اسم لفعلٍ يَزعُمون أنه من قوّته يغيّر الصور والطبائع، فيجعل الإنسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المحصِّلين، وقد تُصُوِّر من السحر تارة دقّة فعله حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة، وسَمّوا الغذاء سِحراً من حيث إنه يدقُّ ويَلطُفُ تأثيره، قال تعالى : ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾[8] اي مصروفون عن

(١) الراغب في مفرداته ٢٢٥-٢٢٦

(٢) سورة الأعراف الآية ١١٦.

(٣) سورة طه الآية ٦٦.

(٤) سورة الزخرف الآية ٤٩.

(٥) سورة الشعراء الآية ١٢١-١٢٢.

(٦) سورة البقرة الآية ١٠٢.

(٧) الأغتام : جمع غتمة، عجمية في المنطق، يقال : رجل أغتم لا يفصح شيئاً، ويقال لثقيل الروح : غتميّ. انظر التعليق على كتاب المفردات للراغب ٤٠١.

(٨) سورة الحجر الآية ١٥.

معرفتنا بالسحر، وعليه قوله تعالى : ﴿ إنما أنت من المسحرين ﴾[1] قيل : ممن جُعل له سَحر تنبيهاً أنه محتاج إلى الغذاء كقوله تعالى : ﴿ ما لهذا الرسول ياكل الطعام ﴾[2] ونَبَّه على أنه بشر كما قال : ﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا ﴾[3] وقيل : معناه : ممن جعل له سِحرٌ يتوصل بلطفه ودقّته إلى ما يأتي به ويدّعيه، وعلى الوجين حمل قوله تعالى : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً ﴾ [4] وقوله تعالى : ﴿ قال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحوراً ﴾[5] . وعلى الثاني : دلّ قوله تعالى : ﴿ إن هذا إلا سحر مبين ﴾[6]].

قوله : ((﴿ فضلّوا ﴾ في جميع ذلك ضلال من يطلب))[7] إشارة إلى أن قوله : ﴿ فلا يستطيعون سبيلاً ﴾ تمثيلٌ مثل حال هؤلاء في تحيّرهم وضلالهم فيما يصنع.

قوله : ((فَرَدَّ قوله : ﴿ كونوا ﴾ على قولهم : ﴿ كُنّا ﴾))[8] أي : أطلقه جواباً على طريقة المشاكلة[9] ، المعنى أورد هذا القول على قولهم : وقذف بالحق على باطلهم، فإنهم لمّا استْبعدوا أن يبعثوا خَلْقاً جديداً بعد كونهم عظاماً قيل لهم : ﴿ كونوا ﴾ الآن أبعد شيء من الحياة، فإنكم ستبعثون، والأمر للتسخير، وإنما فسره بقوله : ﴿ لو كنتم ﴾ ليعلم أن المراد بالعبارة الفرض والتقدير، إذ لو اريد به حقيقة التسخير لصاروا حجارة

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٥٣.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧.

(٣) سورة الشعراء الآية ١٥٤.

(٤) سورة الإسراء الآية ٤٧.

(٥) سورة الإسراء الآية ١٠١.

(٦) سورة سبأ الآية ٤٣.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ فضلّوا ﴾ قال (ز) :.((فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب)) في التية طريقا يسلكه فلا يقدر عليه، فهو متحيّرٌ في أمره لا يدري ما يصنع.

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا إذا كنّا عظاما ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً . قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً ﴾ الإسراء الآية ٤٩-٥١.

(٩) (المشاكلة) : هي ذكر الشيء بلفظ مصاحبه لوقوعه معه نحو قوله (جزاء سيئة سيئة مثلها)الشورة الآية ٤٢ البيان للطبى٣٤٧.

من غير ريب وانقلبوا حديداً من غير مكث، فقول المصنف : لكان قادراً على أن يردّكم إلى حال الحياة لا يطابق ظاهراً قوله : ﴿ فسيقولون من يعيدنا ﴾ لأن الكلام أوّلا في حصول البعث لا القادر على البعث، ولذلك سألوا ثانياً عن الباعث بقولهم : ﴿ من يعيدنا ﴾ فأجيبوا بقوله : ﴿ الذي فطركم أول مرة ﴾ فإنه من الأجوبة الدامغة، فلذلك انغضوا[1] رءسهم قائلين : ﴿ متى هو ﴾ وقيل : ما يكبر في صدورهم الموت[2] ، وهو مروي عن ابن عباس، ومعناه : لو كنتم نفس الموت لأحياكم على المبالغة، كما يقال : لو كنت عين الحياة لأماتك ا لله، وإلا فالموت عرض لا ينقلب الجسم إليه، ولا هو ينقلب إلى ضدّه الذي هو الحياة.

قوله : ((والمعنى : يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين))[3] إشارة إلى أن قوله : ﴿ يدعوكم فتستجيبون ﴾ تمثيل على منوال قوله : (كن) فيكون في أن لا دُعَاء ثَمَّ. قال القاضي[4] : [استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسّر أمرهما، وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة.

قوله : ((تلين لين المسمِحِ))[5] أي : المنقاد، يقال : أَسْمَحَتْ قَرُونَتـه، أي : ذلّت نفسه وتابعت. الأساس[6] : [أسمحت قَرُونته إذا تَبِعتْه نفسه وأطاعتهُ].

قوله : ((لينَ المُسْمح)) فيه تمثيل مع رائحة التهكم.

---

(1) (نغض) الإنغاض : تحريك الرأس نحو الغير كالمتعجّب منه . الراغب ٥٠٠ والصحاح للجوهري ١١٠٨/٣.

(2) رواه الطبري ٩٨/٩ عن ابن عباس، وابن عمر.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً ﴾ الإسراء الآية ٥٢. قال (ز) : والدعاء والإستجابة كلاهما مجاز ((والمعنى : ويوم ميبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين)) لا تمتنعوا.

(4) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٠٤/٣.

(5) قال (ز) في تفسير قوله :﴿بحمده ﴾ : حال منهم، أي : حاملين، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث، كقولك لمن تأمره بركوب ما يشقّ عليه، فيَأبَى ويمتنع : تركبه وأنت حامد شاكر، قال : وتفسر : قسْرا حتى إنك ((تلين لين المُسْمِحِ)) الراغب فيه الحامد عليه.

(6) الأساس للزمخشري ٣٠٧ مادة (سمح).

قوله : ((يقولوا للمشركين الكلمة ﴿ التي هي أحسن ﴾ وألْيَن))[1] والـذي يـدلّ على أن المراد منه المشركون أنه تعلى لما أمر نبيه صلوات الله وسلامه عليه في أن لا يخاشِن المشركين في الردّ عليهم ويجادهلم بالتي هي أحسن في الأجوبة الثلاثة في أمر البعثِ، أمره بأن يعلم المؤمنين سلوك هذه الطريقة، وأن يسْتَنُّوا بسنته، وذلك أنهم لّما أنكروا البعث إنكاراً بليغاً بقولهم : ﴿ أئذا كنّا عظاماً ورُفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ أمره بأن يجيبهم بقوله : ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً ﴾ أي : لا بدّ من البعث للجزاء الموعود، ولا مجال للاستبعاد، إذ لو صرتم أبعد شيء من الحياة فإنكم مبعوثون له، لقوله تعالى : ﴿ إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين ... إلى آخره ﴾[2] . وعند ذلك لا بدّ أن يقولوا : هب أنه كذلك فمن الذي يقدر على هذا الأمر العظيم، فأُمِرَ بأن يجيبهم بقوله : هو الذي شاهدتم منه أعظم من هذا، وهو إخراجكم من العدم إلى الوجود. ثم إنهم إذا قالوا مستهزئين : سلّمنا ذلك فمتى إرساؤها؟. فقل لهم : ﴿ علمها عند ربي ﴾ ولعل مجيئها قد قرب، لكن أمارتها : ﴿ حين يدعوكم فتستجيبون ﴾ له. وأما حسن هذه الأجوبة وسلوك طريقة اللين فيها فإنهم ما أوردوا تلك الأسئلة للإسترشاد، بل للعناد والاستهزاء البليغ والانحراف عن الطريق المستقيم، لكن أخرجت الأجوبة على منوال الجدّ والطريق السويّ، وعدم المبالاة بالاستهزاء أو الإنكار.

قوله : ((المشارّة))[3] المفاعلة من الشرّ. الجوهري[4]: [المشارّة : المخاصمة].

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقول التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً . ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ الآية ٥٣-٥٤.

(٢) سورة يونس الآية ٤.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ قال (ز) : يلقي بينهم الفساد، ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم ((المشارّة)) والمشاقّة.

(٤) الجوهري في صحاحه ٢/٦٩٥ مادة (شرر).

قوله ((وتَرك المحاقّة)) الجوهري[1] : [حاقّه إذا خاصمه وادعى كـل واحـد منهما الحق، فإذا غلبه قيل : حقّه].

قوله : ((والمكاشفة)) هي من كاشفه بالعداوة، أي : باذاه بها.

قوله : ((﴿ وكيلا ﴾ أي : ربّا موكولا إليـك أمرهـم))[2] إلى قولـه : ((فدارهـم ومر أصحابك بالمداراة)) إشارة إلى نظم الآيات، وفي سلوكه صعوبة، وهو قد رمـز إليـه رَمْزاً خفيا لا يكاد يدرك في بـدء الفكـرة . فقولـه تعـالى : ﴿ ربكـم أعلـم بكـم إن يشـأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم ﴾ مقول لقوله : ﴿ يقول التي هي أحسن ﴾ توطئـة وتمهيـد . وقوله : ﴿ إن الشيطان لكم ... الآية ﴾ اعتراض بين المفسِّر والمفسَّر . وقولـه : ﴿ ومـا أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ كالتذييل لمجموع مجادلته مع المشركين، وأمـره المؤمنين بهـا مـن لدن قوله : ﴿ وقالوا أئذا كنا عظامـا ﴾ إلى هـا هنـا . وقولـه : ﴿ وربـك أعلـم بمـن في السموات والأرض ﴾[3] كما قال : رَدٌّ على المشركين في إنكارهم واستبعادم أمر النبوة بعد الردّ على استبعادهم البعث بقولهم : ﴿ وقالوا أئذا كنا عظامـاً ورفاتـاً ﴾ وذلـك أنـه تعالى لما استجهلهم بقوله : ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴾ وأراد قولهم : إنك شاعر وساحر ومجنون، وحكى عنهم مجادلاتهم، أتى بنوع آخر مـن الكـلام الـدالّ علـى ردّهـم استبعادهم نُبوّة محمد صلوات الله عليـه، وأنـه كيـف يكـونَ يتيـم أبـي طـالب نبيّـاً، وأن يكـون العـراة الجُـوّعُ أصحابـه، فقيـل لـه : إن كـانوا لا يعلمـون كيفيـة نُبوتِـك، وتقـدُّم أصحابك في الدين، فاعلم أن ربّك عالم بـأحوال مـن في السـموات والأرض وبمقـاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم من الفضل، ولذلك تفاوتت مراتب الأنبياء، فبعضهم أفضل من بعض، ألا ترى كيف اصطفيناك من بيْنهـم وجعلنـاك خاتما لهـم، وجعلنـا أمّتـك خـير الأمم، وهذه المنقبة ثابتة لك في الكتب السالفة، منها الزبـور، قـال الله تعـالى : ﴿ ولقـد

---

(١) الجوهري في صحاحه ١٤٦١/٤ مادة (حقق).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وربّك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٥.

كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾[1] ومثله قوله تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم كلّم الله ورفع بعضهم درجات ﴾[2] .

قوله : ((وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه))[3] عطف على قوله : ((وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين)) فعلى هذا ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ لا يكون تفسيراً ﴿ للتي هي أحسن ﴾ (ويكون معناه نحو ما قال : يهديكم الله، يرحمكم الله.

قوله :)[4] ((وقيل الكلمة التي هي أحسن : أن يقولوا : يهديكم الله، فعلى هذا قوله : ﴿ إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ يكون تعليلاً للأمر بقوله : ﴿ قل ﴾ أي : قل لهم أن يجاملوا في القول ولا يُخاشِنُوا ولا يبالغوا في الجدال لئلا ينفر المشركين بنزغه ويلبسهم[5] جلد النمر ولا يورث المؤمنين الخيلاء، لأن المجادلة الباطلة مما تفسد ذات البين، فيكون قوله : ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ خطاباً للمؤمنين ليتركوا المراء، ويؤيده قوله : ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ يعني إذا لم تكن أنت وكيلاً على المشركين فالمؤمنون أحرى به.

قوله : ((﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ دلالة على وجه تفضيله[6] إلى قوله : وإن أمته خير الأمم، ووجه الدلالة أنه تعالى عطف ﴿ وآتينا داود زبوراً ﴾ على قوله : ﴿ فضلنا ﴾ على طريق الوجود والحصول وعول التعليل إلى ذهن البليغ، كأنه تعالى قال : نحن أجملنا بيان تفضيل بعضهم على بعض، ونحن فضلناه بأن بيّنا ذلك فيما أعطينا عبدنا داود من الزبور، وفيه أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، وإلى التعليل الإشارة بقوله : لأن ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام، ونحوه في التعويل إلى الذهن ما

---

(1) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

(2) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(3) قاله الواحدي في أسباب النزول ٣٣٣، وذلك أن رجلا من العرب شتمه عمر فأمره الله بالعفو، وذكره الماوردي ٢٤٩/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ١١٤/٩ والقرطبي ٢٧٦/١٠.

(4) ما بين القوسين س من ب.

(5) كناية عن الغضب وما يترتب عليه من النفور وقبيح الكلام والطيش.

(6) يعني تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم.

رُوى أن المنصور[1] وعـد الهـذلي[2] ، بجائزة ونسـي، وحجا معاً، ومرّا في المدينـة ببيـت عاتكة، فقال : يا أمير المؤمنين : هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص[3] :

** يا بيت عاتكة الذي أتعزّل **[4]

فأنكر عليه ذلك، فلما رجع أمرَّ القصيدة التي فيها هذا المصراع[5] على قلبه فإذا فيها:

** وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ** مذق اللسان[6] يقول ما لا يفعل **

فذكر المواعيد وأنجز له واعتذر إليه، ويسمى هذا الأسلوب بالتلميح[7] .

---

(١) المنصور : أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمّه سلاّمة البربرية، ولد سنة ٩٥، روى عن أبيه، وعن عطاء بن يسار، وعنه ولده المهدي، بويع بالخلافة بعهد من أخيه، وكان فحْل بني العباس، هيبة وشجاعة ورأيا وجبروتا، عالماً أديباً. تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٠٣ .

وذكر نحو القصة في ٣١٣. قال : وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال : مما يؤثر من ذكاء المنصور أنه دخل المدينة، فقال للربيع : اطلب لي رجلا يعرّفني دور الناس، فجاءه رجل، فجل يعرفه الدور، إلا أنه لا يبتدئ به يسأله المنصور، فلما فارقه أمر له بألف درهم، فطالب الرجل الربيع بها، فقال : ما قال لي شيئاً، وسيركب فذكّره، فركب مرة أخرى، فجعل يعرّفه، ولا يرى موضعاً للكلام، فلما أراد أن يفارقه، قال الرجل مبتدئاً : وهذه يا أمير المؤمنين دار عاتكة التي يقول فيها الأحوص :

** يا بيت عاتكة الذي أتعزل ** حَذَرَ العِدي وبِكِ الفؤادُ مُوكّل **

فأنكر المنصور ابتداءه، فأمرَّ القصيدة على قلبه، فإذا فيها :

** وأراك تفْعلُ ما تقول وبعضهم ** مذِقُ اللسان يقول ما لا يفعل **

فضحك، وقال : ويلك يا ربيع، أعطه ألف درهم . انظر الأغاني ففيه القصيدة ٩٦/٢١.

(٢) وذكر الألوسي القصة هذه ٩٥/١٥.

(٣) الأحوص : عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة، شاعر هجاء، من طبقة جميل بن معمر، ومعاصرا لجرير والفرزدق، كان من سكان المدينة، وفد على عبد الملك في الشام، فأكرمه، ثم بلغه عنه ما ساءه من سريرته، فرده إلى المدينة، وأمر بجلده، ونفيه إلى جزيرة (دَهْلَك) بين اليمن والحبشة، مات سنة ١٠٥هـ. الأعلام للزكلي ١١٦/٤ والأغاني ٤٠/٤.

(٤) انظر ديوان الأحوص ١٦٦.

(٥) المصراع : أحد شطري البيت، الأول يسمى : صدرا، والثاني يسمى : عجزاً.

(٦) مذق اللسان، أي : لسانه مخلوط غير خالص، أصله من مذق اللبن خلطه بالماء، ومنه قولهم : فلان يَمْذُق الودّ إذا لم يخلصه، فهو مذاق . الصحاح للجوهري ١٥٥٣/٤ مادة (مذق).

(٧) (التلميح) هو أن يشار في فحو الكلام إلى قصة أو شعر من غير أن تذكر صريحاً . التعريفات للجرجاني ٦٦.

قوله : ((كالعباس وعباس))[1] قال أبو البقاء[2] : [إنه علم يقال : زبور والزبور، كما يقال : عباس والعباس، أو هو نكرة، أي : كِتاباً من جملة الكتب]، وقال القاضي[3]: [الزبور في الأصل فَعُولٌ للمفعول، كالحلوب، أو المصدر كالقبول، ويؤيّده قراءة حمزة بالضم، فهو كالعباس والفضل].

قوله : ((أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون))[4] معنى الجملة كما هي بمعنى يحرصون . قال صاحب التقريب : [أيُّ موصولة، وهو بدل من واو يبتغون، أي آلهتهم أولئك يبتغي من هو أقرب منهم الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب ﴿ أو أيهم ﴾ استفهام، وضُمّن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون، أي : يحرصون أيّهم يكون أقرب إلى الله بالطاعة وزيادة الخير، فعلى الأول : يطلب من هو أقرب الوسيلة، وعلى الثاني :

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور ﴾ قال (ز) : قلت : يجوز أن يكون الزبور، وزبور ((كالعباس وعباس)) كما قال ابن مالك في الخلاصة :

** وبعض الأعلام عليه دخلا ** للمح ما قد كان عنه نقلاً **

** كالفضل والحارث والنعمان ** فذكر ذا وحذفه سيان **

(٢) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٣.

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ٣/٢٠٥.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل ادع الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً . أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٦-٥٧.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ أيهم ﴾ : بدل من واو يبتغون، وأي موصولة، أي : يبتغي من هو أقرب منهم، وأزلف الوسيلة إلى الله، فكيف بغير الأقرب ((أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون)) فكأنه قيل : يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله، وذلك بالطاعات ... الخ.

وفي معنى هذه الآية الدالة على أن المعبودين من دون الله لا ينفعون عابديهم بأي نفع من جلب نفع أو دفع ضر. من ذلك قوله تعالى في سورة سبأ الآية ٢٢ : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ وقوله في الزمر الآية٣٨ : ﴿ أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ...الآية ﴾

يطلب آلهتهم أن يكونوا أقرب إلى ا لله بما هو وسيلة . وقال أبو البقاء[1] : [﴿ أيّهم ﴾ مبتدأ و ﴿ أقرب ﴾ خبره، وهو استفهام، والجملة في موضع نصب بـ ﴿ يدعون ﴾، ويجوز أن يكون ﴿ أيهم ﴾ بمعنى الذي، وهو بدل من الضمير في ﴿ يدعون ﴾]، واعلم أن لهم في مثل هذا مذهبين : أحدهما : أن ﴿ أيهم ﴾ استفهام، وهو مذهب الخليل. وثانيهما : هي موصولة، وصدر الصلة محذوف، وإليه ذهب سيبويه، وسيجيء تمام تقريره في قوله تعالى : ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ﴾[2] فالوجه الأول في الكشاف محمول على مذهب سيبويه، ولذلك صرّح بذكر صدر الصلة. وقال : ينبغي من هو أقرب. والثاني على مذهب الخليل حيث قال : يحرصون أيهم، ولا بد من تقدير متعلّق بيحرصون، كقوله تعالى : ﴿ حريص عليكم ﴾[3] ﴿ إن تحرص على هداهم ﴾[4] . ومن تأويل الإنشائي لتصحيح استقامته أقرب إلى ا لله بسببه من الطاعة وازدياد الخير، ففي الآية تقديم وتأخير لأن قوله : ﴿ إلى ربهم ﴾ حينئذ متعلق بـ ﴿ أقرب ﴾، كما قدّر في قوله يحرصون أيهم أقرب إلى ا لله، وأما قول أبي البقاء[5]:[والجملة في موضع نصب بيدعون] فتقديره أن آلهتهم أولئك يدعون إلى ا لله، الذين يقال فيهم أيهم أقرب إلى ا لله، لأنهم الذين ينتفعون بالدعوة، كقوله : ﴿ وأنذر به الذين يخافون ﴾[6] ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾[7] ﴿ هدى للمتقين ﴾[8] ويجوز أن

---

(1) أبو البقاء ٩٣/٢.

(2) سورة مريم الآية ٦٩

(3) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(4) سورة النحل الآية ٣٧.

(5) أبو البقاء ٩٣/٢.

(6) سورة الأنعام الآية ٥١.

(7) سورة عبس الآية ٤٥.

(8) سورة البقرة الآية ٢.

وسبب نزول هذه الآية : قال ابن مسعود رضي ا لله عنه : نزلت في قوم من العرب من خزاعة أو غيرهم كانو يعبدون الجن، فأسلم الجنيون وبقي الكفار يعبدونهم، فأنزل ا لله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم

يقدر أوئلك يدعون إلى الهدى، وإلى ما يقال فيه : أنّهم أقرب إلى ا لله بسببه من العبادة والطاعة يبتغون إلى ربهم الوسيلة بتلك الدعوة، فقدم اهتماماً. وا لله أعلم.

قوله : ((كما غَيْرهم، أي : كغيرهم)) و (ما) كافة، أي : كما هو غيرهم.

قوله : ((بأن يحذره كل أحد من ملَك مقرّب))(١) هذا العموم يعطيه معنى التعليل، والعموم الذي في إطلاق قوله : ﴿ محذوراً ﴾.

قوله : ((والجبال بالصواعق))(٢) وفي الحاشية : الجبال من الريّ إلى بغداد.

قوله : ((استعير المنع لترك إرسال الآيات))(٣) لأن أصل المعنى : وما تركنا إرسال الآيات التي اقترحتها قريش، إلا لأجل علمنا السابق، والتقدير الماضي، وهو تأخير أمر من بعثْتُ إليهم إلى يوم القيامة، ولّما كان الصارف وهو العلم والتقدير قوياً، استعير المنع للترك، وذلك أن المنع حقيقة هو صرف الغير عن فعل يفعله، وذلك في حقّ الفاعل المختار محال، فوجب الحمل على المجاز.

الوسيلة أيهم أقرب ... الآية ﴾ . وقال ابن عباس رضي ا لله عنه : نزلت في الذين كانو يعبدون عزيرا والمسيح وأمه. انظر لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٦/٢ مع الجلالين.

وأخرجه البخاري مع الفتح ٣٩٧/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ قل ادع الذين زعمتم من دونه ... الآية ﴾ رقم ٤٧١٤. وأيضاً الحديث رقم ٤٧١٥ ص٣٩٨.

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ قال (ز) : حقيقاً ((بأن يحذره كل أحد من مَلَك مقرّب)) ونبي مرسل، فضلا عن غيرهم.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ الإسراء الآية ٥٨.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ أو معذبوها ﴾ : بالقتل وأنواع العذاب، وقيل : الهلاك للصالحة، والعذاب للطالحة، وعن مقاتل : وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها. أما مكة فتخربها الحبشة، والمدينة بالجوع، والبصرة بالغرق، والكوفة بالترك، ((والجبال بالصواعق)) والرواجف . ولا يعول على هذا.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾ الإسراء الآية ٥١.

قوله : ((أن من اقترح))[1] أن مع اسمها وخبرها خبر ((عادة الله)) وخبر إن : أنْ يعاجل.

قوله : ((وأنها لو أرسلت)) عطف على قوله : أن كذب بها الذين هم أمثالهم، على منوال أعجبني زيد وكرمه.

قوله : ((وقرئ : ﴿ مَبْصَرة ﴾[2] بفتح الميم . قال أبو البقاء[3] : [أي : تبصرة].

قوله : ((لا نرسلها ﴿ إلا تخويفاً ﴾ من نزول العذاب العاجل))[4] الراغب[5] : [الآيات ههنا قيل : إشارة إلى الجراد والقمّل ونحوهما من الآيات التي أرسلت إلى الأمم المتقدمة، فنبّه أن ذلك إنما يفعل بمن يفعله تخويفاً، وذلك أحسن المنازل للمأمورين، فإن الإنسان يتحرّى فعل الخير لأحد ثلاثة أشياء : إما أن يتحرّاه لرغبة أو لرهبة، وهو أدنى منزلة. وإما أن يتحرّاه لمحمدة، وإما أن يتحرّاه للفضيلة، وهو أن يكون ذلك الشيء في نفسه فاضلاً، وذلك أشرف المنازل فلما كانت هذه الأمة خير أمة رفعهم عن هذه المنزلة، ونبّه أنه لا يعمّهم بالعذاب، وإن كانت الجهلة منهم كانو يقولون : ﴿ أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليهم ﴾[6] وقيل : الآيات إشارة إلى الأدلة، ونبّه أنه يَتَبَصَّرُ معهم على الأدلة ويصانون عن العذاب الذي يستعجلونه].

---

(1) قال (ز) : وما مَنَعْنا إرسال الآيات، إلا تكذيب الأولين، وعادة الله في الأولين من الأمم، أن من اقترح منهم آية، فأُجيب إليها ثم لم يؤمن بها أن يعاجل بعذاب الاستئصال، وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك، وقالوا هذا سحر مبين.

(2) قرأ قتادة بفتح الميم والصاد (مَفْعلة) من البصر أي : محل إبصار . البحر المحيط ٥٣/٦.

(3) أبو البقاء في إملائة ٩٣/٢.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾.

(5) الراغب في مفرداته ٣٣ مادة (آي)

(6) سورة الأنفال الآية ٣٢ . ويعني بالجهلة منهم : النصر بن الحارث، القائل ذلك.

قوله : ((وهو يومئ إلى الأرض، ويقول هذا مصرع فلان))[1] روى مسلم[2] وأبو داود عن أنس قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض ههنا وههنا . قال : فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم) ماط، أي : بعد وذهب.

قوله : ((ورسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في العريش، الجوهري[3] : [العريش : ما يستظل به]. روينا في صحيح البخاري[4] عن ابن عباس أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر : (اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعْبَد اليوم، فأخذ أبوبكر بيده، فقال : حسبك).

قوله : ((فتسامعت))[5] هو متصل بقوله : ((ولعل ا لله)) وما عطف عليه من قوله : ((وحين تراجف الفريقان)) بدليل قوله من أمْر بدرٌ وما أرى في منامه، والمعطوف والمعطوف عليه تفسيران لقوله تعالى : ﴿ إن ربك أحاط بالناس ﴾ ولقوله : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ﴾ وجعلوها سخرية عامل حين سمعوا، وهو تأويل لقوله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ وأما قوله : حين تراجف، فظرف لقوله : ((يدعو ويقول)) كما أن قوله : ((حين ورد ماء بدر ظرف يقول)) : أى كان يدعو[?] ويقول

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ الإسراء الآية ٦٠ .

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ : أي : أحاط بقريش، يعني بشرناك بوقعة بدر وفيها أنه صلى ا لله عليه وسلم كان ((يومئ إلى الأرض ويقول : هذا مصرع فلان)).

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٠٣/٢ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وفي الجهاد برقم ١٧٧٩ ... الخ . وأبو داود ١٣١/٣ كتاب الجهاد، باب في الأسير ينال منه ويضرب ويقرّر. والنسائي ١٠٩/٤ . وأحمد في مسنده ٢١٩/٣، ٢٥٨ . ومصنف ابن أبي شيبة ٣٧٨/١٠٤.

(٣) الجوهري في صحاحه ١٠١٠/٣ مادة (عرش).

(٤) البخاري مع الفتح (٦١٩/٨ كتاب التفسير، باب قوله : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ . وأحمد في مسنده ٣٢٩/١.

(٥) لما ذكر الحديث : اللهم إني أسألك عهدك ... الخ . قال : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ((ولعل ا لله تعالى أراه مصارعهم في منامه، ثم قال : ((فتسامعت قريش)) بما أوحي إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم.

حين تراجف الفريقان : اللهم إنـي أسـألك، وقـد كـان يقـول حـين ورد مـاء بـدر، وا لله لكأني أنظر، وإنما جمع المعنيين في قِرانٍ واحد وأفرز (الثالث) لاتّحـاد قصتهمـا واختـلاف الثالث فقوله : ((وحين)) سمعوا عطف على جملة قوله : ((حين تراجف الفريقان مـع مـا عطف عليه وهو قوله : ((ولعل ا لله)) ثم إنه لخص المعاني الثلاثـة في قولـه : والمعنـى أن الآيات إنما نرسل بها تخويفاً للعباد ... إلى آخره,

قوله : ((﴿ وما قدروا ا لله حق قدره ﴾[1] من قال ذلك)) (من) فـاعل (قـدروا). الإنتصاف[2] : [العمدة في ذلك أن النار لا تؤثر إحراقاً إلا أن ا لله تعالى أجرى العـادة أن يخلق الإحراق عقيب ملاقاتها بعض الأجسام[3]].

قوله : ((وما أنكروا))[4] قيل (ما) يجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول مطلـق، أي : أيّ إنكار أنكروا ؟ وما استفهامية إنكارية . ويجوز أن تكون شرطية، والجزاء قوله : ((فهذا وَبَرُ السَّمَنْدَلِ على طريق الإخبار والإنكار لقوله تعالى : ﴿ ومـا بكـم مـن نعمـة

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٧ قال : (ز) : ولما سمعوا بأنه ذكر مصارعهم استهزءوا به، كما استزءوا لمـا سمعوا قوله تعالى : ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ﴾ فأورد قوله تعالى : ((﴿ وما قدروا ا لله حق قدره ﴾)).

(٢) الإنتصاف مع الكشاف ٢/٦٧٥.

(٣) فا لله تعالى هو الخالق للتأثير، فالنار صارت برداً وسلاماً لإبراهيم عليه السلام، لأنه أراد ذلك وشاء، فانتفى تأثيرها بذاتها . قال أحمد المقري في هذا الباب :

** ونـفـي تأثـيـر عن الأسـباب ** يعلم من برهـان هــذا البـاب **
** كالـماء للـرّي وكالـسكّـين ** في القطع وفي النار لكالتسخين **
** وقدرة العبد وغيـر ذلـك ** فالكل خلق للـقـدير الـمالك **
** وما له في صنـعه من مثـــل ** وليس للعبد اختـــراع فـعــل **
** نعم له كسْبٌ به يكلـــف ** شرعاً ولا تأثيـر منه يـؤلـف **
** ولتحذر النّسْج على منوال ** ما خالف المذكـور من أقـوال **
** وا للهُ عن أفعاله لا يســـأل ** والقـدريّ لـم يـقـُلْ ما يعـقـل **

(٤) قال (ز) : إن قريشاً ((ما أنكروا أن يجعل ا لله الشجرة من جنس لا تأكله النار، فهذا وبر (السَّمَنْدَل) وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتّسخت طرحت في النار فذهب الوسخ، وبقـي المنديـل سـالماً لا تعمـل فيه النار.

فمن الله ﴾[1] والمعنى متصل بقوله : ((ثم أقرب من ذلك)) أي : أقرب مما ذكرنا أنه خلق في كل شجرة ناراً فلا تحرقها، وهم يشاهدونها، فأيّ إنكار أنكروا هذا ؟.

قوله : ((في كل شجر ناراً)) وفي المثل[2] : [(في كُلِّ شَجَرٍ نارٌ واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَارُ) شَبَّهَهُما بمن يكثر العطاء طلباً للمجد، لأنهما يسرعان الورى، خلاف سائر الأشجار].

قوله : ((وخُوِّفُوا بعذاب الآخرة))[3] عطف على قوله : ((وقد خُوِّفوا بعذاب الدنيا)) . والفاء في : ((فما أثّر فيهم)) هي الفاء في قوله تعالى : ﴿ فما يزيدهم ﴾ والتخويف بعذاب الدنيا حصل من شيئين : من الوحي بإحاطة الناس، ومن الرؤيا التي أراها في مصَارع القوم، والتخويف بعذاب الآخرة حصل من إنزال شجرة الزقوم في القرآن، ولذلك جعل المصنف عطف قوله : ﴿ وما جعلنا ﴾ على ﴿ إذ قلنا ﴾ بمنزلة شيء واحد، وأتى بالفاء، حيث قال : ((فما كان ما أريناك منه في منامك بعد الوحي إليك ﴿ إلا فتنة ﴾)).

قوله : ((فكيف يجاب قوم)) بالجيم والباء، وفي أكثر النسخ : يخاف، بالخاء والفاء[4] ، وفيه إيماء إلى اتصال قوله تعالى : ﴿ ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا ﴾ بقوله : ﴿ وما منعنا ان نرسل بالآيات ﴾ يعني : ما تركنا إرسال تلك الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا وإحياء الموتى وغيرها إلا لنزول عذاب الإستئصال، وقد عزمْنا تأخير أمرهم . ثم قال : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ أي : وما نزل بآيات

---

(١) سورة النحل الآية ٥٣.

(٢) الأمثال للميداني ٤٧/٢ رقم المثل ٢٧٥٢، يقال : مَجَدَت الإبل تَمجدُ مُجوداً إذا نالت من الخَلى قريباً من الشّبع، واستمجد المَرْخُ والعفار، أي : استكثرا واخذا من النار ما هو حسبهما.((شبها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد، لأنهما يسرعان الوَرْيَ.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ إلا فتنة ﴾ قال (ز) : فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا ((وخُوِّفوا بعذاب الآخرة)) وشجرة الزّقوم، فما أثّر فيهم.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً ﴾ قال (ز) : ((فكيف يخاف)) قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات.

القرآن إلا تخويفاً وإنذاراً مما نزل بالأولين كعاد وثمودَ وفرعون من الاستئصال بسبب اقتراحهم على أنبيائهم لينزجروا ويعتبروا، وتخويفاً مما حلّ بهؤلاء يوم بدر، وما يحلُّ بهم يوم القيامة من أكل الشجرة الملعونة ليتّعظوا، فما يزيدهم كلّ ذلك إلا طغياناً، فإذا كان الأمر على هذا فكيف يجابوا إلى ما اقترحوا بإرسال الآيات، فوضع موضع ضمير يجابوا قوم هذه حالهم، إيذاناً بأنهم قوم معاندة مكابرة، أو يقال : كيف يجابون بإرسال ما يقترحون من الآيات ؟. وأنها كالطليعة المقدمة لعذاب الآجلِ، وقد خوفوا هذه التخويفات فما اتّعظوا ؟. وا لله أعلم.

قوله : ((ومن قال كان في اليقظة فسرّ الرؤيا بالرؤية))[1] يعني على الأصل، قال المصنف في سورة يوسف[2] : [والرؤيا بمعنى الرؤية، إلا أنها مختصّة بما كان منها في المنام دون اليقظة. وفرّق بينهما بِحَرفَي التأنيث، كما قيل القُرْبَة والقُرْبى] ومثله استعمال الوعد والوعيد. وروينا عن البخاري[3] وأحمد بن حنبل والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ قال : (هي رؤيا عين أُريها النبي صلى ا لله عليه وسلم ليلة أسري به إل بيت المقدس).

قوله : ((وقيل : إنما سماها رؤيا على قول المكذبين، يعني على زعمهم والتهكم بهم، ويمكن أن يكون هـهنا من باب المشاكلة[4] .

---

(1) من تفسير قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا ﴾ قال (ز) : وقيل : الرؤيا هي الإسراء، وبه تعلق من يقول : كان الإسراء في المنام ((ومن قال : كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية))

(2) عند قوله تعالى : ﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ الآية ٥.

(3) البخاري مع الفتح ٣٩٨/٨ كتاب التفسير، باب : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ . والترمذي ٢٨٢/٥ كتاب التفسير، باب : ومن سورة بني إسرائيل . وأحمد في مسنده الفتح الرباني ١٩٣/١٨.

(4) المشاكلة :هي ذكر الشيء بلفظ مصاحبه لوقوعه معه ، كقوله تعالى في الشورى الآية ٤٢ (وجزاء سيئة سيئة مثلها).

قولـه : ((كمـا سمّـى أشـياء بأسـاميها عنـد الكفـرة))[1] سمّـى أصنـامهم بالآلهـة والشركاء في الآيتين، وأنفسهم بالعزيز الكريم في الآخرة على زعمهم وكما هـو عندهـم تهكمًا[2] .

قوله : ((فراغ)) الجوهري[3] : [راغ إلى كذا، أي : مال إليه سرًا ﴿ فراغ عليهم ضربا باليمين ﴾[4] أي : أقبل . قال الفراء : [مال عليهم].

قوله : ((رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره))[5] الحَكَـم هـو ابـن العـاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وولده الذين ملكوا بعد معاوية يزيد بن معاويـة بـن

---

(١) قال (ز) : وقيل : إنما سماها رؤيا على قول المكذّبين، حيث قالوا له : لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيّل إليك استبعاداً منهم ((كما سَمّى أشياء بأسمائها عند الكفرة)).

(٢) التهكم : الاستهـزاء و التكبر القاموس ١٩١/٤ مادة (التهكم).

(٣) الجوهري في صحاحه ١٣٢٠/٤ مادة (روغ).

(٤) سورة الصافات الآية ٩٣.

(٥) قال (ز) : وقيل : إنه ((رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره)) كمـا يتـداول الصبيـان الكـرة.

انظر تراجم خلفاء بني أمية في تاريخ الخلفاء للسيوطي. والأعلام للزركلي :

١- معاوية بن أبي سفيان، أسلم يوم الفتح، بقي في الخلافة عشرين سنة لا ينازع فيها. مات سنة ٦٠.

٢- يزيد بن معاوية، ولد سنة ٢٦، ولي الخلافة سنة ٦٠هـ، ومات سنة ٦٤.

٣- عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٢٦، ولي الخلافة سنة ٦٥، ومات سنة ٨٦.

٤- الوليد بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٤٨، ولي الخلافة سنة ٨٦، ومات سنة ٩٦.

٥- سليمان بن عبد الملك، ولد سنة ٥٤ ومات ٩٩، ولي الخلافة سنة ٩٦، مدة خلافته سنتان وثمانية أشهر.

٦- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم العادل، ولد سنة ٦١، ومات سنة ١٠١، دامت خلافته سنتان ونصف.

٧- يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٧١، ومات ١٠٥، دامت خلافته أربع سنين وشهراً.

٨- هشام بن عبد الملك بن مـروان، ولـد سـنة ٧١، ومـات سـنة ١٢٥، بويـع بالخلافـة سنة ١٠٥. دامت خلافته سنتان.

٩- الوليد بن اليزيد بن عبد الملك، ولد سنة ٨٨، ومات سنة ١٢٥، ولي الخلافة ١٢٥، ودامت سنة وثلاثة أشهر.

١٠- إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، مات سنة ١٣٢، وولي الخلافة سنة ١٢٦، كان ضعيفاً مكث في الخلافة ٧٠ يوماً.

١١- مروان بن محمد بن مروان، ولد سنة ٧٢، ومات سنة ١٣٢ دامت خلافته خمس سنين وشهر . . وهو أخر خلفاء بني أمية.

أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أولهم مروان بن الحكم، ثم عبد الملك ابنه، ثم ابنه الوليد، ثم أخوه سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وآخرهم مروان بن محمد بن الحكم.

قوله : ((لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة))[1] أي : أيُّ موضع من القرآن وجدت فيه لعنة الكافرين، فهي ملعونة هناك، لأن المراد بالشجرة الملعونة أن طاعمها ملعون، لأن الشجرة لا ذنب لها.

قوله : ((وسألت بعضهم)) عن صحة نقل المعنى فقلت : هل تسمى العرب كلّ طعام مكروه ملعوناً ؟. قال : نعم . وزاد في الجواب : إن الطعام الملعون هو المذموم الذي لا خير فيه.

قوله : ((القشب الممحوق))[2] الفائق[3] : [القشب : القذر، والقَشِبُ : الذي خالطه قذر، قيل : القشب أيضاً السم، والجمع أقشاب. وقشبه أيضاً إذا ذكره بسوء].

قوله : ((الممحوق)) محقه يمحقه محقاً، أي : أبطله ومحاه، والكشوث[4] نبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض.

قوله : ((وقيل : هي الشيطان)) أي : الشجرة الملعونة . الانتصاف[5] : [يبعده قوله : ﴿ طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾[6] وقوله : ﴿ فإنهم لآكلون منها ﴾[7]].

---

(1) تفسير قوله : ﴿ والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ قال (ز) : فإن قلت : أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟. قلت : ((لعنت حيث لعن طاعمها من الكفرة)) والظلمة.

(2) تفسير قوله : ﴿ والشجرة الملعونة ﴾ قال (ز) : تقول العرب لكل طعام مكروه ضارّ : ملعون، والطعام الملعون ((القشب الممحوق)).

(3) الفائق للزخشري ١٩٨/٣ مادة (قشب) والجوهري ٢٠١/١.

(4) الصحاح للجوهري ٢٩٠/١ : الكشوث : نبت الخ. يشير (ز) إلى قول ابن عباس، أن الشجرة الملعونة هي الكُشُوثُ التي تلتوي بالشيء يجعل في الشراب، وهو نبت.

(5) الانتصاف مع الكشاف ٦٧٦/٢.

(6) سورة الصافات الآية ٦٥.

(7) سورة الصافات الآية ٦٦.

قوله : ((أو من الراجع))[1] والفرق أنه إذا كان حالاً من الموصول يكون قيداً لأسْجُدُ، وإذا كان حالاً من الراجع، كان قيداً لـ(خَلَقْتَ) فيختلف التقديران، والأول أبلغ، لأنه من باب المجاز باعتبار ما كان، أي : أَسجد للطِّين، والطين لا يُسْجَدُ له. والمعنى : على الثاني : أأسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً، أي : أصله طين.

قوله : ((لم كرّمته عليّ وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك))[2] أي : السؤال عن العلة، ويمكن أن يقال : إن اللّعين لـمّا أنكر أن يسجد له تحقيراً لشأنه، وجَعْلُه طيناً مشاهداً ترقّى منه إلى أبلغ، أي : أخبرني عن هذا المشاهد المحسوس المكوّن من الطين والصَّلْصالِ كالفخار المجبول بالشهوات، أي : كيف يرتفع عليَّ وأنا أقهره بالوساوس، وأجعله مطواعاً لي، سيما ذريته، فأستأصلهم إغواء، ومن ثَمَّ أتى بالجملة المؤكّدة بلام القسم في قوله : ﴿ لئن أخّرتنِ ﴾ ﴿ لأحتنكنّ ذريته ﴾ ولفظة (هذا) مثلها في قولها[3] :

** تقول ووقّت نحرها بيمينها ** أبَعْلي هذا بالرحى المتقاعس **

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أءسجد لمن خلقت طيناً. قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيام لأحتنكن ذريته إلا قليلاً . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً ﴾ الإسراء الآية ٦١-٦٥.

قال (ز) في تفسير وإعراب قوله : ﴿ طيناً ﴾ حال إما من الموصول، وهو ﴿ مَنْ ﴾ والعامل فيه ﴿أسجد﴾ على تقدير ﴿ أأسجد ﴾ له، وهو طين، أي : أصله طين ((أو من الراجع إليه)) من الصلة على تقدير : أأسجد لمن كان في وقت خلقه ﴿ طيناً ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ هذا الذي كرَّمتَ عليَّ ﴾ قال (ز) : أي فضلته ((لم كرّمته علـيّ وأنا خير منه ... الخ))

(٣) لم أقف على قائلة البيت.

ويؤيده قول الإمام[1] : [هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام، والذي مع صلته الخبر، أي : أخبرني : أهذا الذي كرّمته عليّ ؟ وذلك على وجه الاستصغار، وإنما حذف الاستفهام، لأن حصوله في قوله : ﴿ أرأيتك ﴾ أغنى عن تكراره].

قوله : ((وهو من الحنك))[2] الراغب[3] : [الحنك : حنك الإنسان والدابة، وقيل لمنقار الغراب : حَنَكٌ، لكونه كالحنك من الإنسان، وقيل : أسْوَدُ مثلُ حنك الغراب، وحَلَكِ الغراب، فَحَنَكُهُ : منقاره، وحَلَكُهُ : سواد ريشه. وقوله تعالى : ﴿ لأحتنكنّ ذريته إلا قليلاً ﴾ يجوز أن يكون من حَنَكْتُ الدابّة أصبت حنَكَها باللجام والرّسن، فيكون نحو قولك : لألْجمنّ فلاناً ولأُرْسِنَنَّهُ، ويجوز أن يكون من قولهم : احتنك الجراد الأرض، أي : استولى بحَنَكِه عليها، فأكلها واستأصلها، فيكون المعنى : استولى عليهم استيلاءه على ذلك، وفلانٌ حَنَكَهُ الدهر كقولك : نَجره وفرع سنّه وافترّه، ونحو ذلك من الإستعارات في التجربة].

قوله : ((والظاهر أنه قال ذلك))[4] أي : لئن أخّرتنِ، يعني : أن قوله : لئن أخرتني، إلى آخره، داخل في حيز القول، فيكون صدور هذا القول بعد الإباء عن السّجود ومكان الوسوسة الجنة، وهو متخلّف عن هذا بزمان، أي : هذا القول مردود.

قوله : ((كما قال موسى عليه السلام للسامري))[5] يعني : كما رتّب موسى عليه السلام على قوله : ﴿ فاذهب ﴾ قولَه : ﴿ فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ﴾[6] للائذان بأن المراد من الأمر الخذلان، لتعقبه بالعقاب، كذلك ها هنا،

---

(١) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ٣/٢١.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لأحتنكنّ ذرّيته ﴾ قال (ز) : لأستأصلنهم بالإغواء، من : احتنك الجراد الأرض إذا جرَّد ما عليها أكْلاً ((وهو من الحنك)).

(٣) الراغب في مفرداته ١٣٤ مادة (حنك).

(٤) يعني : قول إبليس : ﴿ لأحتنكن ذريته ﴾.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ﴾ قال :(ز) : ((كما قال موسى عليه السلام للسامري : ﴿ فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس ﴾.

(٦) سورة طه الآية ٩٧.

فقوله : وعقبه، عطف على محذوف، وهو معلل لقوله : خذلاناً أو تخلية، وفي قوله : ﴿ فمن تبعك ﴾ ظرف لقوله : تذكرة له جزء، أي : قال ا لله تعالى لإبليس : امض لشأنك خذلاناً وتخلية، وعقّبه بذكر ما جرّه سُوء اختياره، حتى يقال في حقه : ﴿ فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم ﴾.

قوله : ((لأن الجزاء موصوف بالموفور))[1] هذا تصحيح وقوع الجزاء حالاً، وهو كقوله تعالى : ﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً ﴾[2] وقيل : التقدير[3] ذوي جزاء موفور، فيكون حالاً من الضمير في تجازون، وهو معنى جزاؤكم ، وإلا فالعامل مفقود، والأظهر أنه حال مؤكّدة، كقولك : زيد حاتم جوداً. قال أبو البقاء[4] : [هو حال موطئة . وقيل : هو تمييز].

قوله : ((فِرْ لصاحبك عرضه))[5] مثله في قول زهير :

** ومن يجعل المعروف من دون عرضه ** يفره ومن لا يتق الشتم يشتم **

قال الزوزنّي : وفَرت الشي وَفْرَةً وَوَفْراً : أكثرته ووفّرته وفوراً، تقول : ومن يجعل معروفه ذابّاً عن عرضه وجعل إحسانه واقياً عرضه وفّرَ مَكَارِمَه. الراغب[6] : [الوفر : المال التام. يقال : وَفَرْتُ كذا : تممته، أفِره وَفْراً ووفوراً وَفِرَةً ووفّرته على التكثير، والوفرة : الشعر الوافر، ومَزَادَةٌ وَفْراء، وسِقَاءٌ أوفر لم ينقص من أديمها شيء، ورأيت فلاناً ذا وفارة، أي : تام المروءة والعقل].

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإن جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً ﴾ أي : تجازون.

(٢) سورة يوسف الآية ٢.

(٣) (المعنى) في ب ، ت . بدل (التقدير)

(٤) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٤.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ موفوراً ﴾ قال (ز) : الموَفّر، يقال : ((فُرْ لصاحب عرضه فُرةً)).

(٦) الراغب في مفرداته ٥٢٨ والصحاح للجوهري ٢/٨٤٧ مادة (وفر).

قوله : ((والفَزُّ الخفيف))[1] الراغب[2] : [قال تعالى : ﴿ واستفزز من استطعت منهم ﴾ أي : أزعِجْ وَفَزَّنِي فلان أزعجني والفَزُّ وَلَدُ البقرة، سمي به لما تُصُوِّرَ فيه من الخفّة، كما سمّي عجلاً لما فيه من العجلة].

قوله : ((من الجلبة وهي الصياح))[3] الراغب[4] : [أجلبت عليه صحت عليه بقَهْرٍ].

قوله : ((يا خيل الله اركبي)) النهاية[5] : [أي : يأصحاب خيل الله].

قوله : ((وقرئ : ﴿ ورَجِلِكَ ﴾)) قال ابن جني[6] : [رويناها عن قطرب عن أبي عبد الرحمن وقال الرّجِلُ الرجال، وعليه قرآة عكرمة وقتادة : ﴿ ورجالك ﴾ ويقال : رجلٌ جمع راجل، كتاجر وتجْرٍ، وهذا عند سيبويه اسم للجمع غير مكّسر بمنزلة الباقر] الراغب [7] : [الرجُلُ يختصّ بالذكر من الناس، ويقال : رَجُلَةٌ للمرأة إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها، وفلان أرْجَلُ الرجلين، واشتُقَّ من الرِّجْلِ رَجِلٌ، وراجل للماشي بالرِّجْلِ بين الرُّجْلَةِ، فجمع الراجلِ رِجَّالةٌ ورَجْلٌ نحو رَكْب، ورجال نحو رِكابِ لجمع الراكب، ويقال رَجُلٌ راجل أي : قويّ على المشي، وجمعه رجال نحو قوله : ﴿ فرجالاً أو ركباناً ﴾[8] وكذا رَجِيلٌ ورَجْلةٌ. والأرجل الأبيض الرجل من الفرس، والعظيمُ الرِّجْلِ، واستعير الرِّجْلُ للقطعة من الجراد ولزمان الإنسان، يقال : كان ذلك على رِجْلِ فلان، كقولك : على رأس فلان، وترَجَّلَ الرجل نزل عن دابته، وتَرَجَّل النهار

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ واستفزز ﴾ قال (ز) : استفزّه استخفّه ((والفَزّ الخفيف)).

(2) الرغب في مفرداته ٣٧٩ مادة (فز).

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأجلب عليهم ﴾

(4) الراغب في مفرداته ٩٥ مادة (جلب).

(5) النهاية ٩٤/٢ (خيل).

وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤١٣/٧ كتاب المغازي، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب من مرسل قتادة، وبوب له أبو داود ٥٥/٣ كتاب الجهاد . وتخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٢٧٤/٢. وأيضاً في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ٦٧٧/٢.

(6) ابن جني في المحتسب ٢١/٢-٢٢.

(7) الراغب في مفرداته ١٨٩.

(8) سورة البقرة الآية ٢٣٩.

انحطت الشمس عن الحيطان، كأنها تَرَجَّلَت، ورجَّل شعره، كأنه أنزله إلى حيث الرِّجل، والْـمِرْجَلُ : القدر المنصوب، وأرْجلْتُ الفَصِيلَ : أرسلته مع أمّه،كأنما جعلت له بذلك رِجْلاً].

قوله : ((حدث[1] أي حسن الحديث، والنّدس الفطن

قوله : ((ورِدَ مورد التمثيل))[2] وهو على وجهين : أحدهما : التمثيل المحض بأن مَثُلَتْ حال الشيطان في تسلّطه وإغوائه من غير تصوّر استفزاز وصوت وخيل ورجل بحاله مغوار مقدّرة فيها هذه المذكورات، فاستعمل في تلك الحال ما يستعمل في هذه نحوه قوله تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾[3] وثانيهما : التمثيل غير المحض، وذلك بأن يتصور له استفزاز وصوت ورجل وخيل مجازي، كما قال بدعائه : إلى الشّر، ورَجله كل راكب وماش من أهل العبث.

قوله : ((بمغوار)) الجوهري[4] : [رجل مِغْوارٌ ومُغَاوِرٌ أي : مقاتل، وقوم مَغاوير، وخيل مُغيرة].

قوله : ((وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في الكبائر))[5] الانتصاف[6] : [وعد الله بالمغفرة وعلقها بالمشيئة من غير توبة، وجعلها الزمخشري من وعد الشيطان، ولذلك جعل وعد الصادق المصدوق بالشفاة من مواعيد الشيطان، وأقل عقوبته في ذلك حرمانها.]

(١) قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ورجلك ﴾ قال : وقرئ ﴿ رَجلك ﴾ قال : وجمعك الرَّجُل بضم الجيم، فيكون مثل ((حَدُثٌ وحَدِثٌ، ونَدُسٌ ونَدِسٌ)) قال الجوهري ٢٧٩/١ : رجل حَدُثٌ وحَدِث بضم الدال وكسرها أي حسن الحديث. وقال أيضاً في جـ٩٨٢/٣ : رجل نَدُسٌ ونَدِسٌ أي فَهِمٌ، وفطن . والأساس للزمخشري ٦٢٥ مادة (ندس).

(٢) قال (ز) : فإن قلت : ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله ؟. قلت : هو كلام ((ورد مورد التمثيل)) مُثّلت حاله في تسلّطه ... الخ

(٣) سورة الزمر الآية ٦٧

(٤) الجوهري في صحاحه ٧٧٥/٢ مادة (غَوَرَ).

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعِدهم ﴾ قال (ز) : أي المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة، والكرامة على الله بالأنساب الشريفة ((وتسويف التوبة ... الخ))

(٦) الإنتصاف مع الكشاف ٦٧٨/٢ ولم يتضح لي وجه ردّه على الزمخشري.

قوله : ((ونحوه ﴿ إلا عبادك ﴾)) أي نحو قوله ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ﴾ .

قوله : ((﴿ إلا عبادك منهم المخلصين ﴾)) لأنّ من كفاه مالِكُ اللّعين والقادر عليه وكيلاً ، لا يكون إلا عبداً مكرّما مخلّصا .

قوله : ((هو على تقدير[1] الكلام)) [2] على الاستثناء المنقطع أى على الوجه الأخير ، ويفهم أنه على الأول والثاني متصل ، أما على الأول (فَضَلّ) مضّمنٌ لمعنى (ذهب) وفاعله الذِّكْرُ أى ذهب عن أوهامكم ذِكْرُ كلّ من تدعونه إلا ذِكْرُ ا لله ، يدلّ عليه قوله : ((لايذكرون سواه)) ، وعلى الثاني (ضَلّ) مجرى على حقيقته ، ولذلك قال : أولم يَهْتد لإنقاذكم .

قوله : ((فما معنى ذكر الجانب)) [3] ، دَلّت الفاء في السؤال على السببيه، يعنى ذكرت أن جانب البرّ مفعول به ، (كالأرض) في قوله ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ [4] ، فما معنى زيادة الجانب في هذه الآية ، وأجاب عنه أن الزيادة دلّت على أن الكلام في هذا المقام في الجانب ، وأن جانبي البَرّ والبحر سيان تحت قهره وسلطانه سبحانه وتعالى ، وذلك أنهم قطعوا أن الهلاك مختصّ بجانب البحر وأن جانب الْبَرِّ مكان الأمْنِ ومَنزِلَ الرّفَاهِية ومهبط البطر والأشر ، دلّ على ذلك فعلهم

(1) (مابين القوسين س من ب) .

(2) تفسير قوله تعالى ﴿ وإذا مسكم الضّر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البرّ أعرضتم وكان الإنسان كفورا ﴾ قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ ضل من تدعون ﴾ من الآلهة عن إغاثتكم، ولكن ا لله وحده هو الذى ترجونه وحده ((على الاستثناء المنقطع)) .

(3) تفسير قوله تعالى ﴿ أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البرّ أو يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ الإسراء الآية ٦٨ - ٦٩ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى ﴿ أن يخسف بكم جانب البر ﴾ قال (بكم) حال ، والمعنى أن يخسف جانب البرّ أي يقلبه وأنتم عليه ، فإن قلت : ((فما معنى ذكر الجانب)) ؟ ، قلت : معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء .

(4) سورة القصص الآية ٨١ .

﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلمّا نجّاهم إلى البرّ إذا هم يشركون ﴾ [1] .

قوله : ((أن يُقَوِّيَ دواعيكم ويوفّر حوائجكم))[2] ، إعلام بأن (أم) في قوله: ﴿ أم أمنتم ﴾ منقطعة والهمزة فيها للإنكار والتوّبيخ ، ويؤيده تقدير ((نَجَوْتُمْ)) بعد الهمزة ، وعطف (أمنتم) عليه في القرنية الأولى ، يعني هَبُوا أنكم تخلّصتم من الغرق في البحر ، فكيف تتخلصون من الخسف في البَرّ؟ ، ثم أضرب عنه أي دَعْوا الخسف ، بل كيف تأمنون أن الله يقوي دَوَاعِيكم فتورث الْبُخْلَ الخالع والحرص الهالع فتعودون إلى مانَجَوْتُم منه فيغرقكم به . وفي تذييل [3] كل من الآيتين معنى الترقي ، ذيّلت الأولى بقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكيلا ﴾ أي من يتوكل بصرف ذلك عنكم . والثا نية بقوله : ﴿ ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴾ أي مطالبا يطالبنا بما فعلنا دَرَكاً للثّأر، لأن طلب الثّأرِ بعد الهلاك والتوكل قبله .

قوله : ((فأعرضتم فينتقم منكم ، بأن يرسل)) الفاء في فأعرضتم عاطفةَ عقيب ﴿ نجّاكم ﴾ ﴿ فأعرضتم ﴾ وفي ينتقم مؤذنة ، بأن الفاء في قوله تعالى ﴿فيرسل﴾ فصيحة [4] مقتضبة لتقرير فينتقم ، لأن مُجرّد إعادتهم فى البحر ليس موجبا لإرسال ما يغرقهم ، بل سبب ذلك إرادة الانتقام من الإعراض السابق بواسطة الريح القاصف .

قوله : ((﴿ فيغرقم ﴾ وقريء بالتاء)) [5] ، ابن كثير وأبوعمرو بالنون ، والباقون بالياء التحتانية وبالتاء شاذة ، وعلى هذا ﴿ نعيدكم ﴾ .

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦٥ .

(٢) تفسير قوله ﴿ أم أمنتم ﴾ ، قال (ز) : أي أم أمنتم ((أن يُقَوِّيَ دواعيكم ، ويُوَفِّرَ حوائجكم ألى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه ((فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل)) .

(٣) (التذييل) هو تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد

(٤) الفاء الفصيحة : هى العاطفة على الجواب المحذوف . أنظر إعراب القرآن لمحي الدين درويش ٩٥/٦.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أفأمنتم أن نخسف بكم جانب البر أونرسل عليكم) وقوله ﴿ أم أمنتم أن نعيدكم فيه تارة أخرى فنرسل عليكم قاصفا من الريح فنغرقكم ﴾ كله بالنون . وقرأ أبو جعفر ويعقوب ﴿ فتغرقكم ﴾ بالتاء فقط ، والباقون بالياء . المبسوط لابن مهران ٢٢٩ والإتحاف ٣٨٥ .

قوله : ((** كمالاذ الغريم من التبيع **))[1]، لاذ : أي التجأ . الأساس[2] : [ما وجدت لي على فلان تبيعا أي متابعا ناصراً لى عليه] .

قوله : ((وهذا نحو قوله : ﴿ ولا يخاف [3] عقباها ﴾)) ، أي لا يخاف ا لله عاقبتها وتبعتها ، كما يخاف كلّ معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء .

قوله : ((وحسب بني آدم تفضيلا)) [4] ، يعني دلّ قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ على كرامتهم ، ويكفيهم من هذه الكرامة أن يكونوا دون الملائكة فيها ونازلين عن منزلة الذين هم المشهورون الكاملون وبقرب من ا لله معرفون ، أويكونوا مفضّلين على غيرهم ، كما تقول يكفيك من الشرف أن تكون ثاني الأمير في المنزلة .

قوله : ((وهم هم)) وقوله : ((ومنزلتهم منزلتهم)) ، مثل قول أبي النّجم [5] :

** أنا أبو النجم و شعري شعري **

أي أنا ذلك المشهور الموصوف بالكمال وشعري هو الموصوف بالبلاغة .

قوله : ((وتكثيره مع التعظيم ذِكْرَهُمْ)) ، أي تكثير ا لله ذكرهم مع التعظيم في كتابه ، مع التعظيم : حال من الفاعل و المفعول . قال صاحب التقريب : [ولقد تشنع ها هنا حتى أفحش ، فيقول : بتفضيل الْمَلَك أحند قول أهل

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ تبيعا ﴾ ، قال (ز) : التبيع المطالب . والبيت للشماخ يضف عقابا :

** يلوذ ثَعَالِب الشرقين منها ** كَمَالاَذَ الغريم من التّبيع** . انظر مشاهد الانصاف٢/٦٨٠

(٢) الأساس للزمخشرى ٥٩ ، مادة (تبع) .

(٣) سورة الشمس الآية ١٥ .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلا ﴾ الإسراء الآية ٧٠ ، قال (ز) : في تفسير قوله تعالى ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا ﴾ هو ما سوى الملائكة ((وحسب بني آدم تفضيلا)) أن يرفع عليهم الملائكة ((وهم هم ومنزلتهم عند ا لله منزلتهم)) .

(٥) أبو النجم الفضل بن قدامة العجلىمن بني بكر بن وائل ، من أكابر الرجّاز ، نبغ فى العصر الأموي مات سنة ١٣٠ هـ ، انظر الأغاني ١٠ /١٥٠ ، وخزانة الأدب ١ /٤٩ . والبيت كاملا هو فى معاهد التصيص ١/٢٦ :

** أنا أبو النجم و شعري شعري ** لله درّي ما يجن صدر **

السنة (1) ومذهب ابن عباس و اختيار الزجاج و أيضا غايته التمسك بالمفهوم ، و هو أن يخصص الكثير ، بل على أن القليل ، ولا يلزم منه مذهبه ، و هو تفضيل القليل ، فقد يستويان ثم ليتجمل أن يراد بكثير ممن خلقنا الملائكة إذهم كثير من العقلاء المخلوقين ، فيكون بين آدم فضل منهم . و على الجملة فذلك التشنيع شنيع .

قوله : ((ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها و يتمتعون))(2)

---

(1) شنع الزمخشري على أهل السنة في تفضيلهم الآدميين على الملائكة ، و في هذه المسألة خلاف بين علماء أهل السنة و الجماعة ، كما نظم ذلك المقرى في إضاءته قال :

** و الأنبيا أفضل فا لملائكة ** يتلون في فَضْلٍ عَلَوا أرائكه **
** و قيل بلعكس و بعض فضّلا ** في ذاك تفضيلاً له قد أصّلا **
** و انعقد الإجماع أن المصطفى ** أفضل خلق ا لله و الخلف انتفى **
** و ما نحى الكشاف في التكوير ** خلاف إجماع ذوى التنوير **
** فا حذر لمنعه سماعه ** و اتّبع السنة و الجماعة **

و انظر القرطبي 1/ 289 عند قوله تعالى ﴿ قال يا آدم انبئهم بأسمائهم ﴾ الآية 33 وذكر ادلة القولين فاستدل على فضل الملائكة بقوله تعالى ﴿ عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون ﴾ سورة الأنبياء الآية 27 و قوله تعالى في سورة التحريم الآية 6 ﴿ لا يعصون ا لله ما أرهم و يفعلون ما يؤمرون ﴾ و قوله تعالى في سورة النساء الآية 172 ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبد ا لله ولا الملائكة المقربون ﴾ و قوله تعالى في سورة الإنعام الآية 50 ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن ا لله و لا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك ﴾ و في البخاري مع الفتح يقول ا لله (من ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ خير منه) 13/384 برقم 7405 و الترمذي 5/ 542 برقم 3603 واحتجّ من فضل بني آدم بقوله تعالى في سورة البينة الآية 7 ﴿ إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريئة ﴾ و قوله صلى ا لله عليه و سلم (و إن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم الحديث) أخرجه أبو داود 4/57 كتاب العلم و الترمذي 5/47 كتاب العلم و أحمد 4/239 و بما جاء في حديث من أن ا لله يباهي بأهل عرفات الملائكة ، و لا يباهي إلا بالأفضل وقال بعض العلماء : ولا طريق إلى القطع بأن الأنبياء أفضل من الملائكة ، و لا القطع بأن الملائكة خير منهم . ذكر البغوي في تفسيره هذا الخلاف و قال : والأولى أن يقال : عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ، وخواص المؤمنين أفضل من خواصّ الملائكة . قال ا لله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا و عملوا الصالحات أولئك هم خير البريئة ﴾ 5/109 سورة البينة الآية 7 .

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره 2/382 و ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف و عزاه للطبراني و رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية . و قال : هذا حديث لا يصح .

الحديث ، نحوه رواه محـي السـنة في المصـابيح (١) ، و في المعـالم (٢) وروى [شـيخي في المعتمد ، و البيهقي في شعب الإيمان (٣)] عن جابر أن النبي صلى ا لله عليه و سلم قال : لمّا خلق ا لله آدم و ذريته قالت الملائكـة : يا رب خلقتهـم يأكلون و يشـربون و ينكحون و يركبون فاجعل لهم الدنيا و لنا الآخرة . قال ا لله تعـالى : لا أجعـل من خلقته بيدي و نفخت فيه من روحي كمن قلت له : كن فكان . و أما الحديث الآخر فقد رواه ابن ماجه (٤) عن أبي هريرة يقول : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسـلم : (المؤمن أكرم على ا لله من بعض ملائكته) .

قوله : ((فسّروا كثيراً بمعنى جميع)) (٥) ، قال محي السنة (٦) : [وظـاهر الآيـة أنه فضّلهم على كثير ممن خلقه ، لا على الكل ، وقال قوم : فضّلوا على جميع الخلـق وعلى الملائكة كلّهم ، وقد يوضع الأكثر موضع الكلّ كما قال تعالى : ﴿ هل أنبّئكم على من تنزّل الشياطين ﴾ إلى قوله : ﴿ وأكثرهم كـاذبون ﴾ (٧)] ، وفسّـر المصنـف في قوله : ﴿ وما يتّبع أكثرهم إلاّ ظنّاً ﴾ (٨) الأكثر بالجميع .

---

(١) أخرجه محي السنة البغوي في مصابيح السنة ٣١/٤ كتاب أحوال القيامة و بـدء الخلق بـاب بـدء الخلق و ذكر الأنبياء برقم ٤٤٥٩ من حديث جابر رضي ا لله عنه و مشكات المصبا بيـح لمحمـد بـن عبـد ا لله الخطيب التبريزي ١٥٩٧/٣ و سكت عنه الألباني و الديلمي في الفردوس بمأثور الخطـاب ٤٢١/٣ و الـدر المنثور للسيوطي ١٩٣/٤ .

(٢) معالم التنزيل للبغوي ١٠٩/٥ .

(٣) ما بين القوسين س من (١) ، و ت .

(٤) أخرجه ابن ماجة ١٣٠٢/٢ من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنـه ، وإسـناده ضعيـف ، لضعـف يزيد بـن سـفيان أبـي المهـزّم . ومشـكاة المصـابيح ١٥٩٧/٣ ، وضعّفـه الألبـاني . وانظـر تخريـج أحـاديث الكشاف للزيلعي ٢٨٨/٢.

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وفضّلناهم على كثير ﴾ ، قال (ز) : ردّاً على أهل السـنة في تفضيلهـم مؤمـني بني آدم على الملائكة ((ومن ارتكابهم أنهم فسّروا ﴿ كثيراً ﴾ بمعنى جميـع)) في هـذه الآيـة ، وخذلـوا حتى سلبوا الذوق .

(٦) محي السنة ، البغوي في تفسيره ١٠٨/٥ .

(٧) سورة الشعراء الآية ٢٢١-٢٢٢ .

(٨) سورة يونس الآية ٣٦ .

قوله : ((سلبوا الذوق)) ، أراد بالذوق ما تجده نفس الفطن الذكيّ من التفاوت بين اللفظين ، ووَضْعُ جميع موضع كثير ، فإن هذا التركيب من باب تعليق الحكم [بإحدى صفتي الذات للدلالة على نفي الحكم عمّا عداه ، ومعناه أنه حصل في المخلوقات مالا يكون الإنسان أفضل منه ، وهم الملائكة (١)] ، وهذا تقدير الإمام (٢) ، وإلاّ فأي فائدة في العدول من لفظ الكلّ والجميع إليه . ونحوه ما روي عن أبي عبيدة وهو من علماء العربية أنه قال في مثل قولهم : الميت اليهودي لا يبصر أنه يتبادر منه إلى الفهم أن الميت المسلم يبصر ، ولذلك يتعجّب ويضحك منه كلّ أحد ، وإلاّ لم يكن لذلك الضحك والتعجّب وجه . ولعلّ إحالته إلى الذوق تعريض بأصحابه الذين منعوا القول بالمفهوم . فنقول : الظاهر أن المفضل عليه كثير ، و ﴿ ممن خلقنا ﴾ بيان له ، وفي الحقيقة بالعكس على ما سبق في قوله تعالى : ﴿ كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً ﴾ (٣) ، قال : [عامل ﴿ مظلماً ﴾ (٤)] أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله : ﴿ قطعاً ﴾ ، فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة ، وحقّقه شيخي المغفور أمين الدين الشَرْفَشَاهي (٥) بأن قال : إن نسبة ﴿ أغشيت ﴾ إلى ﴿ قطعا ﴾ إنما هي باعتبار ذاتها المبهمة المفسرة بالليل ، لا باعتبار مفهوم القطع في نفسها ، وإنما ذكرت لبيان مقدار ما أغشيت به ، وهو الليل، كما إذا قيل : اشتريت أرطالاً من الزيت ، فإن المشتري الزيت والأرطال مبينة لمقدار ما اشترى ، وها هنا المفضّل عليه من ﴿ خلقنا ﴾ و ﴿ كثير ﴾ مبيّن لمقدار كميته ، وعليه قولك : رأيت أسداً منك على التجريد ، فإن المرئى المخاطب ، والأسد لبيان كيفية حال المرئى من الجُرأة والشجاعة ، ولا شكّ أن ﴿ من خلقنا ﴾ متناول لمن

---

(١) ما بين القوسين س من ب .

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره عند هذه الآية ١٢/٢١ .

(٣) سورة يونس الآية ٣٧ .

(٤) ما بين القوسين س من ب .

(٥) لم أقف له على ترجمة .

يعقل من المخلوقات ، وهو منحصر في الملائكة والثقلين ، وخرج منه بنو آدم ، لأن الشيء لا يفضّل على نفسه ، فيبقى الملائكة والجنّ ، فظهر أن فائدة استجلاب الوصف ليس إلا لبيان كمية المفضّل عليه الذي يقتضيه مقام مدح المفضّل ، فلا يحمل على المفهوم ، على نحو : في سائمة الغنم زكاة ، إذ لا فائدة فيه للوصف سوى التخصيص ، وأما كون المقام مقام مدح فإن الآية أخرجت مخرج القسيمة ، وكرّر فيها ما ينبيء عن غاية المدح من ذكر الكرامة والتفضيل وتسخير الأشياء على الترقي ، كأنه قيل : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم ﴾ بكرامة أبيهم ، ثم سخرنالهم الأشياء ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ ثم فضّلناهم تفضيلا أي تفضيل ، ولهذا عقّب بها قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ﴾ وهو لبيان كرامة أبيهم بجعل سجود الملائكة المقرّبين بعد ذكرهم فيه ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ (١) ، ومن ثمّ طرد اللعين حيث قاس الفضل بالعقل وامتنع عن السجود (٢) الذي يدلّ على فضله وكرامته ، وما توسّطت بينهما من الآيات كالاستطراد (٣) و الاعتراض يدلّ عليه الاتفاق بين قوله : ﴿ وحملناهم فى البرّ والبحر و رزقناهم من الطيبات ﴾ ، وقوله : ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله ﴾ (٤) كما بين هذه الكرامة بالسجود ، ويعضّده الحديث المروي عن جابر كما مرّ ، هذا على أن يكون ﴿ من ﴾ بياناً ، وإذا جعل تبعيضاً كان ﴿ ممن خلقنا ﴾ بدلاً ، أي فضلناهم على بعض المخلوقين ، وذِكْر البعض في هذا المقام يدلّ على تعظيم المفضّل عليه ، كما سبق في قوله تعالى : ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ (٥) ، وأيّ مدح لبني آدم وإثبات للفضل والكرامة

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سحود في ب ت .

(٣) الاستطراد : سوق الكلام على وجه يلزم منه كلام آخر وهو غير مقصود بالذات بل بالعرض . انظر التعريفات للجرجاني ٣٥ .

(٤) سورة الإسراء الآية ٦٦ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

بالجملة القسمية ، إذ جعلوا مفضّلين على الشياطين والجنّ على أن صفة الكثرة ، إذا جعلت مُخَصّصةً لإخراج البعض كانت بالملائكة أولى من الجنّ والشياطين ، لأنهم هم الموصوفون بالكثرة ، وإليه ينظر قول صاحب التقريب . ثم يحتمل أن يراد بـ ﴿ كثير ﴾ ممن خلقنا الملائكة ، إذ هم كثير من العقلاء المخلوقين . روينا عن الترمذي (١) عن أبي ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ ومَلَكٌ واضع جبهته لله ساجداً) الحديث ، وذكر شيخنا شيخ الإسلام في كتاب الرشف أنه ورد أن البيت المعمور يطوف به كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (٢) . وورد أن كلّ قطرة تنزل من السحاب إلى الأرض يصحبها ثلاثة أملاك (٣) فظهر أن ليس المراد من قولنا : فضّلوا على الجميع (٤) أنه وضع الكثير موضع الجميع في التلاوة ليلزم البشاعة التي ذكرها ، بل الجميع لازم المعنى ، وأما قوله : ((أشجى لحُلُوقِهِم)) فلعلّ مراده أنهم إنما فروا من دلالة المفهوم وفسّروا الكثير بالجميع لئلاّ يلزم فضل الملائكة عليهم ، لكن لزمهم من هذا ما هو أفظع منه ، وهو فضل الحدّادين والحيّاكين ، بل الكافرين على النفوس الطاهرة الزكية . وأجيب عنه أنه كما لا يلزم من قولنا : الرجال أفضل من النساء فضل كلّ فرد على كل

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/٤٨١-٤٨٢ كتاب الزهد ، باب ما جاء في فضل البكاء من خشية الله ، رقم ٢٣١٢ ، وقال : هذا حديث حسن غريب . وابن ماجة ١٤٠٢/٢ كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء رقم ٤١٩٠ ، وأحمد في مسنده ، ١٧٢/٥ .

(٢) ذكر ذلك الطبري ١٦/٢٧ ، ولكنه أوقفه على علي رضي الله عنه . والبغوي ٣٨٥/٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٤/٧ : رواه الطبراني عن ابن عبّاس مرفوعاً ، وفيه بشر أبو حذيفة ، وهو متروك ، [illegible] ٤١٧/١١ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) يشير إلى قول (ز) : وفضلناهم على جميع ممن خلقنا ، على أن معنى قولهم : على جميع ممن خلقنا ((أشجي لحلوقهم)) وأقذى لعيونهم ، ولكن لا يشعرون إلخ . لتفسير قوله تعالى ﴿ وفضلناهم على كثير ﴾ بأن كثير بمعنى جميع ، ومعنى (أشجى) قال الجوهري في صحاحه ٢٣٨٩/٧ : (الشجا) ما يثبت في الحلق من عظم وغيره .

فرد ، كذلك لا يلزم ذلك . وفي حديث أبي هريرة : المؤمن أكرم على ا لله من بعض الملائكة (١) ، إشارة على تفضيل الآية . و حديث جابر و هو ما قيل خواص الإنسان مثل الأنبياء أفضل من خواصهم ، و بعض عوام الإنسان [من المؤمنين (٢)] أفضل من عوامهم و ا لله اعلم .

قوله : ((السخيمة)) أي الضغينة والمُوْجدة في النفس . قاله الجوهري (٣) .

قوله : ((قرىء يدعوا باليا والنون)) (٤) ، بالنون السبعة وبالياء شاذّ (٥) .

قوله : ((وقرأ الحسن يُدْعَوا أي بضم الياء وفتح العين)) ، قال ابن جني(٦) : [هذا على لغة من أبدل الألف في الوصل واوا ، نحو (افْعَوْ وحُبْلَوْ) ذكر ذلك سيبويه وأكثر هذا القلب إنما هو في الوقف ، لأن الوقف من مواضع التغيير ، وهو أيضا يحكي عن حاله في الوقف . ومنهم من يبدلها ياء] .

قوله : ((ولم نؤت بالنون قِلّة مُبالاةٍ بها لانها غير ضمير)) قال صاحب التقريب : [وفيه نظر، لأنها علامة الرفع ولا موجب لحذفها] .

قوله : ((ومن بدع التفاسير أن الإمام جمع أمّ)) (٧) ، وروى محي السنة (٨) عن محمد بن كعب يإمامهم الإمام جمع أمّ كَخُفٌ و خفاف ، و فيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها لأجل عيسى عليه السلام . والثاني لشرف الحسن والحسين . والثالث

---

(١) تقدم تخريجه آنفا .

(٢) ما بين القوسين س من (١) و الصواب ما في ب .

(٣) الجوهري في صحاحه ١٩٤٨/٥ مادة (سخم) .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ يوم ندعواكل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم و لا يظلمون فتيلا ﴾ الإسراء الآية ٧١ قال (ز) ((قرىء ندعوا بالنون)) .

(٥) قرأ بالنون السبعة ، و بالياء شاذّ الحسن و السّجستاني ، و قتادة . شواذ القراءة لابن خالوية٧٧

(٦) ابن جني في المحتسب ٢٢/٢ و ما بين القوسين س من (١) ب من كلام ابن جني .

(٧) تفسير قوله ﴿ بإمامهم ﴾ قال (ز) بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين إلخ ... ثم قال: ((و من بدع التفسير أن الإمام جمع (أمّ) و أن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم .

(٨) محي السنة البغوي في تفسيره ، ١١٠/٥ و قاله الزمخشري أيضا هنا .

لئلا يفتضح أولاد الزنا ، الانتصاف (١) : [وأما بدع لفظية فإن جمع الأم المعروف أمهات و أمّ رعاية عيسى بذكر أمهات الخلائق ليذكر بأمهات ، فيوهم أن خلق عيسى من غير أب غَضّ من منصبه ، وهو عكس الحقيقة ، بل ذلك ذِكر له وشرف.

قوله : ((ما يأخذ المطالب)) (٢) ، وهو بفتح اللام وفاعل يأخذ ضمير يرجع إلى (ما) و(من) في من الحياء بيان (ما) الثانية و الباء في بالنداء سببية متعلقة بيأخذ ، وأمام التنكيل ظرف يأخذ المعنى بأخذهم الخجل والانخزال وحبسة اللسان أخذ مثل أخذ من طولب بجناياته ومساويه وأوقف بين يدي جبار من الجبابرة فيأخذه الحياء والخجل والحبسة بسبب [النداء على جناياته (٣)] وبسبب اعترافه بمساويه ، والحال أنه مشاهد لتهييء أسباب نكاله و هلاكه .

قوله : ((ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)) (٤) ، الراغب (٥) : [الفتيل المفتول ، وسمى ما يكون في شقّ النواة فتيلاً ، لكونه على هيئته وقيل هو ما تفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ ، ويضرب به المثل من الشيء الحقير] .

قوله : ((ومن ثم قرأ أبو عمرو)) (٦) ، الأول مُمَالاً ، والثاني مفخّماً قال الزجاج (٧) : فهو في الآخرة أعمى [وهذا من عمى القلب أي هو في الآخرة أشدّ

---

(١) الانتصاف مع الكشاف ٦٨٢/٢ و لفظه ، و لقد استبدع بدعاً لفظاً و معنى فإن جمع الأم المعروف إمهات إلخ .. و لا يخفي ما في هذا الجمع من البعد .

(٢) قال (ز) عند قوله ﴿ فأولئك يقرءون كتابهم ﴾ فإن قلت : لم خصّ أصحاب اليمين بقراءة كتابهم؟ كأنّ أصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم . قلت : بلى و لكن إذا اطّلعوا على ما في كتابهم ((أخذهم ما يأخذ المُطَالَبَ)) با لنداء على جنايته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به و الانتقام منه ، من الحياء والخجل و الانخزال و حبسة اللسان و التتعتع و العجز عن إقامة حروف الكلام إلخ ....

(٣) ما بين القوسين س من ب .

(٤) تفسير قوله ﴿ و لا يظلمون فتيلا ﴾ قال (ز) : ((و لا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء)) .

(٥) الراغب في مفرداته ٣٧١ مادة (فتل) .

(٦) تفسير قوله تعالى ﴿ و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضل سبيلا ﴾ الإسراء الآية ٧١ قال في تفسير ((أ عمى)) و قد جوزوا أن يكون (أعمى) الثاني بمعنى التفضيل ومن ثَمَّ قرأ أبو عمرو (أعمى) الأولى ممالاً ، و(أعمى) الثانية مفخّماً ، قال صاحب إتحاف فضلاء البشر ٢٨٥ و أمَال (أعمى) معا هنا أبوبكر و حمزة و الكسائى وخلف ، لأنهما من ذوات الياء ، و قللهما الأزرق بخلفه و قرأ أبو عمرو ويعقوب بإمالة الأولى محضة لكونه ليس أفعل تفعيل فألفه متطرفة لفظا و تقديرا ، و الأطراف محل التغيير غالباً ، و فتحا الثاني لأنه للتفضيل ، ولذا عطف عليه (و أضل)، فألفه في حكم المتوسطة ، لأن من الجارة للمفعول كا لملفوظة بها ، و هي شديدة الاتصال بأفعل .

(٧) الزجاج في تفسير معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٣ .

عمىً] وقال أبو علي في الحجه (١) : [وأما قراءة أبي عمر وأعمى(٢) الأولى مُمَالاً والثاني مُفَخَّمًا ، فهو يجوزأن لا يجعل الثاني عبارة عن العيوب في الجارحة ولكنّه جعله من باب أَبْلَهَ من فلان فجاز أن يكون فيه أفعل من كذا ، وإن لم يجز أن يقال ذلك في المصاب ببصره ، فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة ، لأن آخرها هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة في الأواخر ، وقد حذف من أفعل الذي هو للتفضيل ، الجار والمجرور ، وهما مرادان فى المعنى مع الحذف كقوله تعالى : ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ أي أخفى من السّرّ كذلك قوله : أعمى أي أعمى منه في الدنيا (٣) ، ومعنى العمي في الآخرة أنه لا يهتدى إلى طريق الثواب ، ويؤكّد ذالك ظاهر ما عطف عليه من قوله : ﴿ و أضل سبيلا ﴾ فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعل ، كذلك المعطوف عليه ، ومعنى ﴿ أضلّ سبيلا ﴾ فى الآخرة أن ضلاله في الدنيا قد كان يمكن الخروج منه ، وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ، قال صاحب الإنتصاف (٤) : [هذه الآية قسمية لقوله : ﴿ فمن أوتي كتابه بيمينه ﴾ (٥) فهو يتبصّره و يقرؤه ، ومن كان فى الدنيا أعمى غير متبصّر ولا ناظر في معاده فهو في الآخرة غير متبصّر في كتابه ، بل أعمى عنه أو أشدّ عمي على اختلاف التأويل ، فعلى هذا يكون قول المصنّف : ((لم خصّ أصحاب اليمين بقراءة كتابهم متوجّهاً)) وقال القاضي (٦) : [و تعليق القراءةَ بإيتاء الكتاب باليمين يدّل على أن من أوتي كتابه بشماله إذا اطّلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ، و لذلك لم يذكر هم مع أن قوله : ﴿ من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ﴾ أيضاً مشعر بذلك ، فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب .

---

(١) أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسي ١١٢/٥ ذكره بالمعنى .

(٢) سورة طه الآية ٧ .

(٣) الظاهر أن المراد بالأعمى في هذه الآية عمى البصيرة ، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الحج الآية ٤٦ ﴿ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور ﴾ .

(٤) الإنتصاف مع الكشاف ٢ / ٦٨٣

(٥) سورة الإسراء الآية ٧١

(٦) القاضي البيضاوي فى أنوارة ، ٣ / ٢٠٨

قوله : ((لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى)) [1] ، النهاية [2] في الحديث [أن وفد ثقيف اشترطوا أن لا يحسَرُوا ولا يعسَرُوا ولا يجبسوا اي لا يؤخذ عشر أموالهم . وقيل : أرادوا به الصدقة الواجبة وإنما فَسَحَ لهم في تركها ، لأنها لم تكن واجبة يومئذ عليهم وإنما تجب بتمام الحول ، وسئل جابر عن اشتراط ثقيف أن لا صدقة عليهم ، ولا جهاد ، فقال : علم أنّهم سيتصدقون و يجاهدون إذا أسلموا] و قال : يجوز أن يسمّى آخذ ما يجب على المسلمين من ربع العشر عاشراً لإضافة ما يأخذه الى العشر ونصف العشر ، كيف وهو يأخذ العشر جميعه وهو زكاة ما سقته السماء ؟

قوله : ((ولا يحشُروا)) ، النهاية : [ولا يحسروا أي لا يندبون إلى المغازى ولا تضرب عليهم البعوث] .

قوله : ((ولايجبى)) ، النهاية [3] : [أصل التّجْبِية أن يقوم الإنسان قيام الراكع ، وقيل : هو أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم ، وقيل : هو السجود ، والمراد لا يصلون، ولفظ الحديث يدّل على الركوع لقوله في جوابهم : لا خير في دين ليس فيه ركوع ، فيسمى الصلاة ركوعاً ، لأنه بعضها] .

---

(1) تفسير قوله تعالى ﴿ و إن كادوا ليفتنونك عن الذي أو حينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولو لا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة و ضعف الممات ثم لا تجدلك علينا نصيرا ﴾ الإسراء الآية ٧٣ –٧٤ ، قال (ز) : روي أن ثقيفا قالت للنبي (صلى ا لله عليه وسلم) : (لاندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب (لا نعشر : و لا نحشر ، ولا نجبى فى صلاتنا إلخ .

(2) النهاية فى غريب الحديث ٣ / ٢٣٩ ، مادة (عشر) . و اختلفوا في سبب نزولها ، و ذكر هذا السبب البغوي ١٥ / ١١١ عن وفد ثقيف . وقال الحا فظ بن حجر فى الكاف الشا في على تخريج الكشاف (لم أجده) وذكره الثعلبي عن ابن عباس من غير سند ، و الواحدي فى أسباب النزول ٣٣٥، وانطر الطبري ١٥ /٨٨ ، والقرطبي ١٠ / ٢٩٩ ، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٢ / ٢٧٩ .

(3) النهاية في غريب الحديث ٢٣٨/١ .

قوله : ((لسنا نكلّم إياك)) (١) ، بالياء تحتها نقطتان ، ويروى أَبَاكَ بالباء الموحدة أي لسنا نكلم أباك حتى تتعصّب له ، ولعل وجه فصل الضمير المنصوب للإبهام ، والتبيين تأكيداً ، ولذلك قالوا : إنما نكلم محمداً .

قوله : ((أي يخدعوك فاتنين)) (٢) ، إشارة إلى أن قوله ليفتنوك مضمن معنى الخداع ومعدي تعدية .

قوله : ((ما أداروه عليه))(٣) ، أي على الافتراء والتقوّل ، والضمير في (عليه) (ما) والمنصوب لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم . و (ما) عبارة عن الافتراء والتقول ، أي أداروا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم على الافتراء ، الأساس (٤) : [ومن المجاز أدرته على هذا الأمر ، حاولت منه أن يفعله ، وأدرته عنه حاولت منه أن يتركه] .

---

(١) يشير (ز) إلى قول عمر رضى ا لله عنه ، حينما قالت ثقيف إنهم لا يعشرون ولا يحشرون ، فقالوا ولا يجبون ، والكا تب ينظر إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ، فقام عمر رضى ا لله عنه فسلّ سيفه وقال : أسعرتم قلب نبينا ... فقالوا ((لسنا نكلم إياك ، إنما نكلم محمدا)) .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن كادوا ليفتنونك ﴾ ، قال (ز) : (إن) مخففة من الثقيلة ، والمعنى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك ((أى يخدعوك فاتنين))

(٣) تفسير قوله : ﴿ تفترى ﴾ قال (ز) : لتقول علينا ما لم نقل ، يعني ((ما أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً)) إلخ ...

(٤) الأساس للزمخشري ١٩٨ ، مادة (دور) ، وقد حاول الكفار معه صلى ا لله عليه وسلم أن يتبعهم ، ويأتي بشيء من تلقاء نسفه ولكنه امتنع غاية الإمتناع . وقال : إنه لا يمكنه إلا اتباع ما أوحى ا لله إليه كما قال تعالى في سورة يونس الآية ١٥ : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم ﴾ فالنبي صلى ا لله عليه وسلم لا يتقول على ا لله ولذا قال تعالى عنه في سورة سأل سائل الآية ٤٤-٤٧ : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذمنه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ الآية .

قوله : ((إذا)) (١) ، لو قاربت تركـن إليهـم أدنـى رَكْنَـةٍ (لأذقنـاك)) وهـو صريح في أنه صلى ا لله عليه وسلم ما همّ بإجابتهم مع قوة الدّاعي إليها ودليـل علـى أن العصمة بتوفيق ا لله وحفظه .

قوله : ((ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيـا ، الفـرق بـين هـذا الوجه والوجه الأول (٢) بعد إجراء الضعف على المضاعفة أن عذاب الممات في الأول عذاب القبر ، وعذاب الحياة في الآخرة ، وهنا المراد بعـذاب الممـات عـذاب القـبر ، وبعذاب الحياة، عذاب الحياة الدنيا)) ، قـال القـاضي (٣) : [أي عذّبنـاك ضعـف مـا نعذب به في الدارين بمثـل هـذ الفعـل غـيرك ، لأن خطـأ الخطـير أخطـر (٤) . وقيـل : الضعف مـن أسمـاء العـذاب] ، الراغـب : [الضِّعْـفُ مـن الألفـاظ المتضايفة الـتي يقتضي وجودأحدهما وجود الآخر كالنصف والزوج ، وهو تركب زوجين متساويين ، ويختصّ بالعدد ، فإذا قيل : أضْعَفْتُ الشيء وضعّفته وضاعفتـه ضَمَمْـتَ إليـه مثلـه فصاعدا ، قال بعضهم : ضاعفت أبلغ من ضَعّفت ، ولهذا قـرأ أكـثرهم (يضـاعف) وقال تعالى : ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾(٥) فالمضاعفة على قضية هذا القـول تَقْتَضي أن يكـون عشـر أمثالهـا . وقيـل : ضَعَفْتـه بـالتخفيف ضعفـا فهـو مضعـوف ، فالضَّعف مصدر والضِّعْفُ اسم كالشيء والشيء فضعـف الشـيء هـو الـذي يثنيـه ، ومتى أضيف إلى عدد اقتضى ذلك العدد ، ومثله ، نحـو أن يقـال : ضِعْـفُ العشـرة ، فذلك عشرون بلا خلاف ، وإذا قيل أعطه ضِعْفَيْ واحد ، فإن ذلك اقتضـى الواحـد ومثليه ، وذلك ثلاثة ، لأن معناه الواحد والـذان يَزَاوِجَانِـه ، هـذا إذا كـان الضعـف

(١) تفسيرقوله تعالى ﴿ لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذاً ﴾ .

(٢) الوجه الأول هو قوله : أذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين إلخ ....

(٣) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢٠٨/٣ .

(٤) مراده بالخطير : العظيم الشأن كالأنبياء والأمثل مـن النـاس ، ويـدل لـه قولـه تعـالى في سورة الأحزاب الآية ٣٠ : ﴿ يا نساء النبي من يات منكنّ بفاحشـة مبينـة يضـاعف لها العـذاب ضعفين ﴾ الآية ولقد أجاد من قال :

** وكبائر الرجل الصغير صغائر ** وصغائر الرجل الكبير كبائر **

(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٠ .

مضافاً فأمّا إذا لم يكن مضافاً ، فقلت الضعفين ، فإن ذلك يجري مجرى الزوجين : أن كلاً منهما يزاوج الآخر فيقتضي ذلك اثنين لأن كُلاً منهما يضاعف الآخر ، فلا يخرجان عن الاثنين بخلاف ما إذا أضيف الضعفان إلى واحد فيثلّثهما ، نحو ضِعْفَي الواحد قال تعالى : ﴿ أولئك لهم جزاء الضعف ﴾ (١)] .

قوله : ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها)) (٢) ، إلى قوله : ((دليل بيّن على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ، ومن ثم استعظم مشائخ العدل (٣) نسبة المجبرة القبائح إلى ا لله تعالى)) ، الانتصاف (٤) : [أما قليل الكيدودة فيحمل على كون ا لله تعالى يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون ، فعلم تعالى أن الركون الذي كان يحصل لو كان قليلا فهو عظيم ، وهو خبر عن الواقع في علمه ، فلا يليق حمله على المبالغة فإنها لا تليق في الأخبار ، فإنه لوكان الواقع كَيْرُودَة رُكُون كثير ، كان خلفه خلفا في الخير ، والذنب يعظم بحسب فاعله . وأما تعظيم مشائخ المعتزلة نسبة القبائح إلى ا لله فقد استعظموا عظيما ، ولكن جهلوا في اعتقادهم القبح وصفاً ذاتياً للقبيح ، وكلّ ما اسْتقْبَحوه من العبد استقبحوه من ا لله تعالى ، والقبيح عندنا ما نهى ا لله عنه ، و لله عزّ وجلّ أن يفعله ، لا يسأل عمّا يفعل ، فالمَلِك يستقبح من عبده أن يجلس على كرسي المُلْك ، ولا يُقْبَح ذلك منه . و لقد كان لمشائخه شغل بما لزمهم من الإشراك عن هذا ، لكن زُيِّن لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسناً في أول كلامه نظروا في قول المصنف أعني ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها إشكال لأن ﴿ شيئاً قليلاً ﴾

---

(١) سورة سبأ الآية ٣٧ .

(٢) متعلق بتفسير قوله (لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا) قال (ز) : ((وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين)) دليل بيّن على أن القبيح إلخ ....

(٣) مشائخ العدل يعني بهم المعتزلة ، ويريد بالمجبرة أهل السنة ، حيث قالوا : إن الخير والشر كليهما من عند ا لله بخلقه وإرادته ، ولو كان من فعل العبد ظاهراً .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٨٥/٢ ، وقد أجاد وأفاد في الردّ على الزمخشري وحزبه مما أغنى عن التعليق على الزمخشري .

مصدر (تركن) ظاهراً ، فيلزم التقليل فيه لا في الكيدودة)) ، ويمكن أن يقال : إن كاد لما كانت لمقاربة الخبر في الوجود فجعلت القلة التي في الخبر فيها مجازاً .

قوله : ((إلا زماناً (قليلاً))) (١) ، اعلم أن إخراج الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجوها من التأويل بحسب تفسير الأرض ، فإذا فُسّرت بأرض مكة فالتأويل على وجهين ، أحدهما : أن قليلا صفة موصوف محذوف ، فقد حصل الإخراج وعدم لُبْثهم وهلاكهم بعده حقيقة ، وهو المراد من قوله ((فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل)) ، وأن قليلا يعني العدم ، كقوله تعالى : ﴿ قليلا ما تؤمنون ﴾ (٢) وإليه الإشارة بقوله : ((لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم)) ، لكن لم يحصل الإخراج لاحقيقة ولا مجازاً ، فلم يحصل الاستئصال أيضاً ، وإذا فُسّرت بأرض المدينة يعود معنى القليل على التقديرين .

قوله : ((لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم)) ، قال الميداني (٣) : [أصل المثل : (جاءوا على بكرة أبيهم) ، قال أبو عبيد : أي جاؤا جميعاً لم يتخلّف منهم أحد ، وليس هناك بكرة في الحقيقة ، والبكرة تأنيث البَكْرِ ، وهو الفتى من الإبل ، وقيل : البكرة ههنا التي يستقى عليها ، أي جاؤا بعضهم على أثر بعض كدوران البَكْرَة على نسق واحد لم ينقطع . والبكرة إذا كانت لأبيهم اجتمعوا عليها مستقين لا يمنعهم عنها أحد ، فشبّه اجتماع القوم في المجيء باجتماع أولئك على بكرة أبيهم] .

قوله : ((أما الشائعة)) (٤) ، يعني القراءة المشهورة ، وهي ﴿ لا يلبثون ﴾ بإثبات النون مرفوع عطف على ﴿ ليستفزّونك ﴾ خبر كاد ، وهو مرفوع نحو ، كاد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن كادوا ليستفزّونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا * سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾ الإسراء الآية ٧٦-٧٧ . قال (ز) في تفسير قوله ﴿ وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا ﴾ ، أي ((إلا زمانا قليلا)) .

(٢) سورة الحاقة الآية ٤٢ .

(٣) الميداني في مجمع الأمثال ٣١٤/١ ، برقم ٩٤١ .

(٤) القراءات في قوله تعالى ﴿ لا يلبثون ﴾ ، قال (ز) : وقريء ﴿ لا يلبثون ﴾ ،وفي قراءة أُبَيّ : لا يلبثوا، على إعمال (إذا) ، فإن قلت : ما وجه القراءتين ؟ ، قلت : ((أما الشائعة)) إلخ .

زيد يخرج ، وفي المفصّل (١) : [خبرها (٢) مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعاً متأوّلا باسم الفاعل] . قال ابن الحاجب (٣) : [إنما شرط أن يكون فعلا مضارعا للتنبيه على أنه المقصود بالقرب] ، فعلى هذا (إذاً) واقعة في أثناء الكلام ، لا جواب لها ، لأن (إذاً) لا تعمل إذا كان مُعتَمِداً ما بعدها على ما قبلها ، قال أبو البقاء (٤) : [وإثبات النون إلغاء (إذاً) ، لأن الواو العاطفة تصير الجملة مُختَلِطَةً بما قبلها ، فتكون إذاً حَشْواً] .

قوله : ((الجملة برأسها إلى قوله عطف على جملة قوله ﴿ وإن كادوا ليستفزّونك ﴾)) (٥) ، قال نور الدين الحكيم (٦) : [فيه نظر ، لأنه على هذا التقدير لا يتحقّق معنى قول سيبويه (٧) : [إذاً جواب وجزاء] . قلت : لا يمكن أن يفهم كونه جواباً وجزاءً من حيث المعنى ، نحو وإذا كان كذلك إذاً لا يلبثوا .

قوله : ((وقريء خلافك)) (٨) ، قال القاضي (٩) : [قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة] .

---

(١) المفصّل للزمخشري في النحو والصرف ، وشرحه موفق الدين ابن يعيش النحوي في عشرة أجزاء في مجلدين كبيرين . وذكر الزمخشري في المفصّل هذا الكلام في جـ ١١٩/٧ .

(٢) في ب خبر (كاد) ، وفي المفصّل (خبرها) .

(٣) ابن الحاجب النحوي في كتابه الإيضاح في شرح المفصّل ٩١/٢ ، مطبعة العاني ببغداد ، تحقيق : د/موسى بناي العليلي .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٥/٢ .

(٥) وأما قراءة أبَيّ في قوله تعالى ﴿ وإذاً لا يلبثُوا ﴾ بإسقاط النون شاذة كما في شواذ القراءات لابن خالويه ٧٧ . قال (ز) : وأما قراءة أبَيّ ففيها ((الجملة برأسها التي هي ﴾ إذاً لا يلبثوا ﴾ عطف إلخ .

(٦) نور الدين الحكيم ، لم أقف له على ترجمة .

(٧) سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين ، أبو بشر مولى بني الحارث بن كعب ، أصله من البيضاء من أرض فارس ، نشأ بالبصرة ، أخذ عن الخليل وغيره ، لم تطل حياته ، مات بالبصرة ، وقيل : بشيراز سنة ثمانين ومائة . المعارف لابن قتيبة ٥٤٤ ، وبغية الوعاة ، ٢٢٩/٢ .

(٨) قوله تعالى ﴿ وإذا لا يلبثون خلافك﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبوبكر عن عاصم ﴿ وإذا لا يلبثون خَلْفَكَ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام.وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب ﴿خِلافَكَ﴾ بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألف . المبسوط لابن مهران ٢٣٠.

(٩) القاضي البيضاوي ٢٠٩/٣ .

قوله : ((** عَفَتِ الديارُ خِلافَهُم ** البيت)) (١) ، (عفت) : اندرست ، (خلافهم) : بَعْدهم ، (الشواطب) : النساء اللواتي يشتَقِقْن الجريد ليعمل منه الحُصُر و (الشطْب) : سعف النخل ، [الأخضر يصف دروس ديار الأحباب بعدهم ، وأنها غير منكوسة ، كأنما بُسِط فيها سعف النخل (٢)] .

قوله : ((دلكت الشمس : غربت)) (٣) ، الراغب (٤) : [دلوك الشمس ميلها للغروب ، وهو من قولهم : دَلَكْتُ الشمس : دفعتها بالراح ، ومنه : دلكْتُ الشيء في الراحة ، ودالكْتُ الرجل : إذا ماطلته ، والدلوك : ما دلكته من طيب ، والدليك : طعام يتّخذ من زبد وتمر] .

قوله : ((وهي حجّة على ابن علية (٥) والأصم (٦) أن القراءة ليست بركن في صلاة الفجر)) ، قال القاضي (٧) : [واستدلّ به على وجوب القراءة فيها ، ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوّز لكونها مندوبة فيها ، نعم لو فسّرنا بالقراءة في صلاة الفجر ، دلّ الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصّاً ، وفي غيرها قياساً ، والجواب عن الأول أنه لولم تكن ركناً لم يجز إطلاقه عليها كالركوع والسجود والقيام ، لأنه من

---

(١) تمامه :

** عَفَتِ الدِيارُ خِلافَهُم فَكَأنّمَا ** بَسَطَ الشَّواطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصيراً **

وهو للحارث بن خالد المخزومي . انظر مشاهد الانصاف٢/٦٨٦

(٢) ما بين القوسين س من ب .

(٣) تفسير قوله تعالى ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * ومن الليل فتهجّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربّك مقاما محموداً ﴾ تفسير (ز) لقوله تعالى : ﴿ دلوك الشمس ﴾ .

(٤) الراغب في مفرداته ١٧١ ، مادة (دلك) .

(٥) (ابن علية) إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الإمام الحافظ ، أبو بشر الأسدي مولاهم البصري الكوفي الأصل المشهور بابن علية ، وهي أمه ، ولد سنة مات الحسن البصري ١١٠ ، أخذ عنه حميد الطويل ، وعنه ابن جريج وغيره ، مات سنة ١٩٣ . سير أعلام النبلاء ٩/١٠٧ ، وتهذيب التهذيب ١/٢٧٥ .

(٦) (الأصم) محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان ، الإمام المحدث مسند العصر أبو العباس النيسابوري ، سمع منه الآباء والأبناء والأحفاد ، من أكثر الناس رحلة في طلب العلم ، ولد سنة ٢٤٧ ، ومات سنة ٣٤٦ . سير أعلام النبلاء ١٥/٤٥٢ ، وتذكرة الحفاظ ٣/٨٦٠ .

(٧) القاضي البيضاوي ٣/٢٠٩ .

باب إطلاق معظم الشيء على كلّه ، والمندوب ليس كذلك . وقال أبو البقاء (١) : [وقرآن الفجر فيه وجهان ، أحدهما معطوف على الصلاة ، أي و أقم صلاة الفجر ، وعليه قوله : سميت صلاة الفجر قرآناً ، لأنها ركن . وثانيهما : هو على الإغراء ، أي عليك قرآن الفجر أو الزَمْ] ، وعليه قوله ((ويجوز أن يكون ﴿ وقرآن الفجر ﴾ حثّاً على طول القراءة في صلاة الفجر)) كأنه قيل : الزم قراءة القرآن في صلاة الفجر ، أي القرآن المنسوب إلى الفجر .

قوله :((فهو آخر ديوان الليل ، وأول ديوان النهار)) (٢) . روى الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده (٣) عن أبي هريرة في صلاة الفجر وصلاة العصر قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : يجتمعون في صلاة الفجر فتصعد ملائكة الليل وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون في صلاة العصر ، فيصعد ملائكة النهار وتثبت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي ؟ ، فيقولون : أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون . وفي رواية البخاري ومسلم (٤) قال أبو هريرة : سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، ثم قال أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ .

قوله : ((مكثوراً عليها)) (٥) ، أي مغلوباً عليها بالكثرة . الجوهري (٦) : [عن ابن السكيت (٧) : فلان مكثور عليه : إذا نَفَد ما عنده وكثرت عليه الحقوق].

قوله : ((ونحوه التأثّم والتحرّج)) أي ترك الإثم والحرج .

---

(١) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ مشهوداً ﴾ ، قال (ز) : يشهده ملائكة الليل والنهار ، وينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء ((فهو في آخر ديوان الليل ، وأول ديوان النهار)) إلخ .

(٣) أحمد بن حنبل في مسنده ، ٢/٣٤٤ .

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٨/٣٩٩ كتاب التفسير ، باب إن قرآن الفجر كان مشهوداً ، ومسلم ١/٤٣٩ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، بدون ذكر الآية .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ وقرآن الفجر ﴾ ، قال (ز) : حثّا على طول القراءة في صلاة الفجر ، لكونها ((مكثوراً عليها)) ليسمع الناس القرآن ، فيكثر الثواب .

(٦) الجوهري ٢/٨٠٣ ، مادة (كثر) .

(٧) ابن السكيت : يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت ، كان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة والشعر راوية ، ثقة ، له تصانيف كثيرة في النحو وغيره . بغية الوعاة ٢/٣٤٩ ، وطبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٨٩ .

قوله : ((وضع نافلة موضع تهجّد)) [1] ، أي نافلة مفعول مطلق ، من حيث المعنى ، وفائدة العدول ما ذُكِر أن التهجّد زيد لك على الصلاة المفروضة فريضة عليك خاصة .

قوله : ((فيقيمك مقاماً محموداً)) [2] ، قال أبو البقاء [3] : [هو على هذا نصب على المصدر] .

قوله : ((ليس أحد إلا تحت لوائك)) ، وفي حديث أبي سعيد عن الترمذي[4] (وما من نبيّ يومئذ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي) ، وأما الحديث بطوله فمشهور من رواية أهل هذه الصناعة [5] .

قوله : ((مُدخل ومُخرج بالضمّ)) [6] ، القراءة الشائعة ، والفتح شاذ . قال الزجّاج [7] : [فمن قرأ بضمّ الميم فهو مصدر أدخلته مُدخَلاً ، ومن فتح ، فهو على أدْخَلْته فَدَخَل مَدْخَل صدق] ، وإنما ترك المصنف تقدير الضم لأنه ظاهر لا يحتاج إلى تقدير فعل مطابق للمصدر كما في الفتح .

قوله : ((إدخالا مرضيّاً على طهارة)) [8]، معنى الإضافة في ﴿ مدخل صدق ومخرج صدق ﴾ نحو الإضافة في رجل صدق ورجل سوء ، والصدق إنما هو من

---

(1) تفسير قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ ، قال (ز) : عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس ((وضع نافلة موضع تهجّد)) لأن التهجّد عبادة زائدة ، فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد .

(2) تفسير قوله تعالى ﴿ مقاما محموداً ﴾ ، قال (ز) : نصب على الظرف ، أي عسى أن يبعثك يوم القيامة ((فيقيمك المقام المحمود)) أي المقام الذي يحمده القائم فيه .

(3) أبو البقاء في إملائه ٢/ ٩٥ .

(4) الترمذي ٥/ ٥٥٨ كتاب المناقب ، باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم ٣٦١٥ .

(5) أخرجه البخاري مع الفتح ١٣/ ٤٧٣ كتاب التوحيد ، باب كلام الربّ عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء ، ومسلم ١/ ١٨٣-١٨٤ كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها .

(6) تفسير قوله تعالى ﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً ﴾ الإسراء الآية ٨٠ ، قال (ز) : ((قرىء مُدخل ومُخرج بالضمّ والفتح)) قراءة الفتح (مَدخل ومَخرج) شاذة ، وهي قراءة الحسن ، والضمّ قراءة العامة . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٦ .

(7) الزجّاج ٣/ ٢٥٧ .

(8) قال (ز) في تفسير ﴿ مدخل صدق ﴾ : أي أدخلني القبر مدخل صدق ((إدخالا مرضيا على طهارة)) وطيب من السيئات .

أوصاف ذوي العلم ، فإذا وصف غيره كان دالاً على أن ذلك الشيء مرضيّ محمود في بابه . قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ كم أنبتنا فيها من كلّ زوج كريم ﴾ (٢) : [وصف الزوج من النبات بالكرم ، والكرم صفة لكلّ ما يرضى ويحمد في بابه . ولمّا عقّب هذه الآية قوله ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ﴾ وجب ولا فخر ، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي ، وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر ، قال : فَيَفْزَع الناس ثلاث فزعاتٍ ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربّك . فيقول : إني أذنبت ... وساق الحديث (٣) إلى قوله فأخرّ ساجداً فيُلْهِمُني ا لله من الثناء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسك ،وسل تعطه واشفع تشفّع وقل يُسمع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال ا لله عزّ وجلّ : ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ﴾ ، وأمّا المنقبة الدنيوية فَمُفْتَتَحها الأمر بالهجرة إلى دار النصرة ، وقوله : ﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ﴾ إشارة إلى ذلك . و روينا في شرح السنة (٤) عن ابن عباس والحسن وقتادة : (أدخلني : كان النبي صلى ا لله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة فنزلت عليه ﴿ وقل ربّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ﴾ . ألا ترى كيف ذَيَّلَ الإخراج والإدخال بما ينبيء عن استنزال النصر من الجناب الفردانية ، والحضرة الصمدانية من قوله : ﴿ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ ﴿ ليحقّ الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المشركون ﴾(٥). ومن ثَمّ قيل له : ﴿ قل جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ . وحين أراد ا لله أن يشرح غزارة علمه رمز إليه بقوله ﴿ وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ يعني أنه صلوات ا لله عليه يغترف علمه من البحر

---

(٢) سورة الشعراء الآية ٧ ، وذكر ذلك الزمخشري ٢٩٩/٣ .

(٣) أخرج هذا الحديث الترمذي ٢٨٨/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل ، رقم ٣١٤٨ ، وأحمد ٢٨١/١ .

(٤) وفي تفسير البغوي ١٢٢/٥ عن ابن عباس والحسن وقتادة ،وساقه . والترمذي ٢٨٤/٥ كتاب التفسير، باب ١٨ عن ابن عباس وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وأسباب النزول للواحدي ٣٣٧ .

(٥) سورة الأنفال الآية ٨ .

الذي تَنْفد الأبحر السبعة دون نفاده (٢) ، ولما كان السؤال عن الروح امتحاناً من المعاندين لعلمه أورده في السنن . ألا ترى كيف كافحهم بنزارة علمهم بقوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وبغزارة علمه على سبيل النصفة والاستدراج بقوله : ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ﴾ ، روينا عن الإمام أحمد والترمذي (٣) عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود : أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل . فقالوا : سلوه عن الروح . فسألوه . فأنزل الله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ الآية . قال أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، فأنزلت (٤) ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ﴾ الآية ، فإن قلت : فما وجه اتّصال قوله ﴿ وإذا أنعمنا على الإنسان ﴾ الآيتين بالكلام ؟ ، قلت : هو اعتراض لمعنى الزيادة والنقصان . جاء مستطردا في أثناء الكلام لأن السياق دلّ على كون القرآن رحمة وسبباً لمزيد المؤمنين ، وما ينالون به الاتصال والقرب والزلفى عند الله ، وخساراً وبُعداً للقوم الظالمين . وقد تقرّر أن ذلك السؤال كان امتحاناً من الظلمة وتضمّن الإشعار بنزارة علمهم وغزارة علمه صلوات الله عليه ، فلذلك كان مؤكداً للمعنيين وينصره قوله : ﴿ قل كلّ يعمل على شاكلته ﴾ .

---

(٢) كما قال تعالى في سورة الكهف الآية ١٠٩ : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾، وقال في سورة لقمان الآية ٢٧ : ﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ الآية .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بشرح الفتح الرباني ١٩٦/١٨ ، والترمذي ٢٨٤/٥ كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣١٤١ ، وقال : صحيح غريب من هذا الوجه .

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٤٦ ، وانظر القرطبي ٦٨/١١ ، والبغوي ٢١٢/٥ ، وزاد المسير ٢٠١/٥ .

قوله : ((فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى)) (١) ، الراغب : [إن ا لله تعالى جعل لنا طبَّيْن بَدَنِيّاً ودِينِيّاً ، وكلّ منهما إمّا إعادة للصحّة أو حِفظ لها ، والطبّ البدني الذي تعاد به الصحّة ، العقاقير والأدوية الذي تحفظ به الصحّة الغذاء والأطعمة . و أمّا الطب الديني ، فالذي تعود به الصحّة صقل العقل واستعماله في تدبير الدلالات وتعرف المعجزات ومعرفة النبوّات ، والقرآن مَشْحونٌ به ، والذي تحفظ به الصحة تدبّر الكتاب المنزل وتتبّع سنن النبي المرسل والعمل بمقتضاهما ، وعلى ذلك قوله تعالى ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خساراً ﴾ ، وقلت : لَمَح في قوله ((تعود به الصحّة)) إلى قوله صلوات ا لله عليه : (كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه ...) الحديث (٢) . وروينا عن الدارمي (٣) عن قتادة : (ما جالس القرآن أحد فقام إلاّ بزيادة أو نقصان) . ثمّ قرأ : ﴿ وننزّل من القرآن ﴾ الآية . وعن الدارمي أيضاً (٤) قال أبو موسى : (إن هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم ذكراً وكائن لكم نوراً وكائن عليكم وزراً اتّبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن ، فإنه من يتبع القرآن يهبط به في رياض الجنة ومن أتبعه القرآن يُزَخُّ في قفاه فيقذفه في جهنم . يقال زخّه أى دفعه في وهْدَة (٥) ولمّا فرغ من بيان علمه شرع في بيان معجزته صلوات ا لله عليه ، وأنه مما لم يؤت أحد من الأنبياء قال ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ﴾ الآية وجعل ما يتصل به من قوله . ﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن ﴾ الآية تخلّصاً إلى

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ الآية ٨٢ من الإسراء ، قال (ز) : أي كلّ شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين ، يزدادون به إيماناً ويستصلحون به دينهم ((فموقعه منهم)) إلخ .

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٦/٣ كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، وأبو داود ٨٦/٥ كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين ، ومسند أحمد ٢٣٣/٢ ، والموطأ ٢٤١/١ كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز . وغيرهم . ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة فصّلت الآية ٤٤ : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ الآية .

(٣) الدارمي ٥٣٠/٢ كتاب فضائل القرآن ، باب في تعاهد القرآن عن قتادة قال : .. وساقه .

(٤) الدرامي ٥٢٦/٢ كتاب فضائل القرآن ، باب فضل من قرأ القرآن عن أبى موسى وساقه .

(٥) (الوهدة) المنسفل من الأرض ، يقال : بتنا في وهدة ، وتوهّدَ تسفّل الأساس ٦٩١ .

ذكر حديث . قومه ، بقوله : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك ﴾ الآية ولهذا أخّره عن سائر أنواع الإفضال والإكرام وا لله أعلم . ولّما احتوى القرآن علما ومعجزة قال صلى ا لله عليه وسلّم (ما من نبّي من الأنبياء إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه ا لله إليّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (١) .

قوله : ((من يتوكل علينا باسترداده)) (٢) ، أى يصير وكيلا علينا والتوكل والموكل بمعنى قوله ((ولكن رحمة من رّبك تركته غير مذهوب به)) يريد أن الاستثناء منقطع والمستدرك قوله ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا ﴾ وعلى الأول الاستثناء متصل والمستثنى منه (وكيلا) وقال أبو البقاء (٣) : [إلا رحمة . مفعول له أي حفظناه عليك للرحمة ، ويجوز أن يكون مصدرا أي لكن رحمناك رحمة] .

قوله : ((كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا ؟)) (٤) ، روينا عن الإمام أحمد ابن حنبل والترمذي وابن ماجه والدرامي عن زياد بن لبيد قال ذكر النبي صلى ا لله عليه

---

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٣/٩ / كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي وأول مانزل من حديث أبي هريرة ، ومسلم في صحيحه ١٣٤/١ كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى ا لله عليه وسلم .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربّك إن فضله كان عليك كبيرا ﴾ الإسراء الآية ٨٧ .

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ثم لاتجد لك به ﴾ : أي ((من يتوكل علينا باسترداده)) وإعادته محفوظاً .

(٣) أبو البقاء في إملائه ٩٦/٢ .

(٤) يشير إلى قول ابن مسعود : ((وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل ((كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا)) الخ .

أخرجه الترمذي ٣١/٥ كتاب العلم ، باب ما جاء في ذهاب العلم وأحمد في مسنده ، ٢١٩/٤ وابن ماجه ١٣٤٤/٢ كتاب الفتن ، باب ذهاب القرآن والعلم واللفظ لابن ماجه ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٤/١٠ إسناده صحيح ورجاله ثقّات إلا أنه منقطع وأشار له الدرامي ٨٩/١ في المقدمه باب في ذهاب العلم من حديث عبد الرحمن بن يزيد عن أبى أمامة .

ولم أقف عليه في شرح السنه ، وفي الدر المنشور للسيوطي ٣٣٤/٥-٣٣٥ ما يقرب منه عن ابن مسعود وأخرجه البغوي في تفسيره ، ١٢٧/٥ وقال ابن حجر في الفتح ١٦/١٣ وعند الطبراني عن ابن مسعود رضي ا لله عنه قال : (وليـنزعنّ القرآن من بين أظهركم يسرى عليه ليلاً فيذهب من أجواف الرجال

وسلم شيئا فقال : ذلك عند أوان ذهاب العلم . فقلت : يارسول ا لله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال : (ثكلتك أمك يازِيَاد : إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤن التوراة والإنجيل لا يعلمون بشيء مما فيهما ، وفي شرح السنة عن عبد ا لله بن عمرو : لاتقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دويّ حول العرش كدويّ النحل . يقول الرب : ما لك ، فيقول : يارب أتلي ولا يعمل بي . وفيه أيضاً عن ابن مسعود (لا تقوم الساعة حتّى يرفع القرآن ثم يفيضون في الشعر).

قوله : ((لأن الشرط وقع ما ضياً)) (١) ، تعليل لجواز وقوع لا يأتون جواباً للشرط ، يعني لو لم تكن اللام في (لئن) لجاز لا يأتون مع وجود النون أن تقع جوابا للشرط لأن قوله ﴿اجتمعت﴾ ماض فلمالم تعمل الأداة في الجزء الأول لا تعمل في الثاني.

قوله : ((** يقولُ لا غائب مالي ولا حَرِمُ **)) ، أوّله :

** وإن أتاه خليل يوم مسغبة **

المسغبة المجاعَة وروى مسئلة البيت لزهير (٢) يمدح هرم ابن سنان (٣) يقول : إذا أتاه فقير وقد رفع إليه حاجته ، لم يتشاغل بنوع تعلّل . وعَنَي بالمال الإبل .

فلا يبقى في الأرض منه شيء) ، وسنده صحيح ، لكنه موقوف على ابن مسعود إلا أنه يعارضه الحديث المتفق عليه (إن ا لله لا يقبض العلم انتزاعا) .

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ الإسراء الآية ٨٨ ، قال (ز) في قوله : ﴿ لا يأتون ﴾ جواب قسم محذوف. ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط ((لأن الشرط وقع ما ضياً)) أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لعجزوا . والبيت المذكور شاهد لكلامه .

(٢) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني بن مضر ، حكيم الشعراء في الجاهلية ، ومنهم من يفضله على كافة الشعراء ، نشأ في بيت شعر ، كان أبوه شاعرا وخاله شاعرا ، وأخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين . مات سنة ١٣ . الشعر والشعراء (٤٤) والأغاني ١٠/٣٢٤ .

(٣) هرم بن سنان بن أبي حارثة المرى ، من أجواد العرب في الجاهلية ، يضرب به المثل وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى ، اشتهر هو وابن عمه الحارث بن عوف أبي حارثه بدخولهما في الإصلاح بين عبس وذبيان فيما وقع بينهما من حرب . الأغاني ٩/١٤١-١٤٣ والأمثال للميداني ١/١٢٧ .

قوله : ((من النوابت)) [1] ، والنوائب الأحداث الأغمار . قال صاحب التقريب : [واستدلّ صاحب الكشاف بإعجازه على حدوثه ، ولو كان قديماً لم يكن مقدوراً ، فلا يكون معجزاً كالمحال ، وجوابه : منع الملازمة ، إذ مصحح المقدورية هو الامكان وهو حاصل لا الحدوث . وأيضاً المعجز لفظه ولا يقال بقدمه والقديم كلام النفس [2] ، ولا يقال بإعجازه وأيضاً سلمنا أن القديم لا يقدر البشر على عينه لكن لم لا يقدر على مثله . قال صاحب الانتصاف : [القديم مدلول العبارات وهو صفة

---

(١) قال (ز) عند قوله ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ : وأنه معجز يعني القرآن ((والعجب من النوابت)) ، ومن زعمهم أن القرآن قديم ، مع اعترافهم أنه معجز ، وإنما يكون العجز ، حيث تكون القدرة .. إلخ .

(٢) حاصل ما ذكره الزمخشري ، وأحمد بن المنير ، وصاحب التقريب الذي ذكره الطيبي (أن القرآن هو مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات الباري تعالى يطلق عليها قرآن ، ويطلق أيضاً على أدلتها ، وهي هذه الكلمات الفصيحة والآي الكريمة قرآن ، وأن المعجز عندهم الدليل لا المدلول) .

ومذهب أهل السنة والجماعة هو : أن القرآن العظيم المكتوب في المصاحف الذي أوله سورة الفاتحة، وآخره سورة الناس هو كلام الله تعالى بألفاظه ومعانيه ، كما قال تعالى في سورة براءة الآية ٦ : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ فصرّح بأن هذا الذي يسمعه هذا المشرك المستجير هو كلام الله ، فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القارىء . فالحاصل أن القرآن المحفوظ في الصدور المقروء بالألسنة المكتوب في المصاحف هو كلام الله بألفاظه ومعانيه ، تكلّم به الله تعالى ، فسمعه جبريل منه ، وتكلّم به جبريل فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وتكلّم به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسمعته منه أمته وحفظته عنه . ومن فرق بين لفظه ومعناه فقد أخطأ . وقد عرّفه علامة زمانه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي رحمه الله في كتابه مراقي السعود فقال :

** لفظ منزل على محمد ** لأجل الاعجاز وللتعبد **

فصرح بأن القرآن لفظ ، مشتمل على تلك المعاني العظيمة المعجزة ، لا مجرد المعنى القائم بالذات المجرد عن الألفاظ والحروف . انظر مذكرة أصول الفقه لشيخنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ٥٤-٥٥ ، وانظر الطحاوي ٩-١١ و ١٨٠ . وقال أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره ، ٧٧/٨ قال : قال العلماء في قوله تعالى ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ فيه دليل على أن كلام الله عزّ وجلّ مسموع عند قراءة القاريء ، قاله الشيخ أبو الحسن والقاضي أبو بكر وأبو العباس القلانسي وابن مجاهد وأبو إسحاق الإسفرائيني وغيرهم لقوله تعالى ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾، فنصّ على أن كلامه مسموع عند قراءة القاريء لكلامه . ويدلّ عليه إجماع المسلمين على أن القاريء إذا قرأ فاتحة الكتاب أو سورة قالوا : سمعنا كلام الله . انتهى منه بلفظه .

قديمة قائمة بذات الله تعالى ويسمى قرآنا وكلمات اختصاص الوصف بما يناسب المقام ، وكأن ما ذكره ، وإليه أشار بقوله : ((يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث)) [1] ، وعلى هذا يجري جميع الوجوه المذكورة من تقدير وصف الإدخال والإخراج في كلّ مقام بحسب ما يناسبه .

قوله : ((فأجيبت دعوته)) ، الفاء فصيحة يعني أمره الله تعالى بالدعاء فامتثل أمره ودعا فاستجيبت دعوته .

قوله : ((وقيل هو عام في كلّ ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان)) ، هذا أقرب لسياق الكلام وسياقه . أما السياق ، فكما قال : ((يدلّ عليه ذكره على أثر ذكر البعث)) ، وأما السياق ، فعطف ﴿ قلّ ربّ أدخلني ﴾ على ﴿ أقم الصلاة ﴾ وعطف ﴿ واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً ﴾ على ﴿ أدخلني ﴾ ، وكلّ ذلك يقتضي غير واحدة من الحالات والأمكنة . [قوله ((فأجيبت دعوته)) [2] يعني أمره الله تعالى بالدعاء فامتثل أمره ودعا فأجيبت دعوته] [3] .

قوله : ((يَدُفّون)) [4] ، الجوهري [5] : [الدفيف : الدبيب ، وهو السير اللّين].

---

(١) يعني (ز) في قوله تعالى ﴿ أخرجني مخرج صدق ﴾ أي عند البعث إخراجاً مرضياً ملقّىً بالكرامة آمناً من السخط ((يدلّ عليه ذكره على أثر البعث)) .

(٢) ما بين القوسين س من أ ، ت ، م .

(٣) تفسير قوله ﴿ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾ .

(٤) تفسير قوله تعالى ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾ الإسراء الآية ٨١ .
قال (ز) : كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما ، صنم كلّ قوم بحياله . فشكا البيت إلى الله عزّ وجلّ ، فقال : أي ربّ حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك ؟ ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى البيت : إني سأحدث لك نوبة جديدة فأملأك خدوداً سُجّداً ((يدفّون)) إليك دفيف النسور يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية .

(٥) الجوهري في صحاحه ١٣٦٠/٤ ، مادة (دفف) .

قوله : ((مختصرتك)) [1] ، الجوهري [2] : [المِخْصَرَة كالسوط ، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها] ، روى الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي [3] عن ابن مسعود . دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ﴾ . وفي مسند الإمام أحمد ابن حنبل [4] عن علي رضي الله عنه قال : كان على الكعبة أصنام ، فذهبت لأحمل النبي صلى الله عليه وسلم فلم أستطع ، فحملني فجعلت أقطعها ، ولو شئت لنلت السماء .

قوله : ((كان مُضْمَحِلاً)) [5] ، الراغب [6] : [زهقت نفسه من الأسف على الشيء ، قال عزّ وجلّ : ﴿ وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ [7]] .

قوله : ((وننزل)) [8] قرأ بالتخفيف أبو عمرو .

---

(1) قال (ز) : ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح ، قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ ((مخصرتك)) ثم ألقها ، فجعل يأتي صنماً صنماً ، وهو ينكث المخصرة في عينيه ، ويقول : ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ .

(2) الجوهر ي في صحاحه ٦٤٦/٢ ، مادة (خصر) .

(3) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٠٠/٨ كتاب التفسير ، باب ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ رقم ٤٧٢٠ ، وكتاب المظالم رقم ٢٤٧٨ ، والمغازي ٤٢٨٧ . وأحمد في مسنده ، ٣٧٧/١ . ومسلم كتاب الجهاد والسير ، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، رقم ١٧٨١ . والترمذي كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل رقم ٣١٣٨ .

(4) مسند أحمد بشرح الفتح الرباني ، ٢٢٤/٢٠ .

(5) تفسير قوله تعالى ﴿ كان زهوقاً ﴾ ، قال (ز) : ((كان مُضْمَحِلا)) غير ثابت في كل وقت .

(6) الراغب في مفرداته ٢١٥ ، مادة (زهق) .

(7) سورة التوبة الآية ٥٥ .

(8) تفسير قوله تعالى ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاخسارا ﴾ الإسراء الآية ٨٢ قرأ (ننزل ، و (حتى ننزل) بالتخفيف فيهما أبو عمرو ويعقوب . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٦ .

قوله : ((من للتبين [1] كقوله ﴿ من ألأوثـان ﴾ [2])) يعـني مـن القـرآن بيـان لمفعول ننزل ، وهو (ما هو شفاء) وحال منه ، كما أن ﴿ من الأوثـان ﴾ في قولـه : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ حال من الرجـس وبيانـه وعلـى أن يكـون تبعيضـاً يكون ﴿ من القرآن ﴾ مفعولابه و ﴿ ما هو شفاء ﴾ بدلا منه ، ولذلك قال : ((كلّ شيء نزل من القرآن فهو شفاء)) أى كل حِصّة ونصيب وبعض .

قوله : ((أوأراد الاستكبار)) [3] ، يريد قوله نأى بجانبه ، إما أن يكون كنايـة عن الإعراض لأن من يلوي عن الشيء عِطْفَه ويولّى ظهره فقد حاول الإعراض عنه، فيكون تأكيداً لمعنى (أعرض) ودخلت الواو بين المؤكد والمؤكـد ، و إما أن يكـون كناية عن الاستكبار لأن ذلك من عادة المتكبرين فيكون تكميلا لكـون مفهومـه غـير مفهوم الإعراض ، فقد جمعوا بين الهيئتين .

قوله : ((وقرى ونآء بجانبه)) [4] ، قرأها ابن ذكوان [5] ، الراغب [6] : [نآء بجانبه ينوء و يناء أي ينهض قال تعالى : ﴿ ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ﴾ [7] و يقـال: ناء بجانبه ينأى نأياً ، مثل نعى أعرض . قال أبو عبيدة : تباعد ، وقريء ناءَ بجانبـه أي تباعد ، ومنه النؤي لحفيرة حول الخباء تُبَاعِد الماء عنه . و قيل نَأَيَ بجانبه مثل نَعَى أي أعرض ، و قال أبو عبيد : ناء بجانبه ، نهض به عبارة عن التّكبر كقولك : شمخ بأنفـه وازورّ بجانبـه ، و انتأيَ افتعل منه و المنتأيُ الموضع البعيد] .

---

(1) تفسير قوله ﴿ من القرآن ﴾ قال (ز) : ((من للتبين ، كقوله : ﴿ من الأوثان ﴾)) أو للتبعيض .

(2) سورة الحج الآية ٣٠ .

(3) تفسير قوله تعالى ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسّه الشر كان يؤسا قل كلّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا﴾ الآية ٨٣-٨٤،قال (ز):في تفسير﴿نأى بجانبه ﴾ والنأى بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره ((وأراد الاستكبار)) لأن ذلك من عادة المستكبرين .

(4) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان (نآء) ممدودا مهموزا بوزن (فَاءَ) ، وفي فصلت كذلك من نـاء ينـوء : نهض ، والباقون بتقديم الهمزة على حرف العلّة على وزن فَعَل ، من النأي وهو البعد . الإتحاف ٢٨٦ .

(5) ابن ذكوان عبد ا لله بن أحمد بشير بن ذكوان القرشي الفهري أبو عمرو ، من كبار القراء لم يكـن في عصره أقرأ منه . ولد سنة ١٧٣ ومات سنة ٢٤٢ بدمشق ، تهذيب التهذيب ١٤٠/٥ .

(6) الراغب في مفرداته ٥١٠ ، مادة (ناء) .

(7) سورة القصص الآية ٧٦

قوله : ((و طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة)) (١) ، إشارة إلى اتّصال هذه الآية بقوله : ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ ، الراغب (٢) : [على شاكلته ، أي سجيته التي قيّدَته ، من شكلت الدّابة ، و ذلك أن سلطان السّجيّةِ على الإنسان قاهر حسبما بينت في (الذّريعة إلى مكارم الشريعة) (٣) وهذا كما قال صلّى ا لله عليه وسلم : [كلّ ميسر ((لما خلق له)) ، والأشكلة الحاجة التي تقيد الإنسان] ، وقلت : الحديث هو ما رويناه عن البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبي داود وابن ماجه (٤) عن علي رضي ا لله عنه أنه قال : قال رسول ا لله صلّى ا لله عليه وسلم : ما منكم من أحد الإ وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة . قالوا يا رسول ا لله : أفلا نتّكل على كتابنا ؟ ، فقال : اعملوا فَكلّ ميسر لما خلق له . أما من كان من أُهل السعادة فسيصير لعمل السعادة و أما من كان من أهل الشقَاوة فسيصير لعمل الشقاء ثم قرأ ﴿ فأمّا من أعطى واتّقى ﴾ الآية .

قوله : ((من أمر ا لله)) (٥) ، أي مما استأثر بعمله يعني من أمر ربي لا من أمري فلا أقول لكم ماهي ؟ ، والأمر بمعنى الشأن ، أي معرفة الروح من شأن ا لله لا من شأن غيره ، ولذلك طابقه قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ . قال

---

(١) تفسير قوله تعالى ﴿ كل يعمل على شاكلته ﴾ ، قال (ز) : أي على مذهبه ((و طريقته التي تشاكل حاله في الهدى و الضلالة)) ، من قولهم : طريق ذو شواكل .

(٢) الراغب في مفرداته ٢٦٦ ، (مادة (شكل) .

(٣) الذريعة إلى مكارم (الشريعة) طبع بمطبعة : الوطن بالقاهر سنة ١٨٨٩ م ، قيل : إن الغزالي كان يحمله دائما في رحلاته لما فيه من فوائد ، انظر المقدمة للراغب ص ٣ .

(٤) البخاري مع الفتح ٨ / ٧٠٨ كتاب التفسير ، باب فأما من أعطى واتقى ، وفي غير هذا المحل أيضا ، ومسلم برقم ٢٦٤٧ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه و أجله ورزقه ، وأبو داود ٥ /٣٤ كتاب السنة ، باب في القدر ، برقم ٤٦٩٤ ، وأحمد في مسندة ، ١٢٨/١ ، والترمذي ٤/ ٣٨٨ كتاب القدر ، باب ما جاء في الشقاء و السعادة ، برقم ٢١٣٦ ، والتفسير ، رقم ٣٣٤٤، وابن ماجة ٣٠/١ المقدمة ، باب في القدر ، رقم ٧٨ ، والنسائي في تفسيره ، ٢ / ٥٢٨ .

(٥) تفسير قوله تعالى ﴿ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم الإ قليلا﴾ الآية ٨٥ ، قال (ز) : سألوه عن حقيقة الروح ، فأخبر أنه ((من أمر ا لله)) أي مما استأثر بعمله .

الإمام (١) : [المختار : أنهم سألوه عن الروح وأنه صلوات ا لله عليه أجاب عنه بأحسن الوجوه] بقوله : ﴿ قل الروح من أمر ربّي ﴾ يعني أنه موجود محدث بأمر ا لله ، وتكوينه وتأثيره أفاده الحياة للجسد ، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه ، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة ، ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها ، ويؤيده قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ، وقال القاضي (٢) : [يجوز أن يكون السؤال عن قدمه وحدوثه] ، فأجيب : أنه وجد بأمره وحدث بتكوينه .

قوله : ﴿ وما أوتيتم ﴾ ، الخطاب عام . قال القاضي (٣) : [يعني قوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ أنكم [ستُفيدونَه بتوسط حواسكم ، فإن اكتساب العقل للعلوم النظرية مستفاد من إحساس الجزئيات ، ولذلك قيل : من فقد حِسّاً فَقَد عِلْماً ، ولعلّ أكثر الأشياء لا يدركه الحِسّ ولا شيئاً من أحواله المُعَرِّفَة لذاته ، وهو إشارة إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلاّ بعوارض تميّزه عمّا يلتبس به ، فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام في جواب ﴿ وما ربّ العالمين ﴾ (٤) بذكره بعض صفاته] تمّ كلامه . فإن قلت : ما موقع هذا السؤال في هذا المقام ؟ ، قلت والعلم عند ا لله : الروح والعلم تَوءَمان ومَوْهِبَتان عظيمتان لاسيما الوَحْي ، ولذلك قرن بقوله : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ وعقبه بقوله : ﴿ ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ﴾ وعقّب به ﴿ وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة ﴾ وقد تقدّم مراراً وأطواراً أن فواتح السُّوَر بمقتضى براعة الاستهلال مؤذنة باشتمال السور على ما تضمّنت الفاتحة من المعنى ، ولّما افتتحت هذه السورة الكريمة بالكرامة السَّنية والموهبة الرفيعة لسيدنا صلوات ا لله عليه وهي بيان مقام الدُّنوّ والزلفى واستجلب ذلك حديث الكليم عليه السلام وبني إسرائيل ،

---

(١) الإما افخر الرازي في تفسيره ٣٧/٢١ .

(٢) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١٠/٣ .

(٣) القاضي البيضاوي ٢١٠/٣ .

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٣ .

ثم حديث الكفّار من هذه الأمة ، وأريد العود إلى البدء ، وتعداد كرائم وموانح أخرى ابتديء بمايناسب الإسراء من إقامة الصلوات مقرونة بذكر أوقاتها ، فقيل : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ إلى قوله : ﴿ ومن الليل فتهجّد به ﴾ ، ومن ثم قال صلوات الله عليه : (وجُعلت قرّة عيني في الصلاة) (١) ، وأخرى : (أن تعبد الله كأنك تراه) (٢) . وتارة : (أرحنا يا بلال) (٣) ، وجعل ذلك ذريعة إلى ذكر منقبتين جليلتين أخروية ، وهي مقام الشفاعة . وقيل : ﴿ عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً ﴾ ، روينا عن الترمذي (٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود ، فقال : هو الشفاعة . وعن الدارمي (٥) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قيل له : ما المقام المحمود ؟ ، قال : ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيّه ، ويجاء بكم حفاة عراة غُرْلا ، فيكون أول من يُكْسى إبراهيم ، فيؤتى برَيْطَتَيْن (٦) من رياط الجنة ، ثم أكسى على أثره ، ثم أقوم عن يمين الله مقاما يَغْبِطُني الأولون والآخرون ، وعن الترمذي (٧) عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ١٣٨/٣، ١٩٩ ، ٢٨٥ ، والمستدرك ١٦٠/٢ ، والنسائي ٦١/٧ كتاب عشرة النساء ، باب حبّ النساء . وتلخيص الجبير ١١٦/٣ .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ١١٤/١ كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان . ومسلم ٣٧/١ كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان إلخ .

(٣) أحمد في مسنده ، ٣٦٤/٥ ، ٣٧١ ، وأبو داود ٢٦٢/٥ كتاب الأدب ، باب في صلاة العتمة

(٤) والترمذي ٢٨٣/٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ .

(٥) أخرجه الدارمي ٤١٩/٢ كتاب الرقائق ، باب في شأن الساعة ونزول الربّ تعالى . وأحمد في مسنده، ٣٩٨/١ ، وفيه الصعق بن حَزَن : صدوق يهم ، وعثمان بن عمير : ضعيف ، واختلط في آخر عمره، وكان يدلّس ، وكان يغلو في التشيّع . انظر تهذيب التهذيب ١٤٥/٧ ، وتقريب التهذيب ١٣/٢ ، وميزان الاعتدال ٥٠/٣ .

(٦) الريطة : قيل : هي كلّ ملاءة ليست بِلِفْقين . وقيل : كلّ ثوب رقيق ليّن . النهاية ٢٨٩/٢ .

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه ١٧٨٢/٤ كتاب الفضائل ، باب فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق . والترمذي ٢٨٨/٥ كتاب تفسير القرآن ، باب ١٨ ، برقم ٣١٤٨ ، ٣٦١٥ . وأحمد في مسنده ، ٢٨١/١ ، ٢٠٣ وشرح السنة ٢٠٤/١٣ .

بيدي لواء الحمد . أيضاً والمعجز الدليل لا المدلول ، لكن أهل السنة (١) يتحرَّزون من إطلاق المخلوق لوجهين : لإيهامه ، ولأن السلف الصالح كفّوا عنه ، وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية من إيهام غيره ، فلا يصحّ إلزام الزمخشري ، وقلت : الوجه الأخير لصاحب التقريب هو الوجه ، لِما قرّره المصنف في قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ ، فإن قلت : ما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل ؟ ، قلت : معناه بسورة مّما هو على صفته في البيان الغريب وعلوّ الصفة في حسن النظم ومن ثم لم تكن سائر الكتب السماوية معجزة ، وإن كان مثل القرآن في ذلك المعنى .

قوله : ((وقرىء تَفْجُرُ بالتخفيف)) (٢) ، الكوفيّون بفتح التاء وضمّ الجيم مخفّفاً ، والباقون بضمّ التاء وكسر الجيم مشدّداً .

قوله : ((من شأنها أن تنبع بالماء لا يقطع)) ، القاضي (٣) : [الينبوع عين لا ينضب ماؤها] كأن البناء دل على المبالغة .

قوله : ((عبّ الماء)) ، أي زَخَرَ من العباب . الجوهري (٤) : [العباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه] .

قوله : ((كما زعمت)) ، يعنون قول الله تعالى ﴿ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ﴾ وكان ذلك عناداً وتمرّداً ، بدليل قوله :

---

(١) يعني بأهل السنة هنا الأشاعرة ، ومذهبهم في هذا يخالف مذهب أهل السنة والجماعة كما بينا آنفا، والعجب من قوله : (وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية من إيهام غيره) ! .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي با لله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربّي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ الإسراء الآية ٩٠-٩٣ . قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو والأعمش عن أبي بكر في رواية محمد بن غالب وحده : ﴿ حتى تُفَجِّرَ لنا ﴾ بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف : ﴿ حتى تَفْجُرَ ﴾ بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفةً . المبسوط لابن مهران ٢٣٠ .

(٣) القاضي البيضاوي ٢١١/٣ .

(٤) الجوهري في صحاحه ١٧٥ ، مادة (عبب) .

﴿ وإن يروا كسفا من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم ﴾ (١) ، قال : لو أسقطناه عليهم لقالوا : سحاب مركوم ، ولم يصدّقوا أنه كسف ساقط للعذاب .

قوله : ((قُريء ﴿ كِسْفاً ﴾)) (٢) بسكون السين نافع وعاصم . وابن عامر ﴿ كِسَفاً ﴾ بفتح السين ، والباقون بإسكانها .

قوله : ((أو مقابلاً)) (٣) ، عطف على قوله : كفيلا ، يعني إذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير : أو يأتي با لله قبيلا وبالملائكة قبيلا ، وإذا كان بمعنى مقابلا يعود المعنى تأتي با لله مقابلا وبالملائكة مقابلين واستشهد للأول بقوله : ﴿ أو نرى ربنا ﴾ بناء على مذهبه (٤) ، لأن النظر إلى الشيء يقتضي المقابلة ، وللثاني : ﴿ لو لا أنزل علينا الملائكة ﴾ ، وقوله : أو جماعة ، احتمال آخر بمعنى قوله : ﴿ والملائكة قبيلا ﴾ ، الجوهري (٥) : [القبيل : الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى] وعلى هذا يجوز أن يكون قبيلا حالا من ا لله والملائكة معا ، قال أبو البقاء (٦) : [قبيلا حال من الملائكة أو من ا لله والملائكة] .

قوله : ((﴿ من زخرف ﴾ ، من ذهب)) ، الراغب (٧) : [الزخرف الزينة المزوّقة ، ومنه قيل للذهب : زخرف ، وقال : ﴿ أخذت الأرض زخرفها ﴾ (٨) ،

---

(١) سورة الطور الآية ٤٤ .

(٢) قرأ أبو جعفر وابن عامر : ﴿ كِسَفاً ﴾ بفتح السين وكذلك في الروم آية ٤٨ . وسائر القرآن ﴿ كِسْفاً ﴾ ساكنة السين . وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم ها هنا وفي الروم : ﴿ كِسَفاً ﴾ بفتح السين فيهما . وسائر القرآن ﴿ كِسْفاً ﴾ ساكنة السين . المبسوط لابن مهران ٢٣٠ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قبيلا ﴾ ، قال (ز) : كفيلا بما تقول شاهدا بصحته .

(٤) يعني مذهب المعتزلة في منعهم رؤية ا لله يوم القيامة ، والسنة ثابتة بأن المؤمنين يرون ربهم لا يضامون في رؤيته في الحديث المتفق عليه : (إنكم سترون ربكم) ، والمعتزلة ينكرون ذلك .

(٥) الجوهري في صحاحه ١١٩٨/٣ ، مادة (جمع) ، ذكر ما يقرب منه .

(٦) أبو البقاء في إملائه ٢ / ٩٦ .

(٧) الراغب في مفرداته ٢١٢ .

(٨) سورة يونس الآية ٢٤ .

وقال تعالى : ﴿ أو يكون لك بيت من زخرف ﴾ ، أي ذهب مزوق . وقال تعالى : ﴿ زخرفاً من القول غرورا ﴾ (١) ، أي المزوّقات من الكلام] .

قوله : ((وقريء : ﴿ قال سبحان ربّي ﴾)) (٢) ، ابن كثير وابن عامر قال بالألف ، والباقون بغير ألف .

قوله : ((تتخيّرونها عليّ)) (٣) ، قيل : أي يتخيرون الرسل الماضية بأن يقولوا : إنهم رسل مع كونهم بشرا كأنهم مختارون عليّ بهذه الصفة . و قال القاضي (٤) : [قوله : ﴿ سبحان ربيّ ﴾ يجوز أن يكون تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكّم عليه] أحد ، أي هل كنت إلا بشراً رسولا كسائر الرسل ؟ ، وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره ا لله عليهم ، ولم يكن أمر الآيات إليهم أن يتحكّموا على ا لله حتي يتخيرونها ، على هذا هو الجواب المجمل . وأما التّفصيل : فقد ذكر في آيات أخرى ، كقوله : ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ﴾ (٥) ﴿ ولو فتحنا عليهم بابا ﴾ (٦) .

قوله : ((والمعنى له أجوب)) (٧) ، قال صاحب التقريب : [لإفادة الحال بالمنطوق ، ما هو المقصود أي بعث ا لله رسولا حال كونه بشراً لا مَلَكاً ، ولَنزّلنا عليهم رسولا حال كونه ملَكاً لا بشراً ، وهو عين المقصود ، ولو جعلنا (رسولا)

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٢ .

(٢) تفسير قوله : ﴿ قل سبحان ربيّ ﴾ ، قال (ز) : ((قريء قال سبحان ربيّ)) ، قرأ ابن كثير و ابن عامر (قال) بصيغة الماضي إخبارا عن الرسول صلّى ا لله عليه وسلم ، والبا قون (قل) بصيغة الأمر من ا لله لنبيه صلّى ا لله عليه وسلم . الاتحاف ٢٨٦ .

(٣) قال (ز) : ليس أمر الآيات إليّ ، إنما هو إلى ا لله تعالى ، فما با لكم ((تتخيّرونها عليّ)) .

(٤) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٣ / ٢١١ .

(٥) سورة الأنعام الآية ٧ .

(٦) سورة الحجر الآية ١٤ .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاء هم الهدى إلا أن قالوا أبعث ا لله بشراً رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنّين لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا ﴾ الآية ٩٥ ، قال (ز) : هل يجوز أن يكون (بشرا) (وملكا) منصوبين على الحال من (رسولا) ؟ ، قلت : وجه حسن ((والمعنى له أجوب)) .

صفة ، أفاد بالمفهوم ما ليس بمقصود ، بل ما ليس بمستقيم ، إذ يدلّ تقْييد الصفة بالمفهوم ، أبعث بشراً مرسلاً ؟ ، لا بشراً غير مرسلٍ ، ولَنزّلنا عليهم مَلَكاً مرسلا لا مَلَكاً غير مرسل ، وهما غير مقصودين ، بل غير مستقيمين] . وقلت : ويمكن أن يقال وا لله أعلم : إنّما كان المعنى له أجوبة ، لأنه إذا كان رسولا ذا حال يكون في التركيب تقديم وتأخير ، وإزالة عن الأصل فيجتمع النفي والإثبات في السؤال والجواب ، ويقع الكلام في ثبوت الحال ونفيها بعد تحقّق صاحبها ، فيكون المنكر في قولهم : ﴿ أبعث ا لله بشراً رسولاً ﴾ بعثة البشر للرسالة بعد إقرارهم أن الرسالة ثابتة ، كقولهم : ﴿ لو لا أنزل عليه ملك ﴾ [1] ﴿ لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ [2] ، ويكون الجواب بقوله : ﴿ لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً ﴾ ، كالقول بالموجَب [3] ، أي : نعم إنما يجب إرسال الملَك دون البشر ، أي لو كان في الأرض ملائكة قارّين لأن الجنس إلى الجنس أمْيَل ، وهو به أنس ، ولذلك مَنّ عليهم بقوله : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ [4] ، وفي قوله : ((ثم قرّر ذلك بأنه لوكان في الأرض ملائكة)) إلى آخره ، لمحة من القول الموجَب ، ولو كان رسولا وصفاً لبشر وللَملَك لكانا قارّين في مكانهما ، وما أفاد النفي والإثبات في السؤال والجواب ، ولم

---

(1) سورة الأنعام الآية ٩ .

(2) سورة فصلت الآية ١٤ .

(3) وضابط القول بالموجَب بفتح الجيم : تسليم المعترض دليل الخصم مع بقاء النزاع في الحكم ، وذلك بجعل الدليل الذي سلّمه الخصم ليس هو محلّ النزاع ، كقوله تعالى : ﴿ ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ﴾ سورة المنافقين الآية ٨ ، فعبد ا لله بن أبَيّ في هذه الآية استدلّ على أنه يخرج الرسول صلى ا لله عليه وسلّم وأصحابه من المدينة ، بأن الأعزّ قادر على إخراج الأذلّ ، وا لله سلّم له هذا الدليل ، مبينا أنه لايجديه ، لأنه هو الأذلّ ، حيث قال تعالى : ﴿ و لله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ . انظر مذكرة شيخنا محمد الأمين ٣٠٨ ، قال السيد عبد ا لله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي في نظمه في البلاغة المسمى نور الأقاح معرفا القول بالموجب في علم البديع :

** ثم من البديع ما قد اشتهر **	بالقول بالموجب عند ذي النظر **
** وقوع وصف في كلام قد كنى **	به عن الذي له حكم بنى **
** فيثبت الوصف لغير ما ثبت **	له الذي عن شأن ذا الحكم سكت ** .

(4) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

يحسن هذا الحسن ، ألا ترى إلى قول صاحب المفتاح [1] قال في سورة المؤمنين ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ﴾ [2] : فذكر بعده المرفوع وما تبعه المنصوب ، وهو موضعه ، وقال في النمل ﴿ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا ﴾ [3] : فقدّم لكونه فيما أهمّ ، وإنما خالفنا المصنف في قولنا ، لأن الجنس إلى الجنس أميل لئلاّ يلزمنا الاعتزال الذي عناه بقوله : ((وأما الإنس فما هم بهذه المثابة)) [4] ، ولذلك عدل القاضي[5] إلى قوله : [﴿ لنزّلنا عليهم من السماء ملَكاً رسولاً ﴾ لتمكّنهم من الاجتماع به والتلقي منه ، والإنس عامتهم عُماةٌ عن إدراك الملَك والتلقّف منه ، فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس] .

قوله : ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم)) [6] ، روينا عن الترمذي [7] عن أبي هريرة قال : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ، صنفاً مشاةً ، وصنفاً ركباناً ، وصنفاً على وجوههم ، قيل : يا رسول ا لله وكيف يمشون ؟) الحديث .

(١) صاحب المفتاح محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ، شارح التلخيص ، تقدّمت ترجمته .

(٢) سورة المؤمنين الآية ٨٣ .

(٣) الآية ٦٨ من سورة النحل.

(٤) يشير الطيبي إلى اعتزال الزمخشري في تفضيله الملائكة على الآدميين مطلقاً ، قال (ز) : ((أما الإنس فما هم بهذه المثابة)) ، إنما يُرسل الملَك إلى مختار منهم للنبوّة ، فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم .

(٥) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١١/٣ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن يهد ا لله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصمّا مأواهم جهنّم كلّما خبت زدناهم سعيرا * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنّا عظاما ورفاتا أإنّا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾ الإسراء الآية ٩٧-٩٨ . قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم ﴾ : وقيل لرسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : كيف يحشرون على وجوههم ؟ ، قال : ((إن الذي أمشاهم على أقدامهم)) قادر على أن يمشيهم على وجوههم .

(٧) أخرجه الترمذي ، ٢٨٥/٥ كتاب التفسير ، باب ١٨ من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه ، برقم ٣١٤٢ . وأحمد في مسنده ، ٣٦٣/٢ ، وله شاهد في البخاري مع الفتح ، ٣٧٧/١١ كتاب الرقائق ، باب الحشر .

قوله : ((ويجوز أن يحشروا)) ، عطف من حيث المعنى على قوله : ((كما كانوا في الدنيا)) [1] ، فعلى عمياً وبكماً وصُمّاً على المجاز ، والحشر الثاني بمعنى الجمع والسوق ، كقوله تعالى : ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ [2] ، والأول بمعنى البعث وحشر الناس يوم القيامة .

قوله : ((مؤفى الحواس)) [3] ، الجوهري [4] : [الآفة العاهة ، وقد أُيِفَ الزرع على ما لم يسمّ فاعله ، أي أصابته آفة ، فهو مؤوف مثل معوف] .

قوله : ((على قوله ﴿ أولم يروا ﴾)) [5] ، أي وجعل لهم عطف على ﴿ أولم يروا ﴾ ، يعني لا يجوز أن يعطف على (خَلَقَ) ويدخل في حيّز صلة الموصول للفصل بخبر إنّ ، وهو ﴿ قادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ولا ﴿ على أن يخلق ﴾ لفظاً ومعنى لأنه لا يحسن إيقاع القدرة على الآجل ، فينبغي أن يكون عطفاً على ﴿ أولم يروا ﴾ ، وأمّا قوله : ﴿ وجعل لهم أجلاً لاريب فيه ﴾ فليس تقديرا لتصحيح معنى العطف إذا لا يلتئم أن يقال : ﴿ أولم يروا ﴾ وجعل لهم ، بل هو ابتداء تفسير بشهادة قوله : ((وهو الموت أوالقيامة)) [6] ، فإذا التقدير قد علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السماوات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم . كقوله تعالى : ﴿ أو ليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ أي في الصغر والقمأة [7] . وأن من جعل لهم أجلا لاريب فيه ، وهو القيامة ، لابدّ أن يأتي به ، كقوله

---

(١) تفسير قوله : ﴿ عميا وبكما وصمّا ﴾ ، قال (ز) : ((كما كانوا في الدنيا)) .

(٢) سورة طه الآية ٥٩ .

(٣) قال (ز) : ويجوز أن يحشروا ((مؤفى الحواس)) من الموقف إلى النار بعد الحساب .

(٤) الجوهري في صحاحه ١٣٣٣/٤ ، مادة (أوف) .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لاريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا ﴾ الإسراء الآية ٩٩ . قال (ز) : فإن قلت : علام عطف قوله ﴿ وجعل لهم أجلا ﴾ ؟ ، قلت : ((على قوله أولم يروا)) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعل لهم أجلا لاريب فيه ﴾ ، قال (ز) : ((وهو الموت أو القيامة)) ، فأبَوْا مع وضوح الدليل إلا جحودا .

(٧) (القمأة) في الصحاح للجوهري ٦٦/١ ، مادة (قمأ) ، قال : قَمُؤ الرجل بالضم قَمَاءً وقَمَاءَةً صار قميئاً ، وهو الصغير الذليل ، وأقمأْته صغّرته وذلّلته ، فهو قميء .

تعالى: ﴿ إن الساعة آتية لاريب فيها ﴾ (١) . فظهر أن المراد بقوله عطف على قوله : ﴿ أو لم يروا ﴾ أنه عطف على التقدير ، وأن يضمر في الكلام ما يتمّ به المعنى ، ويؤيده قول الإمام (٢) : [لما بين الله تعالى بالدليل المذكور أن البعث والقيامة أمر يمكن الوجود في نفسه أردفه بأن لِوُقوعه ودُخوله في الوجود وقتاً عند الله تعالى] ، والنظم يساعد هذا التقدير الذي قدرناه وتخصيص ما خصّصناه من أن المراد بالأجل القيامة لاغير لورود الآية بعد إنكار ما أنكروه في قولهم : ﴿ وقالوا أئذا كنّا عظاماً ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً ﴾ (٣) .

قوله : ((لو حقّها أن تدخل على الأفعال)) (٤) ، قال ابن الحاجب (٥) في الشرح : [لا بد أن يليها الفعل لأنها حرف شرط ، والشرط إنما يعقل بالفعل فالتزم وقوع الفعل لفظاً أو تقديراً] . قال صاحب المفتاح (٦) : [وأمّا كلمة (لو) فحين كانت لتعليق ما امتنع بامتناع غيره ، على القطع امتنعت ، حملنا ها على الثبوت وَلَزِم أن يكونا فِعْلَتين والفعل ماض] .

قوله : ((فأما ما يقتضيه علم البيان فهو : (أنّ أنتم تملكون) ، فيه دلالة على الإختصلص)) . وقال صاحب الفرائد : لما كان التقدير ، لو كان تملكون يملكون وهذا لا يفيد الاختصاص ، وجب أن لا يفيده هذا أيضاً ، لأنه غير مخالف في تأدية المعنى لذلك ، لأن (أنتم) وضع موضع الضمير المتصل ، فالفعل مراد والتكرار حاصل على التقديرين ، نفى أن يقال : إن أنتم تملكون على صورة الجملة الاسمية

---

(١) سورة الحج الآية ٧ .

(٢) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ، ٦٢/٢١ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٩ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً ﴾ . الإسراء الآية ١٠٠ ، قال (ز) : في قوله تعالى ﴿ لَوْ ﴾ حقها أن تدخل على الأفعال ، دون الأسماء ، فلا بدّ من فعل بعدها في ﴿ لو أنتم تملكون ﴾ وتقديره ، لوتملكون ، تملكون .

(٥) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ٢٥٨/٢ .

(٦) محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني ، تقدمت ترجمته . انظر مبحث (لو) في بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ١٩٧/١ ، وشرح التلخيص ٦٨/٢ .

بدون معناها ، فالاختصاص من لوازم معنى الاسمية لا من صورتها ، ويمكن أن يقال في الجواب : الأصل تملكون بدون التكرار ، فكرر ليفيد التأكيد ، فلما ترك الفعل الأول أوأُضمر إبقاء فاعله ، وهو في المعنى غير ضمير الثاني المتصّل ، علم بأن الاهتمام بذكر فاعل هذه الجملة أكثر من ذكر فعلها ، فكان تقديما للفاعل على الفعل من حيث المعنى والثاني بمنزلة المكرر للتأكيد فأفاد الاختصاص (١) . وقلت : نظر أصحاب المعانى في أمثال هذا التركيب إلى اللفظ ألا ترى إلى قول صاحب المفتاح : [ترك يودوا إلى الماضي المؤذن بالتحقيق نظرا إلى لفظه ، فكذا ههنا النظر إلى صورة ﴿ أنتم تملكون ﴾ لا إلى أصله ، وهو مثل : أنا سعيت في حاجتك ، في وجه إفادة الاختصاص وإلى هذا الإشارة بقوله : ((برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر)) .

قوله : ((لو ذات سوار لطمتني)) (٢) ، قال الميداني (٣) : [لو لطمتني ذات سوار ، لأن (لو) طالبة للفعل داخلة عليه ، والمعنى : لو ظلمني من كان كفؤاً لي لهان عليّ ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وقيل : أراد لو لطمتني حرّة فجعل السوار علامة للحرية ، لأن العرب قلّما تُلْبِس الإماء السوار فهو يقول : لو كانت اللاطمة حرة لكان أخفّ عليّ] .

قوله : ((** ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي **)) (٤) .

تمامه : ** جعلت لهم فوق العرانين ميسماً **

---

(١) حاصل هذه المسألة : أن المقرر في علم العربية أن (لو) لا تدخل إلا على الأفعال ، فيقدر لها في الآية فعل محذوف . والضمير المرفوع بعد (لو) أصله فاعل الفعل المحذوف ، فلما حذف الفعل فصل الضمير ، لأن الأصل ﴿ قل لو تملكون ﴾ ، فحذف الفعل فبقيت الواو فجعلت ضميرا منفصلا : هو (أنتم) . أنظر أضواء البيان ٥٧٤/٣ .

(٢) القائل حاتم . انظر الكشاف٦٩٦/٢.

(٣) ذكره الميداني في الباب الثالث والعشرون ٣/ ٨١ ، رقم ٣٢٢٧ .

(٤) البيت للمتلمس ، وبعده :

** ولَوْ غَير أخوالي أرادوا نَقيصَتي ** جعَلْتُ لهُم فوق العَرانين مَيْسَماً **

** وهل كنتُ إلاّ مثل قاطع كفّه ** بكفٍّ له أخرى عليه تقدّماً ** .

العرانين : الأنوف . والميسم العلامة يقول : لو كان الظلم والنقيصة جاءتني من غير أخوالي لَوَسَمْتُهُمْ بسمة الذّلّ ليشتهروا بها ، ولم يمكنهم إخفاؤها .

قوله : ((قتورا) ضيقا بخيلا)) الراغب (١) : [القتر تقليل النفقه ، وهو بإزاء الإسراف ، وكلاهما مذمومان . قال تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ (٢) ، ورجل قتور وَمُقْتِر . وقوله تعالى : ﴿ وكان الإنسان قتوراً ﴾ تنبيه على ما جبل عليه الإنسان من البخل ، وقد قَتَرت الشيء وأقترته وقتّرته أي قلّلتُه ، ومقتر فقير ، قال تعالى : ﴿ وعلى المقتر قدره ﴾ (٣) ، وأصل ذلك من القُتَار والقَتَرِ ، وهو الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما ، فكأن المُقْتِر والمُقَتِّر هو الذي يتناول من الشيء قُتارُه] .

قوله : ((لا . لأن معناه لبخلتم)) (٤) ، وفيه وجهان ، أحدهما أن يكون مضمّنا معنى البخل ، والبخل لا يتعدى بنفسه ، وثانيهما أن يجعل مفعوله منسيا كقولهم : فلان يعطي ويمنع ، فيكون كناية عن البخل ، ذكره صاحب الفرائد .

قوله : ((فذكر اللسان)) (٥) ، وهو انحلال العقدة والطّمس ، وهو قلب أموال القبط حجارة ، يعني كما أن الحسن ذكر مكان الحجر والبحر والطور فيما ذكره أولاً من الآيات التسع الطوفان والسنين ونقص الثمرات ، ووضع محمد مكان البحر والطور اللسان والطمس ، قال الواحدى (٦) : قال المفسرون : صارت أموالهم

---

(١) الراغب في مفرداته ٣٩٢ ، مادة (قتر) .

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٦ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قتورا ﴾ ضيقا بخيلا ، فإن قلت : هل يقدّر (لأمسكتم) مفعول ؟ ، قلت : ((لا ، لأن معناه لبخلتم)) من قولك للبخيل : ممسك .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا ﴾ الإسراء الآية ١٠١ ، قال (ز) : عن ابن عباس إن الآيات ، هي العصا ، واليد إلخ ... وعن محمد بن كعب لما سأله عمر بن عبد العزيز ((فذكر اللسان والطمس)) من الآيات .

(٦) الواحدي في الوسيط ١٣٠/٣ ، وانظر الطبري ١٧٠/١٥ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١٣٩/٣ ، والقرطبي ٢١٧/١٠ .

حجارة ، وقال القرطبي : جعل سكرهم حجارة . وقال قتادة : بلغنا أن حروثهم صارت حجارة ، ولّما وافق هذا القول دون ما عند عمر بن عبد العزيز قال : كيف يكون الفقيه إلا هكذا إعجابا وتعجّبا ، ثم أمر بإخراج الجراب تصديقاً له .

قوله : ((وعن صفوان بن عسال الحديث أخرجه الترمذي والنسائي [1] عنه تفاوت يسير ، وفيه إشكال ، لأن المذكور عشرة والسؤال عن تسع ، وقد أجاب عنه التور بشتي بأجوبة ، والذي [2] نقوله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اعلموا معاشر اليهود أن الآيات التي أوتي موسى ولم تنسخها شريعة ، نحن وأنتم فيها سواء هذه المذكورات ، لكن له آية أخرى تختص بكم ، وهي هذه ، وهذه الزيادة كالإيصال والتتميم ، يعني خذوا ما سألتموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم] .

قوله : ((أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف)) روي عن صاحب التهذيب للكشاف أنه قال : [رأيت في حاشية الكشاف دلالة الآية على تقدير (قلنا) من حيث إنه خبر كما أن ذاك خبر ، والأولى عندي أن يقال : إن دلالتها من حيث إنها تدل على أن السائل من بني اسرائيل هو موسى لا محمد صلوات الله عليهما ، وقلت : تحقيقه أن يفصّل ما أجمله المصنف ليظهر الحق ، فإنه ذكر في الآية وجوهاً كثيرة ، لكن يجمعها معنيان لأن السائل إما موسى عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن يكون السائل موسى ﴿ إذجاءهم ﴾ إما أن يتعلق بقلنا المحذوف أو بنفس السؤال ، والأول على وجهين : إحداهما المسؤل فرعون ، والمسؤل عنه إنقاذ بني إسرائيل منه ، المعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات ، وأرسلناه إلى فرعون وملائه وقلنا له : إذجاءهم سل بني إسرائيل من فرعون أي قل له أرسل معي بني إسرائيل وخلّهم وشأنهم ، لأنهم كانوا كالأسرى بيد فرعون .

---

(1) أخرجه الترمذي ٢٨٦/٥ كتاب التفسير ، باب ١٨ ، والاستئذان ٧٧/٥ ، وأحمد في مسنده ٢٣٩/٤ ، والنسائي في التفسير كما في تحفة الأشراف ١٩٢/٤ ، والمحاربة ، باب السحر ١٦٤٢/٤٠٨٣ ، وابن ماجه كتاب الأدب ، باب الرجل يقبل يد الرجل مختصرا ١٢٢١/٢ ، والحاكم في المستدرك ٩/١ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(2) أنظر حاشية محي الدين شيخ زاد ٢٤٣/٣-٢٤٤ ، فذكر مثل هذا .

قال تعالى : ﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ﴾ [1] ، فالسؤال بمعنى الطلب ، وثانيهما المسؤل بنو إسرائيل والمسؤل عنه سببان ، والمعنى على الأول قلنا لموسى : ﴿ سل بني إسرائيل إذ جاءهم ﴾ عن حال دينهم ، أنتم ثابتون على ملّة إبراهيم ؟ أم دخلتم في دين فرعون ؟ ، والمعنى على الثاني . قلنا له إذ جاءهم : سلهم أن يعاضدوك ، وتكون قلوبهم وأيديهم معك ، حتى يخلّصهم الله من الأسر ويورثهم أرض أعدائهم ، كما قال موسى لقومه : ﴿ استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ [2] ، والثاني : وهو أن يتعلق بنفس السؤال على قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، يرتب عليه المعاني الثلاثة كلها ، وهذه القراءة ترجّح احتمال أن يكون المأمور بقوله : فسأل في القراءة المشهورة وهو موسى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الثاني وهو أن يكون السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتعلق] ﴿ إذ جاءهم ﴾ إمّا ﴿آتينا﴾ المذكور ، أي ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات إذ جاء بني إسرائيل وفرعون وقلنا لك سل ذلك عن مسلمي أهل الكتاب يخبروك به كما أخبرت ، وهو من أسلوب قوله تعالى : ﴿ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك ﴾ [3] ، وهو من باب التهييج والإلهاب تثبيتاً ومزيد طمأنينةٍ ، أو متعلقه محذوف ، وهو إما (اذكر) ، المعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات [4] وأرسلناه إلى فرعون وملائه (اذكر) إذ جاءهم فقال فرعون ، فيكون قوله :

---

(1) سورة البقرة الآية ٤٩ .

(2) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .

(3) سورة يونس الآية ٩٤ .

(4) الآيات التسع ذكرها القرآن كلها ، كما قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ﴾ فذكر عن العصا واليد قوله تعالى في سورة الأعراف الآية ١٠٧ - ١٠٨ ﴿ فالقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ وقال في العصا أيضاً في سورة الشعراء الآية ٦٣ : ﴿ فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ ، وفي الباقيات من الآيات التسع قال تعالى في سورة الأعراف الآية ١٣٣ : ﴿ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ الآية . وجعل بعض العلماء الجبل بدل السنين ، وقال تعالى في الأعراف الآية ١٧١ : ﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ﴾ الآية .

﴿ فسأل بني إسرائيل ﴾ على الوجهين معترضا ، أو يخبروك على تقدير جواب الأمر المعنى (سل بني إسرائيل) عن حال الآيات التسع ، فإنهم يخبرونك القصّة بتمامها من لدن مجيء موسى من مَدْيَن (١) إلى مصر (٢) عند إيابهم ، وهم أسرى بيد فرعون وملائه يَسومونَهُم سوء العذاب ، ثم ذهابه إلى فرعون وطلبه منه إرسال بني إسرائيل معه وادعائه النبوة ، وإظهار تلك الآيات القاهرات بأسرها وظهور عجز فرعون وعناده ، وقوله : ﴿ إني لأظنّك يا موسى مسحوراً ﴾ فالفاء في قوله تعالى : ﴿ فقال له فرعون ﴾ فصيحة .

قوله : ((﴿ بصائر ﴾ بينات مكشوفات)) (٣) ، الأساس (٤) : [هذه الآية مبصرة ، وأبصر الطريق استبان ووضح] .

قوله : ((وقريء ﴿ علمتُ ﴾)) (٥) ، بالضمّ الكسائي ، والباقون بفتحها .

قوله : ((ثمّ قارع ظَنّه بِظَنّه)) (٦) ، الأساس (٧) : [قرعه بالرمح وقارعه وتقارعوا بالرماح ، وقارعته فقرعته] .

---

(١) (مَدْيَن) ، ويقال : أرض مدين ، بين تبوك والساحل على بعد ١٣٢ كيلو غرب تبوك وشرق رأس الشيخ ، عبيد على البحر بمسافة سبعين كيلا ، وهي في وادٍ بين الجبال ، وواديها يسمى عُفال ، وتشرف عليها من الغرب صفراء شعيب ، وتسمى مغائر شعيب ، ويقال : إن البئر التي استقى منها موسى كانت بهذا الموضع . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ٢٨٤ .

(٢) مصر معروفة ، وهي القاهرة ، وصارت تطلق على سائر البلاد المصرية .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربّ السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ﴾ الإسراء الآية ١٠٤ ، قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ((﴿ بصائر ﴾ بينات مكشوفات)) ولكنك معاند مكابر .

(٤) الأساس للزمخشري ، قال : ومن المجاز هذه آية مُبْصِرَةٌ إلخ ، ٤٠ .

(٥) قرأ الكسائي : ﴿ لقد علمتُ ﴾ بضم التاء ، مسند الضمير موسى ، ووافقه الأعمش ، والباقون بالفتح على جعل الضمير للمخاطب ، وهو فرعون . إتحاف فضلاء البشر ٢٨٧ .

(٦) قال (ز) عند قوله : ﴿ لقد علمتُ ﴾ على قراءة الضم ، وأن الضم راجع إلى موسى ، على معنى إني لست بمسحور ، كما وصفتني ، بل أنا عالم بصحة الأمر ، وأن هذه الآيات منزلها ربّ السماوات والأرض ((ثم قارع ظنه بظنه)) كأنه قال : إن ظننتني مسحوراً ، فأنا أظنك (مثبورا) .

(٧) الأساس ٥٠٣ ، مادة (قرع) .

قوله : ((إلا بالحقّ محفوظاً بالرصد)) [1] ، فسّر الحقّ تارة بالحكمة ، وأخرى بالثابت الذي يقابل الباطل ، فقوله : ((محفوظا بالرصد)) تفسير لمعنى الحق ، وتوضيح لمحلّه ، وأنه نصب على الحال ، يعني هو محفوظ بالرصد ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ [2] ، ونحوه قوله تعالى : ﴿ أنزله بعلمه ﴾ ، قال المصنف : أنزله وهو رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة ، كما قال في آخر سورة الجنّ : ﴿ وأحاط بما لديهم ﴾ [3] ، قال أبو البقاء [4] : [﴿ بالحق أنزلناه ﴾ أي وبسبب إقامته الحق ﴿ أنزلناه ﴾ فتكون الباء متعلقة بأنزلناه ، ويجوز أن يكون حالاً ، أي أنزلناه ومعه الحقّ ، أو فيه الحقّ ، ويجوز أن يكون حالاً من الفاعل ، أي أنزلناه ومعنا الحقّ ، ﴿ وبالحق نزل ﴾ فيه الوجهان الأولان دون الثالث ، لأنه ليس فيه ضمير لغير القرآن] .

قوله : ((وما أرسلناك إلا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار)) ليس إليك وراء ذلك أي التركيب من القصر الإفرادي نزّل صلوات الله عليه لحرصه على إيمان قومه منزلة من يعتقد أنه مبشّر ونذير ومع ذلك مكره على الدين أيضاً فقصر على البشارة والنذارة ، وبقي كونه مكرها .

قوله : ((يعني أن (فَرَقَ) بالتّخفيف يدل على فَصْلٍ متقارب)) [5] كأنه يردّ القراءة بالتخفيف ، فإنها تدل على خلاف الواقع ، وهو الفصل المتباعد . وقال ابن جني [6] ويؤيده قوله : ﴿ على مكث ﴾ .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ الآية ١٠٥ ، قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ : أي وما نزل إلا متلبّساً بالحقّ والحكمة ، أو ما أنزلناه من السماء ((إلا بالحقّ محفوظا بالرصد)) من الملائكة .

(٢) سورة فصلت الآية ٤٢ .

(٣) الآية ٢٨ .

(٤) أبو البقاء في إملائه ٩٧/٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث ونزّلناه تنزيلا ﴾ الآية ١٠٦ ، قال (ز) : قرأ أبيّ : ﴿ فرّقناه ﴾ بالتشديد ، أي جعلنا نزوله مفرّقا منجّما ، وعن ابن عباس أنه قرأ مشدّدا أيضا ((يعني أن (فَرَقَ) بالتخفيف)) ، يدل على فصل متقارب ، وليس كذلك فبين أوّله وآخره عشرين سنة .

(٦) قال ابن جني في المحتسب ٢٣/٢ : [وقرآنا فرّقناه] بالتشديد ، قال أبو الفتح (يعني نفسه) : تفسيره فصّلناه ، ونزّلناه شيئا بعد شيء ، ودليله قوله تعالى : ﴿ على مكث ﴾ .

قوله : ((وتؤدَةٍ)) (١) ، النهاية (٢) : [يقال : اتّأد في فعله إذا تأني وتثبيت ، ولم يعجل] .

قوله : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ ، أمر بالإعراض عنهم ، يعني إنما يؤمن بهذا القول من إيس من إيمانه ولم يقتد بحالة ، فكأنه قال له : اتركهم ولا تبال بهم .

قوله : ((تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد)) (٣) ، لإنجازه عطف على (تعظيما) وهو مفعول له لقوله : ﴿ خرّوا ﴾ ، وإنما لم يأت باللام في الأول وأوتي بها في الثاني ، لأن الأول فعل لفاعل الفعل المعلّل ، والثاني ليس كذلك .

قوله : ((وعلى الأول إن لم تؤمنوا لقد آمن)) (٤) ، يعني على الوجه الثاني ﴿ إن الذين أوتوا العلم ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلزم منه توبيخ القوم وتقريعهم ، وعلى الوجه الأول بالعكس ، لأن التعليل على الأول مقول القول بخلاف الثاني . وقلت : الوجه أن يقصد التسلية ، ويكون التقريع مُفرّعا عليها ، لأن في المعلّل إشعارا بأن الرسول قد قضى ما عليه من الإبلاغ وأن الحجة قد لزمتهم ، فعليه أن يتاركهم ويشتغل بمن يجدي فيهم الإنذار وينجع فيهم الوعظ ، وبخاصّة نفسه من عبادة ربه ، وإلى الأول الإشارة بقوله : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ وإلى الثاني بقوله : ﴿ إن الذين أتوا العلم من قبله ﴾ ومن ثَم قال : أمر

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ على مكث ﴾ قال (ز) : بالفتح والضم ، على مَهَلٍ ((وتُؤدَةٍ)) وتثبّتٍ .

(٢) النهاية ١/ ١٧٨ ، مادة (تئد) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ الإسراء ١٠٧ – ١٠٩ . قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿ إذا يتلى عليهم ﴾ خروا سجّدا وسبّحوا الله ((تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد)) في الكتب المنزلة ، وما بشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه .

(٤) قال (ز) : فإن قلت : (إن الذين أوتوا العلم من قبله) تعليل لماذا ؟ ، قلت : يجوز أن يكون تعليلا لقوله : ﴿ آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ ويجوز أن يكون تعليلا (لقل) على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه ، كأنه قيل : تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء ((وعلى الأول إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم)) ويعني على الوجه الثاني ﴿ إن الذين أوتوا العلم ﴾ .

بالإعراض عنهم وأن لا يكترث بإيمانهم فإن خيرا منهم وأفضل قد آمنوا ، وإلى الثالث لقوله : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله ﴾ وإنما استدعى المقام المتاركة والتسلية ، لأن الله تعالى لما عدّ مناقب حبيبه صلوات الله عليه في مفتتح السورة وختمها ببيان المعجزة ، وهي قوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن ﴾ فكانت متضمّنة لما يتخلّص منه إلى طعن القوم في القرآن ورسالته ومعاندتهم في دفع آيات الله البينات ، فذكر شيئا صالحا منه فأراد أن يُسلّيَ حبيبه ذكر حديث الكليم ومجيئه بالآيات البينات إلى قومه وتكذيبهم ، ثم إهلاكهم ، وكان الأمر بقوله : ﴿ فسل بني إسرائيل ﴾ تتميما لمعنى التسلية ، وذكر بعده هذا النوع من التسلية وختم السورة بها والله أعلم .

قوله : ((أوّل ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن)) [1] ، قال صاحب التقريب : [وفيه نظر لأن أول ما يلقى الأرض الجبهة أو الأنف] ، ووجهه أنه إذا ابتدأ الخرور ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض هو الذقن ، أو أراد مبالغة في الخضوع وهو تعفير اللحى على التراب ، والأذقان كناية عنها ، أو أنه ربّما خرّ على الذقن كالمغشيّ عليه لخشية الله تعالى ، وقوله :

** ((فخر صريعا لليدين وللفم)) **

أوله من رواية المطلع :

** دلَفْتُ له بالرّمْحِ من دون ثوبه **

الدليف [2] المشي رويدا ، دلفت الكتيبة في الحرب أي قدمت . ويروى :

** أمْكَنَه بالرُّمحِ حُضْنَيْ قميصه **

الحضين [3] ما دون الأبط إلى الكشح ، وحِضْنا الشّيء جانباه .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ و يخرّون للأذقان ﴾ قال (ز) : فإن قلت : ما معنى الخرور للذقن ؟ ، قلت : السقوط على الوجه ، وإنما ذكر الذقن ، وهو مجمع اللحيين ، لأن الساجد أول ما يلقي به الأرض من وجهه الذقن .

(٢) الصحاح للجوهري ١٣٦٠/٤ ، مادة (دلف) والبيت قيل : لشريح العبسي ، وقيل لزهير .

(٣) الصحاح للجوهري ٢١٠١/٥ ، مادة (حضن) .

قوله ((جعل ذقنه ووجهه للخرور)) [1] ، وقال صاحب الفرائد : [لمّا كان الذقن أبعد شيء من وجهه من الأرض في حال السجود وهي حال وضع الجبهة ، كان القصد بالخُرورِ إلى وصول الأذقان إلى الأرض أبلغ من القصد إلى وصول الجبهة إليها ، فكأنه قيل : الخرور لأجل وصول الأذقان إلى الأرض ، لأن الانحطاط أكثر في وصول الأذقان من وصول الجبهة إليها ، وحاصله أنهم يبالغون في الخرور ، ويُلْصَقُونَ بالأرض ما أمكن إلصاقه بها من الوجه] تم كلامه . فإن قلت : جعل ذقنه ووجهه للخرور اختصّه به ، مُخالف لظاهر الآية لأنه جعل الخرور مختصّاً بالذقن لقوله : ﴿ يخرّون للأذقان ﴾ ، قلت : إن الخرور إذا اختص بالذّقن اختصّ الذقن به ، وما عليه التلاوة أدلّ على خضوعهم وتواضعهم .

قوله : ((فمعنى ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾ سمّوا بهذا الاسم أو بهذا)) [2] ، قال القاضي [3] : [المراد بالتسوية بين اللفظين ، هو أنهما يطلقان على ذات واحدة، وإن اختلف اعتبار إطلاقهما ، والتوحيد إنّما هو للذات الذي هو المعبود] هذا إذا كان رَدّاً لقول المشركين [4] ، وعلى أن يكون ردّا لليهود ، المعنى أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود ، وهو أجوب لقوله : ﴿ أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ وقلت : الذي يقتضيه النظم أن يكون ردّاً للمشركين ،

---

(1) قال (ز) : إذا قلت : خرّ على وجهه وعلى ذقنه ، ما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه ؟ ، قلت : معناه ((جعل ذقنه ووجهه للخرور)) واختصه به ، لأن اللام للاختصاص .

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ الإسراء الآية (١١٠) .

(3) القاضي البيضاوي ٢١٣/٣ .

(4) يشير إلى أنهم اختلفوا في سبب نزول الآية هذه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت لما سمعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم يتهجّد ذات ليلة بمكة ، فجعل يقول في سجوده (يا رحمن يا رحيم) قال المشركون : كان محمد يدعو إلها واحدا ، فهو الآن يدعو إلهين اثنين (الله والرحمن) ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة . الواحدي في أسباب النزول ٣٤١ ، والطبري ١٨٢/٩ ، والقرطبي ٣٤٢/١٠ ، والبغوي٥/١٣١ ، والدرالمنثور ٣٤٨/٥ .

وقيل : إن اليهود قالوا : إنك لتقل ذكر الرحمن ، وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت . الكشاف ٧٠٠/٢ .

لأن قوله : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ﴾ مناسب لهم ، والظاهر ما ذكره المصنف أن قوله : ﴿ فله الأسماء الحسنى ﴾ وضع موضع فهو حسن .

قوله : ((يرفع صوته)) [1] بقراءته ، الحديث مع التفسير متفق عليه ، رواه البخاري ومسلم [2] عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قوله : ((روي أن أبابكر)) الحديث مختصر من رواية أبي داود والترمذي [3] عن قتادة .

قوله : ((مَثَلٌ لانتحاء الوجه)) [4] ، يعني شبّه من ينبغي أن يتوسّط في القراءة بمن يتوخّى بين السبيلين قَصْداً سويّاً .

قوله : ((أولم يُوالِ أحداً)) [5] ، جعل وليّاً على الأول بمعنى الناصر وعلّق (من) به على تضمين معنى المنع ، المعنى : ليس له ذلّ ولا مانع من الذلّ يمنعه لاعتزازه بنفسه ، لأنه عزيز بذاته ، مانع لغيره منه ، وعلى الثاني : إجراؤه على

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً ﴾ قال (ز) : روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ، ويقول : أناجي ربّي ، وقد علم حاجتي ، وكان عمر رضي الله عنه ((يرفع صوته)) بالقراءة ، ويقول : أزجر للشيطان وأيقظ للوسنان ، فأمر أبابكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا .

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٠٤/٨ كتاب التفسير ، باب ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ الآية ، قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سَمِع المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، الحديث رقم ٤٧٢٢ ، ورقم ٧٤٩٠ ، ٧٥٢٥ ، ٧٥٤٧ . ومسلم ٣٢٩/١ كتاب الصلاة ، باب التوسط في القراءة في الصلاة ، رقم ٤٤٦ . والترمذي ، رقم ٣١٤٥ ، ٣١٤٦ ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة بني إسرائيل .

(٣) أخرجه أبو داود ، ٨١/٢ كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل رقم ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ . والترمذي ٣١٠/٢ كتاب الصلاة ، باب قراءة الوتر ، رقم ٤٤٧ ، وقال حديث غريب ، والحاكم في المستدرك ٣١٠/١ .

(٤) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ : وابتغاء السبيل مثل ((لانتحاء الوجه)) الوسط في القراءة .

(٥) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وليٌّ من الذُلّ ﴾ : ناصر من الذلّ ومانع له منه لاعتزازه به ((أولم يوال أحداً)) من أجل مذلّة به لدفعها بموالاته .

ظاهره ، وجعل (من) ابتدائية ، ومن ثم قال : ((ولم يوال أحداً)) من أجل مذلة ، وعلى التقديرين ، التركيب من باب قوله :

** على لاحبٍ لا يهتدي بمناره ** [1] .

قوله : ((لأن مَنْ هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة ، وذلك أن من اتخذ ولداً يحتاج إلى الإمساك لأجله ، ومن ثم قال صلوات الله عليه : (الولد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ) [2] ، ومن كان له شريك في ما يتصرّفه ، فهو ممنوع من التصرف التام ، ومن احتاج إلى ناصر يدفع عنه الذلّ ، كيف يقدر على دفعه عن الغير ؟ ، والله سبحانه وتعالى منزَّه عن كلّ هذه الموانع ، فهو يقدر على إيلاء كلّ نعمة ، فلذلك يستحقّ كلّ الحمد ، وإنّما سلك هذا التأويل لأن الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها ، وعدم اتّخاذ الولد ونفي الشريك عنه ليس من الفضائل الاختيارية ظاهراً ، وقد رتب (عليه) [3] الحمد ، [فعدل إلى لازم هذه المذكورات وهو القدرة على إيلاء كلّ نعمة ، ورتب عليها الحمد [4]] . قال القاضي [5] : [نفى أن يكون له ما يواليه ويشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختياراً واضطراراً ، وما يعاونه ويقوّيه ، ورتّب الحمد عليه للدلالة على أنه مستحقّ جنس الحمد ، لأنه كامل الذات المفرد بالإيجاد المنعم على الإطلاق ، وما عداه ناقص مملوك نعمةً أو مُنْعَمٌ عليه ، ولذلك عطف عليه قوله : ﴿ وكبّرْه تكبيراً ﴾] ، وقلت : والآية من باب التقسيم الحاضر ، لأن المانع من الإيتاء إمّا فوقه ، فهو القسم الثالث ،

---

(1) البيت لم أقف على قائله. واللحب الطريق الواسع الواضح . الجوهري ٢١٨/١ ، مادة (لحب).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٦٤/٣ كتاب معرفة الصحابة ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وسكت عليه الذهبي بلفظ (إن الولد مَبْخَلَةٌ مجبنة مَحْزَنَةٌ) من حديث يعلى بن منبه الثقفي ، وأيضاً ٣٩٦/٣ من حديث محمد بن الأسود بن خلف عن أبيه رضي الله عنه ، وزاد (مَجْهَلَةٌ) ، وفي المطالب العالية ٣٩/٣ ، برقم ٢٨٢٠ ، باب حبّ الولد ، بلفظ (الولد ثمرة القلب مجبنة مبخلة) من حديث أبي سعيد ، وفيه عطية العوف مكلّم فيه ، وانظر كشف الخفاء ٤٧٠/٢ .

(3) (عليها بالحمد) في ب ، م .

(4) مابين المعكوفين س من ب .

(5) القاضي البيضاوي في أنواره ، ٢١٤/٣ .

أو دونه فهو القسم الأول ، أو مثله ، فهذا القسم الثاني ، ثم المناسب أن يجعل التعريف في الحمد للاستغراق لا للجنس ، كما قال ، لأن موجبه مستغرق للمراتب كلّها . وسورة الإخلاص واردة على هذا التقسيم فليحذ حذوها .

قوله : ((إذا أفصح الغلام)) [1] ، الأساس [2] : [أفصح الصبيّ في منطقه : فُهِمَ ما يقول في أول ما يتكلّم ، يقال : أفصح فلان ثم فَصُحَ ، وأفصح العجمي : تكلّم بالعربية ، وفصُح : انطلق لسانه بها وخَلَصَت لغته من اللكنة] .

انتهت السورة .

---

(1) يشير إلى ما ذكره (ز) : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ((إذا أفصح الغلام)) من بني عبد المطلب علّمه هذه الآية ﴿ وقل الحمد لله ﴾ الآية .

والحديث أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣٣٤/٤ كتاب العقيقة ، باب ما يستحبّ للصبيّ أن يعلّم إذا تكلّم . وابن أبي شيبة في مصنفه ، ٥٥٦/١٠ كتاب فضائل القرآن ، في الصبيان متى يتعلمون القرآن . وابن السني في عمل اليوم والليلة ، ١٦٠ ، باب ما يلقّن الصبيّ إذا أفصح بالكلام .

(2) الأساس للزمخشري ٤٧٤ ، مادة (فصح) ، مع تقديم وتأخير .

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات
الإسلامية - قسم التفسير

فتوح الغيب

في الكشف عن قناع الريب

للإمام الطِّيبي الحسين بن عبد الله، المتوفى سنة ٧٤٣هـ

دراسة وتحقيق من سورة الحجر إلى نهاية سورة طه

رسالة الدكتوراة

المجلد الثاني

إعداد الطالب : محمد الأمين بن الحسين بن أحمد الشنقيطي

بإشراف : الدكتور عبدالله بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي

١٤١٥ - ١٤١٦هـ

سورة الكهف، مكية، مائة وإحدى عشرة آية

بسم ا لله الرحمن الرحيم

قوله : ((لقّن ا لله عباده وفقّهَهُم كيف يثنون عليـه))[1] ضمّن لقّن معنى العلم، ولذلك فسره بالفقه، والمفعول الأول : عباده، والثاني : الجملة الإستفهامية، وليس يتعلّق لذكر المفعول الأول، يريد ما ذكره في الفاتحة ﴿ الحمد ا لله ﴾ مقولٌ على ألسنة العباد، ومعناه : تعليم عباده كيف يتبرّكون باسمه، وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه.

قوله : ((وما أنزل على عبده محمد صلوات ا لله عليه)) عطف تفسيري على قوله : ((نعمة الإسلام)) وفيه أن المذكور من كونه مُنزَلاً على عبده مستقيماً بريئاً من الإعوجاج بشيراً للموحدين الذين يعملون الصالحات، نذيراً لمن أشرك با لله وعمل عملاً غير صالح هو الإسلام، الراغب[2] : [(العبد) يطلق على الإنسان الذي يصح بيعه نحو، (العبد بالعبد) وعلى (عبدٍ) بالإيجاد وإيّاه عنى بقوله : ﴿ إن كلّ من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ﴾[3] وعلى (عَبْدٍ) بالعبادة والخدمة، والناس فيه ضربان (عبدٌ) لله مخلصاً، وهو المقصود بنحو قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبد الكتاب ﴾ وعبد الدنيا وهو المُعْتَكِفُ على خدمتها ومراعاتها، وإيّاه قصد صلى ا لله عليه وسلم : (تعس عبد الدينار) وعلى هذا يصحّ أن يقال : ليس كل إنسان عبداً لله تعالى] وقلت : الحديث من رواية البخاري[4] عن أبي هريرة عن النبي صلى ا لله عليه وسلم : قال :

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً . ماكثين فيه أبداً . وينذر الذين قالوا اتخذ ا لله ولداً . ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ الكهف الآية١-٥.

قال (ز) في تفسير ﴿ الحمد لله ﴾ : ((لقّن ا لله عباده ... الخ)).

(٢) الراغب في مفرداته ٣١٩ مادة (عبد) بتصرف وتقديم وتأخير منه.

(٣) سورة مريم الآية ٩٣.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٥٣/١١ كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال وقوله : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ الحديث رقم ٦٤٣٥ من حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه . وأخرجه ابن ماجه

(تعس[1] عبد الدينار وعبد الدرهـم وعبـد الخميصـة[2] ، إن أعطي رضـي، وإن لم يعط سَخِط، تعس وانتكس[3] ، وإذا شيك[4] فلا انتقش، طوبى[5] لعبـد آخـذ بعنـان فرسـه في سبيل ا لله تعالى أشعث رأسه، مغبرّة قدماه، إن كـان في الحراسـة، كـان في الحراسـة، وإن كان في الساقة، كان في الساقة. إن استأذن لم يؤذن لـه، وإن شـفع لم يشـفّع ... الحديـث جمع بين النوعين من العبدين.

قوله : ((والعوج في المعاني))[6] الراغب[7] : [العوج العطف عن حال الإنتصاب، يقال : عُجْتُ البعير بزمامه، وفلان ما يعوج عن شيء يهمُّ به، أي : لا يرجـع، والعَـوَجُ، يقال : فيما يدرك بالبصر كالخَشَبِ المنتصِب، والعِوَجُ فيما يدرك بالبصيرة والفكر، كمـا يكون في أرض بسيطة وكالدِّينِ والمعاشِ] وخـروج شيْ منـه مـن الحكمـة والإصابـة فيـه الضمير المجرور في (فيه)[8] عائد إلى الشيء، المعنـى : لا تجـد شـيئاً في القـرآن المجيـد، ولا

٢/١٣٨٥–١٣٨٦ كتاب الزهـد، بـاب في المكـثرين برقـم ٤١٣٦. والبغـوي في شـرح السـنة ١٤/٢٦١ برقـم ٤٠٥٩ . والبيهقي في سننه ٩/١٥٩.

(١) (تعس) يقال : تعس يتعس، إذا عثر وانكبّ لوجهه، وقد تفتح العين، وهو دعاء عليه بـالهلاك . النهايـة ١/١٩٠ مادة (تعس).

(٢) (الخميصة) ثوب خَزٍّ أو صوف مُعْلَم، وقيل : لا تسـمى خميصـة إلا أن تكـون سـوداء مُعْلَمَـةً . النهايـة ٢/٨٠–٨١ مادة (خمص).

(٣) (انتكس) أي : انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة . النهاية ٥/١١٥ مادة (نكس).

(٤) (شيك) أي : شاكته شوكة، فلا يقدر على انتقاشها، وهـو إخراجهـا بالمنقـاش. النهايـة ٢/٥١٠ مـادة (شوك)

(٥) (طوبى) اسم للجنة، وقيل : هي شجرة فيها . النهاية ٣/١٤١ مادة (طوب).

(٦) تفسير قوله : ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ قال (ز) : لم يجعل له شيئاً من العوج قط ((والعوج في المعـاني)) كالعوج في الأعيان، المراد نفي الإختلاف والتناقض عن معانية وخروج شيء منه من الحكمة.

(٧) الراغب في مفرداته ٣٥١ مادة (عوج).

يعني : أنه ليس في القرآن أي اعوجاج البتة، لا من جهة الألفاظ، ولا من جهة المعـاني، كمـا قـال تعـالى في سورة الزمر الآية ٢٧–٢٨ : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآناً عربياً غـير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ . وقال وفي سورة الأنعـام الآيـة ١١٥ : ﴿ وتمّـت كلمـة ربـك صدقـاً وعـدلا لا مبـدّل لكلماته وهو السميع العليم ﴾.

(٨) قال (ز) : والمراد نفي الإختلاف والتناقض عـن معانيـه، وخـروج شـيء منـه مـن الحكمـة والإصابـة ((فيه)).

كلمة إن أمعنت النظر فيه خارجاً عن إصابة مَحَزِّ البلاغتين، من حيث اللفظ، ومتجاوزاً عن الاشتمال على الحكمتين، أعني : العلمية والعملية من حيث المعنى.

قوله : ((ولا يجعل حالاً من الكتاب))(١) لئلا يلزم الفصل بين الحال وذي الحال بأجنبي وهو ﴿ ولم يجعل له عوجاً ﴾ وهو معطوف على الصلة، قال أبو البقاء(٢) : [ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في (له) ويجوز أن تكون الواو في : ﴿ ولم يجعل ﴾ للحال، فيكونان حالَين، أي : أنزله منفياً عنه العوج قَيِّماً].

قوله : ((وقيل : ﴿ قيما ﴾ على سائر الكتب)) عطف على قوله : ((لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة)) وعلى هذا لا يرد السؤال. وتلخيص الوجوه : أن ﴿ قيِّماً ﴾ إذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيماً، فكان توكيداً دَفْعاً [للتجوز، من باب نفي الطرد والعكس(٣)](٤) إذ مفهوم الثاني مؤكد لمنطوق الأول، وبالعكس، وإذا قدّر له متعلق فإما أن يقدر على كما في قوله تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾(٥) أي : رقيب حافظ شهيد، كان تتميماً، لأنه حينئذ كامل في نفسه مُكَمّل لغيره، فيكون بالغاً في الإستقامة حدّها، أو يقدر له الباء على نحو قولهم : فلان قيم بهذا الأمر، فيكون تكميلاً، لأنه إذا مستقيم في نفسه، قيم بأمور غيره، وقال القاضي(٦) : [قيّما مستقيما معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط، أو قيماً بمصالح العباد، فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال].

---

(١) قال (ز) : فإن قلت : بم انتصب ﴿ قيّماً ﴾ ؟. قلت : الأحسن أن ينتصب بمضمر، أي فعل مضمر ((ولا يجعل حالاً من الكتاب)).

(٢) أبو البقاء في إملائه ٩٨/٢.

(٣) (الطرد والعكس) الطرد : ما يوجب الحكم لوجود العلة، وهو التلازم في الثبوت . والعكس عدم الحكم لعدم العلة . التعريفات ١٨٣، ١٩٨. وقيل : هو أن يؤتى بكلامين، يقرّر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس، التبيان للطيبي ٣٦٩.

(٤) ما بين القوسين س من أ و م.

(٥) سورة الرعد الآية ٣٣.

(٦) القاضي البيضاوي في انواره ٢١٤/٣.

قوله : ((عند السَّبْر))[1] النهاية[2] : [وفي حديث الغار قال له أبو بكر رضي ا لله عنه : لا تدخله حتّى أسْبُرُه قبلك، أي : أخْتَبِرَه واعتَبِرَه وأنظر فيه، هل فيه أحد أو شيء يؤذي؟].

قوله : ((﴿ بعذاب بئيس ﴾))[3] الأساس[4] : [وقع في البؤس والبأساء وفي أمر بئيس شديد].

قوله : ((وقرئ ﴿ من لدنه ﴾[5])) أبوبكر يقرأ ﴿ من لدْنِهِ ﴾ بإسكان الدال وإشمامها شيئاً من الضم، وبكسر النون والهاء ويصل الهاء بياء، والباقون بضم الدال وإسكان النون وضم الهاء، وابن كثير على أصله يصلها بواو.

قوله : ((﴿ ويُبْشر ﴾[6] بالتخفيف والتثقيل)) بالتخفيف حمزة والكسائي.

قوله : ((قد جعل المنذر به هو الغرض))[7] اعلم أن الفعل المتعدي إلى مفعول واحد إذا لم ينو مفعوله بقي مطلقاً فيكون الغرض منه الإطلاق، كقولك : فلان يعطي ويمنع، فالغرض إيجاد حقيقتهما، والمتعدي إلى المفعولين إذا اقتصر على واحد يجرى ذلك الحكم على المذكور، فيكون هو الغرض لا المعنى

---

(١) قال (ز) : فإن قلت : ما فائدة الجمع بين نفي العِوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنىً عن الآخر ؟ . قلت : فائدته التأكيد، فربّ مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج ((عند السَّبْر)) والتصفح.

(٢) النهاية ٢/٣٣٣ مادة (سبر).

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ لينذر بأساً شديداً ﴾ قال (ز) : والبأس من قوله : ((﴿ بعذاب بئيس ﴾)).

(٤) الأساس للزمخشري ٢٧ مادة (بأس).

(٥) قرأ أبو بكر : ﴿ من لَدْنِهِي ﴾ ومعنى الإشمام : هو تهيئة العضو، أعني الشفتين بلا صوت، فليس هو حركة، قال ابن بري في نظمه (الدرر اللوامع) :

** وصفة الإشمام إطباق الشفاه ** بعد السكون والضرير لا يراه **

** من غير صوت عنده مسموع ** يكون في المضموم والمرفوع **

(٦) قرأ : ﴿ ويُبْشِر ﴾ بالتخفيف حمزة والكسائي وخلف، والباقون ﴿ يُبَشِّر ﴾ بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشدداً . اتحاف فضلاء البشر ٢٨٨.

(٧) قال (ز) : فإن قلت : لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر ؟. قلت : ((قد جعل المنذر به هو الغرض)) المسوق إليه، فوجب الإقتصار عليه . أصل الكلام ﴿ لينذر ﴾ الذين كفروا ﴿ بأساً شديداً ﴾ النسفي ٢/٣.

قوله : ((والدليل عليه، أي : على أن المنذر به، هو الغرض الذي سيق له الكلام تكرير : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ... ﴾ الآية، وجعلها قرينة لقوله : ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ... الآية ﴾، وهو موجب لأن يذكر فيها المنذر والمنذر به كما ذكر في أختها المبشر والمبشر به، وإنما ترك المنذر به في الثالثة للاكتفاء بما سيق له الكلام، ولو لم يكن أصلاً وثابتاً في نفسه وأنه هو الغرض الأولى[1] لم يستغن به عن ذكر مثله في القرينة الثالثة. فإن قلت : لم لم يجعل قوله : ﴿ لينذر بأساً شديداً ﴾ قرينة لقوله : ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ ؟. فيقدر المنذر فيه، وتترك القرينة الثالثة على إطلاقها ليكون الغرض في الإيراد ذكر المنذرين ؟. قلت : ليس جعل سياقة الكلام أصلا في الاعتبار ومقدمته فرعاً أولى من العكس، لأنهم يقدمون الأهم[2] . وما هم بشأنه أعنى على أن : ﴿ بأساً ﴾ في ثاني مفعولي الإنذار، وهو أولى بالحذف فترك الأول إلى ذكر الثاني أوغل[3] في إرادة خلاف مقتضى الظاهر، والذهاب إليه أحرى وأنسب، لأنه من حلية التنزيل، ولأن ذكر المنذر به، لا سيما اختصاصه بذكر البأس أنفع للناس مؤمنهم وكافرهم، فلو قدّر المنذر لاختص الإنذار بالكافرين، أو المراد الشمول.

---

(١) الأول في م بدل الأولى.

(٢) حاصل المسألة أن الله كرر الإنذار في أول هذه السورة، فحذف في الموضع الأول مفعول الإنذار الأول، وحذف في الثاني مفعول الثاني فصار المذكور دليلاً على المحذوف في الموضعين، وتقدير المفعول الأول المحذوف في الموضع الأول : (لينذر الذين كفروا بأساً شديداً من لدنه) وتقدير المفعول الثاني المحذوف في الموضع الثاني : (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا بأساً شديداً من لدنه) والإنذار يتعدى إلى مفعولين كما في قوله في سورة الليل الآية ١٤ : ﴿ فأنذرتكم ناراً تلظى ﴾.

وقد أشار تعالى في هذه الآية إلى أن القرآن تخويف للكافرين، وبشارة للمؤمنين، إذ قال في تخويف الكفرة به : ﴿ لينذر بأساً شديداً من لدنه ﴾ وقال أيضاً فيهم : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ وقال في المؤمنين : ﴿ ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ﴾ انظر أضواء البيان ٤/٧–٨

(٣) وغل الرجل يغل وغولاً أي دخل في الشجر وتوارى فيه . الجوهري ١٨٤٤/٥ مادة (وغل) . يعني : أنه أدخل في إرادة خلاف مقتضى الظاهر.

قوله : ((متعلقاً))[1] هو حال من الإنذار واستغناء مفعول له، أي : تكرير الإنذار ولذلك كرر الإنذار من غير ذكر المنذر به ، لأجل الاستغناء لتقدّم ذكر المنذر به.

قوله : ((وقد اسْتَمْلَتْه))[2] النهاية[3] : [يقال : أمْلَلْت الكتاب وأمليته إذا ألقيته على الكاتب ليكتبه] الجوهري[4] : [استمْليته الكتاب] سألته أن يُمليه عليّ.

قوله : ((اتّخاذ الله الولد في نفسه محال))[5] يعني : إنما ينبغي من الشخص العلم بالشيء إذا كان ذلك الشيء ثابتاً في نفسه [وأنه فاقد للطريق الموصل إليه، واتخاذ الولد في نفسه محال، فكيف][6] قيل : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ ؟. وتلخيص الجواب : جاز ذلك إرادة للمبالغة وإنّ ما تفوّهوا به معدوم بالطريق البرهاني، كأنه قيل : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ لأنه ليس مما يتعلق به العلم، لأن العلم تابع للمعلوم، والمحال لا يستقيم تعلق العلم به لكن هذا السؤال مستدرك، لأنه قال أولاً[7] : إن قولهم هذا لم يصدر عن علم لكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ ((متعلقاً)) بالمنذرين، من غير ذكر المنذر به.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ أي : بالولد، أو باتخاذه، يعني : أن قولهم هذا لم يصدر عن علم، ولكن عن جهل مفرط، وتقليد للآباء ((وقد اسْتَمْلَتْه)) آباؤهم من الشيطان.

(٣) النهاية ٣٦٢/٤ مادة (مَلَلَ).

(٤) الجوهري في صحاحه ١٨٢٠/٥ مادة (ملل).

(٥) قول (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ : فإن قلت : ((اتخاذ الله ولداً في نفسه محال)) فكيف قيل : ﴿ ما لهم به من علم ﴾ ؟. قلت : لأنه ليس مما يعلم لاستحالته.

(٦) ما بين القوسين س من (أ) والصواب ما أثبتناه من ت.

(٧) قاله الزمخشري، أوّلاً عند قوله تعالى : ﴿ وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطاناً ﴾ الأعراف الآية ٣٣ أن ذلك وارد على سبيل التهكم، وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزّل، وكما قال الشاعر يصف فلاة :

** لا تفزع الأرنب أهوالها ** ولا ترى الضب بها ينجحر **

والمعنى أنه لم يكن ثمة ضبٌّ أصلاً في تلك الفلاة.

قوله : ((وقرئ : ﴿ كبرت كَلِمَةٌ ﴾)) وكلمة [قال ابن جني[1] بالرفع، قرأ يحي بن يعمر[2] والحسن وابن محيصين[3] وسمّي قولهم : ﴿ اتخذ الله ولداً ﴾ كلمة، كما سمَّوا القصيدة، وإن كانت مائة بيْتٍ كلمة، وهذا كوضعهم الاسم الواحد على جنسه] و لله فصاحة الحجاج[4] وكثرة قوله على المنبر : يا أيها الرجل وكُلُّكُم ذلك الرَّجُل، الراغب[5] : [وتستعمل الكبيرة فيما يشقّ ويصعب نحو : ﴿ وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾[6]].

وقوله : ((﴿ كبرت كلمة ﴾)) ففيه تنبيه على عظم ذلك من بين الذنوب، وعظم عقوبته، وكذلك : ﴿ كبر مقتاً عند الله ﴾[7] .

قوله : ((والنصب أقوى))[8] لأنه فاعل مزال عن أصله للإبهام والتبيين.

قوله : ((وفيه معنى التعجب)) [قال في قوله تعالى : ﴿ كبر مقتاً عند الله ﴾ قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله : علبت باب كليب بواؤها[9] ، ومعنى التعجب][10] تعظيم الأمر في قلوب السامعين، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج من نظائره.

---

(1) قال ابن جني في المحتسب ٢/٢٤ وتفسير ابن عطية ٩/٢٣١.

(2) يحي بن يعمر العدواني، مات سنة ١٢٩، أبو سليمان، أول من نقط المصاحف، كان من علماء التابعين، عارفاً بالحديث والفقة، ولغات العرب، أدرك بعض الصحابة، أخذ عن أبي الأسود الدؤلي . مصادر ترجمته: وفيات الأعيان ٢/٢٢٦ والأعلام للزركلي ٨/١٧٧ وتهذيب التهذيب ١١/٣٠٥.

(3) ابن محيصن : هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي مولاهم المكي، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، روى له مسلم . انظر ترجمته في معرفة القراء للذهبي ١/٩٨ وتهذيب التهذيب ٧/٤٧٤.

(4) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد، قائد شجاع داهية سفّاك خطيب، ولد ونشأ بالطائف، وانتقل إلى الشام، وهو الذي وطّد ملك بني أمية، ولم يزل يظهر يوماً بعد يوم حتى صار أميراً على مكة والمدينة والطائف والعراق، وفيات الأعيان ٢/٢٩ . والتقريب ٦٥. مات سنة ٩٥ بعد إمرة دامت عشرين سنة.

(5) الراغب في مفرداته ٤٢١ مادة (كبر).

(6) سورة البقرة الآية ٤٥.

(7) سورة الصف الآية ٣.

(8) قال (ز) : ((والنصب أقوى)) وأبلغ، يعني في قوله : ﴿ كبرت كلمةً ﴾ ((وفيه معنى التعجب)) كأنه قيل : ما أكبرها كلمة.

(9) (البوأ) المنزل في كل موضع . انظر الصحاح ١/٣٧ مادة (بوأ)

(10) ما بين المعكوفتين س من ب.

قوله : ((و ﴿ تخرج من أفواههم ﴾ صفة للكلمة)) هذا إذا كانت مرفوعة ظاهر، وإن نصبت تمييزاً يلزم وصف التمييز، وهو جائز[1] ، وقد جاء معرفة في قوله تعالى : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾[2] وقول الشاعر[3] :

** ولا بقراه الشعر الرقابا **

على أن الوصف غير مخصّص، بل هو مؤكد،نحو قوله:﴿ ولا طائر يطير بجناحيه﴾[4] وقال أبو البقاء[5] : [﴿ كلمة ﴾ تمييز والفاعل مضمر، أي : كبرت مقالتهم[6]، وفي : ﴿ تخرج ﴾ وجهان. أحدهما : هو في موضع نصب صفة لكلمة، والثاني في موضع رفع تقديره كلمة تخرج، لأن كبُر بمعنى بئس، فالمحذوف هو المخصوص بالذم].

قوله : ((فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان[7] ، إلى قوله : بل يكظمون عليه تشورا[8] من إظهاره، مقتبس[9] من قوله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود،

---

(1) فيكون التقدير : كبرت الكلمة كلمة . انظر البيان في غريب إعراب القرآن لابن الآنباري ٢/١٠٠. وأبو البقاء ٢/٩٨

(2) سورة البقرة الآية ١١٣.

(3) في م (برارة).

والشاعر لم أقف عليه وعلي باقي بيته.

(4) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(5) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٨.

(6) لأن (فَعُلَ) بالضم تصاغ لإنشاء الذم والمدح، فتكون من باب نعم وبئس.

ومنه قوله تعالى : ﴿ كبرت كلمة ﴾ وإلى هذا أشار في الخلاصة بقوله :

** واجعل كبئس ساء واجعل فَعُلا ** من ذي ثلاثة لنعم مسجلاً **

وقوله : (لنعم) أي اجعله من باب (نعم) فيشمل (بئس)، وإذا تقرر ذلك ففاعل (كبر) ضمير محذوف و(كلمة) نكرة مميزة للضمير المحذوف على حد قوله في الخلاصة :

** ويرفعان مضمراً يفسّره ** مميّز كنعم قوماً معشرة **

والمخصوص بالذم محذوف، والتقدير (كبرت) هي (كلمة) خارجة من أفواههم .انظر أضواء البيان ٤/١٢.

(7) متعلق بتفسير قوله : ﴿ تخرج من أفواههم ﴾ قال (ز) : ((فإن كثيرا مما يوسوسه الشيطان)) في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوّهوا به ويطلقون به ألسنتهم، ((بل يكظمون عليه تشوّراً من إظهاره)).

(8) التشور : التباعد من إظهاره، كأنه عورة . الصحاح للجوهري ٢/٧٠٥ شورت الرجل أخجلته.

(9) الإقتباس : هو تضمين الكلام نثراً كان أو نظماً شيئاً من القرآن أو الحديث . التعريفات ٣٣.

قال سئل رسول ا لله عليه وسلم عن الوسوسة، فقالوا : إن أحدنا ليجد في نفسه لأن يحرق أو يخرّ من السماء أحب إليه من أن يتكلم به، قال : "ذلك محض الإيمان" أخرجه مسلم[1] .

قوله : ((شبّهه وإيّاهم))[2] يعني شبه ا لله رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم وقومه في قوله : ﴿ لعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾ فالإستعارة تمثيلية[3] لكون المشبه حاله وحال قومه والمشبه به حال الرجل مع أحبته[4] .

قوله : ((ويبخع نفسه)) الراغب[5] : [البخع : قتل النفس غمّاً وقوله تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك على آثارهم ﴾ حث ((على ترك التأسف نحو ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾[6] قال الشاعر[7] :

** ألا أيّهذا الباخع الوَجْدَ نفسه **

وبَخَعَ فلان بالطاعة، وبما عليه من الحق إذا أقرّ به وأذْعَنَ مع كراهةٍ شديدةٍ تجْري مجْرى بَخَعَ نفسه في شدّته].

قوله : ((وللمضيء فيمن قرأ : ﴿ إن لم يؤمنوا ﴾ قال أبو البقاء[8] : [﴿ وأن لم يؤمنوا ﴾ بالفتح شاذة، والجمهور على الكسر][9] ومراد المصنف أن المناسب على قراءة

---

(١) أخرجه مسلم ١١٩/١ كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها بدون ذكر قوله : إن أحدنا ليجد ... الخ.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ الآية ٦. قال (ز) : ((شبه إياهم)) حين تولوا ... الخ.

(٣) الإستعارة التمثيلية : هو تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد . انظر جواهر البلاغة ٣٣٣.

(٤) في ت الرجل (فارق) بدل (مع).

(٥) الراغب في مفرداته ٣٨ مادة (بخع).

(٦) سورة فاطر الآية ٨.

(٧) الشاعر ذو الرمة وتمام البيت :

** ألا أيّهذا الباخع الوَجْد نفسه ** لشيء نَحَتْه عن يَدَيْه المَقَادِرُ **

انظر ديوانه ٢٥١

(٨) ذكره بالمعنى ٩٨/٢ يعني أبو البقاء.

(٩) ذكر هذه القراءة الفراء عن أبي بكر عن عاصم . شواذ القراآت لابن خالويه ٧٨.

من قرأ ﴿ ألم يؤمنوا ﴾ بفتح (أن)حمل باخع على المعنى بناء على حكاية الحال الماضية كأنه قيل : لعلك بَخَعْتَ نفسك، لأجل عدم إيمانهم، فجيء باسم الفاعل لتصوير تلك الحالة في ذهن السامع واستحضارها، وعلى من قرأ (إن) بالكسر، المناسبُ حمل (باخع) على الإستقبال لأجل الشرط، كأنه قيل : لعلك تبخع نفسك الآن أو غداً إن لم يصدر منهم إيمان.

قوله : ((رجل أَسف وأسيف))[1] روى عن المصنف الأسف أصل معناه الجَهْد دون العفو، ومنه الأسيف الأجير لجهده في العمل، ألا تراه سمى عسيفاً من العسف.

قوله : ((وحسن العمل الزهد فيها))[2] قال القاضي[3] : [﴿ لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ في تعاطيه، وهو من زهد فيه ولم يغترّ به، وقنع منه بما يزجى به أيامه وصرفه على ما ينبغي فيه، وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم].

قوله : ((ثم زهد في الميل إليها بقوله : ﴿ وإنا لجاعلون ﴾ يعني قال : أوّلاً وإنّا زيّنا وجه الأرض ابتلاء واختباراً ثم بينا أنها في عرض الفناء، ووشك الزوال ليزهدوا فيه كقوله[4] تعالى : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ﴾[5] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أَسَفَاً ﴾ قال (ز) والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال : ((رجل أسف وأسيف)).

ويوضح هذا المعنى قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٨ : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وقوله في سورة النحل الآية ١٣٧ : ﴿ ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ . وقوله في سورة المائدة الآية ٦٨ : ﴿ فلا تأس على القوم الكافرين ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً . وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً . أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً . إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ﴾ الكهف الآية ٧-١١.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ لنبلوهم أيهم أحسن عملا ﴾ : ((وحسن العمل : الزهد فيها وترك الاغترار بها))

(٣) القاضي البيضاوي ٣/٢١٦.

(٤) (لقوله) في م.

(٥) سورة يونس الآية ٣٤.

قوله : ((من هذه الزينة))[1] جاء بـ (هذه) ليشير إلى تحقير شأن الزينة.

قوله : ((بيضاء لا نبات فيها))[2] الراغب[3] : [جُرُزاً، أي : منقطع النبات من أصله، وأرض مَجْرُوزة : أُكل ما فيها، والجروز الذي يأكل ما على الخِوَان[4] ، وفي المثل : (لا ترضى شانِئَةٌ إلا بجُرْزة)[5] أي : بالاستئصال، أو الجُرازُ : قطع بالسيف وسيف وجُرازٌ].

قوله : ((بهجته))[6] الجوهري[7] : [البهجة السرور] الراغب[8] : [البهجة حسن اللون وظهور السرور فيه، قال تعالى : ﴿ حدائق ذات بهجة ﴾[9] وقد بَهُجَ فهو بهيج، ويقال : باهج، وقد ابتهج بكذا أي : سرَّ به سروراً بان أثره على وجهه، وأبْهَجَه كذا].

قوله : ((ما به كان زينة))[10] أي : ما كانت الأرض مزّينة به، أو الذي كان ما على الأرض مزّيناً به.



قوله : ((من إماتة الحيوان)) بيان لقوله : إزالة بهجته (أو ما في)[11] ما به.

قوله : ((ثم قال : ﴿ أم حسبت ﴾ يعني : أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف، يعني : (أم) منقطعة، والهمزة فيه للتعجب، يعني يُتعجّب[12] من قصة أصحاب الكهف ويترك ما سبق، والإنسان عادته أن يتعجب من شيء قلّ إيناسه به، وإن كان

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها ﴾ قال (ز) : ((من هذه الزينة)) صعيداً جرزاً.

(٢) تفسير قوله : ﴿ صعيداً جرزاً ﴾ قال (ز) : يعني : مثل أرض ((بيضاء لا نبات فيها)) بعد أن كانت خضراء.

(٣) الراغب في مفرداته ٩١.

(٤) (الخِوان) بالكسر الذي يؤكل عليه، معرب . الصحاح للجوهري ٥/٢١١٠.

(٥) المثل : (لا تَرضى شانئةٌ إلا بجرْزِه) أي : لا يرضى المبغض في من يبغضه إلا بالإستيصال. ذكره المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/٢٥٤ رقم المثل ٨٧٤.

(٦) يعني أن الأرض صارت جرزاً لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة ((بهجته)) وإماطة حسنه.

(٧) الجوهري في صحاحه ١/٣٠٠ مادة (بهج) قال : والإبتهاج: السرور، وبَهِج بالكسر: فرح به وسُرَّ.

(٨) الراغب في مفرداته ٦٣ مادة (بهج) بتصرف قليل منه.

(٩) سورة النمل الآية ٦٠

(١٠) يقول (ز) : في إزالة ما على وجه الأرض من زينتة وإماطة حسنه، وإبطال ((ما به كان زينةً)) من إماتة الحيوان، وتجفيف النبات.

(١١) (أو منا في) في ت.

(١٢) (تتعجب) في م.

الذي بحضرته أعجب منه وتلخيص ما ذكره الإمام(١) في هذا المعنى هو أنه تعالى لما قال : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ﴾ اي : أخرجنا أنواع زخارف وزينتها كما قال تعالى : ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت ﴾(٢) وأصناف المنافع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة، وهيآت متخالفة من مادة واحدة ابتلاء لبني آدم، قال بعده : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ﴾ أي : أحسبت أن أحوالهم كانت أعجب من آياتنا، فلا تحسبنّ ذلك، فإن آياتنا كلّها أعجب، فإن من كان قادراً على خلق السموات والأرض ثم تزيين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان، ثم يقلبها ﴿ صعيداً جرزاً ﴾ كيف يستبعد من قُدرتُه (ورحمته)(٣) حفظ طائفة في النوم سنين متطاولة. وقال محي السنة(٤) : [﴿ أم حسبت ﴾ أظننت يا محمد ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ﴾ ؟. أي : هم عجب من آياتنا . وقيل معناه : ليسوا بأعجب من آياتنا، فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهنّ بأعجب منهم] وقلت : تقريب هذين المعنيين إنما يظهر بتحقيق معنى الهمزة في أم، لأنها منقطعة متضمنة للهمزة وبل، كما قال الراغب: [أم إذا قوبل (به)](٥) ألف الإستفهام، فمعناه، أي : نحو أزيدٌ عندك أم عمرو؟. أي : أيّهما، وإذا جرّد عن ذلك يقتضي معنى ألف الإستفهام مع بل نحو : ﴿ أم زاغت عنهم الأبصار ﴾(٦) أي : بل زاغت . فإن حملت على الإنكار (أفاد)(٧) النفي ، أي : لا يتعجب منه وإن حملت على التنبيه أفاد(٨) التقرير، أي : هم عجب من آياتنا فاعلمه، ولعل هذا أقرب، لأن الإضراب عن الكلام الأول إنما يحسن إذا كان الكلام الثاني أغرب وأحسن ليحصل الترقي، وأيضاً يقتضي المنكر أن يكون مقرّراً عند السامع معلوماً

(١) الإمام الفخر الرازي ٢١/٨٠.
(٢) سورة يونس الآية ٢٤.
(٣) وحكمته في م.
(٤) محي السنة، البغوي ٥/١٤٤.
(٥) (به) س من أ.
(٦) سورة ص الآية ٦٣.
(٧) (أفادت) في م.
(٨) أفادت في م.

عنده، وما لم يعلمه كيف يقال له : لا تتعجّب منه ؟. وكيف لا وإن هذا ابتداء إعلام من الله بقصّتهم بشهادة سؤال المنكرين، وإمساك النبي صلي الله عليه وسلم وانقطاع الوحي أربعين أو خمسة عشر يوماً، ثم نزول الآيات تصديقاً له، فالوجه أن يجرى الكلام على التسلي والإستفهام على التنبيه. ويقال : إنه صلى الله عليه وسلم لما أخذه من الكآبة والأسف من إيباء القوم وامتناعهم عن الإيمان [ما بلغ أن يبخع نفسه، قيل له : ﴿ لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾ وعلّل ذلك بقوله : ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ﴾ أي : جعلنا ذلك لنختبرهم، وحين لم تتعلق إرادتنا بإيمانهم بها، وتشاغلوا عن آياتنا، وغفلوا عن شكرها وبدّلوا][1] الإيمان بالكفران، فلا تبال بهم، فإنا لجاعلون أبدانهم جُرُزاً لأسْيافكم، كما أنا لجاعلون ما عليها صعيداً جُرُزاً، ألا ترى إلى أولئك الفتيان كيف اهتدوا وفرّوا إلى الله وتركوا زينة الدنيا وزخرفها فآوَوْا إلى الكهف قائلين : ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ﴾ وكما[2] تعلّقت الإرادة بإرشادهم فاهتدوا يتعلق بإرشاد قوم من أمّتك ﴿ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾[3] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

قوله : ** وليس بها إلا الرقيم[4] ... البيت[5] ، الوصيد : فناء البيت، وهو مفعول مجاوراً، يعني : أن أصحاب الكهف كانوا رُقوداً في الغار وكلبهم مجاوراً لوصيدهم.

قوله : ((أيلة))[6] دون فلسطين. النهاية[7] : (أيْلَةَ) بفتح الهمزة وسكون الياء : البلد المعروف فيما بين مصر والشام.

---

(١) ما بين المعكوفتين س من أ ، م.

(٢) (وكما) الواو س من أ ، م.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٤.

(٤) (الرقيم) الكتاب، يقال : هو لوح فيه أسماؤهم وقصصهم. الجوهري في صحاحه ١٩٢٦/٥.

(٥) البيت لأمية بن أبي الصلت . وتمامه :

** وليس بها إلا الرقيم مُجاوراً ** وَصيدهم والقومُ في الكهف هُمَّدُ **

انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ٧٠٤/٢

(٦) يشير (ز) بقوله : ((أيلية)) يعني المكان الذي كان به أصحاب الكهف.

(٧) النهاية في غريب الحديث ٨٥/١.

قوله : ((أو اجعل أمرنا رشداً كلّه كقولك : رأيت منك رشداً))[1] ﴿ من ﴾ على الأول صلة ﴿ هيء ﴾ وعلى هذا بيان وتجريد، جرّد من الأمر رشداً وهو الأمر بعينه (مبالغة)[2] في رشاده، ولهذا قال : رشداً كله.

قوله : ((أَنَمْنَاهُم إنامة ثقيلة))[3] يريد أن قوله : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ كناية عن الإنامة الثقيلة، لأن المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع، وإنما خصت الآذان دون العيون، مع أن النوم يتعلق بها، لأن المراد المبالغة في النوم، فإن النائم في الأكثر يتنبّه بسبب نفوذ الصراخ في منفذ الصماخ[4] .

قوله : ((بنى على امرأته))[5] الأساس[6] : [بنى على أهله دخل عليها وأصله أن المُعْرِسَ كان يبني على أهله خباء].

قوله : ((وقال الزجاج[7] [8] : [إذا قلّ فُهِمَ مقْدَار عدَدِه، فَلَمْ يحتَج أن يُعَدَّ، وإذا كثُر احتاج إلى أن يُعِدَّ] هذا مختصر من كلامه، وكلامه أن (عددا) منصوب على ضربين : أحدهما : على المصدر، المعنى نَعُدُّ عدداً، ويجوز أن يكون [نعتاً للسنين، والمعنى سنين ذات عدد][9] والفائدة في قولك : عدد في الأشياء المعدودات : أنك تريد توكيد كثرة الشيء، لأنه إذا قلّ فَهْمُ مقدار عدده فلم يحتج إلى أن يعدّ، فإذا كثر احتاج إلى أن يُعَدَّ، فالعدد في قولك : أقمت أياماً عَدَداً، تريد به الكثرة، وجائز أن يؤكّد بعدد معنى

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهيء لنا من أمرنا ﴾ قال (ز) : الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ((أو اجعل أمرنا رشداً كله))

(٢) ما بين القوسين س من م.

(٣) تفسير قوله : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ .

(٤) (الصماخ) غار الأذن . الأساس ٣٦١ مادة (صمخ)

(٥) يعني : ضربنا على آذانهم الحجاب، فحذف المفعول الأول الذي هو الحجاب، كما يقال : ((بنى على امرأته)) يريدون : بنى عليها قبة.

(٦) الأساس ٥٢ مادة (بنى). قال : ومن المجاز بنى على أهله ... الخ.

(٧) تفسير قوله : ﴿ سنين عدد ﴾ قال (ز) : ذوات عدد، فيحتمل أن يريد الكثرة، وأن يريد القلّة.

(٨) الزجاج في تفسيره معاني القرآن وإعرابه ٢٧١/٣ مع تقديم وتأخير.

(٩) ما بين المعكوفتين س من أ ، ب.

الجماعة في أنها قد خرجت معنى الواحد] وقلت : ويؤيّده ما روينا عن البخاري[1] ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في حديث بدء الوحي : وكان يخلو بغار حراء[2] فيتحنَّث فيه، وهو التعبد، الليالي ذوات العدد ... الحديث، قيل : فيه نظر، لأن العدد يعبّر به عن القلّة كقوله تعالى : ﴿ دراهم معدودة ﴾[3] أي : قليلة تُعَدُّ عدّاً، ولأن الكثير يمنع من عدّها كثرتها، فإنما يهال هيلاً، أو يكال كيلاً، وأجيب أن الكثرة والقلة بحسب اقتضاء المقام، فإن مقام التعجب من خرق العادة يقتضي الكثرة، على أن المراد بقوله : ﴿ سنين عدداً ﴾[4] ﴿ ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ﴾ ومقام التّهاون بيوسف والزهد في قيمته يقتضي القلّة.

قوله : ((أي الحزبين المختلفين))[5] الراغب[6] : [الحزب جماعة فيها غِلَظٌ، وحزب الشيطان. وقوله تعالى : ﴿ ولما رأ المؤمنون الأحزاب ﴾[7] عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبي صلى الله عليه وسلم . ﴿ فإن حزب الله هم الغالبون ﴾.

قوله : ((﴿ أحصى ﴾ فعل ماض)) الراغب[8] : [الإحصاء التحصيل بالعدد، يقال : أحصيت كذا، وذلك من لفظ الحصا، واستعمال ذلك فيه من حيث إنهم كانوا يعتمدونه بالعدّ كاعتمادنا فيه على الأصابع. قال تعالى : ﴿ وأحصى كل شيء عدداً ﴾[9] أي حصّله وأحاط به . وفي الحديث : (من أحصاها دخل الجنة)[10] . وفيه :

---

(1) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٣ كتاب بدء الوحي، باب ٣ رقم ٣ وأطرافه رقم ٣٣٩٢،٤٩٥٣، ٦٩٨٢،٤٩٥٧،٤٩٥٦،٤٩٥٥ . ومسلم ١٣٩/١-١٤٠ كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(2) حراء : هو الذي يعرف اليوم بجبل النور، لأنه أول بقعة من الأرض نزل فيها القرآن، جبل من جبال مكة يبعد عنها ثلاثة أميال، وهو أرفع جبل بها . معجم البلدان ٢٣٣/٢ ومعجم المعالم الجغرافية ٩٥.

(3) سورة يوسف الآية ٢٠.

(4) سورة الكهف الآية ٢٥.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ الكهف الآية ١٢.

(6) الراغب في مفرداته ١١٥ مادة (حزب).

(7) سورة الأحزاب الآية ٢٢.

(8) الراغب في مفرداته ١٢١ مادة (حصا).

(9) سورة الجن الآية ٢٨.

(10) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٤٥/٥ كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط برقم ٢٧٣٦ وفي ٦٤١٠ ، ٧٣٩٢ ولفظه : (إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة). ومسلم ٢٠٦٢،٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب في أسماء الله تعالى برقم ٢٦٧٧.

(نفس تنجيها خير لك من إمارة لا تحصيها)[1] وفيه : (استقيموا ولن تحصوا)[2] أي : لن تُحصِّلوا ذلك. وَوَجْهُ بعد إحصائه وتحصيله : هو أن الحقّ واحد والباطل كثير، بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالنُّقْطة، بالإضافة إلى سائر أجزاء الدائرة، وكالمرْقى من الهدف فإصابة ذلك شديدة] وقال أبو البقاء[3] : [﴿ أي الحزبين ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿ أحصى ﴾ و ﴿ أمداً ﴾ مفعوله، و ﴿ لما لبثوا ﴾ نعت له، قدم فصار حالا أو مفعولا له، أي : لأجل لبثهم].

قوله : ((فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل))[4] هذا السؤال وجوابه إشارة إلى ما ذهب إليه الزجاج في تفسيره وما أورد عليه أبو علي في الإغفال . قال الزجاج[5]: [الأمد الغاية، وهو منصوب، إما على التميز أو على أنه مفعول ﴿ أحصى ﴾ كأنه قيل : لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء، أو يكون منصوباً بـ ﴿ لبثوا ﴾ و ﴿ لما ﴾ متعلق بـ ﴿ أحصى ﴾ المعنى : أيّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد] وقال أبو علي[6] : [الحمل على التمييز عندي غير مستقيم لأن أحصى لا يجوز أن يكون أفعل التفضيل لأمرين : أحدهما : أن أَفْعَلَ يَفْعَلُ لا يبنى منه أفْعِلْ من كذا . وأما قولهم : ما أولاه للخير وما

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى ١٠/٩٦ ولفظه : (يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم : نفس تنجيها ... الخ)

(٢) رواه ابن ماجه ١/١٠١ كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء رقم ٢٧٧. والموطأ ١/٢٤ كتاب الطهارة، باب جامع الوضوء برقم ٣٦. وأحمد في المسند ٥/٢٧٧،٢٨٢ ولفظه : (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). والدارمي ١/١٧٤ كتاب الطهارة، باب ما جاء في الطهور برقم ٦٥٥.

(٣) أبو البقاء في إملائه ٢/٩٩.

(٤) ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ أحصى ﴾ قال (ز) : أحصى فعل ماض، أي : أيهم أضبط، ثم قال : فإن قلت : ((فما تقول فيمن جعله : من أفعل التفضيل)) قلت ليس بوجيه ... الخ.

(٥) الزجاج في تفسيره ٣/٢٧١.

(٦) أبو علي تقدمت ترجمته ، ولعله ذكر هذا في كتابه الإغفال، وهو موجود في مكتبة شهيد علي بتركيا برقم ٢٩٧ . انظر رسالة د/صالح عبد الرحمن الفائز ١/٨٤ تحقيق كتاب الطيبي هذا.

أعطاه للدرهم، فمن الشاذّ[1] النادر الذي لا يقاس عليه . وثانيهما : أن التميز في نحو : هو أكثر مالاً وأحسن وجهاً، فاعل في المعنى، وإن كان منتصباً في اللفظ، لأن الوجه هو الذي حَسُنَ، والمال هو الذي كَثُرَ، ليس الأمَدُ هو الذي أحصى كذا . ذكر ابن الحاجب[2] في الآمالي : وقال أبو علي : وفيه وجه آخر لوجود حمل ﴿ أحصى ﴾ على افعل التفضيل في الشذوذ، يكون ﴿ أمداً ﴾ منتصباً بفعل يدلّ عليه ﴿ أحصى ﴾، وقال صاحب التقريب : [التفضيل هو السابق إلى الفهم، والتقسيم غير منحصر لجواز انتصابه تمييزاً ﴿ لما ﴾ والمعنى أضبط للأمد الذي لبثوه] وقال صاحب الانتصاف[3] : [لقائل أن ينصبه تمييزاً لقوله : ﴿ وأحصى كل شيء عدداً ﴾ وإن كانت ﴿ أحصى ﴾ هناك فعلاً، ويؤيده أن الواقعة في اختلاف الأحزاب مقدار اللبث ﴿ إذ يقول أمثلهم طريقة ﴾ فأمثلهم طريقة هو أحصاهم أمَداً . وقال صاحب الإنتصاف : لا بُعْد فيما استبعده الزمخشري من إضمار فعل من جنس أفعل كقوله تعالى : ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله ﴾[4] يحتاج إلى إضمار فعل آخر من جنس أفعل، إذ الإضافة مستحيلة هناك، وللزمخشري أن يجيب بأن هناك بناء على ضرورة، ولا ضرورة ههنا، ولذلك قال : أبعدت المتناول وهو قريب.

قوله : ((إن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس)) الانتصاف : [جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمزة قياساً، ونسبته إلى سيبويه[5] وعلّله بأن بناءه منه لا يغيّر نظم الكلمة، إنما هو تعويض همزة بهمزة.

---

(١) ويؤيد هذا قول (ز) حين قال : ((فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل)) قلت : ليس بالوجيه السديد، وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرّد ليس بقياس، ((ونحو أعدى من الجرب ، وأفلس من ابن المذلق)) شاذ، والقياس على الشاذّ في غير القرآن يمتنع، فكيف به، يعني القرآن.

(٢) تقدمت ترجمة ابن الحاجب. وكتابه الأمالي النحوية، لا يزال مخطوطاً، وله عدة نسخ، منها في دار الكتب المصرية برقم ٢٦، واخرى أيضاً برقم ١٠٠٧، ١٠٣٤ ومكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية.

(٣) الإنتصاف مع الزمخشري ٧٠٥/٢ بتصرف منه.

(٤) سورة الأنعام الآية ١١٧.

(٥) قال موفّق الدين ابن يعيش في شرح المفصّل ٩٢/٦ : " اعلم أن سيبويه يجيز بناء أفعل من كل فعل ثلاثي قياساً، نحو ما أكرم زيداً، من (كرم)، وما أضرب محمدا من (ضرب) الخ ".

قوله : ((وأفلس من ابن المذلّق)) قال [الميداني[1] : يروى بالدّال والذّال، وهو رجل من بني عبد شمس وأبوه وأجداده يعرفون بالإفلاس. قال الشاعر في أبيه :

** فإنّك إذ ترْجو تميماً ونَفْعَها ** كَراجي الندى والعُرْفِ عند المُذَلّق **

قوله : ((وإما أن ينصب بلبثوا، فلا يُسدّ عليه المعنى))[2] هو ردّ على الزجاج، أو يكون منصوباً بـ ﴿ لبثوا ﴾ أي : أيّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد، لأن المعنى : أيكم أضبط للأمد الذي لبثوه، فالمحصى الأمد لا اللبث. وقيل[3] : إنما لا يسدُّ عليه المعنى، لأن أمداً معناه انتهاء المدة وغايتها، وليس المعنى على أنهم لبثوا انتهاء المدة، وفيه نظر، لأن الأمد يطلق على المدة كلّها وعلى غايتها. النهاية[4] : [قال الحجاج للحسن : ما أمَدُكَ ؟ . قال : سنتان لخلافة عمر، وللإنسان أمَدان : مولِدُه وموته].

قوله : ((فلا يُسَدُّ عليه)) بفتح السين، وفي نسخ الجوهري[5] : [سَدَّ قوله يَسِدُّ بالكسر، أي : صار سديداً] الأساس[6] : [وسدّ الرجل يَسدّ صار سديداً، وسدّ قولَه وأمْرَه يسدُّ، وأمره سديدٌ، وقلت له سداداً من القول سداداً صواباً].

قوله : ((** وأضرب منّا بالسيوف القوانسا **[7] قبله :

** ولم أرَ مثل الحيّ حياً مصبَّحاً ** ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا **

** أكرَّ وأحْمى للحقيقة منْهُمُ ** وأضربَ منّا بالسيوف القَوانسا **

---

(1) قاله الميداني في مجمع الأمثال ٤٦١/٢ المثل رقم ٢٨٠٠. ولم أقف على قائل البيت.

(2) قال (ز) في إعراب قوله تعالى : ﴿ أمداً ﴾ : إما أن ينتصب بأفعل، فأفعل لا يعمل، ((وإما أن ينتصب بـ ﴿ لبثوا ﴾ فلا يسدُّ عليه المعنى)).

(3) (وفعل) في ت بدل (قيل).

(4) النهاية ٥٦/١ مادة (أمد).

(5) الجوهري في صحاحه ٤٨٥/٢ مادة (سَدد).

(6) الأساس للزمخشري ٢٩٠ مادة (سَدد).

(7) الشاعر العباس بن مرداس السلمي، والمراد بالحي : بنو زبيد من اليمن، وبعده :

** إذا ما شددنا شدةً نصبوا لنا ** صدور المذاكي والرماح المداعسا **

** إذا الخيل حالت عن صريعٍ نكُرّها ** عليهم فما يرجعن الإ عوابسا **

انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ٧٠٦/٢

(المُصَبَّحُ) المغار عليه وقت الصبح، (وحقيقة) الرَّجُل ما لزمه الدّفاع عنه من أهل بيته (والقوانس) جمع قَونَس، وهو أعلى البيضة[1] ، مدح كلا الفريقين عدُوَّهمْ ونفْسَهُم، يقول : لم أر مُغاراً عليهم، كالذين صبّحناهم، ولا مُغيراً مثلنا يوم لقيناهم.

قوله : ((فقد أبعدت المتناول))[2] وهو أنه منصوب بـ ﴿ أحصى ﴾ لأنك أثبت أوّلا أنه منصوب به، ثم يقدّره[3] بعد ارتكاب هذه التكاليف.

قوله : ((وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم)) يعني : ضربنا على آذانهم ليظهر معلوم[4] العلم، وهو أيّهم أحصى أمدَ لُبثهم، فالتعليل ليس لحصول العلم، بل لظهور المعلوم، يعني : كان هذا الأمر العجيب معلوماً لله تعالى في الأزل فتعلّقت إرادته بإظهاره للمكلفين ليتعجّبوا منه ويعتبروا به، فيكون مزيداً لإيمانهم ولطفاً لمؤمني زمانهم، بأن يستُنّوا بسنّتهم، ودليلاً ظاهراً على وجود الصانع لكافريهم[5] ، فيستدلوا به ثم يؤمنوا.

قوله : ((﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾ وقوّيناها بالصبر))[6] الأساس[7]: [ربط الدابة: شدّها بالرباط، والمِرْبَطُ هو الحبل، ومن المجاز : ربط الله على قلبه، صبّره، ورجل رابط

---

(١) يعني البيضة التي توضع على الرس وقت الحرب.

(٢) يشير (ز) إلى قوله : الذي يأبى أن تكون ﴿ أحصى ﴾ فعل ماض، و ﴿ أمدا ﴾ مفعوله.

(٣) (تقدّره) في م.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم ﴾ قال (ز) : الله عزّ وجلّ لم يزل عالماً بذلك ((وإنما أراد ما تعلّق به العلم من ظهور الأمر لهم)) ليزدادوا إيماناً واعتباراً .

(٥) (لكافرهم) في ت ، م.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا ربّ السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلـها لقد قلنا إذا شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ الكهف الآية ١٣–١٥.

(٧) الأساس للزمخشري ٢١٦–٢١٧.

الجأش] فالربط هنا تمثيل، ومعنى الإستعلاء في على المبالغة[1] ، لأن ربط يتعدّى بنفسه، فجعل بمنزلة اللازم، وعدّي بعلى، نحو قوله :

** يَجْرَحْ في عراقيبها نصلي **

قوله : ((ومنه أشط في السوم))[2] الأساس[3] : [أشط في السوم واشتطّ، يقال : (لا وكس ولا شطَطَ)[4] وأشطّ في الحكم واشطّوا في طلبه : أمعنوا] الراغب[5] : [الشطط : الإفراط في البعد يقال : شطّت الدار، وأشطّ، يقال : في المكان وفي الحكم، وفي السوم قال :

** شطّ المزار بجذْوَى وانتهى الأمل **

وعُبّر بالشطَطِ عن الجَوْرِ، قال تعالى : ﴿ لقد قلنا إذاً شططا ﴾ وشطّ النهر حيث يبعد عن الماء من حافته].

قوله : ((وهو دليل على فساد التقليد))[6] قال القاضي[7] : [وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود، وأن التقليد فيه غير جائز].

---

(1) قال محي الدين زادة على تفسير البيضاوي ٣/٢٥١ : (ومن المجاز ربط الله على قلوبهم، لأنه يتعدى بنفسه، إلا أنه نزّل منزلة اللازم، وزيدت كلمة (على) لاستعلائة للمبالغة والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقراً عليها.

والبيت لذي الرمة، وتقدم في سورة الحجر الآية ٣٩.

وذكره الألوسي ١٥/٢١٨ وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٦/٨٠.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد قلنا إذا شططا ﴾ قال (ز) : قولا ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شطّ إذا بعد ((ومنه أشط في السوم)) وفي غيره.

(3) الأساس ٣٢٩ مادة (شطط).

(4) لا وكس ولا شطط . جزء من حديث أخرجه مسلم ٣/١٢٨٧ كتاب الأيمان، باب من اعتق شركاً في عبد. وأبو داود ٤/٢٥٨ -٢٥٩ كتاب العتق، باب فيمن روى أنه لا يُستسعى رقم ٣٩٤٧ وغيرهما.

(5) الراغب في مفرداته ٢٦٠ مادة (شطط). والبيت لابن أحمد، وهو في اللسان مادة (جدا) .وديوانه ص ١٣٣ وعجز البيت : ** فلا خيال ولا عهد ولا طلل **

(6) تفسير قوله : ﴿ لولا يأتون عليهم بسلطان بين ﴾ قال (ز) : وهو تبكيت، لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال ((وهو دليل على فساد التقليد)) وأنه لا بدّ في الدين من الحجة حتى يصحّ ويثبت.

(7) القاضي البيضاوي ٣/٢١٨.

قوله : ((﴿ إلا الله ﴾[1] يجوز أن يكون استثناء متصلاً فـ (ما) في ﴿ ما يعبدون ﴾ موصولة، و﴿ إلا الله ﴾ مستثنى من (ما) أو من العائد المحذوف.

قوله : ((وقيل : هو كلام معترض)) فالتقدير : ﴿ وإذا اعتزلتموهم ﴾ فأووا إلى الكهف، فاعترض بين الشرط والجزاء جملة منفية مؤكدة لمعنى ما اعترضت فيه، وهو إخلاص العبادة لله تعالى.

قوله : ((﴿ مرفقاً ﴾ قرئ بفتح الميم وكسرها))[2] نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الميم وفتح الفاء.

قوله : ((ونُصُوعِ يقينهم))[3] الجوهري[4] : [الناصع : الخالص من كلّ شيء].

قوله : ((وقد قرئ بها وقرئ : ﴿ تـزْوَرُّ ﴾))[5] ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء، والكوفيون بفتح الزاي مخففه، وألف بعدها. والباقون يشدّدون الزاي ويثبتون الألف.

قوله : ((وَتَزْوَارُّ)) قال ابن جني[6] : [قرأها الجحدري[7] ، وقلّما جاءت أفعال إلا في الألوان، نحو اسوادّ واحمارّ واصفارّ، أو العيوب الظاهرة نحو أحْوَلّ واحْوَالّ، واعْوَرّ

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً ﴾ الكهف الآية ١٦.

(2) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿ مَرْفِقاً ﴾ بفتح الميم وكسر الفاء، والباقون بكسر الملم وفتح الفاء ﴿ مِرْفَقاً ﴾ الإتحاف ٢٨٨ والمبسوط في القراآت العشر ٢٣٣.

(3) تفسير قوله : ﴿ مرفقاً ﴾ قال (ز) : وهو ما يرتفق به أي : ينتفع به، وقالوا ذلك : إما ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه، ((ونصوع يقينهم)) وإما أن يخبرهم نبي في عصرهم.

(4) الجوهري في صحاحه ١٢٩٠/٣ مادة (نصع).

(5) قوله تعالى : ﴿ وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾ .

قال (ز) : (تزّاورُ) و (تَزَاورُ) قرئ بهما، وقرئ (تَزْوَرّ) قرأ ابن عامر ويعقوب بإسكان الزاي وتشديد الراء بلا ألف، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بفتح الزاي مخففة، وألف بعدها وتخفيف الراء، والباقون بفتح الزاي مشددة، وألف بعدها وتخفيف الراء . الإتحاف ٢٨٨

(6) ابن جني في كتابه المحتسب ٢٥/٢.

(7) الجحدري : كامل بن طلحة أبو يحي، من رجال الحديث. ولد في البصرة سنة ١٤٥ ومات ٢٣١، وهو ثقة عند بعض المحدثين . ترجمته في تهذيب التهذيب ٤٠٨/٨ وفوات الوفيات ١٣٨/٢.

واعْوَارَّ، وقد جاءت افعالَّ وافْعلَّ، وهي مقصورة من افْعالَّ في غير الألوان، قالوا ارْعوى، وهو افْعلَّ واقْتَوى أي : خَدَمَ وسَاسَ] من القتْو، وهو الخدمة. وقالوا اشعارَّ رأسه أي : تفرق شعره. الراغب[1] : [الزّور : أعلى الصدر، وزُرتُ فلاناً : لقيته بزَوْرِي، أو قصدت زوْرَهُ، نحو وَجَهْتُهُ، والزَّوْرُ، ميل في الزَّوْر، وقوله تعالى : ﴿ تزاور عن كهفهم ﴾ أي : تميل، وقرئ : ﴿ تَزْوَرُّ ﴾ قال أبو الحسن : لا معنى لتزْوَرّ هنا، لأن الازورار الإنقباض، وقيل للكذب زُورٌ لميله عن جهته].

قوله : ((تقرضهم))[2] الراغب [3] : [القرض : ضرب من القطع، ويسمّى قطع المكان وتجاوزه قرضاً، كما سمي قطعاً . قال : ﴿ تقرضهم ذات اليمين ﴾ إلى تجوزهم وسمى ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط ردّ بدله قرضاً، وسُمّي المُقارضَةَ في الشعر مقارضة والقرض للشعر مستعارٌ استعارة النّسج والحوك].

قوله : ((إلى ظعن))[4] وقبله :

** نظرت بجرْعاء السَّبيــة نظـرةً ** ضُحىً وسوْداء العيْن في الماء شامسُ **

** إلى ظعَنٍ يقْرِضنَ أقواز مُشْرِفٍ ** شَمَالاً وعن أيْمانهنَّ الفَوَارسُ **

(الجرعاء)[5] الرَّمْلة لا تنبت (والسّبية) المرأة تسبى، (شامس) من شَمَسَ الفَرسُ شماساً أى منع ظهره، شبَّهَ كِلاَلُ العين بِشماسِ الفرس، (الظّعن) النساء فى الْهَوْدَج (الأقْواز) جمع قَوْزٍ وهو الكثيب[6] ، (مشرف)[7] رمل معروف، وكذا (الفوارس) علم

---

(١) الراغب في مفرداته ٢١٧ مادة (زور) بتصرّف من المؤلف.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ تقرضهم ﴾ قال (ز) : تقطعهم.

(٣) الراغب في مفرداته ٤٠٠ مادة (قرض).

(٤) القائل ذو الرمة . انظر ديوانه ٣١٣ وذكره أبو عبيدة في مجازه ١/٣٩٦.

(٥) (الجرعاء) موضع قرب الكوفة، والمكان الذي فيه سهولة ورمل، معجم البلدان ٢/١٢٧-١٢٨.

(٦))الكثيب) التلّ من الرّمل، القاموس ١/١٢٢ مادة (كثب).

(٧) (مُشرف) رمل بالدهناء، قال ذو الرمة : (الى ظعن) البيت . معجم البلدان ٥/١٣٢.

أرمال معروفة بالدهناء ويمكن أن يكـون جمـع فرسـان، يقـول : نظـرت إلى ظعـنٍ يقطعـن الأرض في السير بحيث كانت الأفْواز عن شماهن (وعن)[1] أيْمانِهنَّ الفَوارِسَ يَحْميهِنَّ.

قوله : ((في متَّسعٍ من الكَهْـفِ))[2] الراغـب[3]: (فـي فجـوة) [أي سـاحة واسـعه، ومنه قَوسٌ فِجاءٌ وفَجْوَاء بَانَ وَتَرَاها عن كَبِدِها، ورجُلٌ أَفْجَى : بَيِّنَ الفَجَا، أي : مُتبـاعِدُ ما بينَ العُرقُوبَين].

قوله : ((فَهُمْ في مَقْنَأَةٍ أبدا))[4] الجوهري[5] : [مقْناة : نقيضَ مَضْحـاةٍ] بهمـز ولا يهمز.

قوله : ((وأن كلّ من سلّك طريقة المهتدين))[6] يريد أن قوله : ﴿ من يهـدي ا لله ... الآية ﴾ كالتذييل للكلام السابق، وجيء به عامّا في كلّ مـن سـلك طريـق المهديـن، ومن تعرض للخذلان ليدخل فيه هـؤلاء دخولاً أولياً فيكون ثناء عليهم بأبلغ وَجْهٍ كـلام حسن، لكنّ فيه اعتزال[7] خفي، خفي على صاحبه الانتصاف، حيـث نسـبه إلى أفعـالهم، فهل لاّ حمله على فعل ا لله تعالى ؟. لننظر إلى بيان إرادة ا لله ومشيئته واختصـاصهم بهـذه الكرامة السَّنِية، وتحريم غيرهم عنها، فيكون تذييلاً، ولقوله : ﴿ زدناهم هدى ﴾ لقوله :

---

(1) (على) في ت.

(2) تفسـير قوله تعالى : ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ قال (ز) : ((وهم في متّسـع من الكهف)).

(3) الراغب في مفرداته ٣٧٣ مادة (فجا).

(4) قال (ز) : باب الكهف شماليّ مُستقبلٌ لبنات نعشٍ ((فهم في مَقْنأةٍ أبداً)).

(5) الجوهري في صحاحه ٦٦/١ مادة (قنأ) قال (ز) قال أبو عمرو : المَقْنأةُ والمقْنوَةُ : المكان الذي لا تطلع عليه الشمس، قال تعالى في سورة طه الآية ١١٩ : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعـرى . وأنـك لا تظمـأ فيهـا ولا تضحى ﴾.

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ من يهد ا لله فهو المهتد ﴾ قال (ز) : ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في ا لله ... وأنه أرشدهم إلى نيل تلك الكرامة ... ((وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين ، فهو الذي أصاب الفلاح ... الخ.

(7) يشير إلى مذهب المعتزلة القائلين : إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثـون لهـا، قـال القـاضي عبد الجبار، من كبار المعتزلة : اتفق كل أهل العدل (ويعني بهم المعتزلة) على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيـامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن ا لله عزّ وجلّ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث لها سواهم، وأن من قال : إن ا لله سبحانه خالقها ومحدثها، فقد عظم خطؤه، وأحـالوا حـدوث فعـل مـن فـاعلين . انظـر المعتزلـة وأصولهـم الخمسة ١٦٩ . وا لله عز وجل يقول : ﴿ وا لله خلقكم وما تعملون ﴾.

﴿ وربطنا على قلوبهم ﴾ فيكون ثناء على ا لله تعالى. وفي تكرير أمر واحد في الشرط والجزاء في الموضعين للدلالة على ما قرّرناه . وأيضاً لو أريد مدحهم لاكتفى بقوله:﴿من يهد ا لله فهو المهتدي ﴾ فحسب، قال القاضي[1] : [المراد به إمّا الثناء عليهم أو التّنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة، ولكن المنتفع بها من وقّفه ا لله للتأمل والإستبصار].

قوله : ((وقيل لكثرة تقلّبهم))[2] روى الإمام[3] : [عن الزجاج لكثرة تقلّبهم فظن أنهم أيقاظ، والدليل عليه قوله : ﴿ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ﴾ وقلت : على هذا يجوز أن تكون الواو في : ﴿ ونقلّبهم ﴾ للحال أيضاً بخلاف الأول.

قوله : ((﴿ وتحسِبُهم ﴾))[4] بكسر السين،نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

قوله : ((وقرئ : ﴿ وتقَلُّبَهُم ﴾)) قال ابن جني[5] : [وهي قراءة الحسن، كأنه قال : وترى أو تشاهد تَقُلَّبَهُمْ.

قوله : ((بأرض فضاء)) البيت[6] . قيل : يصف حاله في البدواى ضيافتي في البَدوِ مشهورة. وقيل : نزلنا بأرض فضاء لا يسدّ بابها عليّ و عرفان الناس إيايّ (بهذه الأرض)[7] غير منكر عندهم ولا يسدّو صيدُها من قولهم[8] : لا ترى الضَّبَّ بها ينحَجِرْ.

---

(١) القاضي البيضاوي في أنواره ٢١٨/٣.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾ الكهف الآية ١٨.

قال (ز) في تفسير ﴿ وتحسبهم أيقاظا ﴾ : قيل : عيونهم مفتوحة، وهم نيام، فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا ((وقيل لكثرة تقلبهم)).

(٣) الإمام الفخر الرازي ١٠١/٢١ ومعاني القرآن للزجاج ٢٧٤/٣.

(٤) قرأ بفتح سين ﴿ وتَحْسَبَهُم ﴾ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر . وبكسر السين نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي . الإتحاف ٢٨٨.

(٥) ابن جني في المحتسب ٢٦/٢ . ﴿ تَقَلُّبَهم ﴾ بفتح التاء والقاف، وضمّ اللام وفتح الباء.

(٦) القائل : هو زهير بن أبي سلمى، وقيل : لعبيد بن وهب كما في سيرة ابن هشام ٣٢٦/١ ، وتمامه :

** بأرضٍ فضاءَ لا يُسَدُّ وَصِيْدُها ** علَيّ وَمَعْرُوفي بها غُير مُنكَرِ **

(٧) ما بين القوسين س من أ.

(٨) أول البيت لشاعر يصف فلاة :

** لا تفزع الأرنب أهوالها ** ولا ترى الضّبّ بها ينجحر **

قوله : ((﴿ ولَمُلِّئتَ ﴾ بتشديد اللام))[1] نافع وابن كثير، وتخفيف الهمزة أبو عمرو، و ﴿ رُعُباً ﴾[2] بالتثقيل ابن عامر والكسائي، والباقون بالتخفيف. الراغب[3] : [الرُّعْبُ : الإنقطاع من امتلاء الخوف، يقال : رَعَبْتُهُ فَرَعَبَ رُعْباً فهو رَعِبٌ، والتِّرعابَةُ الفُروقُ. قال تعالى : ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾[4] ﴿ ولملئت منهم رعباً ﴾ ولتصور الإمتلاء منه قيل : رَعَبْتُ الحوض ملأْتُه، وسيل راعِبٌ يملأ الوادي، وباعتبار القطع قيل : رَعَبْتُ السَّنام : قطعته].

قوله : ((﴿ كذلك بعثناهم ﴾ إذكاراً))[5] الراغب[6] : [أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه، يقال : بعثته فانبعث، والبعث ضربان : إلهي : وهو أنواع، أحدها : أيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن العدم. وثانيها : بعث الموتى، قال تعالى : ﴿ والموتى يبعثهم الله ﴾[7] أي : يخرجهم وينشرهم. وثالها : بعثة الرسل لإرشاد الخلق وتكميل الناقصين. ورابعها : الإلهام. قال تعالى : ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ﴾ . وخامسها : مشابه لبعث الموتى. قال تعالى : ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر بتشديد اللام الثانية للمبالغة، ووافقهم ابن محيصن، والباقون بتخفيفها، يعني ﴿ مُلِئت ﴾ وأبدل همزتها ياء ساكنة أبو عمرو ﴿ مُلِيْت ﴾ بخلف عنه. والأصبهاني وأبو جعفر كوقف حمزة . الإتحاف ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) قرأ ﴿ رُعُباً ﴾ بضم العين ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب. والباقون بتسكين العين . الإتحاف ٢٨٩.وقول الطيبي : (بالتثقيل، والتخفيف) سبق قلم.

(٣) الراغب في مفرداته ١٩٧ مادة (رعب).

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢٦.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم ؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبداً ﴾ الكهف الآية ٢٠.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ : وكما أنمناهم تلك النومة (كذلك بعثناهم) ((إذكارا بقدرته على الإماتة والبعث

(٦) الراغب في مفرداته ٥٢ مادة (بعث) بتصرّف من المؤلف.

(٧) سورة الأنعام الآية ٣٦

(٨) سورة المائدة اللآية ٣١

أحصى ﴾. والضرب الثاني : بَشَرِيّ، نحو قولهم : بعثت زيداً في حاجة فلان، وبعثت الجيش والبعوث، وبعثت البعير : أثرته وسيرته].

قوله : ((كيف وصلوا قولهم : ﴿ فابعثوا ﴾ بتذاكر حديث المدة))[1] يعني : ما المناسبة بين قوله : ﴿ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ﴾ وبين قوله : ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم ﴾ وأجاب أنه من باب الأسلوب الحكيم[2] ، كقوله[3] :

** أتَت تشتكي عندي مزاولة القرى ** وقد رأت الضيفان ينحون منـــزل **
** فقلت كأني ما سمعت كلامهـــا ** هم الضيف جِدّي في قراهم وعجّل **

قال القاضي[4] : [وقيل : إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم في يومهم. قالوا ذلك، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم، قالوا هذا، ثم لما علموا أن الأمر مُلتَبِس لا طريق لهم إلى علمه أخذوا فيما يَهُمُّهُم وقالوا : ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم ﴾.].

قوله : ((يوم الكُلاب)) النهاية[5] : [الكُلاب، بالضم والتخفيف : اسم ماء[6] ، وكان به يوم معروف من أيام العرب]، قال ابن عبد البر في الإستيعاب[7] : [هو عرفجة

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ قال (ز) : إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم بمدة لبثهم . قال : فإن قلت : ((كيف وصلوا قولهم : ﴿ فابعثوا ﴾ بتذاكر حديث المدة)).

قلت : كأنهم قالوا : ربكم أعلم بذلك، لا طريق لكم إلى علمه، فخذوا في شيء آخر.

(٢) الأسلوب الحكيم : هو تلقي المخاطب بغير ما يترقّبه، إما بترك سؤاله، والإجابة عن سؤال لم يسأله. وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى . انظر جواهر البلاغة ٣٨٨.

(٣) ذكر البيتان في روح المعاني للألوسي ١٥/٢٣٠ ومحي الدين شيخ زادة ٣/٢٥٣.

(٤) القاضي البيضاوي ٣/٢١٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٤/١٩٦ مادة (كلب).

(٦) موضع بين البصرة والكوفة، وقيل : بين جَبَلَة وشَمام، وفيه كان الكُلابُ الأول والثاني من أيامهم المشهورة . معجم البلدان ٤/٤٧٢.

(٧) الإستيعاب مع الإصابة ٣/١٢٤.

بن أسعد بن صفوان التميمي أصيب أنفه يوم الكلاب في الجاهلية، فاتخذ أنفاً من وَرِق، فأنتن، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتّخذ أنفاً من ذهب].

قوله : ((وقرئ : ﴿ بِوَرِقِكُم ﴾[1] أبو بكر وأبو عمرو وحمزة بإسكان الراء، والباقون بكسرها.

قوله : ((أوثِقْ عليك نفقتك))[2] من الأسلوب الحكيم[3] ، أي : لا شك في جوازه، وإنما الذي يهمك هو هذا.

قوله : ((﴿ أزكى طعاماً ﴾ أحلّ وأطيب)) الراغب[4] : [أصل الزكاة النُّمو الحاصل من بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية، يقال : زكا الزرع يزكو إذا حصل منه نموٌّ وبَرَكَةٌ . وقوله : ﴿ فلينظر أيها أزكى طعاماً ﴾ إشارة إلى حلال لا يُسْتَوْخَمُ عقباه . ومنه الزكاة يخرجها الإنسان إلى الفقراء، لما فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس أي : تنميتها بالخيرات والبركات أولهما جميعاً، فإن الخيرين موجودان فيها].

قوله : ((والنِّيقةُ))[5] الأساس[6] : [تَنَوَّق في الأمر، وفلان له نِيقَة، ومن المجاز تأنق في عمله، وفي كلامه، إذا فعل فعل المتأنِّق].

والحديث أخرجه أبوداود برقم ٤٢٣٢ كتاب الخاتم، باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب. والترمذي رقم ١٧٧٠ كتاب اللباس، باب ما جاء في شدّ الأسنان بالذهب، وحسّنه . والنسائي ١٦٣/٨، ١٦٤ كتاب الزينة. باب من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب . وأحمد في المسند ٢٣/٥ . وشرح السنة للبغوي ١١٥/١٢.

[1] قرأ ﴿ بِوَرِقكم ﴾ بكسر الراء نافع وابن كثير وابن عامر وحفص والكسائي وأبو جعفر ورويس، ووافقهم ابن محيصن والحسن، وقرأ ﴿ بِوَرْقِكمْ ﴾ بإسكان الراء أبو بكر وأبو عمرو وحمزة . انظر الإتحاف ٢٨٩.

[2] يشير (ز) إلى قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن المُحرم، هل يشدّ عليه هميانه فقالت : ((أوثق عليك نفقتك)) أخرجه بن أبي شيبة كذا ذكر ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٧١٠/٢ وأيضاً تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٣٠٢/٢.

[3] الأسلوب الحكيم تقدم تعريفه آنفاً.

[4] الراغب في مفرداته ٢١٣ مادة (زكا).

[5] تفسير قوله تعالى : ﴿ وليتلطف ﴾ قال (ز) : وليتكلف اللطف ((والنيقة)) فيما يباشره من أمر المبايعة، حتى لا يغبن، أو من أمر التخفي، حتى لا يعرف.

[6] الأساس ٦٥٨ مادة (نوق) و٢٣ مادة (أنق).

قوله : ((﴿ ولا يُشْعَرَنَّ بكم أحداً ﴾ من باب قولهم[1] : لا أرَيَنَّكَ ههنا، ولهذا قال : ((ولا يفْعَلَنّ ما يؤدي من غير قصدٍ منه إلى الشُعور)).

قوله : ((وكما أنَمْناهم وبعثناهم))[2] اطلعنا عليهم يعني المشار إليه بقوله : ﴿ وكذلك ﴾ ما سبق من الإنامة والبعث، وهو المشبّه به، والمشبّه إطلاع الناس عليهما، ووجه التشبيه ما اشتملا عليه من الحكمة، وفائدتها حصول اليقين لمن يشكّ في البعث وفي ﴿ أن وعد ا لله حق ﴾.

قوله : ((وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم))[3] هو حال من فاعل غلبوا، لأن القوم لما تنازعوا في أمر دينهم، وعرفوا حقيقة الحال، فمن غالب صاحبه في النزاع، وأن البعث لا بدّ منه، هو أولى من الآخر في اتّخاذ المسجد، وإيثار مكان أصحاب الكهف لتعبده. الأساس[4] : [تغالبوا على البلد وغلبتُه على الشيء أخذته منه، وأيَغلِبُ أحدكم أن يُصاحِبَ الناس معروفاً ؟. بمعنى : أيعْجزُ ؟].

قوله : ((وقيل : ﴿ إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ اعلم أن الأمر في قوله تعالى : ﴿ إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ وهو الأمر من واحد، الأمور والشئون، ثم لا يخلو الضمير المضاف إليه، إما أن يكون للقوم فيقّدر مضاف آخر ليكون الحديث في تدبير أمر دينهم، وهو المراد من قوله : ﴿ يتنازعون بينهم ﴾ أمر دينهم، فالفاء في قوله : ﴿ فقالوا ﴾

---

(١) ذكر هذه العبارة في حاشية الشهاب على البيضاوي المسمّاة (عناية القاضي وكفاية الراضي ٤/٨٥، وفي المدخل لعلم التفسير لأحمد بن محمد الحدادي السمرقندي ٤٦٣ قال : [يقول الرجل لصاحبه : لا أراك هنا/ أي : لا تكن ها هنا كي لا أراك].

(٢) تفسير قولة تعالى : ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد ا لله حق . وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ الكهف الآية ٢١.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ﴾ : ((وكما أنمناهم وبعثناهم)) لما في ذلك من الحكمة ((أطلعنا عليهم)) ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم ﴿ أن وعد ا لله حق ﴾.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم ﴾ قال (ز) : من المسلمين ومَلِكَهُم ((وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم)).

(٤) الأساس ٤٥٣ مادة (غلب).

فصيحة(١)، فإن القوم لمّا فرغوا من أمر حقيقة البعث، وتيقّنوا أن لا بـدّ منـه، فآمنوا، ثـم اهتمُّوا بشأن أولئك الأصحاب، وتشاوروا فيه فقـالوا : ﴿ ابنـوا عليهـم بُنْيانـاً ﴾، كمـا سبق، أو الضمير لأصحاب الكهف، فالكلام حينئذ من ابتدائه في شأنهم، وهـو : إمـا في كون ذلك آية من آيات ا لله، فمعنـى الفـاء مـا سـبق أو كيـف يدبـروا أمـر الأصحـاب، وكيف تَجْهيزهم، فالفاء حينئذ تعقيـب(٢) ، أو تسـبيب(٣) عـن قولـه : ﴿ إذ يتنـازعون ﴾ لأن قوله ﴿ فقالوا ﴾ نتيجة لما دبّروا في شأنهم واتّفـاق علـى ذلـك بَعْـدَ الاختـلاف فيـه، فناموا أمرٌ بالنوم.

قوله : ((أن تُدخل الآخرين في حكم السين))(٤) قـال صـاحب الفرائـد : [الـواو لمـا كـان لمطلق الجمع، كان ﴿ سيقولون ﴾ و ﴿ يقولون ﴾ في حكـم ستحصل الأقـوال منهـم، ألا تـرى أنك تقول : جاءني الزيدان، وجاءني زيـد وعمـر ؟. ولا فـرق في المعنـى، إلا أن زيـدا وعمـراً لا يمكن جمعهما بلفظ واحد، كما أمكن زيد وزيد، فجيء بواو العطف لذلك، فعلى هـذا لو قيـل : ﴿ سيقولون ﴾ بعد ﴿ سيقولون ﴾ كان تكراراً لما يدّل على الاستقبال.

---

(١) الفاء الفصيحة : هي العاطفة على الجواب المحذوف، كقوله : ﴿ فمن كان منكم مريضـاً أو علـى سـفر فعدّة من أيام أخر ﴾ البقرة الآية ١٨٤ . يعني فمن كان منكم مريضاً فأفطر، فعليه عدة من أيام أخر، انظر إعراب القرآن لمحي الدين الدرويش ٩٥/٦ وشرح الدماميني على ابن هشام ٨/١.

(٢) فاء التعقيب : هي التي تشترك في الإعراب والحكم، فإذا قلت : قام زيـد فعمـرو، دلـت علـى أن قيـام عمرو بعد زيد بلا مهلة، فتشارك (ثم) في إفادة الترتيب، وتفارقها في أنها تفيد الاتصال، وثم للتراخي . انظر الجني الداني في حروف المباني للحسن بن قاسم ٦٠.

(٣) فاء التسبيب : هي العاطفة لجملة على جملة نحو قوله : ﴿ فوكزه موسى فقضى عليـه ﴾ أو صفـة علـى صفة نحو قوله تعالى : ﴿ لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون . فشـاربون عليـه مـن الحميـم ﴾ المرجـع السـابق، وهي أيضاً التي تكون في جواب الشرط، أو ربط لـه . انظـر معـاني الحـروف للزجـاجي ٣٩ أبـو القاسـم عبدالرحمن والمغني لابن هشام ١٦١/١-١٦٨.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ سيقولون ثلاثـة رابعهـم كلبهـم ويقولـون خمسـة سادسـهم كلبهـم رجمـاً بـالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مـراء ظـاهراً ولا تسـتفت فيهم منهم أحداً ﴾.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ﴾ : فإن قلت : لم جاء بسـين الإسـتقبال في الأول، يعني ﴿ سيقولون ﴾، دون الآخَرين، يعني ﴿ ويقولـون خمسـة، ويقولـون سـبعة ﴾ الجـواب ذكـره صـاحب الفرائد.

قولـه : ((وإن تريـد بيَفْعَـلُ معنـى الإسـتقبال)) أي : يفعـل مشـترك بـين الحـاضر والإستقبال، والسين قرينـة مُخصِّصـة لـه بـه تخَصّـص الأول بـه، والآخـران مُخَصّصُهمـا صَلاحِيتُهما له بواسطة قرينة المقام.

قوله : ((كقوله : ﴿ ويقذفون بالغيب ﴾))[1] أي هو استعارة مثله . قال صـاحب الفرائد : [معنى ﴿ رجما بالغيب ﴾ رمي بالغائب عن علمـه عـن الذِهْـنِ، وهـو مـن قبيـل تشبيه المَعْقُول بالمحسوس، شبّه إخراج الكـلام عـن الذّهـن بإخراج السَّـهْم عـن القـوس، ويدلّ عليه قوله : رجم بالظن، مكان قولهم : ظَنَّ، والمراد بالظن هـهنا المظنـون، كـأنهم قالوا : رَمى عن ذهنه بما كان غائباً عن علمه حـاضراً في ذهنـه، تكلّـم بمـا ليـس بمعلـوم، وقلت : بل شبّه إيراد الكلام الذي لم يخرج عن طمأنينة قلب، بل عـن قلـق واضطـراب، لأن معرفة علم الغيب مختصة با لله يقذف الحجر الذي يقذفه القـاذف، فـإن الحجـر قلّمـا يصيب الغرض إصابة السَّهم المستويّ، ولهذا قيل : ﴿ رجماً ﴾، ولم[2] يقل : رمياً بـالغيب، ثم استعير لجانب المشبّه لفظ الرجم، فهو استعارة مصرحـة بحقيقتـه، لأن المشـبّه المـتروك عقلي، وإنما يصـح تشـبيه قولـه : ﴿ رجمـاً بـالغيب ﴾ بقولـه : ﴿ يقذفـون بـالغيب ﴾ إذا اجتمعا في معنى القذف لا الرمـي، الراغـب[3] : [الرّجـام الحجـارة والرّجـم الرّمـيُ بهـا، ويستعار الرّجم للرمي بالظن والتوهم نحـو : ﴿ رجمـاً بـالغيب ﴾ وللشـتم والطـرد نحـو : ﴿ لأرجمنك واهجرني مليّاً ﴾[4] أي : لأقولـن فيـك مـا تكـره . والشـيطان رجيـم، أي : مطـرود عـن الخـيرات، وعــن منــازل المـلإ الأعلـى، وقـال في الشهــب : ﴿رجومـاً للشياطين﴾[5] والمراجمة : المسابّة الشديدة استعارة كالقذفة .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ رجماً بالغيب ﴾ قال (ز) : رمْياً بالخبر الخفي وإتيانـه بـه ((كقولـه : ﴿ ويقذفـون بالغيب ﴾)) أي يأتون به.

(٢) (فلم) في ت ، والصواب : ولم.

(٣) الراغب في مفرداته ١٩٠ مادة (رجم) بتصرف مبه .

(٤) سورة مريم الآية ٤٦

(٥) سورة الملك الآية ٥.

قوله : ((أو وضع الرجم موضع الظنّ)) أي : صيّر حقيقة عرفية بعد الإستعارة فاستعمل حقيقة فيه، كالألفاظ المترادفة[1] .

قوله[2]: ((** وما هو عنها بالحديث المرجّم **

صدره من رواية الزجاج[3] :

** وما الحرب إلا ما عَلِمْتُم وذقتموا **

يقول :

ليست الحرب إلا ما عهدتموها، وما هذا الذي أقول بحديثٍ مُرَجَّم محكوم عليه بالظن.

قوله : ((هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة))[4] إلى آخره. قال صاحب الانتصاف[5] : [هذا هو الصواب لا كمن يزعم أنها واو الثمانية، ويضيف إليها : ﴿ وفتحت أبوابها ﴾[6] في الجنّة، إذ أبوابها ثمانية وَعَدُّوا منه ﴿ والناهون عن المنكر ﴾[7] في التوبة، وهو الثامن من قوله : ﴿ التائبون ﴾ فهب أن في اللغة واواً يصْحبُ الثمانية، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة، وفي التوبة ذكرت لربط الأمر بالمعروف بالنهي عن المنكر ﴿ وأمُرْ بالمعروف وانْه عن المنكر ﴾[8] ﴿ ويأمرون بالمعروف

(١) المرادفه في ت.

(٢) قوله : يعني زهير بن أبي سلمى، ينهى عَبْساً وذبيان عن القتال في الحرب المسماة حرب داحس والغبراء. انظر ديوان زهير ص٨١ وشرح المعلقات ١١٢/١.

(٣) الزجاج في معاني القرآن ٢٧٧/٣.

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ قال (ز) : فإن قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأوّلين ؟. قلت : ((هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة)) كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة (لأن الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال) وفائدتها التأكيد.

(٥) أحمد بن المنير ٧١٣/٢.

(٦) سورة الزمر الآية ٧٣.

(٧) سورة التوبة الآية ١١٢.

(٨) سورة لقمان الآية ١٦.

وينهون عن المنكر ﴾[1] ، ومنهم من عدّ ﴿ ثيبات وأبكاراً ﴾[2] وهو غلط فاحش، فإنها واو التقسيم[3] التي لو حذفتها لم يصحّ الكلام. وقال أبو البقاء[4] : [الجملة إذا وقعت صفة للنكرة جاز أن تدخلها الواو، وهذا هو الصحيح في إدخال الواو في ثامنهم]، وقال صحاب الفرائد : [دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتاً وحكماً وتأكيداً للصوق يقتضي الاثنين، مع أنّا نقول : لا نسلّم بأن الواو تفيد التأكيد وشدة اللصوق، غاية ما في الباب أنها تفيد الجمع، والجمعع ينبئ عن الاثنينية، واجتماع الصفة والموصوف ينبئ عن الاتحاد بالنظر إلى الذات، وقد ذكر صاحب المفتاح[5] : [أن قول من قال : إن الواو في قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾[6] داخلة بين الصفة والموصوف، سهو منه، وإنما هي واو الحال، وذو الحال ﴿ قرية ﴾ وهي موصوفة، أي : ما أهلكنا قرية من القرى . وأما قوله : ((جاءني رجل ومعه آخر)) فقلت : فيه وجهان : أحدهما : أن يكون "جاءني رجل" جملة "ومعه آخر" جملة أخرى معطوفة عليها . وثانيهما : أن يكون آخر معطوفاً على رجل، أي : جاءني رجل ومعه رجل آخر . فإن قيل : فالوجه أن يقال : جاءني رجلان . في مثل هذا . قلت : فائدته أن يفهم أنهما جاءا مصاحبين . وأما الواو في مثل ((مررت بزيد وفي يده سيف)) فإنّما جاز دخولها بين ذي الحال والحال، لكون الحال في حكم جملة، بخلاف الصفة بالنسبة إلى الموصوف، فإن جاء زيد راكباً في حكم (جاءني زيد وهو راكب) بخلاف : جاءني زيد الراكب، فافهمه راشداً . سلمنا أنها داخلة بين الصفة

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(2) سورة التحريم الآية ٥.

(3) (واو التقسيم)، قال ابن هشام في المغني ٣٦٤/٢ : هي الواو التي تقع بين صفتين، هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة، فلا يصح إسقاطها، نحو قوله : ﴿ثيبات وأبكاراً﴾ بعد قوله : ﴿ مسلمات مؤمنات ﴾ إذ لا تجتمع الثيوبة والبكارة . فلا بد من الواو بينهما.

(4) أبو البقاء في إملائه ١٠٠/٢

(5) صاحب المفتاح محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، شارح التلخيص.

(6) سورة الحجر الآية٤.

والموصوف لتأكيد اللصوق . فأما الدلالة على اتّصافه بها أمر ثابت مستقرّ فغير مسلّم، فأين الدليل على ذلك ؟.

وقوله : ((وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس)) في غاية البعد . قوله : ((والدليل عليه أن الله سبحانه وتعالى ... إلى آخره))[1] أن المراد به أنه دالّ على إيذان الواو على ما ذكر، فامْتِناعُ ذلك ظاهر . فإن كان المارد به أنه دالّ على صدق من قال : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ فحاصله ظنّ ضعيف بحسب أن ﴿ رجماً بالغيب ﴾ لم يؤخر إلى أن قيل : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾، وأما قوله : ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ فهو غير دالّ على ذلك البتّة . ((وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما))[2] فهو غير دالّ على أنه أراد ما ذكر، بل الظاهر أنه علم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ((حين وقعت الواو انقطعت العدّة)) الظاهر أن مراده منه أن الذي هو صدق وهو الذي وقعت الواو فيه وانقطعت العدّة به[3] ، فظهر من هذا أن الواو في ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ واو العطف، وهي جملة معطوفة على الجملة المتقدمة . قلت وبالله التوفيق : واعلم أنا قبل الشروع في الجواب لا بد أن نبين المقصود تحريراً للبحث، فالواو هاهنا ليست على الحقيقة، ولا تعتبر في المجاز والنقل في الآحاد كما في الحقيقة، بل المعتبر فيه اعتبار نوع العلاقة، وأن المجاز في البلاغة[4] أولى بالذكر من الحقيقة، وأبلغ منها وأحسن لتزيين الكلام والمبالغة فيه، ألا ترى إلى قول المصنف بُعيد هذا : لأن ما كان فيه آفة من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلا الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحّل ليردّه إلى ما هو عنده أصحّ وأفصح، وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز ... إلى آخره . وإلى كلام صاحب المثل السائر اعلم أن أقسام النحو أخذت عن واضعها

---

(١) أن الله سبحانه أتبع القولين الأوّلين قوله : ﴿ رجماً بالغيب ﴾ وأتبع القول الثالث قولَه : ﴿ ما يعلمه إلا قليل ﴾.

(٢) قول ابن عباس : حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أي : لم يبق بعدها عدّة عادّ يلتفت إليها.

(٣) وانقطعت به العدة. في م.

(٤) في عرف البلاغة. في ت ، م .

بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجاز لأن العقل لا يأبى أن لو جعل الفاعل منصوباً والمفعول مرفوعاً، وأما قسم البيان فليس كذلك، لأنه استنبط بالنظر وقضية العقل من غير واضع، ولم يفتقر فيه إلى التوقيف، بل أخذت ألفاظ ومعاني على هيئة مخصوصة وحكم بها العقل بمزية من الحسن لا يشاركها فيها غيرها، فإن كل عارف بأسرار كلام أيّ لغة كانت، يعلم أن إخراج المعاني في ألفاظ جامعة رائقة حسنة يلذّها السمع ولا ينبوا عنها الطبع خير من عكسه، ولو أرارد واضع اللغة خلاف ذلك لما تقلّدناه . وقال أيضاً : اعلم أن مدار علم البيان على حكم الذوق[1] ، هو أنفع من ذوق التعليم . مضى كلامه، ثم إن المجاز كما يقع في الأسماء والأفعال، قد يقع في الحروف، ألا ترى إلى الإستعارة التبعية، فإن نوعاً منها الكلام في الحروف، ونقل شارح اللباب عن سيبويه أن الواو في قولهم : بعت الشاة شاة ودرهماً، بمعنى الباء، أي : بدرهم، وتحقيقه أن الواو للجمع والإشتراك، والباء للإلصاق، والجمع والإلصاق من واد واحد، فسلك به طريق الاستعارة . وذكر المصنف[2] في أول سورة الأعراف : [أن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل] ولا شك أن واو العطف تقتضي المغايرة وتتضمن معنى الجمعية، فإذا أريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب إطلاق اسم الكلّ على الجزء، ونحوه في الاستعمال الاستفهام في قوله:﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾[3] فإن الهمزة هنا مسلوب الأدلّة عن الاستفهامية لمجرّد الاستواء والنداء في قولهم : إن نفعل كذا أيتها العصابه، لمجرد الاختصاص . وذكر المصنف[4] في مريم عند قوله تعالى : ﴿ لسوف أخرج حياً ﴾[5] أن اللام هنا لام ابتداء خلصت[6] للتوكيد ووافقه ابن الحاجب في سورة والضحى فيه، وفي الأمثلة كثرة . إذا علم هذا فقوله : ((فائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف)) معناه أن للصفة نوع اتصال بالموصوف، فإذا أريد توكيد اللصوق وسّط بينهما بهذه الواو ليؤذن أن هذه الصفة غير منفكّة عن الموصوف، لازمة له (غير

---

(١) الذوق (لسليم الذي هو) في ت.

(٢) ذكره عند قوله تعالى : ﴿ فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون ﴾ الآية ٤ . ٨٧/٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٦.

(٤) الآية ٦٦ جـ٣/٣١.

(٥) الآية ٦٦.

(٦) أخلصت في ت.

مفارقة)[1] وإليه الإشارة بقوله : إن اتّصافها أمر ثابت مستقر، وليعلم أيضاً أن الحال في الحقيقة صفة لا فرق إلا في الاعتبار، ألا ترى أن الصفة الواقعة من المنكرة إذا تقدمت عليها وهي بعينها تصير حالاً، ولو لم يكونا متحدتين معنى لم يصح ذلك. ثم قولك : ((جاءني رجل ومعه آخر)) وقولك : ((مررت بزيد ومعه آخر)) لما كان سواء في الصورة، اللهم إلا في اعتبار المعرفة والنكرة كان حكمهما سواء في الواو . وذكر نحوه أبو البقاء[2] في إعراب قوله : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾[3] هذا مراد المصنف من إيراد المثالين، لا ما فَهِمَ بعضهم . وأما قول صاحب الفرائد : [لا تحاد الصفة والموصوف ذاتاً وحكماً فمبني على أن الواو عاطفة وهي تقتضي المغايرة، كما قال صاحب المفتاح، وقدمنا وجه مجازه لمجرد الربط . وأما قوله : ((جاءني رجل ومعه آخر)) وهي جملتان، فسيجيء جوابه . وأما قوله : فـ ((ـإن جاء زيد راكباً، في حكم جاءني زيد وهو راكب)) فمن المعكوس، فإن الأصل في الحال الإفراد . قال ابن الحاجب في قوله : كلمته فُوهُ إلى في أنها بمعنى مشافِهاً . وقال : إن الجمل تستعمل استعمال المفردات ولا تعكس، وأما قوله :سلمنا أنها داخلة بين الصفة والموصوف للتأكيد . وأما الدلالة على أن اتّصافه به أمر ثابت فغير مسلم، فمما لا يقوله من به أدنى مسكة، كيف سلّم التأكيد ولم يسلّم فائدته ؟. وأما الأسئلة الباقية على كلام المصنف فمراده أنها[4] أمارات تدلّ على ما ثبت وتقرّر . وقال ابن الحاجب في الأمالي[5] : [لا يجوز أن يكون ﴿ رابعهم كلبهم ﴾ جملة ابتدائية صفة لـ ﴿ ثلاثة ﴾ وثلاثة خبر مبتدإ محذوف، ولا يجوز أن يكون ﴿ كلبهم ﴾ مرفوعاً بـ ﴿ رابعهم ﴾ لأن المراد به المضي، ولا أن تكون الجملة حالاً، إذ ليس معنا ما يصحّ أن يكون عاملاً فيها، لأن التقدير : ﴿ سيقولون ﴾ هم ثلاثة، وليس فيها أيضاً واو، ويجوز أن يكون ﴿ رابعهم كلبهم ﴾

(١) ما بين القوسين س من ت.

(٢) أبو البقاء في إملائه ١/٩٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٦.

(٤) (أنه) في ب.

(٥) الأمالي لابن الحاجب . له نسخ مخطوطة كثيرة جداً في دار الكتب المصرية برقم ٢٦ وغيرها . انظر كتاب طارق عبد عون الجنابي ابن الحاجب النحوي وآثاره، ومذهبه ٩٥.

جملة خبرا للمبتدأ المحذوف بعد خبر، فيكون قد أخبر بخبرين مفرد وجملة، ويقوّي هذا الوجه أن الجملة الثالثة جاءت بالواو، والمعنى فيها كالمعنى فيما تقدّم، ومتعذّر أن يكون صفة مع الواو، مع أنك لا تقول : مررت برجل وعاقل، فتعيّن أن يكون خبرا بعد خبر، والأخبار إذا تعدّدت جاز أن يكون الثاني بواو وبغير واو، هذا إن سلم أن المعنى في الجمل واحد . وأما إن قيل : إن قوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ من قوله تعالى، يكون استئنافاً لا حكاية عنهم، بأن ﴿ ثامنهم كلبهم ﴾ فيُفهم على ذلك بأن القائلين بأنهم سبعة أصابوا في ذلك، ولا يلزم على هذا أن يكون خبرا بعد خبر، ويقوّيه قوله : قبل ذلك ﴿ رجماً بالغيب ﴾ [ثم ذكر بعد قوله : ﴿ رجماً بالغيب ﴾][1] الجملة الثالثة فدلّ على أنها مخالفة لما قبلها في الرجم بالغيب، وإذا خالفها في ذلك وجب أن يكون صدقاً إلا أن هذا الوجه يضعف من حيث إن ا لله تعالى قال : ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ فلو جعلنا قوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ تصديقاً لمن قال : سبعة، لوجب أن يكون العالم بذلك كثيراً، فإن أخبار ا لله صدق، فدلّ على أنه لم يصدق منهم أحد، وإذا كان كذلك وجب أن تكون الجملة كلها متساوية في المعنى، وقد تعذّر أن تكون الأخيرة وصفاً، فوجب أن يكون الجميع كذلك] تم كلامه . وقد علم من مفهومه أن الواو هي المانعة من الوصفية وداؤه داؤهم، فالداء الداء[2] . وأما قوله : وجب أن تكون الجملة كلها متساوية، فكلام عن مقتضى البلاغة بمراحل، لأن في كلّ اختلاف فوائد، والبليغ من ينظر إلى تلك الفوائد لا من يردّه إلى التطويل والحشو في الكلام . وأيضاً لا بدّ من قول صادق بين الأقوال الثلاثة لينطبق عليه قوله:﴿لا يعلمهم إلا قليل﴾ مع قوله:﴿رجماً بالغيب﴾ لأنه قد اندفع به القولان الأولان، فيكون الصادق هذا، وتعقيبه به أمارة على صدقه، وعلى ما ذهب إليه السائل مفقود ذلك، ومع هذا أين طلاوة الكلام ؟. أم أين اللطف والمرام ؟. وههنا نكتة لا بدّ من إظهارها وذلك أن قصة الكهف لامِحَةٌ إلى قصة الغار[3] ومشابهة لها من

---

(١) ما بين القوسين س من ت.

(٢) فالداء الداء في م.

(٣) قصة الغار في بداية هجرة النبي صلى ا لله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، التي ذكرها القرآن في قوله في سورة التوبة الآية ٤٠ : ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ... الآية ﴾.

حيث اشتمالها على حكم بديع البيان(١) . روينا عن البخاري(٢) ومسلم عن أبي بكر رضي ا لله عنه قال : نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا . فقلت : يا رسول ا لله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا . فقال : (يا أبابكر ما ظنك باثنين ا لله ثالثهما) يعني لسنا مثل كلّ اثنين اصطحبا(٣) ، لما خصّصت بشرف صحبة حبيب ا لله، والتجأت بسببها إلى حرم كنف ا لله، كما قال : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن ا لله معنا ﴾، فالتربيع(٤) والتسديس(٥) في قصة الكهف ناظران إلى التثليث في قصة الغار، لكن نظرا كلاولا، فعلى هذا يجب أن يجعل ﴿ رابعهم كلبهم ﴾ و ﴿ سادسهم كلبهم ﴾ تابعين لثلاثة وخمسة، والضمائر الأربعة فيها راجعة إليهما لا إلى المبتدأ. ومن ثمّ استغنى عنه بالحذف، وإلا كان الظاهر أن يقال : هم ثلاثة وكلب، فلما أريد اختصاصها بحكم بديع الشأن عدل إلى ما هو عليه لينبّه بالنّعْت الدال على التفصلة والتميز على أن أولئك الفتية ليسوا مثل كل ثلاثة أو خمسة أو سبعة اصطحبوا، ومن ثم قرن ا لله تعالى في كتابه العزيز أخسّ الحيوان ببركة صحبتهم مع زمرة المتبتّلين إلى ا لله والمنعكفين(٦) في جوار ا لله، فقال : ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ وإضافة إليه مكرراً، واختلفت آراراء الملّتين في التنفير عن قصّتهم والتفتيش عن أحوالهم، روى السلمي(٧) عن أبي بكر الورّاق أنه قال : مجالسة الصالحين ومجاورتهم تؤثر في الخُلُق، وإن لم يكونوا أجناساً . ألا ترى أن ا لله عز وجل كيف ذكر أصحاب الكهف فذكر كلبهم معهم لمجاورته إياهم.

---

(١) (الشأن) في ت . وكذلك في حاشية الشهاب على البيضاوي ٨٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ٣٢٥/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ ثاني اثنين إذ هما في الغار ... الآية ﴾ رقم ٤٦٦٣ . ومسلم ١٨٥٤/٤ كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر رضي ا لله عنه، واللفظ له رقم ٢٣٨١.

(٣) ذكر الشهاب على البيضاوي هذه النكتة، وعزاها للطيبي . انظره ٨٩/٦ وساق كلامه.

(٤) (والتربيع) في ت.

(٥) (فالضمائر) في ت.

(٦) (المعتكفين) في ت وهو الصواب.

(٧) السلمي محمد بن الحسين بن موسى أبو عبد الرحمن السلمي، كان شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، صنف لهم تفسيراً وتاريخاً، وتفسيره غير محمود، قال الذهبي في تاريخه : كتابه (حقائق التفسير) ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة . مات سنة ٤١٢ . طبقات المفسرين للسيوطي ٨٤ وطبقات المفسرين للداودي ١٣٧/٢

وإذا تقرّر هذا فالواجب أن تراعى هذه النكتة في الفقرات الثلاث، ثم ينظر إلى الزمرة الزائدة في الأخيرة لاختصاصها بحرف زائد، وهي ما ذكره المصنف جزاه ا لله أحسن الجزاء على أن تأويل صدر الكلام والعدول من الوصف إلى الخبر لأجل عجزه بسبب الواو، وليس أولى من العكس وا لله أعلم . وأما قوله : ﴿ وثامنهم كلبهم ﴾ استئناف، فقد ذهب إليه المفسرون، قال الزجاج[1] : [دخول الواو ههنا وإخراجها من الأول واحد، وقد يجوز أن يكون دخولها على الدلالة على انقطاع القصة]، وهو من قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة . وقال أبو البقاء[2] : [وقيل : دخلت الواو لتدل على أن ما بعدها مستأنف حق، وليس من جنس القول برجم الظنون]، ولعل مراد ابن الحاجب من قوله : لوجب أن يكون العالم بذلك كثيراً أن القائل به المسلمون وهم بالنسبة إلى القائلين، وهما السيد والعاقب[3] كثيرون، كما سبق، وجوابه من وجهين : أحدهما : أن القائلين من المسلمين ليسوا كلهم بل بعضهم، يدل عليه قول ابن عباس رضي ا لله عنهما : أنا من ذلك القليل . ذكره محي السنة[4] ، والمراد بالقائلين السيد والعاقب، هما ومن تابعهما بدليل قول المصنف : إن السيد والعاقب وأصحابهما. وثانيهما أن قوله : ﴿ إلا قليل ﴾ استثناف من أعم العام لكونه معاقباً لقوله : ﴿ قل ربي أعلم بعدّتهم ﴾ ولا شكّ في قلة المسلمين في جنب الناس . وا لله أعلم بالصواب.

قوله : ((﴿ فلا تمار فيهم ﴾ فلا تجادل)) الراغب[5] : [المرية : التردد في الأمر وهو أخص من الشك ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ﴾[6] وقوله : ﴿ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ﴾[7] والامتراء والمماراة محاجّة فيما فيه مرية . قال تعالى : ﴿ قول

---

(1) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٧٧.

(2) أبو البقاء في إملائه ٢/١٠٠.

(3) السيد والعاقب من نصارى نجران، ذكر ذلك ابن جماعة في كتابه (غرر التبيان في من لم يسم في القرآن) ٣١٨، وذكره الفيروز آبادي في (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) ٢٤٥، والبغوي في تفسيره ٥/١٦١.

(4) محي السنة في تفسيره ٥/١٦١ قال : روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران كانوا عند النبي صلى ا لله عليه وسلم، فجرى ذكر أصحاب الكهف ... الخ.

(5) الراغب في مفرداته ٤٦٧ مادة (مري).

(6) سورة الحج الآية ٥٥.

(7) سورة هود الآية ١٠٩.

الحق الذي فيه يمترون ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً ﴾ وأصل ذلك من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب].

قوله : ((إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله))[2] الانتصاف[3] : [وليت شعري ما معنى قول الزمخشري : إلا أن تعترض المشيئة دونه، واعتقاده أن مشيئة الله لا تعترض على فعل أحد، فلم يشأ عندهم فعلاً فَتُرِك وتركاً فَفُعِل، حتى إنهم يقولون : إن قول القائل : والله لا أفعل إلا أن يشاء الله أن أفعله، كذبٌ إذا كان مباحاً لأن الله لا يشاؤه بزعمهم فسحقاً لاعتقادهم . وقال ابن الحاجب : [الوجه فيه أن يكون استثناء مفرغاً، كقولك : لا يجيء إلا بإذن زيد ولا يخرج إلا بمشيئته، على أن يكون الأعم المحذوف حالاً أو مصدراً، وحذفت الباء من بـ ﴿ أن يشاء الله ﴾ أي إلا بذكر المشيئة، وقد علم أن ذكر المشيئة المستصحبة في الإخبار عن الفعل المستقبل هي المشيئة المذكورة بحرف الشرط أو معناه، كقولك : إن شاء الله[4] وبمشيئة الله وما أشبههما، هذا هو المعنيّ من قول المصنف . والثاني : ولا يقولنّه إلا بأن يشاء الله . وقال ابن الحاجب : وأما ما ذكر أنه متصل بقوله : ﴿ إني فاعل ﴾ ففاسد، إذ يصير المعنى : إني فاعل بكلّ حال إلا في حال مشيئة الله، فيصير المعنى النهي عن أن يقول : إني فاعل إن شاء الله، وهذا لا يقوله أحد. وأمّا ما ذكر من أنه استثناء منقطع فبعيد لأنه يؤدي إلى نهي كلّ واحد عن أن يقول : إني فاعل غدا كذا مطلقاً قيده بشيء أو لم يقيد، وهو خلاف الإجماع لجواز قول القائل : لأفعلن كذا إن شاء الله، وأما ما ذكره بعض المتأخرين أن إلا ليست باستثناء لا متصل ولا منقطع، فهو جهل وغباوة، ولا خفاء في أنه عنى قوله : وهو أن يكون إن شاء

---

(1) سورة مريم الآية ٢٤.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إن أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً ﴾ الكهف الآية ٢٤.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ إلا أن يشاء الله ﴾ : متعلق بالنهي، لا بقوله : ﴿ إني فاعل ﴾، لأنه لو قال : إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله، كان معناه : ((إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله)).

(3) الانتصاف مع الكشاف ٢/٧١٤ . فمذهب المعتزلة أن العبد لا فعل له اختياري . انظر الألوسي ١٥/٢٤٨.

(4) كقولك (لأفعلن) إن شاء الله . س من أ ، ب .

هذا الكسر من صحيح الحفر

ا لله كلمة تأييد، كأنه قيل : ولا تقولنّه أبداً، والجواب عنه : أنا نقلنا عن الزجاج(1) في قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ما شاء ا لله ﴾(2) نحو هذا المعنى، وسبيله سبيل الكناية عن المجموع كقوله تعالى : ﴿ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾(3) وقد علم وحقّق أن ذوق الموتة الأولى في الجنة محال، فيكون كناية عن التأبيد، فالمعنى : لا تقولنّ فيما يتعلق بالوحي : أن أخبركم به إلا أن يشاء ا لله، وا لله تعالى لم يشأ أن يقوله من عندك، فإذن لا تقولنّه أبداً، وعليه قوله: ((لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه ا لله))(4) وعلى هذا جعل الإستثناء منقطعاً، لا تقولن يا محمد فيما يتعلق بالوحي : إني أخبركم به، لكن قل : أخبركم بإذن ا لله وبمشيئته كقوله تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى ﴾(5) فالمخاطب على التقديرين رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، يؤيده قوله : ((وهذا نهي تأديب من ا لله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش ... إلى آخره(6) ، والحاصل أن خصوصية المقام تجوز كثيراً من نحو هذا.

قوله : ((هو على ثُنْياهُ))(7) المغرب(8) : [يقال : ثنى العودَ إذا حناه وعطفه، لأنه ضمّ أحد طرفيه إلى الآخر، ثم قيل : ثناه عن وجهه إذا كفّه وصرفه، لأنه مسبّبٌ عنه، ومنه استثنيت الشيء : زويته لنفسي، ومنه الثُّنيا بوزن الدنيا، وفي الحديث : (من استثنى فله ثنياه)(9) أي : ما استثناه].

---

(1) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه 2/291-292.

(2) الصواب : ﴿ خالدين فيها إلا ما شاء ا لله ﴾ وهو غلط في كل النسخ. سورة الأنعام الآية 128.

(3) سورة الدخان الآية 56.

(4) قال (ز) : ومثله قوله تعالى في سورة الأعراف لآية 89 : ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ا لله ﴾ ((لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه ا لله)).

(5) سورة النجم الآية 3-4.

(6) قالت اليهود لقريش : سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين.

(7) قال (ز) : وعن طاوس (هو على ثنياه)) مادام في مجلسه.

(8) المغرب في ترتيب المعرب لإمام اللغة أبي الفتح ناصر الدين المطرِّزي، توفي سنة 610 . جـ1/124.

(9) هذا جزء من حديث أخرجه الدارقطني 4/35 وأوله (ما أحل ا لله شيئاً أبغض إليه من الطلاق، فمن طلق واستثنى فله ثنياه).
وفي تلخيص الحبير لابن حجر أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : (من طلق أو أعتق واستثنى فله ثنياه) 3/13.

قوله : ((وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً)) قال القاضي[1] : [لأنه لو صحّ ذلك لم يقرّر إقرار ولا طلاق و لا عتاق، ولم يُعلم صدق ولا كذب، وليس في الآية أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق، بل هو مقدّر مدلُولٌ به عليه] مثل أن يقول : أفعلُ إن شاء ا لله، أي : ﴿ ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً ﴾ إلا أن تقول : أفعلُ إن شاء ا لله.

قوله : ((إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا ؟))[2] الانتصاف[3] : [ظاهر الآية الأمر بتدارك المشيئة عند التذكار ولو بعد طول، وأما حَلُّها لليمين حينئذ، فلا دليل للآية عليه . وقلت : مسئلة البيعة واليمين جاءت رادّة لمن قاس الاستثناء في الأحكام على مسئلة التدارك بالتذكار في نسيان ذكر ا لله في الأمور وصورة المبايعة بأن تقول : أبايعك على السمع والطاعة ثمّ يؤكّدها باليمين، بأن تقول : وا لله لا أخرج من هذه البيعة ثم يخرج ويستثنى إلا زمان كذا ويوم كذا أو أوان يفعل كذا.

قوله : ((تشديداً في البعث على الاهتمام))[4] يعني الأمر بالاستغفار من باب التغليظ والتشديد، كأن ترك الاستثناء من الذنب الذي تجب فيه التوبة والاستغفار.

قوله : ((واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به)) فالنسيان قد يستعمل في الترك مجازاً، لأن الترك سبب النسيان . الراغب[5] : [النسيان ترك الإنسان ضبط ما استُودع إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة أو عن قصدٍ حتى ينحذف عن القلب ذِكْره. وقوله تعالى : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾[6] إخبار وضمانٌ من ا لله تعالى أنه يجعله بحيث

---

(1) القاضي البيضاوي في أنواره ٢٢١/٣ قال : وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث، ولذلك جوز تأخير الإستثناء عنه . وعامة الفقهاء على خلافة ((لأنه لو صحّ ... الخ))

(2) يشير إلى قول (ز) : ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي ا لله عنه في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكر عليه، فقال أبو حنيفة : هذا يرجع عليك ((إنك تأخذ البيعة ... الخ)).

(3) الإنتصاف مع الكشاف ٧١٥/٢.

(4) قال (ز) ﴿ واذكر ربك ﴾ : بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء ((تشديدا في البعث عن الاهتمام بها)).

(5) الراغب في مفرداته ٤٩١.

(6) سورة الأعلى الآية ٦.

إنه لا ينسى ما يسمعه من الحق، وكلّ نسيان من الإنسان ذَمَّهُ ا لله تعالى به، فهُو ما كان أصله عن تعمّد، وما عذر فيه نحو ما روي في الحديث (رفع عن أمّتي الخطأ والنسيان)[(١)] فهو ما لم يكن سببه منه، وإذا نُسِبَ ذلك إلى ا لله تعالى فهو تركه إياهم استهانة بهم، ومجازاة لما تركوه . قال ا لله تعالى : ﴿ نسوا ا لله فنسيتهم ﴾[(٢)] ، وقوله : ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا ا لله فأنساهم أنفسهم ﴾[(٣)] فتنبيهٌ أن الإنسان بمعرفته بنفسه يعرف ا لله، فنسيانه لله هو من نسيانه نفسه . وقال عكرمة[(٤)] : معنى نسيت ارتكبت ذنباً، ومعناه : اذكر ا لله إذا أردت وقصدت ارتكاب ذنب يكن ذلك دافعاً لك].

قوله : ((وهذا إشارة إلى نبإ أصحاب الكهف)) أي : لفظ (هذا) في قوله تعالى : ﴿ أقرب من هذا رشداً ﴾.

قوله : ((ومعناه لعل ا لله يؤتيني من البينات ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نبإ أصحاب الكهف)) يؤيده قوله : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ﴾ افتتح القصة بتقليل شأنها . ثم ختمها بأمره صلوات ا لله عليه بما هو أرشد منها الانتصاف[(٥)] هذا يوهم أن أي قصّة ذكرت في الكتاب لِيُتَّعظ بها ينبغي أن يحقّر شأنها ويسأل إنزال ما هو خير منها وأرشد. جوابه أن المشركين سألوا رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عن خبرهم، وقالوا : هم فتية ذهبت بهم الأرض مذاهب فقلّل

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٦٥٩/١ كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي برقم ٢٠٤٥ وفيه انقطاع من حديث ابن عباس ولفظه : (إن ا لله وضع)، بدل (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) وانظر فتح الباري ١٦٠/٥ وكشف الخفاء ٥٢٢/١ وابن عدي في الكامل ٥٧٣/٢.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٣) سورة الحشر ١٩ والنسيان يأتي على معنيين، بمعنى الترك ومنه قوله في طه الآية ١١٥ : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾ وقوله في السجدة الآية ١٤ : ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ وقوله في البقرة الآية ٢٣٧ : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾.

ويأتي بمعنى لم يحفظ، ومنه قوله في سورة الكهف الآية ٦٣ : ﴿ فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان ﴾ وقوله في الكهف الآية ٣٧ : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾.

(٤) عكرمة مولى ابن عباس البربري أبو عبد ا لله المدني، مات سنة ١٠٤ هجرية بالمدينة النبوية . تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧

(٥) الانتصاف مع الكشاف ٧١٥/٢.

ا لله ما أكثروه وحقّر ما استعظموه، ولم يقص ا لله نبأهـا إلا لإعـلام المشـركين أن رسـول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يتلقى الوحـي مـن السـماء وأنّـه لا يخلـوا عـن فـائدة وموعظـة وعبرة.

قوله : ((يهديني لشيء آخر، بدل هذا المنسيّ أقرب))(١) يقال : هداه لكذا أوإلى كذا، لا بدّ من تقدير شيء يصحّ الكلام معه، فالتقدير يهديني لشـيء آخـر يكـون ذلـك الشـيء بـدل هـذا المنسيّ أقـرب منـه رشـداً، قـال الزجـاج(٢) : [عسـى أن يعطيـني مـن الدلالات ما يكون أقرب في الرشد، وأدلّ من قصة أصحاب الكهف] وقـال في المطلـع : يهدي إلى ما هو أقرب، وأقرب في تركيب المصنف يجـوز أن يكـون بـدلاً مـن بـدل، وأن يكون صفة إن جعل أقرب من معرفة أو حالاً إن جعل نكرة.

قوله : ((خيْرة))(٣) أي مختاراً.

قوله : ((بيان لما أجمل في قوله : ﴿ فضربنـا علـى آذانهـم ﴾))(٤) فإن قلـت : مـا فـائدة إيـراد البيـان في آخـر القصـة والمبيّـن في أوّلها ؟ . قلـت وا لله أعلـم : جـيء أوّلاً باختلاف الأحزاب في كمّية لُبْثِهم في الكهف . وثانيها بـاختلافهم في كمّيـة أشـخاصهم، فبين الثاني بقوله : ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدّتهم ﴾ وبـين الأول بقولـه : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً قل ا لله أعلم بما لبثوا ﴾ وسجّل لِكِلَـيْ الجملتين بإثبات العلـم لله تعـالى، وهـذه الدقيقـة تبيّـن لطـف مـا ذهـب إليـه المصنّـف في ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ . وأما توسيط قوله : ﴿ ولا تقولـنّ لشـيء إنـي فـاعل ذلـك غداً ﴾ الآية بيْنَ البيان والمبيّن، فإنه من جملة التأديب الذي أدّبه ا لله به والتهذيـب الـذي

---

(١) قال (ز) : إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، وذِكر رُبّـك عنـد نسـيانه أن تقـول ((عسـى ربـي أن يهديـني لشيء آخر بدل هذا المنسي

(٢) الزجاج ٢٧٨/٣ وفيه : [أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون ... الخ].

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ رشداً ﴾ قال (ز) : وأدنى خيراً ومنفعة، ولعل النسيان كان ((خيرة)).

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً . قل ا لله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من وليّ ولا يشـرك فيـه حكمـه أحـداً ﴾ قال (ز) : في قولـه : ﴿ ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين ﴾ يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة، ((وهو بيان لما أجمـل ... الخ))

هذّبه بما هو خلق له، وهو هذا القرآن المجيد جاء مستطرداً عطفاً على قوله : ﴿ فلا تمار ﴾ ﴿ ولا تستفت ﴾ متضمنا معنى ما لأجله أبطأ عليه الجواب عن هذه القصة، قال الزجاج(١) : [﴿ قل ا لله أعلم بما لبثوا ﴾ اخبار عن ا لله تعالى بطول لبثهم . وأعلم أنّه أعلم بذلك، وكان هذا أبلغ من أن يقال : الصحيح أنهم قد لبثوا هذا العدد كلّه].

قوله : ((وقرئ ﴿ ثلثمائة سنين ﴾ بالإضافة))(٢) حمزة والكسائي بغير تنوين، والباقون بتنوين ﴿ وسنين ﴾ عطف بيان ﴿ ثلثمائة ﴾ قال الزجاج(٣) : [﴿ سنين ﴾ جائز أن يكون نصباً وأن يكون جراً، فالنصب على معنى (ولبثوا في كهفهم سنين) (ثلثمائة) عطف (سنين) على ثلاث، عطف البيان والتوكيد، والجر على أن تكون نعتاً للمائة، وهو أبلغ في المعنى إلى ثلاث، كما قال(٤) :

** فيها اثنتان وأربعون حلوبة ** سُوداً كخَافية الغراب الأسحم **

فجعل سوداً نعتاً لحلوبة، وهو في المعنى نعت لجملة العدد] هكذا في تفسيره ونقل المصنف عنه في المفصل(٥) أنه قال : [لو انتصب سنين على التمييز لوجب أن يكونوا قد لبثوا تسع مائة سنة] قال ابن الحاجب(٦) : [وجهه أنه قد فهم من لغتهم أن تميز(٧) المائة واحد من مائة، فإذا قلت : مائة رجل فمميزها رجل، وهو واحد من المائة، فعلى هذا لو قلت : مائة سنين، فيكون السنين واحدة من المائة، وهي ثلثمائة، وأقل السنين ثلاثة، فيجب أن يكون تسع مائة، وهذا الذي ذكره يرد على قراءة حمزة والكسائي إذ ليس

(١) الزجاج ٣/٢٧٩ بتصرف قليل.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ ثلاثمائةِ سنين ﴾ على الإضافة، ووافقهم الحسن والأعمش، والباقون بالتنوين . الإتحاف ٢٨٩.

(٣) الزجاج ٣/٢٧٨ بتصرف.

(٤) البيت لعنترة .انظر ديوانه ١٩٣.

(٥) المفصل في علم اللغة للزمخشري، ذكره ص ٢٥٦ ولفظه : قال أبو إسحاق (يعني الزجاج) : [ولو انتصب ...الخ]

(٦) قاله ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصل للزمخشري ١/٦١٢ بتصرف.

(٧) مميز في الإيضاح.

لقراءتهما وجهٌ سوى التمييز] وهذا غير لازم، لأن الذي ذكره مخصوص بأن يكون المميز مفرداً[1] ، وأما إذا كان جمعاً فيكون القصد فيه كالقصد في وقوع التمييز جمعاً في نحو ثلاثة أثواب على أن الأصل في التمييز الجمع، وإنما عدل إلى المفرد لغرض، فإذا استعمل الجمع استعمل على الأصل لا على الوجه الذي ألزمه، فإن ذلك على المفرد .وقلت : الذي ذهب إليه المصنف عكس ذلك، لأنه جعل المفرد أصلاً والجمع مفرّعاً عليه لقوله : ((على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز)) وقال ابن الحاجب[2] : [ثلثمائة سنين فيمن قرأ بالتنوين، محمول على البدل، وإلا لزم الشذوذ[3] من وجهين : أحدهما : جمع مُميِّز مائة. والآخر : نصبه، فإذا جعل بدلاً خرج عن الشذوذين واستقام الإعراب] كأنه قال : ولبثوا سنين.

قوله : ((لأن ما قبله يدل عليه))[4] قال الزجاج[5] : أما قوله : ﴿ وازداوا تسعاً ﴾ [فلا يكون تسع ليال وتسع ساعات، لأن العدد يعرف بتفسيره، فإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكره] وقال الإمام[6] : [فإن قالوا : لم لم يقل ثلثمائة وتسع سنين؟ . وما الفائدة في العدول ؟. قلنا : قال بعضهم : كانت لمدة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسية وثلاثمائة وتسع سنين من القمرية وهذا مشكل لأنه لا يصحّ بالحساب، ويمكن أن يقال : لعلهم : لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه، ثم اتّفق ما أوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين] وقال القاضي[7] : [وقيل : إنه حكاية كلام أهل الكتاب، فإنهم اختلفوا في مدّة لبثهم كما اختلفوا في عدّتهم، فقال بعضهم : ثلثمائة

---

(1) تمييز المائة يجرّ، وجرّه بالإضافة، والتنوين مانع منها، نعم قرئ في السبعة بالإضافة، وعليه (فسنين) تمييز، غير أنه قليل، لأن تمييز المائة الكثير فيه الإفراد، كما قال في الخلاصة :

** ومائة والألف للفرد أضف ** ومائة بالجمع نزراً قد ردف **

(2) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصّل ٦١١/١.

(3) عن الشذوذ في الأصل أعني ابن الحاجب.

(4) تفسير قوله : ﴿ تسعاً ﴾ قال (ز) تسع سنين ((لأن ما قبله يدلّ عليه)).

(5) الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٢٧٩/٣ بتصرف قليل.

(6) الإمام الفخر الرازي في تفسيره ١١٢/٢١.

(7) القاضي البيضاوي ٢٢٢/٣.

سنة وبعضهم ثلثمائة وتسع سنين] وقلت : ويمكن أن يقال : إنه من كلام ا لله تعالى، فإن أهل الكتاب كما اختلفوا في عدّتهم اختلفوا في مدّة لبثهم فكما جيء في ذلك المقام بما يرفع الاختلاف، جيء ههنا كذلك، فإن قوله : ﴿ وازدادوا تسعاً ﴾ بيان لنصوصية اللبث وتقرير له، ودفع للاحتمال، ونظيره الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾[1] وسيجيء بيانه .فقوله : ﴿ قل ا لله أعلم بما لبثوا ﴾ مثل ﴿ قل ربي أعلم بعدتهم ﴾ هناك. وهذا التأويل يرجح قول من قال : إن هذا من كلام ا لله تعالى . وا لله أعلم.

قوله : ((وجاء بما دلّ عليه التعجب من إدراكه للمسموعات والمبصرات))[2]

قال القاضي[3] : [والهاء تعود إلى ا لله ومحله الرفع على الفاعلية، والباء مزيدة عند سيبويه، وكان أصله أبصر، أي : صار ذا بصر، ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء فبرز الضمير لعدم لياق الصيغة، وهو أن ضمير الغائب لا يمكن استتناؤه في أمر المخاطب أو لزيادة الباء، كما في قوله : ﴿ وكفى به ﴾[4] والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور، وهو كلّ أحد، والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية] وقال صاحب الكشف[5] : [وكان القياس إضمار به في الثاني لأن الجار والمجرور في موضع الفاعل، لكن استغنى بذكره في الأول لأنه لا يجوز العطف على عاملين كما فعل في قول الشاعر[6] :

** أكُلَّ امْرِئ تَحسبين امْرأً ** ونارٍ تُوَقّدُ بالليل ناراً **

(١) سورة العنكبوت الآية ١٤.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ﴾ قال (ز) : ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض، وخفي فيها من أحوال أهلها، ومن غيرها، وأنه هو وحده العالم به ((وجاء بما دلّ على التعجب من إدراكه المسموعات ... الخ))

(٣) القاضي البيضاوي ٢٢٢/٣ مع زيادة إيضاح.

(٤) سورة النساء الآية ٥٠ أي ﴿ وكفى به إثماً مبيناً ﴾.

(٥) صاحب الكشف لم أقف عليه فيه.

(٦) الشاعر أبو داؤد الأيادي، والبيت في ديوانه ٣٥٣ وهو من المتقارب . انظر مصادره في معجم شواهد النحو الشعرية للدكتور حنّا جميل حداد ٤١٤.

أي : وكلّ نار، واستغنى بذكره أولا عن ذكره ثانياً . الراغب[1] : ﴿ أبصر به وأسمع ﴾ يقول فيه تعالى : ذلك من وقف على عجائب حكمته، ولا يقال فيه : ما أبصره وأسمعه، لأن الله تعالى لا يوصف إلا بما ورد به السمع] وقدّر أبو البقاء[2] : [أوقع أيها المخاطب إبصاراً بأمر الكهف، فهو أمر حقيقة] والفاعل مضمر.

قوله : ((وإنما يقدر على ذلك هو وحده))[3] أو ﴿ إذا أنزلنا آية مكان آية ﴾، أراد أن في هذه الآية الدّلالة الظاهرة على أن الكتاب لا ينسخ بالسنة[4] ، لأنه تعالى أمر نبيه صلوات الله عليه بأن يتلو ما أوحى إليه من كتاب الله حين قالوا : ﴿ إئت بقرآن غير هذا أو بدّله ﴾ وأعلمه أن لا تبديل لكلمات الله البتّة، لا يبدّلها هو ولا غيره حيث نفى جنس التبديل وخصّ هذا العامَّ بقوله : ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ فنفى المقام فيما عداه على أصله، ولهذا أكدّ دلالة الحصر في قوله : إنما يقدر على ذلك هو بقوله وحده، ثم أتى بتذييل مؤكد لذلك المعنى، وهو قوله : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ بلن المؤكدة، قال المصنف[5] : تقول لصاحبك : لا أقيم غداً. فإن أنكر عليك قلت : لن أقيم غداً، كما تفعل في أنا مقيم، وإني مقيم، نزّل صلوات الله عليه منزلة من همّ أن له ملجأ يعدل إليه من أمره ونهيه، فقيل له : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ تهييجاً وإلهاباً وإليه الإشارة بقوله : ﴿ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ تعدل إليه إن هممت بذلك. قال الزجاج[6] : [ولن تجد مَعْدِلاً عن أمره ونهيه ولا ملجأ إلا إليه].

---

(1) الراغب في مفرداته ٢٤٢.

(2) أبو البقاء في إملائه ١٠١/٢ قال : قال بعضهم : الفاعل مضمر، والتقدير : (أوقع أيها المخاطب ... الخ)

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ﴾ قال (ز) : لا يقدر أحد على تبديل لكلماته ((إنما يقدر على ذلك هو وحده)).

(4) هذا الذي ذكره الطيبي رحمه الله من أن الكتاب لا ينسخ بالسنة، قاله بعض العلماء ومنهم : أحمد والشافعي، وقال آخرون : إنه يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة، ووقوعه، ومثلوا له بنسخ آية (خمس رضعات الخ، ونسخ سورة الخلع، وسورة الحفد بالسنة المتواترة . انظر مذكرة الأصول للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ٨٤، وأضواء البيان ٣٣٤/٣

(5) قال الزمخشري في كتابه المفصّل : ((ولن لتأكيد ما تعطيه، لا من نفي المستقبل، تقول : لا أبرح اليوم من مكاني، فإذا وكّدت وشدّدت قلت : لن أبرح اليوم من مكاني)) ٣٦٥.

(6) الزجاج ٢٨٠/٣.

قوله : ((** فضربت عارفة ... البيت ** [1]

أي : حبَسْتُ نفساً عارفة بأحوال الحرب، الجوهري[2] : [العارف الصبور] تَرْسُو : ترسخ وتثبت، تطلَّعُ : تنقطع عن مكانه . وقيل : ينظر ساعة ويخفى ساعة، كما هو عادة الجبان، يصف صبره وتجلّده عند الشدائد، وأن نفسه ثابته صابرة على المكاره في حال تكون نفس الجبان فيها مضطربة.

قوله : ((وقرئ ﴿ بالغدوة ﴾))[3] ابن عامر، والباقون بالغداة. قال أبو البقاء[4] : [بالغداة أصلها غودة، فقلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهي نكرة، وتقرأ بالغُدْوة، بضم الغين وسكون الدال، وواو بعدها، وقد عرفها بالألف واللام، وأكثر ما تستعمل معرفة عَلَماً] بغير اللام.

قوله : ((** ....والزيد زيد المعارك **))[5] أوله :

** وقد كان منهم حاجب وابن أمّه ** أبو جندل حاجب **

هو ابن لقيط بن زرارة، أراد بقوله : زيد المعارك شجاعته ذكره شاهداً على صحّة الإضافة، وإدخال اللام على تأويل التنكير، وفيه ضعف، لأن العلم إنما وضع لشيء بعينه

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ الكهف الآية ٢٨.

قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ واصبر نفسك ﴾ : واحبسها معهم وثبتها. ((قوله : فصبرت)) يشير إلى قول أبي ذؤيب . قال الجوهري : إنه لعنترة، وتمامه :

** فصبرتُ عارِفةً لذلك حُرّةً ** ترسُوا إذا نفْسُ الجبان تطلّعُ **

(٢) الجوهري في صحاحه ١٤٠٢/٤ مادة (عرف).

(٣) قرأ ابن عامر ﴿ بالغُدْوة ﴾ بضم الغين وإسكان الدال وقلب الألف واواً، والباقون ﴿ بالغَداة ﴾ . السبعة لابن مجاهد ٣٩٠ والإتحاف ٢٨٩.

(٤) أبو البقاء في إملائه ٢٤٣/١ في سورة الأنعام.

(٥) البيت للأخطل، واسمه غياث بن غوث، ويكنى أبا مالك، وكان نصرانياً خبيث الهجاء، والأخطل لقب غلب عليه، وتمام البيت :

** وقد كان منهم حاجبٌ وابن أُمّه ** أبو جَنْدلٍ والزيدُ زَيدُ المعاركِ **

وهو في ديوانه ص ٣٧٩.

غير متناول ما أشبهه، فإذ ا نكر فقد استعمل على خلاف ما وضـع لـه، ووجهـه أنـه لّما وضع لمسمّى ثم وضع لآخر صارت نسبته إلى الجميع نسبة واحدة، فأشبه أن يكون مثـل قولك رجل.

قوله : ((عدا طوره))[1] أي : جاوز حدّه. النهاية[2] في حديث سطيح

[** فإن ذا الدهر أطْوَارٌ دهاريرُ **[3]

الأطوار : الحالات المختلفة والنازلاتُ، والحـدود واحدها طَـوْرٌ، أي : مـرةٌ ملـك ومرة هلك ومرة بؤسٍ ومرة نُعْم . ومنه حديث النبيذ، حديث النبيذ تعدّى طـوره، أي : جاوز حدّه وحاله الذي تخصّه ويحلُّ فيه شربه].

قوله : ((إذا اقتحمته)) الجوهري[4] : [أقْحَمَتْه عيني، أي : أزْدرته].

قوله : ((وقرئ : ﴿ ولا تعد عينيك ﴾))[5] ولا تصْرِفَهُما . قال ابن جني[6]: [هي قراءة الحسن، وهذا منقول من عَدَتْ عيناك أي:جاوزتا،من قولهم : جاء القوم عدا زيداً، أي : جاوز بعضهم زيداً، ثم نقل إلى أعْدَيْتُ عيني عن كذا، أي : صرفتها] قوله[7] :

((** فَعَدّ عما ترى إذْ لا ارْتِجاعَ لهُ **)) وتمامه :

** .... ** وانِم القتُودَ على عَيْرانةٍ أُجد **

(نميت) الشيء على الشيءِ : رفعتَه عليـه، (والقتـد) خشـب الرحـل، وجمعـه أقتـاد وقتود، (والعَيْرانَةُ) الناقة، شبّهـت بالعير في سرعتهـا ونشاطهـا، وناقة (أَجِدٌ) قويـة موثقـة

---

(١) تفسير قوله : ﴿ ولا تعد عيناك ﴾ قال (ز) : يقال : عداه إذا جاوزه، ومنه قولهم : ((عدا طوره))، وجاء في القوم عدا زيدا

(٢) النهاية في غريب الحديث ١٤١/٣ مادة (طور".

(٣) لم أقف على قائله.

(٤) الجوهري ٢٠٠٦/٥ مادة (قحم).

(٥) قرأ الحسن ﴿ ولا تعد عيناك ﴾ بضم التاء وفتح العين وكسر الدال مشددة.

(٦) ابن جني في المحتسب ٢٧/٢ بلفظه.

(٧) الشاعر النابغة الذبياني. انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ٧١٧/٢.

الخلق، يقول فعد هَمَّكَ عما ترى، فإنه قد فات عنك بحيث لا ارتجاع لـه، أي : انصـرف عما ترى من تغيّر الدار وما أنت فيه إذا أيقنت أن لا رجعة، وتشاغل بالرحلة.

قوله : ((وحسن شارتهم)) الشارة اللباس والهيئة.

قوله : ((وأفحمته)) الجوهري [1] : كلمته حتى أفحمتـه، أي : أبكيتـه، وأفحمتـه أي وجدته مفحماً لا يقول الشعر.

قولـه : ((جعلنـا قلبـه غـافلاً عـن الذكـر بـالخذلان أو وجدنـاه غـافلاً))[2] الانتصاف[3]: [شمّر الزمخشري هارباً من الحق وتجرّأ على نَفْي ما نسبه ا لله اتّباعاً لهواه].

قوله : ((أو من : أغفل إبِلَهُ، إذا لم يجعل لها وسْماً)) الانتصاف : [هـذا يمكـن مـع خلق الغفلة فلا ضرورة إلى صرف اللفظ عن ظاهره].

قوله : ((وقد أبطل ا لله توهم المجبرة بقوله : ﴿ واتبع هواه ﴾ حيث أسـند الاتبـا ع إليهم، وعطف بالواو ولم يرتّبه عليه بالفاء، فدلّ على الاستقلال، وأنهم بأنفسهم يتبعـون أهواءهم، وليس ﴿ أغفلنا ﴾ سبباً في الاتباع . الانتصاف : [قدم وجهاً نسـبة فعـل العبـد إلى نفسه، لكونه مقروناً بقدرته، وإلى ا لله لكونه مُوجداً له، فأدلة السنة تتْبعه حيث سلك

(1) الجوهري ٥/٢٠٠٠ مادة (فحم).

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ﴾ قال (ز) : ((من جعلنا قلبه ... الخ))

(3) الانتصاف مع الكشاف ٢/٧١٨.

وقد أحسن ابن المنير حيث قال : ومذهب أهل السنة إضافتهم فعل العبد إلى ا لله تعالى، من حيث إنه مخلوقا له، وإلى العبد، من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره، ولا تنافي بين الإضافتين.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ من أغفلنا قلبه ﴾ يدّل على أن ما يعرض للعبد من غفلـة ومعصيـة، إنمـا هو بمشيئة ا لله تعالى، إذ لا يقع شيء البتة كائناً ما كان إلا بمشيئته الكونية القدرية جل وعلا ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء ا لله ﴾ الآية ٣٠ من سورة الانسـان. وقال تعالى في سورة البقرة الآيـة ٧ : ﴿ ختـم ا لله على قلوبهـم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾، وقال في سـورة الأنعام الآيـة ٢٥ : وجعلنـا على قلوبهـم أكنـة أن يفقهـوه وفي آذاهم وقرا ﴾ وقال تعالى في مشيئته للخير في سورة السجدة : ﴿ ولـو شـئنا لآتينـا كـل نفـس هداهـا ﴾ وقـال في سـورة الأنعام الآية ٣٥ ﴿ ولو شاء ا لله لجمعهم على الهدى ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالـة على أن كـل شـيء من خير وشرّ لا يقع إلا بمشيئة خالق السموات والأرض، فما يزعمه المعتزلة ويحاول الزمخشـري في تفسـيره دائمـاً، تأويل آيات القرآن، على نحو ما يطابقه من استقلال قدرة العبد وإرادته بأفعاله دون مشيئة ا لله، لا يخفـى بطلانـه . أضواء البيان ٤/٩٠.

لا محيص له عنها] وقلت : يمكن أن يقال : إن العطف من أسلوب قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله ﴾[1] على رأي صاحب المفتاح[2] ، أخبر الله تعالى أنه خلق قلوبهم مختوماً عليها وجعل فيها الغفلة وأخبرهم أنهم اتّبعوا أهواءهم، ولم يرتب الثاني على الأول تفويضاً لاستعادته إلى فهم السامع، أو من الإضمار، كما ذهب إليه المصنف في تلك الآية، أي : جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر فضلّ واتّبع هواه، كما قال : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً ﴾[3] فَعَمِلا به وعلّما الناس وعرفا حق النعمة ﴿ وقالا الحمد لله ﴾ .

قوله : ((وقرئ ﴿ أَغْفَلَنا قلبُهُ ﴾)) قال ابن جني[4] : [قرأها عمرو بن قائد، يقال : أَغْفَلْتُ الرجُلَ، وجدته غافلاً][5] .

قوله : ((الحق خبر مبتدأ محذوف))[6] أي : هو الحق كذا قدّر في آل عمران، والخبر هو العامل في الظرف. فإن قلت : ما دعاه إلى هذا ولم لم يجعل ﴿ من ربكم ﴾ الخبر ؟. ومع ذلك كيف قال : جاء الحق ؟ فإنه ليس بمقتضى التقدير، قلت : دعاه مجيء قوله : ﴿ قل الحق من ربكم ﴾ كالفذلكة[7] لما ذكر من مفتتح السورة أو جميع ما جاء به صلوات الله عليه، ثم ترتب ما بعده بالفاء عليه، فالضمير المقدّر بمنزلة اسم الإشارة،

---

(1) سورة النمل الآية ١٥.

(2) محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني شارح التلخيص، تقدم

(3) سورة النمل الآية ١٥.

(4) (قرأ من ﴿ أغفلَنا قلبُه ﴾ بفتح اللام وضم الباء، عمرو بن عائد، شواذ القرآن ٧٩ والمحتسب لابن جني ٢٩/٢ والبحر المحيط ١٢٠/٦ وزاد، وموسى الأنصاري وعمرو بن عبيد.

(5) عمرو بن قائد أبو علي الأسواري البصري، روى عنه الحروف حسان بن محمد الضرير، وبكر بن نصر العطار. القراء لابن الجزري ٦٠٢/١.

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس وساءت مرتفقا ﴾ ٢٩ قال (ز) : ((الحق خبر ... الخ))

(7) (الفَذْلكة) مجمل ما فُصِّلَ وخلاصته . المعجم الوسيط ٦٧٨/٢.

ومن ثمّ قدّر الواحدي[1] : [أي : هذا الحق من ربكم، قال الزجاج[2] : الذي آتيكم به الحق من ربكم فيكون المعنى : ما جئتكم به من حديث الكتاب القويم المعرّى عن كلّ الاعوجاج الظاهر الإعجاز الكاشف عن المغيبات المحتوى على مكارم الأخلاق المزيح للعلل والأعذار المزيل للريب والشبهات حقٌّ واجب ثابت من الرب المالك الرحيم، ثم رتّب عليه وعيدٌ من كابَرَ عقْلَه وعاند ربّه ودفع الحق الصراح، ووعد من أذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ وعلّل ذلك بقوله : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا ﴾ إلى آخر الآيات، ويؤيد هذا التأويل ما ذكره الواحدي[3]: [قال : قال مجاهد والسدي قوله : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ وعيدٌ من ا لله وإنذار، وقد بيّن بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر، فقال : ﴿ إنا اعتدنا للظالمين ناراً ﴾ الآيات] فظهر أن قوله : ﴿ جاء الحق ﴾ وزاحت العلل تحرير للمعنى وتلخيص له وا لله اعلم.

قوله : ((وجيء بلفظ الأمر والتخيير[4]، لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخيّر مأمور بأن يتخير ما شاء من النَّجدَين[5])) قال القاضي[6] : وهو لا يقتضي [استقلال العبد بفعله، فإنه وإن كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئة]. المعنى : لا أبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر. وقال الزجاج[7] : [هذا الكلام ليس بأمر لهم ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون ولكنه كلام فيه وعيد وإنذار].

---

(1) الواحدي في كتابه الوسيط ١٤٦/٣.

(2) الزجاج ٣٨١/٣.

(3) الواحدي في الوسيط ١٤٦/٣.

(4) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾.

(5) (النجدين) قال الراغب في مفرداته في قوله : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ : فذلك مثل لطريقي الحق والباطل في الإعتقاد، والصدق والكذب في المقال، والجميل والقبيح في الأفعال ٤٨٢.

(6) القاضي البيضاوي ٢٢٣/٣ بلفظه.

(7) الزجاج ٢٨١/٣.

قوله : ((بالسرادق))[1] وهو الحجرة. الراغب[2] : [فارسيٌّ معرب وليس في كلامهم اسم مفرد ثالثه ألف وبعده حرفان، قال تعالى : ﴿ أحاط بهم سرادقها ﴾ وقيل : مسردق مجعول على هيئة السُرَادِق[3] .

قوله : ((** فأعتبوا بالصيلم **[4] أوله :

** غَضِبَتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ ** يوم النِسارِ .... **

بكسر النون ماء لبني عامر. و(الصَّيْلَم) الداهية والأمر العظيم[5] . (أعتبوا) أي: أُرضُوا جعل الداهية لهم مكان العتاب الذي يجري بين الأحبّة.

قوله : ((كعكر الزيت))[6] ، الحديث رواه الترمذي[7] عن أبي سعيد. النهاية [8]: [العكر الدنس والدرن].

قوله : ((﴿ مرتفقا ﴾ : متّكئاً من المرفق)) الجوهري[9] : [يأت مرتفقاً أي : متّكئاً على مرفق يده. والمرفق بالكسرة المخدّة].

---

(١) تفسير قوله : ﴿ أحاط بهم سرادقها ﴾ قال (ز) : شبه ما يحيط بهم من النار ((بالسرادق)).

(٢) المفردات للراغب ٢٣٠ بلفظه . والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب للسيوطي ٩٨.

(٣) والسرداق في اللغة الفارسية : هو حائط أو حاجز من نسيج غليظ حول خيمة . المرجع السابق.

(٤) القائل : بشر بن أبي حازم الأسدي . وتمام البيت :

** غَضِبتْ تميمٌ أن تُقَتَّلَ عامرٌ ** يومَ النِسارِ فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمِ **

(٥) والصيلم يقال للسيف القاطع أيضاً . الجوهري ١٩٦٧/٥ مادة "صلم". والنسار : ماء لبني عامر بن صعصعة. وقيل : هي جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وبين هوازن وسعد بن عمرو بن تميم . انظر معجم البلدان ٢٨٢/٥-٢٨٣. ومشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ١٠٥/١.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ كالمُهْل ﴾ قال (ز) : هو ما أذيب من جواهر الأرض . وقيل : دَرَديّ الزيت.

(٧) أخرج الترمذي ٦٠٨/٤ كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار . الحديث رقم ٢٥٨٤ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ كالمهل ﴾ كعكر الزيت) فإذا قُرِّب إليه سقطت فرْوَة وجهه فيه . وقال غريب.

وأحمد في مسنده ٧١/٣ . والطبري ٢٣٩/١٥ . والحاكم ٥٠١/٢ . وابن حبان ٥١٤/١٦ وضعفوه.

(٨) النهاية في غريب الحديث ٢٨٤/٣ مادة (عكر).

(٩) الجوهري في صحاحه ١٤٨٢/٤ مادة (رفق).

قوله : ((وهذا لمشاكلة قوله : ﴿ وحسنت مرتفقا ﴾))[1] أراد أن الآية التالية مقابلة لهذه، وهي مفصلة بذكر الارتفاق، فأوجب بموجب المشاكلة المجاوبة بين القرينتين وإن تأخر المتبوع عن التابع، ولولا المشاكلة[2] كان إثبات ﴿ مرتفقا ﴾ للكفار على سبيل التهكم كإثبات ﴿ يغاثوا ﴾ لهم.

قوله : ((إلا أن يكون من قوله)) : أي : هذا من المشاكلة إلا أن يراد معنى قول الشاعر وذلك أن ﴿ مرتفقاً ﴾ وكأنّ عينَيَ إلى آخره حالان مترادفان. ودلّت الثانية على أن الأولى محمولة على غير المتعارف جعل[3] بالادعاء أفراد جنس المُتكإ نوعين، على نحو قوله[4]:

** .... ** تحية بينهم ضرب وجميع **

فالمعنى إن صحّ أن تكون النارُ متّكأً، فإن المتكأ ذاك.

قوله : [إني أرقت][5] سهرت (والصاب) شجرة لها لبن، إذا أصاب العين خلبها. الجوهري[6] : [الصاب عصارة شجر مرّ].

قوله : ((وتنكير أساور))[7] الراغب[8] : [سوار المرأة معرب، وأصله دِسْتِوَاره، وكيف ما كان فقد استعملته العرب، واشتق منه سَوَّرْت الجارية، قال تعالى : ﴿ فلولا

---

(١) قال (ز) : ((وهذا لمشاكلة قوله : ﴿ وحسنت مرتفقا ﴾ في الآية الآتية ((وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتّكاء إلا أن تكون من باب قوله أبي ذؤيب الهذلي)) ديوان الهذليين ١٠٤/١ :

** إني أرقتُ فبتُّ الليل مرتفقاً ** كأن عيني فيها الصابُ مذبوح **

(٢) المشاكلة (هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً) الإيضاح ٤٩٣.

(٣) وجعل في ت ، ب

(٤) قول الشاعر : هو عمرو بن معد يكرب . وأوله :

** وخيل قد دلفت لها بخيل ** تحيّة بينهم ضرب وجيع **

انظر مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف ٧١٩/٢

(٥) ما بين القوسين س من ت ، ب.

(٦) الجوهري ١٦٦/١ مادة (صوب) . القاموس : شجر مرّ جمع صاب.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً . أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾ الآية ٣٠-٣١.

(٨) الراغب في مفرداته ٢٤٧ مادة (سور).

ألقي إليه أسورة من ذهب ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وحلّوا أساور مـن فضـة ﴾[2] واسـتعمال أسورة في الذهب وتخصيصها به بقوله : ﴿ ألقي ﴾ واسـتعمالها في الفضـة وتخصيصهـا بـه بقوله : ﴿ حلوا ﴾ فائدة فليتأمل.

قوله : ((عبد ا لله بن عبد الأشد))[3] بالسين المعجمة. وفي الجامع : هو أبو سـلمة عبد ا لله بن الأسد بن هلال المخزومي الأسـد، بالشـين المهملـة. وفي الإستيعاب[4] : هـو زوج أم سلمة قبل النبي صلى ا لله عليه وسلم.

قوله : ((مؤزّرة بالأشـجار))[5] الأسـاس[6] : [ومـن المجـاز : الـزرع يـؤازر بعضـه بعضاً، إذا تلاحق والْتَفّ وتآزر النبت].

قوله : ((من أمر الشرب)) بيان ما هو أصل الخير الشِّرْبُ يـروى بكسـر الشـين. الجوهري[7] : [شَرِبَ الماء وغيره شُرْباً، وقرئ : ﴿ فشاربون شـرب الهيـم ﴾[8] بـالوجوه الثلاثة . قال أبو عبيدة[9] بالفتح المصدر، وبالضم والكسر اسمـان]. وهـهنا اسـم. وهـذا المعنى ينظر إلى ما قال في البقرة في قوله : ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهـار ﴾[10] ولـو أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكـبرى، وأن الجنـان والريـاض، وإن كـانت أنـق

---

(١) سورة الزخرف الآية ٥٣.

(٢) سورة الإنسان الآية ٢١.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ الآيات ٣٢ إلى ٣٤.

قال (ز) : وقيل : هما مثلٌ لأخوين من بني مخزوم، مؤمـن وهـو أبـو سـلمة ((عبـد ا لله بـن عبـد الأشـد)) وكان زوج أم سلمة قبل رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم . وذكر ذلك أيضاً الإصابة ٣٣٥/٢.

(٤) الإستيعاب لابن عبد البر مع الإصابة ٣٣٨/٢ وهو الصواب . وانظر القرطبي ٣٩٩/١٠.

(٥) قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ وحففناهما بنخل ﴾ أي : جعلنا النخل محيطاً بالجنتين فيجعلوهـا ((مـؤزّرة بالأشجار المثمرة)).

(٦) الأساس للزمخشري ١٥ مادة (أزر).

(٧) الجوهري ١٥٣/١ مادة (شرب).

(٨) سورة الواقعة الآية ٥٥.

(٩) أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي البصري، مولى بني تميم، من تآليفه المجاز في غريب القرآن والأمثال في غريب الحديث. ولد سنة ١١٢ هـ ومات سنة ٢٠٩ . بغية الوعاة ٢٩٤/٢.

(١٠) البقرة الآية ٢٥.

شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس حتى يجري فيها الماء، ثم قوله : ((فجعله أفضل ما يسقى به، وهو السيح بالنهر)) إشارة إلى فائدة تخصيص ذكر النهر وأنه تَتْميمٌ للمعنى، وترتيبه للفائدة المطلوبة.

قوله : ((السيح بالنهر الجاري)) الأساس[1] : [ساح الماء على وجه الأرض سيحاً وماء سائح، وأساح فلان نهراً : أجراه].

قوله : ((لأن (كلتا)[2] لفظه لفظ مفرد، ولو قيل : آتتا على المعنى لجاز)) قال الحريري[3] في درة الغواص : [يقولون : كلا الرجلين خرجا وكلتا المرأتين حضرتا، والاختيار أن يوحد الخبر فيهما، لأن كلتا وكلتي اسمان مفردان وضعتا لتأكيد الاثنين والاثنتين، وبهذا نطق التنزيل : ﴿ كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ وعليه قول الشاعر [4] :

** كلانا ينادي يا براز وبيننا ** قناً من قنا الخطيّ أو من قنا الهندى **

حيث لم يقل : ينادیان. وقال الآخر :

** كلانا غنيٌ عن أخيه حياته ** ونحن إذا متنا أشد تغانيا **[5]

حيث لم يقل : غنيان، فإن وجد في الأشعار تثنية الخبر عن كلا وكلتا فهو مما حمل على المعنى أو لضرورة الشعر.

قوله : ((الدثرة))[6] الأساس[7] : [وهو يتدثّر بالمال وماله دثر، وذهب أهل الدثور بالأجور] النهاية[8] : [الدثر المال الكثير يقع على الواحد والاثنين والجمع].

---

(1) الأساس للزمخشري ٣١٦ مادة (سيح).

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ كلتا الجنتين ﴾ قال (ز) : (كلتا) لفظة ... الخ.

(3) الحريري : القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري البصري الأديب الكبير، صاحب المقامات الحريرية، سماه مقامات أبي زيد السروجي. ومن كتبه درة الغواص في أوهام الخواص المشار لها هنا . طبع بتحقيق أبو الفضل إبراهيم بدار نهضة مصر. ولد سنة ٤٤٦ ومات سنة ٥١٦. الأعلام ١٧٧/٥ . وفيات الأعيان ٤١٩/١.

(4) لم أقف عليه.

(5) البيت للمغيرة بن حبناء التميمي. انظر اللسان مادة (غنا).

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكان له ثمر ﴾ قال (ز) : أي : أنواع من المال ((الدثرة)) من الذهب والفضة وغيرهما.

(7) الأساس ١٨٣ مادة (دثر).

(8) النهاية ١٠٠/٢ مادة (دثر).

قوله : ((من حار يحور إذا رجع))[1] الراغب[2] : [الحور التردّد إما بالذات أو بالتفكر] قوله تعالى : ﴿ انه ظن أن لن يحور ﴾[5] أي : لن يبعث وحار في الغدير تردد فيه، وحار في أمره تحيّر، ومنه المِحْوَرُ للعود الذي تجري عليه البكرة لتردّده، وبهذا النظر قيل : سَيْرُ السواني أبداً لا ينقطع [ومحارة الأذن لظاهره المُنقعِرُ تشبيهاً بمحارة الماء لتردّد الهواء بالصوت فيه، كتردد الماء في المحارة والقوم في محو رأي تردّد إلى نقصان . وقيل : نعوذ با لله من الحور بعد الكور[6] ، أي : من المتردد في الأمر بعد المضي فيه، أو من نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها . وقيل : حار بعد ما كان، والمحاورة والحوار المرادّة في الكلام، ومنه التحاور وكلّمته فما رجع إلى حِوار أو حويراً أو محورة والحور جمع أحور وحوراء][7] .

قوله : ((معناه ودخل ما هو جنته))[8] أي : ما يقال له : إنه جنته. قال القاضي[9]: [المراد ما هو جنته وهو ما مُتّع به من الدنيا تنبيهاً على أنه لا جنّة له غيرها ولا حظّ له في الجنة التي وعد المتقون] والتعريف فيه للعهد الذهني، وما موصولة منصوبة المحل بـ ((دخل)).

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهو يحاوره ﴾ قال (ز) : يراجعه الكلام ((من حار يحور إذا رجع)).

(٢) الراغب في مفرداته ١٣٤ مادة (حور) بلفظ : إما بالتراث أو بالفكر.

(٥) سورة الإنشقاق الآية ١٤.

(٦) جزء من حديث أخرجه مسلم في الحج برقم ١٣٤٣. وابن ماجه ١٢٧٩/٢ . والترمذي في العارضة ٤/١٣ . والنسائي ٢٧٢/٨ من حديث عبد الله بن سرجس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسافراً يقول:اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الأهل والمال.

(٧) ما بين القوسين س من ت ، ب.

(٨) تفسير قوله تعالى : ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ الكهف الآية ٣٥-٣٦. تفسير قوله : ﴿ ودخل جنته ﴾ قال (ز): فإن قلت : لم أفرد الجنة بعد التثنية ؟. قلت : ((معناه : ودخل ما هو جنته)) ماله جنة غيرها، والتثنية في قوله : ﴿ كلتا الجنتين ﴾.

(٩) القاضي البيضاوي ٢٢٤/٣.

قوله : ((ما له جنة غيرها)) الجملة مؤكدة لمعنى الأولى لأنه إذا كـان جنـس جنتـه هذا لا يكون له غيرها . قال صاحب الفرائد : [هناك القصد إلى أن له كـذا وكـذا، فـلا بدّ من ذكر الثنتين، وما كان بينهما وما يضاف إليهما، وهـهنا القصد إلى انه قـال وقـت الدخول ما لا ينبغي له أن يقول، فلا افتقار إلى ذكر التثنية، بل يكتفي بما يدّل على جنس ما كان له، فالواحد والتثنية سواء بهـذا الاعتبـار. وقـال القـاضي[1] : [ويجـوز أن تكـون الجنتان لاتصال كلّ واحدة من جنتيه بالأخرى كجنّة واحدة، أو يكون الدخـول واحـدة واحدة].

قوله : ((وهو ظالم لنفســه)) وهـو معجـب بمـا أوتـي مفتخـر بـه)) قـال صـاحـب الفرائد : [هو ناقص لنفسه، لأن من كفر النعمة نقص نفسه باعتبار أن[2] الكفران يوجـب فقدان النعمة ، فكأن نفسه منقوصـة أو لأن الكفـران مـؤدّ إلى الهـلاك كقولـه : ﴿ ولئـن كفـرتم إن عذابـي لشـديد ﴾[3]، وقلـت : مـراد المصنـف أن معنـى قولـه تعـالى : ﴿ ظـالم لنـفسه ﴾ محمول على معنى الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه، وكان من موجـب دخول جنته ونظره أرضاً جامعةً للأقوات والفواكة مع الشكل الحسن والـترتيب الأنيـق، كما وصفه ا لله تعالى أن يتواضع لله ويشـكره علـى ذلـك بمـا يسـتطيع مـن بـذل الجهـد واسـتفراغ الطـوق، فوضـع مكـان الشـكر والتواضـع الاعجـاب والافتخـار والكفـران، فعرّض بذلك نفسه لسخط ا لله، وغاية الهوان والنكال كقوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكـم أنكم تكذبون ﴾[4] أي تجعلون شكر رزقكم التكذيـب، أي : وضعتـم التكذيـب موضـع الشكر[5] .

---

(1) القاضي البيضاوي ٣/٢٢٤ بتصرف قليل.

(2) في م باعتبار الكفران.

(3) سورة إبراهيم الآية ٧.

(4) سورة الواقعة الآية ٨٢.

(5) ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة فصلت الآية ٥٠ : ﴿ ولئن إذقناه رحمة منا مـن بعـد ضـراء مسـتة ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾.

قوله : ((في بَيْدُودَةِ جنّته))[1] الجوهري[2] : [باد الشيء يبيد بيداً وبُيُوداً : هلك].

قوله : ((﴿ ولئن رددت إلى ربي ﴾ إقسام منه)) أي : اللام موطئة للقسم.

قوله : ((﴿ لأوتين مالاً وولداً ﴾ يريد أن هذا القول يشبه قوله العاص بن وائل حين تقاضاه خبّاب مالاً له عليه، فقال له : لا حتى تكفر بمحمد. قال : لا وا لله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميّتاً ولا حين تبعث . قال : فإني إذا متّ بعثتُ . قلت : نعم. قال : فإذا بعثت جئني فيكون لي ثم مالٌ وولدٌ فأعطيك[3] .

قوله : ((وقرئ خيراً منهما))[4] نافع وابن عامر.

قوله : ((جعله كافراً با لله))[5] أي : جعل صاحبه كافراً با لله بقوله:﴿ أكفرت ﴾ لأجل شكّه في البعث حيث قال : ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ لأن منشأه الشك في كمال قدرة ا لله[6] وفي كونه عالماً بالحركات كما يلزم من تكذيب المُرسَل[7] الكفر بالمرسِل، وفيه تغليظ إنكار الحشر . قال القاضي[8] : [وكذلك رتّب الإنكار على خلقه إياه من التراب فإن من قدر على ما خلقه منه قدر أن يعيده منه] وقلت : إنما قرن المصنف قوله : ((جاحداً لأنعمه)) بقوله : ((كافراً با لله)) ليؤذن بأن قوله:﴿ أكفرت

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴾ قال (ز) : إخباره عن نفسه بالشكّ ((في بيْدُودة جنته)) لطول أمله واستيلاء الحرص عليه.

(٢) الجوهري في صحاحه ٢/٤٥٠ مادة (بيد)

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ٣٤٩ والطبري ٩١/١٦ والقرطبي ١٤٥/١١ والوسيط للواحدي ١٩٤/٣ والدر المنثور ٥٣٦/٥ نحوه.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر : ﴿ خيراً منهما ﴾ على التثنية، وعود الضمير إلى الجنتين، وعليه مصاحفهم، ووافقهم ابن محيصن، والباقون على الإفراد : ﴿ خيراً منها ﴾ وعود الضمير إلى الجنة المدخولة. وهي واحدة، وعليه مصاحف الكوفة والبصرة . الإتحاف ٢٩٠.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ﴾ الكهف الآية ٣٧.

(٦) في قدرة ا لله في م.

(٧) الرسل في م.

(٨) القاضي البيضاوي ٢٢٥/٣.

بالذي خلقك ﴾ ردّ لقوله : ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ ولدخوله ظالماً لنفسه واضعاً موضع الشكر الافتخار والإعجاب كما سبق، فجعل أكَفَرتَ متسعملاً في الكفر با لله وكفران النعمة لكونهما متوافقين كقوله تعالى : ﴿ إن ا لله وملائكته يصلون على النبي ﴾[1] أو في المقدّر المشترك[2] والتغطية، فكما أن كافر النعمة يحاول في ستر ما يوجب الإشادة والظهور من النعم، كذلك الكافر يزاول في لبس الحقّ بالباطل. وقوله: ((لشكّه في البعث)) يجوز أن يكون تعليلاً لجعله كافراً با لله، وأن يكون له ولقوله جاحدا لأنعمه، لأن في الإعادة نعمة للمؤمنين، وأي نعمة ليست فوقها نعمة.

قوله : ((﴿ لكنا هو ا لله ربي ﴾ أصله لكن أنا[3] . قال صاحب التيسير[4] : [قرأ ابن عامر ﴿ لكنّا ﴾ بإثبات الألف في الوصل، والباقون بحذفها فيه، وإثباتها في الوقف اجماع] وقال ابن جني[5] : [قرأ أبي بن كعب والحسن ﴿ لكنْ أنا ﴾ وهي أصل قراءة أبي عمرو وغيره، ﴿ لكنا هو ا لله ربي ﴾ فخفّفت همزة (أنا) بأن حذفت وألقيت حركتها على ما قبلها فصارت (لكِنَنَا) ثم التقت النونان متحركتين فأُسكنت الأولى وأدغمت في الثانية فصارت ﴿ لكنّ ﴾ في الإدراج، فإذا وقفت ألحقت الألف لبيان الحركة،فقلت ﴿ لكنّا ﴾ فـ (أنا) على هذا مرفوع بالابتداء، وخبره الجملة، وهي مركبة من مبتدإ وخبر، فالمبتدأ[6] (ا لله) والخبر (ربّي) والجملة خبرها (هو)، و (هو) وما بعده من الجملة خبر عن (أنا) والعائد عليه من الجملة بعده الياء في (ربي) كقولك : أنا قام غلامي. فإن قلت : فما العائد على (هو) من الجملة بعده التي هي خبر عنه ؟] قلت : لا عائد على المبتدإ أبداً إذا كان ضمير الشأن والقصّة، لأن المبتدأ إنما احتاج إلى العائد من الخبر إذا

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٦.

(٢) المشترك (وهو الستر) في ت وهو الصواب.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ لكنّا هو ا لله ربي ولا أشرك بربي أحداً ﴾.

(٤) التيسير لأبي عمرو الداني في القراآت السبع ١٤٣.

(٥) ابن جني في المحتسب ٢/٢٩.

(٦) في الأصل – أعني المحتسب لابن جني – [فالمبتدأ (هو) وهو ضمير الشأن والحديث . والجملة بعده خبر عنه، وهي مركبة من مبتدإ وخبر] فالمبتدأ (ا لله) ففي بعض نسخ المحتسب ما بين القوسين س، وهو الذي درج عليه الطيبي رحمه ا لله . أفاده المعلق.

كانت جملة لأنها ليست هي المبتدأ، نحو زيد قائم أبوه، لأن (زيداً) ليس بقولك : (قائم أبوه) في المعنى فأحتاجت إلى عود ضمير منها عليه ليلتبس ذلك الضمير بجملته . وأما ما نحن بصدده فهو الجملة نفسها نفسها.

قوله : ((** وترمينني بالطرف ...البيت[1] تقلينني)) أي تبغضينني. قيل : لكن وجهه أن يكون أصله (لكنه إياك) على أن الضمير للشأن، ثم حذف . ولو قيل : إن الأصل (لكنّني إياك)، ثم حذف اسم (لكن) وهو ضمير المتكلم مع نون الوقاية لكان وجيهاً .

قوله : ((وترمينني بالطرف)) الأساس[2] : [ومن المجاز : رماه بعينه ورماه بالفاحشة].

قوله : أي لكن أنا لا أقليك[3] . يريد أن إياك ليس منصوباً لكن وهو ضمير مفعول قدّم على عامله، إما للإختصاص أو القافية.

قوله : ((وقرئ ﴿ لكنْ هُو الله ربي ﴾)) قال ابن جني[4] : قراءة عيسى الثقفي[5]، وهو ضمير الشأن، والجملة بعده خبر عنه.

قوله : ((أنت كافر بالله لكني مؤمن موّحد)) هذا تلخيص الكلامين المتغايرين لتصحيح إدخال (لكن) بينهما، وأما اعتبار مفردات التركيب فمفَوَّضٌ إلى الذهن، فقوله : ﴿ الذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً ﴾ مقابل لقوله هو الله الذي[6] ربّي، وقوله : ﴿ أكفرت ﴾ مقابل لقوله : ﴿ ولا أشرك بربّي أحداً ﴾ دلّ هذا على التوحيد الصِرْف والإخلاص التام.

---

(١) وتمامه :

** وترمينني بالطرف أي أنتَ مُذنبٌ ** وتقْلينني لكنَّ إياكِ لا أقلي **

انظر مشاهد الانصاف على مشاهد الكشاف ٧٢٢/٢.

(٢) الأساس للزمخشري ٢٥٤ مادة (رمى)

(٣) أي : لا أبغضك، ومنه قوله في سورة الضحى الآية ٣ : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ وقوله في سورة الشعراء الآية ١٦٨ : ﴿ إني لعملكم من القالين ﴾.

(٤) ابن جني في المحتسب ٢٩/٢.

(٥) عيسى الثقفي، هو عيسى بن مروان الثقفي النحوي البصري، مؤلف الجامع والإكمال . مات سنة ١٤٩ . طبقات القراء لابن الجزري ٦١٣/١.

(٦) (الذي) س من ت ، ب.

قوله : ((أو شرطية منصوبة الموضع))[1] قال أبو البقاء[2] : [هي شرطية في موضع نصب بـ (شاء) والجواب محذوف، أي : ما شاء الله كان].

قوله : ((ونظيرها)) أي نظير ما الشرطية في حذف الجواب لفظة (لو) في تلك الآية[3] فنظيرها مبتدأ والخبر (لو).

قوله : ((والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب))[4] قال صاحب الفرائد : [هو مصدر بمعنى اسم المفعول، أي : شيئاً مما يعدّ، أي : يدخل في الحساب ويعتدّ به، من أنواع العذاب المرتبة على (الكفر)[5] المتوقع أن يقع بسبب الكفر. الراغب[6] : [حسباناً ناراً وعذاباً، وإنما هو في الحقيقة ما يحاسب عليه ، فيجازى بحسبه].

قوله : ((يزلق عليها لملامستها))[7] الراغب[8] : [الزلق والزلل متقاربان. قال تعالى : ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ أي : دحضاً لا نبات فيه، كقوله تعالى : ﴿ فتركه صلداً ﴾[9] يقال : زلقه وأزلقه فَزَلَقَ، قال تعالى : ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك ﴾[10] وذلك كقول الشاعر :

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن إنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً ﴾ الكهف الآية ٣٩-٤٠.

قال (ز) في إعراب قوله : ﴿ ما شاء الله ﴾ : يجوز أن تكون (ما) موصولة، خبر مبتدأ محذوف ((أو شرطية ... الخ)).

(٢) أبو البقاء في إملائه ١٠٣/٢ مع ذكره الإعرابين، الابتداء والشرطية.

(٣) يعني قوله تعالى في سورة الرعد الآية ٣١ : ﴿ ولو أن قرآناً سيرت به الجبال ... الآية ﴾.

(٤) تفسير قوله : ﴿ حسباناً من السماء ﴾

(٥) الأمر في م.

(٦) الراغب في مفرداته ١١٦ مادة (حسب).

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ صعيداً زلقاً ﴾ قال (ز) : أرضاً بيضاء ((يزلق عليها لملامستها)).

(٨) الراغب في مفرداته ٢١٥ مادة (زلق).

(٩) سورة البقرة الآية ٢٦٤.

(١٠) سورة القلم الآية ٥١.

** .... ** نظرا يُزيل مواطئ الأقدام **[1]

قال يونس : لم يسمع الزلق والإزلاق إلا في القرآن، وروى أن أبي بن كعب قرأ : ﴿ وأزْلَفنا ثم الآخرين ﴾[2] أي : أهلكنا].

قوله : ((ظهراً لبطن))[3] الأساس[4] : [قلّبت الأمر ظهراً لبطنٍ] قال عمر بن ربيعة[5] :

** وضربنا الحديث ظهراً لِبطنٍ ** وأتينا من أمرنا ما اشتهينا **

نصب (ظهراً لبطن) على أنه مفعول مطلق، أي : يقلب كفّيه تقليباً.

قوله : ((ولم يكن بالياء والتاء))[6] حمزة والكسائي بالياء التحتاني، والباقون بالتاء.

قوله : ((وحمل ﴿ ينصرونه ﴾ على المعنى)) لأن الفئة ناس وجماعة، ولو كان ﴿ تنصرونه ﴾ بالتاء الفوقانية لكان حملاً على اللفظ، والاستشهاد بقوله : ﴿ فئة تقاتل ﴾[7] بالتاء الفوقانية، لأجل الحمل على اللفظ.

---

(١) وتمامه :

** يتقارضون إذا التقوا في موطن ** نظراً يزيل مواطئ الأقدام **

ولم أهتد إلى قائله، وهو في اللسان مادة (زلق) والموازنة للآمدي ٣٨.

(٢) قرأ بها أبي وابن عباس . شواذ القرآن ١٠٧.

(٣) تفسير قوله : ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك بربي أحداً . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ﴾ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ يقلب كفيه ﴾ : وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر، لأن النادم يقلب كفيه ((ظهراً لبطنٍ)).

(٤) الأساس للزمخشري ٥١٨ مادة (قلب).

(٥) عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي أبو الخطاب، أرق شعراء عصره. من طبقة جرير والفرزدق، ولد ليلة مات عمر بن الخطاب، مات سنة ٩٣ . الأغاني ٦١/١.

(٦) قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ ولم يكن ﴾ بالياء على التذكير، لأن تأنيث (فئة) مجازي، ووافقهم الأعمش. والباقون بالتاء على التأنيث . الإتحاف ٢٩٠.

(٧) سورة آل عمران الآية ١٣.

قوله : ((معناه يقدرون على نصرته))[1] قال صاحب الفرائد : [وضع ينصرون موضع يقدرون، وضع الملزوم موضع اللازم، وهو من باب المجاز. وترك الحقيقة إلى المجاز لا يجوز إلا بقرينة، وهو ههنا ﴿ من دون الله ﴾ لأن حاصل من دون الله : إلا الله، فكأنه قيل : لا ينصره أحد إلا الله، وهو كقولك : لم ينصرني أحد من دون زيد، يُفْهَمُ منه أن زيداً ينصرك، ولمّا لم ينصره الله علم أن المراد من النصرة القدرة عليه. وقلت : نظيره قوله تعالى : ﴿ إنا كنا فاعلين ﴾[2] أي : قادرين.

وقوله : ((﴿ إذا قرأت القرآن فاستعذ ﴾[3] أي : إذا أردت القرآءة فاستعذ لأن الفعل يوجد بقدرة الفاعل تارة وأخرى بإرادته، فهو من إطلاق المسبّب على السبب.

قوله : ((وهو استيجابه أن يخذل))[4] معناه : أنه تعالى أوجب على نفسه خذلانه، بناء على مذهبه، اللهم إلا أن يقال : الإيجاب بمعنى الوعد، وفيه دليل أن قوله : ﴿ ياليتني لم أشرك بربي أحداً ﴾ لم تصدر عنه توبة وندماً، نعم يجوز أن يقال : إن تلك التوبة كانت عنده مشاهدة اليأس.

قوله : ((وقد قرئ بهما))[5] بالكسرة حمزة والكسائي، والباقون بالفتح.

قوله : ((يعني أن قوله : ﴿ ياليتني ﴾ كلمة أُلجئ إليها، فقالها، تلخيص لما حصل من تفسيره لقوله : ﴿ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ﴾ وجعل قوله : ﴿ هنالك الولاية لله الحق ﴾ تقديراً له، بعد سبق ذكر قوله تعالى : ﴿ يا ليتني لم أشرك بربي أحداً ﴾ يعني : لما رأى ألا ناصر هناك إلا الله، وهو قد خذله، قالها جزعاً مما

---

(١) تفسير قوله : ﴿ ينصرونه من دون الله ﴾ قال (ز) : ((معناه ... الخ))

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٧.

(٣) سورة النحل الآية ٩٨.

(٤) هذا بناء على مذهبه الإعتزالي، وأهل السنة لا يرون الوجوب على الله، وإنما يفعل لعباده تكرماً منه، لا إيجاباً عليه.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾ الكهف الآية ٤٤. قال (ز) : ﴿ الولاية ﴾ بالفتح النصرة والتولي، وبالكسر السلطان والملك ((وقرئ بهما)) .

قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ الوِلاية ﴾ بكسر الواو. والباقون بالفتح . الإتحاف ٢٩٠.

دهاه، وهذا مؤذن بأن قولـه : ﴿ ولم تكـن لـه فئـة ينصرونـه مـن دون الله ﴾ إلى قولـه : ﴿ هنالك الولاية ﴾ إمـا حـال مـن فـاعل يقـول أوعطـف علـى يقـول، وإيـذان بحصـول مضمون الجملتين، وبعث للسامع على التفكّر واستنباط الرتب بينهمـا، ويجـوز أن يتعلـق قوله : يعني بالوجه الأخير والظاهر أنه متعلق بالوجوه الثلاثة المبنيّة على معنى الولاية مـن النصرة والتولي والسلطان والملك على سبيل اللف والنشر، فلمّا فرغ مـن ذلـك أتـى بمـا يجمعها من المعنى، يعني إنما قال ذلك الخاسر النادم[١] : ﴿ ياليتني لم أشرك بربـي أحـداً ﴾ لّما رأى ألا ناصر أولا متولّي أو لا مانع له هنالك. الراغب[٢] : [الولي كون الشـيء بجنـب الآخر، ويعتبر ذلك تارة بالمكان، فيقال : له الولاية، وتارة بـالنصرة، فيقـال : لـه الولايـة والموالاة، لكن الولاء على ضربين : ضرب باعتبـار نسـبة الأعلـى إلى الأسـفل، وضـرب باعتبار نسبة الأسفل إلى الأعلى، ولهذا يقـال للخـادم والمخـدوم : مـولى ووليّ، لأن كـل واحد منهما موالي الآخر، الخـادم بالطاعـة والنصيحـة، والمخـدوم بالإشـفاق والكفايـة . وقال أهل اللغة : المولى المالك والمملـوك والمعتِقُ والمعتَـق والنـاصر والمنصـور وابـن العـمّ والحليف والجار والقيّم، فاعتبروا في كل ذلك المتضايفين لكون كل واحد منهمـا [مواليـاً للآخر بوجه][٣] .

قوله : ((ويجوز أن يكون المعنى)) هذا معنى آخـر متفـرّع علـى معنـى الولايـة إذا كانت بمعنى النصرة، مـن قولـك : انتصـر منـه إذا انتقـم منـه، ويؤيـد بهـذا الوجـه قولـه تعالى : ﴿ هو خير ثواباً وخير عقباً ﴾[٤] وذلك أن صاحبـه لّمـا افتخـر وتعـزز عليـه بالمـال والبنين وكفر با لله وبالبعث، وأجابه بما أجاب، ثم ختم بقوله : ﴿ فعسى ربي أن يؤتيـني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء ﴾ صـدّق الله قولَـه بـأن أحـاط بثمـره وتركه مخذولاً مقهوراً، وشـفى صـدره. والتشـفي مـن أعـداء الديـن خـير مـن الخـيرات، وموهبـة مـن المواهـب، فيكـون موقـع ﴿ هنـالك الولايـة لله ﴾ ممـا سـبق، موقـع قولـه :

---

(١) الدامر في ت و ب.

(٢) الراغب في مفرداته ٥٣٣ مادة (ولي) باختصار وتصرف.

(٣) ما بين القوسين س من م.

(٤) سورة الكهف الآية ٤٤.

﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾[1] من قوله : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾ فهما كالتذييلان، لأن معناهما يلتقيان في التشفي من أعداء[2] الدين، ولذلك قال هناك : هو إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجلّ النعم وأجزل القسم. وقال هنا ﴿ هنالك الولاية لله ﴾ ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم.

قوله : ((وقرئ ﴿ الحق ﴾[3] بالرفع والجر أبوعمرو والكسائي بالرفع. والباقون بالجر.

قوله : ((وكان عمرو بن عبيد[4] من أفصح الناس وأنصحهم))[5] الانتصاف[6]: [قد تقدم الإنكار عليه في ذكر ما يوهم أن القراءة موكولة إلى رأي الفصحاء، ولا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه ورواه متصلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم مخبراً عن إنزاله من السماء، فلا وجه لفصاحة الفصيح، ولكن الزمخشري لا يُفوِّت الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة عمرو بن عبيد فإنه من كبار المعتزلة] ذكر الإمام مسلم[7] بن الحجاج في صحيحه : [أن سلام بن أبي مطيع[8] يقول : بلغ أيوب[9] أني آتي عمرو بن عبيد، فأقبل

---

(1) سورة الزمر الآية ٥٧.

(2) عند أعداء في ت.

(3) قرأ ﴿ الحق ﴾ بالرفع أبو عمرو والكسائي ووافقهم اليزيدي، إما صفة (للولاية) أو خبر مبتدإ محذوف، والباقون بالجر صفة (لله) . الإتحاف ٢٩٠.

(٤) عمرو بن عبيد القدري كبير المعتزلة، الزاهد، أخذ عن أبي العالية والحسن البصري وعنه ابن عيينه، ويحي بن سعيد القطلان. قال النسائي : ليس بثقة. قال ابن علية : أول من تكلم في الاعتزال . واغتر بعض الناس بزهده، مات سنة ١٤٤هـ . سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦.

(5) يشير إلى قول (ز) حيث قال : وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب لقوله : ﴿ الحقَّ ﴾ على التأكيد.

(6) الإنتصاف مع الكشاف ٧٢٥/٢.

(7) مسلم في صحيحه المقدمة ٢٣/١ باب بيان أن الإسناد من الدين الخ.

(8) سلام بن أبي مطيع الإمام الثقة القدوة، أبو سعيد الخزاعي البصري، روى عن قتادة. وعنه ابن المبارك. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٢٨/٧ . خرّج له البخاري ومسلم.

(9) أيوب بن أبي تميمة أبو بكر السختياني البصري، من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً وفضلاً وورعاً انظر ترجمته في رجال صحيح مسلم ٦٢/١.

عليّ يوماً فقال : أرأيت رجلاً لا تأمنه على دينه، كيف تأمنه على الحديث ؟] قال الشيخ محي الدين في شرحه[1] : [أما عمرو بن عبيد فهو القدري المعتزلي الذي كان صاحب الحسن البصري] قال مسلم[2] : أيضاً كان عمرو بن عبيد يكذب في الحديث. قال : قيل لأيوب : إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن قال : لا يجلد السكران من النبيذ. فقال : كذب. أنا سمعت الحسن يقول : يجلد السكران من النبيذ].

قوله ((وقرئ ﴿ عقُبا ﴾ بضم القاف))[3] عاصم وحمزة بالإسكان، والباقون بالضم. الراغب[4] : [العقب : مؤخر الرجل. وقيل : عَقْبٌ وجمعه أعقاب، واستعير العقب للولد . ولولد الولد، ورجع على عقبه إذا انثنى راجعاً وانقلب على عقبه، نحو رجع على حافرته ونحو : ﴿ ارتدّا على آثارهما ﴾[5] وعقبه إذا تلاه نحو دبره. وقفاه والعُقْبُ والعُقْبى يختصان بالثواب نحو : ﴿ هو خير ثواباً وخيرا عقباً ﴾[5] وقال تعالى : ﴿ أولئك لهم عقبى الدار ﴾[6] ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾[7] ، والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب نحو : ﴿ والعاقبة للمتقين ﴾[8] وبالإضافة قد يستعمل في العقوبة كقوله تعالى : ﴿ فكان عاقبتهما أنهما في النار ﴾[9] فيصح أن يكون ذلك استعارة من ضدّه كقوله تعالى : ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾[10] والعقوبة والعقاب والمعاقبة يختصُّ بالعذاب].

---

(١) المراد بالشيخ محي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم ١٠٩/١.

(٢) المرجع السابق ١٠٨/١-١١٠.

(٣) قرأ ﴿ عُقْباً ﴾ بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف . وضمها الباقون . الإتحاف ٢٩١.

(٤) الراغب في مفرداته ٣٤٠ مادة (عقب).

(٥) سورة الكهف الآية ٦٤.

(٥) سورة الكهف الآية ٤٤.

(٦) سورة الرعد الآية ٢٢.

(٧) سورة الرعد الآية ٢٤.

(٨) سورة القصص الآية ٨٣.

(٩) سورة الحشر الآية ١٧.

(١٠) سورة آل عمران الآية ٢١.

قوله : ((نَجَعَ في النبات))[1] الأساس[2] : [نَجَعَ فيه الدواء نفعه، وماء نَجُوعٌ نميرٌ].

قوله : ((ورفّ رفيفاً)) الأساس[3] : [رف النبات يرفُّ وله وريف ورفيف، وهو أن يهتزّ نضارة وتلألؤا].

قوله : ((ووجه صحّته أن كل مختلطين موصوف كلّ واحد منهما بصفة صاحبه . قال صاحب الفرائد : [حقّ اللفظ كما ذكره الله تعالى، لأن النبات هو المختلط، لأن الفعل من جهته إذ هو الجاذب للماء، ولا فعل من جهة الماء يعرف بالتأمل فيقال : إن المصنف في صدد تأويل قول القائل : نجع في النبات الماء بدليل قوله : هذا على التفسير، وللماء أيضاً فعل لسريانه في النامي للطافته فعل[4] ولا نسلم أن نفس الجذب الإختلاط، لأن الاختلاط من الجانبين . فإن قلت : الماء النازل من السماء إنّما يخلط الأرض وأصل النبات، لا النبات، لأنه ينبت به جزءاً منه . قلت : للماء مع النامي أطوار. ففي الطّور الأول يخلط الأرض وأصل النبات، ثم يختلط بالنبات فيصبح مخضرّاً رفيفاً، كما أشار إليه المصنف، ثم يخرج منه الحبّ، كما قال تعالى امْتِناناً : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماءاً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبّا متراكباً ... الآية ﴾[5] والذي له سوق الكلام، هو الطور الثاني، لأن القصد تشبيه حياة الدنيا في حُسْنها وبهجتها في بدء الأمر باخضرار النبات وغضارتها[6] وأخذ الأرض زخرفها وزينتها، ثم استئصالها في العاقبة، فلا يدخل في الكلام الطور الأول ولا الثالث، والتشبيه مختصر مما في سورة يونس : ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا ... إلى آخر الآية ﴾[7] الراغب[8] : [الخلط هو الجمع بين أجزاء الشيئين فصاعدا، سواء كانا مائعين أو جامدين أو مختلفين، وهو أعم من

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً ﴾ قال (ز) : ﴿ فاختلط به نبات الأرض ﴾ فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً ((وقيل نجع في النبات)) الماء فاختلط به حتى روى ((ورفّ رفيفاً)).

(٢) الأساس للزمخشري ٦٢٠ مادة (نجع).

(٣) الأساس ٢٦٢ مادة (رفف).

(٤) (فعل) س من ت، ب وهو الصواب، إذ لا معنى له.

(٥) سورة الأنعام الآية ٩٩.

(٦) وغضارته في م وهو الصواب، لأن الضمير راجع للنبات.

(٧) سورة يونس الآية ٢٤.

(٨) الراغب في مفرداته ١٥٥ مادة (خلط) مع تصرف

المزج، ويقال : اختلط الشيء. قال تعالى : ﴿ فاختلط به نبات الأرض ﴾(1) ويقال للصديق والمجاور والشريك : خليط، والخليط يقال للواحد والجمع، ويقال : أخلط فلان في كلامه إذا صار ذا تخليط فيه، وأخلط الفرسُ في جريه كذلك، وهو كناية عن تقصيره فيه].

قوله : ((وقرئ ﴿ تذروه الريح ﴾))(2) حمزة والكسائي.

قوله : (وارِفاً))(3) الأساس(4) : [ورَف النبات وَرِيفاً، فهو وارف له بهجة من الرّيّ].

قوله : ((ثم يهيج)) الجوهري(5) : [هاج النبت هياجاً أي : يبس].

قوله : ((وتفْنى عنه كل ما يطمح إليه))(6) قيل : هو حال، والظاهر العطف على تبقى لمجيء الواو في المضارع المثبت، أي : تبقى ثمرتها له، ويفنى غيرها عنه وكل ما يطمح إليه كأنه عرف الباقيات بالصفة الكاشفة، أي هي أعمال يبقى ثوابها للإنسان بعد فناء كل ما رجا منه الحظوظ، لأن البقية تقتضي ما يفضل عنه، كقوله تعالى : ﴿ بقية الله خير لكم ﴾(7) قال : ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزّه عما هو حرام عليكم، خير لكم.

---

(1) سورة يونس الآية ٢٤.

(2) قرأ : ﴿ تذروه الرِّيح ﴾ بالتوحيد حمزة والكسائي وخلف، والباقون بالجمع . الإتحاف ٢٩١.

(3) قال (ز) : شبّه حال الدنيا في نضارتها وبهجتها، وما يعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر ((وارفاً ثم يهيج)) فتطيره الرياح كأن لم يكن.

(4) الأساس ٦٧٢ مادة (ورف).

(5) الجوهري في صحاحه ٣٥٢/١ مادة (هيج).

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ الكهف الآية ٤٦.

قال (ز) في تفسير : ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ : أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان ((ويفنى عنه كل ما تطمح إليه)) نفسه من حظوظ الدنيا.

(7) سورة هود الآية ٨٦.

وقريب منه ما روينا عن مسلم[1] والترمذي والنسائي عن عبد ا لله بن الشّخير عن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (يقول ابن آدم : مالي مالي، وهل لك يا ابـن آدم مـن مـالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) أي : فأبقيت.

قولـه : ((وقيـل : سـبحان ا لله والحمـد لله ولا إلـه إلا ا لله وا لله أكـبر))[2] روى أحمد[3] بن حنبل في مسنده عن النعمان بن بشير عن رسول ا لله صلى ا لله عليـه وسـلم : ألا وإن سبحان ا لله والحمد لله ولا إله إلا ا لله وا لله أكبر هُنّ الباقيات الصالحات، ونحوه رواه مالك بن انس[4] عن ابن المسيب. أقول والعلم عند ا لله تعالى : لعله صلوات ا لله عليه خص هذه الكلمات بالباقيات الصالحات لكونها جامعات للامهات، فالتسبيح تقديس لذاته عمّا لا يليق بجلاله وتنزيه لصفاته من[5] النقائص . والتحميد مشتمل علـى معنى الفضل والإفضال المؤذنان بالصفات الذاتية والإضافية بعد السلبية . والتهليل توحيد الذات ونفي الضد والندّ، وتنبيه على التبرئ عن الحول والقـوة إلا بـه . والتكبير اعتراف بالقصور في الأفعال والأقوال، قال : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علـى نفسك، وفي هذا التدرج (لمعة)[6] من معنى العروج للسالك العارف، ولهذه الأسـرار ورد عن الصادق المصدوق : لقيت ليلة أسري بي إبراهيم فقال : يا محمد : اقرئ أمتـك منّـي السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سـبحان ا لله والحمـد لله ولا إلـه إلا ا لله وا لله أكـبر. أخرجـه الـترمذي[7] عـن ابـن مسـعود . ثـم أنـه سبحانه وتعالى قابل بالباقيات الصالحات، الفانيات الزائلات، أعني ﴿ واضرب لهم مثل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٧٢/٤ كتاب الزهد والرقائق برقم ٢٩٥٨ . والترمذي ٤٩٤/٤ كتاب الزهد، باب ٣١ برقم ٢٣٤٢ ، ٣٣٥٤ . والنسائي ٢٣٨/٦ . وأحمد في مسنده ٢٤/٤، ٢٦ . والحاكم ٥٣٤/٢ ، ٣٢٢/٤ . والبغوي برقم ٤٠٥٥

(٢) تفسير قوله : ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٦/٤ من حديث النعمان بن بشير . وأيضاً من حديث عثمان بن عفان.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١٦٦/١٥ وانظر ابن كثير ١٥٨/٥.

(٥) عن في م.

(٦) لمحة في م وهو الصواب.

(٧) أخرجه الترمذي ٤٧٦/٥ كتاب الدعوات، باب ٥٩ رقم ٣٤٦٢.

الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ... الآية ﴾[1] وخص منها ما (هـو العمـدة فيهـا)[2] وتحصل منه تزيين المجالس والتفاخر في المحافل بالمال والبنين، ألا ترى إلى أحـد الرجلين في القصة السابقة وقوله : ﴿ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ﴾ وفيه تلويح إلى بيان النظـم، فإن قوله : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ... الآية ﴾ ينظر إلى قوله : ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين ﴾ إلى قوله : ﴿ فتصبح صعيداً زلقاً ﴾ [في معنى اجتماعهما على الإبتداء المبهج والانتهاء المثمر للجنة][3] وكذا ما قوبل به هذه (الآية)[4] مـن الباقيـات الصالحـات خبر مقارب لما قوبل به تلك الآية بقوله : ﴿ لكناً هو الله ربي ولا أشـرك بربـي أحـداً ﴾ وقوله : ﴿ فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ﴾.

قوله : ((وقرئ : ﴿ نُسَيِّر ﴾[5] من سيرت))[6] قرأ الكوفيـون ونافع ﴿ نُسَيِّر ﴾ بضم النون وكسـر اليـاء، و ﴿ الجبـالَ ﴾ بـالنصب، والبـاقون بالتـاء وفتـح اليـاء ورفـع ﴿ الجبالُ ﴾ . و ﴿ تسير ﴾ بفتح التاء شاذة[7] .

قوله : ((﴿ وحشرناهم ﴾ وجمعناهم إلى الموقف)) الراغب[8] : [الحشـر : إخـراج الجماعة عن مقرّهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، ورُوِيَ النسـاء[9] لا يُحْشَرن، أي :

---

(1) سورة يونس الآية ٢٤.

(2) ما بين القوسين س من م.

(3) ما بين القوسين س من م.

(4) ما بين القوسين س من ت.

(5) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر : ﴿ تُسَيَّرُ الجبالُ ﴾ بالبناء للمفعول، و ﴿ الجبالُ ﴾ نائب فـاعل . والكوفيون ونافع ﴿ نُسَيِّرُ ﴾ بنون العظمة، مضمومة، وفتح السين وكسر الياء مشدّدة، و ﴿ الجبـالَ ﴾ بـالنصب، مفعول به. الإتحاف ٢٩١.

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم نسـير الجبـال وترى الأرض بـارزة وحشـرناهم فلـم نغـادر منهـم أحـداً . وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعـداً ﴾ الكهـف الآيـة ٤٨.

(7) وعن ابن محيصن ﴿ تَسير ﴾ بفتح التاء وكسـر السين وسكون اليـاء، ورفـع ﴿ الجبـالَ ﴾ . المرجـع السـابق.

(8) الراغب في مفرداته ١١٩ مادة (حشر) بتصرف.

(9) في النهاية : وحديث (النساء لا يعشرن ولا يحشرن) يعني للغزاة. انظر مادة (حشر) ٣٨٩/١.

لا يخرجن إلى الغزو، ولا يقال : الحشر إلا في الجماعة، قال تعالى : ﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ وسمي يوم القيامة يوم الحشر، كما سمي يوم البعث ويوم النشر].

قوله : ((وقرئ : ﴿ فلم نغادر ﴾ بالنون))[1] الجماعة كلهم، وبالياء شاذ. الراغب[2] : [الغدر : الإخلال بالشيء وتركه، والغدر يقال : لترك العهد، ومنه قيل : فلان غادر، وجمعه غَدَرَةٌ، وغدّار كثير الغدر وأغدر، واستعذر الغدير : صار فيه الماء، والغدير : الشَّعَرُ الذي ترك حتى طال، وجمعها غدائر . وجمع غدير الماء : غُدُر وغُدْرانٌ، وغدرت الشاة : تخلّفت فهي غَدِرَةٌ].

قوله : ((﴿ صفاً ﴾ مصطفين)) أي : صفّاً حال من الواو [3] في : ﴿ وعُرِضوا ﴾ وإنما قال : ﴿ ظاهرين ﴾، لأن المقصود من عرض الجند على السلطان إظهارهم عنده، فجعل ﴿ صفاً ﴾ ترشيحاً لاستعارة ﴿ عرضوا على ربك ﴾ كقوله : ﴿ وبرزوا لله الواحد القهار ﴾[4] .

قوله : ((وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم تسير))[5] قال أبو البقاء[6]: [وقيل : ويوم تسير معطوف على قوله : ﴿ عند ربك ﴾ أي : الصالحات خير عند الله وخيرُ يوم تسير] الراغب[7] : [السير المضيّ في الأرض، ورجُل سائر وسيّار والسيّارة الجماعة يقال : سرتُ وسِرْتُ بفلان وسِرْتُه أيضاً وسيّرته على التكثير، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾[8] . ومن الثاني : قوله : ﴿ وسار بأهله ﴾[9] ولم يجيء في القرآن القسم الثالث . ومن الرابع : قوله تعالى : ﴿ وسيّرت الجبال فكانت

---

(1) قرأ بالياء أبان عن عاصم، وقرأ أيضاً عنه بالنون . مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوية ٨٠.
(2) الراغب في مفرداته ٣٥٨ مادة (غدر) بتصرّف.
(3) كما في الدر المصون في علوم الكتاب المكنون المعروف بالسمين ٧/٥٠٥.
(4) سورة إبراهيم الآية ٤٨.
(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد جئتمونا ﴾ قال (ز) : أي : قلنا لهم : ﴿ لقد جئتمونا ﴾ ((وهذا المضمر ... الخ)).
(6) أبو البقاء في إملائه ٢/١٠٤.
(7) الراغب في مفرداته ٢٤٧ مادة (سار).
(8) سورة الحج الآية ٤٦.
(9) سورة القصص الآية ٢٩.

سراباً ﴾(1) والتسيير ضربان : أحدهما : بالأمر والاختيار والإرادة من السائر، نحو : ﴿ وهو الذي يسيّركم في البرّ والبحر ﴾(2) . والثاني : بالقهر والتسخير كقوله تعالى : ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾(3) والسيرة : الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره غريزيّاً كان أو مكتسباً، يقال : فلان له سيرة حسنة وسيرة قبيحة].

قوله : ((والمعنى : لقد بعثناكم، كما أنشأناكم)) تفسير لقوله : ﴿ لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾.

قوله : ((للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير))(4) قال صاحب الفرائد : [الواو للحال في : ﴿ وحشرناهم ﴾ (فلو كان)(5) للعطف، كان ينبغي أن يقال : ونحشرهم. قلت : إن المصنف سأل عن فائدة الاختلاف الواقع بين هذه الأفعال الثلاثة، والجواب ما ذكره، يعني خولف بين التسيير والرؤية حيث جيء بهما مضارعين، وجيء بالحشر ماضياً ليشعر(6) بصيغة المضارع بأن المراد استحضار تلك الصورة العجيبة الشأن في مشاهدة السامع، ليتعجب لها(7) ، وإليه الإشارة بقوله : ((ليعاينوا تلك الأهوال)) ولو قيل : نحشرهم على مقتضى الظاهر لفات المقصود . ونظر أصحاب المعاني إلى زيادة(8) العدول عن مقتضى الظاهر . وقال القاضي(9) : [ومجيئه ماضياً بعد ﴿ نسيّر ﴾ و ﴿ ترى ﴾ لتحقيق الحشر، أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير].

---

(1) سورة النبأ الآية ٢٠.

(2) سورة يونس الآية ٢٢.

(3) سورة التكوير الآية ٣.

(4) قال (ز) : فإن قلت : لم جيء بـ ﴿ حشرناهم ﴾ ماضياً بعد ﴿ نُسيّر ﴾ و ﴿ ترى ﴾ ؟. قلت : ((للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير)) وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام.

(5) ما بين القوسين س من ت ، م.

(6) لتشعر في م.

(7) منها في م.

(8) فائدة في ت وهي الصواب.

(9) القاضي البيضاوي ٣/٢٢٦.

قوله : ((ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات))[1] وذلك أن حرف النداء لاختصاص المنادى بالإقبال و ههنا خصوا الهلاك بالنداء وأضافوا إلى أنفسهم قائلين ﴿ ياويلتنا ﴾ على الاستعارة، فإن الويل الهلاك، قال في قوله تعالى : ﴿ يا حسرة على العباد ﴾ نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها : تعالي يا حسرة، فهذه من أحوالك التي حقّك أن تحضري فيها.

قوله : ((هنة صغيرة))[2] الأساس[3] : [وفيه هنات وهنوات خصال سوء].

قوله : ((وهي عبارة عن الإحاطة)) أي : التكرير للاستيعاب كما في قوله : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾[4] .

قوله : ((وهي المناقشة))[5] النهاية[6] : [وفي حديث عائشة رضي ا لله عنها : (من نوقش الحساب فقد هلك)[7] أي من استُقصي في محاسبته وحُوقِقَ] وأصل المناقشة من نقش الشوكة إذا استخرجها من جسمه وقد نقشها وانتقشها، وبه سمي المنقاش[8] .

قوله : ((كما يزعم من ظلّم ا لله))[9] أي : نسبه إلى الظلم، من قولك : أخطأته، أي : نسبته إلى الخطأ، أو قلت له : يا خاطئ، وليس المعنى : صيّره ظالماً، نحو فرّحته.

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ الكهف الآية ٤٩.
قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ ياويلتنا ﴾ : ((ينادون هَلَكَتهم ... الخ))

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ﴾ قال (ز) : ((هنة صغيرة)) ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة.

(3) الأساس ٧٠٧ مادة (هنو).

(4) سورة مريم الآية ٦٢.

(5) قال (ز) : وقيل : لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر ((وهي المناقشة)).

(6) النهاية في غريب الحديث ١٠٦/٥ مادة (نقش).

(7) أخرجه مسلم ٢٢٠٥/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب . والبخاري مع الفتح ٤٠٠/١١ كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب . والترمذي رقم ٢٤٢٦ ، ٣٣٣٧ . وأحمد في المسند ٢٠٦/٦ ، ٩١ ، ١٢٧ وغيرهم.

(8) الآلة التي يستخرج بها الشوك.

(9) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾. قال (ز) : فيكتب عليه ما لم يعمل، أو يعذبه بغير جرم ((كما يزعم من ظلّم ا لله)) في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم.

والأحاديث المروية في أطفال المشركين مشهورة منها ما وراه مسلم[1] وأبو داود والنسائي في آخر حديث عائشة رضي الله عنها أن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم . وفي رواية أبي داود . قالت . فقلت يا رسول الله : ذراري المؤمنين، فقال : هم من آبائهم، فقلت : يا رسول الله : بلا عمل. قال : الله أعلم بما كانوا عاملين، قلت : يا رسول الله : فذراري المشركين، فقال : من آبائهم، فقلت : بلا عمل . قال : الله أعلم بما كانوا عاملين . و(من) فيه اتّصالية . ومنها ما روى البخاري[2] ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين عمن يموت منهم وهو صغير. قال : الله أعلم بما كانوا عاملين . فظهر من هذه النصوص من ظلّم الله بسبب نسبة رسوله إلى الظلم[3] . قال القاضي[4] : [معنى ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ يكتب عليه ما لم يفعل] وقال[5] : [أيضاً كرّر قوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا ﴾ في مواضع لكونه مقدمة للأمور المقصود بيانها في تلك المحالّ، وههنا لما شنّع على المفتخرين واستقبح صنيعهم، قرر ذلك بأنه من سنن إبليس، أو لـمّا بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها، وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان، زهّدهم أولاً في زخارف الدنيا بأنها عرضة للزوال، والأعمال الصالحة خير وأبقى] ثم نفّرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة، وهكذا مذهب كل تذكير في القرآن.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٥٠ كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار ... الخ. . وأبو داود ٨٦/٥ كتاب السنة، باب في ذراري المشركين الحديث رقم ٤٧١٣ . والنسائي ٥٧/٤ كتاب الجنائز، باب الصلاة على الصبيان رقم ١٩٤٩ . وابن ماجه ٣٢/١ المقدمة، باب في القدر الحديث رقم ٨٢ . ومسند أحمد ٤١/٦ ، ٢٠٨.

(٢) البخاري مع الفتح ٢٤٥/٣ كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين برقم ١٣٨٤ . ومسلم ٢٠٤٩/٤ كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة رقم ٢٦٦ . وأبو داود ٨٤/٥ كتاب السنة، باب في ذراري المشركين رقم ٤٧١١ . والنسائي في الجنائز . الحديث رقم ١٩٥٤ باب أولاد المشركين.

(٣) وهم المعتزلة ومن على مذهبهم.

(٤) البيضاوي في أنواره ٢٢٧/٣.

(٥) المرجع السابق.

قوله : ((ثم وركه))[1] عن ابن عباس، الأساس[2] : [عن الحسن : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورّك ذنَبه على ا لله فقد كفر] قال في الانتصاف : الحق معه إلا في قوله : ((وهذا الكلام المعترض تعمّد من ا لله))[3] فإنه يطلق على من يفعل فعلاً حسناً وخطأ، فلا يليق إطلاقه على ا لله تعالى . قال محي السنة[4] : [كان بين حيّ من الملائكة، يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم] وقال الإمام[5] : [وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجنّ لقوله تعالى : ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ﴾[6] ﴿ وجعلوا لله شركاء الجن ﴾[7] ولأن الجن إنما سموا جنّاً للاستتار، والملائكة أيضاً يستترون، يعني أنه تعالى كلّما أراد أن ينقص من مرتبة الملائكة سماهم جنّا، كذلك هاهنا .

قوله : ** فَواسقاً عن قصدها جوائراً **[7]

أوله : ** يذهبن في نجد وغوراً غائراً **

مضى شرحه في البقرة [8] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً . ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾.

قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ففسق عن أمر ربه ﴾ : الفاء للتسبيب، أي : جعل كونه من الجنّ سببا في فسقه.

(٢) الأساس ٦٧٢-٦٧٣ بلفظ : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورّك ذنبه على ا لله فقد كفر.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ قال (ز) هنا : ((وهذا الكلام المعترض)) الخ . قال أحمد بن المنير : إطلاق لفظ التعمّد عليه لا يروق ولا يليق، فإن التعمد إنما يوصف به عرفاً من يفعل في بعض الأحيان خطأ، وفي بعضها تعمّداً، فاجتنابها في حق ا لله تعالى واجب، ولا يوصف ا لله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله.

(٤) محي السنة البغوي ١٧٨/٥ وذكره الطبري ٥٠٢/١.

(٥) الإمام الفخر الرازي ١٣٦/٢١.

(٦) سورة الصافات الآية ١٥٨.

(٧) سورة الأنعام الآية ١٠٠.

(٧) البيت لرؤية بن العجاج . وقيل لذي الرمة. انظر الانصاف في شواهد الكشاف ٧٢٧/٢.

(٨) عند قوله تعالى : ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ الآية ٢١ من سورة البقرة.

قوله : ((أو صار فاسقاً كافراً)) وعلى هذا ﴿ ففسق ﴾ متعلق بقوله : ﴿ اسجدوا ﴾ والفاء للتعقيب و ﴿ كان من الجن ﴾ اعتراض و ﴿ عن ﴾ في ﴿ عن ربه ﴾ كما في قوله : ينهون عن أكل وشرب، أي : أصدر فسقه عن قوله تعالى : ﴿ اسجدوا ﴾ أي : كأن قوله : ﴿ اسجدوا ﴾ سبباً لفسقه.

قوله : ((وإنما كانوا يكونون))[1] عن بعضهم : التقدير إنما يصح كما تبين، والظاهر أن قوله : ((يكونون)) مزيدة، كما في قول الفرزدق[2] :

** وجيران لنا كانوا كرام **

ويؤيده إسقاطه في بعض النسخ .

قوله : ((عضداً)) أي : أعواناً . الراغب[3] : [العضد ما بين المرفق إلى الكتف، وعضدته أصبت عضده، وعنه استعير عضدت الشجر بالمِعْضد، ويستعار العضد للمُعين كاليد، قال تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾ .

قوله : ((فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء)) إشارة إلى تحقيق ما أنكر عليهم أولا بقوله تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ وذلك أنه تعالى لما عقّب امتناع إبليس عن سجدة آدم عليه السلام لعصيانه وفسقه إنكار اتّخاذه وليّاً من دون الله استبعاداً، أراد أن يقدّر هذا الاستبعاد بوجه برهانيّ، وقال : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ﴾ يعني إنما كانوا شركاء لي أن لو كانوا شركاء فيما يصح اسم الإلهية، وهو خلق السموات والأرض، وإنكم مقرون بأن الله تعالى هو وحده خالق السموات والأرض. ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾[4] وإذالم يكونوا كذلك فلا يكونوا شركاء لي، فقرر ذلك بقوله

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ﴾ قال (ز) : يعني أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة ((وإنما كانوا يكونون)) شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية.

(٢) الفرزقدق : همام بن غالب التميمي أبو فارس الشهير بالفرزدق شاعر من النبلاء من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة، تهاجا هو وجرير والأخطل . الأعلام ٢٩٢/٨ وابن خلكان ١٩٦/٢.

(٣) الراغب في مفرداته ٣٣٧ مادة (عضد).

(٤) سورة لقمان الآية ٢٥.

تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ أي شركاء، فلما لزم من هذه المقدرات تقرير قوله : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء ﴾ قال : فما لكم تتخذونهم شركاء فالإشهاد بمعنى الإحضار، أي : ما أحضرتهم لأعتضد بهم، قال الإمام[1] : [ما أشهدت الذين اتخذتموهم أولياء خلق السموات والأرض لأعتضد بهم والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾]

قوله : ((يقول))[2] بالياء والنون[3] حمزة بالنون. والباقون بالياء التحتاني.

قوله : ((يعني وجعلنا بينهم وادياً))[4] هذا على تقدير أن يكون الموبقُ اسم مكان[5] . وقوله : ﴿ موبقاً ﴾ عداوة على تقدير أن يكون مصدرا، فيكون مبالغة، كقولك : رجل عدل.

قوله : ((والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك)) أي : وضع المسبب موضع السبب، لأن العداوة تستلزم الهلاك أو هو من باب المجاز باعتبار ما يؤل إليه . كأنه قيل : جعلنا بينهم عداوة تجرّهم وتؤديهم إلى الهلاك والتلف، كقوله : ((**ولا بغضك تلفاً**))[6] أي: لا يكن بغضك، بحيث يجرّ إلى التلف والهلاك.

قوله : ((كقوله ولا يكن حبك كلفاً) قيل : هو من كلام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه. النهاية[7] : [الكلف الولوع بالشيء مع شغل قلب ومشقّة، ومنه قول عمر رضي الله عنه : عثمان كلف بأقاربه، أي : شديد الحب لهم.

---

(1) الإمام الفخر الرازي ١٣٨/٢١.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ... الآية ﴾.

(3) قرأ حمزة بنون العظمة ووافقه الأعمش، والباقون بياء الغيبة . الإتحاف **٢٩١**.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم موبقاً ﴾.

(5) ذكره البغوي ١٨١/٥ قال : وقال ابن عباس : هو واد في النار، وكذلك مجاهد وعكرمه . وقال ابن الأعرابي : وكل حاجز بين شيئين فهو مَوْبق.

(6) متعلق بتفسير قوله : ﴿ وجعلنا بينهم موبقاً ﴾ وفي الأمثال للميداني **١٦٣/٣** : **لا** يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً ﴾ رقم ٣٥٢٨.

(7) النهاية في غريب الحديث ١٩٧/٤ مادة (كلف).

قوله : ((البين الوصل)) الراغب [1] : [بين موضوع للخلل بين الشيئين ووسطهما ، قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهما زرعا ﴾ يقال : بان كذا أي انفصل وظهر ماكان مستتراً منه ، ولمّا اعتبر فيه معنى الانفصال والظهور استعمل في كل منهما منفرداً ، حتى قيل للبئر البعيدة القعر : بَيْونٌ ، وبان الصّبح ظهر يقال : بان واستبان وتبيّن ، والبّينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة وسميت شهادة الشاهدين بينة ، وهو أعم من النطق ، لأن النطق مختص بالإنسان .

قوله : ((ويجوز أن يريد الملائكة)) [2] عطف على قوله : وأراد الجن ، والموبق المهلك ، المعنى على الأول نادوا شركائى الذين زعمتم من الجنّ ، والحال أن بينهم وادياً من جهنم ، أو بينهم عداوة ، وعلى الثاني أن بينهم أمداً بعيداً ، لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلا الجنان ، المغرب [3] : [موبقا ، أي مَهْلِكاً من أودية جهنم أو مسافة بعيدة] .

قوله : ((البرزخ)) ، (الجوهري) [4] : [هو الحاجز بين الشيئين] .

قوله : ((تهلك فيه الأشواط)) ، المغرب [5] : [الأشواط جمع شوط وهو جري مرّة إلى الغاية] يعنى [6] فيه السير ، كناية عن البعد البعيد .

قوله : ** ((أزُهَيْرَ هَلْ عن شَيْبَةٍ من مَصْرَفِ ** .

تمامه من المطلع :

** أم لاخلود لباذل متكلف ** [7] .

زَهِيْرَ : يروي بفتح الراء ترخيم . زهيرة اسم امرأة . من مصرف الأساس [8] صرف [عن عمله غيّر وأنه ليتصرف يحتال] يقول : أيها اللائمة هل يقدر أحد أن يحتال في تغيير الشيبة، بل أتزعمين أن من بذل ماله في إنفاقه لايبقى اسمه مخلدا على وجه الزمان ؟ .

---

(1) الراغب في مفرداته ٦٧ ، مادة (بين) بتصرف .

(2) تفسير قوله : ﴿ ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم ﴾ الآية .

(3) المغرب ٢ / ٣٣٩ ، مادة (وبق) .

(4) مابين القوسين س من أ ، ب .

(5) المغرب ١ / ٤٥٧ ، مادة (شوط) .

(6) أى في ت بدل يعنى .

(7) البيت لأبي كبير الهذلى في ديوان الهذليين ٢ / ١٠٤ .

(8) الأساس ٣٥٣ ، مادة (صرف) ولفظه (وصرف عن عمله عزل وأنه ليتصرف يحتال) .

قوله : ((إن فصّلتها واحداً بعد واحد)) [1] ، وذلك من إضافة أفعل التفضيل إلى الواحد ، فإن الإضافة فيه إذا أريد بيان زيادته ، يقتضي أن يكون المفضّل داخلاً فيمن أضيف إليهم فرداً منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة ، قال ابن مالك [2] : (إن أفعل إذا أضيف إلى نكرة ، نحو زيد أفضل رجل ، وهما أفضل رجلين ، وهم أفضل رجال ، معناه زيد أفضل من كل رجل قيس فضله بفضله ، وهما أفضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما ، وعلى هذا .

قوله : ((وما منع الناس الإيمان والاستغفار [3])) أي من الإيمان .

قوله : ((قرىء قبلا [4])) والكوفيون بضمتين والباقون بكسر القاف وفتح الباء .

قوله : ((من ادحاض القدم)) [5] ، الأساس [6] : [ومن المجاز دحضت حجته وحجتهم داحضة] ، الراغب [7] : [يقال : أدْحَضْتُ فلاناً في حجته فدحض وأدحضت حجته فدحضت ، وأصله من دَحْضِ الرجلِ وعلى نحوه في وصف المناظرة :

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا ﴾ قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ أكثرشيء جدلا ﴾ : أي أكثر الأشياء التي يأتي منها الجدل ((إن فصلتها واحدا بعد واحد)) خصومة ومماراة بالباطل .

(٢) ابن مالك محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني أبو عبدا لله جمال الدين إمام العربية والنحو والصرف ، ولد في جيان بالأندلس . وانتقل إلى دمشق وتوفي بها ٦٧٢ وولد سنة ٦٠٠ ، صاحب التصانيف النفسية مثل الشافية الكافية ، واختصرها في الخلاصة الألفية ، انظروفيات الأعيان ٢٢٧/٢ ونفح الطيب ٤٣٤/١ والأعلام للزركلي ٢٣٢/٦ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ قُبلاً ﴾ .

(٤) قرأ (قُبُلاً) بضم القاف والباء عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ، جمع قبيل أي أنواعا وألوانا ، ووافقهم الأعمش . والباقون بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا . انظر إتحاف فضلاء البشر ٢٩٢ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً ﴾

(٦) الأساس للزمخشري ١٨٤ ، مادة (دحض) .

(٧) الراغب في مفرداته ١٦٥ ، مادة (دحض) .

** نظرا يزيل مواقع الأقدام ** [1]

ودحضت الشمس مستعار من ذلك] .

قوله : ((كأنّه محال)) [2] ، يريد أنه نفى الاهتداء بلن وهي لتأكيد النفي .

قوله : ((وَإذاً جزاء وجواب)) فيه لفّ قوله : ((فدلّ على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول)) بيان أن يكون جزاء أي جعل دعوة الرسول سبباً لانتفاء اهتدائهم ، فإن الجزاء مسبب عن الشرط ولايصحّ هذا إلا على تقدير الإخبار والإعلام ، كأنه قيل : إن تجتهد في دعوتهم فاعلم أن معهم ما يدعوهم إلى مزيدِ ماهم فيه من العناد وشدة الشكيمة أي يجعلون ما هو سبب للاهتداء سببا لمزيد الضلال . وقوله : ((و على أنه جواب للرسول ببيان للجواب)). ولمّا كان مورد السؤال قوله : ﴿ إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة ﴾ كما سيجيء قدّر مالي لا أدعوعهم ، وفيه تعسّف [3] . قال صاحب الفرائد : [يمكن أن يقال : (إذن) [4] هنا جزاء ، أي إن تدعهم إلى الهدى وحالهم ما ذكر لن يهتدوا ، أي جزاء ما هم عليه ، عدم الاهتداء وجواب لسؤال الرسول على تقدير لِمَ لن يهتدوا بعد أن دعوهم ، فأجيب لأنهم على تلك

---

(١) هذا عجزبيت وشطره : ** يتقارضون إذا التقوا في منزل ** .

انظر اللسان مادة (قرض) والموازنة للآمدي ٣٨ . ولم أهتد لقائله.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ﴾ قال (ز) في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلن يهتدوا ﴾ : فلا يكون منهم اهتداء البتة ((كأنه محال منهم)) لشدة تصميمهم .

(٣) وسبب هذا التعسف الذي ذكره الزمخشري وتبعه أبو حيان أيضا . في ذلك هو ظنهما أن قوله تعالى : ﴿ وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ﴾ شرط وجزاؤه ، وأن الجزاء مرتب على الشرط كترتيب الجزاء على ماهو شرط فيه ، وهذا غلط ، لأن هذه القضية الشرطية في هذه الآية الكريمة ليست شرطية لزومية ، حتى يكون بين شرطها وجزائها ارتباط ، بل هي شرطية اتفاقية ، والشرطية الاتفاقية لا ارتباط أصلا بين طرفيها ، فليس أحدهما سببا في الآخر ولا ملزوما ولا لازما له ، وانظر تفصيل ذلك في أضواء البيان ٤ / ١٤٨ .

(٤) ما بين القوسين س من م .

قوله : ((أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة علـى الظفـر)) [١] بالطلبة وما يكون منه عطف تفسيري على قوله : تفقّد أمره ومـن في مما جعـل أمـارة بيان ما وهو التوصية بأنه حيث فقدته فالخضر هناك .

قوله : ((وقـد قيـل : نسـي يوشـع أن يقدمـه)) أي يقـدم الحـوت بـين يـدي موسى عليه السلام ونسي موسى أن يأمره بإحضاره ليشاهدا منـه تلـك الأمـارة الـتي جعلت لها وذلك أن موسى عليه السلام وُعِدَ أن لقاء الخضر عند مجمع البحرين كمـا سبق وأن فقد [٢] الحوت علامة للقائه ، فلمّا بلغ الموعـد كـان مـن حقهمـا أن يتفقّـدا أمر الحوت ، أما الفتى فلكونه خادماً له وكان عليه أن يقّدمـه بـين يديـه وأمـا موسـى لكونه أميرا عليه ، كان عليه أن يأمره بالإحضار ، فنسي كل واحـد مـا عليـه ، وإنما احتيـج إلى التـأويل ، لأن النسـيان لا يتعلـق بـالدواب ، كمـا سـبق عـن الراغـب في تعريفه [٣] : [النسيان : ترك ضبط ما استودع إما لضعف قلبه ، وإما عن غفلة أو عـن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره] .

قولـه : ((فـانتضح المـاء)) [٤] ، الجوهـري [٥] : [النضـح الـرشّ ، نضحـت البيت أنضِحه بالكسر] .

قوله : ((وحصل منه مثل السرب)) [٦] ، الأساس [٧] : [ماحصل في يدي شيء منه ، أي ما رجع وما حصلت منه على شيء] ورجع من المـاء في مثـل السـرب [٨] ،

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ نسيا حوتهما ﴾ قال (ز) : ((أي نسيا تفقّد أمره)) الخ .

(٢) (فقدان) في ت ، م .

(٣) الراغب ٤٩١ ، مادة (نسى) . قال : النسيان ... إلخ.

(٤) يشير إلى قول (ز) : أن يوشع توضأ من تلك العين أعني (عين الحياة) ((فـانتضح المـاء على الحوت فعاش و وقع في الماء)) .

(٥) الجوهري ١ / ٤١١ ، مادة (نضح) . .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ واتخـذ سـبيله في البحـر سـربا ﴾ قـال (ز) : أمسـك الله جريـة المـاء على الحوت فصار عليه مثل الطاق ((وحصل منه مثل السرب)) معجزة لموسى أو الخضر .

(٧) الأساس ١٢٩ ، مادة (حصل) .

(٨) قال الجوهري في صحاحه (والسَّـرَبُ) بيـت في الأرض ، تقـول : انسـرب الوحشـيّ في سَرَبه ، وانسرب الثعلب في جحره ، وتسّرب أي دخل ١ / ١٤٧ ، مادة (سرَب) .

و(في) تجريدية ، لأنه انتزع من الماء شيئا يشبه السرب ، نحو رأيت زيدا في مثل الأسد . قال القاضي [1] : [نصب على المفعول الثاني ، وفي (البحر) حال منه أي من السبيل . ويجوز تعلقه (باتّخذ)] ، النهاية [2] : [السَّرَبُ بالتحريك المسلك في الخفية] ، الراغب [3] : [السرب الذهاب في حدود والسرب المنحدر . قال تعالى : ﴿ فاتخذ سبيله في البحر سربا ﴾ يقال : سَرَبَ سَرَباً وسُرُوبا ، نحو مرَّ مرّاً ومرورا ، وانسرب انسراباً كذلك ، لكن سَرَبَ ، يقال على تصور الفعل من فاعله ، وانسرب على تصوّر الانفعال منه ، وسَرَبَ الدمع سال واسربَتِ الحية إلى جحرها ، وسَرَبَ الماء من السقاء ، وماء سَرَبٌ ، وسَرِبٌ ، منقطر من سقاية . والسارب : الذاهب في سَرَبه أيّ طريق كان . قال تعالى : ﴿ وسارب بالنهار ﴾ [4] . والسَّرْبُ جمع سارب كرَكْبٍ وراكب ، و تُعُورِفَ في الأبل حتى قيل : ذعرت سِربه أي إبله ، وهو آمن في سربه ، أي في نفسه ، وقيل : في أهله ونسائه بجعل السرب كناية وقيل : اذهبي فلا أنْدَه سِرْبَكِ ، في الكناية عن الطلاق ومعناه لا أردّ إبلَكَ الذاهبة في سربها ، والسربة قطعة من الخيل من العشرة إلى عشرين ، والسراب اللامع في المفازة كالماء وذلك لانسرابه في مرأى العين ، وكان السراب فيمالا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة] .

قوله : ((هذا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة)) [5] ، وفي الإشارة بهذا إشعار بأن هذا المسير كان أتعب لهما مما سبق ، فإن رجاء المطلوب يقرّب البعيد والخيبة تبعد القريب ، ولهذا ورد في الحديث [6] إن موسى عليه السلام لم ينصب إلاّ مُنذ جاوز الموضع الذي حدّه الله تعالى له .

---

(١) القاضي البيضاوي ٣ / ٢٣٠ .

(٢) النهاية ٢/ ٣٥٦ ، مادة (سرب) .

(٣) الراغب ٢٢٩ ، مادة (سرب) .

(٤) سورة الرعد الآية ١٠ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا ﴾ قال (ز) : ((إشارة إلى سيرهما إلخ ....)) .

(٦) ذكر هذا اللفظ السيوطي في الدر المنثور ، ولم يذكر أنه حديث ٥/٤١٠ .

قوله : ((وقيام الماء)) هو عطف على حياة السمكة ، والجملة وهي ((وقيل ما كانت إلا شقّ سمكة معترضة للتأكيد والمبالغة فإن حياة السمكة المملوحة عجيبة ، وكونها نصف سمكة أعجب .

قوله : ((قد شغله الشيطان بوساوسه)) (١) ، قال القاضي (٢) : [ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره (٣) إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وإنما نسبه إلى الشيطان هضما لنفسه] .

قوله : ((لا متعلق له)) (٤) ، يعني ليس (لأرأيت) مفعول ولا ﴿ إذ أوينا ﴾ مظروف ولفتاي نسيت سبب وأجاب أن المتعلق مادهاني ، وهو مفعول أرأيت ودهاني مظروف وهو سبب أيضا فحذف لدلالة مقام الحيرة عليه كما أشار إليه بقوله : فحذف ذلك ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ (٥) . قال : (وإذ لم يهتدوا به) (٦) ، ظهر عنادهم فسيقولون ، وهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكأن فسيقولون مسببا عنه .

قوله : ((نهر الزيت)) سمى به لكثرة أشجار الزيت على شاطئه ، فقوله : ((وقيل هي الصخرة)) عطف على قوله : ((فلما جاوز الموعد)) وهو الصخرة .

قوله : ((وأن أذكره)) بدل من الهاء في (أنسانيه) أي بدل اشتمال .

قوله : ((إن (عجبا) حكاية لتعجب موسى ، وليس بذ لك)) أي ليس هذا القول بذلك القول الذي يعرّج عليه (٧) ، كقولك : ليس بشيء أي شيء يعتدّ به ،

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان ﴾ .

(٢) القاضي البيضاوي ٣/٢٣٠ .

(٣) الشراشر : الأثقال ، الواحدة شرشرة ، يقال ألقى عليه شراشره أي نفسه حرصاً ومحبة . الصحاح للجوهري ٢/٦٩٦ ، مادة (شرر) .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإني نسيت الحوت ﴾ قال (ز) : كأنه قال : أرأيت مادهاني إذ أوينا إلى الصخرة ؟ فإني نسيت الحوت ، فحذف ذلك .

(٥) سورة الأحقاف ، الآية ١١ .

(٦) قال : (تقديره) (وإذلم) في ت .

(٧) (كما تقول) في ت .

بيانه أن موسى عليه السلام لما قال ليوشع (١) : ﴿ آتنا غداءنا ﴾ أجاب بقوله : ﴿ أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة ﴾ وهي كلمة تعجّب ، فلمّا بلغ قوله : ﴿ واتخذ سبيله في البحر ﴾ تعجب موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجّبه ، ولا ارتياب في تعسفه وبعده من بلاغة التنزيل ، ولكن عجبا بقول فتى موسى . إما على أنه صفة موصوف محذوف وهو ثاني مفعول اتخذ كما قدّره المصنف ، أو لما فرغ من كلامه قال : يا عجبا ، فحكى الله تعالى ذلك منه . ويجوز أن يكون من كلام الله أي قال ذلك الكلام تعجّباً . قال أبو البقاء (٢) : [(عجبا) مفعول ثاني لاتخذ ، وقيل : هو مصدر ، أي قال موسى : عجبا ، فعلى هذا يكون المفعول الثاني لاتّخذ في البحر] .

قوله : ((قرىء نبغ)) (٣) ، بغير ياء في الوصل نافع وأبو عمرو والكسائي أثبتوا في الوصل ، وابن كثير في الحالين ، والباقون بالحذف في الحالين ، قال أبو البقاء (٤) : [الجيّد إثبات الياء والحذف على التشبيه بالفواصل ، وسهّل ذلك أن الياء لا تضم ههنا] . روى صاحب المرشد عن أبي حاتم أنه قال (٥) : ومن الوقف التّام قوله تعالى : ﴿ ما كنّا نبغ ﴾ وقلت : بيانه أن قوله تعالى : ﴿ فارتدّا ﴾ عطف على جملة قوله : ﴿ فلما جاوزا ﴾ إلى آخره . وأما الفصل بين الأقوال الثلاثة ، فالأولى جواب للشرط ، والآخران مفصولان لما يستدعيه مقام المقاولة من السؤال ، وهو ماذا قال فتى موسى بعد قول موسى عليه السلام (آتنا غداءنا) ؟ ، وماذا قال موسى عليه السلام بعد قول فتاه (أرأيت إذ أوينا) ؟ .

---

(١) يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف وهو فتى موسى ، انظر غرر البيان في من لم يسم في القرآن ٣٣١ لبدر الدين ابن جماعة ، والتعريف والإعلام للسهيلي ٧٣ .

(٢) أبو البقاء ٢/١٠٦.

(٣) قرأ نافع (نبغ) بإثبات الياء وصلا ، وكذا أبو عمرو والكسائي ، وأبو جعفر وقرأ ابن كثير بإثباتها وصلاووقفا ، وكذلك يعقوب . إتحاف فضلاء البشر ٢٩٢ .

(٤) أبو البقاء ٢/١٠٦ .

(٥) وكذلك قال أبو عمرو الداني في كتابه المكتفى في الوقف والابتداء ٣٧١ ، وهو قول الأخفش والنحاس في كتابه الوقف والابتداء ٤٤٩ ، وهو وقف حسن عند الأشموني في كتابه المنار ١٤٧-١٤٨

قولـه : ((فرجعا في أدراجهمـا)) (1) ، الجوهـري (2) : [قولهـم : خــلّ درج الضّب ، أي طريقه ، والجمع الأدراج ، ومنه قولهم : رجعت أدراجي أي رجعت في الطريق الذي جئت منه] .

قوله : ((يقصان قصصا)) (3) قال صاحب الكشـف : قصصاً مصـدر لفعـل مضمر يدل عليه (4) ﴿ فارتدّا على آثارهما ﴾ (5) واقتصا الأثر واحد (6) .

قوله : ((مقتصّين)) أي يكون المصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال .

قوله : ((رشدا (7) قرىء بفتحتين (8))) أبو عمرو والباقون بضمة وسكون .

قولـه : ((أي علمـاً ذا رشـد)) (9) ، قـال أبـو البقـاء (10) : [رشـدا مفعــول ﴿ تعلمني ﴾ ولا يجوز أن يكون مفعول ﴿ عُلّمتَ ﴾ لأنـه لا عـائد إذاً علـى الـذي ، وليس بحال من العائد المحذوف ، لأن المعنـى على ذلـك يَبْرُز] وقـال القـاضي (11) : [يجوز أن يكون علة لأتبعك أو مصدراً بإضمار فعله] .

قوله : ((لا غضاضة)) (12) ، الجوهري (13) : [يقـال : ليـس عليـك في هـذا الأمر غضاضة ، أي ذلّة ومنقصة] قال القاضي (14) : [لا ينافي نبوّته وكونه صـاحب

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ فارتدا ﴾ قال (ز) : ((فرجعا إلخ ...)) .

(2) الجوهري ١/٣١٤ ، مادة (درج) .

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ قصصا ﴾ قال (ز) : ((يقصان إلخ ..)) .

(4) في م (قوله) فارتدا .

(5) في ت على آثارهما (إذ معنى (فارتدا على آثارهما) واقتصا .

(6) وعليه فيكون قوله (قصصا) ما ناب عن المطلق ، من قوله : (فارتدا) .

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا ﴾ سورة الكهف ، الآية ٦٦ .

(8) قرأ ﴿ رَشدا ﴾ أبو عمرو ويعقوب بفتح الراء والشـين ، ووافقهمـا الحسـن واليزيدي ، والبـاقون بضم الراء وسكون الشين . الإتحاف ٢٩٢ .

(9) (قوله) س من ت ، والصواب إثباتها .

(10) أبو البقاء ٢/ ١٠٦ .

(11) القاضي البيضاوي ٣/ ٢٣١ .

(12) قال (ز) : لأن النبي يجب أن يكون أعلم زمانه ، وإمامهم المرجوع إليه في الدين . قلت : ((لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله ، وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه)) .

(13) الجوهري في صحاحه ٣ / ١٠٩٥ ، مادة (غضض) .

(14) القاضي البيضاوي ٣ /٢٣١ .

الشريعة أن يتعلم من غيره مالم يكن شرطا في أبواب الدين ، فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقا] ويؤيده قوله تعالى حكاية عن الهدهد مخاطبا سليمان عليه السلام : ﴿ أحطت بما لم تحط به ﴾ (١) ، الراغب (٢) : [العلم إدراك الشيء بحقيقته ، وذلك ضربان ، إدراك ذات الشيء ، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له ، أو نفي شيء هو منفّى عنه ، فالأول متعدّ إلى واحد ، كقوله تعالى : ﴿ لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ (٣) ، وأعلمته وعلمته في الأصل واحد ، إلا أن الإعلام اختصّ بما كان بإخبار سريع ، والتعليم بما يكون بتكرير وتكثير حتّى يحصل منه أثر في نفس المتعلم . قال بعضهم : التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني والتعلم تنبيهها لتصور ذلك ، وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكرير نحو ﴿ أتعلّمون الله بدينكم ﴾ (٤) ، فمن التعليم قوله تعالى : ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ (٥) ، وتعليم آدم الأسماء هو أن جعل له قوة بها نطق ووضع أسماء الأشياء ، وذلك بإلقائه في روعه ، وكتعليمه تعالى الحيوانات كلّ واحد منها فعلا يتعاطاه ، وقوله : ﴿ مما علمت رشدا ﴾ ، قيل : عنى بالعلم الخاصّ الخفي على البشر الذي يرونه ما لم يعّرفهم الله منكرا وقيل : وعلى هذا العلم في قوله تعالى : ﴿ الذي عنده علم من الكتاب ﴾ (٦) ، العلم الأثر الذي يُعلم به الشيء وسمى الجَبَلُ عَلَماً لذلك ، والعالم اسم للفَلَكِ وما يلحق به من الجواهر والأعراض ، وهو في الأصل اسم لما يُعْلم به كالطابع والخاتم لما يطبع به ويختم به ، وجعل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالآلة ، والعالَمُ آلة في الدلالة على صانعه ، ولهذا أحالنا تعالى عليه في معرفة وحدانيته .فقال : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾ (٧)] .

---

(١) سورة النمل الآية ٢٢ .

(٢) الراغب في مفرداته ٣٤٣ بتصرف .

(٣) سورة الأنفال الآية ٦٠ .

(٤) سورة الحجرات الآية ١٦ .

(٥) سورة الرحمن الآية ١-٢ .

(٦) سورة النمل الآية ٤٠ .

(٧) سورة الأعراف الاية ١٨٥ .

وقوله : ((أنه كما قيل : موسى بن مِنشا (١) لا موسى بن عمران ، روينا عن البخاري ومسلم والترمذي (٢) عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : إن نَوْفَا البكاليّ (٣) يزعم أن موسى صاحب بني إسرائيل ليس هو صاحب الخضر ، قال : كذب عدو الله سمعت أبي بن كعب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قام موسى خطيبا في بني إسرائيل إلى تمام الحديث) .

قوله : ((وعلّل ذلك بأنه يتولى أموراً)) (٤) ، أي أكّد نفي استطاعته بقوله : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ وهو علة لمنعه من اتّباعه ، فإن موسى عليه السلام قال : ﴿ هل أتّبعك على أن تعلمني ﴾ كأنه قال : لا ، لأنك ﴿ لن تستطيع معي صبرا ﴾ ثم علل العلة بقوله : ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ﴾ أي كيف تصبر على شيء هو في الظاهر منكر مفسدة وفي الحقيقة مصلحة وصلاح ، ويحتاج في معرفته إلى دقّة نظر وفضل خبرة مستفادة من العلم اللدُنّي (٥) .

قوله : ((والرجل الصالح)) (٦) ، مبتدأ ، وقوله : ((لا يتمالك)) الخبر ، وقوله : ((فكيف إذا كان نبيا)) موضعه التأخير فاعترض بين المبتدأ والخبر اهتماما

---

(١) موسى بن مِنشا من أولاد يوسف عليه السلام . انظر البغوي في تفسيره ، ٥/ ١٩٣ .

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح ١/ ٢١٧ ، كتاب العلم ، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله . ومسلم في الفضائل ، باب فضائل الخضر ٤/ ١٨٤٧-١٨٥٠ . والترمذي ٥/٢٨٩ كتاب التفسير ، باب ١٩ ومن سورة الكهف .

(٣) نوفا بفتح النون وسكون الواو بن فَضالة بفتح الفاء المعجمة ، البكالي بكسر الموحدة وتخفيف الكاف ابن امرأة كعب شامي مستور ، وإنما كذّب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب ، من الثالثة . مات بعد التسعين ، تقريب التهذيب ٣٦١ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال إنّك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ﴾ سورة الكهف الآية ٦٧-٦٨ . قال (ز) : نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد ... ((وعلل ذلك إلخ ..)) .

(٥) العلم اللدني مشتق من قوله تعالى في الكهف : ﴿ وعلّمناه من لدنا علما ﴾ ومنه قوله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ البقرة الآية ٣١ ، بأن جعل له قوة بها نطق ، وذلك بإلقائه في روعه حتى قدر على معرفة الأسماء كلها والله أعلم .

(٦) قال (ز) : ((والرجل الصالح لا يتمالك أن يشمئزّ)) يعني موسى عليه السلام .

والكلام مجري مجرى المثال لموسى عليه السلام ، مثله قوله :﴿ الطيبات للطيبين ﴾ (١) في وجه تمثيل لأم المؤمنين عائشة رضي ا لله عنها . المعنى أني أتولّى اموراً ظاهرها مناكير ، وأنت لا تتمالك أن تشمئزّ .

قوله : ((فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويتمعّض)) ، [الانصاف (٢) : يدلّ عليه أنه قال في خرق السفينة : ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها ﴾ ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في حالة يقول فيها المرء نفسي نفسي] ، الجوهري (٣) : [اشمأزّ الرجل اشمئزازاً انقبض] ومعضت (٤) من ذلك الأمر امعض معضا وامتعضت منه إذا غضبت وشق عليك .

قوله : ((أو في لا محل عطفا على ستجدني)) (٥) ، لعل هذا القول مبنى على أن الجملة الواقعة بعد قال مستأنفة بيان للقول المضمر فلا يكون لها محلّ ، كما قال أبو البقاء (٦) : [في قوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا ﴾ (٧) والمفعول القائم مقام الفاعل مصدر ، وهو القول ، وأضمر لأن الجملة بعد مفسرة ، والتقدير ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ قول وهو ﴿ لا تفسدوا ﴾ ونظيره ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ﴾ (٨) ، أي بدا لهم بداء ورأى] ، كذا قدر المصنف هذه الآية ، أو يقال : إن قوله : ﴿ لا أعصي لك أمرا ﴾ عطف على مقول القول باعتبار الجملة لا باعتبار الإفراد ، وكونه منصوباً على المصدرية او المفعولية على الخلاف الذي سبق

---

(١) سورة النور الآية ٢٦ .

(٢) الانصاف مع الكشاف ٢ / ٧٣٤ .

(٣) الجوهري في صحاحه ٣ / ٨٨١ ، مادة (شمز) .

(٤) الجوهري ٣/١١٠٧ مادة (معض)

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ ستجدني إن شاء ا لله صابرا ولا أعصي لك أمرا ﴾ الكهف الآية ٦٩ ، قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ ولاأعصي ﴾ : في محل النصب عطف على (صابرا) ((أو (لا) في محل عطفا على (ستجدني))) .

(٦) أبو البقاء ١ / ١٨ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٢ .

(٨) سورة يوسف الآية ٣٥ .

بيانه في البقرة ونحوه في الاعتبار قوله تعالى : ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾ [٩] ، على تقدير وهم يسلمون ، وسيجيء بيانه في موضعه ، وروي عن الشيخ بدر الدين الجرجاني [١] أنه قال : إن قوله : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ بجملته مقول للقول والشرط يقتضي الجزاء . وقوله : ستجدني صابرا لا يصلح أن يكون جزاء لتقدمه ، لكن دالّ عليه فلا يكون له محلّ . وقوله : ﴿ ولا أعصي لك أمرا ﴾ عطف عليه وحده ، فيكون التقدير ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك إن شاء الله أمرا ، والشرط مع الجزاء المحذوف معترض بين المفعولين ، وقدّر المصنف في قوله تعالى : ﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ [٢] ، ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين . أما بيان بلاغة هذا التركيب ، فإنه لو قدم الشرط بأن يقال : إن شاء الله ستجدني صابراً لفات التكرير والتوكيد المطلوب ، ولو أخّر بأن يقال : ستجدني صابراً إن شاء الله لاختلّ إرادة الاهتمام لكلمة التّبرك ، ولعدم حسن موقع الاعتراض ، فإنه من محاسن الكلام ، فالتركيب قريب من قوله ﴿ لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [٣] فيكون من باب الطرد والعكس [٤] .

قوله : ((فوعده الصبر)) [٥] ، عطف على رجا ((وأن يستطيع)) مفعول رجا ، والرجا هو قوله : ﴿ ستجدني ﴾ ، وعلما مفعول له لوعده الصبر معلقاً ((وأن الحمية)) عطف على شدة الأمر على البيان والتفسير .

قوله : ((هذا)) أي كل هذه المبالغات متضمة مع علم موسى أن الخضر مع جلالته بَرِيٌّ أن يركب أمرا يعاب عليه فكيف ما يستسمج [٦] ظاهره ممن لا يعلم

---

[٩] سورة الفتح الآية ١٦ .

[١] بدر الدين لم أقف له على ترجمة .

[٢] سورة يوسف الآية ٩٩ .

[٣] سورة التحريم الآية ٦ .

[٤] الطرد والعكس : هو أن يأتي بكلامين، يقرّر الأول بمنطوقه مفهوم الثاني وبالعكس . التبيان للطيبي ٣٦٩.

[٥] تفسير قوله : ﴿ستجدني إن شاء الله صابرا ﴾ .

[٦] (يستقبح) في م والمعنى واحد قال الجوهري في صحاحه : سَمُجَ الشيء بالضم سماجة قبح، وسميج مثل قبح فهو قبيح ١/ ٣٢٢ ، مادة (سمج) .

مرتبته في الدين ، فإنه لا يطاق قطعا ، فالضمير في مع علمه راجع إلى المصلح وهو موسى ، مظهرا قيم مقام المضمر إيذانا أن المصلح شأنه أن لا يصبر على مثل تلك الحالة ويرى الصالح .

قوله : ((غميزة)) ، الأساس (١) : [ومن المجاز ما فيه مغمز ولا غميزة ، أي معاب وغمز فيه طعن] قال القاضي (٢) : [وتعليق الوعد بالمشيئة إما للتّيمنّ ، وخلفه ناسيا لا يقدح في عصمته ، أو لعلمه بصعوبة الأمر ، فإن مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد ، فلا خلف . وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة ا لله] .

قوله : ((وأنه لا بدّ الضمير للشأن)) والجملة معطوفة على قوله:((أن النبي)).

قوله : ((قرىء ﴿ فلا تسألني ﴾ (٣) ، نافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون ، والباقون بإسكان اللام وتخفيف النون ، أن لا تفاتحني (٤) خبر إن ، وإذا ظرف ، والجملة في تأويل المبتدأ وخبره من شرط اتّباعك المعنى من شرط اتباعك عند الرواية عدم المفاتحة .

قوله : ((بغير نول)) (٥) ، النهاية (٦) : [بغير أجر ولا جُعل مصدر ناله ينوله إذا أعطاه] .

قوله : ((لججوا)) ، الأساس (٧) : [لجّج القوم دخلوا في اللج] ، الجوهري (٨) : [لجة الماء بالضم معظمه وكذلك اللج] .

---

(١) الأساس ٤٥٦ ، مادة (غمز) .

(٢) القاضي البيضاوي ٣/ ٢٣١ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ . قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿ فلا تسألَنّي ﴾ بفتح اللام وتشديد النون ، والأصل (تسألْنني) حذفت نون الوقاية لاجتماع النونات ، وكسرت الشديدة للياء . والباقون بإسكان اللام وتخفيف النون على أن النون للوقاية . الإتحاف ، ٢٩٢ .

(٤) يشير إلى قول (ز) : ((فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا ، وقد علَمتَ أنه صحيح إلا أنه غبي عليك ... ألا تفاتحني بالسؤال)) .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلا لقد جئت شيئا إمرا ﴾ الكهف الآية ٧١ . قال (ز) : أصحاب السفينة عرفوا الخضر فحملوهما بغير ((نول)) .

(٦) النهاية ٥/ ١٢٩ ، مادة (نول) .

(٧) الأساس ٥٥٩ ، مادة (لجج) .

(٨) الجوهري في صحاحه ١/ ٣٣٨ ، مادة (لجج) .

قوله : ((ولتغرق أهلها)) (١) ، حمزة والكسائي لِيغرَقَ بالياء مفتوحة وفتح الراء وأهلها برفع اللام ، والباقون بضم التاء وكسر الراء ونصب اللام ، والتشديد شاذ (٢) .

قوله : ((** دَاهِيَةُ دَهْيَاء إدّاً إمرا **))

أوله : ** قد لَقِيَا الأعَدا أشياء نكرا ** (٣) .

الدهيا مبالغة في الشدة ، الأساس (٤) : [بقيت منه في داهية ادّه ولقيت منه كل شدة] ، الراغب (٥) : [إمراً أي منكراً ، وتحقيقه من أمرِ الأمر ، أي كثر وكبر كقولهم استفحل الأمر] .

قوله : ((أو أخرج الكلام في معرض النهي)) (٦) عطف على قوله : ((أراد أنه نسي وصيته)) فعلى الثاني نسيت مطلق يعني مانسي في الحقيقة لكن عرض (٧) ونهاه عن المؤاخذة بنسيانه لأن الإنسان مجبول عليه ، وعن ابن عباس (٨) أنه سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسي ، وعليه قول إبراهيم عليه السلام (هذه أختي في الدين) (إني سقيم) أي سأسقم أو سقيم لما أجد من الغيظ .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا ﴾ الكهف الآية ٧١ . قرأحمزة والكسائي وخلف ووافقهم الأعمش (لِيَغْرَقَ أهلها) بفتح الياء المثناة من تحت ، وفتح الراء على الغيب ، ورفع (أهلها) على الفاعلية ، والباقون بضم التاء المثناة من فوق وكسر الراء مع سكون الغين (لتُغْرِق أهلَها على الخطاب ونصب (أهلها) على المفعوليه . الإتحاف ٢٩٣ .

(٢) وعن الحسن بضم التاء المثناة من فوق وكسر الراء مشددة على الشذوذ ، المرجع السابق .

(٣) البيت لأبي عبيدة معمر بن المثنى . والصحيح فيه :

** قد لقي الأقران مني نكرا ** داهية دَهياء وأمرا إمرا **

انظر مجاز القرآن لأبي عبيد ٤٠٩/١

(٤) لم يكن في الأساس هذا اللفظ حسب اطلاعي لاعند مادة (دهى) ولا غيرها .

(٥) الراغب ٢٥ ، مادة (أمر) .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ﴾ الكهف ٧٣ ، تفسير قوله : ﴿ بما نسيت ﴾ قال (ز) : أو أخرج الكلام إلخ .

(٧) عرض (له) في م .

(٨) ذكر ذلك في طه ، عند قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ﴾ الآية ١١٥ ، القرطبي ١١ / ٢٥١ .

قوله : ((وهو من معاريض الكلام)) ، الأساس [1] : [عرفت ذلك في مِعْراضِ كلامه] وقولهم : خذ في عروض سوى هذه أي في ناحية .

قوله : ((أو أراد بالنسيان الترك)) ، الأساس [2] : [ومن المجاز نسيت الشيء أي تركته [3]] .

قوله : ((وقرىء زاكية)) [4] ، الكوفيون وابن عامر زكية بتشديد الياء من غير ألف ، والباقون بالألف والتخفيف ، قال القاضي [5] : [قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع زاكية ، والأول أبلغ ، وقال أبو عمرو : الزاكية التي لم تذنب قط والزكيّة التي أذنبت ثم غفرت ، ولعله اختار الأول لذلك فإنها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها أذنبت ذنبا يقتضي قتلها ، أو قتلت نفسا فتقاد بها] .

قوله : ((لم يبلغ الحِنث)) [6] ، النهاية [7] : [أي لم يبلغ مبلغ الرجال ولم يجر عليه القلم فيكتب عليه الحنث] .

قوله : ((أن نجدة الحروري)) [8] ، النهاية [9] : [الحرورية طائفة من الخوارج نسبوا إلى حروراء بالمدّ والقصر ، وهو موضع قريب من

---

(1) الأساس ٤١٥ ، مادة (عرض) .

(2) الأساس ٦٣١ ، مادة (نسي) .

(3) (نسي) تأتي بمعنى الترك ومنه قوله في طه الآية ١١٥ : ﴿ فنسي ولم نجد له عزما ﴾ وكقوله في السجدة الآية ١٤ : ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ وقوله في البقرة الآية ٢٣٧ : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ وتأتي بمعنى عدم الحفظ ، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف هذه الآية ٦٣ : ﴿ إني نسيت الحوت ﴾ وقوله في الكهف أيضاً الآية ٧٣ : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ وقوله في سورة الأعلى الآية ٦ : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ .

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية ﴾ ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس (زاكية) بألف بعد الزاي وتخفيف الياء اسم فاعل من زكا . ووافقهم ابن محيصن واليزيدي . والباقون بتشديد الياء من غير ألف . الإتحاف ٢٩٣ .

(5) القاضي البيضاوي ٣/ ٢٣٢ .

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ زكية ﴾ قال (ز) : ((لم تبلغ الحلم)) .

(7) النهاية ١/ ٤٤٩ ، مادة (حنث) .

(8) نجدة بن عامر الحروري من بني حنيفة من بكر بن وائل ، رأس الفرقة النجدية نسبة إليه ، ويعرف أصحابها بالنجدات ، انفرد عن الخوارج بآراء . انظر الكامل للمبرد ٢/ ١٢٩ ، والأعلام للزركلي ٨/ ١٠ ، ولسان الميزان ٦/ ١٤٨ .

(9) النهاية ١/ ٣٦٦ ، مادة (حرر) .

الكوفة (1) كان أول مجمعهم وتحكيمهم فيها وهم أحدى فرق الخوارج الذين قاتلهم علي رضي ا لله عنه ، وكان عندهم من التشدد في الدين ماهو معروف .

قوله : ((نكرا)) (2) ، وقرىء بضمتين نافع وابن ذكوان في الموضعين والباقون بإسكانها .

قوله : ((لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة)) (3) قال الإمام (4) : [النكر ما أنكرته العقول ونفرت عنه النفوس ، وهو أبلغ في تقبيح الشيء من الإمر ، وقيل : بالعكس ، لأن الأمر هو الداهية العظيمة] . الراغب (5) : [النكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف ، وقال صاحب الفرائد : [خرق السفينة أقرب إلى أن يؤوّل بما يصح ، بخلاف قتل النفس ، فإنه ظاهر الفساد ، فكونه منكراً ظاهرا ، أو تقول : قتل النفس أقبحُ لأنه إهلاك النفس ، وخرق السفينة إهلاك المال فاختير الأمر للخرق والنّكر للقتل] . وقلت : الذي يقتضيه النظم أن يؤخذ من الأغلظ ثم ينزل إلى الأهون ، فقتل النفس أهون ، من الخرق وأغلظ من إقامة الجدار بلا أجرة .

قوله : ((زيادة المكافحة)) (6) ، الأساس (7) : [كافحه لاقاه مواجهة وكفحت الدّابة وأكفحتُها تلقّيت فاها باللجام] .

قوله : ((والوسم)) ويروى والوصم ، الجوهري (8) : [والوصم العيب والعار] .

---

(1) الكوفة هي المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، وأول بنائها في خلافة عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه سنة ١٩ ، معجم البلدان ٤/٤٩٠ ، وحروراء من قرى الكوفة .

(2) قرأ (نُكُراً) في الموضعين بضم الكاف نافع وأبوبكر وابن ذكوان وأبو جعفر ويعقوب . والباقون بالسكون فيهما . الإتحاف ٢٩٣ .

(3) تفسير (نكرا) قال (ز) : هو المنكر . وقيل النكر أقل من الإمر ((لأن قتل إلخ ...)) .

(4) الإمام الرازي ٢١/ ١٥٥ .

(5) الراغب ٥٠٥ ، مادة (نكر) .

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ الكهف الآية ٧٦ .

قال (ز) في تفسير ﴿ لك ﴾ : ((زيادة المكافحة)) بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر.

(7) الأساس ٥٤٧ ، مادة (كفح) .

(8) الجوهري في صحاحه ٥/ ٢٠٥٢ ، مادة (وصم) .

قولـه : ((وإن طلبـت صُحبتـك فـلا تتـابعني)) راعـى في هـذه العبـارة معنـى المفاعلة في (تُصَاحبني) .

قوله : ((قد أعذرت)) أي لم تبق موضعا للاعتـذار ، ويـروى أعـذرت علـى التكلم ، أي لم أبق موضعا للاعتذار .

قوله : ((وقرىء [1] (لدن) بتخفيف النون ، ولدني بسـكون الـدال وكسـر النـون)) ، قـال الزجـاج [2] : أجـود القـراءات بتشـديد النـون ، [لأن أصـل لـدن الإسكان ، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا ليسلم سـكون النـون الأولى ، فتقـول : من لدني ، كما تقول : عني ومني . ومن قال : لدني لم يجز لـه أن يقـول عـني ومـني بحذف النون ، لأن لدن اسم غير متمكّن ، ومن ، وعن ، حرفان ، والدليـل علـى أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم : قدى في قدني في معنـى حسـبي ، لأن قَدْ اسـم غير متمكن قال :

** قَدْنِيَ من نَصْر الخُبَيْبَيْنِ قدى ** [3] .

ولأبي علي فيه كلام طويل .

قوله : ((استعيرت الإرادة لِلْمُدَانَاةِ)) [4] ، وذلك أن الإرادة لغة هي مصـدر أردت الشي إذا طلبته نفسك ، ومال إليه قلبك ، واصطلاحاً هي اسم لنزوع النفـس إلى أمر مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أولا ، مضـى بسـطه في أول البقـرة وسـورة يوسف ، وذلك في الجماد محال ، فشبهت مشارفة الجدار للانقضاض بإرادة من هـمّ

---

(1) قرأ (من لدني) نافع وأبو جعفر بضم الـدال وتخفيـف النـون ، وقـرأ أبـو بكـر بتخفيـف النـون ، واختلف عنه في ضم الدال ، إما على إشمامها بالضم ، أو اختلاسها ، والباقون بضـم الـدال وتشـديد النـون . الإتحاف ٢٩٣ . قال في الخلاصة :

** وفي لدنّي لدني قل وفي ** قدني وقطني الحذف أيضا قد يفي ** .

(2) الزجاج ٣ / ٣٠٣ ، وهذه العبارة ليست فيه ، وهي قول (أجود القـراآت بتشـديد النـون) لأن هذا لا ينبغي أن يقال في قراءة ثابتة . والباقي في الزجاج بتصرف كثير .

(3) الرجز هذا لحميد بن مالك الأرقط . وبعده :

* ليس الإمام بالشحيح الملحد * ، انظر خزانة الأدب ٢ / ٤٤٩ ، وابن يعيش ١ / ٤٤٢ .

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ يريد أن ينقض ﴾ ، قال (ز) : استعيرت الخ)) .

بالانحطاط بعد ان كان منتصبا، والوجه الميلان ، ثم استعير لجانب المشبه الإرادة ، ثم سرى من المصدر إلى الفعل فهو استعارة مصرحه تبعيه ، ويجوز أن تكون مكنية ، قال ابن جني [1] ، [يريد معناه قارب وشارف] فهو عائد إلى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وحسن ذلك ، لأن الإرادة أقوى في وقوع الفعل ، لأنها داعية إلى وقوعه ، وهي أيضا لا تصحّ إلا مع الحياة ، وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر مما لا حيلة له فيه نحو ميلان الحائط وإشراق ضوء الفجر .

قوله :

((** في مَهمَه قلِقَتْ به هاماتها **)) [2] ، البيت

المهمه المفازة ، والهامة وسط الرأس ، إذا أردن أي شارفن الخروج من الخشب ، ونصل السهم إذا خرج منه النصل ، يصف شدة المفازة ، وأن هامات النوق فيها قلقة ، قلق الفؤس إذا شارفن الخروج من نصالها ، قال الصّولي [3] : كان أبو فراس [4] سَيّيء الاعتقاد بالقرآن متعنّتا ظاهر الكفر ، قال لي يوما ونحن بمحضر من الناس : هل تعرف العرب إرادة لغير مميز ؟ ، فقلت : إنهم يعبرون عن الجمادات بالقول . قال :

** امتلأ الحوض وقال قطنى ** [5]

وقال : لم أر هذا ، وكان غرضه قوله تعالى : ﴿ جدارا يريد أن ينقضّ ﴾ فأيدّنى ا لله تعالى بأن ذكرت قول الراعي : في مهمهٍ قلقت ، البيت ، فكأنّني ألقمته الحجر وسرّ بذلك من كان صحيح النية وسوّد ا لله وجهه .

---

(1) ابن جنى في المحتسب ٢ / ٣١ .

(2) البيت للراعى يصف الإبل بأنها في مهمه . وتمام البيت :

** قلق الفؤس إذا أردن نصولا ** .

انظر الكشاف ٧٣٧/٢.

(3) الصولى : إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، أبو إسحاق كاتب العراق في عصره ، أصله من خراسان ، وكان جده محمد من رجال الدولة العباسية ، ونشأ إبراهيم في بغداد وقربه الخلفاء ، فكان كاتبا للمعتصم . ولد سنة ١٧٦ ومات ٢٤٣ . الأغاني ٩ / ٢٠ ، ومعجم الأدباء ١ / ٢٦١ .

(4) أبو فراس لعله : الحارث بن سعيد بن حمدان .

(5) رجز لا يعلم قائله . انظر شرح الشواهد للعينى ١ / ١٢٥ الصبان والأشمونى .

قوله : ((** إن دهرا يلفّ شملي **)) ، البيت [1] .

يقال : لففت الشيء إذا طويته وادرجته ، والشمل تألف الأمور واستواؤها ، وجُمْلٌ اسم محبوبته ، يقول : إن دهرا يجمع بيني وبين محبوبتي دهر هَمُّه الإحسان لا الإساءة.

قوله : ((** إذ قالت الأنساع **)) [2] . مضى شرحه في البقرة .

قوله : ((** تقول سنّى للنواة طنّي **)) [3] .

أوله : ** ويل لبرنّى الحزين منّي ** إذا التقت نواته وسنّي **

قوله : ((** وشكا إليّ بعبرة وتَحَمْحِمُ **)) [4] . أوّله :

** فازورّ من وقع القنابلبانه ** .

الازورار الميل ، ولبان الفرس موضع اللبب ، و الحمحم من صهيل الفرس ، ما كان فيه ، شبه الحنين لفراق صاحبه ، يقول : فمال فرسي مما أصابت صدره رماح الأعداء ، وشكي إلى بعبرة و تحمحم .

قوله : ((** إن يك ظنّي صادقا وهو صادقي **)) .[5]

تمامه : ** بشملّةٍ تَحْبِسُهُم بها مَحْبَساً وعِرا ** .

قائله أم شملة ، والباء في بشملة يتعلق بظني أو بصادقي، والمراد بالظن الفراسة، وهو صادقي أي ظني يصدقني ، والجملة معترضة ، تقول : إن كنت صادقة الظن بأنني شملة ، وظني يصدقني لا محالة ، فإن شملة محبس القوم بتلك المعركة ويأخذ بثأر أبيه .

---

(1) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه . وتمامه :

** إن دهراً يلُفّ شملي بُجمْلٍ ** لزمان يَهُمّ بالإحسان ** .

انظر الكشاف ٢/٧٣٧.

(2) البيت لأبي النجم ، وتمامه :

** إذا قالت الأنساع للبطن الحق ** قُدُوماً فآضَتْ كالفَنيق المحنّق ** .

ذكره الطبري ١ / ٥١٠ ، واللسان ١ /٧٠ ، ومضى شرحه عند قوله : ﴿ بديع السماوات والأرض ﴾ ، الآية ١١٧ من الأنعام

(3) لم أقف على قائله وانظر الكشاف ٢/٧٣٨.

(4) البيت لعنترة بن شداد ، وبعده :

** لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ** ولكان لو علم الكلام مكلّمي **

ذكره محمد عليان المرزوقي في كتابه " مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف " ٢/٧٣٨.

(5) القائلة أم شملة بن برد المنقدي . انظر مشاهد الانصاف ٢/٧٣٨.

وقوله : ((** تمرّد ماردُ وعَزّ الأبلق **)) [1] .

قال الميداني [2] : مارد حصن دومة الجندل ، والأبلق حصن السموءل بن عاديا ، وصف بالأبلق لأنه بنى من حجارة مختلفة بأرض تيماء ، قصدتهما الزباء [3] ملكة الجزيرة فلم تقدر عليها ، فقالت : تمرّد مارد وعزّ الأبلق ، فصار مثلا لكل ما يعزّ ويمتنع عن طالبه ، عزّ أي غلب من عز يعُزُّ بضم العين ، ويجوز أن يكون من عز يعِزّ بكسرها .

قوله : ((** يأتي على أجفانه ** ، البيت)) [4] .

أي يأبى الهمّ النوم على أجفانه ، وذلك الهمّ همّ متمرد إذا انقاد الهموم ، النهاية [5] : [غفوت غفوة ، أي نمت نومة خفيفة ، يقال : أغفى إغفاءة ، إذا نام ، وقلما يقال : غفا] .

قوله : ((** أبت الروادف ، البيت)) [6] .

الروادف جمع ردف وهو الكفل ، وصَفَها بأنها ناَهِدة الثّديين دقيقة الخصر لطيفة البطن عظيمة الكفل ، فالثدي يمنع القميص أن يلتصق ببطنها ، والردق يمنعه أن يلتصق بظهرها .

قوله : ((وقرىء (أن يُنقَضَ))) ، قال ابن جني [7] : [وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم برفع الياء وبالضاد المعجمة . وقرأ علي بن أبي طالب

---

(1) وتمامه :

** وقد قالت الزباالحصن سموأل ** تمرّد مارد و عزّ الأبلق ** .

مشاهد الانصاف ٢/٧٣٩.

(2) الميداني في أمثاله ٢/ ٢٥٧

(3) الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع ، الملكة المشهورة ، انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٤١ ، وقيل غيرها .

(4) البيت ، وتمامه : ** يأبى على أجفانه إغفاءة ** همٌّ إذا انقاد الهموم تمرّدا ** .

انظر الكشاف ٢/٧٣٩.

(5) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٧٦ ، مادة (غفا) .

(6) ** أَبَتِ الراودِف والثُّدِيّ لِقَمصِها ** مسّ البطون وأن تَمَسَّ ظُهورا** .

مشاهد الانتصاف ٢/٧٣٩.

(7) ابن جني في المحتسب ٢/ ٣١ بتصرّف .

وعكرمة (١) ينقاصُ بالصاد المهملة بالألف ، وهو مضارع قصته ، فانقاص أي كسرته فانكسر ، و قد قالوا : قضتّه فانقاض بالضاد المعجمة ، أي هدمته فانهدم ، وقراءة العامّة ﴿ أن ينقضّ ﴾ أشبه اوّلاً منها بآخر ، لأن الإرادة في اللفظ له] .

قوله : ((انقض إذا أسرع سقوطه)) ، الراغب (٢) : [انقضّ الحائط وقع وأقضّ عليه مضجعة صار فيه قضض ، أي حجارة صغار] .

قوله : ((** منقاص ومنكثب **)) (٣) . أوله :

** يُغَشّي الكِناس برَوْقَيْهِ ويَهْدِمُه ** من هائل الرمل منقاضٌ ومنكثب **

الكناس موضع الوحش من البقر والظبا يستظل به ، مشتق من الكنس ، لأنها تكنس الرمل حتى يصير إلى برد الثرى ، يقال : كنست الظبا وتكنّست استترت . والروق القرن ، ومنقاض أي منهدم ، منكثب هائل ، يصف الرملة يقول : الثور يغشّي الكناس بقرنيْه ويهدم الكناس ، مما انهال من الرمل وتناثر وتساقط قطعة قطعة ، ومنقاضٌ يروى بالضاد المعجمة من انقاض الطائر وانقضّ إذا أسرع في سقوطه . ويروى بالصاد المهملة من انقاصت السن إذا انشقّت ، وهو خبر مبتدأ محذوف أي هو منقاص وهو يعود إلى الكناس .

قوله : ((وقرىء لَتَخذْتَ)) (٤) ، ابن كثير وأبو عمرو ، والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء .

قوله : ((و التاء في تخذ أصل)) ، ذكر في باب الواو مع الخاء في الأساس (٥) ، وخذَ يخذ خذاً وخذانا . وفي باب التاء مع الخاء اتخذته خليلا ، وهو المراد من قوله :

---

(١) لعله عكرمة بن خالد بن العاص أبو خالد المخزومي المكّي ، تابعي ثقة جليل حجة ، روى القراءة عرضا عن أصحاب ابن عباس رضي الله عنه . مات سنة ١١٥ ، طبقات ابن الجزري ١/ ٥١٥ .

(٢) الراغب في مفرداته ٤٠٥ ، مادة (قض) .

(٣) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ٢١ .

(٤) قرأ (لتخذ) ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بتاء مفتوحة مخفّفة ، وخاء مكسورة بلا ألف وصل ، من تخذ بكسر عينه ، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن . والباقون بهمزة وصل ، وتشديد التاء وفتح الخاء ، من (اتخذ) الإتحاف ٢٩٤ .

(٥) الأساس ، لا يوجد في باب (وخذ) ويوجد في باب (تخذ) ٦١ .

وليس من الأخذ في شيء ، قال أبو البقاء (١) : [وهو من تخذ يتّخذ إذا عمل شيئا] و أما اتخذ بالتشديد فهو إما افتعل من تخذ أو من الأخذ ، وأصله أيتخذ ، فأبدلت التاء وأدغمت وأصل التاء همزة .

قوله : ((هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ)) (٢) ، قال ابن الحاجب (٣) في الأمالي : [المشار إليه (٤) لا يشترط أن يكون موجودا حاضرا ، بل يكفي أن يكون موجودا ذهنا ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ تلك الدار لآخرة ﴾ (٥) وهي معدومة ومن شروط وجود المشار إليه فهو حاصل] . وقال القاضي (٦) : [الإشارة بهذا إلى الفراق المعهود بقوله : ﴿ فلا تصاحبني ﴾ .] أو إلى الوقت ، أي هذا الوقت وقت الفراق .

قوله : ((أي هذا الاعتراض سبب الفراق)) (٧) ، في تخصيصه بدون الأولين الإشارة إلى أن الطمع أردى الخصال ، فإنه عليه السلام مهّد عُذْره فيهما لما في ظاهرهما من النفرة في جهة الإتلاف والإهلاك في الظاهر ، وفي هذا الإهلاك من جهة الباطن وطلب حظ النفس ، روى القشيري (٨) في رسالته عن بعضهم : لما نطق موسى عليه السلام بذكر الطمع ، وقال : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ ، قال الخضر : ﴿ هذا فراق بيني و بينك ﴾ .

---

(١) أبو البقاء ٢/ ١٠٧ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ ، سورة الكهف الآية ٧٨ ، قال (ز) في تفسير (هذا) : إشارة إلى ماذا ، فأشار إليه ، وجعله مبتدأ وأخبر عنه ، كما تقول : ((هذا أخوك إلخ ...)) .

(٣) أمالي ابن الحاجب ، مخطوط .

(٤) ما بين القوسين س من م .

(٥) سورة القصص الآية ٨٣ ، وتقدم هذا الكلام في أول سورة الحجر .

(٦) القاضي البيضاوي ٣/ ٢٣٢ .

(٧) يعني قوله : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ .

(٨) القشيري عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أبو نصر ، واعظ من علماء نيسابور علت له شهرة كبيرة ، ملازم للوعظ والتدريس . مات سنة ٥١٤هـ ، مرآت الجنان ٣/ ٢١٠ ، والبداية والنهاية ١٢/ ١٨٧ ، والأعلام للزركلي ٣/ ٣٤٦ .

قوله : ((فكان حقه أن يتأخر عن السبب)) (١) ، أي كان حق النظم أن يتأخر قوله : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ عن قوله : ﴿ وكان وراءهم ملك ﴾ ،لأن إرادة التعييب مسبب عن خوف الغصب .

قوله : ((وإنما قدّم للعناية)) وهي أن لا يحيط به علم موسى عليه السلام وأنه العالم بمثل ما خفي على مثله ، لقوله : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ ، قال صاحب المطلع (٢) : [قدم ليشير إلى العناية ، أي تتعجب منه يا موسى ، وهذا مَهَمّي وأنا مأمور به] .

قوله : ((ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده)) ، قال القاضي (٣) : [إن السبب لما كان مجموع الأمرين ، خوف الغصب ومسكنة الملاك ، رتّبه على أقوى الجزأين وأدْعاهما ، وعقّبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم] ، وقال صاحب الانتصاف (٤) : [كأنه جعل السبب كونها للمساكين ، ثم بين مناسبة هذا السبب بذكر عادة الملك في غصب السفن الصحيحة ، وهذا هو الترتيب أن يرتب الحكم على سبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد ، فلا يحتاج إلى جعله متقدما] ، وقلت : هذا هو الوجه .

قوله : ((زيد ظني مقيم)) ، قال المصنف : الظن يتعلق بالطرفين ، بالمبتدأ والخبر جميعا ، كما أن التعليل في ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ متعلق بالمسكنة والغصب فوسط بينهما .

قوله : ((كاخترامه)) (٥) ، الجوهري (٦) : [اخترمهم الدهر : اقتطعهم واستأصلهم] وهو خبر ، والمبتدأ أمره ، هذا بناءً على رعاية الأصلح يعني جواز أمر

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أما السفينة فكانت لمسٰكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ الكهف الآية ٧٩ ، قال (ز) في قوله : ﴿ فأردت أن أعيبها ﴾ : مسبب عن خوف الغصب ((فكان حقه إلخ ...)) ، قلت : وهذا لا ينبغي أن يقال في كتاب الله عز وجل .

(٢) لم أقف على صاحب المطلع .

(٣) القاضي البيضاوي ٣/ ٢٣٣ .

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٢/ ٧٤١ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴾ ، قال (ز) : وإنما خشي الخضر منه ذلك ، لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سرّ أمره ، وأمره إياه بقتله ((كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته)) .

(٦) الجوهري ٥/ ١٩١٠ ، مادة (خرم) .

ا لله تعالى الخضر بقتل الغلام لرعاية الأصلح لجواز إهلاك ا لله واستئصاله إياه لمفسدة عرفها ا لله في حياته .

قوله : ((ويجوز أن يكون ﴿ فخشينا ﴾ حكاية لقول ا لله عزّ وجلّ)) عطف على قوله وإنما خشي الخضر منه ، المعنى أن ا لله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سرّه وقال له : اقتل الغلام لأنّا نكره كراهية من خاف سوء العاقبة أن يغشى الغلام الوالدين المؤمنين طغياناً وكفراً ، ولمّا قال الخضر : ﴿ أما الغلام فكان أبواه مؤمنين ﴾ جعل قول ا لله تعالى : ﴿ فخشينا ﴾ وصلة لكلامه بدل قوله : ﴿ فخشينا ﴾ إيماءً إلى اضمحلال إرادته في إرادة ا لله ، وإعلاماً بأنّ علمه مقتبس من المشكاة القدسية ، ولا شوب فيه لرأيه ، وتحقيقاً لقوله : ﴿ وآتيناه من لدنّا علماً ﴾ . روى السلمي [1] عن الواسطي : الخضر شاهد الملك ، وشاهد موسى الوسائط ، كأنّه أخبر الخضر أنّ السؤال منه سؤال من ا لله ، أي لا تشهد الأسباب واشهد المسبّب تسترح من هواجس النفس ، وأما على الوجه الآخر ، فهو عليه السلام إنّما عظم نفسه ، لأنه اختصّ من عند ا لله بموهبةٍ لا يُختَصُّ بها إلاّ من هو من خواص الحضرة ، قال الإمام [2] : [إنّه عليه السلام لمّا ذكر العيب أضافه إلى نفسه ، وأضاف الرحمة في قوله : ﴿ أراد ربُّك ﴾ إلى ا لله تعالى ، على نحو ﴿ أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ﴾ [3] ، وعند القتل عظم نفسه تنبيهاً على أنّه من العظماء في علوم الحكمة ، وقلتُ : ويمكن أن يقال : إنّ في اختلاف الضمائر رمزاً إلى الترقي إلى معارج القدس ، والتدرّج إلى مَخْدَعِ الفَنا ، ففي أردت أردت [4] ، وفي خشينا سورٌ [5] منه ، وفي أراد ربُّك فناء محض ، كقوله تعالى : ﴿ وما رميتَ إذ رميتَ ولكنَّ ا لله رمى ﴾ [6] .

---

(1) السلمي ، تقدّمت ترجمته ، وهو من كبار المتصوّفة . قيل : كان يضع الأحاديث للصوفية ، كثير التصانيف في ذلك ، انظر : الأعلام ، ٦/٩٩ .

(2) الإمام الرازي في تفسيره ، ٢١/١٦٢ .

(3) سورة الفاتحة ، الآية ٧ .

(4) ففي م ((أردت)) مرتين ، كما في (١) .

(5) في ت (ثبوت) بدل (سور) .

(6) سورة الأنفال ، الآية ١٧ .

قوله : ((كقوله : ﴿ لأهبَ لـك ﴾ [1])) ، أي كقـول جبريل عليـه السلام لمريم : ﴿ لأهبَ لكِ ﴾ ، والواهب هو الله تعالى ، لكنّه مبلّغ لكلام الله إليها .

قولـه : ((وقـرىء يُبدّلها ، بالتشـديد)) [2] ، نـافع وأبـو عمـرو ، والبـاقون بالتخفيف .

قولـه : ((الـذي حفظا فيـه)) [3] ، أي روعـي جانبهمـا لأجلـه وكرامتـه ، المغـرب [4] : [الحفـظ خـلاف النسيان ، وقـد يجعـل عبـارة عـن الصـون وتـرك الابتذال] .

قوله : ((عن أمري ، عن اجتهادي ورأيي ، وإنّما فعلته بـأمر الله)) ، الأمـر الأول واحد الأمور ، والثاني واحد الأوامر ، قال القاضي [5] : [ومبنـى ذلـك علـى أنّه متى تعارض ضرران يجب أن يحمل أهونهما لدفع أعظمهمـا ، وهـو أصـل ممهّـد ، غير أنّ الشرائع في تفاصيله مختلفة] ، ومن فوائـد هـذه القصّـة ، أن لا يعجـب المرء بعلمه ، ولا يبادر إلى إنكار مالا يستحسنه ، فلعلّ فيه سرّاً لا يعرفه ، وأن يداوم على التعلّم ، ويتذلّل للمعلّم ، ويراعي الأدب في المقال ، وأن ينبِّه المجرم ، ويعفو عنه حتى يتحقّق إصراره ، ثمّ يهاجر عنه .

قوله : ((ذو القرنين هو الأسـكندر)) [6] ، قـد مرّ عـن الإمام أنّ في جعـل إسكندر ذا القرنين إشكالاً قويّاً ، وهو أنّه كان تلميـذاً لأرسـطاطاليس ، فكـان علـى مذهبه ، فتعظيم الله إيّاه يوجب الحكم بأنّ مذهب أرسطاطاليس حقٌّ ، وذلـك ممـا لا سبيل إليه .

---

(١) سورة مريم ، الآية ١٩ .

(٢) قرأ ﴿ يبدّلها ﴾ هنا ، والتحريم ﴿ أن يبدّله ﴾ وفي ن~ ﴿ أن يبدّلنـا ﴾ فـافع وأبـو عمـرو وأبـو جعفر بفتح الموحّدة وتشديد الدال في الثلاثة ، من (بـدل) ووافقهـم اليزيدي ، والبـاقون بسـكون الموحّـدة وتخفيف الدال من (أبدل) في الثلاثة ، الإتحاف ٢٩٤ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ ، قال (ز) : اعتـداد بصـلاح أبيهمـا ، وحفـظ لحقـه فيهما ، وكان بين الغلامين وبين الأب ((الذي حفظا فيه)) سبعة آباء .

(٤) المغرب ٢١٣/١ ، مادة (حفظ) .

(٥) القاضي البيضاوي ٢٣٤/٣ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً ﴾ .

قوله : ((اللهمّ غفراً)) [1] ، أي اغفر لهم غفراً .

قوله : ((ومدّت له الأسباب)) [2] ، أي أمكنه ا لله من كلّ شيء وأقدره .

قوله : ((وأحبّه ا لله)) ، أي مكّنه ا لله من كلّ شيء وأقدره .

قوله : ((ابن الكوّاء قال الفقيه أبو حنيفة ، الدينوري (في تاريخه) [3])) ، هو عبد ا لله بن الكوّاء [4] من كبراء الخوارج [5] ، اختاروه ليحاجّ علي بن أبي طالب في أمر الحكمين ، وجرت بينهما مجادلات حتى قال ابن الكوّاء في آخر كلامه : أنت صادقٌ في جميع ما تقول غير أنّك كفرتَ حين حكّمتَ الحكمين ، فقاتلهم علي رضي ا لله عنه ، وكان عليهم عبد ا لله بن وهب الراسبي [6] .

قوله : ((وفيكم مثله)) [7] ، يعني به نفسه ، أي لم يكن نبياً ، بل كان ولياً .

قوله : ((كما يسمى الشجاع كبشاً)) [8] ، الأساس [9] : [ومن المجاز هو كبش كتيبة] .

قوله : ((وقرىء فأتبع)) [10] ، الكوفيون وابن عامر فأتبع في الثلاثة بقطع الهمزة مخفّفة التاء ، والباقون بالوصل مشددة التاء .

---

(١) من كلام عمر رضي ا لله عنه سمع رجلاً يقول : (يا ذا القرنين ﴾ ، فقال : ((اللهمّ غفراً)) .

(٢) من كلام علي رضي ا لله عنه قال : سخّرت له السحاب ((ومدّت له الأسباب)) .

(٣) ما بين القوسين س من ت .

(٤) عبد ا لله بن الكوّاء بن عمرو بن النعمان بن ظالم . ذكره ابن حزم في الأنساب ٣٠٨ ، وابن حجر في ميزان الاعتدال ١٨٨/٣ ، وقال : إنّه من رؤوس الخوارج .

(٥) الخوارج : هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه ، وكانوا معه في القتال ، فصاروا عليه بعد أن كانوا معه في قتال معاوية بن سفيان رضي ا لله عنهما ، وكفّروا علياً رضي ا لله عنه .

(٦) عبد ا لله بن وهب الراسبي من الأزد ، من أئمة الإباضية ، كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة ، أدرك النبي صلى ا لله عليه وسلم ، وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص ، ثمّ كان مع علي في حروبه ، ولّما وقع التحكيم أنكره جماعة فيهم الراسبي هذا ، فاجتمعوا بالنهروان ، وأمّروه عليهم ، فقاتلوا علياً رضي ا لله عنه ، وقتل الراسبي هذا في هذه الوقعة ، الأعلام ١٤٣/٤ .

(٧) وفيكم مثله ، يعني نفسه ، أي علي بن أبي طالب ، لأنّه كان داعية للتوحيد ، ولياً من أولياء ا لله.

(٨) أي لقب ذو القرنين لشجاعته .

(٩) الأساس ٥٣٤ ، مادة (كبش) .

(١٠) قرأ ﴿ فأتبع سبباً ، ثمّ أتبع سبباً ﴾ في الثلاثة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بقطع الهمزة وإسكان التاء في الكلّ ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بوصل الهمزة وتشديد التاء ، الإتحاف ٢٩٤ .

قوله : ((قرىء حمئة)) [1] ، ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي حامية ، بألف من غير همزة ، والباقون بغير ألف مع الهمز .

قوله : ((وعن أبي ذرّ ، الحديث)) [2] ، رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه .

قوله : ((** فرأى مغيب الشمس ..**)) [3] البيت . أوله من المطلع :

** قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ** مَلِكاً تدين له الملوك وتسجد **

** بلغ المشارق والمغارب يبتغي ** أسباب أمر من حكيم مرشد **

الضمير في بلغ لذي القرنين ، مآبها أي مغيبها ، والخلب الطين ، والحمأة والثأط ، الحمأة واحدها ثاطة ، وفي المثل : ثاطة مدت بماء [4] ، يضرب للرجل يشتدّ حمقه ، فإنّ الماء إذا زيد على الحمأة ازدادت فساداً ، والحرمد الأسود ، ذكره في النهاية [5] وقال : فيها أنشد ابن عباس هذا البيت . وقد حاجّه عمرو في قوله تعالى : ﴿ تغرب في عين حمئة ﴾ [6] .

قوله : ((وقيل : خيَّره بين القتل والأسر)) [7] ، عطف على قوله : فخيّره الله بين أن يعذّبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام المعنيّ بقوله : ﴿ أن تتّخذ فيهم حُسناً ﴾ ، وهو على الأول ظاهر ، فأمّا الأسر فليس فيه إحسان ، حتى يقال : ﴿ أن

---

(١) قرأ ﴿ في عين حمئة ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب بالهمز من غير ألف ، ووافقهم اليزيدي ، والباقون بألف بعد الحاء وإبدال الهمزة ياءً مفتوحةً . الإتحاف ٢٩٤ .

(٢) عن أبي ذرّ قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ، فرأى الشمس حين غابت ، فقال : يا أبا ذرّ ، أتدري أين تغرب هذه ؟ ، فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّها تغرب في عين حامية . أخرجه أحمد في مسنده ، ١٦٥/٥ ، وأبو داود ٢٩٤/٤ ، كتاب الحروف والقراءات ، برقم ٤٠٠٢ ، من حديث أبي ذرّ .

(٣) البيت لتبع الأكبر المذكور في القرآن ، يفتخر بجدّه ، وتمام البيت :

** فرأى مغار الشمس عند مآبها ** في عَيْنِ ذي خُلَبٍ وثاطِ حَرْمَدِ **

الانصاف ٧٤٤/٢.

(٤) الأمثال للميداني ٢٨٨/١ ، برقم ٤٠٨ .

(٥) النهاية ٣٧٥/١ ، مادة (حرمد) ، قال : الحرمد : طين أسود شديد السواد .

(٦) يشير إلى ما ذكره (ز) ، قال : قرأ معاوية رضي الله عنه (حامية) ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : (حمئة) ، فقال معاوية لعبد الله بن عمرو : كيف تقرأ ؟ ، قال : كما يقرأ أمير المؤمنين .. إلخ .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذّب وإما أن تتّخذ فيهم حُسناً ﴾ .

تتخذ فيهم حُسنا ﴾ . ولهذا قال : وسمّاه إحساناً في مقابلة القتل ، لأنّ من استحقّ القتل فإذا صولح معه بالأسر فقد عومل معه بالإحسان . قال القاضي [1] : [ويؤيّد الأول قوله : ﴿ وأمّا من ظلم فسوف نعذّبه ثمّ يردّ إلى ربّه فيعذّبه عذاباً ..﴾ أي اختار ذو القرنين الدعوة ، ولذلك قال : ﴿ أمّا من ظلم فسوف نعذّبه ﴾ أي أمّا من دعوته فظلم نفسه بالإصرار على كفره وشركه ، لأنّ الشرك ظلمٌ ، فأعذّبه أنا ومن معي بالقتل في الدنيا ، ثمّ يعذّبه الله في الآخرة عذاباً لم يعهد مثله] ، وقلت : أمّا على الوجه الثاني فإنّه تعالى لمّا خيّره بين القتل والأسر ، وكان حقّه أن يقول لهم : اختاروا إمّا القتل وإمّا الإشراك [2] ، فترك ذلك إلى الدعوة ، وقال : ﴿ أمّا من ظلم ﴾ ﴿ وأمّا من آمن ﴾ ، فآثر حقّ الله على حقّ نفسه من ظلم ، أي بقي على شركه ، فالقتل والأسر منّي ﴿ ثمّ يردّ إلى ربّه فيعذّبه عذاباً نكراً ﴾ ومن آمن وعمل صالحاً فجزاؤه عند الله الجنّة ، وعندي القول الميسور ، فقدّم في جانب العذاب ما كان منه على ما هو عند الله ، وعكس في جانب الرحمة .

قوله : ((وقرىء : ﴿ فله جزاءً الحسنى ﴾ [3])) ، أي فله الفعلة الحسنى جزاءً ، حفص وحمزة والكسائي ، فله جزاءً الحسنى ، بالتنوين ونصبه . والباقون بالرفع من غير تنوين . قال مكّي [4] : [من رفع (جزاء) ، جعله مبتدأ ، و (فله) الخبر ، أي فله جزاء خلال الحسنى ، فـ(الحسنى) مضاف إليه ، وقيل : هي على تقدير الرفع على البدل من جزاء ، وحذف التنوين للتقاء الساكنين ، والحسنى الجنّة ، ومن نصب ونوّنه ، جعل (الحسنى) مبتدأ ، و(له) الخبر ، وجزاء نصب

---

(1) القاضي البيضاوي ٣/٢٣٥ ، بتصرّف .

(2) الأسر في ت بدل الإشراك .

(3) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب : ﴿ فله جزاءً الحسنى ﴾ بفتح الهمزة منوّنة منصوباً ، على أنّه مصدر ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بالرفع من غير تنوين ، الإتحاف ٢٩٤ .

(4) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي ، أبو محمد ، مقرىء عالم بالتفسير والعربية ، من أهل القيروان ، له كتب كثيرة ، منها : مشكل إعراب القرآن ، والكشف عن وجوه القراءات وعللها . مات سنة ٤٣٧ ، وانظر ما قال هنا في كتابه هذا وجوه القراءات ٢/٧٤-٧٥ بتصرف ، وكتابه مشكل إعراب القرآن ٢/٤٨ .

على الحال ، أي فله الجنة مجزيا بها ، وقيل : جزاء نصب على التمييز . وقيل : على المصدر ، أي يجزى بها جزاء . ومن نصب ولم ينوّنه ، حذف التنوين للتقاء الساكنين ، والحسنى رفع تقديراً ، وفيه بُعدٌ .] .

قوله : ((مطلع)) (١) ، بفتح اللام ، وهو مصدر ، وفي الكواشي (٢) : [مَطْلِعَ بالكسر ، هي المشهورة ، وهي اسم لوقت الطلوع أو لموضع الطلوع ، وبالفتح مصدر ، أي مكان الطلوع (٣) ، وهي شاذّة (٤) .

قوله : ((** كأنّ مَجَرَّ الرامسات ذيولها **)) (٥) . تمامه :

** عليه قضيم نمّقته الصوانع **

قال في المطلع يريد كأنّ أثر مجرّ الرامسات ، أي جرهنّ ، والرامسات المثيرات للرمس ، وهو التراب ، الرياح الروامس : التي تثير التراب وتدفن الآثار ، ورَمَسْتُ الرجل وأرْمسَه : دَفَنْتُه ، والقضيم الجلد الأبيض ، و نمّقت الكتاب إذا حسّنته وجوّدته ، ولا بدّ من تقدير المضاف ليحسن لشبهه بالقضيم ، وذيولها مفعول مجرّ ، أي جرّهنّ ذيولها . وقضيم خبر كان ، وهو المشبّه به ، أي كان آثار مجرّ ذيولها جلدٌ نمّقه الكاتب ، ولا بدّ من عامل في الذيول ، واسم المكان لا يعمل .

قوله : ((والستر)) (٦) ، الأبنية ، وفي إيجاز البيان (٧) : [المراد دوام طلوعها عليهم في الصيف ، وإلاّ فالحيوان يختار الكنّ (٨) حتى الإنسان ، وهذا المكان وراء

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قومٍ لم نجعل لهم من دونها سِتراً ﴾ الآية ٩٠ .

(٢) الكواشي لأحمد بن يوسف ، تقدّم .

(٣) في ت (مكان طلوع الشمس) .

(٤) قرأ ﴿ مطلع الشمس ﴾ بفتح اللام عيسى وابن محيصن ، وابن كثير في رواية شبل ، مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٨٢ .

(٥) البيت للنابغة . انظر مشاهد الإنصاف ٢/٧٤٥.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ستراً ﴾ .

(٧) إيجاز البيان ، لم أقف عليه .

(٨) الكنُّ : السترة ، والجمع أكنان ، قال تعالى : ﴿ وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ ، المصباح ٦/٢١٨٨

برزه من تلقاء بلغار [1] ، تدور فيه الشمس بالصيف ظاهرة فوق الأرض ، إلاّ أنها لا تسامت رؤوسهم .

قوله : ((كذلك)) ، أي أمْر ذي القرنين كذلك ، اعلم أنّ (كذلك) إمّا خبر مبتدأ محذوف أو صفة لموصوف مذكر ، أو صفة مصدر محذوف ، فعلى الأول المشار إليه بذلك جميع ما سبق من أمر ذي القرنين ، وفيه تفخيم للفذلكة [2] بعد التفصيل ، ولهذا قال تعظيماً لأمره ، وقوله : ﴿ وقد أحطنا بما لديه خُبراً ﴾ ، الجملة تكميل لأنّه أردف التعظيم التكثير ، كأنّه قيل : أمر ذي القرنين كما وصفنا ، وله أسباب عدة غير ما ذكر ، لا يحيط بها علم أحد غير ا لله لقوله تعالى : ﴿ وما يعلم جنود ربك إلاّ هو ﴾ [3] ، ﴿ وأحاط بما لديهم وأحصى كلّ شيء عدداً ﴾ [4] ، وعلى الثاني ، إمّا هو صفة لقوله : ﴿ ستراً ﴾ ، وإليه الإشارة بقوله : ستراً ، مثل ذلك الستر ، وليس بذاك [5] ، لأنّ قوله : ﴿ وقد أحطنا بما لديه خُبراً ﴾ لا يحسن الْتِآمُه على هذا ، أو وصفَه لقوم ، والمشار إليه بذلك أحوال القوم المارّ ذكرهم عند قوله : ﴿ ووجد عندها قوماً قلنا ..إلى آخره ﴾ ، ويحسن الْتآم قوله : ﴿ وقد أحطنا ﴾ ، أي أحطنا بما لديه خبراً من التخيير والاختيار والدعوة والإحسان . وعلى الثالث المشار إليه ما سبق من البلوغ في قوله : ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس ﴾ ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ بلغ مطلع الشمس ﴾ ، كما بلغ مغربها ، ومعنى ﴿ وقد أحطنا بما لديه ﴾ أي بما عند ذي القرنين ممّا يتّصل بالبلوغ من البعث والمشقّة وآداب السير ، فقوله : ﴿ وقد أحطنا بما لديه ﴾ على هذين التفسيرين تتميم ومبالغة .

---

(1) بُلْغار بالضم والغين معجمة ، مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال ، شديدة البرد ، لا يكاد الثلج يقلع عنها ، بناؤها بالخشب وحده ، ليلهم لا يتجاوز ساعة ، ونهارهم طويل . انظر معجم البلدان ١/٤٨٥–٤٨٨

(2) الفذلكة : هي المقدمة المجملة ، المعجم الوسيط ٢/٦٧٨ .

(3) سورة المدثر الآية ٣١ .

(4) سورة الجن الآية الأخيرة .

(5) (وليس بذلك) في ت .

قوله : ((قرىء بالضم والفتح)) [1] ، نافع وابن عامر وأبوبكر بضم السين . والباقون بفتحها .

قوله : ((لأنّ السُّدّ بالضم فعل)) ، قال صاحب التقريب : [ولا يخفى ضعف هذا التوجيه] ، قال محي السُّنة [2] : [هذا قول عكرمة ، وقاله أبو عمرو . وقيل هما لغتان ، وقيل : بالضم اسم وبالفتح مصدر] .

قوله : ((وقرىء يفقهون)) [3] ، حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف ، والباقون بفتحهما .

قوله : ((وقرئآ مهموزين)) [4] ، عاصم ، والباقون بغير همز ، نقل صاحب المطلع عن الأنباري ، قال : وجه همزه وإن لم يعرف له أصل أنّ العرب قد همزت مالا أصل للهمز فيه ، نحو لَبَأْتُ بالحجّ ، ورَثَأْتُ الميت . وإذا فعلوا هذا في لغتهم لا يردّهم ذلك في الألفاظ الأعجمية ، وأمّا روية فقلب الياء همزة كأثرني في يثرني .

قوله : ((قرىء خرجاً وخراجاً)) [5] حمزة والكسائي خراجاً ، والباقون ﴿ خَرْجاً ﴾ ، الراغب [6] : [قيل : لما يخرج من الأرض وكرى الحيوان ، ونحو ذلك خَرْجٌ وخَراجٌ . قال تعالى : ﴿ أم تسألهم خرجاً فخراج ربّك خير ﴾ [7] ، فإضافته إلى

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً ﴾ الآية ٩٣ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ﴿ بين السَّدَّين ﴾ بفتح السين ، ووافقهم ابن محيص واليزيدي . والباقون بضمّها ، الإتحاف ٢٩٤ .

(٢) محي السنة البغوي ٥/٢٠١ ، بتصرّف .

(٣) وقرأ ﴿ يُفْقِهُون ﴾ حمزة والكسائي وخلف ، بضم الياء وكسر القاف ، من أفقهه غيره معدى ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بفتح الياء والقاف ، من فقهه الثلاثي ، الإتحاف ٢٩٥ .

(٤) قوله تعالى : ﴿ قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ الآية ٩٤ ، قوله : ﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ قرأها عاصم هنا وفي الأنبياء بهمزة ساكنة فيهما ، لغة بني أسد ، والباقون بألف خالصة بلا همز ، الإتحاف ٢٩٥ .

(٥) قرأ : ﴿ خَرَاجاً ﴾ هنا وفي قد أفلح حمزة والكسائي وخلف ، بفتح الراء وألف بعدها فيهما ، ووافقهم الحسن والأعمش , والباقون بإسكان الراء بلا ألف فيهما ، الإتحاف ٢٩٥ .

(٦) الراغب في مفرداته ١٤٥ ، مادة (خرج) .

(٧) سورة المؤمنون الآية ٧٢ .

الله تعالى تنبه أنّه هو الذي ألزمه وأوجبه ، والخَرْجُ أعمُّ من الخـراج ، وجُعِل الخـرج بإزاء الدَّخْل ، قال تعالى : ﴿ فهل نجعل لك خرجاً ﴾ ، والخـراج مُخْتَصٌّ في الغـالب بالضريبة على الأرض . وقيل : العبد يؤدّي خراجـه ، أي غلتـه ، والرعيّـة تـؤدّي إلى الأمير الخراج ، وقيل : الخراج بالضمان [1] ، أي ما يخرج من مال البائع فهو بإزاء ما سقط عنه من ضمان المبيع ، والخارجيّ الذي يخرج بذاته من أحوال أقرانه ، ويقـال : على سبيل المدح إذا خرج إلى منزلة هو أعلى منه ، وتارة يقـال علـى سـبيل الـذمّ إذا خرج إلى منزلة من هو أدنـى منـه ، وعلـى هـذا يقـال : فـلان ليـس بإنسـان ، مدحـاً وذمّاً ، والخرج لونان من سـواد وبيـاض ، يقـال : ظليـم أخْـرَجُ ، ونعامـة خرجـاء ، وأرض مُخَرّجـة ذات لونـين لكـون النبـات فيهـا في مكـان دون مكـان] ، وقـال القـاضي [2] : [كلاهمـا واحـد ، كـالنَّوْل والنَّـوَال ، وقيـل : الخـراج علـى الأرض والذمّة ، والخرج المصدر .] ، وقوله : ﴿ آتوني زبَـر الحديـد ﴾ لا ينـافي ردّ الخـراج والاقتصار على المعونة ، كأنّ الإيتاء بمعنى المناولة ، يـدلّ عليـه قـراءة أبي بكـر [3] : ﴿ إيتوني ﴾ بمعنى جيئني .

قولـه : ((قـرىء بالإدغـام)) [4] ، ويفكّـه ابـن كثـير بـالفكّ ، والبـاقون بالإدغـام . قـال صـاحب المطلـع : [مـن فـكّ لأنّ النونَـين اجتمعتـا في كلمتـين ، والثانيـة غـير لازمـة ، يقـال : مكّنـه ومكّنتـه ، فلـم يدغـم ، ومـن أدغـم فلاجتمـاع المثلَين] .

---

(1) حديث رواه أحمد في مسنده ، ٤٨/٦ . وأبو داود في البيوع برقم ٣٠٥٨ . والترمذي برقم ١٢٥٨ ، وحسّنه مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها . والنسائي ٢٥٤/٧ . وابن ماجة برقم ٢٢٤٢. والحاكم ١٥/٢ ، انظر تلخيص الحبير ٢٢/٣ .

(2) القاضي البيضاوي ٢٣٩/٣ .

(3) قرأ أبو بكر من طريق العليميّ وأبي حمدون ، عن يحيى عنه بهمزة ساكنة ، الإتحاف ٢٩٥ .

(4) قرأ ﴿ قال ما مكّني فيه ربّي ﴾ ابن كثير وحده بنونين خفيفتين ، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الإظهار على الأصل ، والباقون بنون واحدة مشدّدة بإدغام النون التي هي لام الفعل في نون الوقاية . الإتحاف ٢٩٥ .

قوله : ((كالبُرْد المحَبَّر)) (1) ، النهاية (2) : [الحبير من البرود ما كان موشياً مخطّطاً ، وهو بردٌ يمان] .

قوله : ((وقرىء الصدفين بضمّتين)) (3) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ، وأبوبكر بضمّ الصاد وإسكان الدال ، والباقون بفتحتين ، وبضمّ الدال شاذ . قال القاضي (4) : [كلّها لغات من الصدف ، وهو الميل ، لأنّ كلاًّ منهما منعدل عن الآخر ، ومنه التصادف التقابل] .

قوله : ((و ﴿ قطراً ﴾ منصوب بأفرغ)) ، فأعمل الثاني على مذهب البصريين ، لأنّه لو أعمل الأول لقيل : آتوني أفرغه ، إذ المختار أن لا يحذف الضمير المفعول في الثاني ، لأنّه يؤدّي إلى اللبس ، فالهاء عائدة إلى ﴿ قطراً ﴾ وهو المفعول الثاني ، وإن جاز حذفه لكن لا يليق بفصاحة القرآن ترك الاختيار .

قوله : ((وقرىء : ﴿ قال إيتوني ﴾)) ، أي جيؤوني ، أبو بكر وحمزة بهمزة ساكنة بعد اللام من باب المجيء ، وإذا ابتدأ أكسر همزة الوصل ، وأبدلا الهمزة الساكنة ياءً ، والباقون بقطع الألف ومدّةٍ بعدها في الحالين .

قوله : ((وأمّا من قرأ بإدغام التاء)) ، قرأ حمزة : ﴿ فما اسطّاعوا ﴾ بتشديدالطاء ، والباقون بتخفيفها .

قوله : ((وقرىء دكاء)) (5) ، بالمدّ الكوفيّون بالمدّ والهمز من غير تنوين . والباقون بالتنوين من غير همز .

---

(1) يشير إلى ما رواه قتادة ، قال : ذكر لنا أنّ رجلاً قال : يارسول الله قد رأيتُ سدَّ يأجوج ومأجوج . قال انعته لي ، قال : ((كالبُرْد المحبر)) ، رواه الطبري في تفسيره ، وابن مردويه في تفسيره ، والقرطبي ٦٣/١١ ، والدر المنثور ٤٥٨/٥.

(2) النهاية ١١٤/١ .

(3) قرأ ﴿ الصُدُفَين ﴾ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ، بضمّ الصاد والدال ، ووافقهم اليزيدي وابن محيص والحسن . وقرأ أبو بكر بضمّ الصاد وإسكان الدال ، والباقون بفتحهما ، **الإتحاف ٢٩٥**.

(4) القاضي البيضاوي ٢٣٦/٣ .

(5) قرأ : ﴿ دكّآء ﴾ بالمد والهمز ممنوع من الصرف عاصم وحمزة والكسائي وخلف . والباقون بتنوين الكاف بلا همز ، مصدر دكّكته . الإتحاف ٢٩٦ .

قوله : ((أو على الفعل والفاعل)) ، يعني يحتمل قراءة علي رضي ا لله عنه (1) أن يُحمل على الابتداء والخبر ، بأن يقال : إن ﴿ حسب ﴾ مبتدأ مضاف إلى الذين كفروا ، و ﴿ أن يتخذوا ﴾ الخبر ، وكذا أيضاً عن أبي البقاء (2) : [أو على الفعل والفاعل ، بأن يقال : إنّ حسب بمعنى المحسب ، واسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة يعمل ، والفاعل ﴿ أن يتخذوا ﴾ (3) .

قوله : ((أقائم الزيدان ؟)) ، إنّما مثّل به دون أقائم زيد ؟ ، لأنّه أراد أن يمثّل بما يتعيّن فيه عمل اسم الفاعل في الظاهر .

قوله : ((وهي قراءة محكمة جيّدة)) ، قال ابن جنّي (4) : [القراءة ساكنة السين غاية في الذمّ ، لأنّه جعل غاية مرادهم ومجموع مطلبهم] .

قوله : ((كقوله : ﴿ عاملةٌ ناصبةٌ ﴾)) (5) ، أي عملت نصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة .

قوله : ((أهل حروراء)) (6) ، قرية بالكوفة ، والحرورية فرقة من الخوارج منسوب إليها .

---

(1) قراءة علي رضي ا لله عنه وابن عباس وعكرمة ومجاهد : ﴿ أَفَحَسْبُ الذين كفروا ﴾ بإسكان السين ، شواذ القرآن ٨٢ .

(2) ٢/١٠٩ .

(3) على حدّ قوله في الخلاصة :

** مبتدأ زيد وعاذر خبر ** إن قلت زيد عاذر من اعتذر **

** فأول مبتدأ والثاني ** فاعل أغنى في أسار ذان **

ومحل الشاهد (أسار ذان) ، فالهمزة للاستفهام ، و (سار) مبتدأ ، و (ذان) فاعل سدّ مسدّ الخبر ، ويقاس على هذا ماكان مثله ، وهو كلّ وصف اعتمد على استفهام أو نفي ، نحو : (أقائم الزيدان ؟) ، وما قائم الزيدان .

(4) المحتسب ٢/٣٤ .

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل هل أنبّئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم ﴾ الآية ، قال (ز) في قوله : ﴿ ضلّ سعيهم ﴾ : أي ضاع وبطل ، وهم الرهبان ، يعني الذين يتقرّبون إلى ا لله على غير شرع ، على أنّ معنى قوله تعالى : ﴿ عاملة ناصبة ﴾ في الرهبان ، سورة الغاشية ، الآية ٣ ، ومثلها قوله تعالى في سورة النور الآية ٣٩ : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ..﴾ الآية ، وقوله تعالى في سورة إبراهيم الآية ١٨ : ﴿ مثل الذين كفروا بربّهم أعمالهم كرمادٍ اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ ﴾ .

(6) يشير إلى تفسير علي رضي ا لله عنه لهذه الآية لمّا سأله ابن الكوّاء ، فقال : منهم أهل حروراء .

قوله : ((جهنّم)) ، عطف بيان لقوله : ﴿ جزاؤهم ﴾ فذلك مبتدأ ، وجزاؤهم الخبر ، والمشار إليه بقوله : ذلك جزاؤهم ﴾ ، كما تقول : هذا زيد ، وتحقيقه ما سبق في قوله : ﴿ هذا فراق بيني وبينك ﴾ ، وفيه بحث ، لأنّه لا يحسن أن يقال : ذلك جهنّم . قال أبو البقاء [1] : [ذلك ، أي الأمر ذلك ، وما بعده مبتدأ وخبر] ، وهذا جيد ، النهاية [2] : وفي حديث فاطمة بنت قيس : (فإنّها امرأة تكثر عوادها) ، أي زوارها ، وكل من أتاك مرّة بعد أخرى ، فهو عائد ، وإن اشتهر ذلك في عيادة المريض حتى كأنّه مختصّ به .

قوله : ((كلمات علم الله وحكمته)) [3] يشعر بأنّ الكلمات في قوله تعالى : ﴿ اتل ما أوحي إليك من كتاب ربّك لا مبدّل لكلماته ﴾ [4] أخصّ منها ، لأنّ المراد بها كلمات [5] ما أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن المجيد ، ومن اطلع على أسرار النظم ، عرف موجب ذلك ، والإضافة في قول المصنّف كلمات علم الله [6] ، تؤذن بأنّها غير متناهية ، ولفظه (قَبْلَ) توهم أنّ لها أيضاً نفاداً ، قال الإمام [7] : تمسكت المعتزلة بها ، أنّ كلام الله محدث ، بأنّ ما ثبت عدمه امتنع قدمه ، وأجاب : أنّ ذلك راجع إلى الألفاظ والحروف ، والجواب غير مرضٍ ، لأنّ التمثيل بالبحر يأباه ، ولأنّ هذه الآية مّما استدلّوا بها على قدمها ، فكيف يلتزم حدوثها ؟ ، ألا ترى كيف استشهد بها صاحب شرح السنّة في باب الردّ على من

---

(1) أبو البقاء ٢/١٠٩ .

(2) النهاية ٥/٣١٧ ، مادة (عود) .

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربّي ﴾ .

(4) سورة الكهف الآية ٢٧ .

(5) في م بها (كل) كلمات .

(6) هذا على مذهب الأشاعرة وغيرهم في تأويل كلام الله ، وأهل السنّة من سلف الأمّة يقولون : لم يزل الله متكلّماً إذا شاء ، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان الآية ٢٧ : ﴿ ولو أنّما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ الآية .

(7) الإمام الفخر الرازي ٢١/١٧٦ ، بالمعنى .

قال بخلق القرآن (١) ، ووجهه أنّها واردة على التنزّلات الربّانيّة ، حيث نزّل غير المتناهي منزلة المتناهي فرضاً وتقديراً تفهيماً للعباد وتقريباً لهم ، وهو من التمثيل

---

(١) تقدّم الكلام على كلام الله المنزّل ، والمعتزلة يرون أنّ القرآن مخلوق ، وقال أبو المغفر السمعاني رحمه الله في تفسيره عند قوله في سورة الزخرف الآية ٣ ، عند قوله تعالى : ﴿ حم * والكتاب المبين * إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون ﴾ : والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وعليه إجماع أهل السنة ، وزعموا أنّ من قال إنّه مخلوق فهو كافر ، لأنّ فيه نفي كلام الله تعالى . أ هـ ، وذكر البخاري رحمه الله في كتابه خلق أفعال العباد ما يثبت ذلك عن سفيان بن عيينة والثوري ومعاوية بن عمار وعمرو بن دينار وأحمد بن حنبل وابن المبارك وجمّ غفير من العلماء ، قال : واستدلّ المعتزلة بقوله : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ على أنّ القرآن مخلوق ، وقالوا : كلّ محدثٍ مخلوق . والجواب عنه : أنّ معنى قوله : ﴿ محدث ﴾ أي محدث نزوله ، ذكره الأزهري وغيره ، ويقال : أنزل في زمان بعد زمان .. إلخ . وما ذكره محي السنّة البغوي في شرح السنّة ١٨١/١ ، قال : باب الردّ على من قال بخلق القرآن . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ ﴾ الجاثية الآية ٢٩ ، فالقرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وصفته ، ليس بخالق ولا مخلوق ، ولا محدث ولا حادث ، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في القلوب ، متلوّ بالألسن ، مسموع بالآذان . قال الله تعالى : ﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ الحجر الآية ٩ ، وقال : ﴿ كتاب أنزلناه مبارك ليدّبّروا آياته ﴾ ص ٢٩ ، وقال تعالى : ﴿ والطور * وكتاب مسطور * في رقّ منشور ﴾ الطور ١-٣ ، وقال تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ البروج ٢٢ ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ العنكبوت ٤٩ ، وقال عز وجل : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ الشعراء ١٩٣ ، وقال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين * وأن أتلو القرآن ﴾ النمل ٩١-٩٢ ، وقال الله عزوجل : ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ الأحزاب ٣٤ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد يسرن القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ القمر ١٧ ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لو لا أن يسّره الله على لسان الآدميين ما استطاع أحد أن يتكلّم بكلام الله . وقال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ التوبة ٦ ، وقال عز وجل : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ﴾ الأحقاف ٢٩ ، وقال تعالى : ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ﴾ الجن ٢ ، وقال تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ الأنبياء ٢ ، ليس ذلك حَدَث الخلق ، إنما هو حدوث أمر ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ الطلاق ١ ، وقال ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وأن مما أحدث ألاّ تكلموا في الصلاة . أخرجه البخاري تعليقا ١٣/ ٤١٦ ، كتاب التوحيد ، وقوله عز وجل : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ الأنبياء ٢ يريد : ذكر القرآن وتلاوته عليهم وعلمهم به كل ذلك محدث ، فالمذكور المتلو المعلوم غير محدث ، كما أن ذكر العبد لله محدث والمذكور غير محدث . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزوجل : ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج ﴾ الزمر ٢٨ ، قال : غير مخلوق ، وابن عيينة : بين الله الخلق من الأمر ، قال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ الأعراف ٥٤

الذي يفرض الممثل به فرضاً مثلت حالة الكلمات التامات في سعتها وفرط كثرتها بحالة ما لو فرض البحر مداداً له لنفد قبله ، ثم أدخل الممثل في جنس الممثل به فأجرى عليه حكم الإحصاء والكتب والنفاد تنزيلاً [1] تفهيماً ، والمعنى : لو فرضنا أنّ غير المتناهي داخل تحت حكم المتناهي ، وأنّه نوع من جنسه ، لنفد قبل نفاده ، فكيف وأنه ليس من جنسه ؟ ، هيهات ، أين الثريّا من الثرى ! ، ولذلك جمع كلمات جمع قلّة تتميماً للمعنى ، أي إذا كان حكم الكلمات بهذه المثابة ، فما ظنّك بالكلم ، ووضع المظهر موضع المضمر في قوله : ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربّي ﴾ إشعار بالعلّية ، وأنّها حقيق بأن تكون غير متناهية . وأمّا بيان النظم فهو أنّ المخالفين لّما اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يبدّل آية مكان آية ، قيل له : ﴿ واتل ما أوحي إليك من كتاب ربّك لا مبدّل لكلماته ﴾ [2] ، أي دعهم وعنادهم ، واشتغل بالتلاوة ودُم عليها ، فإنّه لا يقدر على تقدير كلمات ربّك إلاّ هو ، ثمّ كشف بعد ذلك من قوله : ﴿ واصبر نفسك ﴾ [3] إلى قوله : ﴿ لا يبغون عنها حِولاً ﴾ عن نبذ من أسرار عجيبة محتجبة وراء أستار الغيب ، ثمّ عقبها بقوله : ﴿ قل لو كان البحر مداداً ﴾ ، يعني قل لهم : لو كان البحر مداداً لهذا الجنس من الكلمات التامات ، لنفد البحر قبل نفادها ، فكيف إبدالها من تلقاء نفسي ؟ وأنا بشر مثلكم لا فرق بيني وبينكم في عدم القدرة على التبديل إلاّ أنّي خصّصتُ بتلقّي الوحي ، وفُضّلتُ بمزيّة الرسالة ، وإلى هذا ألمح قوله تعالى : ﴿ وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته ﴾ ، وقريب من هذه المعاني ما في قوله تعالى : ﴿ وإذا

، وقال تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان ﴾ الرحمن ١-٣ ، فلم يجمع القرآن مع الإنسان في الخلق ، بل أوقع اسم الخلق على الإنسان ، والتعليم على القرآن ، وقال الله : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾ الكهف ١٠٩ ، وحديث مسلم : (أعوذ بكلمات الله التامات) هي القرآن ، واستعاذة النبي صلى الله عليه وسلم بها دالة على أن القرآن غير مخلوق ، لأنّه صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق . إلخ .

[1] في م (تنزّلاً) .

[2] سورة الكهف الآية ٢٧ .

[3] سورة الكهف الآية ١٨ .

تتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّلْه قل ما يكون لي أن أبدّلَه من تلقاء نفسي إن أتّبع إلاّ ما يوحى إليّ ﴾ (١) .

قوله : ((قال حيي بن أخطب (٢) في كتابكم إلى آخره)) ، عن أحمد بن حنبل والترمذي (٣) عن ابن عباس قال : (قالت قريش لليهود اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فسألوه عنها ، فنزلت : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي ﴾ الآية ، قالوا : أوتينا علماً كثيراً ، أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، فأنزلت : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر ﴾ الآية .

قوله : ((وقرىء : ﴿ ينفد ﴾ بالياء (٤))) حمزة والكسائي ، والباقون بالتاء الفوقاني .

قوله : ((يخاف سوء لقائه)) (٥) ، الأساس (٦) : [ومن المجاز استعمال الرجاء في الخوف والاكتراث] ، قال محي السنّة (٧) : [الرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً . قال (٨) :

---

(١) سورة يونس الآية ١٥ .

(٢) حيي بن أخطب من بني النضير ، من الأشداء العتاة ، أدرك الإسلام وأبى ، أسر يوم قريظة وقتل، الأعلام ٢٩٢/٢ .

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ، ٢٥٥/١ ، والترمذي ٢٨٤/٥ كتاب التفسير ، باب من سورة بني إسرائيل رقم ٣١٤٠ ، والحاكم في المستدرك ٥٣١/٢ وصحّحه ، ووافقه الذهبي ، والنسائي في تفسيره ٢٨/٢ ، عند قوله : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي ﴾ الآية .

(٤) قرأ ﴿ أن ينفد ﴾ حمزة والكسائي وخلف بالياء المثناة على التذكير ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بالتاء . الإتحاف ٢٩٦ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ﴾ الآية ١١٠ ، قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربّه ﴾ فمن كان يؤمل حسن لقاء ربّه لقاء رضاً وقبول ((أو كان يخاف سوء لقائه)) ، والمراد النهي عن الإشراك بالعبادة .

(٦) الأساس ٢٢٤ ، مادة (رجو) .

(٧) محي السنة البغوي ٢١٣/٥.

(٨) لم أقف على قائله.

** ولا كلّ ما ترجو من الخير كائن ** ولا كلّ ما ترجو من الشرّ واقع **] .

قوله : ((وقد فسّرنا اللقاء)) ، يعني في سورة يونس [1] ، قال فيها : اللقاء مستعار للعلم المحقّق الذي هو العلم بالشيء موجوداً ، شبّه بنظر الناظر وعيان المعاين ، وفسّره في العنكبوت في قوله تعالى : ﴿ من كان يرجو لقاء الله فإنّ أجل الله لآت ﴾ [2] أبسط وأشرح من ذلك ، وقلت : إذا فسرت الآية بقوله : ﴿ فمن كان يرجو ﴾ يأمل حسن لقاء ربّه ، يجوز أن يجري على ظاهرها على مذهب أهل السنّة [3] .

انتهى بحمد الله .

---

(1) يونس الآية ٤٥ ﴿ قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ .

(2) سورة العنكبوت الآية ٥ .

(3) ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ يشمل كونه يؤمل ثوابه ، ورؤية وجهه الكريم يوم القيامة ، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ، كما هو ثابت في الصحيحين : (أما إنّكم سترون ربّكم ، كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته) مسلم كتاب المساجد ، باب فضل صلاة الصبح والعصر ٤٣٩/١ ، من حديث جرير بن عبد الله ، والبخاري مع الفتح ١٢/ ٤١٩ ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة ﴾ وبلفظ : (إنّكم سترون ربّكم عياناً) أيضاً .

سورة مريم عليها السلام، مكية[1] ، وهي ستون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله : ((بفتح الهاء وكسر الياء))[2] يريد بالكسر الإمالة من كسرت العقاب بجناحها إذا مالت للانقضاض . قال صاحب التيسير[3] : [قرأ أبو بكر والكسائي بإمالة فتح الياء والهاء، وابن كثير بفتحها وابن عامر وحمزة بفتح الهاء وإمالة الياء، وأبو عمرو بإمالة الهاء وفتح الياء ونافع بالهاء والياء بين بين] وقال ابن جني[4] : [قرأ الحسن بفتح الهاء ورفع الياء، وقرأ أيضاً بضم الهاء وفتح الياء، وقال : الإمالة والتفخيم في حروف المعجم ضرب من ضروب التصرف .، وذلك أنها إذافارقت موضعها من الهجاء صارت أسماء ودخلها ضرب من القوة فتصرفت، فحملت الإمالة والتفخيم، فمن قال (يا) جنحَ بالإمالة إلى الياء كما في نحو (السيال)[5] ومن فخم تصوّر أن عين الفعل في الياء منقلبة عن الواو، وكالباب والدار والمال، وذلك أن هذه الألفات، وإن كانت مجهولة، لأنه[6] لا اشتقاق لها، فإنها تحمل على ما هو في اللفظ مشابه لها والألف إذا وقعت عينا فجهلت، فالواجب فيها أن يعتقد أنها منقلبة عن الواو. على ذلك وجدنا سرد اللغة، هذا قول جامع في هذا الضرب من الألفات، فاعرفه واغن به عما وراءه] وقال صاحب التقريب : [ولا تنقلب الألف واواً لهذه

---

(١) مكية كلها إلا آية ٥٨ و٧١ فمدنيتان . الزمخشري والألوسي ٥٦/١٦ عن مقاتل.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ كهيعص ﴾.

(٣) صاحب التيسير يعني الداني الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ص١٤٧.

(٤) ابن جني في المحتسب ٣٦/٢ بتصرف.

(٥) السيال : نبت له شوك أبيض متوسط الحجم، من الفصيلة القرنية، له قشر أحمر يستعمل في الدباغة وإما من السمر . المفرد سيالة . المعجم الوسيط ٤٦٩/١.

(٦) (لأنها) في ب.

الضمة بل تسمى ألفها ألف التفخيم في اللوامح[1] ، هذه الكلمات الثلاث مترجم عنها بالضم، وليست مضمومات بالحقيقة، لأنهن لو كنّ كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات بل نُحيَت هذه الألفات نحو الواو، وعلى لغة أهل الحجاز، وهي التي تسمى ألف التفخيم بضدّ الألف الممالة . المراد بالكلمات الثلاث الكاف والهاء ولاياء، لأنه روى عن الحسن ضم الكاف أيضاً[2] .

قوله : ((وقرأ الحسن : ﴿ ذَكَّر رحمةَ ربك ﴾)) قال ابن جني[3] : [فاعل ضمير ما تقدم، أي : هذا المتلوّ من القرآن الذي هذه الحروف أوله وفاتحته يُذكِّرُ رحمة ربك، وإن شئت كان تقديره مِما يُقصُّ عليك أو يُتلى عليك : ﴿ ذكرُ رحمة ربك عبده زكريا ﴾] قال أبو البقاء[4] : [و ﴿ ذكر ﴾ مصدر مضاف إلى المفعول والتقدير : هذا أن ذكر ربك رحمته عبده . وقيل : هو مضاف إلى الفاعل، على الاتساع، والمعنى : هذا إن ذَكرت رحمة ربك، فعلى الأول ينتصب عبده برحمة، وعلى الثاني بذكر].

قوله : ((﴿ نداء خفياً ﴾ لا رياء فيه))[5] فيكون الإخفاء ملزوماً للإخلاص الذي هو عدم الرياء، لأن الإخفاء أبعد من الرياء . (ولما كنّى)[6] عن عدم الرياء بالخفاء علم أن لا اعتبار للظاهر وأن الأمر يدور على الإخلاص حتى إنه لو نادى جهراً بلا رياء دخل فيها، أو نادى سراً بلا إخلاص خرج منها، وفي الجمع بين النداء والإخفاء إيماء إلى هذا المعنى. الراغب[7] : [إذا نادى ربه أشار بالنداء إلى الله تعالى، لأنه يصوّر نفسه بعيداً منه بذنوبه وأحواله السيئة . وقوله تعالى :

---

(١) اللوامح لم أقف عليه.

(٢) المحتسب لابن جني ذكر ذلك ٣٦/٢.

(٣) المحتسب ٣٧/٢.

(٤) أبو البقاء ١١٠/٢.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ نادى ربه نداء خفياً ﴾

(٦) في م ، ب (جوز) بدل كنى.

(٧) الراغب في مفرداته ٤٨٧ مادة (ندا).

﴿أولئك ينادون﴾[1] فاستعمال النداء فيهم تنبيهٌ على بعدهم عن الحق، وقوله : ﴿ ربنا إننا سمعنا منادياً ينـادي للإيمـان ﴾[2] فالإشارة بالمنـادِي إلى العقـل والكتـاب المنزّل والرسـول المرسلِ وسائر الآيات الدالة على وجـوب الإيمـان بـا لله، وجعلـه منادياً للإيمـان لظهـوره ظهور النداء، وحثّه على ذلك كحثّ المنادِي] فإن قلت : كيف جمع بين النداء وهـو رفـع الصـوت وبـين ﴿ خَفِيّا ﴾ وهـو خفـت[3] الصـوت ؟. قلـت : جعـل (مخفيـاً) مجـازاً عـن الإخلاص لا كناية، لأن المجاز ينـافي إرادة الحقيقـة أو النـداء عبـارة عـن إظهـار الاستكانة وإبداء التضرع والخشوع.

قوله : ((في إبّان الكـبرة))[4] الجوهـري[5] : [إبـان الشـيء بالكسـر والتشـديد وقته، وقال: الكِبَرُ في السن، وقد كبِرَ الرجل يَكـبَرُ كِبَراً أي أسـنّ، والاسـم الكـبرة بفتح الكاف وسكون الباء . يقال عَلَتْ فلانا كبرةٌ]

قوله : ((أو خفت صوته بـالرفع والنصـب)) الجوهـري[6] : [خَفَـتَ الصـوتُ خفوتاً سكن والمخافتة والتخافت إسرار المنطق والخَفْتُ مثله].

قوله : ((صوتُه خَفَاتٌ))[7] الأساس[8] : [خَفَتَ صوتـه خُفوتـاً وصوتـه خـافِتٌ وخفيتٌ وخفت الرجل سكت، فلم يتكلم، وأخذه السُّكاتُ والخُفاتُ].

[قوله : ((وسمعه تارات)) أي مسموعه، فلا يحتا ج إلى التكرار، الأساس : فعـل ذلك تارات وتارة بعد أخرى][9] .

---

(1) سورة فصلت الآية ٤٤.

(2) سورة آل عمران الآية ١٩٣.

(3) (خفض) في م والمعنى واحد.

(4) قال (ز) : في قوله تعالى : ﴿نداء خفياً﴾ وعن الحسن : نداء لا رياء فيـه، أو أخفـاه لئـلا يـلام في طلب الولد ((في إبان الكبرة)) والشيخوخة.

(5) الجوهري في صحاحه ٨٠١/٢ مادة (كبر).

(6) الجوهري في صحاحه ٢٤٨/١ مادة (خفت).

(7) قال (ز) : كما جاء في صفحة الشيخ : ((صوته خفات، وسمعه تارات)).

(8) الأساس للزمخشري ١٦٩ مادة (خفت).

(9) ما بين القوسين س من ب والصواب ما في غيره

قوله : ((وهن بالحركات الثلاث))[1] بفتح الهاء السبعة والضم والكسر شاذ .
الراغب[2] : [الوهن ضعف من حيث الخلق والخلق، قال تعالى : ﴿ رب إني وهن العظم مني ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ [3]]

قوله : ((ولأنه أشد ما فيه)) عطف على ((لأنه عمود البدن)) يعني أصل الكلام ضعف بدني وإنما كنّى عنه بقوله : ﴿ وهن العظم مني ﴾ وخص العظم بالذكر، لأنه كالأساس للبدن وكالعمود للبيت . فإذا وقع الخلل في الأس وسقط العمود تداعى الخلل في البناء وسقط البيت، فالكناية مبنية على التشبيه أو أن العظم أصلب ما في الإنسان فيلزم من وهنه وهن جميع الأعضاء بالطريق الأولى فا لكناية غير مسبوقة بالتشبيه.

قوله : ((وهو أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها)) قال صاحب الفرائد : [ذكر في أصول الفقه أن اللام إذا دخلت على الجمع بطل الجمع وتعلق الحكم بكل فرد فرد، باعتبار الجنس، سلمنا أن الجمع لم يبطل ولكن من أين يلزم المعنى الذي ذكره وهو القصد إلى أنه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها ؟. غاية ما في الباب احتمال عدم وهن البعض لكن من الاحتمال لا يلزم الوجود، بل يمكن أن يكون القصد إلى كل واحد من العظام، لأن هذا محتمل اللفظ كما أن ذلك محتمله، والوجه أن يقال : اختير الواحد احترازاً عن هذا الاحتمال . وأقول : إن الكلام إذا كان منصباً إلى غرض من الأغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه، كأن ما سواه مرفوض مطرح، هذا نص المصنف في سورة يس. والمقصود من الإيراد في هذا المقام إظهار الضعف في البدن وإبداء تساقط القوى . ألا ترى إلى أداة الحصر في قوله : ((وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه)) يعني ما ذكر العظم لأن يكون الكلام فيه

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ﴾ الآية ٤ مريم.
(٢) الراغب في مفرداته ٥٣٥ مادة (وهن).
(٣) سورة النساء الآية ١٠٤.

بل لأن ينبّه على أن هذا الجنس الذي هو عمود البدن وقوامه قد أصابه الوهن، ولو قيل : العظام لرجع القصد إلى أن الكلام في العظام في أنه لم يهن بعضها فقط بل كلها، لأن ترك المفرد إلى الجمع ثم تحليته باللام الاستغراقية ينبئ عن أن القصد إلى أنه لم يهن بعض العظام بل كلها، ويخرج عن المقصود، ألا ترى إلى تصريحه بالقصد في قوله : ((لكان قصداً إلى معنى آخر)) وتكريره . ونحوه .

قوله : ((﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ [1] فإنه لو قيل : السحرة لأوهم أن الجمعية معتبرة في الحكم بعدم الفلاح، بخلاف المفرد، فإن القصد فيه أن هذا الجنس، وأن ما يقال له الساحر : محكوم عليه بأنه لا يفلح.

قوله : ((شبّه الشيب بشواظ النار إلى قوله وفُشُوّها باشتعال النار))[2] كتب صاحب الإيضاح[3] في حاشية كتابه أن في جعل الآية من التشبيهين نظراً لأن المذكور في طرفي التشبيه في الاستعارة بالكناية اسم المشبه دون المشبه به، والاستعارة بالكناية تستلزم الاستعارة التخييلية، فإن التخييلية هي إما إثبات أمر مختص بالمشبه به[4] ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسّا أو عقلاً أطلق عليه اسم ذلك الأمر، وأما إطلاق لفظ على صورة وهميّة قدرت مشابهة لصورة محققة هي معنى ذلك اللفظ، فلو كان تشبيه الشيب بشواظ النار كما ذكره مقصوداً في الآية لكانت استعارة بالكناية ولو كانت استعارة بالكناية لكان قوله : ﴿ اشتعل ﴾ استعارة تخييلية، وذلك لا يمكن، لأنه جعل انتشار الشيب في الشعر وفُشُوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ تشبيهاً باشتعال النار، وهو ينافي ذلك الأمر لما مرّ أن الاستعارة التخييلية لا تعتمد المشبه أمراً محققا، والأولى أن يجعل المشبه انتشار الشيب في الشعر والمشبه به اشتعال النار والجامع فشوّ الشيء في الشيء[5] . وقلت : إنما دخل عليه من جعل التشبيهين تمهيد القاعدة الاستعارة

---

(١) سورة طه الآية ٦٩.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ .

(٣) صاحب الإيضاح في كتاب علوم البلاغة للخطيب القزويني.

(٤) للمشبه به (للمشبه) من غير . في م ، ب ، ما بين القوسين.

(٥) والجامع فشو (الشيب في الشعر) .

[المكنية لأنها مستدعية لما ذكر، وذهب عنه أن التشبيهين تمهيد للاستعارة التمثيلية][1]
وهو أن ينتزع التشبيه من عدة أمور متصورة فلا بدّ من سبق تشبيه حالة الشيب بحالة النار وحالة فشوه في الرأس وأخذه منه كل مأخذ بحالة اشتعال النار في الحطب الجزل. كما قال [2] :

**واشتعل المبيضّ في مسودّه ** مثل اشتعال النار في جزل الفضا **

والجامع سرعة انبساط بياض في سواد مع تعذر التلافي، ثم حذف أحد طرفي التشبيه وهو المشبه وإخراج[3] المشبه به مخرج المشبه ليتم أمر الاستعارة، وإليه الإشارة بقوله : ((ثم أخرجه مخرج الاستعارة)) وأما اختيار صاحب الإيضاح والأولى أن يجعل المشبه انتشار الشيب في الشعر، والمشبه به اشْعالِ النار، فمرجعه إلى الاستعارة التبعية، وهو لا ينافي ذلك التقرير، على أن التشبيه كلما كان أكثر تفصيلاً كان أدخل في الحسن.

قوله : ((ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر)) هذا أخذ في مشرع علم المعاني بعد الفراغ من مشرع علم البيان، يريد أن أصل الكلام : اشتعل شيب رأسي فترك هذه المرتبة إلى ما هي أبلغ، وهي اشتعل رأسي شيباً، وكونها أبلغ من جهات . إحداها : إسناد الإشمال إلى الرأس لإفادة شمول الاشتعال، لأن وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيباً، وزان اشتعل النار في بيته واشتعل بيته ناراً . وثانيها : الإجمال والتفصيل في طريق التمييز . وثالثها : تنكير ﴿ شيبا ﴾ لإفادة التعظيم . ذكره صاحب المفتاح تفسيراً لقول المصنف . ولما بين المعنى من جهة البيان ومن جهة المعاني قال : ((ومن ثم فصحّت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة)).

---

(١) ما بين القوسين س من ب.

(٢) القائل : ابن دريد في مقصورته.

(٣) (وأخرج) في م ، ب.

قوله : ((ويترسم مراسمه))[1] الجوهري [2] : [رسمت له كذا فارتسمه أي : امتثله].

قوله : ((توسّل إلى الله بما سلف له معه من الاستجابة))[3] قال القاضي[4] : [وفيه أيضاً تنبيه على أن المدعوّ له وإن لم يكن معتاداً فإجابته معتادة، وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها، ومن حق الكريم ألأيخيّب من أطمعه].

قوله : ((وقرأ ابن كثير))[5] وهي شاذة . قال أبو البقاء[6] : [وهو من قصر الممدود].

قوله : ((لفساد المعنى))[7] إذ المراد بالموالي العصبة لقوله : ((كان مواليه وهم عصبته)). وإنما لزم فساد المعنى، لأن الخوف واقع في الحال لا فيما يستقبل. ولو جعل ﴿ من ورائي ﴾ متعلقاً بـ ﴿ خفت ﴾ لزم أن يكون الخوف واقعاً فيما يستقبل،فلا بد من تقدير محذوف، أو جعل الموالي من الوِلاية بالكسر، أي : كل من يملك بعده لا العصبة فقط ليصح، فيقال : على الأول : ﴿ خفت ﴾ فعل عصبتي بعد موتي . وعلى الثاني : خفت الذين يلون الأمر من بعد موتي، فاللام في الموالي على

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ﴾ الآية ٥-٦ مريم .

قال (ز) : فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في إحياء الدين ((ويترسم مراسمه فيه)).

(2) الجوهري في صحاحه ١٩٣٢/٥ مادة (رسم)

(3) يعني قوله : ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقياً ﴾.

(4) القاضي البيضاوي ٢/٤.

(5) قرأ ابن كثير ﴿ من ورائي ﴾ بفتح ياء الإضافة . الإتحاف ٢٩٧ وليست شاذة وإنما الشاذ قراءة ﴿ من وراي ﴾ على وزن عصاي وهداية وهي عن ابن كثير أيضاً . انظر شواذ القرآن ٨٣ . وانظر السبعة لابن مجاهد قال ص ٤٠٧ : وحدثوني عن خلف عن عبيد عن شبل عن ابن كثير : ﴿ من ورايَ ﴾ مثل عصاي وهداي من غير همز ونصب ياء .

(6) أبو البقاء ١١٠/٢.

(7) قال (ز) : وهذا الظرف لا يتعلق بـ ﴿ خفت ﴾ ((لفساد المعنى)) ولكن بمحذوف.

هذا موصولة ليتعلق الظرف بصلتها، ولهذا قال : الذين يلون الأمر من ورائي، وعلى الأول اللام حرف التعريف . وفي الكلام لفّ ونشر.

قوله : ((﴿ خفت الموالي ﴾)) الأساس[1] : [ومن المجاز خفّت حاله ورقت، وأخف فلان صار خفيفاً الحال، وفاز المخفّون].

قوله : ((فيتعلق الظرف بالموالي)) أي : خفت الذين يلون الأمر من ورائي . ويجوز أن يراد بالتعلق أن حالاً منه . قال ابن جني[2] : [من ورائي حال متوقعة محكية، أي : خفّوا مُتَوَقَّعاً مُتَصَوّراً كونهم بعدي . ومثله مسألة الكتاب، مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي متصوراً صيده غداً].

قوله : ((ودرجوا)) الراغب[3] : [الدرج طيّ الكتاب والثوب، ويقال للمَطويّ، دَرْجٌ . واستعير الدرج للموت، كما استعير الطيّ له في قولهم : طوته المنية، وقولهم : من دبّ ودرج أي من كان حياً فمشي، ومن مات تطوى أحواله].

قوله : ((وإلا فهب لي وليا يرثني)) كان يعني من لدنك يجب أن يحمل على التأكيد، وإلا فالكلام مستغنى عنه، وذلك أن قوله : ﴿ من لدنك ﴾ تأكيد لمعنى قوله: ﴿ فهب لي ولياً يرثني ﴾ لأن هذا المطلوب وما يكوَن من عند الله وموهبة منه ومنسوباً إليه لا يكون إلا خيراً محضاً، فأكد بقوله : ﴿ من لدنك ﴾ ذلك المعنى، فهو على هذا ظرف آخر أو صفة لولي قدّمت فصارت حالاً مؤكدة، وهو معنى لطيف . والباقي قوله : ((بكونه مضافاً)) متعلق بقوله : تاكيد أي : تأكيد بسبب كونه مضافاً إلى الله، ويجوز أن يكون : ﴿ من لدنك ﴾ حالاً متنقلة . وإليه الإشارة بقوله : ((اختراعاً منك)) أي مخترعاً.

---

(١) الأساس ١٧٠ مادة (خفّف).

(٢) في المحتسب ٣٧/٢.

(٣) الراغب في مفرادته ١٦٧ مادة (درج).

قوله : ((﴿ يرثْني ويرثْ ﴾)) بالجزم أبو عمرو الكسائي[1]، والباقون برفعهما. قال الزجاج [2]: [الجزم على جواب الأمر والرفع على صفة الولي] وقال أبو البقاء[3]: [الجزم على الجواب أي : إن يهب يرث، والرفع على الصفة لولي، وهو أقوى من الأول، لأنه سأل ولياً هذه صفته، والجزم لا يحصل بهذا المعنى]. وقال صاحب المفتاح: [وأما قراءة الرفع فالأولى حملها على الإستئناف دون الوصف، لئلا يلزم منه أنه لم يوهب من وصف لهلاك يحي قبل زكريا عليهما السلام . قلت : وكان من قصتهما على ما رواه ابن الأثير في تاريخه الكامل[4] : [إن الله بعث عيسى عليه السلام رسولاً فنسخ به بعض أحكام التوراة، وكان مما نسخ آية حرمة نكاح بنت الأخت[5] ، وكان للكهم بنت أخت [6] تعجبه يريد أن يتزوجها، فنهاه يحي عنها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا سألك الملك : ما حاجتك ؟ قولي : أن تذبح يحيى بن زكريا، فلما سألها قالت : أريد ذبح يحيى، وأبت إلا ذلك، فدعى بطست وذبح يحي فقطرت من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بخت نصر، وألقى الله في قلبه أن يقتل على الدم من بني إسرائيل حتى يسكن، فقتل سبعين ألفاً حتى سكن . وروى السدي نحو هذا وأبسط . ولما قتل الملك يحيى وسمع أبوه قتله فرّ هارباً فدخل بستاناً فأرسل الملك في طلبه فمرّ زكريا بشجرة فنادته : هلم إليّ يا نبي الله، فدخلها وانطبقت عليه، فدلّهم إبليس عليه، فشقوا الشجرة بالمنشار، فمات زكريا فيها، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض فانتقم منهم] وأما سؤال صاحب المفتاح فوارد على الوجوه المذكورة في ﴿ يرثني ﴾ كلها، لأن قوله : ﴿فهب لي ولياً﴾ مرتب بالفاء على الدعاء وهو ﴿ رب إني وهن العظم مني الى

---

(١) قرأ ﴿ يرثني ويرث ﴾ أبو عمرو والكسائي بجزمهما، فالأول على جواب الدعاء أو جواب شرط مقدّر . والثاني عطف عليه، ووافقهم اليزيدي والشنبوذي . والباقون بالرفع فيهما صفة (لولي) . الإتحاف ٢٩٧.

(٢) الزجاج ٣/٣٢١.

(٣) أبو البقاء ٢/١١٠.

(٤) ابن الأثير في تاريخه الكامل ١٧١/١ وذكر القصة بكاملها والله أعلم بثبوتها.

(٥) (الأخ) في م ، ب . (أخ في م ، ب . وهو الصواب كما في ابن الأثير.

(٦) مثل السابق.

قوله : وإني خفت الموالي من ورائي ﴾، وهو وصف مناسب لطلب ولد شأنه أن يرث بعده، ويؤيّده ما أورد محي النسة في المعالم[1] : [أنه خاف تضييع بني عمه دين ا لله وتغيير أحكامه على ما شاهد من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته ويرث نُبوّته وعلمه لئلا يضيع الدين، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس] وروى قريباً منه المصنف على أن الاستئناف أيضاً رابط معنوى سيما أنه في هذا المقام واردٌ لبيان الموجب، قال المصنف في أول البقرة : إن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال، فذلك إدراج له في حكم المتقين، وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه، والجواب الصحيح أن الأنبياء وإن كانو مستجابي الدعوة لكن ليس كل ما دعوه اسجيب لهم، لأن قضاء ا لله لا يدفع، ألا ترى إلى إبراهيم عليه السلام ودعائه في حق أبيه، وإلى دعوة سيدنا صلوات ا لله عليه ما رويناه عن الترمذي[2] والنسائي عن الخباب بن الأرت . قال : صلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم صلاة فأطالها . فقالوا : يا رسول ا لله، صليت صلاة لم تكن تصليها ؟. قال : أجل إنها صلاة رغبة ورهبة . إني سألت ا لله فيها ثلاثاً . فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة . سألته : أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها. وفي رواية النسائي : وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها . وروى ابن ماجه عن معاذ بن جبل نحوه . وكان من قضاء ا لله وقدره أن يوجد يحي نبياً صالحاً ثم يقتل ويغلي دمه ليتيح لثأره بخت نَصّر، ويسكنه بقتل سبعين ألفاً ، فاستجيب دعاء زكريا في أن بشر بغلام اسمه يحيى، ولم يجعل له من قبل سمياً، ونودي : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً . وحناناً من لدنا وزكاة ﴾ ومنع بأن يكون وارثاً لأبيه من بعده، كما كان من قضاء

(١) محي السنة البغوي ٢١٨/٥ في تفسيره.

(٢) أخرجه الترمذي ٤٠٩/٤ كتاب الفتن، باب ما جاء في سؤال النبي صلى ا لله عليه وسلم ثلاثاً فى أمته برقم ٢١٧٥ . والنسائي ٢٣٩/٣ قيام الليل، باب إحياء الليل برقم ١٦٣٧. صححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٣٤/٢.

ا لله وقدره أن يقتل عثمـان رضـي ا لله عنـه مظلومـاً فيهـدر بسـببه دم جـمّ غفـير مـن الصحابة والتابعين يوم صفين والجمل وغيرهما، فاستجيب دعاؤه صلوات ا لله عليـه في تَيْنِكَ الخصلتين دون الثالثة ليقضي ا لله أمراً كان مفعولاً . وا لله أعلم بحقائق الأمور.

قوله : ((ويرثـني وارث آل يعقـوب)) بنصـب وارث . قيـل : هـو حـال أي : يرث علمي ويرث علم آل يعقوب . وقال القاضي[1] : [هـو نصـب علـى الحـال مـن أحد الضميرين].

قولـه : ((ويسـمّى التجريـد في علـم البيـان)) والتجريـد[2] هـو أن ينـتزع مـن متصف بصفة آخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيـه، نحـو رأيـت بفـلان أسـداً ولقيـني منـه أسداً. قال ابن جني [3] : [وهي قراءة عليٍّ وابن عباس وابن يعمر والحسن والجحدري وقتادة وجعفر بن محمد، وهو ضـرب مـن العربيـة غريـب معنـاه التجريـد، يريـد [4] : ﴿ فهب لي من لدنك ولياً . يرثني ﴾ منه أو به وارث من آل يعقـوب، وهـو الـوارث نفسه، فكأنه جرّد منه وارثـاً، ومثلـه قولـه تعـالى : ﴿ لهـم فيهـا دار الخلـد ﴾[5] وهـي بنفسها دار الخلد، فكأنه جرّد من الدار دار، وقد أفردنا لهذا الضرب بابـا مـن كتـاب الخصائص فاعرفه فإنه موضع غريب].

قوله : ((والمراد بالإرث إرث الشـرع والعلـم)) قـال الزجـاج [6] : [قيـل : لا يجوز أن يقال إن زكريا خاف أن يـورث المـال، لأن الأنبيـاء والصـالحين لا يخـافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعل لهم، وجاء عـن النـبي صلـى ا لله عليـه وسـلم : (إنـا معاشـر الأنبياء لا نورث . ما تركناه صدقة)[7] الراغب [8] : [الوراثة : انتقال قنيـة إليـك عـن

---

(١) القاضي البيضاوي ٢/٤.

(٢) انظر جواهر البلاغة ٣٧٤. و التبيان فى علم المعانى و البديع و البيان للطيبي ٢٨٨ .

(٣) ابن جني ٣٨/٢.

(٤) في المحتسب وذلك أنك تريد) فهب لي

(٥) سورة فصلت الآية ٢٨.

(٦) الزجاج ٣٢٠/٣.

(٧) أخرجه البخاري مع الفتـح ٥/١٢ كتـاب الفرائـض . بـاب يوصيكـم ا لله في أولادكـم . ومسـلم ١٣٧٨/٣ كتاب الجهاد والسير . باب حكم الفيء بلفظ : (لا نورث ما تركناه صدقة).

(٨) الراغب ٥١٨ مادة (ورث).

غيرك من غير عقد، ولا ما يجرى مجرى العقد، وسمي بذلك المنتقل عن الميت . فيقال للقنية : الموروثه ميراث وإرث وتراث، ويقال : ورثت مالاً عن زيد وورثت زيداً . قال تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾[1] وقال : ﴿ وورثه أبواه فلأمه الثلث ﴾[2] وقال : الوراثة الحقيقية هي أن يحصل للإنسان شيء لا يكون عليه فيه تبعة ولا عليه محاسبة[3] ، وعباد الله الصالحون لا يتناولون من الدنيا إلا بقدر ما يجب، وفي وقت ما يجب على الوجه الذي يجب، ومن تناول من الدنيا على هذا الوجه لا يحاسب عليه ولا يعاقب، بل يكون له عفواً صفْواً، كما روى : من حاسب نفسه في الدنيا لم يحاسب في الآخرة[4] .

قوله : ((الحبورة))[5] قيل : وجد بخط المصنف كأنها مصدر حبر الرجل كقَضَوْا إذا تعجب من قضائه، وإلا الحبور هو السرور . النهاية [6] : [الأحبار العلماء، جمع حَبْر بالفتح والكسر، وكان يقال لابن عباس : البحر والحبر لسعة علمه].

قوله : ((وقيل : من للتبعيض)) عطف على قوله : ((قيل يرثني الحبورة)) على أن من على الأول صلة لورث لقوله : ورثته وورثت منه.

قوله : ((على أن الأسامي الشنّع))[7] الأساس [8] : [شنّعت عليه هذا الأمر : قبّحت عليه، وله اسم شنيع، وقوم شُنُعُ الأسامي].

قوله : ((جديرة بالأثرة)) الجوهري [9] : [استأثر فلان بالشيء إذا استبد به والاسم الإثرة.

---

(1) سورة النمل الآية ١٦.

(2) سورة النساء الآية ١١.

(3) ولا عليه (فيه) محاسبة في م .

(4) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال : إنما يخفّ الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا . أخرجه الترمذي . انظر عارضة الأحوذي ٢٨٢/٩ . وأحمد في الزهد ١٤٩.

(5) قال (ز) في تفسير : ﴿ يرثني ﴾ : وقيل : يرثني الحبورة، وكان حبراً.

(6) النهاية ٣٢٨/١ مادة (حبر).

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سمياً ﴾ الآية ٧ . قال (ز) في تفسير : ﴿ سمياً ﴾ : لم يسم أحد يحي، وهذا شاهد ((على أن الأسامي ...)).

(8) الأساس ٣٣٩ مادة (شنع).

(9) الصحاح للجوهري ٥٧٥/٢ مادة (أثر).

قوله : ((وأثرة عن النَّبَز)) الجوهري [1] : [النَّبزُ بالتحريك اللقب، وفلان يُنَبِّزُ بالصبيان يلقبهم] قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ إذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً ﴾[2] آزر اسم صنم، يجوز أن ينبزه للزومه عبادته، كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى يشبب بهن وأنشد بعضهم [3] :

** أدعى بأسماء نبزاً في قبائلها ** كأن أسماء أضحت بعض أسمائي **

وإنما كان أثره، لأن الاسم القبيح لا يرغب فيه أحد فيختصّ به ويشتهر فلم يحتج إلى التعريف والتلقيب به [وعن متعلق بأنزه ومن محذوف أي التسمية بالأسامي الشنع لينفرد بها ويشتهر أنزه من غيرها عن التلقيب والشهرة][4] ولهذا سمّى كليباً وعنترة وتأبط شراً كأنهم اختاروا الاسم الشنيع لأجل الغرابة لئلا يشاركهم فيه أحد كيحيى، لا أن يحي اسم شنيع.

قوله : ((مسبلي أزْرِ حُمْرِ))[4] صفة أُزْرِ مُسْبِلي أزرِ كناية عن الكبر[5] .

قوله : ((مثلاً وشبيهاً))[6] عطف على قوله : ((لم يسمّ أحد بحيى قبله)).

قوله : ((وإن كان حصوراً يريد قوله تعالى فيه : ﴿ إن الله يبشرك بحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين ﴾ قال الحصور الذي لا يقرب النساء حصراً لنفسه، أي منعاً لها من الشهوات . وقيل : هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو.

---

(1) الجوهري ٨٩٧/٣ مادة (نبز).

(2) سورة الأنعام الآية ٧٤.

(3) لم أقف على قائله.

(4) ما بين القوسين س من ت.

(4) يشير إلى بيت ذكره الزمخشري ٥/٣ أوله :

** شُنْعُ الأسامي مُسْبلي أُزُرِ ** حُمْرِ تمسُّ الأرض بالهدب **

(5) (التكبر) في م

(6) تفسير لقوله تعالى : ﴿ سميًا ﴾ .

قوله : ((قلت : ليجاب بما أجيب به))[1] قال صاحب الانتصاف [2] : [لا يجوز لنبيّ النطق بما لا يسوغ لطلب مثل ذلك، أي : لتثبيت المؤمن وردّ المبطل، إذ يمكن حصوله بدونه، فإن (زكريا) طلب ولداً على الجملة، وليس في الآية ما يدلّ على أنه لا يوجد وهو هرم، ولا أنه من زوجته وهي عاقر، ولا أنه تعاد إليهما قُوّتهما وشبابهما، كما فعل بغيرهما، أو يكون الولد من غير الزوجة العاقر فاسْتَخْبَر عن ذلك، فقيل له : ﴿ كذلك ﴾ أي : يكون الولد وأنتما كذلك . قلت : وخلاصته أن الاستفهام في الآية للتعجب والاستبعاد، ولهذا قال الإمام [3] : [إن المقصود من قوله : ﴿ أنى يكون لي غلام ﴾ هو التعجب من أنه تعالى يجعلهما شابين ؟. ثم يرزقهما الولد أو يتركهما شيخين ويرزقهما الولد، والدليل عليه قوله : ﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾[4] وما هذا الإصلاح إلا أنه أعاد لها قوة الولادة] أو أنه ما ذكر ذلك للشك، لكن لتعظيم القدرة، وهذا كالرجل الذي يرى صاحبه وقد وهب الكثير الخطير فيقول : أنى سمحت نفسك بإخراج مثل هذا. تعظيماً للموهوب، أو أن من شأن من فوجئ ببشارة ما يتمناه فرط السرور وفقد الاستثبات والذهول عن مقتضيات الفكر، كما قالت: ﴿ أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ﴾[5] حتى قيل لها : ﴿ أتعجبين من أمر الله ﴾.

قوله : ((كالعود القاحل))[6] الجوهري [7] : [قحل الشيء يقحل قحولاً يبس فهو قاحل]

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ قال (ز) : فإن قلت : لم طلب أولاً، وهو وامرأته على صفة العتيّ والعقر ؟. ((قلت : ليجاب .. الخ)).

(٢) صاحب الانتصاف أحمد بن المنير مع الكشاف

(٣) الفخر الرازي ١٨٨/٢١.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٩.

(٥) سورة هود الآية ٧٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿ عتيا ﴾.

(٧) الجوهري في صحاحه ١٧٩٩/٥ مادة (قحل).

قوله : ((والطعن في السن العالية)) [1] الأساس [2] : [ومن المجاز خرج يطعن الليل يسري فيه وطعن في السن العالية].

قوله : ((ما يسمى عتيا)) قيل (من) هذا للتبعيض حال من (عتيا) أي : بلغت عتيا حال كونه بعض مراتب الكبر، وعلى الأول ابتدائية، أي : بلغت سناً عالية ابتداؤها جهة الكبر، وقوله : ((من أجل الكبر)) يشير به إلى أن مثلها قولك : جئتك من أجل إكرامك،أي لأجل إكرامك، وتحقيقه أن (من) ابتدائية و(من الكبر) مفعول له. وقلت : ويمكن أن تكون (من) على الوجه الأخير بيانية، وهي مع المجرور حال من (عتيا) قدّمت لأن صاحبها نكرة . ولما كانت (من) البيانية تجريدية[3] قال ما يسمى عتياً أي انتزع من مدارج الكبر ومراتبه مرتبة تسمى عتيا . كقولك : لقيت منه أسداً يدل عليه قوله : في تفسير قوله : ﴿ هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾[4] (من) يحتمل أن تكون بيانية، كأنه قيل : هب لنا قرة أعين، ثم بينت القرّة بقوله : ﴿ من أزواجنا وذرياتنا ﴾ وهو من قولهم : رأيت منك أسداً وعلى الوجه الآخر ابتدائية، ولما كان معنى الابتداء الإنشاء قال : من أجل الكبر يدل عليه قوله : في تفسير قوله : ﴿ أعينهم تفيض من الدمع ﴾[5] (من) ابتدائية على أن فَيض الدمع ابتداء ونشأ من معرفة الحق، وكان من أجله وسببه.

قوله : ((وقرأ ابن وثاب[6] وحمزة والكسائي وحفص ﴿ عِتِيّاً ﴾ و ﴿ صِلِيا ﴾ و ﴿ جِثياً ﴾ وجميع ما في هذه السورة بكسر أوله. والباقون بضم أول ذلك.

---

(1) قال (ز) في تفسير : ﴿ عتياً ﴾ : عتا العود وعسا من أجل الكبر ((والطعن في السن العالية)).

(2) الأساس ٣٩١ مادة (طعن).

(3) التجريد / هو أن ينتزع من أمر موصوف بصفة أمر آخر مثله في تلك الصفة للمبالغة في كمال تلك الصفة في ذلك الأمر المنتزع منه .انظر التعريفات للجرجاني ٧٣. و التبيان فى علم المعانى و البيان للطيبى ٢٨٨.

(4) سورة الفرقان الآية ٥٤.

(5) سورة التوبة الآية ٩٢.

(6) قرأ (عِتيا) و (صِليا) و (بِكيا) حمزة والكسائي بكسر أوائل الأربعة ووافقهم الأعمش . وقرأ حفص كذلك إلا في (بُكيا) جمعاً بين اللغتين . والباقون بضمها على الأصل . وكذلك (بُكيا) عند حفص . الإتحاف ٢٩٩.

قوله : ((بفتحها))[1] فيهما أي في عَتياً وصَلياً . وروى ابن جني [2] : [عن ابن مجاهد أنه قال : لا أعرف لهما في العربية أصلا، ويقرأ مع ذلك بضم الباء في (بُكيا) وأقول له في العربية أصل وهو ما جاء من المصادر على فعيل، نحو الحويل[3] والزويل[4] والشخير[5] ، وأما البكى فجماعة وهي فعول كالحثي[6] والدلي والحلي].

قوله : ((أو نصب (يقال)))[7]. أي : قال الثانية، وكذا عن القاضي[8]: [قال : الكاف منصوب بـ (قال) في ﴿ قال ربك ﴾] وعليه كلام صاحب التقريب الكاف إما رفع، وذلك إشارة إلى قوله : ﴿ زكريا ﴾ أي : الأمر كذلك تصديقا له . ثم ابتدأ ﴿ قال ربك ﴾فينتصب ﴿ هو عليَّ هين ﴾ وهو على قراءة [الواو، يقال : أي قال : وهو على ذلك يهون علي، وإما نصب بقال، وذلك مبهم يفسره ﴿ هو علي هين ﴾ فعلى قراءة الواو لا يكون تفسير الوجود العاطف، فالوجه أن يشار بذلك إلى ما تقدم من وعد الله حتى لا يحتاج إلى تفسير، أي : قال قولا مثل ذلك الوعد فحينئذ يبقى على هين، بالواو وبدونها غير منصوب، يقال : المظهر لاشتغاله بما قبله فيضمر، قال : على كلتا القرائتين لينصبه أو لا يضمر، لأن الله هو المخاطب. وقلت : تمام تقريره أن المشار إليه بقوله ﴿ ذلك ﴾ إما الكلام السابق وهو قول زكريا : ﴿ رب أنى يكون لي غلام ... إلى آخره ﴾ أو اللاحق، وهو قول : ﴿ عليّ هين ﴾ فعلى الأول : ﴿ كذلك ﴾ خبر مبتدأ محذوف إذ التقدير الأمر. كما قلت، فتكون الجملة الثانية على تقدير جواب عن سؤال سائل، فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه إياه ؟. فأجيب قال : ﴿ ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾ وعلى الثاني المشار

---

(1) ابن مسعود ((بفتحها)) شواذ القرآن ٨٣ والمحتسب ٣٩/٢.

(2) ابن جني في المحتسب ٣٩/٢.

(3) (الحويل) جودة النظر والقدرة على التصرف . انظر المحتسب لابن جني والتعليق عليه ٣٥/٢.

(4) (الزويل) الاستحالة والذهاب.

(5) (الشخير) مد الصوت بالخياشيم.

(6) (الحثي) جمع حاث، من حثا التراب أي صبه.

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً ﴾.

(8) القاضي البيضاوي ٣/٤.

قوله : ((وأوحى أشار))[1] الراغب [2] : [الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة. قيل : أمرُ وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد، وإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة، وقد حمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ فقد قيل : رَمَزَ . وقيل : أشار . وقيل : كتب . وعلى الوجوه المذكورة في قوله : ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾[3] .

قوله : ((واحْكم كحُكم فتاة الحي ...))[4] تمامه :

** واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ** إلى حمام سراعٍ ورادِ الثمد **

** قالت ألا ليتما هذا الحمام لنـــا ** إلى حمامتنا ونصفه فقـــد **

(الثمد) الماء القليل الذي لا مادة له . (إلى حمامتنا) أي مع حمامتنا. و(قد) بمعنى حسب . الجوهري [5] : [قولهم : قدْكَ أي حسبك، فهو اسم، تقول : قدي وقدني، وبالنون شاذ . قال الميداني : قال النابغة في زرقاء اليمامة، يخاطب النعمان : واحكم كحكم فتاة الحي[6] ، وكانت نظرت إلى سرب حمام طائر فيه ست وستون حمامة، وعندها حمامة واحدة، فقالت :

** ألا ليت ما هذا الحمام ليه ** إلى حمامتيـــه **

** ونصفه قديـــــــــــه ** تم الحمام ميه **

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ قال (ز) : ((وأوحى أشار)).

(٢) الراغب ٥١٥ مادة (وحى).

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٢.

(٤) القائل النابغة، واسمه زياد يخاطب النعمان بن المنذر. الكشاف٧/٣ . (تفسير قوله : ﴿ وآتيناه الحكم ﴾.

(٥) الجوهري في صحاحه ٥٢٣/٢ مادة (قدد)

(٦) فتاة الحي هي زرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر.

الحمام مئة، وقال بعض أصحاب المعاني إن النابغة لما أراد مدح هذه الحكمة الحاسبة بسرعة أصابتها شدة الأمر وضيقه ليكون أحسن له إذا أصابت فجعلها حَزِرةً للطير، إذ كان الطير أخفّ ما يتحرك، ثم جعله حماماً إذ كان الحمام أسرع الطير، ثم كثّر العدد إذ كانت المسابقة مقرونة بها، لأن الحمام يشتدّ طيرانها عند المسابقة ثم ذكر أنها طارت بين ضيقين، لأن الحمام إذا كان في مضيق من الهوى كان أسرع طيراناً منه إذا اتسع عليه الفضاء، ثم جعله وارد الماء أعانه الحرص على الماء على سرعة الطيران.

قوله : ((وقيل النبوة))[1] قال الإمام [2] : الأقرب هذا، لأنه تعالى ذكر هنا مناقب شريفة ليحيى على سبيل المدح، ولا ارتياب أن أشرفها النبوة، فوجب حمله عليها]. وروى الواحدي [3] : [عن ابن عباس أن الحكم النبوة وقال أيضاً : المعنى فوهبنا له وقلنا : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً ﴾ والكتاب التوراة] وقال الإمام [4] : [ويحتمل كتاباً خصّ به، كما خصّ الله تعالى الكثير من الأنبياء بذلك، والأول أوجه، لأن حمل التعريف على المعهود السابق أولى، ولا معهود سوى التوراة] وقلت : [يحمل على العهد الذهني لقرائن الأحوال، كقول عيسى : ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ والكتاب هو الإنجيل][5] .

قوله : ((حنانا رحمة لأبويه))[6] وهو مصدر بمعنى الاسم أي : التحنن بدليل قوله : ((وتعطّفاً)) قال الراغب [7] : [الحنين النزاع المتضمن للإشفاق، يقال : حنّت المرأة والناقة لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت، ولذلك يعبّر بالحنين عن الصوت

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ وهو على معان منها : النبوة.

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٩١/٢١.

(٣) الواحدي ١٧٨/٣.

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٩١/٢١.

(٥) ما بين القوسين س من أ.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وحناناً من لدنا وزكاة ﴾ الآية.

(٧) الراغب ١٣٣ مادة (حنّ).

الدال على النزاع والشفقة، أو متصور بصورته، وعلى ذلك حنين الجذع، ولما كان الحنين متضمنا للإشفاق، والإشفاق لا ينفك عن الرحمة عبّر عن الرحمة به في نحو قوله تعالى : ﴿ وحنانا من لدنا ﴾ ومنه قيل : الحنان المنان وحنانيك اشفاق بعد اشفاق] وقال أبو البقاء (١) : [وحنانا معطوف على الحكم أي : وَهبنا له تحنّنا . وقيل : مصدر]

قوله : ((﴿ وبرّاً ﴾)) أي : وجعلناه ﴿ برّاً ﴾ وقيل : برّا معطوف على خبر كان . وقلت : وسلام معطوف من حيث المعنى على ﴿ وآتيناه الحكم ﴾ كأنه قيل : وآتيناه الحكم صبياً وجعلناه برّا لوالديه وسلمناه في تلك المواطن الموحشة، فعدل إلى الجملة الاسمية لإرادة الثبات والدوام، وهي كالخاتمة للكلام السابق، ومن ثم شرع في قصة أخرى . وفي قوله : ﴿ ويوم يموت ﴾(٢) إشارة إلى أن القتل أيضاً موت مقدر بأجل خلاف المعتزلة .

قوله : ((** فقالت حنان : ما أتى بك ... البيت (٣)

روى عن المصنف أنه قال : (ما) في البيت إبهامية، كما تقول : أمر ما جاء بك هـهنا رأى رجلاً غريباً أنكر مجيئه إلى الحي فقال : قل لى رحمة منك ما جاء بك هـهنا أقريب ذو نسب أتى بك أم أنت عارف بالحي وجئت لمعرفتك بهم ؟ . أوله :

** وأحدث عهداً من أميمة نظرة ** على جانب العليا إذ أنا واقف **

تقول : حنان البيت.

قوله : وحنّ في معنى ارتاح واشتاق. ثم استعمل في العطف والرأفة)) فيكون مجازاً لأن العطف والرأفة سبب الإشتياق والإرتياح . وفي الأساس(٤) بخلافه، لأنه ذكر

---

(١) أبو البقاء ١١١/٢.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ﴾ الآية ١٥ مريم.

(٣) البيت لمنذر بن درهم الكلبي. وتمامه :

** فقالت حنان : ما أتى بك هاهنا ** أذو نسبٍ أم أنت بالحي عارف **

انظر المشاهد ٩/٣.

(٤) الأساس ١٤٥ مادة (حنّن)

في قسم الحقيقة : [حنّ إلى وطنه، وحن عليه حناناً ترحم عليه] وكيف ما كان استعماله في حق الله تعالى استعارة تبعية لمعنى إنعامه على عباده ولطفه بهم[1] لأن الوالد إذا عطف على ولده وأظهر الشفقة في حقّه لطف به وأنعم عليه.

قوله : ((وفيه أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها))[2] أي في الإبدال إشارة إلى أن المقصود الأولى في هذا المقام استحضار ذلك الوقت الذي حدثت تلك الحادثة الغريبة فيه في ذهن السامع ومشاهدته ليتعجب منه، وكذلك فعل في قصة زكريا عليه السلام في قوله : ﴿ إذ نادى ربه ﴾.

قوله : ((والانتباذ الاعتزال والانفراد)) الراغب [3] : [انتبذ فلان اعتزل اعتزال من تقلّ مبالاته بنفسه فيما بين الناس، والنبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به، ولذلك يقال : نبذته نبذ النعل الخلِق، قال تعالى : ﴿ كلا لينبذن في الحطمة ﴾[4] ﴿ فنبذوه وراء ظهورهم ﴾[5] لقلة اعتدادهم به، وصبيٌّ منبوذ ونبيذ كقولك لقيط وملقوط، لكن منبوذ باعتبار من طرحه، وملقوط باعتبار من تناوله].

قوله : ((أو من دارها)) عطف على ((مما يلي)) بأن يقدر مما يلي شرقي دارها، أي : في مكان من الذى يقرب شرقي بيت المقدس أو بقرب شرقي دارها.

قوله : ((في مشرقة))[6] أي : موضع القعود لإشراق الشمس . الأساس[7] : [قعدوا في المشرقة وتشرقوا].

---

(1) هذا على مذهب من أول الصفات، والصواب أن الله يوصف بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم كما هو مذهب السلف، على غرار قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ قال (ز) : (إذ) بدل من (مريم) بدل اشتمال، لأن الأحيان مشتملة على ما فيها ((وفي ... الخ)).

(3) الراغب ٤٨١ مادة (نبذ).

(4) سورة الهمزة الآية ٤.

(5) سورة آل عمران الآية ١٨٧.

(6) تفسير قوله :﴿ إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ﴾.

(7) الأساس ٣٢٧ مادة (شرق).

قوله : ((سوياً سوى الخَلْق))[1] الراغب [2] : [السوي يقال : فيما يصان عن الإفراط والتفريط من حيث القدر والكيفية، قال تعالى : ﴿ من أصحاب الصراط السوي ﴾[3] ورجل سويّ استوت أخلاقة وخلقته عن الإفراط والتفريط].

قوله : ((وَسَبْراً لعفتها)) المغرب[4]: [سبر الجرح بالمسبار قدّر غوره بحديدة أو غيرها].

قوله : ((زوج أختها)) قيل: الصواب خالتها،وقد سبق في آل عرمان تحقيقه[5].

قوله : ((لِتفْلي رأسها))[6] الأساس[7] : [فليت رأسي واستفليته واستفليت رأسي طلبت أن يفلى . ومن المجاز : فليت الشِعر تدّبرته عن معانيه] الجوهري[8] : [فليت رأسه من القمل].

قوله : ((في صورة ترب لها)) الجوهري [9] : [قولهم : هذه تِرْبُ هذه أي لدتها وهن أتراب].

قوله : ((أو سماه ا لله روحه على المجاز))[10] هذا يوهم أن الوجه الأول لا مجاز فيه، لكن هذا المجاز في الإضافة للتشريف على نحو بيت ا لله وناقة ا لله، والأول من إطلاق المسبب على السبب، لقوله : ((لأن الدين يحيى به)) وأحياه الدين أيضاً مجاز عن إظهاره وتنويهه.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فتمثل لها بشراً سوياً ﴾ .

(٢) الراغب ٢٥٢ مادة (سوا).

(٣) سورة طه الآية ١٣٧

(٤) المغرب ٣٧٩/١ مادة (سبر).

(٥) الآية ٤٥ – ٤٦ عند قوله تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن ا لله يبشرك بكلمة منه ... الآية ﴾.

(٦) قال (ز) : وكان زكريا إذا خرج أغلق عليها الباب، فتمنت أن تجد خلوة في الجبل ((لتفلي رأسها)).

(٧) الأساس ٤٨٢ مادة (فلى).

(٨) الجوهري في صحاحه ٢٤٥٧/٦ مادة (فلي).

(٩) الجوهري في صحاحه ٩١/١ مادة (ترب) كما قال تعالى : ﴿ عُرُباً اتراباً ﴾ .

(١٠) تفسير قوله : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ .

قوله : ((وإصابةُ الروح)) بالرفع عطف على ((روح العبـاد)) علـى أن يـراد بالروح القرآن، فيكون من باب عطف الخاص على العام اهتماماً، لأن قوله : ﴿ فأمـا إن كان من المقربين. فروح وريحان ﴾[1] بعض منه . ويؤيده رواية الجرّ عطفاً علـى مـا في (لما) . ويجوز أن يكون الرفع عطفاً على سبيل البيان، كما أن قوله : ((ونوحيـه)) عطف على الهاء في (به) كذلك أي أنه سبب لما فيه إصابة الروح عند الله، لأنـه عليـه السلام نـزل بقولـه : ﴿ فأمـا إن كـان مـن المقربـين . فـروح وريحـان ﴾[2] وهـو عـدة المقربين.

قوله : ((أو لأنه من المقربين)) أي : إنمـا قـال ﴿ روحنـا ﴾ لأنـه مـن المقربـين، وإنما سميّ المقربون بالروح، لأنهم وعدوا به فيكون مجازاً بأدنى ملابسـة، فالوجهـان في هذه القراءة كالوجهين في القراءة[3] الأولى مجـازا، وإضافـة نعـم الإضافـة الأولى أعلـى وأسنى.

قوله : ((وتحفـل بالاسـتعاذة))[4] الجوهـري [5] : [حفلـت كـذا أي باليت بـه، يقال: لا تحفل به].

قوله : ((كقوله تعالى : ﴿ بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾[6] قال المصنـف : فيه ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هـو حـرام عليكـم إن كنتـم مؤمنـين[7] ، ووجه الشبه أن المتقي إنما يكـون متقيـاً إذا أشـرف علـى محـارم الله تعـالى ولا يهتـك حرمته فيها، كما أن المؤمن إنما يكمل إيمانه إذا اعتقد أن القليل مـن الحـلال خـير مـن

---

(١) سورة الواقعة الآية ٨٩.

(٢) سورة الواقعة الآية ٨٩.

(٣) القراءة (في رُوحنا) بالضم . (روحَنا) لأبي حيوة بالفتح.

(٤) تفسير قوله تعالى :﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنـت تقيـاً ﴾ الآيـة ١٨ مريـم . قـال (ز) : أرادت، إن كان يرجى منك أن تتقي الله وتخشاه ((وتحفل بالاستعاذة)) به فإني عائذة به منك.

(٥) الجوهري ١٦٧١/٤ مادة (حفل).

(٦) سورة هود الآية ٨٦ عند هذه الآية قال المصنف ذلك.

(٧) في ت ، ب : عليكم (خير لكم) إن كنتم مؤمنين . ما بين القوسين.

الكثير من الحرام، وفائدة هذا الأسلوب الإنزجاز على الوجـه الأبلـغ، ولا يسـلك إلا بمن يدعى أنه متصف بتلك الصفة، وهو غال فيها، ومن ثم روى البخاري[1] عـن أبـي وائل قال : [علمت مريم أن التقي ذو نهية حين قالت : ﴿ إن كنت تقياً ﴾ ذو نهيـة] أي ذو عقل، وقال محي السنة [2] : [هذا كقول القائل : إن كنت مؤمنا فـلا تظلمـني، أي : ينبغي أن يكون إيمانك مانعاً من الظلم] وقلت : مثاله في الشاهد قولك لمن تخاف غائلته وتعرف أنه ممن يتقي سطوات الملك العادل : أنا أستجير منك إلى الملك العـادل إن كنت تتقي سطواته، فإذا بلغ تماديه في الغـي إلى أنـه لا يرتـدع بمثـل هـذا الـرادع، قلت للملك العادل : أنا ألوذ إليك وأستجير بكنفك من معرّة فـلان، فقولها : ﴿ أنـا أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ من هذا المقام.

قوله : ((لا كـون سـبباً لهبـة الغـلام))[3] الراغـب [4] : [الهبـة أن تجعـل مِلْكـك لغيرك بغير عوض، وقوله : ﴿ لأهب لك غلاماً زكيـاً ﴾ نَسَـبَ المَلَـكُ الهبـة إلى نفسـه لكونه سببا] وقرئ [5] : ﴿ ليهب لك ﴾ فنسب إلى ا لله عز وجل، فهو على الحقيقـة، ويوصف ا لله تعالى بالواهب، والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاّ على قدر استحقاقه.

---

(١) لم أقف عليه في البخاري، وفي الدر المنثور ٥/٥٠٠ أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حـاتم عن أبي وائل.

(٢) محي السنة البغوي ٥/٢٢٣.

(٣) تفسـير قوله تعالى : ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهـب لـك غلامـاً زكيـاً ﴾ مريـم الآيـة ١٩. تفسـير قوله:﴿ لأهب لك ﴾ .

(٤) الراغب ٥٣٣ مادة (وهب).

(٥) قرأ ﴿ ليهب لك ﴾ ورش وأبو عمرو ويعقوب بالياء بعد اللام، والضمير للرب، أي : ليهـب لـك الذي استعذت به مني، لأنه الواهـب على الحقيقـة، ووافقهـم الحسـن واليزيدي. والبـاقون بـالهمز. والضمـير للمتكلم، وهو الملك، لأنه السبب . الإتحاف ٢٩٨.

قوله : ((جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال))[1] قال الإمام[2] : [ولقائل أن يقول قولها : ﴿ لم يمسسني بشر ﴾ يدخل تحته قولها : ﴿ ولم أك بغياً ﴾ فلماذا أعادها ؟. ويقوي السؤال قولها في آل عمران : ﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ﴾ والجواب : من وجهين . أحدهما : أنها جعلت المس عبارة عن النكاح الحلال. وثانيهما : أن إعادتها لتعظيم حالها، كقوله تعالى : ﴿ وملائكته ورسله وجبريل ﴾[3] فذكر البغي بعد دخوله في الكلام، لأنه أعظم ما في بابه، لأن من لم تُعرف من النساء بالتزوج فأغلظ أحوالها إذا أتت بولد أن تكون زانية] . وقلت : الوجه الأول[4] أقضى بحق البلاغة، ولهذا اختاره المصنف، لأن قوله : ﴿ ولم يمسسني بشر ﴾ حال مقررة لجهة الإشكال، وردت على الكناية عن النكاح الحلال مقرونة بأخرى لإرادة التقسيم الحاضر، فيفيد أن علقة الولد ومظنّة حصول الغلام عرفاً، إنما يكون بطريق النكاح أو السفاح، وما لم يوجدا كيف يتصور وجوده، لكن في تعليله جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال، لأنه كناية عنه جزاؤه، لأنه جاء في آل عمران[5] ولم يرد به هذه الكناية، بل العبارة الجيّدة أن يقال : جعل المسّ عبارة عن النكاح في هذا المقام لوقوعه قرينة لقوله : ﴿ ولم أك بغيا ﴾ لإفادة التقسيم الحاضر . فإن قلت : كيف طابق قولها : ﴿ ولم أك بغياً ﴾ قوله : ﴿ لأهب لك غلاماً زكيا ﴾ فإنه نفى كل الريبة والتّهمة بقوله: ﴿ زكيا ﴾ ؟. قلت : كأنها من فرط تعجبها وغاية استبعادها نبذت الوصف وراءها ظهريا، وأتت بالموصوف، وأخذت في تقرير نفيه على أبلغ وجه، أي : ما أبعد وجود هذا الموصوف مع هذه الموانع، بل الوصف وهو قريب من الأسلوب

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً ﴾ الآية ٢٠ . تفسير : ﴿ ولم يمسسني بشر ﴾.

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٩٩/٢١ بتصرف منه . وكذا ذكر صاحب الروض الريان في أسئلة القرآن لشرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان المتوفى سنة ٧٧٠ . ٢٣٦/٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٩٨

(٤) وهو جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال.

(٥) عند قوله تعالى : ﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر . قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقوله له كن فيكون ﴾ الآية ٤٧.

الحكيم[1] . ولّما كان الاهتمام بشأن النفي في الثاني أتمّ أثرت كأن الإيذان بـأن انتفـاء الفجور لازم لها[2] ، وبعيد أن تتّصف بما يخالف العفّـة، لأنهـا كـانت مـن بيـت العفّـة ومعدن الطهارة، ألا ترى إلى قولهم : ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امـرء سـوء ومـا كانت أمك بغيا ﴾[3] وبهذا ظهر أن قول من قال : إن هارون كان رجـلاً صالحـاً أخـاً لها هو القول . قال الراغب[4] : [كأن ما استعمل منه في جنس الشيء متعلقـا بوصـف له لينبّه على أن ذلك الوصف لازم له قليل الإنفكاك، كقوله تعالى : ﴿ وكان الإنسان كفوراً ﴾[5] ، وقلت : وقد جاء في فرد من أفراد الجنس باعتبار وصف يجعله كـالجنس نحو : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول ا لله وخـاتم النبيين ﴾[6] ومـا نحن بصدده من هذا القبيل . فإن قلت قول الإمام : ويقوّي السؤال ما في آل عمران، يوهم أن القرينة الأولى كافيـة في الجـواب عـن قولـه : ﴿ لأهـب لـك غلامـاً زكيـاً ﴾ فكيف وقوعها في هذا المقام دون ذلك ، والقصة واحدة؟. قلت : يجـوز أن يكـون ما في آل عمران بشارة أخرى من الملائكة بعد هـذه البشـارة مـن جـبريل بشّـرت أولا بموهوب زكي ثم بموهوب موصوف بتلك الصفات الكوامل، فحقيقة البشارة في الكرّة الثانية هي الإخبار بما يظهر سـرور المخبَر، فالسـرور الثـاني غـير الأول، وإنما لم يردف القرينة الثانية بها في البشارة الثانية، لأنه لم يلحقها ما تستشـعر معـه الخوف على نفسها كما لحقهـا في المرة الأولى، ولذلـك[7] استعاذت فيهـا بقولـه : ﴿ انـي أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً ﴾ وأيضاً لا ارتياب أن سورة مريم مكية، لأنهـا تُليـت

---

(1) الأسلوب الحكيم : هو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسـأله، وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيها على أنه كان ينبغي له أن يسـأل هـذا السـؤال أو يقصد هذا المعنى . جواهر البلاغة ٣٨٨. و التبيان للطيبى ٢٩٥.

(2) هذه العبارة هكذا في كل النسخ ولم يتضح لي معناها.

(3) سورة مريم الآية ٢٨.

(4) الراغب لم أقف عليه فيه في مادته من كتابه المفردات، ولعله في تفسيره.

(5) سورة الإسراء الآية ٦٧.

(6) سورة الأحزاب الآية ٤٠

(7) في ب (ولهذا) بدل (ولذلك).

على النجاشي[1] في أول الهجرتين . وسورة آل عمران كما قيل : مدنية، ويمكن أن يقال : إن كلتيهما قصة واحدة، وإنما اختلفت العبارات لما أنه عز شأنه ذكر قصتها الواحدة في كل مكان بحسب ما يقتضيه المقام من الإطناب والإيجاز، فهذا المقام مقام بيان المقاولة التي جرت بينها وبين المَلَكِ والحالات الواقعة بينهما لا بيان وصف الغلام بتلك الأوصاف المذكورة في آل عمران، فأطنب في الأول واختصر في الثاني، بخلافه في آل عمران لأنه مقام تقرير الامتنان على مريم بموهوب عظيم القدر بديع الشأن، فأطنب في الأوصاف، وأوجز في بيان المقاولة، وقد ذكرنا في سورة هود قانونا يرجع إليه في أمر قصة واحدة تَرِدُ عل أنحاء مختلفة في مواضع شتّى ، وبسطنا الكلام فيه . وا لله أعلم بأسرار كلامه.

قوله : ((وليس بقمن))[2] يقال : أنت قمن أن تفعل كذا بالتحريك، أي : جدير خليق لا يثنى ولا يُجمعُ ولا يؤنثّ، فإذا كسرت الميم أو قلت : قمين . ثنيت وجمعت.

قوله : ((وهي فعول عند المبرِّد))[3] [4] قال أبو البقاء [5] : [فلما اجتمعت الواو والياء قلبت الواو ياء، وأدغمت وكسرت الغين إتباعاً، ولذلك لم يلحق تاء التأنيث، كما لم تلحق في امرأة صبور و شكور].

قوله : ((هي فعيل)) قال أبو البقاء[6] : [هي فعيل بمعنى فاعل، ولم تلحق التاء أيضاً، لأنه للمبالغة لأنه على النسب مثل طالق وحائض].

---

(١) النجاشي ملك الحبشة المشهور، حين ما قدم عليه المهاجرون للحبشة في الهجرة الأولى.

(٢) قال (ز) : ((وليس بقمن)) أن تراعي فيه الكنايات، يقوي ما مال إليه بجعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال . ومعنى (قمن) أي : حَرِيٌّ.

(٣) تفسير قوله : ﴿ ولم أك بغيا ﴾ قال (ز) : ((وهي فعول عند المبرد)).

(٤) المبرد : هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، الأزدي، أبو العباس المعروف بالمبرد، إمام العربية في بغداد، أحد أئمة الأدب والأخبار . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٦ ببغداد . بغية الوعاة ٢٦٩/١. وتاريخ بغداد ٣٨٠/٣.

(٥) أبو البقاء ١١٢/٢.

(٦) المرجع السابق.

قوله : ((فلان نهوّ))[1] وهو شاذ . قيل : لأنه إذا اجتمع الواو والياء وسبق ساكن قلب الواو ياء وأدغم . وقال صاحب التقريب : [نصُّوا على أن نهوّ شاذ ليس بقياس.

قوله : ((أو هو معطوف على تعليل مضمر))[2] والمعنى : أهب لكِ وأنت كذلك ليبين كقوله تعالى : ﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ﴾[3] ليستدل بها المكلف على قدرته، ولتجزى كل نفس . وقوله : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾[4] ليتصرف فيها ولنعلمه، ونظير الأول قوله في الأنفال : ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾[5] ليقضي متعلق بمحذوف، أي : ليقضي أمراً واجباً أن يفعل دَبّرَ ذلك. الحاصل : أنه على تقدير الأول عطَف الجملة على الجملة، وعلى الثاني عطف المفرد على المفرد، فإن قلت : لم يقدّر المعلل مؤخراً ؟ قلت : فائدة هذا الأسلوب، وهو أن تجاء العلة بالواو للاهتمام بشأن العلة المذكورة، لأنه إما أن يقدر علة أخرى ليعطف عليها، فيكون اختصاص ذكرها لكونها أهم . وإما أن يقدر معلل، فيجب أن يكون مؤخراً، ليشعر تقديمه بالاهتمام.

قوله : ((أو كان أمراً حقيقا))[6] بأن يُكَوّن ويقضى، فعلى الأول ﴿ كان أمراً مقضياً ﴾ تذييل للكلام وتوكيد له، وكالموجب ليكون ما يدل على القدرة الكاملة والرحمة الشاملة . وعلى الثاني كالموجَب[7] بفتح الجيم، وذلك بالنظر إلى معنى الآية،

---

(١) قال ز) : قال ابن جني : هي فعيل، ولو كانت فعولاً لقيل : (بغوّ) كما قيل : ((فلان نهوٌّ)) عن المسكرات.

(٢) تفسير قوله : ﴿ ولنجعله آية ﴾ قال (ز) : تعليلٌ معللّه محذوف، أي : ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك ((أو هو معطوف على تعليل مضمر)) أي نبين به قدرتنا، ولنجلعه آية.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٢.

(٤) سورة يوسف الآية ٧٦.

(٥) الآية ٤٢.

(٦) تفسير قوله : ﴿ مقضياً ﴾.

(٧) الموجَب بالفتح . وضابطه تسليم المعترض دليل الخصم، مع بقاء النزاع في الحكم . وقد تقدم له زيادة إيضاح في الحجر

وأنها البرهان على قدرة الله، ومفهوم الرحمة، وأن ابنها يصير نبياً مباركاً، وأن كونهما من المصالح الموجبة أن تراعى . والأول أنسب لمذهبنا. والثاني لمذهبه، ويدل على أن المراد رعاية الأصلح قوله ((وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل إلى الطاعة والعمل الصالح، فهو جدير بالتكوين))[1] .

قوله : ((فاطمأنت إلى قوله : فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت))[2] إشارة إلى أن الفاء في : ﴿ فحملته ﴾ تعطف هذه الجملة على ما قبلها بواسطة هذه المضمرات فلا يبعد أن تسمى فصيحة، لأن الاطمئنان يستدعي سبق انزعاج، وذلك أنه حين تمثل لها الرسول بشراً سوياً انزعجت منه فاستعاذت بالرحمن، فلما جرى بينهما تلك المقاولة اطمأنت إلى قوله : ((فدنا ... إلى آخره)).

قوله : ((كما حملته نبذته))[3] بيان لمعنى الفاء في : ﴿ فانتبذت ﴾ ولفظة كما فيها معنى المفاجأة . قال صاحب اللباب : الكاف قد تأتي للقِران للوقوع كقولك : كما حضر زيد غاب عمرو.

قوله : ((وقالوا ما من مولود إلا يستهل غيره)) غيره بالنصب على الاستثناء، أشار بهذا إلى الحديث المشهور مضى شرحه في آل عمران[4] . وإنما أوتي إليه وهو أجنبيّ ههنا، لأنه ذكر نُبَذاً من أحوالها الخارقة للعادات.

قوله : ((تدوس بنا الجماجم والتريبا [5] ... أوله :

** فمرت غيرنا فرة عليهم **

---

(١) تفسير قوله : ﴿ ولنجعله آية للناس ورحمة ﴾ ((وما كان سبباً ... الخ))

(٢) تفسير قوله : ﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ﴾ قال (ز) عن ابن عباس ((فاطمأنت ... الخ))

(٣) يشير إلى مدة الحمل، والخلاف في ذلك.

(٤) الآية ٣٦ والحديث أخرجه البخاري مع الفتح ٢١٢/٨ كتاب التفسير باب : ﴿ وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ برقم ٤٥٤٨ ولفظه : ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ... الخ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ومسلم كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى برقم ٢٣٦٦ ج١٨٣٨/٤.

(٥) القائل المتنبي يصف الخيول . كذا ذكره الألوسي ٨٠/١٦

قبله :

** كأن خيولنا كانت قديما ** تسقى في قُحوفِهم الحليبا **

الترائب عظام الصدر، والقَحْفُ العظم فوق الرأس . والضمير يعود إلى الأعادي، والعرب تسقي اللبن كرام خيولهم . يقول : خيلنا كانت تسقي اللبن في أقحاف رؤس الأعداء لإلفها بها، ولهذا كانت تمرّ عليهم وعلى صدروهم، ونحن عليها ولم تنفر عنهم.

قوله : ((فهرب بها))[1] أي هرب ابن عمها مستصحباً إياها، ويجوز أن يكون الباء للتعدية.

قوله : ((إلا أن استعماله قد تغيّر بعد النقل إلى معنى الإلجاء))[2] الجوهري[3] : [أجأته إلى كذا لجأته واضطرته إليه] قال الفراء[4] : [أصله من جئت] وقد جعلته العرب إلجاء . وفي المثل[5] : [شرّ ما يُجيئُك إلى مُخَّة عُرقوبٍ] قال الأصمعي : وذلك أن العرقوب لا مخَّ فيه، وإنما يحرج إليه من لا يقدر على شيء . الراغب[6] : [المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة، ويقال : جاء في الأعيان والمعاني، وبما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكاناً أو عملاً أو زماناً، يقال : جاء بكذا وأجاءه قال تعالى : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ قيل : ألجأها وإنما هو معدّي عن جاء . وقال الشاعر[7] :

---

(١) تفسير قوله : ﴿ مكاناً قصياً ﴾ قال (ز) : خاف عليها قتل الملك ((فهرب بها)).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ﴾ تفسير : ﴿ فأجاءها ﴾ قال (ز) : أجاء منقول من جاء ((إلا أن استعماله ... الخ)).

(٣) الجوهري في صحاحه ٧١/١ مادة (جأ) والصواب ألجأته إلى الشيء اضطرته إليه. كما هو في الجوهري.

(٤) الفراء في كتابه معاني القرآن ١٦٤/٢.

(٥) الميداني في أمثاله ٣٥٨/١ المثل رقم ١٩١٧.

(٦) الراغب ١٠٣ مادة (جاء).

(٧) الشاعر : زهير بن أبي سلمى وشطر البيت وهو في ديوانه ص ١٣ :

** وسارٍ جاء معتمداً إلينا ** أجاءته المخافة والرجاء **

قوله : ((ولم يقل : أتيت المكان وآتانيه فلان)) الجوهري[1] : [آتاه إيتاءً أي : أعطاه، وآتاه أيضاً أي أتى به، ومنه قوله تعالى : ﴿ آتنا غداءنا ﴾ أي : إئتنا به . وقيل : معنى قوله : ﴿ إئتنا غداءنا ﴾ إيتنا به أظهر من قوله أعطنا الغداء، لأن موسى عليه السلام طلب من يوشع إحضار الغداء لا إعطاؤه إياه، وسيجيء في قوله : ﴿ إنه كان وعده مأتياً ﴾ اختياره لغير ما اختاره هنا.

قوله : ((تمخّض الولد))[2] الجوهري[3] : [مخض اللبن وامتخض أي تحرك في الممخضة، وكذلك الولد إذا تحرك في بطن الحامل والمخاض وجع الولادة].

قوله : ((متعالم))[4] الجوهري[5] : [تعالمه الجميع أي : علموه].

قوله : ((خرسة النساء))[6] الجوهري [7] : [الخُرسُ بالضم طعام الولادة] الأساس [8] : [أطعم النفساء خُرستها، وهي طعامها خاصة، وقد خرست وتخرّست، وعن بعضهم : [الخُرس بالضم طعام الولادة والوليمة، وبالتاء طعام النفساء].

قوله : ((من جمّارها)) الجوهري[9] : [الجمّار شحم النخلة] وفي تذكير ضمير هو بحثٌ، لأنه راجع إلى الثمار اللهم إلا أن يتمحل أنه نظر إلى الخبر ولعله سقط من النساخ.

---

(1) الجوهري ٦/٢٢٦٢ مادة (أتى)

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ المخاض ﴾ قال (ز) : يقال : مَخَضَت الحامل مَخاضاً ومِخاضا بالكسر وهو ((تمخض الولد)) في بطنها.

(3) الجوهري ٣/١١٠٥ مادة (مخض) بتصرف منه.

(4) تفسير : ﴿ جذع النخلة ﴾ قال (ز) : كأن تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة ((متعالم)) عند الناس، إذا أطلق علم.

(5) الجوهري ٥/١٩٩١ مادة (علم).

(6) قال (ز) : أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو ((خرسة النفساء)) الموافقة لها.

(7) الجوهري ٣/٩٢٢ مادة (خرس).

(8) الأساس ١٥٨ مادة (خرس) بدون ذكر الوليمة.

(9) الجوهري ٢/٦١٦ مادة (جمر).

قوله : ((فَلِموا فقتها لها مع جميع الآيات اختارها لها))[1] الفاء فصحية، والمراد بالموافقة مع جميع الآيات ما ذكره أولها قوله : ((ليطعمها منها)) وأنهـا احتـاجت إلى الخُرسة، وقد أتيت بما هي محتاجة إليه . وثانيتُها قوله : ((ولأن النخلة أقل شيء صبراً على البرد)) فصبرت عليه، بأن أثمرت . كذلك النفساء تتوقى منـه لاستضرارها بـه، ثم إن الله تعالى حفظها منه كما حفظ النخلة، وثالثتها : قوله : ((وثمارها إنما هو من جمّارها)) أي : أثمرت من غير اللقاح، وفي غير الأوان، قال الإمام[2] : [كأن الله تعالى أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب، لأنه أشدّ الأشياء موافقة للنفساء، ولا تثمر إلا عند اللقاح، وإذا قطعت رأسها لم تثمر، فكأنه قيل : كما أن الأنثى لا تلد إلا بالذكر، كذلك النخلة لا تثمر إلا عند اللقاح، ثم إنه أظهر الرطب من غير اللقاح، ليدلّ على جواز ظهور الولد من غير الذكر.

قوله : ((ألجأها إليها)) فيه إشعار بأن الإسناد في قوله : ﴿ أجاءها المخاض ﴾ مجازي المعنى، ألجأها الله تعالى إلى جذع النخلة، وقت مخاضها واختارها لها.

قوله : ((﴿ مُتّ ﴾ بالضم والكسر))[3] ابن كثير وأبوعمرو وأبوبكر والباقون بالكسر.

قوله : ((النسيء ما من حقّه أن يطرح))[4] الراغب[5]: [النسي أصله ما ينسى كالنقض لما ينقض، فصار في التعارف اسما لما يقلّ الاعتداد به . وقوله تعالى : ﴿ نسياً منسياً ﴾ أي : جارياً مجرى النسي القليل الاعتداد به، ولهذا عقبه بقوله : ﴿ منسياً ﴾ لأن النسي قد يقال لما يقلّ الاعتداد به وإن لم ينس].

---

(١) قال (ز) : أرشدها إلى النخلة ليطعمها منها الرطب الذي هو خُرسةُ النفساء ((الموافقة لها))

(٢) الإمام الفخر الرازي ٢٠٣/٢١.

(٣) قرأ ﴿ متُّ ﴾ بكسر الميم نافع وحفص وحمزة و الكسائي وخلف، والباقون بضم الميم . الإتحاف٢٩٨.

(٤) تفسير قوله : ﴿ نسياً منسياً ﴾ .

(٥) الراغب ٤٩١-٤٩٢ مادة (نسي).

قوله : ((وعن يونس))[1] قال ابن الأنباري[2] : هو يونس بن حبيب البصـري، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء[3] ، وسمع من العرب كما سمع من كان قبلـه، أخـذ عنـه سيبويه والكسائي والفراء، وله مذاهب وأقيسة تفرد بها.

قولـه : ﴿ والشـظاظ)) الجوهـري [4] : [هــو العـود الـذي يدخـل في عـروة الجوالق].

قوله : ((تافها)) الجوهري [5] : [التافة الحقير اليسير].

قوله : ((وقد نسي وطرح)) حال من فاعل ينسى وهـو الضمـير الراجـع إلى : ﴿ نِسياً ﴾ وأن ينسى فاعل من شأنه ، لأنه صفة : ﴿ نسيا قد اعتمد عليه، وإنما قـال : من شأنه أن ينسى في العادة، لما قال النسي ما مـن حقّـه أن يطـرح وينسـى، وفـائدة توكيده بمنسياً الدلالة علـى المبالغـة، فـإن كـل نسـي لا يـلزم أن يكـون منسـياً، وإليـه الإشارة بقوله : ((فوجد فيه النسيان الذي هو حقه)).

قوله : ((لا كراهة))[6] قيل : هو عطف على ((لما لحقها)) وإنما حذف الـلام، لأن الكراهة فعل الفاعل لفعل المعلل، ولم يحذف في ((لما لحقهـا)) لأن مـا لحقهـا وإن كان عبارة عن الحياء، وهو فعله لكن لما أسند اللحوق إلى (ما) فكأنـه ليـس فعلـه، أو ليؤذن أن الحذف جائز عند وجـود شـرائط الحـذف لا واجـب . وقلـت : ويمكـن أن يقال : إنه عطف على محل قوله : ((على حكم العادة البشـرية)) مـن حيـث المعنـى،

---

[1] يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبدالرحمن، ويعرف بالنحوي علامة في الأدب، كان إمـام نحـاة البصرة في عصره، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم، الأعلام ٢٦١/٨ ووفيات الأعيان ٤١٦/٢.

[2] ابن الأنباري النحوي، صاحب التصانيف المفيدة، والورع والصلاح والزهد، سكن بغداد، وكـان شيخ العراق في الأدب، مات سنة ٥٦٧ . بغية الوفاة ٨٦/٢.

[3] أبو عمرو بن العلاء ، هو العلم المشهور في علـم القـرآآت واللغـة العربيـة والأدب، واسمـه زبـان، وقيل : اسمه كنيته، أخذ النحو عن نصر بن عاصم، وأخذ عنه يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد . انظر ترجمتـه في نزهة الألباء لابن الأنباري ٣٠-٣٥ والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص١٠١.

[4] الجوهري ١١٧٣/٣ مادة (شظظ) والجوالِق : وعاء . الجوهري مادة الجوالق ١٤٥٤/٤.

[5] الجوهري ٢٢٢٩/٦ مادة (تفه)

[6] قال (ز) : ((لا كراهة لحكم الله)).

لأنه حال من الضمير المنصوب في لحقها. المعنى لما لحقها من فرط الحياء جارية على حكم العادة البشرية لا كارهة لحكم الله، أو يقال : هو عطف على ما يتعلق به الجار والمجرور، أي بناء على حكم العادة البشرية لا كارهة لحكم الله، يدل عليه عطف قوله : ((أو لشدة التكليف)) باللازم . وقوله : ((أو لُحوقها على الناس على ما لحقها)) و لخوف فعلها، ولأن لما لحقها خبر ذلك، ولا يسوغ ذلك كراهة لحكم الله بالنصب.

قوله : ((أن تعرف)) في موضع النصب على أنه مفعول مطلق لقوله : ((عارفة)) أي : هي ببراءة الساحة معرفتك اغتباطك بأمر عظيم . وعن بعضهم أنه في موضع الرفع خبر لمبتدأ محذوف يعني هو أي المقام الدّحض أن تعرف أنت إلى آخره . وقيل : ((أن تعرف)) بدل من اسم إن.

قوله : ((وقرأ ابن وثاب(1) والأعمش وحمزة﴿وَنَسْياً﴾ بالفتح.وحفص أيضاً.

قوله : ((وهي قراءة عاصم))(2) أي مَن تَحتها قرأها عاصم من رواية أبي بكر، وقرأها ابن كثير وابن عامر أيضاً.

قوله : ((الأكمة))(3) الأساس (4) : [هي التل].

قوله : ((وقرأ زر وعلقمة(5) في جامع الأصول، هو أبو مريم زر بن حبيش الكوفي وهو من أكابر القراء والمشهورين من أصحاب عبد الله بن مسعود. زرّ بكسر

---

(1) قرأ ﴿ نَسياً ﴾ حفص وحمزة بفتح النون، والباقون بكسرها، لغتان، كالوتر.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾ الآية ٢٤ . قرأ : ﴿ مِن تحتها ﴾ نافع، وحفص وحمزة والكسائي وأبو جعفر وروح، وخلف بكسر الميم وجرّ تحتها، والفاعل مضمر . قيل : جبريل . وقيل : عيسى، ووافقهم الحسن والأعمش، والباقون بفتح اليم، ونصب : ﴿ تحتها ﴾ الإتحاف ٢٩٨ والسبع لابن مجاهد ٤٠٩.

(3) على قراءة ﴿ من تحتها ﴾ وأنه جبريل على أكمة تحتها.

(4) الأساس ٢٠ مادة (أكم).

(5) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك، فقيه الكوفة ومقرئها، الإمام الحافظ لازم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وجود القرآن عليه، وكناه أبا شبل . سير أعلام النبلاء ٥٣/٤ وتذكرة الحفاظ ٤٥/١.

الزاي وتشديد الراء، أما علقمة[1] فمن التابعين ثلاثة علقمة بن عبد ا لله المزني وعلقمة[2] بن علقمة مولى عائشة رضي ا لله عنها وعلقمة بن قيس النخعي روى عن عمر وعبد ا لله بن مسعود وفي الحاشية ما يدل على أنه هو.

قوله : ((** فتوسطا عرض السري [3] ... البيت [4] .

الضمير في توسطا للعَيْر، والأتان عرض السرى جانت النهر الصغير، فصدّعا، فشقّا، مسجورة عينا مملؤة، فحذف الموصوف، والقلام : ضرب من النبت، متجاورا ملتفاً . يقول : فتوسط العَيْر والأثان جانت النهر وشقا عيناً مملوءة ماء، فدخلا عرض نهرها الذي كثر على حافتيه من هذا الضرب من النبت.

قوله : ((وقيل : : هو من السرو، والمراد عيسى عليه السلام، الراغب [5] : [السَّرو أي : الرفعة، يقال : رجل سرو، وأشار بذلك إلى عيسى عليه السلام وما خصه به من سروة، يقال : سروت الثوب عني، أي : نزعته، وسروت الجلّ عن الفرس، قيل : ومنه رجل سريّ، كأنه سري ثوبه، بخلاف المتدثر والمتزمّل].

قوله : ((من حيث إنهما معجزتان)) في تسميتهما معجزتان بحث، لأن المعجزة[6] هي إظهار خرق العادات على سبيل التحدي، وهذا لا يستقيم في حقّها ولا

---

(١) علقمة بن عبد ا لله المزني البصري ثقة من الثالثة . تقريب التهذيب ٢٤٣.

(٢) علقمة بن أبي علقمة بلال المدني مولى عائشة، وهو علقمة بن أم علقمة، واسمها مرجانة، ثقة علامة، من الخامسة. تقريب التهذيب ٢٤٣.

(٣) تفسير قوله : ﴿ تحتك سرياً ﴾.

(٤) البيت للبيد من معلقته، وتمامه :

** فتوسطا عرض السّريّ فصدّعا ** مسجورة متجاوراً قلامها **

انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان ١٣/٣.

(٥) الراغب ٢٣١ مادة (سرى).

(٦) المعجزة : أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من ا لله . التعريفات للجرجاني ٢٨٢.

في حق عيسى عليه السلام، لأن ما يتقدم على البعثة من خرق العادات يسمى إرهاصا، كإظلال الغمام في طريق الشام، وإرجاس إيوان كسرى لنبينا صلوات الله عليه . والذي يصحّ أن يقال : إنهما كرامتان لها، ويؤيده ما ذكرنا في قوله : ﴿ أنّى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾[1] وقد استقصينا القول هناك.

قوله : ((﴿ تساقط ﴾ في تسع قرآآت))[2] [3] حمزة ﴿ تساقط ﴾ بالتخفيف وفتح التاء، والباقون بالتشديد إلا حفصاً فإنه يخفف بضم التاء وكسر القاف، والبواقي شواذ.

قوله : ((ورطباً تميز أو مفعول على حسب القراءة)) فإذا قرئ بفتح الياء أو التاء يكون تمييزاً ، أي : تتساقط النخلة رطباً، كقولك : تصبّب الفرس عرقاً، وإذا قرئ بالضم يكون مفعولاً به، أي : تساقط النخلة رطباً جنياً، قال أبو البقاء[4] : [ورطباً فيه أوجه، أحدها هو حال موطئة، وصاحبها الضمير في الفعل . والثاني : هو أنه مفعول به لـ ﴿ تساقط ﴾ . والثالث : هو مفعول ﴿ هزّي ﴾ . والرابع : هو تمييز وتفصيل هذه الأوجه يتبين بالنظر في القرآآت، فيحمل كل منها على ما يليق به].

قوله : ((وعن المبرّد جواز انتصابه بهزّي)) قال الزجاج[5] : [قال محمد بن يزيد يعني المبرّد : هو مفعول به، المعنى : وهزّي إليك بجذع النخلة رطباً تساقط عليك] فالتاء ليست بمزيدة مثلها في قولك : كتبت بالقلم . قال أبو البقاء[6] : [المعنى : هزّي الثمرة بالجذع . وقيل : التقدير هزّي إليك رطباً جنياً كائنا بجذع النخلة]

---

(1) سورة آل عمران الآية ٣٧.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾.

(3) قرأ : ﴿ تساقط ﴾ حمزة بفتح التاء من فوق على التأنيث وفتح القاف وتخفيف السين، ووافقه الأعمش، وقرأ حفص بضمّ التاء وتخفيف السين وكسر القاف، ووافقه الحسن . وقرأ أبو بكر من طريق العليمي والخياط عن شعيب عن يحيى وكذا يعقوب بالياء مفتوحة على التذكير، وتشديد السين وفتح القاف . والباقون بفتح التاء وتشديد السين وفتح القاف . الإتحاف ٢٩٨-٢٩٩.

(4) أبو البقاء ١١٣/٢

(5) الزجاج ٣٢٥/٣.

(6) أبو البقاء ١١٣/٢.

فقوله : (بالجذع) حال . وقلت : فعلى هذا، يكون قد تنازع في (رطبا) هزّي وتساقط، وقد أعمل فيه الأول، وهو ضعيف، ولأنه يكون ما في حيّز الأمر متأخراً عن جوابه، ومن ثمّ قال المصنف : وليس كذلك.

قوله : ((أو على معنى أفعلى الهزّبه)) يعني : نزّل المتعدى منزلة اللازم للمبالغة، نحو فلان يعطي ويمنع، ثم عدّي كما يعدّى اللازم، نحو قول الشاعر [1] :

** فإن تعتذر بالمَحْلِ عن ذي ضروعها ** إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلى **

ذي ضروعها اللبن في الضرع، ويجرح جواب الشرط، ونصلى فاعله، والعراقيب جمع عرقوب، وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان . يقول : إذا اعتذرت الناقة إلى الضيف قلّة اللبن بالمحل أنحرها له. وذهب صاحب الكشف إلى أن الباء للتسبب، والمضاف محذوف، أي : هزّي إليك بهزّ جذع النخلة، أي : إذا هززت النخلة اهتزّ، وبهزّك النخلة وتساقط عليك رطباً، و ﴿ رطباً ﴾ منصوب بـ ﴿ تساقط ﴾ فإن يتفاعل قد جاء متعديا . قال تعالى : ﴿ إن يصلحا بينهما ﴾[2] ويتعارفون بينهم . ومن قال : ضربني وضربت زيداً كان ﴿ رطبا ﴾ منصوب بـ ﴿ هزّي ﴾[3] أي : هزّي إليك رطباً جنياً متمسكة بجذع النخلة تساقطه عليك، فأضمر لـ ﴿ تساقط ﴾ مفعولاً، وجعل الباقي موضع الحال، هذا هو الجيد البالغ في الآية . وقيل : رطباً نصب على الحال، أي : وهزّي إليك بجذع النخلة، أي : بثمرة جذع النخلة تساقط عليك ثمرة النخلة رطباً .

قوله : ((التَّحنيكُ))[4] وهو إلصاق التمر بحنك الصبيّ.

---

(1) الشاعر ذو الرمة يمدح نفسه، وتقدم في الحجر الآية ٣٩

(2) سورة النساء الآية ١٩٨.

(3) وفي الدر المصون للسمين ٥٨٥/٧ يجوز أن تكون الباء في ﴿ بجذع ﴾ صلة كهي في قوله : ﴿ ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة ﴾ البقرة الآية ١٩٥ . أي : هزي جذع النخلة، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً، والجار حال من ذلك المحذوف تقديره : وهزّى إليك رطباً كائناً بجذع النخلة.

(4) قال (ز) : التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت، ((وكذلك التحنيك)).

قوله : ((أي : جمعنا لكِ في السريّ والرطب فائدتين)) يعني : رتب بقوله : ﴿ فكلي ﴾ الآية على قوله : ﴿ قد جعل ربك تحتك سرياً ﴾ وقوله : ﴿ وهزّي إليك بجذع النخلة ﴾ معنى ما يُحتاج إليه، وفي ضمنه التّسلية بما أصابها من الحزن. الراغب[1]: [الهزّ التحريك الشديد، يقال : هززت الرمح فاهتزّ، وهززت فلانا للعطاء، واهتزّ النبات إذا تحرك لنضارته : ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ﴾[2]].

قوله : ((﴿ وقري عيناً ﴾)) أي : وطيبي نفساً، يريد أن ﴿ قرّي عيناً ﴾ كناية عن طيب النفس، ورفع الحزن . النهاية[3] : [في حديث الإستسقاء : لو رآك لقرت عيناه، أي : لسرّ بذلك وفرح، وحقيقته أبرد ا لله دمعة عينيه، لأن دمعة الفرح والسرور باردة . وقيل : معنى أقر ا لله عينك بلّغك أمنيتّك حتى ترضى نفسك وتسكن عينُك فلا تستشرف إلى غيره] الراغب[4] : [قرّ في مكانه يقرّ قراراً ثبت ثبوتا جامداً من القرّ، وهو البرد، لأنه يقتضي السكون، ويوم القرّ يوم النحر لاستقرار الناس فيه بمنىً، والإقرار إثبات الشيء، قال تعالى : ﴿ ونقرّ في الأرحام ما نشاء ﴾[5] وقد يكون ذلك إثباتاً إما بالقلب وإما باللسان . وأما الجحود فإنما يقال فيما ينكر باللسان دون القلب . وقيل : لمن يُسَرُّ به قرّةُ عين . وقيل : أصله من القرّ أي : البرد، معناه بردت فصحت . وقيل : بل لأن للسرور دمعة قارّة وللحزن دمعة حارّة، ولذلك يقال فيمن يدعى عليه : أسخن ا لله عينه . وقيل : هو من القرار، والمعنى حصول ما يسكن به عينه، فلا يطمح إلى غيره].

قوله : ((﴿ ترئن ﴾ بالهمز)) قال ابن جني[6] : [رويت عن أبي عمرو[7] وهي ضعيفة، لأن الياء مفتوح ما قبلها والكسرة فيها لالتقاء الساكنين، فليست محتسبة

---

(١) الراغب ٥٤٢-٥٤٣ مادة (هزز).

(٢) سورة الحج الآية ٥.

(٣) النهاية ٣٨/٤ مادة (قرر) انظر فتح الباري ٤٩٥/٢ فقد ذكر هذا الحديث.

(٤) الراغب ٣٩٧ مادة (قر).

(٥) سورة الحج الآية ٥.

(٦) ابن جني في المحتسب ٤٢/٢.

(٧) ذكره ابن خالويه في القرآت الشاذة عن أبي عمرو وابن الرومي ٨٤ في مختصر الشواذ.

أصلاً، وعليه قراءة الجماعة : ﴿ ترَينّ ﴾ بالياء نعم . وقد حُكي الهمز في الواو التي هو نظيرة الياء في قوله تعالى : ﴿ لتبلون في أموالكم ﴾[1] فشبّه الياء لكونها ضميرا، وعَلَمَ تأنيث بالواو من حيث كانت ضميراً، وعَلَمَ تذكير، وهذا ليس بقويّ] .

قوله : ((لبّأت بالحج))[2] أصله : لبيت تلبية ، ثم أبدل التضعيف بالياء ثم أبدل الياء بالهمزة، وحلأت أي خلطت بالشيء الحلو، وأصله حلوته، قلبت الواو ياء، ثم أبدل الياء بالهمز.

قوله : ((وقيل : صياما))[3] هو عطف على قوله : ﴿ صوما ﴾ صمتا يعني صوماً، إما مجاز عن صمتا بقرينة ترتب : ﴿ فلن أكلم اليوم إنسياً ﴾ أو هو على حقيقته، وأما معنى ترتّب ﴿ فلن أكلم ﴾ عليه، فإنهم كما كانوا يمسكون عن الطعام والشراب كانوا يمسكون عن الكلام أيضاً.

قوله : ((وفيه أن السكوت عن السفيه واجب)) يريد أن هذا المعنى مدمج في الآية.

وقوله : ((من أَذلِّ الناس سفيهٌ لم يجد مسافها)) ينظر إلى قول أبي الطيب :

** وأتعب من ناداك من لا تجيبه ** وأغيظ من عاداك من لا تشاكله **

قوله : ((أي أكلم الملائكة دون الإنس))[4] يعني عدل من قوله : فلن أكلم اليوم أحداً أي إنسياً، ليفيد بدلالة المفهوم هذه الدقيقة، ويدمج فيه معنى كرامة أخرى، وهي رفعة منزلتها.

قوله : ((الفَريّ البديع))[5] الأساس[6] : [فلان يفري القرى إذا أتى بالعجب . ويقال : قد أفريت وما فريت، أي : أفسدت وما أصلحت . ومن المجاز : تَفر الليلُ

---

(1) سورة آل عمران الآية ١٨٦.

(2) قال (ز) : وهذا من لغة من يقول : ((لبأت بالحج وحلأت السويق)) وذلك لتآخ بين الهمزة وحرف اللين في الإبدال.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ صوماً ﴾ قال (ز) : صمتا ((وقيل صياماً)).

(4) تفسير قوله ﴿ إنسيا ﴾.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً ﴾ الآية ٢٧. تفسير ﴿ فريا ﴾ قال (ز) : ((الفريّ البديع)).

(6) الأساس ٤٧٢ مادة (فرو).

عن بياض النهار وتفرت الأرض بالعيون] الراغب[1] : [الفري قطع الجلد للخرز والإصلاح، والافراء للإفساد والإفتراء فيهما، وفي الإفساد أكثر، ولذلك استعمل في القرآن للكذب والشرك والظلم نحو : ﴿ من يشرك با لله فقد افترى ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ لقد جئت شيئاً فرياً ﴾ قيل : معناه عظيما . وقيل : عجيباً . وقيل : مصنوعاً].

قوله : ((هارون كان أخاها من أبيها))[3] ، يؤيّده ما روينا عن مسلم[4] والترمذي عن المغيرة بن شعبة قال : لما قدمت نجران[5] سألوني فقالوا : إنكم تقرؤن : ﴿ يا أخت هارون ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال : (إنهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم) والنظم يساعد عليه، كما سبق في قوله تعالى : ﴿ ولم أكُ بغياً ﴾.

قوله : ((وكانت من أعقابه)) أي : وكانت ممن يعقب هارون في مرتبة الأخوة، وذلك بأن يكون من نسل أخت هارون وأخيه . وقيل : في طبقته، خبر كان

---

(1) الراغب ٣٧٩ مادة (فري).

(2) سورة النساء الآية ٤٨.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمّك بغيا ﴾ الآية ٣٨.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه ١٦٨٥/٣ كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، وبيان ما يستحب من الأسماء برقم ٢١٣٥ واللفظ له . والترمذي في جامعه ٢٩٥/٥ كتاب التفسير، باب ومن سورة مريم برقم ٣١٥٥.

(5) نجران مدينة عريقة، وتتكون من عدة مدن صغيرة في واد واحد كبير كثير المياه والزرع يسيل من السراة شرقاً حتى يصب في الربع الخالي جنوب شرقي مكة المكرمة . انظر معجم المعالم الجغرافية ٣١٤ ط.

أي كانت في طبقته الأخوة[1] ، من جهة أعقابه، أي : أخلاقه في النسك والعبادة . و(من) ابتدائية.

قوله : ((أو شتموها به)) عطف على قوله : ((شبهوها بـه)) وشبهوها بشرّ لقوله : ((رجل صالح))، ومعنى التشبيه قولهم : كنّا نشبّهك بهارون، أو كنت عندنا مثله في الصلاح، أو شتموها بشرّ لقوله : أو طالح، والشتم هو إما أن يقولوا أنت مثله في الفساد واتّهموها به . وا لله أعلم.

قوله : ((تعلّت من نفاسها))[2] أي : طهرت من بقايا ما كان يعتريها من نفاسها، الأساس[3] : [بقية كلّ شيء علالته، وللفرس بُداهةٌ وعُلاَلَةٌ . وقال : تعاللت ذميل العيس، وهو يتعلّل ناقته، أي : يحلب اللبن الذي يجتمع في ضرعها بعد الحلب الأول . وما هي إلا عُلاَلَةٌ أتعلّل بها، وهي اسم ما يتعلل به].

قوله : ((ثم جاءت تحمله)) في إيجاز البيان تحمله، حال منها أو منه أو منهما لحصول الضمائر في الجلمة التي هي حال . والبغي الفاجرة مصروفة عن الباغية، أي : بمعنى المفعول كقولك : نفس قتيل، وكفّ خضيب . وقال صاحب الكشف : ولم يقل بغية فيحتمل أن يكون بغياً مصدرا كما قالوا في قوله : ﴿ قال من يحي العظام وهي رميم ﴾[4] ولم يقل : رميمة، قالوا لأنه أراد المصدر، ويجوز أن يكون ذلك للفواصل.

قوله : ((فإني عبد ا لله ومسيحه)) النهاية[5] : [قيل المسيح : الصديق وهو بالعبرانية مشيحاً فعُرّب. وقيل : إنما سمي، لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ].

---

(1) في ب (الأخرى).

(2) قال (ز) : قيل : احتمل يوسف النجار مريم وابنها إلى غار، فلبثوا فيه أربعين يوماً ((حتى تعلت من نفاسها)) ثم جاءت تحمله.

(3) الأساس ٤٣٤ مادة (علل).

(4) سورة يس الآية ٧٩.

(5) النهاية ٣٢٦/٤ ، ٣٢٧.

قوله : ((والدليل عليه معنى الكلام)) يعني لما قيد مضمون الجملة بكـان وهـي وإن كـانت قيـداً، لكـن بـالنظر إلى دلالتها علـى الأزمنـة الماضيـة مطلقـة مفتقـرة في الاختصـاص بزمـان دون زمـان إلى قرينـة مقيـدة، وهـهنا القرينـة المخصّصـة بالزمـان القريب سوق[1] الكلام للتعجب، فعلى هذا تكلم للحال الحـاضرة، و(مـن) موصولـة، والمراد عيسى عليه السلام . ويجوز جعلهـا موصوفـة، فـالمراد كـل مـن هـو موصـوف بكونه في المهد صبياً فيكون قولـه : ((﴿ تكّلـم ﴾ بحكايـة الحـال الماضيـة))[2] وكـان على إيهامها قال أبو البقاء[3] : [قيل ﴿ كـان ﴾ مثـل ﴿ كـان ا لله عليمـاً حكيمـاً ﴾ وقيل : زائدة، أي : من هو في المهد صبياً، وصبياً حال من الضمير في الجارّ والمجـرور، ولو كانت زائدة يستتر فيها الضمير، فلا تحتاج إلى تقدير (هو) بل الظرف صلة (مـن) أي : كيف نكلّم من في المهد صبيـا. وقـال الزجـاج[4] : [الأجـود أن يكـون (مـن) في معنى الشرط، أي : من يكن في المهد صبياً، كيف نكلمـه ؟] وقـال ابـن الأنبـاري[5] : [هذا كما يقال : كيف أعـظ مـن كـان لا يقبـل موعظـتي ؟. أي مـن يكـن لا يقبـل . والماضي بمعنى المستقبل في باب الجزاء.

قوله : ((أنطقه ا لله أولا بأنه عبد ا لله رداً لقول النصارى))[6] أي قـدم مـا هـو الأهم وأعنى بشأنه، وهو كتقدمة الإعجاز.

---

(١) يسوق في ب.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ الآية ٢٩ مريم.

(٣) أبو البقاء ١١٣/٢.

(٤) الزجاج ٣٢٨/٣.

(٥) ابن الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد أبو سعيد الأنباري النحوي، انظـر كتابـه البيـان في غريب إعراب القرآن. وهذا الكلام لا يوجد فيه في هذا المحمل . والذي قاله : كان فيها ثلاثة أوجـه : الأول : أن تكون بمعنى (حَدَثَ ووقَعَ) فيكون ﴿ صبيا ﴾ منصوباً على الحال من الضمير في ﴿كـان ﴾ . والثـاني : أن تكون بمعنى ﴿ صار) فيكون ﴿ صبيا ﴾ منصوبـا لأنـه خـبر (صـار) . والثـالث : أن تكـون ﴿ كـان ﴾ زائـدة، و﴿ صبيا ﴾ منصوب على الحال، والعامل فيها علـى هـذا الاسـتقرار. ولا يجـوز أن تكـون ﴿ كـان ﴾ هـا هنـا ناقصة ١٢٤/٢-١٢٥.

وابن الأنباري ولد سنة ٥١٣ ومات سنة ٥٧٧ ترجم له في بغية الوعاة ٣٠١ ومرآة الجنان ٣٦٨/٨.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿قال إني عبد ا لله آتاني الكتاب وجعلني نبياً ﴾ الآية ٣٠ مريم.

قوله : ((﴿ والكتاب ﴾ هو الإنجيل)) الراغب[1] : [كل موضع ذكر في وصف الكتاب آتينا فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه أوتوا، لأن أوتوا قد يقال : إذا أوتي من لم يكن منه قبول وآتيناهم، يقال : فيمن له قبول، والإيتاء الإعطاء، وخصّ دفع الصدقة في التنزيل بالإيتاء].

قوله : ((لا محالة)) الجوهري[2] : [لا محالة أي : لا بدّ، يقال : الموت آت لا محالة] المغرب[3] : [أصل التركيب دالّ على الزوال والنقل، ومنه التحويل، وهو نقل الشيء من محل إلى آخر] فعلى هذا معنى لا محالة : لا تحوّل عنه، كما أن معنى لا بدّ : لا فراق، والتبديد التفريق، والاسم في البابين مبنيّ، والخبر محذوف.

قوله : ((وقرئ : ﴿ وبَرّاً ﴾))[4] بكسر الباء[5] ، والبر بفتح الباء صفة مشبّهة، وبالكسر اسم. قال ابن جني[6] : [قرأها أبو نهيك[7] وأبو مجلز[8] ، وهو معطوف على موضع الجارّ والمجرور من قوله : ﴿ بالصلاة ﴾ كأنه قال : وألزمني بِرّاً بوالدتي، لأنه إذا أوصاه به فقد ألزمه إياه، وعليه بيت الكتاب [9] :

** فإن لم تجد من دون عدنان والدا ** ودون معدّ فَلْتزعك العواذل **

---

(1) الراغب ٩ مادة (أتى).

(2) الجوهري ١٦٨١/٤. مادة (حول).

(3) المغرب ٢٣٥/١ مادة (حول).

(4) تفسير قوله تعالى :﴿ وبرّا بوالديه ولم يكن جباراً شقياً ﴾ الآية ٣٢.

(5) وقرأ الحسن بكسر الباء في ﴿ بَرّاً ﴾ أي : ذا برّ، أو على المبالغة . الإتحاف ٢٩٨.

(6) ابن جني في المحتسب ٤٢/٢.

(7) أبو نهيك عِلْباء بن أحمر اليشكري البصري . انظرتهذيب التهذيب ٢٧٤/٧ قال ابن حجر : وهو أحد القراء له اختيار، ذكره الداني انتهى منه.

(8) أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسي البصري من التابعين . انظر البحر المحيط ٤٥٣/٤.

(9) الكتاب لسيبويه ٢٤/١ والبيت للبيد في ديوانه ٢٥٥.

عطف دون الثانية على موضع (من) وإن شئت حملته على حذف المضاف، أي : وجعلني ذا برٍ، وإن شئت جعلته إياه على المبالغة كقولها[1] :

** فإنما هي إدبار وإقبال **].

فعلى هذا هو معطوف على : ﴿ مباركا ﴾.

قوله : ((أو نصبه بفعل)) عطف على قوله : ((جعل ذاته برًّا)) يعني جعل ابن نهيك ﴿ براً ﴾ منصوبا بقوله : ﴿ جعلني ﴾ وعطفه على : ﴿ مباركاً ﴾ أو نصبه بفعل مضمر، كأنه قيل : وكلفني براً بوالدتي.

قوله : ((والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً باللعنة))[2] يؤذن أن التعريف السابق غير صحيح، قيل : لأن التعريف في العهد الخارجي إشارة إلى ذلك الشخص المعيّر المتوجه إلى يحي عليه السلام، ويستحيل أن يتوجه ذلك السلام بعينه إلى عيسى عليه السلام . وقلت : يحمل على التشبيه ليصحّ كقوله تعالى : ﴿ هذا الذي رزقنا ﴾[3] وليس ذات الحاضر عندهم في الجنّة هي ذات المرزوق في الدنيا، ومعناه هذا أمثل الذي رزقنا من قبل وشبهه . كأنه عليه السلام[4] سأل ربه أن يفعل به مثل ما فعل بيحيى عليه السلام من السّلامة في سائر أحواله، قاله الأزهري .

---

(١) يعني قول الخنساء . وصدر هذا البيت :

** ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت ** فإنما هي إدبار وإقبال **

والبيت من قصيدة ترثي بها الخنساء أخاها صخراً . انظر ديوانها ٤٨ . والكتاب لسيبويه ١٦٩/١ وخزانة الأدب ٢٠٧/١.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ والسلام عليّ ﴾ قال (ز) : قيل : أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله ... والمعنى : ذلك السلام الموجه إلى يحي في المواطن الثلاثة موّجه إلى ((والصحيح ... الخ))

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥.

(٤) قال صاحب الروض الريان شرف الدين : وقيل : إن هذا التعريف (في قوله : والسلام عليّ) تعريض بلعنة من اتهم مريم عليها السلام بالزنى، وتحقيقه أن اللام للاستغراق، فإذا قال : ﴿ والسلام عليّ ﴾ فكأنه قال : وكّل السلام عليّ وعلى أتباعي، فلم يبق للأعداء إلا اللعن . ونظيره قول موسى عليه السلام : ﴿ والسلام على من اتبع الهدى ﴾ طه الآية ٤٧ . لأن المقام مقام لجاج وعناد، فيليق به مثل هذا التعريض ٢٣٧/٢.

والسلام مصدر سلمت سلاماً وسلامة، وهو دعاء الإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه ويتخلّص من المكروه، كذا عن المبرد . وهذا معنى صحيح لو أريد به مجرد الدعاء، لكن المانع شيء آخر، وهو اقتضاء المقام التعريضي الجنس، لأن الكلام مع القوم ولم يجر بين عيسى وبين القوم حديث سلام ا لله على يحيى عليه السلام ليشير بذلك إليه، بل إن أمّه الصديقة لما أشارت إليه، وقالوا : ﴿ كيف نكلم من كان في المهد صبيا . قال إني عبد ا لله ... ﴾ إلى آخر الآيات، براءة لساحتها، وإظهارا لكرامتها، فافتتح بالتعريض، وهو قوله : ﴿ إني عبد ا لله ﴾ ردّا لقول النصارى، واختتم بمثله من التعريض، كأنه قال والسلام عليّ دائماً والعذاب على من كذّب وتولّى، ولذلك قال : وكان المقام مقام مناكرة وعناد، فهو مَئِنّةٌ لنحو هذا من التعريض.

قوله : ((فهو مَئِنّة)) النهاية[1] : [أي موضع تستعمل فيه أي : هي مَفْعلةٌ من معنى (إن) التي للتحقيق غير مشتقّة من لفظها، وإنما ضمّنت حروفها على أن معناها فيها] كالحَوْقَلة والحَيعَلة.

قوله : ((وعن ابن مسعود قال : الحق[2] ، وقال ا لله، ولهذا عقبه بقوله : ﴿ وقال ا لله ﴾.

قوله : ((كما سمى العشب بالسماء، قال [3] :

** إذا نزل السماء بأرض قوم ** يـمّمْناه وإن كانوا غضاباً **

قوله : ((والشحم بالندى))[4] قال ابن الأحمر [5] :

---

(١) النهاية ٤/٢٩٠ مادة (مأن).

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ الآية ٣٤ مريم. تفسير قوله : ﴿ قول الحق ﴾ قال (ز) : قرأ عاصم وابن عامر : ﴿ قولَ الحق ﴾ بالنصب ((وعن ابن مسعود...الخ))

(٣) قائله : معاوية بن مالك كما في اللسان ١٤/٣٩٩ مادة (سما).

(٤) قال (ز) : وإنما قيل لعيسى :﴿ كلمة الحق ﴾ وقول الحق، لأنه لم يولد إلا بكلمات ا لله، وهي قوله : ﴿ كن ﴾ من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب، كما سمي الغيث بالسماء ((والشحم بالندا))

(٥) ابن الأحمر عمرو بن أحمر العوهد بن تميم بن ربيعة، أدرك الإسلام فأسلم وغزا مغازي الروم، توفي على عهد عثمان بن عفان رضي ا لله عنه . معجم الشعراء للمرزباني ٢١٤ وطبقات الشعراء للجمحي ١٧٤ والبيت في لسان العرب ١٥/٣١٤ .

** كثور العداب الفرد يضربه الندى ** تعلّى الندى في متنه وتحدّرا **

العداب ما استرق من الرمل، والندى الأول المطر والثاني الشحم.

قوله : ((يتلاحون))[1] الجوهري[2] : [لاحيته ملاحاةً ولحاءً إذا نازعته وتلاحوا تنازعوا، وفي رواية يتلاحون من اللجاج].

قوله : ((كذّب النصارى وبكتهم))[3] اعلم أنه تعالى لمّا أشار بقوله : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم ﴾ إلى الموصوف السابق وجعله علما في العبودية بتلك الإشارة وأكدّ الكلام بقوله : ﴿ قول الحق ﴾ أي : ما ذكر من صفته قول الحق أو قولُ قول الحقّ ، وقلع الريبة من شتمها أتى بما يلقمهم الحجر وشفع النص الساطع بالبرهان القاطع، فقال : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه ﴾ ثم علّله بقوله : ﴿ إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ فالآيتان معترضتان بين كلامي المسيح عليه السلام ﴿ إني عبد الله ﴾ ﴿ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ تقريراً لمعنى العبودية، ينصر هذا النظم قول الواحدي[4] : من كَسَرَ ﴿ وإن الله ربي وربّكم ﴾ جعله عطفاً على قوله : ﴿ إني عبد الله ﴾ وما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال[5] : إن عيسى عليه السلام أقرّ بالعبودية على نفسه وبربوبية الله تعالى أول ما تكلم.

قوله : ((من إذا أراد شيئاً)) موصولة منصوبة بأن والجملة شرطية من قوله : إذا أراد مع جوابه، وهو : أو جده صلتها وكان منزّها خبر (إن).

---

(١) تفسير قوله تعالى :﴿ يمترون ﴾ قال (ز) : يشكون، أو يتمارون ((يتلاحون)).

(٢) الجوهري ٢٤٨١/٦ مادة (لحى).

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ قال (ز) : ((كذب النصارى وبكتهم)) بالدلالة على انتفاء الولد عنه.

(٤) الواحدي في كتابه الوسيط ١٨٤/٣.

(٥) انظر الألوسي ٩٢/١٦ قال القرطبي : ١٠٢/١١ عند قوله تعالى حاكياً عن عيسى عليه السلام : ﴿ قال إني عبد الله ﴾ فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته .

قوله : ((قرأ المدنيون[1] وأبوعمرو وقرأ ابن كثيرا أيضاً (بفتح أن).

قوله : ((كقوله : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾[2] قال المصنف : لأن المساجد لله اللام متعلقة بـ ﴿ لا تدعوا ﴾ أي : فلا تدعوا مع الله أحداً في المساجد لأنها لله تعالى، قال أبو البقاء[3] : [ولوحدانيته أطيعوه] فعلى هذا ما بعد فاء السببية يجوز أن يعمل فيما قبلها، بخلاف الجزائية.

قوله : ((والإستار))[4] في الصحاح[5] الأساس[6] : [الإستار بكسر الهمزة في العدد أربعة. قال جرير [7] :

** إن الفرزدق والبعيث وأمّه ** وأبو الفرزدق قُبِّحُ الإستار **]

وقال الكميت[8] :

** أبلغ يزيد وإسماعيل مألَكةً ** ومنذراً وأباه شرّ إستاره **

والمراد منه عاصم والأعمش وحمزة والكسائي . وقيل بدل الأعمش ابن عامر.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صرط مستقيم ﴾ الآية ٣٦ مريم . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ورويس بفتح الهمزة، ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن . والباقون بكسرها على الاستئناف . الإتحاف ٢٩٩.

(٢) سورة الجن الآية ١٨.

(٣) أبو البقاء ١١٤/٢.

(٤) قال (ز) كقوله : ﴿ وأن المساجد ﴾ ((والإستار)).

(٥) الجوهري في صحاحه ٦٧٧/٢ مادة (ستر).

(٦) الأساس ٢٨٥ مادة (ستر).

(٧) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفيّ بن بدر الكلبيّ اليربوعي من تميم أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره يناضل الشعراء، وكان هجاءا مراً، لم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، الأعلام ١١٩/٢ ووفيات الأعيان ١٠٢/١.

(٨) الكميت لعله الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي، أبو المستهل، شاعر الهاشميين من أهل الكوفة . انظر الأعلام ٢٣٣/٥ ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٤٨.

قوله : ((عن الحسن الذين تحزبوا على الأنبياء))[1] مؤذن بأن التعريف في الأحزاب للجنس، والمراد قوم معهودون لكمالهم في الاختلاف، وقريب منه قوله تعالى : ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل ﴾[2] وإنما كذّبوه وحده ولذلك جمع الأنبياء.

قوله : ((أي من شهودهم هول الحساب))[3] أو اسم مكان منه أي : من مكان الشهود أو زمانه، والمعنى من وقت الشهود . وإمّا بمعنى الشهادة فهو أيضاً إمّا مصدر والمعنى من شهادة ذلك اليوم، أو اسم مكان، أي : من مكان الشهادة أو زمان، والمعنى من وقت الشهادة.

قوله : ((وأن تشهد عليهم الملائكة)) عطف تفسيري على قوله : شهادة ذلك اليوم، يعني أسند الشهادة إلى اليوم على المجاز نحو : ﴿ يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾[4] والأصل تشهد عليهم الملائكة والأنبياء في ذلك اليوم.

قوله : ((لا يوصف الله بالتعجب))[5] يريد أن قوله : ﴿ اسمع بهم وأبصر ﴾ فعلا تعجب، والتعجب راجع إلى العباد لا إلى الله تعالى[6] ، لأن المعجب هو ما يخفى سببه، وهو على الله محال . قال المالكي : منع بعض النحويين تنازع فعلى تعجب، والصحيح عندي جوازه، لكن بشرط إعمال الثاني كقولك : ما أحسن وأعقل زيداً بنصب زيد بأعقل، لا بأحسن، لأنك لو نصبته به لفضلت ما لا يجوز فضله، ولا يمتنع على مذهب البصريين أن يقال : أحسن وأعقل بزيد ثم حذف الباء لدلالة الثانية عليها، ثم اتصل الضمير واستتر، كما استتر في الثاني من قوله تعالى : ﴿ اسمع وأبصر ﴾

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴾ قال (ز) في تفسير ﴿ الأحزاب ﴾ : : ((وعن الحسن ... الخ)).

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٧.

(٣) تفسير : ﴿ من مشهد يوم عظيم ﴾.

(٤) سورة المزمل الآية ١٧.

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴾.

(٦) والمعنى أن الكفار يوم القيامة يسمعون ويبصرون الحقائق التي أخبرتهم بها الرسل سمعاً وإبصاراً عجيبين، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة السجدة الآية ١٢ : ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً... الآية ﴾.

فإن الثاني يستدل به على الأول إلا أن الاستدلال بالأول على الثاني أكثر من العكس.

قوله : ((وقيل معناه : التهديد بما سيسمعون)) عطف على قوله : ((وإنما المراد)) وعلى الأول المراد التعجب، وهو راجع إلى العباد لقوله : ((جدير لأن يتعجب منهما)) ومتعلق الاستماع والإبصار منسيّ ليشمل كلّ ما يصحّ أن يسمع وأن يبصر، فهو كقول الشاعر [1] :

** شجو حُسّادِه وغيظ عداه ** أن يَرَى مُبصِر ويسمع داعي **

فقطع الفعل عن متعلقه الخاص ليصير مطلقاً، ثم كنى به عن ذلك المتعلق بقرينة مقام التهديد . وعلى الثاني : هو كناية عن مجرد التهديد والمتعلق المنويّ هو ما يسوءهم ويصدع قلوبهم.

قوله : ((حين يذبح الكبش))[2] روينا عن البخاري[3] ومسلم والترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد : يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون، فيقول : هل تعرفون هذا . فيقولون : نعم . هذا الموت، وكلهم قد رأوه ، فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت . ثم قرأ : ﴿ وأنذرهم ... الآية ﴾ .

---

(1) الشاعر : هو البحتري أبو عبادة الوليد بن عبيد . انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١٩٦.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون] . قال (ز) في قوله تعلى : ﴿ قضي الأمر ﴾ : فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار. حين يذبح.... إلخ.

(3) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٢٨/٨ كتاب التفسير، باب ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ رقم ٤٧٣٠. ومسلم ٢١٨٨/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون برقم ٢٨٤٩ . والترمذي ٢٩٥/٥ كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة مريم برقم ٣١٥٦ . والنسائي في التفسير ٣٠/٢ قوله : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾.

قوله : ((أي وأنذرهم على هذه الحال)) هذا التفسير غير ملائم لقولـه تعـالى : ﴿ إنما أنت منذر من يخشاها ﴾[1] والوجه أن يتعلق بقولـه : ﴿ في ضـلال مبـين ﴾ لأن قوله : ﴿ وهم لا يؤمنون ﴾ نفي الإيمان منهـم علـى سـبيل الـدوام مـع الاسـتمرار في الأزمنة الماضية والآتية على التأكيد والمبالغة .

قوله : ((وأنه يُفني أجسادهم)) أي : يحتمـل ﴿ إنـا نحـن نـرث الأرض ﴾ وأن يراد به الوراثـة الخاصـة، وأن يـراد العامـة، فـالتعريف في الأرض علـى الأول للعهـد، ولذلك قال : تخرب ديارهم . وعلى الثاني للجنس، وهو المراد بقوله : ويفنى الأرض ويذهب بها . والثاني هو الراجح لوجهين . أحدهما : أن الكـلام مـن قولـه : ﴿ مـن مشهد يوم عظيم ﴾ في شأن القيامة . وثانيهما : أن فيه معنـى ﴿ لمـن الملـك اليـوم لله الواحد القهار ﴾[2] .

قوله : ((وكثرة ما صدق به))[3] الراغب[4] : [الصديق من كثر الصدق منه . وقيل : بل من لم يكذب قط . وقيل : بل من لا يتـأتى منـه الكـذب لتعـوده الصـدق. وقيل : من صدق بقولـه واعتقـاده وحقّـق صدقـه بفعلـه . قـال تعـالى : ﴿ واذكـر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾ وقـال تعـالى : ﴿ أولئـك مـع الذيـن أنعـم ا لله عليهم من النبين والصديقين ﴾[5] والصديقون هم قوم دون الأنبيـاء في الفضيلـة على ما بينت في الذريعة[6] .

---

(١) سورة النازعات الآية ٤٥.

(٢) سورة غافر الآية ١٦.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾ الآية ٤١ مريـم. قـال (ز) في تفسير : ﴿ صديقا ﴾ : المراد فرط صدقه ((وكثرة ما صدّق به)) من غيوب ا لله.

(٤) الراغب ٢٧٧ مادة (صدق).

(٥) سورة النساء الآية ٦٩.

(٦) الذريعة في أحكام الشريعة للراغب الأصبهاني . انظر المقدمة المفردات للراغب وفي الروض الريـان ٢٣٧/١ قال : رتبة النبي مقدّمة على رتبة الصديق، فما له قدم ؟. الجواب :النبي يكون صديقاً أولا ثـم تنتهـي منزلته إلى النبوة، فهي مقدَّمة على رتبة النبوة في الزمان، لأن كل نبي صدّيق، وليس كل صديق نبيا.

قوله : ((أو كان بليغاً في الصدق)) الظاهر أنه عطف على قوله : والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به، ويجوز أن يحمل على المبالغة، يدلّ عليه قوله في فاتحة البقرة: ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾[1] قرئ يكذبون، من كذبه الذي هو نقيض صدقه، ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب. ثم قال : أو بمعنى الكثرة، ولما عدّ أهلها أشياء في مثال الكثرة من قوله : ((غيوب الله وآياته وكتبه ورسله)) أراد أن يرجح بعضاً منها على بعض بمقتضى المقام . وقال : كأن الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل، واستدل عليه بانضمام : ﴿ صديقاً ﴾ مع ﴿ نبياً ﴾ ليوافق قوله : ﴿ بل جاء بالحق وصدّق المرسلين ﴾[2] فقولهم : ﴿ بل جاء بالحق ﴾ إشارة إلى كونه نبياً، وقوله : ﴿ وصدق المرسلين ﴾ إشارة إلى كونه صدّيقاً، أما قوله : أي كان مصدقاً لجميع الأنبياء وكتبهم، وكان نبيّا، فهو معنى مقاربة الوصفين، أعني صديقاً ونبياً، وقوله : ((لأن ملاك أمر النبوّة الصدق)) ومصدّق الله مع خبره معطوف على الجملة التي قبله، واقتران مع النبي على الوجه الأول للتكميل، وعلى الثاني للتتميم.

قوله : ((وهذه الجملة وقعت اعتراضاً بين المبدل منه وبدله)) قال صاحب الفرائد : [كون الجملة اعتراضاً بين البدل والمبدل منه بدون الواو بعيد عن الطبع وعن الاستعمال والذي ذكر في النظر ليس يستعمل، وهو مع ذلك بالواو، ويمكن أن يقال : إنه كان صدّيقاً في مقام التعليل، كأنه قال : واذكره لقومك، لأنه كان صديقاً نبياً. ثم ابتدأ وقال : ﴿إذ قال ﴾ أي : اذكر لهم ما قال لأبيه، كأنه بيان لبعض ما يكون به صديقاً نبياً . والعامل في : إذ ﴿ اذكر ﴾ والوقت في هذا قائم مقام المفعول به]. قلت : أما قوله : كون الجملة اعتراضاً بدون الواو بعيد، فكلام من لم يحقق معنى الاعتراض، وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة لا محلّ لها من الإعراب، ومرجعه إلى التأكيد، وهو يأتي تارة بالواو كقوله [3] :

** إن الثمانين وبلّغتهـــا ** قد أحوجت سمعي إلى ترجمان **

---

(1) سورة البقرة الآية ١٠

(2) سورة الصافات الآية ٣٧.

(3) البيت للأعشى في ديوانه ١٥.

وأخرى بلا واو نحو قوله تعالى : ﴿ ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون ﴾[1] ومن القبيلين قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم ﴾[2] هذا إذا كان : ﴿ إذ قال ﴾ بدلاً من ﴿ إبراهيم ﴾ وإذا تعلق بكان أو بـ ﴿ صديقاً ﴾ كان تعليلاً .

قوله : ((وإلا فا لله هو ذاكره ومورده في تنزيله)) إشارة إلى أن أصل الكلام : إنا قد أوردنا في التنزيل قصة إبراهيم، وذكرناها فيه فاتلُها أنت على الناس وبلّغها إياهم كقوله : ﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم ﴾[3] ولما كان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم خليفة ا لله في أرضه والناطق عنه بأوامره ونواهيه مع عباده، جعله ذاكراً ومورداً في القرآن قصص الأنبياء عليهم السلام.

قوله : ((وقل : ﴿ يا أبتا ﴾ لكون الألف بدلاً من الياء))[4] يريد : ي أبتي، غير جائز لاجتماع العوض والمعوض فيه صريحاً، وهما الياء والتاء، بخلاف : يا أبتا، لأن الألف بدل من الياء، كما أن التاء بدل منها، فلا يكون في الصراحة مثل الياء، ولكن قل استعماله للعود إليه، ولا يبعد اجتماع عوضين عن معوض واحد، فإن صاحب الجَبيرةِ يجب عليه التيمم والمسح، وهما عوضان عن الغسل.

قوله : ((بأينق))[5] قد جمعت الناقة في القلة على أنوق، ثم استثقلوا الضمة على الواو وقدموها، وقالوا : (أونق)، ثم عوضوا من الواو ياء، فقالوا أينق، ثم جموعها على أيانِقَ.

قوله : ((إن ينصح أباه ويعظه)) فيما كان تنازع ينصح ويعظه في الظرف، ومن الخطأ بيان (ما) ويجب أن يقدّر في (وانْسلخ) من قضية التمييز فيه، لأن الجلمة معطوفة على صلة الموصول ولا بدّ من الراجع.

---

(١) سورة النمل الآية ٦٢.

(٢) سورة الواقعة الآية ٧٥-٧٦.

(٣) سورة الشعراء الآية ٦٩.

(٤) تفسير : ﴿ يا أبت ﴾.

(٥) قال (ز) : وشبّه ذلك سيبويه ((بأينق)).

قولـه : ((متورطـاً فيـه)) الجوهـري[1] : [أورطـه وورّطـه توريطـاً إذا أوقعـه في الورطة، وهي الهلاك فتورّط هو فيها].

قوله : ((أمر العقل)) معناه العقـل الأمـر والفكـر الصـائبُ، وقولـه : ((ومـن الغباوة)) عطف على قوله : ((مع استعمال المجاملة واللطف)) هذا الأسلوب يسمى بالإستدارج[2] والكلام المصنَّف.

قوله : ((أرشق مساق))[3] الأساس[4] : [غلام رشيق إذا كان في اعتدال ودقّة، ومن المجاز رجل رشيق ظريف وخطّ رشيق].

قوله : ((منتصحاً في ذلك)) إشارة إلى قوله : [((رتب الكلام معه في أحسـن اتّساق)) اعلم أن (حين) في قوله : ((انظر حين أراد أن ينصح)) لا يجـوز أن يكـون ظرفاً لقوله : ((انظر)) إذ ليس المـراد الأمـر بـالنظر فـي ذلـك الزمـان، ولا يجوز أن يكون ظرفاً لقوله : (رتب)) إذ لا يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله، بل هـو مفعـول به لقوله : ((انظر)) أي : انظر إلى زمان إرادته نصيحة أبيه، والمقصود مـن النظـر في ذلك الزمان النظر إلى ما هو فيه، لكن ذكر الزمان للإشعار بأن ذلك الزمان لغرابة مـا وقع فيه، جدير بأن ينظر فيه، وهذا المعنى مأخوذ من كـلام المصنّـف في قولـه : ﴿ إذ قلنا يا آدم ﴾ ﴿ وإذ قال إبراهيم ﴾ وفي الكلام حذف، وهـو فعـل العلـم المعلـق عـن العمل، أي : انظر لتعلم كيف رتّب .

---

(١) الجوهري ١١٦٦/٣ مادة (ورط).

(٢) الاستدراج : هو الإنتقال من الأدنى إلى الأعلى في الأسلوب الكلامي وغيره .

قال القرطبي ٢٥٢/١٨ : والإستدراج : ترك المعاجلة، وأصله النقل من حال إلى حال كالتدرج، ومنـه قيل : درجة، وهي منزلة بعد منزلة، واستدرج فلان فلاناً استخرج ما عنده قليلاً قليلاً.

(٣) قال (ز) : كيف رتّب الكلام معه في أحسن اتّساق وساقه ((أرشق مساق)).

(٤) الأساس ٢٣٣ مادة (رشق).

قوله : ((كفراً وجحوداً)) الراغب[1] : [الجحود : نفي ما في القلب ثباته وإثبات ما في القلب نفيه . قال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[2]].

قوله : ((فلا يسمع (يا) عابده ذكرك له)) هذا الاعتراض فيه التنبيه على غباوة السامع والتمادي في الغفلة والانغماس في ورطة الجهل، قال الفرزدق :

** فانعق نصابك يا جرير فإنما ** مَنَّتْكَ نفسك في الخلاء ضلالا **

قوله : ((استعصى على ربك)) أبلغ من عصى، لمعنى الطلب فيه.

قوله : ((لم يذكر من جنايتي الشيطان إلا التي تختصّ منها برب العزة من عصيانه)) لعله يريد أن قوله : ﴿ إنه كان للرحمن عصيا ﴾ من باب التلميح[3] ، وهو أن يشار في الكلام إلى نحو قصّه، وهي ما ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ﴾ استعصاء اللعين على الله، وأنه عدوّ لبني آدم، فآثر خليل الله ما هو مختصّ بالله على ما يختص بالغير، لأنه أهم شيء عنده، ومنه قوله تعالى : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾[4] قال المصنف : [إن تكذيبك أمر راجع إلى الله فانْه عن حزنك لنفسك، وإنهم كذّبوك وأنت صادق، وليشغلك عن ذلك ما هو أهم، وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه.

قوله : ((كأن النظرفي عِظم ما ارتكب غَمَرَ فِكْره)) أي : لم يلتفت إلى ما هو في غير ما هو في جنب الله، وهو عداوته لآدم، وقد يعرض للمتكلم وهو في أثناء كلامه ما يذهله عن بعض ما هو فيه، فيأخذ في الأهم.

---

(١) الراغب ٨٨ مادة (جحد).

(٢) سورة النمل الآية ١٤.

(٣) التلميح : هو الإشرة إلى قصّة معلومة، أو شعر مشـهور، أو مثل سائر من غير ذكره . جواهر البلاغة ٤١٨، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان للمؤلف العلامة الطيبي ٤٣٢.

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٢.

قوله : ((ثم ربّع بتخويفه سوء العاقبة)) فإن قلت : قال : رتّب الكلام معه أحسن اتّساق، وساقه أرْشَقَ مَساقٍ، ثم أتى بكلمة الترتب، وعدّ أربعة أنواع من النصيحة وما بين وجه الاتساق . قلت : وفي كلامه إشعار وتلويح[1] إليه وبيان ذلك أن الواجب على الداعي الناصح والطبيب الحاذق بيان الضلال، وتشخيص الداء العضال، ثم الشروع في الدواء بإزالة المرض وردّ الصحة، فبين عليه السلام أولاً خطأه في ارتكاب الشنيع من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنه شيئاً. وإليه الإشارة بقوله : طلب أولاً العلة في خطابه،طلب مُنَبِّهٍ على تماديه إلى آخره، فإذا تنبَّه المنصوح والمريض على الضلال والمرض لا بدّ أن يطلب من المنبِّه طريق الإزالة، فعليه[2] أن يوقفه على المرشد الطبيب، وإليه الإشارة بقوله : ((وعندي معرفة بالهداية فاتّبعني أنجك من أن تضل)) وبيّنه فإذا أذن له، عند ذلك يشرع في إزالة ما ينبغي إزالته فيبتدئ بالأهم والأولى. ولا ارتياب في أن الشيطان هو الذي باض الضلال في بني آدم وفرّخ فيه من أول الزمان، وأوقعه في ورطة الهالك، وإليه الإشارة بقوله : ((وهو عدوّك وعدوّ أبيك وأبناء جنسك وهو الذي والرّطك في هذه الضلالة)) وإن الشيطان هو الذي انتصب لاستجرارهم إلى الوبال وعذاب النار في آخر الأمر، وإليه الإشارة بقوله : ((ثمّ ربّعَ بتخويفه سوء العاقبة)) فلما لم ينجع في أبيه هذا الوعظ حيث أجاب جواب الأحمق بقوله : ﴿ أراغب أنت عن آلهتي ﴾ لا جرم أنه عليه السام لما لم يتمكن من التخلية بإزالة الشرك الذي هو المرض، فأسرع في التخلية من الأمر بالتوحيد الذي هو ردّ الصحة التي هي فطرة ا لله التي فطر الناس عليها، وبمكارم الأخلاق، فطلب الاعتزال بقوله : ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون ا لله وأدعوا ربي ﴾ ﴿ وا لله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾[3] .

---

(1) التلويح : هو ما يشار به إلى المطلوب من بُعدٍ مع خفاء، وسمي تلويحاً لبعد المطلوب . التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبى ٢٦٤.

(2) في م (طريق الإزالة لعلته).

(3) سورة الأحزاب الآية ٤.

قوله : ((فذكر الخوف والمسّ ونكّر العذاب))[1] ثم أسنده إلى الرحمن للإيـذان بأن العذاب من الموصوف بالرحمة أشدّ، وإليه لوّح المتنبي قوله[2] :

** فما يوجع الحرمان من كف حارم ** كما يوجع الحرمان من كفّ رازق **

قوله : ((وجعـل ولايـة الشـيطان ودخوله في جملـة أشـياعه وأوليائـه أكـبر مـن العذاب)) وجعل مسيس العذاب سبباً لكون الشيطان وليّـه ووسـيلة إلى الدخـول في زمرة أشياعه.

قوله : ((﴿ وشيئاً ﴾ يحتمل وجهين)) أي : في قوله : ﴿ ولا يغـني عنـك شـيئاً ﴾ ولعل إيقاعه قوله : ((ويجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين)) يعني لا يسـمع ولا يبصر اعتراضاً، بين الوجهـين للإشـعار باختصـاص النصـب علـى المصـدر فيهمـا دون المفعول به، كما في الوجه الثاني لئلا تفوت إرادة الإطلاق منهمـا علـى مـا سـبق لـه . واعلم أن ﴿ شيئاً ﴾ جيء به مراعاة لفواصل السورة ظاهراً، وكان من حقه أن يعلّـق بالأفعال الثلاثة، فترك تعلقه بالفعلين السابقين لذلك الغرض، فوجب تعلقـه بالأخـير . ثم من الوجهين الأول أولى لأنه أقرب إلى إرادة المبالغة.

قوله : ((أغن عني وجهك)) أي : بعّد وجهـك عـني، لأن الشـيء إذا اسْتُغنِي عنـه فقـد تُـرك وبُعّـد . قـال في المغـرب[3]: [أغْـنِ عنّـي كـذا أي : نحّـه عنّـي وبعِّـده. قال[4] :

** لتغني عني ذا إنائك أجمعا **

---

(١) تفسير قوله : ﴿ إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن ﴾ الآية

(٢) المتنبي أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسـن بـن عبـد الصمـد الجعفـي الكـوفي الكنـدي، الشـاعر الحكيم، أحد مفاخر الأدب العربي . وادّعى النبوة، وسجن حتى تاب . انظر **الأعـلام ١/١١٥** وابـن خلكـان ٣٦/١.

(٣) المغرب ١١٦/٢ مادة (غنى).

(٤) قائل البيت حريث بن عتّاب الطائي . وأوله :

** إذا قلت : قَدني قال بالله حلفة ** لَتُغنى عنّي ذا إنائك أجمعا **

وعليه حديث عثمان رضي ا لله عنه في صحيفة الصدقة[1] التي بعثها عليّ رضي ا لله عنه على يد محمد بن الحنفية : اغنها عنا، وهو في الحقيبة من باب القلب، كقولهم : عرض الدابة على الماء.

قوله : ((﴿ قد جاءني ﴾ فيه تجدّد العلم عنده))[2] بيان لاتصال قوله : ﴿ يا أبت إني قد جاءني من العلم ﴾ بقوله : ﴿ ولا يغني عنك شيئاً ﴾ أى : لم تعبد الجماد وما لا يدفع عنك الأذى ؟. وما أقول ذلك من تلقاء نفسي، ولا كنتُ عالماً به قبل هذا، بل قد جاءني فيه تجدّد العلم عند إمحاض نصحي هذا، فالضمير في (فيه) يعود إلى المذكور محض النصح، كأن الضمير في عنده راجعاً إليه.

قوله : ((أقبل عليه الشيخ))[3] وفي تخصيصه تنبيهٌ على جسارة قلبه وشدّة شكيمته، يعني كان من حقّه وكونه رجلاً شيخاً أن يأتي باللطف والمجاملة، لكن عكس.

قوله : ((وقدّم الخبر على المبتدأ)) قال أبو البقاء [4] : [﴿ أراغب ﴾ مبتدأ و ﴿ أنت ﴾ فاعله أغنى عن الخبر، وجاز الابتداء بالنكرة لاعتمادها على الهمزة] وقال المالكي وغيره : ﴿ إن أنت ﴾ مرفوع بـ ﴿ راغب ﴾ وإلا يلزم الفصل بين ﴿ راغب ﴾ ومعموله وهو ﴿ عن آلهتي ﴾ بأجْنبي وهو ﴿ أنت ﴾، وأجيب أن ﴿ عن ﴾ متعلق بمقدّر بعد ﴿ أنت ﴾ دلّ عليه ﴿ أراغب ﴾، قال ابن الحاجب فى الأمالى : لا يتوهم أحد أن ﴿ أقائم هو ﴾ من قبيل (أقائم زيد) بل قائم خبر لهو مقدم عليه، ولذا يقال في التثنية والجمع : أقائمان هما، وأقائمون هم، وعورض بنحو أراغب أنتما وأراغب أنتم ؟. لأنه متعيّن أن يكون أراغب مبتدأ قوله : ((وهو عنده

---

(١) لم أقف عليها.

(٢) تفسير قوله : ﴿ قد جاءني من العلم ... ﴾

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً ﴾ قال (ز) : ومع تلك الملاطفات ((أقبل عليه الشيخ)) بفظاظة الكفر ... الخ.

(٤) أبو البقاء ١١٤/٢.

أغني)) أي : تقديم الخبر عند أبي إبراهيم[1] أهم، الأساس [2] : [عُنِيَ بكذا واعْتنى به وهو مُعنيّ به، ومنه قول سيبويه : وهمّ ببيانه أعنى].

قوله : ((سلوان))[3] الجوهري [4] : [السُّلوانة، بالضم خَرَزَةٌ كانوا يقولون إذا صُبَّ عليها الماء من المطر فيشربه العاشق سلا، واسم ذلك الماء السلوان].

قوله : ((وثلج الصدر)) الأساس[5]: [ومن المجاز ثُلِجَ فؤاده، وهو مثلوج الفؤاد، وثَلِجَتْ نفسه بكذا بردت وسرَّتْ].

قوله : ((الرمي بالرجام))[6] الجوهري[7] : [الرجم القتل، وأصله الرجم بالحجارة، والرجام حجارة ضخام].

قوله : ((من الملاوة))[8] الجوهر [9] : [أقمت عنده ملاوة من الدهر، أي : حيناً وبرهة] وعلى هذا ﴿ مليا ﴾ ظرف، وعلى الوجه الثاني حال من الفاعل.

قوله : ((أثْخِنَكَ بالضرب))[10] الأساس [11] : [أثخن في الأمر بالغ فيه].

قوله : ((لأن ﴿ لأرجمنك ﴾ تهديد وتقريع)) تعليل لدلالة ﴿ لأرجمنك ﴾ على فاحذرني، ولا يصلح المذكور أن يكون معطوفاً عليه، لأنه جواب القسم، ولا يصلح

---

(1) أبو إبراهيم لم أقف على ترجمته.

(2) الأساس ٤٣٨ مادة (عنى).

(3) قال (ز) : وفي هذا ((سلوان)) وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(4) الجوهري ٢٣٨١/٦ مادة (سلا).

(5) االأساس ٧٥ مادة (ثلج).

(6) تفسير قوله : ﴿ لأرجمنك ﴾ قال (ز) : أصل الرجم ((الرمي بالرجام)).

(7) الجوهري ١٩٢٨/٥ مادة (رجم).

(8) تفسير قوله : ﴿ مليا ﴾.

(9) الجوهري ٢٤٩٦/٦ مادة (ملا).

(10) قال (ز) : ﴿ واهجرني مليا ﴾ بالذهاب عني والهجران قبل أن ((أثخنك بالضرب)).

(11) الأساس ٧٠ مادة (ثخن).

هذا أن يكون جواباً له، فيقدر ما يكون مسبّباً عما تقـدّم، فيعطـف عليـه علـى منـوال قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله ﴾[1] .

قوله : ((كما ترد الأوامر والنواهي))[2] قيل : النواهي مجمع عليهـا في كونهـم مخاطبين بها[3] ، وأما الأوامر فعند الشافعي رضي ا لله عنـه أنهـم مخـاطبون بهـا بشـرط الإيمان، وعند أبي حنيفة رضي ا لله عنـه أنهـم مخـاطبون مطلقـاً، قيـل : فيـه نظـر، لأن التوحيد أصل، فلا يجوز أن ينقلـب شـرطاً، لأن الشـرط تبـع للمشـروط، وأجيـب أن كونه شرطاً بسبب اقتضاء صحّة هذا المأمور به، لا أنه شرط في نفس الأمر.

قوله : ((والذي يدلّ على صحته)) أن صحة القول بجواز االإستغفار على قضية العقل، وبطلان القول باشتراط التوبة عن الكفر هذه الآية، وبيانه أنه لو كان إبراهيـم عليه السلام شارطاً للإيمان لم يكن استغفاره مستنكراً ومسـتثنىً في قولـه : ﴿ إلا قـول إبراهيـم لأبيـه لأسـتغفرن لـك ﴾ فلمـا اسـتثنى دل علـى أنـه مـا شــرط التوبـة، لأن الاستغفار على شريطة التوبة مستحسن من كل أحد فلا يكون منكـراً، قـال صـاحب

---

(1) سورة النمل الآية ١٥.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً ﴾ قال (ز) : فإن قلـت : كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك ؟. قلت : قالوا : أراد اشتراط التوبة عن الكفر ((كمـا تـرد الأوامر والنواهي)) الشرْعية على الكفار.

(3) الصحيح أنهم مخاطبون بالأوامر والنواهي من فروع الشـريعة، ومخـاطبون بمـا لا تصـح إلا بـه وهـو الإسلام، كالمحدث يخاطب بالصلاة وبما لا تصح الصـلاة إلا بـه كالطهـارة، لأنمـا لا يتـم الواجـب إلا بـه فهـو واجب، والدليل على هذا قوله تعالى في سورة المدثر الآية ٤٢-٤٤ : ﴿ ما سلككم في سقر . قالوا لم نك مـن المصلين . ولم نك نطعم المسكين ... الآيات ﴾ ففي الآيات التصريح بأن مـن الأسـباب الـتي سـلكتهم في سـقر عدم إطعام المسكين وهو فرع من الفروع . وقوله تعالى فى سورة الحاقة الآية ٣٠ ـ ٣١ ﴿ خذوه فغلـوه . ثـم الجحيم صلّوه ﴾ إلى أن قال : ﴿ إنه كان لا يؤمـن بـا لله العظيـم . ولا يحض على طعـام المسكين ﴾ فقولـه : ﴿ ولا يحض على طعام المكسين ﴾ فرع من فروع الشرع . وا لله أعلم.

فالمسألة فيها ثلاثة مذاهب . الأول : أنهم مخاطبون بها مطلقـاً، وهـو الحق للأدلـة السـابقة . والثـاني : أنهم غير مخاطبين بها مطلقا . وحجتهم أنهم لو فعلوها في حال كفرهم لم تقبل منهـم ولا يجـب قضاؤهـا عليهـم بعد الإسلام . وما لم يقبل منهم فلا يخاطبون به، ولأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة . الثالث : أنهم مخـاطبون بالنواهي لصحة الكفّ عن الذنب منهم دون الأوامر . انظر مذكرة أصول الفقة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه ا لله ٣٣ وتخريج الفروع على الأصول للزنجاني ٩٩.

الإنتصاف(١) : [الحق أن التحسين والتقبيح باطلان، فلا حاجة إلى هذا التعليل] وقال صاحب الفرائد : [لو كان الوعد والوفاء على قضية العقل لقيل : ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا جرياً على قضية العقل، فلمّا ورد السمع بان الاستغفار لا يجوز للكافر، تَرَكَ الاستغفار وتبرأ منه، ويمكن أن يقال : وعده الاستغفار بشرط التوبة، ولم يعلم بأنه ممن لا يؤمن البتّة، فوفى بالوعد وقال : ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾(٢) كأنه قال : أخرجه من الضلال واغفر له ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله ﴾ أي ممن لا يؤمن ترك الدعاء وتبرّأ منه، قال الإمام(٣) : [الآية تدلّ على أنه لا يجوز لنا التأسي به في ذلك، والمنع من التأسي به في ذلك لا يدلّ على أن ذلك كان معصية، فإن كثيراً من خواص النبي صلى ا لله عليه وسلم لا يجوز لنا التأسي بها مع أنها كانت مباحة له] وزاد صاحب التقريب على هذا بأن قال : نفي اللازم ممنوع أيضاً فإن استثناءه عما وجبت فيه الأسوة، إنما يدلّ على أنه غير واجب، لا على أنه غير جائز ومنكر، وكان ينبغي له أن يقول بدل قوله : ومستثنى عما وجبت فيه الأسوة مستثنى عما جازت فيه الأسوة لقوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم ... الآية ﴾(٤) ، ولا دلالة فيه على الوجوب . وقلت والعلم عند ا لله : كلام صاحب الفرائد وعدة الاستغفار بشرط التوبة، ولم يعلم بأنه ممن لا يؤمن إلى آخره، حسن لكن مع زيادة يسيرة، والنظم يساعد عليه . وبيانه أنه عليه السلام لما أجاب عن قول أبيه : ﴿ لأرجمنك واهجرني مليا ﴾ بقوله ﴿ سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً ﴾ جوابه الحكيم إظهارا للتعطف والرأفة وإبداء للرأفة والرحمة، كأنه عليه السلام ما التفت إلى جفائة وغلظته، بناء على ما وصفه ا لله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾(٥) ولما لم يكن عارفاً بما يؤل إليه حال أبيه من الإصرار على الكفر، وأنه ممن لا يؤمن البتة، وفى

---

(١) مع الكشاف ٢١/٣ وقال أيضاً : والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم بحكم ا لله تعالى قبل ورود الشرع به.

(٢) سورة الشعراء الآية ٨٦

(٣) الإمام الفخر الرازي ٢٢٩/٢١.

(٤) سورة الممتحنة الآية ٤ .

(٥) سورة التوبة الآية ١١٤.

بالوعد وقال : ﴿ واغفر لأبي إنه كان من الضالين ﴾ كأنه قال أخرجه من الضلال واغفر له ﴿ فلما تبين له أنه عدوا لله ﴾ أي : مصرّ على الضلالة والكفر، ترك الدعاء ﴿ وتبرأ منه ﴾ فظهر من هذا أن استغفاره إنما لم يكن مستنكراً، لأنه عليه السلام لم يكن عالماً بإصراره على الكفر لقوله تعالى : ﴿ فلما تبين له أنه عدوّ لله تبرأ منه ﴾ بخلافه في تلك الصورة، فإنه تبين للمؤمنين أنهم أعداء ا لله بقوله : ﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾[1] وأن لا مجال لإظهار المودّة بوجه ما . ثم بالغ في تفصيل عداوتهم بقوله تعالى : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيدهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون ﴾[2] ثم حرّضهم على قطيعة الأرحام بقوله : ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة ﴾[3] ثم سلاّهم بالتأسي في القطيعة بإبراهيم عليه السلام وقومه بقوله : ﴿ قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون ا لله كفرنا بكم ... إلى قوله : إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾[4] فاستثنى من المذكور ما لم يحتمله هذا المقام، كما احتمله ذلك المقام للنصّ القاطع، يعني لكم التأسي بإبراهيم مع هؤلاء الكفار في القطيعة والهجران لا غير، فلا تجاملوهم ولا تبدوا لهم بالرأفة والرحمة كما أبدى إبراهيم لأبيه في قوله : ﴿ سأستغفر لك ﴾ لأنه لم يتبين له حينئذ أنه لا يؤمن كما بدا لكم كفر هؤلاء وعداوتهم لكم. فظهر من هذا البيان أن لا بد للمفسر من تعيين المقام والنظر إلى ترتيب النظام، لئلا يدحض في مزالّ الأقدام، والحمد لله الذي هدانا لهذا.

قوله : ((وأما ﴿ عن موعدة وعدها إياه ﴾ والواعد إبراهيم لا آزر)) إبطال لاستشهادالخصوم. وقولهم : إنما استغفر له، لأنه وعده أن يؤمن بدليل قوله : ﴿ وما

---

(1) سورة الممتحنة الآية ١.

(2) سورة الممتحنة الآية ٢.

(3) سورة الممتحنة الآية ٣.

(4) سورة الممتحنة الآية ٤.

كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾[1] بأن الواعد هو إبراهيم لا آزر، بدليل قراءة حماد[2] . وقلت : أظهر منه سياق الآيات، لأن قوله عليه السلام : ﴿ سلام عليك سأستغفر لك ربي ﴾ إنما صدر منه بعد فظاظة أبيه في الرد وغلظته في قوله : ﴿ لأرجمنك واهجرني مليا ﴾ فيكون هذا هو الوعد، فالواعد في قوله : ﴿ وعدها إياه ﴾ هو إبراهيم عليه السلام، فيعلم منه ضعف قول صاحب التيسير : الإستثناء في قوله : ﴿ إلا قول إبراهيم لأستغفرن لك ﴾ منقطع تقديره : لكن ﴿ قول إبراهيم لأستغفرن لك ﴾، لأنه كان لموعدة وعدها أبوه، فظن أنه قد انجزها، فلما تبين إصراره تبرأ منه، ولا يحل لكم ذلك مع علمكم.

قوله : ((ما قال : ﴿ واغفر لأبي ﴾ إلا عن قوله)) أي ما صدر قوله إلا عن قوله : ﴿ لأستغفرن لك ﴾ وبسببه، كقوله : ينهون عن أكل وعن شرب.

قوله : ((قراءة حماد الراوية قيل : حمادان، الرواية الكوفي والرواية البصري[3] ، وهو المراد ههنا، وتصحيفاته مشهورة من ذلك في قوله:﴿ عذابي أصيب به من أشاء﴾[4] أنه قرأ : أساء، وفي قوله : ﴿ له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ﴾[5] قرأ : إيتنا.

قوله : ((الدعاء هو العبادة)) الحديث أخرجه أبو داود والترمذي[6] عن النعمان بن بشير . ومعنى الحصر : أن المقصود من العبادة إنشاء غاية الخضوع والتذلل والدعاء ليس إلا إظهار الافتقار وإبداء التذلل لله تعالى.

---

(1) سورة التوبة الآية ١١٤.

(2) قراءة حماد الرواية ﴿ إلا عن موعدة وعدها أباه ﴾ بدل ﴿ إياه ﴾.شواذ القرآن سورة التوبة الآية ١١٤.

(3) حماد الرواية البصري أبو القاسم، أول من لقب بالرواية من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارهم، قربه أمراء بنو أمية وأجزلوا له، ولد ٩٨ ومات ١٧٩ بالكوفة . ترجم في نزهة الألباء ٤٣ ووفيات الأعيان ١٦٤/١ والأغاني ٧٠/٦.

(4) سورة الأعراف الآية ١٥٦.

(5) سورة الأنعام الآية ٧١.

(6) أبو داود ١٦٠/٢ كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم ١٤٧٩ بلفظ الدعاء هو العبادة ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ من حديث النعمان . والترمذي كتاب الدعاء، باب الدعاء مخ العبادة، برقم ٣٣٧٢ وفي التفسير باب ومن سورة المؤمنون برقم ٣٢٤٧ . وأحمد في مسنده ٢٧١/٤ . وغيرهم.

قوله : ((الدعاء الذي حكاه ا لله في سورة الشعراء)) وهو قوله : ﴿ رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين ﴾[1] .

قوله : ((كما عبّر باليد عمّا يطلق باليد))[2] هو من باب إطلاق السبب على المسبب، أو من باب إطلاق اسم المحل على الحال .

قوله : ((** إني أتتْني لِسانٌ لا أسرُّ بها ** [3]

تمامه :

** من عُلْوَ لا عَجَبٌ منها ولا سخر **

علوة : اسم امرأة . الضمير في بها راجع إلى الكلمة، والشعر لأعشى . باهلة قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر . ويروى ولا صخب، وهو الصياح مكان . ولا سخر، يقال : سخرت منه أسخراً اسَخَر بالتحريك مُسْخِراً وسَخِراً.

قوله : ((وأعطى ذلك))[4] يجوز أن يكون إشارة إلى معنى قوله : ﴿ ووهبنا له من رحمتنا ... الآية ﴾ ولذلك رتّب عليه قوله : ((فأعلى ذكرهُم وأثنى عليهم)) وجعل ذلك تخليصاً إلى ذكر موسى عليه السلام بقوله : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً.

قوله : ((كما أعلا ذكره)) الأساس[5] : [ومن المجاز : له ذكر في الناس أي : صيتٌ. وشرف ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾[6] ورجل مذكور.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٣,

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ مريم الآية ٥٠ . قال (ز) في تفسير : ﴿ لسان صدق ﴾ : الثناء الحسن، وعبّر باللسان عما يوجد باللسان كما عبّر باليد عما يطلق باليد، وهي العطية.

(٣) قائل البيت الأعشى الباهلي .انظر حاشية محمد عليان على شواهد الكشاف ٢٢/٣.

(٤) تفسير قوله : ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق علياً ﴾ قال (ز) : استجاب ا لله دعوته ((وأعطى ذلك)) ذريته ((فأعلا ذكرهم واثنى عليهم)) يعني ذرية إبراهيم عليه السلام.

(٥) الأساس ٢٠٥ مادة (ذكر).

(٦) سورة الزخرف الآية ٤٤.

قوله : ((المخلص بالكسر))[1] عاصم وحمزة والكسائي وبالفتح الباقون.

قوله : ((النبي الذي ينبّئ عن ا لله عز وجلّ)) الراغب[2] : [النبيّ بغير همز، فقد قال النحويون : أصله الهمز، واستدلوا بقولهم : مسيلمة نبئ سوء. وقال بعض العلماء : [هو من النَّبْوَة، أي : الرفعة، وسمي نبيّاً لرفعة محلّه عن سائر الناس، المدلول عليه بقوله : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ فالنبي بغير الهمز أبلغ، لأنه ليس كل منبّإٍ رفيع المحل، ولذلك ورد أنه صلى ا لله عليه وسلم قال لمن قال له : يا نبيء ا لله فقال : (لست بنبئ ا لله، ولكن نبيّ ا لله)[3] لما خاطبه بالهمز لبغضٍ منه، والنبوة والنباوة الارتفاع، ومنه قيل : نبأ فلان مكانه، كقولهم : قضّ عليه مضجعه، ونبا السيف عن الضربة : إذا ارتدّ عنه ولم يمض فيه، ونبا بصره عن كذا تشبيها بذلك].

قوله : ((صريف القلم))[4] النهاية[5] : [صَريف الأقلام صوت جريانها بما تكتبه من أقضية ا لله عز وجل ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ]

قوله : ((كما في قوله : ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾))[6] يعني ما ينصران (من) للتبعيض، قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ لأن (من) في هذه الآية لا تحتمل ما تحتمله في تلك الآية من الوجهين، لأن (وهبنا) يقتضي مفعولاً به وليس فيها غيره بخلافه فيما نحن فيه، لأن (أخاه) إن جعل مفعولا كان (من) ابتدائياً، وإذا جعل (من) مفعولاً، كان

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً ﴾ الآية ٥١ . وقرأ : ﴿ مخلصاً ﴾ بفتح اللام عاصمٌ في رواية يحي بن آدم عن أبي بكر، وحفص عنه وحمزة والكسائي . والباقون بكسر اللام . السبعة لابن مجاهد ٤١٠

(2) الراغب ٤٨٢ مادة (نبي).

(3) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٣١/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي، وقال : بل منكر لم يصح، وفيه حمران بن أعين ليس بثقة وهو واه. وذكره الدر المنثور ٧٣/١ والقرطبي ٤٣١/١.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾ الآية ٥٢ . قال (ز) في قوله : ﴿ قربناه نجيا ﴾ : وعن أبي العالية قربه حتى سمع ((صريف القلم)) الذي كتبت به التوراة.

(5) النهاية ٢٥/٣ مادة (صرف).

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا ﴾ مريم الآية ٥٣

أخاه بدلاً منه، وبعض الرحمة إما دينيّ وهو النبوة والكتاب والحكمة وإرشاد الخلق، أو دنيويّ وهو الولد والمال وسعة الرزق، وفي كلام الواحدي[1] إشعار بهذا، فعلى هذا الأنسب أن يجعل (أخاه) بدل البعض من الكل، لأن معاضدته بأخيه، وموازرته به بعض المذكورات، قال في قوله تعالى : ﴿ فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ﴾[2] : يجوز أن يكونا للتبعيض معاً، بمعنى : هل أنتم مغنون عنا بعض شيء، هو بعض عذاب الله، أي : بعض بعض[3] عذاب الله، والمعنى على الابتداء، ووهبنا له من أجل سبق رحمتنا، وتقدير تخصيصه بالمواهب الدينية والدنيوية ﴿ أخاه هرون نبياً ﴾ والأول هو الوجه، لما فيه تنبيه[4] على سعة رحمة الله، فإن الأنبياء مع جلالتهم ورفعة منزلتهم منحُوا بعضاً منها.

قوله : ((وكان هرون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته)) يعني لما كان هرون أكبر سنّا لم تكن الهبة في قوله : ﴿ ووهبنا ﴾ نحو قوله : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب ﴾ فوجب الحمل على المعاضدة والموازرة.

قوله : ((كالتلقيب نحو الحليم))[5] يعني ذكر إسمعيل للشهرة بصدق الوعد، كذا إبراهيم عليه السلام بالحليم والأوّاه في قوله : ﴿ إن إبراهيم لأوّاه حليم ﴾[6] الأساس[7] :]هو ملقّب بكذا ومتلقّب به ولقّب به وتلقّب، ونُبز بلقب قبيح : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾[8] ، وقال الحماسي[9] :

** أكنيه حين أناديه لأكرمه ** وألقّبه والسؤة اللقبا **

---

(1) الواحدي في كتابه الوسيط ٣/١٨٦.

(2) سورة إبراهيم الآية ٢١.

(3) (من) بعض عذاب الله . ما بين القوسين س من ب.

(4) لعلها : لما فيه من التنبيه.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴾ قال (ز) : ذكر إسماعيل بصدق الوعد تشريفاً وإكراماً ((كالتلقيب له)).

(6) سورة التوبة الآية ١١٢.

(7) الأساس ٥٧٠ مادة (لقب).

(8) سورة الحجرات الآية ١١.

(9) لم أقف له على ترجمة.

قيل : الفرق بين اللقب والعلم، أن اللقب من معنى في الغالب كقفّة وبطّة، سمي بها لقصره.

قوله : ((فانتظره سنة))[1] عن أبي داود[2] عن عبد الله بن أبي الحمساء قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث فبقيت له بقية، ووعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه، فقال : (يافتى لقد شققت عليّ أنا هـهنا منذ ثلاث أنتظرك).

قوله : ((إنهم أحق بالتصدق عليهم))[3] روينا عن أبي داود والنسائي[4] عن أبي هريرة قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بالصدقة. قال رجل : يا رسول الله . عندي دينار. قال : تصدق به على نفسك. قال عندي : آخر . قال : تصدق به على ولدك. قال : عندي آخر . قال : تصدق به على زوجتك . قال : عندي آخر : قال : تصدق به على خادمك . قال : عندي آخر . قال : أنت أبصر).

قوله : ((وفيه أن من حق الصالح))[5] أشار إلى معنى الإدماج[6] في هذا الوجه، وأن في وضع الأهل موضع الأمة إشارة إلى الحض على النصح وإدخال الأجانب في زمرة الأهل والأقارب، وإذا كان حكم الأباعد بهذه المثابة، فكيف بالأقرباء؟.

---

(١) تفسير قوله : ﴿ إنه كان صادق الوعد ﴾ قال (ز) : عن ابن عباس رضي الله عنه أنه وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان ((فانتظره سنة)).

(٢) أخرجه أبو داود ٢٦٨/٥ كتاب الأدب، باب في العدة برقم ٤٩٩٦.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا ﴾ الآية ٥٥ مريم . قال (ز) في قوله : ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ ألا ترى ((أنهم أحق بالتصدق عليهم)) فالإحسان الديني أولى.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٢٠/٢ كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم برقم ١٦٩١ . والنسائي كتاب الزكاة، باب الصدقة عن ظهر غنى ٦٦/٥ برقم ٢٥٣٤.

(٥) تفسير قوله : ﴿ وكان يأمر أهله ﴾ قال (ز) : ﴿ أهله ﴾ أمته كلهم من القرابة وغيرهم ((وفيه أن من حق الصالح)) ألا يألوا نصحاً للأجانب والأقارب.

(٦) الإدماج : هو أن يُضمّن كلام قد سيق لمعنى، معنىً آخر لم يصرح به . التبيان للطيبي ٣٩٠ . وجواهر البلاغة ٣٧٠.

قوله : ((إنه رفع إلى السماء الرابعة))[1] عن الترمذي[2] عن أنس قال إن نبيّ ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : (لّما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة) وكذا في حديث المعراج عن البخاري ومسلم[3] .

قوله : ((** بلغنا السماء مجدنا [4] .... البيت قبله :

** ولا خير في حلم إذا لم يكن لـه ** بوادر تحمي صفوه أن يكّــدرا **

** ولا خير في جهل إذا لم يكن له ** حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا **

قيل : (مجدنا) مفعول له. (مظهرا) : أي مصعداً . روى أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم لما سمع بها قال : (لا يفضض ا لله فاك)[5] وإنه نيَّف على مائة، وكان من أحسن الناس ثغراً، وا لله أعلم بصحته . قوله : (فاك) أي : أسنان فيك.

قوله : ((لأن جميع الأنبياء منعم عليهم))[6] تعليل لجعل من للبيان لا للتبعيض لما يلزم من الثاني خروج بعضهم من أن يكونوا منعماً عليهم وقال تعالى : ﴿ ومن يطع ا لله والرسول فألئك مع الذين أنعم ا لله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين ﴾[7] كذلك قوله : ﴿ وعد ا لله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً ﴾ قال (ز) في قوله : ﴿ مكاناً عليا ﴾ ((إنه رفع إلى السماء الرابعة)).

(٢) أخرجه الترمذي ٥/٢٩٦ كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم برقم ٣١٥٧.

(٣) البخاري مع الفتح كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ١/٤٥٨ . ومسلم ١/١٤٦ كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إلى السماء وفرض الصلوات برقم ٢٥٩.

(٤) للنابغة الجعدي . انظر ديوانه ص ٧٣.

(٥) أخرجه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية، بزوائد المسانيد الثمانية ٤/١٠٠. باب النابغة الجعدي برقم ٤٠٦٥.

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين أنعم ا لله عليهم من النبيين من ذرية آدم ... ﴾ الآية ٥٨ . قال (ز) في تفسير قوله : ﴿ من النبيين ﴾ : ((لأن جميع الأنبياء ... الخ)).

(٧) سورة النساء الآية ٦٩.

مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[1] لأن الضمير في (منهم) عائد إلى قوله : ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ... إلى آخره ﴾[2] فإن جميعهم آمنوا وعملوا الصالحات لا بعضهم، وأن الله تعالى وعد الكل مغفرة وأجراً عظيما لا البعض . نعم المشار إليه بقوله : أولئك بعض الأنبياء لا الكل وهم المذكورون في هذه السورة، وقد أخبر عنهم بقوله : ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم ﴾ وبين قوله : ﴿ من النبيين ﴾ فوجب أن يحمل التعريف في الخبر على الجنس للمبالغة كقوله تعالى : ﴿ ذلك الكتاب ﴾[3] إذ أن يقدر مضاف بأن يقال :

قوله : ((لقربه منه))[4] وفي جامع الأصول[5] : ولد إدريس وآدم حيٌّ قبل أن يموت بمائة سنة.

قوله : ((جد أبي نوح)) وهو نوح بن مالك . وقيل : ملكان بن متوشلخ بن إدريس.

قوله : ((﴿ وممن هدينا ﴾ يحتمل العطف على (من) الأولى والثانية، فالمعنى على الأول : ﴿ أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ وممن هدينا واجتبينا. وعلى الثاني : ﴿ أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ الذين هم بعض ذرية آدم وبعض من حملنا مع نوح، وبعض من هدينا واجتبينا. وعلى التقديرين قوله : ممن هدينا غير الأنبياء تنويها بشأنهم (قوله)[6] : اتلوا القرآن وابكوا. الحديث من رواية ابن ماجه[7] عن سعيد[8] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (نزل القرآن بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا).

---

(١) سورة الفتح الآية ٣٩.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩

(٣) سورة البقرة الآية ٢.

(٤) قال (ز) : وكان إدريس من ذرية آدم ((لقربه منه)) لأنه جدّ أبي نوح.

(٥) جامع الأصول لابن المنير . ولم أهتد لمحله بعد بحث.

(٦) (قوله) ما بين القوسين س من جميع النسخ غير (ا).

(٧) أخرجه ابن ماجه ٤٢٤/١ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن من رواية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظ : (إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا) رقم ١٣٣٧ . ومسند أبي يعلى ٥٠/٢ وفيه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف برقم ٦٨٩.

(٨) في كل النسخ (سعيد) وهو خطأ ، والصواب (سعد) لأنه (سعد بن أبي وقاص) والله أعلم.

قوله : ((وعن صالح المري))[1] قال الحافظ إسماعيل[2] بن محمد صاحب سير السلف هو صالح بن بشير المري قارئ أهل البصرة أحد الزهاد، وكان إذا قصّ قال : هات جونة المسك والترياق المجرب، يعني القرآن، ولا يزال يقرأ ويدعو ويبكي حتى ينصرف.

قوله : ((خلفه إذا أعقبه))[3] الراغب[4]: [خلف ضدُّ تقدم وسلف والمتأخر لقصور منزلته، يقال : له خلف، ولذلك قيل : الخلف الردئ والمتأخر لا لقصور منزلته، يقال : له خلف، ويقال : سكت ألفاً ونطق خَلَفاً . ويقال : تخلَّف فلان فلاناً إذا تأخر عنه، وإذا جاء خَلْفَ آخر، وإذا قام مقامه، ومصدره الخلافة، وخَلَفَ خَلافَةً بفتح الخاء أي : فسد، فهو خالف ردئ أحمق، ويعبّر عن الردئ بِخَلْفٍ نحو : ﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾].

قوله : ((وينصر الأول قوله : ﴿ إلا من تاب وآمن ﴾ أي ينصر الوجه الأول وهو أن يراد بالقوم اليهود، وبـ ﴿ أضاعوا الصلاة ﴾ تركوها لا أخروها عن وقتها، لأنه لا يقال : آمن، إلا لمن كان كافراً . ويجوز أن يحمل على التغليظ، كما قال تعالى : ﴿ من استطاع إليه سبيلاً . ومن كفر ﴾[5] وبهذا التأويل يحسن قول قتادة[6] : هو في هذه الأمة، أي : هذا الكلام نازل في شأن أمة محمد صلوات الله عليه.

---

(١) صالح المري . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٤٦/٨ والتاريخ الكبير للبخاري ٢٧٣٧/٤.

(٢) لعله الحافظ إسماعيل بن محمد بن عثمان القومسانيّ ثم الهمداني العابد . انظر سير أعلام النبلاء ١٥٥/١٩.

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾ مريم الآية ٥٩ . قال (ز) : ((خلفه إذا عقبه)).

(٤) الراغب ١٥٥ مادة (خلف)

(٥) سورة آل عمران الآية ٩٧.

(٦) قتادة بن دعامة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث السدوسي أبو الخطاب الأكمه، كان مفسراً فقيها عالماً بالشعر والأنساب من التابعين مات سنة ١١٧ . تهذيب التهذيب ٣٥١/٨.

قوله : ((وركب المنظور))[1] أي : الفرس والبغل لا للجهاد بل لأجل ما ينظر إليه، قال ابن نباتة [2] :

** لا يكمل الطرف المحاسن كلها ** حتى يكون الطرفُ من أسر به **

قوله : ((** فمن يلق خيراً ... البيت[3] قبله :

** أمن حلم أصبحت تنكث واجماً ** وقد تعْتري الأحلام من كان نائماً **

نكث في الأرض إذا جعل يخط وينقر، وهو كناية عن المهتمّ والواجم الحزين، يقول : أمن أجل أضغاث أحلام تصبح حزيناً تنكث في الأرض، ومن كان نائماً تعتريه الأحلام، ثم قال :

** فمن يلق خيراً يحمد الناس أمره ** ومن يغْوِ لا يعدم على الغي لائماً **

أي : ومن يفعل الشر لا يعدم من يلومه عليه، ومن يغْوِ بالكسر من غوى بالفتح من غوى يغوي غيّاً وغواية فهو غاوٍ وغَوٍ . قلت : ويجوز أن يكون التقابل معنوياً كقول المتنبي :

** لَمَن يطلب الدنيا إذا لم يرد به ** سرور مُحبّ أو مساءة مجرم **

قوله ((قرئ ﴿ يُدخَلون ﴾))[4] ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر على صيغة المفعول، والباقون على صيغة الفاعل.

---

(١) تفسير قوله : ﴿ واتبعوا الشهوات ﴾ قال (ز) : ((وركبوا المنظور)) وليس المشهور.

(٢) ابن نباتة محمد بن محمد بن الحسن الجذامذي الفارقي المصري، أبو بكر جمال الدين بن نباتة شاعر عصره ولد سنة ٦٨٦هـ ومات سنة ٧٦٨هـ . الأعلام ٣٨/٧ . وحسن المحاضرة ٣٢٩/١.

(٣) قائلهما المرقش الأصغر صاحب فاطمة بن المنذر، والأكبر عم الأصغر وعم طرفة . انظر الإنصاف على شواهد الكشاف ٢٦/٣.

(٤) تفسير قوله تعالى :﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ قرأ ﴿ يُدخلون ﴾ بضم الياء وفتح الخاء مبنياً للمفعول ابن كثير وأبو عمرو وأبوبكر وأبو جعفر ويعقوب . والباقون على صيغة الفاعل . الإتحاف ٣٠٠.

قوله : ((بياناً لأن تقدّم الكفر لا يضرهم)) بياناً نصب على أنه مفعول لـه واللام في لأن صلة بياناً . المعنى قال تعالى : ﴿ ولا يظلمون شيئاً ﴾ ليُبين أن تقدم الكفر لا يضرّهم، وأنه تعالى لا يمنع من جزاء أعمالهم شيئاً إذا تابوا من الكفر كما لم يمنع المسلم الأصلي.

قوله : ((أو لا يظلمون البتة)) والتأكيد يستفاد من جَعْل ﴿ شيئاً ﴾ مفعولاً مطلقاً، ولهذا قال : ﴿ شيئاً ﴾ من الظلم، وعلى الأول مفعول به، والظلم متضمن لمعنى النقص.

قوله : ((لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها))[1] وهو من بدل البعض من الكل لاستشهاده بقوله : ((أبصرت دارك القاعة والعلالي)) لأن القاعة والعلالي بعض الدار، والعلالي جمع علية، وهي الغرفة، وهي فعلية أصله عليوة من علوت. وقيل : هي عِلية بالكسر على فعلية يجعلها من المضاعف . قال : وليس في الكلام فعيلة . قال في الأساس [2] : [ولهم قاعة واسعة، وهي عرصة الدار] وأهل مكة يسمون أسفل الدار القاعة، ويقولون فلان قعد في العلية، ووضع قماشه في القاعة، وعليه قول القاضي[3] : [حيث قال : ﴿جنات عدن ﴾ بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها.

قوله : ((أعلاما لمعاني الفيْنةِ))[4] قال ابن الحاجب[5] : [وضعوا للأوقات أعلاماً كما وضعوا للمعاني الموجودة، وإن لم تكن الأوقات شيئاً موجوداً إجراء لها مجرى الأمور الموجودة، ولهذا قال : لمعاني الفينة . وقال أيضاً : إن وضع الأعلام للأوقات كوضعها في باب أسامة لا كوضعها في باب زيد وعمرو لأنه يصح استعمالاها لكل فرد من الأوقات المخصوصة، كما يصحّ استعمال أسامة وفينَة وقتك الذي أنت فيه] . وقيل : [ليس المراد

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا ﴾ الآية ٦٠.

(٢) الأساس ٤١٤ مادة (عرص).

(٣) القاضي البيضاوي ١١/٤.

(٤) الفينة الوقت، أي الحين بعد الحين. وانظر الإيضاح في شرح المفصل ٩٣/١.

(٥) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح شرح المفصل ٩٢/١ ، ٩٣.

بها الآن، وإنما يراد بها الساعة . يقال : يأتيني فَيْنة أي ساعة بعد ساعة، وقال الجوهري(١) : [الفينات الساعات، يقال : الفينة الفينة بعد الفينة أي الحين بعد الحين].

قوله : ((وهي غائبة عنهم)) يريد أن قوله : ﴿ بالغيب ﴾ إما حال من المفعول الأول لوعد، وهو الضمير الراجع إلى ﴿ جنّات ﴾ وهو محذوف فالتقدير : وعدها وهي غائبة عنهم، أو حال من المفعول الثاني وهو ﴿ عِبادَهُ ﴾ فالتقدير : وهم غائبون عنها أو صلة لوعد بتقدير المضاف، والباء للسببية، أي : وعدها عبادهُ بسبب تصديقهم الغيب وإيمانهم به.

قوله : ((قيل في : ﴿ مأتيا ﴾ : مفعول بمعنى فاعل)) لأن وعد الله يأتي ولا يؤتى، الراغب(٢) : [مأتيا مفعول من أتيته. وقال بعضهم معناه آتيا وليس كذلك، بل يقال : أتيت الأمر، وأتاني الأمر، ويقال : أتيته بكذا وآتيته كذا، قال تعالى : ﴿ وأتوا به متشابها ﴾(٣) ﴿ وآتيناهم ملكاً عظيما ﴾(٤)] قال أبو البقاء(٥) : [ومأتيا على بابه لأن ما تأتيه فهو يأتيك، وقال : الوجه أن الوعد هو الجنة] والجنة تؤتى، لأن المكلفين يأتونها. الأساس(٦) : [أتى إليه إحساناً إذا فعله، ووعد الله مأتيٌ وأتيتُ الأمر من مأتاه أي : من وجهه . قال البحتري :

** أعُدُّ سِنيني فارحاً بمرورها ** ومأتي المنايا من سِنِيّ وأشهرُ **

قوله : ((وإذا مروا باللغو مروا كراما ﴾)) (٧) قال : إذا مرّوا بأهل اللغو المشتغلين به مرّوا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم .

---

(١) . الجوهري ٦/٢١٧٩ مادة (فين).

(٢) الراغب ٩ مادة (أتى).

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥.

(٤) سورة النساء الآية ٥٤.

(٥) أبو البقاء ٢/١١٥.

(٦) الأساس ١١ مادة (أتى)

(٧) سورة الفرقان الآية ٧١.

تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ﴾ ٦٢.

الراغب(1) : [اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي يُورد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور . قال أبو عبيدة : يقال لغوُ ولغاً.

قوله : ((لولا ما فيه من فائدة الإكرام))(2) اعلم أن أصل السلام الدعاء بالسلام. قال المبرد : هو دعاء الإنسان(3) بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه ويتخلص من المكروه، ثم فشى استعماله في الإكرام حتى لا يفهم غيره، ولهذا لو تركتها حمل صاحبك على الإهانة.

قوله : ((الوجبة))(4) الجوهري(5) : [المُوَجِّبُ الذي يأكل في اليوم والليلة مرة . يقال : فلان يأكل وجبة] وعنه(6) : [النّهمة بلوغ الهمة في الشيء، وقد نُهِمَ بكذا فهو منهوم أي : مولع به، والنَّهمُ بالتحريك : افراط الشهوة في الطعام].

قوله : ((وهي العادة الوسطى المحمودة)) يريد أن أكل الوجبة من طرف التفريط والأكل على الدوام إفراط، والوسطى هي المحمودة، والمراد بمن يأكل الوجبة المسكين الذي يتقنع(7) بالبلغة دون العارف الذي يتعاني التقشّف(8) .

قوله : ((ولأن المتنعم عند العرب)) عطف على قوله : ((ولكن على التقدير)) أي : لا يكون ثمة ليل ولا نهار، لكن يقدّر أن على ما ألف في الدنيا أولا يقدّر ذلك، فيكون كناية عن مجرد التنعم والترف، لأن المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء.

---

(1) الراغب ٤٥١ مادة (لغا).

(2) تفسير قوله : ﴿ إلا سلاما ﴾ فأهل الجنة أغنياء عن الدعاء بالسلامة، فكان ظاهر اللغو ((لولا ما فيه ... الخ)).

(3) دعاء (الإسلام) في ب.

(4) تفسير قوله : ﴿ ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ﴾ قال (ز) : من الناس من يأكل ((الوجبة)) ومنهم من يأكل متى وجد، وهي عادة المنهومين.

(5) الجوهري ٢٣٢/١ مادة (وجب).

(6) الجوهري ٢٠٤٧/٥ مادة (نهم).

(7) في م (يقنع).

(8) في م (التنزّه).

قوله : ((ولأن الأتقياء يلقون ربهم))[1] عطف على قوله : أي تُبقي عليه الجنة من حيث المعنى، فعلى الأول نروث استعارة ليبقى، كقوله صلوا ت ا لله عليه : (واجعله الوارث منا) أي : أبقهما، وعلى الثاني : أعمالهم وثمرتها بمنزلة المورث وتركته كما أن المورث إذا قضى نحبه يبقى للوارث ماله، كذلك أعمالهم تنقضي وتبقى ثمرتها لهم، وهي الجنة، وعلى الأول : استعارة تبعية . وعلى الثاني : تمثيلية.

قوله : ((فَلَستَ لإنسي ... البيت[2] ، أي : لست ابنا لإنسي، ويصوب استئناف على سبيل البيان والتعليل، وفي معناه قول صواحب يوسف : ﴿ ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾[3] .

قوله : ((وقيل : معنى ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾)) وما كان تاركاً[4] لك عطف على قوله : ((لا تجوز عليه الغفلة والنسيان)) وقوله : ((وقيل : هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة عطف على قوله : ﴿ وما نتنزل ﴾ حكاية قول جبريل عليه السلام . نقل الإمام[5] : [عن القاضي[6] من المعتزلة أنه ردّ هذا القول وقال: هذا مخالف للظاهر، لأن التنزّل بنزول الملائكة أليق، والأمر في قوله : ﴿ بأمر ربك ﴾ بالتكليف أنسب، ولأن

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾ الآية ٦٣. قال (ز) : تبقى عليه الجنة، كما تبقى على الوارث مال المورّث ((ولأن الأتقياء ... الخ)).

(٢) البيت لرجل من عبد القيس يمدح النعمان بن المنذر .وقيل : لأبي وجرة يمدح عبد ا لله بن الزبير . وتمامه :

** فلست لإنسي ولكن لملأك ** منزّل من جو السماء يصوبُ **

انظر الإنصاف على شواهد الكشاف ٢٩/٣.

(٣) سورة يوسف الآية ٣١.

(٤) النسيان يكون بمعنى الترك، كما في قوله تعالى في سورة السجدة الآية ١٤ : ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ أي بنسيانكم . وقوله في البقرة الآية ٢٢٧ : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ أي لا تتركوا الفضل فيما بينكم.

(٥) الإمام الفخر الرازي ٢٣٩/٢١ بتصرف.

(٦) المراد بالقاضي : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي أبو الحسين كان شيخ المعتزلة في عصره، ولا يطلق هذا اللقب على غيره . ومن تآليفه : تنزيه القرآن عن المطاعن . مات سنة ٤١٥هـ . انظر الأعلام للزركلي ٢٧٣/٣ ولسان الميزان ٣٨٦/٣.

الخطاب هنا من جماعة لواحد، وذلك لا يليق بمخاطبة بعض أهل الجنة لبعض]. وقلت : وكلا الوجهين له اعتبار في النظم. أما الأول : فلأنه صلوات الله عليه حين سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، وأبطأ عليه الوحى حتى لم يدر كيف يجيب، ثم أنزل الله الأجوبة إكراماً له وأراد الله تعالى أن يفرق هذه الأحوال في السور الثلاث أودع سؤال الروح في بني إسرائيل ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾[1] وسؤال قصة أصحاب الكف وذي القرنين فيما يليها، وأودع ذكر استبطاء الأجوبة في هذه السورة، وللإختصاص أسرار لا يعلمها إلا الله، ومن أيده بروح القدس . وأما الوجه الثاني فترتيبه ما ذكره المصنف بقوله : ((وما ننزل الجنة إلا بأمر الله علينا ...إلى آخره)).

قوله : ((السالفة والمترقبة والحاضرة))[2] قال أبو علي : هذه الآية تدل على أن الأزمنة ثلاثة، مستقبل وهو قوله : ﴿ ما بين أيدينا ﴾، وماض وهو : ﴿ ما خلفنا ﴾، وحال وهو قوله : ﴿ وما بين ذلك ﴾.

قوله : ((واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين))[3] أشار إلى ارتباط الأمر بالعبادة بكلام أهل الجنة وأما اتصاله بحديث نزول جبريل عليه السلام فكأن جبريل عليه السلام يقول : ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ لأنه الحكيم الذي يعرف المصالح كلها والمحيط بكل شيء علما، ونحن لا نقدم على فعل إلا بأمره وإذنه، لأنه المالك المتصرف، وليس لنا إلا الطاعة والامتثال لأمره، فعليك أيضاً لزوم العبادة والصبر عليها، لا التصرف، لأنه لا ملجأ ولا مفزع إلا إليه، فهل تعلم له سمياً يُلْجأُ إليه.

قوله : ((﴿ وما يتنزل ﴾ بالياء على الحكاية عن جبريل)) أي : يكون كلامه ومقوله وذلك بأن يقول : يا محمد، وما يتنزل الوحي إلا بأمر ربك.

---

(1) سورة بني إسرائيل الآية ٨٥

(2) قال (ز) : لا ينزلون الجنة إلا بأمر الله لأنه المالك لرقاب الأمور كلها ((السالفة ... الخ)).

(3) قال (ز) : ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل ((واعبده ... الخ)).

قوله : ((ويجب أن يكون الخلاف في النسيّ مثله في البغْي)) وقد سبق أنه فعول أو فعيل.

قوله : ((** وقائلة خولانُ فانكح فتاتهم **[1] تمامه :

** .... ** وأكرومة الحيّين خُلوٌ كما هيا **

(خولان) اسم قبيلة[2] ، و(الأكرومة) من الكرم كالأعجوبة من العجب، و(الخلو) التي لا زوج لها، أي الخلية كنّى به عن كونها مطلقة، (الحيين) حي أبيها وحي أمها، رفع بعد القول الجملة من المبتدأ والخبر يقول : رب قائلة، قال : هؤلاء خولان فانكح فتاتهم . فأجبتها كيف أتزوج والحال أن أكرومة الحيين خُلوٌ لا زوج لها، وهي أولى بأن أتزوجها، فالفاء في : ﴿ فاعبده ﴾ كالفاء في البيت، وهي دلّت على ان وجود هذه القبيلة علة لأن يتزوج منها لحسن نسائها وثروتها . وفيه إشارة إلى ترتب الحكم على الوصف المناسب.

قوله : ((وعلى هذا الوجه، يجوز أن يكون ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ من كلام المتقين، وما بعده من كلام رب العزة))[3] وعلى الوجه الأول كان قوله ﴿ وما نتنزل إلا بأمر ربك ﴾ حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة، وقوله :﴿ وما كان ربك نسيا . رب السموات والأرض ﴾ من كلام الله تعالى تقريراً لقولهم . وفيه أنه إذا جعل بدلاً من ربك لا يجوز أن يكون ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ من كلام المتقين بل إما من كلام الله تعالى أو كلام الملائكة لأن المتقين إذا قالوا : ﴿ وما كان ربك نسيا ﴾ ويكون قوله : ﴿ رب السموات والأرض ﴾ بدلاً منه يبقى قوله : ﴿ فاعبده ﴾ لا متعلّق له، فإنه كما تقرر حكم مرتب على الوصف السابق، ولا جائز أن يكون من تتمة كلام المتقين، لأن

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ قال (ز) : أي هو رب السموات والأرض (فاعبده) كقوله : ((وقائلة ... الخ)) والبيت مجهول قائله . انظر الإنصاف على شواهد الكشاف ٣١/٣.

(2) اسم قبيلة باليمن.

(3) في غرائب التفسير من عجائب التأويل ٧٠٢/١ لمحمود الكرماني قال : قال ابن بحر : هذا من كلام أهل الجنة بعضهم لبعض إذا دخلوها . والله أعلم.

الجنة ليست دار تكليف وعبادة . وأما إذا جعل جملة مستقلة مقتطعة عن كلام المتقين يترتّب عليها ﴿ فاعبده ﴾ ويصح اللهم إلا أن يجعل الفاء جزاء شرط محذوف، ويكون من كلام رب العزة، أي : لما عرف أحوال أهل الجنة وأقوالهم على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده، قال صاحب التقريب : [وقيل : هي حكاية قول المتقين أي : وما ننزل الجنة إلا بإذن من الله علينا بثواب أعمالنا، أو أمرنا بدخولها، وقرر الله ذلك، أي : وما كان ربك نسيا لأعمال المتقين. وفيه حرارة لقوله : ﴿ بأمر ربك ﴾ دون ربنا إلا أن يخاطبوا به جبريل حين دخولها. وقلت : المراد أنهم بسرورهم وتبجحهم بما فازوا به من الكرامة والنعيم يقبل بعضهم على بعض يبشرون، وهو أبلغ من لو قيل : ربنا لأنه دلّ على أن البشارة بلغت بحيث لم يختصّ بها مبشِّر دون مبشَّرٍ، كل من يتأتى منه البشارة فهو مبشّر.

قوله : ((هلا عدّي اصطبر بعلى)) يعني اصطبر يعدّى بعلى لا باللام فلم خولف ؟. وأجاب أن التركيب من باب الاستعارة، وفيه تضمين معنى الثبات، شبّهت العبادة بالقِرْنِ، وهو كفؤك في الشجاعة، ثم أمر المكلف بالمكابدة معها بما يؤمر به من يريد مدافعه قرنه ومزاولته في الحرب، وهو كقوله : اصطبر له، وهذا هو المراد من قوله : جعلت العبادة بمنزلة القرن. ولما ضمّن اصطبر معنى أثبت عدّي تعديته، أي : أثبت له صابراً، وإليه الإشارة بقوله : أثبت له فيما يورد عليك من شدّاته، أي : حملاته. وفيه لمحة من بارقة (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) وما رويناه عن مسلم ومالك والترمذي[1] عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط] أي : ذلكم المجاهدة الكاملة التي تستحق أن تسمّى مجاهدة، وكأن غيرها من المجاهدات بالنسبة إليها كَلا

(١) أخرجه مسلم ٢١٩/١ كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء برقم ٢٥١ بلفظ : ألا أدلكم .من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . والترمذي ٧٢/١-٧٣ كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء برقم ٥١ . ومالك في الموطأ كتاب السفر ، باب ٥٥.والدارمي ١٨٩/١ كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء برقم ٦٩٨ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وغيرهم.

مُجاهدة . قال القاضي[1] : [إنما عدّي باللام لتضمّنه معنى الثبات] وذكر الكواشي[2] ما ذكره المصنف بعينه . ثم قال : ويجوز أن يراد اصطبر على الشدائد لأجل العبادة، أي : للتمكن من الإتيان بها.

قوله : ((عداتك))[3] الجوهري[4] : [العدا بكسر العين الأعداء، يقال : قوم أعداء وعِداً بكسر العين، فإذا دخلت الهاء قلت : عُداة بالضم].

قوله : ((الأغاليط)) الجوهري[5] : [الأغلوطة ما يغلط به من المسائل، ونهى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عن الأغلوطات[6]] والمراد بها هـهنا ما سألته اليهود عن قصّة الكهف وذي القرنين والروح.

قوله : ((هل تعلم من سمي باسمه على الحق))[7] أي : يستحق أن يتألّه، لأن الإله ينبغي أن يكون خالقاً رازقاً لعابده مثيباً، وما سمي من دونه يإله تسمية باطلة كقوله تعالى : ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل ا لله بها من سلطان ﴾[8] .

قوله : ((فسيف بني عبس))[9] البيت وَرْقاءُ عبْسٍ، ضرب رأس خالد ونبا السيف عن الضربة، أي : لم يثبت، قال صاحب الانتصاف : [التبس على الزمخشري إرادة

---

(1) القاضي البيضاوي ٤/١١.

(2) الكواشي أحمد بن يوسف، تقدم.

(3) قال (ز) : فاثبت على العبادة ولا تهن، ولا يضق صدرك عن إلقاء ((عداتك)) من أهل الكتاب إليك ((الأغاليط)).

(4) الجوهري ٦/٢٤٢٠ مادة (عدا).

(5) الجوهري ٣/١١٤٧ مادة (غلط).

(6) أخرجه الطبراني ١٩/٣٨٩ وفي إسناده الشذكوني، وهو متروك . وأحمد في المسند ٥/٤٣٥ . وانظر فتح الباري ١٣/٢٦٣.

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ هل تعلم له سميا ﴾.

(8) سورة النجم الآية ٢٣.

(9) تفسير قوله تعالى : ﴿ويقول الإنسان أئذا ما متّ لسوف أخرج حيا ﴾ الاية ٦٦ . قال (ز) : المراد بـ ﴿ الإنسان ﴾ بعضهم كما في بيت الفرزدق هذا :

** فَسَيْفُ بني عبسٍ وقد ضربوا به ** نَبا بِيَدِيْ ورقاء عن رأس خالد **

العموم، فقال : أراد الله بالإنسان العموم، ومعناه : يريد الله نسبة الشك والكفر إلى كلّ فرد فرد من أفراد الإنسان، وقد صرح بأن الناطق بكلمة الشك بعض الجنس، ففي عبارته خلل، والصحيح أن يقال : يحتمل أن يكون التعريف جنسيا، فيتناول العموم، والمراد الخصوص، ويحتمل أن يكون عهداً، فيكون في أول وهلة خاص . وقلت : ما لبّس عليه إرادة العموم لما لا يحتملها، لأن دليل الخصوص عندهم مستقل بنفسه كما سبق في قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾[1] فقوله : (يقول) لا يخصّص الإنسان، لأنه مسند به، بل يفيده . وما ذهب إليه بأمر ثالث، وفيه تهجير ما وجد في بني آدم من القول الشنيع نحو قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها ﴾[2] قال : خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم.

قوله : ((لا تقول : اليوم لزيد قائم))[3] لأن لام الابتداء تمنع ما بعدها عن العمل[4] فيما قبلها.

قوله : ((بفعل مضمر يدل عليه المذكور)) قال أبو البقاء[5] : [أئذا العامل فيها فعل دلّ عليه الكلام، أي : أبعث إذا، ولا يجوز أن يعمل فيها (أخرج) لأن ما بعد اللام وسوف لا يعمل فيما قبلها].

قوله ((لَمْ تُجامعها إلا مخلصة للتأكيد))[6] قال ابن الحاجب في الأمالي : هذه اللام لام تأكيد، وليست لام ابتداء، وإلا وجب أن يذكر معها الابتداء . فإن قيل : قدر المبتدأ

ومحل الشاهد تعميم بني عبس بالضرب، والضارب منهم واحد، وهو (ورقاء) كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان ﴾ وليس كل إنسان، وإنما المقصود جاحد البعث فقط.

(1) سورة البقرة الآية ٢٢٨

(2) سورة البقرة الآية ٧٢.

(3) تفسير قوله : ﴿ إذا ﴾ قال (ز) : فإن قلت : بم انتصب (إذا) وانتصابه بـ (أخرج) ممتنع لأجل اللام ((لا تقول : اليوم لزيد قائم)).

(4) في ب (من العمل).

(5) أبو البقاء ١١٥/٢.

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ لسوف أخرج حيا ﴾ قال (ز) : فإن قلت : لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال ؟ قلت : ((لم تجامعها ... الخ)).

محذوفاً وأبق اللام داخلة على الخبر، قلنا : إن اللام مع المبتدأ كـ (قد) مـع الفعـل و(أن) مـع الاسـم، فكمـا لا يحـذف الفعـل والاسـم ويبقـى (قـد) و(أن) فكذلـك هـذا، وهذا التقدير يخالف تقدير المصنف في سـورة والضحى، حيـث قـدّر، ولأنـت ﴿ سـوف يعطيك ﴾[1] .

قوله : ((و ﴿ ما ﴾ في ﴿ أئذا ما ﴾ للتوكيد أيضـاً، وذلـك أن حـروف الصِلات كلها وضعت لتوكيد مضمون الكلام، فقـد ضمـت مـع الـلام التوكيـدي، ولذلـك قـال أيضاً.

قوله : ((أحقـا أنّـا سـنخرج أحيـاء))[2] قـال المرزوقـي : قـال سـيبويه : (أحقـاً ؟ منصوب على الظرف، كأنه قال : أفي الحق ذلك، وإنما جاز لأنهم يقولون : أفي حقّ كذا أو في الحق كذا، فنصبـوه علـى تلـك الطريقـة، والمعنـى : أفي الحـق أنـا سـنخرج أحيـاء، ونحوه : عندي إنك قائم، وإتيـان ضمـير الجماعـة، وفي التـنزيل مفـرد إيـذان بـأن المـراد بالإنسان الجنس.

قوله : ((خرج فلان عالمًا، وخـرج شـجاعاً إذا كـان نـادرا)) الأسـاس[3] : [ومـن المجاز خرج فلان في العلم والصناعة خروجاً إذا نبغ، وخرّجه فـلان فتخـرج . قـال زهـير يصف الخيل :

** وخرّجها صوارخ كلّ يوم ** فقد جَعَلَتْ عرائكها تلين **]

أراد أنه أدبها كما يخرّج المعلّم المتعلم.

قوله : ((وتقديم الظرف وإيـلاؤه حـرف الإنكـار)) يعـني لما كـان الوقـت الـذي تكون الحياة فيه منكرة هذا الوقت، قرن به حرف الإنكـار، ويمكـن أن يقـال : دلّ إيـلاء الظرف همزة الإنكار، وتقديمه على عامله أن الكلام في الظرف وأن المنكر وقت حيـاتهم

(١) سورة الضحى الآية ٥.

(٢) قال (ز) : فكأنهم قالوا ((أحقًا أنا سنخرج أحياء)).

(٣) الأساس ١٥٧ مادة (خرج).

بعد الموت، فكأنهم أنكروا مجيء وقت فيه حياة بعد الموت، يعني أن هذا الوقت لا يكون موجوداً، وهو أبلغ من إنكار الحياة بعد الموت، لما يلزم إنكاه على وجه برهاني.

قوله : ((أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت إليه))[1] وأنشد في معناه[2] :

** أحين أتى أن أجتنى ثمر الرضا ** أردّ إلى نزر من العيش يرضخ **

قوله : ((الواو عطف ﴿ لا يذكر ﴾ على ﴿ يقول ﴾ ووسّطت همزة الإنكار، قال صاحب التقريب : [وفيه نظر، لأن الهمزة ليست من المعطوف لتقدمها عليه، ولا من المعطوف عليه، لتأخرها عنه، ولأنه كيف يدخل الإنكار على يقول مع تأخر الهمزة عنه، ولأنه يبطل صدريتها، فالأولى أن يقال : لا يذكر عطف على يقول مقدرا بعد الهمزة لدلالة الأول عليه ليرتفع الإشاكال، وقلت[3] : قد سبق مراراً وأطواراً أن هذه الهمزة مقحمة لتأكيد الإنكار السابق، وأوردنا فيه كلاما من جانب أبي إسحاق الزجاج . وقال القاضي[4] : [وتوسيط همزة الإنكار بينه وبين العاطف مع أن الأصل أن يتقدمها لا يدلّ على أن المنكر بالذات هو المعطوف، وأن المعطوف عليه إنما نشأ منه، لأنه لو تذّكر وتأمل فيما أنكر ما نشأ ذلك منه].

قوله : ((﴿ ولم يك شيئاً ﴾))[5] دليل على هذا المعنى. قال صاحب الانتصاف[6]: [إعادة المعدوم جائزة عقلا واقعة نقلا، ووافقت المعتزلة لكن زعموا أن المعدوم له ذات

---

(1) قال (ز) : فهو كقولك للمسيء إلى المحسن : ((أحين تمت ... الخ))

(2) لم أقف على قائله.

(3) (وقلت) س من ب.

(4) القاضي البيضاوي ١٢/٤.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾. الآية ٦٧.

(6) انظر الانتصاف مع الكشاف ٣٢/٣ بتصرف.

ومما يوضح هذاالمعنى من الإعادة والبعث قوله تعالى في سورة يس الآية ٧٨ : وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأنها أو مرة وهو بكل خلق عليم ﴾وقوله في سورة ق الآية : أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبي من خلق جديد ﴾ وقوله في سورة الواقعة الآية ١٥ : ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ وقوله في سورة الروم الآية ٢٧ : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ ومثل هذه الآيات كثيرة في القرآن.

ثابتة في العدم، وتسمى شيئاً، وليس عدما صِرْفاً قبل الوجود[1] ، فكأنهم لولا ذلك لقالوا بقول الفلاسفة خذلهم ا لله في نفي إعادة المعدوم، والمطابق للآية معتقدنا إذ النشأة الأولى لم يسبقها وجود، ولا كان المنشأ شيئاً بخلاف النشأة الثانية، فإنه سبق لها وجود، وكان شيئاً فظهر الفرق بين النشأتين، والمعتزلي إن قال : إن الأجسام يعدمها ا لله ثم يوجدها وهو حقّ لكن لا يتم عندهم فرق بين النشأتين، فإن المعدوم فيها كان شيئاً، وإن قالوا : لا تنعدم الأجسام، لكن تجتمع وتتفرق كما قال الزمخشري فقد أبعد واو مالوا إلى مهاوي الفلاسفة، وتفطّن الزمخشري بأن القول بإعدام الأجسام وإعادتها يبطل الفرق بين النشأتين، فلم يطلقه، والقرآن قد نطق به فالتزم أن الأجسام لا تنعدِمُ ليتميز له الفرق بين النشأتين، لأنها على هذا جمع وتأليف بخلاف الأولى، فإنها إيجاد، فهرب من القطر فوقع تحت الميزاب، والفرق بين النشأتين أن الأولى أصعب بالنسبة إلى قياس العقل إلا أن ذلك راجع إلينا وإلا فالكل إلى قدرته سواء] .

قوله : ((تفخيم لسان رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم))[2] يعني الإضافة إضافة تشريف كبيت ا لله وناقة ا لله، ثم إذا ضمّ معها القَسَمُ يزداد التفخيم، وأنه بمكان له مدخل في الإقسام به من الفضائل النابهة والكرامة الفائقة، ثم في إيراد هذا القسم بين السبب والمسبب تأكيد بليغ في شأن الوعيد، وذلك أنهم لما أنكروا الحشر بقولهم : ﴿ أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ بعد معرفتهم أنهم لم يكونو شيئاً فخلقهم وجعلهم بشراً سوياً، رتّب عليه الوعيد على سبيل التوكيد بقوله : ﴿ فوربك لنحشرنهم ... الآية ﴾.

---

(١) مذهب المعتزلة : أن المعدوم الممكن وجوده شيء مستدلين بقوله : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ قالوا : قد سماه ا لله شيئاً قبل أن يقول له : كن فيكون، وهو دليل على أنه شيء قبل وجوده، ولأجل هذا قال الزمخشري : لأن المعدوم ليس بشيء، أو ليس شيئاً يعتدّ به . وقوله جل وعلا : ﴿ ولم تك شيئاً ﴾ دليل على أن المعدوم ليس بشيء، وكذلك قوله في سورة النور الآية ٣٩ : ﴿ حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ وقوله: ﴿ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ . والجواب عن استدلال المعتزلة بالآية : أن ذلك المعدوم لما تعلقت الإرادة بإيجاده تحقق وقوعه بالفعل، كقوله تعالى في سورة النحل الآية ١ : ﴿ أتى أمرا لله ﴾.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ﴾ ٦٨ مريم . قال (ز) : في إقسام ا لله باسمه تقدست أسماؤه مضافاً إلى رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم ((تفخيم ... الخ))

قوله : ((يعتلون))[1] الأساس[2] : [عتله إذا أخذ في تلبيبه فجرّه إلى حبس ونحوه ﴿ خذوه فاعتلوه ﴾[3]].

قوله : ((والمناقلات))[4] الأساس[5] : [ومن المجاز ناقل الشاعر الشاعر ناقضة، ورجلٌ نَقِلٌ وذو نَقَلٍ إذا كان جَدِلاً] وفي الأساس [6] : [دَهمتهم الخيل غشيتهم].

قوله : ((وإطلاق الحبا))[7] كناية عن خلاف الطمأنينة، ولذلك عطفه عليه على سبيل التفسير.

قوله :((وإن فسّر بالعموم)) وما يشعر بأن إرادة الخصوص أولى بإتيان (إذ) للتحقيق في القسم الأول، وأنْ للشك في الثاني، ولأن الضمير في : ﴿ لنحشرنهم ﴾ عائد إلى الإنسان المنكِر للبعث في قوله : ﴿ أولا يذكر الإنسان ﴾ لأنه مظهر وضع موضع المضمر، لأن المراد منه الإنسان المذكور في قوله : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما متّ لسوف أخرج حيا ﴾ .

قوله : ((على أن ﴿ جثيا ﴾ حال مقدر)) يعني أن قوله : ﴿ لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ إذا فسر بالخصوص أي بالكفار فيكون حالاً غير مقدرة لاستمرار جثوهم[8] من المحشر إلى شاطئ جهنم، لأن أهل المحشر كلّهم يجثون على ركبهم قلقاً واضطراباً أو قلة طاقة وعجزاً. وإذا فسر بالعموم كان حالاً مقدّرة، لأن غير الكفار لا

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ عتيا ﴾.

(٢) الأسا ٤٠٨ مادة (عتل).

(٣) سورة الدخان الآية ٤٧

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ حول جهنم جثيا ﴾ قال (ز) : جثاتا على ركبهم غير مشاة على أقدامهم، ووصفوا بالجثي، كما قال تعالى في سورة الجاثية الآية ٢٨ : ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ على العادة المعهودة في مواقف المقاولات ((والمناقلات)) من تجاثي أهلها على الركب . أو لما ((يدهمهم)) من شدة الأمر.

(٥) الأساس ٦٥٣ مادة (نقل).

(٦) الأساس ١٩٩ مادة (وهم).

(٧) تفسير قوله : ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ قال (ز) : على العادة المعهودة ((لما فى ذلك الإستيفاز والقلق ((وإطلاق الحبا))

(٨) (جثيهم) في م وغير صواب، لأنها واوية.

يستمر جثوهم[1] إلى الإحضار إلى شاطئ جهنّم، بل أنهم بعد الجثو في المحشر يمشون إلى شاطئ جهنم بأرجلهم، ثم عند الإحضار يجثون، دلّ على هذا التقدير عطف ثم ﴿ لنحضرنهم ﴾ على ﴿ لنحشرنهم ﴾ وأنه لا بدّ من الجثو في المحشر لقوله : ﴿ ترى كلّ أمة جاثية ﴾[2] .

قوله : ((الطائفة))[3] أي : تبعث غَاوياً قاله بناء على العرف، وإلا فالشيعة لغة الأتباع. الجوهري [4] : [شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، وكلّ قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأيَ بعض فهم شيع].

قوله : ((ويجوز أن يريد بـ ﴿ أشدهم عتيا ﴾ رؤساء الشيع)) يريد أن أيهم أشدّ، يجوز أن يحمل على الاستفهام، فيفيد العموم في الجنس باعتبار أفراده، فالمعنى يمتاز من كلّ طائفة أعصاهم فأعصاهم[5] ، والمراد بـ ﴿ الذين هم أولى بها صليا ﴾ المنتزعون إما باعتبار الترتيب السابق، كما يقال : يقدم أولاهم للعذاب فأولاهم، أو باعتبار المجموع، كما قال : ((المنتزعين كما هم)) فيكون قوله : ((أو أراد بالذين)) عطفاً على قوله : ((فإذا اجتمعوا)) فوضع المظهر موضع المضمر، وأن يحمل على الموصولة، ويكون التعريف للعهد، والإشارة به إلى اشخاص معينين وهم الرؤساء.

قوله : ((واختلف في إعراب : ﴿ أيهم أشد ﴾)) قال ابن الحاجب في الأمالي : مذهب الخليل أنه مرفوع على الحكاية، أي : لننزعن الذي يقال فيه أيهم أشد، فعلى هذا

---

(١) (جثيهم) في م.

(٢) سورة الجاثية الآية ٤٧.

(٣) قال (ز) : الشيعة الطائفة التي شاعت، أي : تبعت غاويا من الغواة، قال تعالى : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾.

(٤) الجوهري ١٢٤٠/٣ مادة (شيع).

(٥) الظاهر أن الرؤساء والقادة في الكفر يعذّبون قبل غيرهم، ويشدّد عليهم أكثر من غيرهم، ويدل لذلك قوله تعالى في سورة النحل الآية ٨٨ : ﴿ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسقون ﴾ وقوله في سورة العنكبوت الآية ١٣ : ﴿وليحملنّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ وقوله في سورة النحل الآية ٢٥ : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ .

﴿ أيهم أشدّ ﴾ استفهامية، ولذلك قدر القول ليصح وقوع الاستفهام بعده. ومذهب سيبويه أن ﴿ أيهم ﴾ مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لأعرب، فقيل : أيهم هو أشد، فعلى هذا هي موصولة بمعنى الذي منصوب مفعول ﴿ لننزعن ﴾ هذا هو الصحيح[1] ، لأنه يلزم من قول الخليل إما حذف أشياء كثيرة، أو حذف الصلة والموصول، فهو بعيد . وأيضاً القول الذي يصحّ حذفه قول مفرد غير واقع صلة الموصول نحو قوله تعالى : ﴿ والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ﴾[2] إلى غيرها، ولأن المعنى لا يستقيم إلا أن يقدر الذي يقال فيه أيهم هو أشد، وليس والكلام على ذلك، ولأن الاستفهام لا يقع إلا بعد أفعال العلم أو القول على الحكاية ﴿ وننزعن ﴾ ليس من أفعال العلم[3] . فإذا قلت : ضربت أيهم قام، فالوجه أن يقال : إن أيهم موصوله لا أن يقال : ضربت الذي يقال فيه أيهم قام، وإنما لم يقع الاستفهام إلا بعد أفعال العلم أو القول، لأن القول يحكي بعده كل شيء، وأفعال العلم إنما وقع بعدها الاستفهام لأحد أمرين . إما لكون الاستفهام مستعلماً به، فإذا قلت : زيد عندك أم عمرو ؟. كأنك قلت : أعلمني أيهما عندك . فإذا قلت : علمت أزيد عنك أم عمرو ؟. كان معناه علمت ما يطلب به إعلامك فبين الاستفهام والعلم اشتراك في هذا . وإما لكثرتها في الاستعمال فجعل لها شيئان في الكثرة ليس لغيرها كما جعل لها خصائص في غير ذلك، ولم يكثر غيرها كثرتها، وأجيب عن قوله : ((يلزم منه حذف أشياء كثيرة)) أن أمثال هذا الحذف من حلية التنزيل الذي هو معدن البلاغة على التقدير، ﴿ ثم لننزعنّ من كل شيعة ﴾ المقول في حقة أيّهم أشد، وعليه قراءة ابن عباس : ﴿ ولقد نجينا

---

(١) هذا الذي ذهب إليه سيبويه، وقال الطيبي أنه هو الصحيح، هو الذي عقده ابن مالك في الخلاصة بقوله :

** أيّ كما وأعربت مالم تُضفْ ** وصدر وصلها ضمير انحذف **

يعني أن مذهب سيبويه ومن تبعه أن لفظة (أيّ) موصولة وأنها مبنية على الضم إذا كانت مضافة، وصدر صلتها ضمير محذوف، كما هنا . وبعضهم أعربها مطلقا.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٣.

(٣) (العلم) س من ب والصواب ما في غيره.

بني إسرائيل من العذاب المهين . من فرعون ﴾[1] على الاستفهام صفة للعذاب، أي المقول في حقه من فروعن . وأنشد الزجاج [2] :

** ولقد أبيت من الفتاة بمنزل ** فأبيت لا حَرِجٌ ولا مَحْروم **[3]

أي : فأبيت بمنزلها الذي يقال لها : لا هو حَرِجٌ ولا محروم. وهذا هو الجواب أيضاً عن قوله : وإنما القول الذي يصح حذفه قول مفرد عن قوله : إنما لم يقع الإستفهام إلا بعد القول . وأما قوله : وليس الكلام على ذلك، فمن المقلوب،ذكر أبو إسحاق الزجاج[4] بعد ما حكى قول الخليل وسيبويه ويونس والذي أتوهمه أن القول في هذا قول الخليل، ثم لننزعنّ الذي يقال لهم : أيهم أشد على الرحمن وتأويله، ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ الذي من أجل عتوّه، يقال له : أيّ هؤلاء أشد عتيا، فيستعمل ذلك في الأشد، وقال : كأنه يُبتدأ بالتعذيب لأشدهم عتيا، ثم الذي يليه وهو أوفق للتفسير. وروى محي السنة عن مجاهد[5]: [يريد الأعْتى فالأعتى] وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعاً حول جهنم مسلسلين مغلولين، ثم يقدّم الأكفر فالأكفر، وعليه الوجه الأول من كلام المصنف ((يمتاز من كل طائفة من طوائف الغيّ[6] أعصاهمْ فأعصاهم))[7] وعليه ينطبق قوله تعالى : ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ لأن المنعى على ما قال : تقديم أولاهم بالعذاب، فأولاهم على الترتيب، ولا يستقيم مثل هذا المعنى في الوجه الثاني.

قوله : ((ويجوز أن يكون النزاع واقعاً على : ﴿ من كل شيعة ﴾)) أي : يكون من كل شيعة مفعولا به لقوله ﴿ لننزعن ﴾ أي : لننزعن عن بعض كل شيعة كقوله :

---

(١) سورة الدخان الآية ٣٠.

(٢) الزجاج ٣/٣٣٩.

(٣) وهذا البيت للأخطل كما هو في خزانة الأدب ٢/٥٥٣ وابن يعيش ٣/١٤٦.

(٤) الزجاج ٣/٣٤٠.

(٥) محي السنة البغوي ٥/٢٤٥.

(٦) من طوائف (أهل) الغي . ما بين القوسين في م.

(٧) انظر الدر المنثور ٥/٥٣٣.

﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ كما سبق وروى الزجاج[1] عن يونس : [أن قوله : ﴿لننزعن﴾ معلّقة لم تعمل شيئاً، وأوله الزجاج بقوله ثم : ﴿ لننزعن من كل شيعة ﴾ ثم استأنف فقال أيهم ﴾ قال أبو علي : [مراد يونس أن الفعل معمل في موضع من ﴿ كل شيعة ﴾ ولا يريد به أنه غير معمل في شيء البتة. والدليل عليه قوله معلّقة، والمعلق يستعمل في الموضع دون اللفظ، ألا تراهم قالوا في علمت : أزيد في الدار ؟. أن الفعل معلّق، وهو معمل في موضع الجملة . وقال الكسائي : أي أن قوله : ﴿ لننزعن من كل شيعة ﴾ كقولك : أكلت من طعام، فأيهم منطقعة مستأنفة، فهو كقول يونس . فإن قلت: لم زعم يونس أنه إذا حذف العائد من الصلة، وجب البناء على الضم؟. قلت : لأن الصلة تبين الموصول وتوضحه، كما أن المضاف إليه يبين المضاف ويخصصه كما أنه لما حذف المضاف إليه من الأسماء التي بينها بالإضافة، يبنى كذلك هذا . والأمر الجامع كونهما موضحين ومبينين. تم كلام أبي علي] وقال أبو البقاء[2] : [إنما بنيت ههنا لأن أصلها البناء لأنها بمنزلة الذي و(مَن) من الموصولات إلا أنها أعربت حملا على كلٍّ أو بعض، فإذا وصلت بجملة تامّة بقيت على الإعراب، وإذا حذف العائد بنيت لمخالفتها بقية الموصولات، فرجعت إلى حقها[3] من البناء لخروجها عن نظائرها وموضعها نصب بنزع].

قوله : ((وعن معاذ الهراء[4] ، قال الأنباري : هو أبو مسلم معاذ الهراء من موالي محمد بن كعب القرظي، أخذ عنه الكسائي، وأخذ عن الكسائي، ونسب الزجاج[5] هذه

---

(١) الزجاج ٣/٣٣٩.

(٢) أبو البقاء ٢/١١٥.

(٣) في م (أصلها) بدل حقها. وفي أبي البقاء (إلى حقها) كما في باقي النسخ.

(٤) معاذ الهراء أبو مسلم أديب معمّر، له شعر من أهل لكوفة، عرف بالهراء لبيعه الثياب الهروية، ولد سنة ١٨٧ . الأعلام ٧/٢٥٨ ووفيات الأعيان ٢/٩٩.

(٥) الزجاج ٣/٣٣٩.

القراءة إلى هرون[1] الأعور، ونقله عن سيبويه، قال أبو البقاء[2] : [﴿ أيهم أشد ﴾ يقرأ بالنصب شاذاً[3] والعامل فيه : ﴿ لننزعن ﴾ وهي بمعنى الذي].

قوله : ((فإن تعلقهما بالمصدرين لا سبيل إليه)) لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه.

قوله : ((هما للبيان))[4] لقوله تعالى : ﴿ للرؤيا تعبرون ﴾ كأن سائلاً سأل من عتوا قيل : ﴿ على الرحمن ﴾ وبأي شيء صليهم قيل النار.

قوله : ((فإن أريد الجنس كله))[5] يجوز أن يكون تفريعاً على الوجهين وتفصيلاً لكلٍ من القولين، إما على الالتفات، فالمراد بالإنسان هو الذي ذكر عنه قوله : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما متّ لسوف أخرج حيا ﴾ وهو على ما فسّر، يجوز أن يراد به الجنس، وأن يراد به بعض الجنس وهم الكفرة، والألتفات لازم لما ذكر بُعيد هذا من قوله : ((وإن أريد الكفار خاصة)) وإما أن يراد به ابتداء كلام ولا التفات فيه، ولا يلتفت إلى الإنسان المذكور من قبل، فالمخاطبون كل من يصلح أن يخاطب لعظم الخطْب، ولذلك عدل من الإنسان إلى الناس، فالفاء في قوله : فإن أريد الجنس تفصيلية . قال صاحب الانتصاف[6] : [احتمال الالتفات مفرعٌ على إرادة العموم من الأول حتى يتحد المخاطبون، إلا أنهم ذُكروا أوّلا بلفظ غيبة، وثانيا بلفظ حضور، وإن أردنا بالأول الخصوص لم يكن التفاتاً بل عدولاً إلى خطاب العامة عن خطاب الخاصة المعينين، غير مسلّم، لأنه التفت فيه . قلت : قوله ((وإن أردنا بالأول الخصوص لم يكن التفاتاً غير

---

(1) هارون الأعور بن موسى العتكي البصري، أزدي بالولاء، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم أبي النجود . مات قبل المئتين . غاية النهاية ٣٧٦٣.

(2) أبو البقاء ١١٥/٢.

(3) ذكرت هذه القراءة في شواذ القرآن ٨٦ قال : ﴿ أيّهم أشد ﴾ بفتح الياء، معاذ بن مسلم الهراء، أستاذ الفراء، وطلحة بن مصرّف.

(4) يعني الباء من قوله : ﴿ بالذين هم ﴾ و(على) من قوله : ﴿ على الرحمن ﴾.

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ﴾ قال (ز) في قوله : ﴿ وإن منكم ﴾ التفات إلى الإنسان، أو خطاب للناس من غير التفات ((فإن أريد الجنس كله)).

(6) مع الكشاف ٣٤/٣.

مسلم)) لأنه التفت فيه عن جماعة غائبين إلى الخطاب لهم. وأما العدول إلى خطاب العامة عن خطاب الخاصة فليس بمختصّ بمعين، بل هو مطلق، لأن ﴿ وإن منكم ﴾ حينئذ ابتداء كلام . وأما بيان الترتيب فإنه تعالى لما حكى عن جنس الإنسان أنه قال : ﴿ أئذا ما متّ لسوف أخرج حيا ﴾ ثم أنكر عليه بقوله : ﴿ أولا يذكر الإنسان ... الآية ﴾ في أنه يعاند ولا يلتفت إلى البرهان القاهر، ولا يذكر خِلْقته من قبل، ووضع المظهر وهو الإنسان موضع المضمر ليؤذن بحقارته ودناءته وأن إعادة مثله لا يؤبأ بها، ولهذا صرّح بقوله : ﴿ ولم يك شيئاً ﴾ ثم أقسم على تحقيق الإعادة بقوله : ﴿ فوربك لنحشرنهم ﴾ وأكده وفصله أتى[1] بقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها مخاطباً للإنسان بعد الحكاية عنه، اعتناء بشأن الإعادة وتقريراً لتحقيق ما أقسم عليه، وأن لا بدّ من إبرار القسم ولا غنى عنه، ثم أردفه بقوله : ﴿ كان على ربك حتما مقضيا ﴾ تتميماً لمعنى القسم . ويمكن أن يحمل على هذا تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه بتحلة القسم في قوله : (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم. أخرجه البخاري ومسلم ومالك والترمذي عن أبي هريرة [2] . النهاية[3] : [أراد بتحلّة القسم ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ كما يقال : ضربته تحليلاً إذا لم تبالغ في ضربه، وهو مثل في القليل المفرط[4] ، وهو أن يباشر من الفعل الذي يقسم عليه المقدار الذي يُبرُّ به قسمه.

---

(1) (أتى) س من م.

(2) أخرجه البخاري مع الفتح ٥٤١/١١ كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ برقم ٦٦٥٦ كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأيضاً في الجنائز برقم ١٢٥١ . ومسلم ٢٠٢٨/٤ كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه برقم ٢٦٣٢ . والترمذي ٣٧٤/٣ كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً برقم ١٠٦٠ . و مالك في الموطأ ٢٣٥/١ كتاب الجنائز، باب الحسبة في المصيبة برقم ٣٨.

(3) النهاية ٤٢٩/١ مادة (حلل).

(4) المفرط (في القلة) ما بين القوسين في م ، ب وهو الصواب.

قوله : ((وهي جامدة))[1] وروي جامدة، أي : باردة أو ساكنة لا تعمل . الأساس[2] : [رجل جامد الكف بخيل، وهو جامد العين، ولا زلت أضربه حتى جمد] . الجوهري[3] : [جمد الماء يجمُد جَمْداً وجموداً أي : قام، وكذلك الدم وغيره إذا يبس].

قوله : ((إهالة))[5] الأساس[6] : [هو الودك وكل من الأدهان يؤتدم به كالزيت والخلا بالخاء المهملة].

قوله : ((دواية)) الأساس[7] : [يقال : ما على لبّتك دواية، وهي جلدة تعلوا المرق والماء الراكد] شبّه النار وحرارتها بالنسبة إلى المؤمنين بحرارة الإهالة والدواية مع دسمها ونعومتها ليشير إلى السلامة المقرونة بالنعومة، فإن الجمود وإن دلّ على السلامة لكن لم يعلم منه النعومة فكلمة (بها) كقوله تعالى : ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾[8] فإنه لو اقتصر على كونها سلاماً لم يعلم معنى البرودة، وهو الإيناس بها.

قوله : ((حتى أن للنار ضجيجاً من بردها)) روينا في مسند أحمد بن حنبل[9] عن أبي سمية، فقد اختلفنا في الورود، فمن قائل : لا يدخلها مؤمن، ومنهم من يقول : يدخلونها جميعاً ﴿ ثم ينجي الله الذين اتقوا ﴾ فسألنا جابراً عن ذلك، فأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال : صُمّتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الورود الدخول لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى إن لجهنم ضجيجاً من بردهم ﴿ ثم ينجي الله الذين اتقوا ونذروا

---

(١) يعني أن النار يوردها المؤمنون ((وهي جامدة)) وتنهار بغيرهم.

(٢) الأساس ٩٨ مادة (جمد)

(٣) الجوهري ٤٥٩/٢ مادة (جمد).

(٥) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يَرِدُونها كأنها ((إهالة)) وروى ((دواية)).

(٦) الأساس ٢٥-٢٦ مادة (أهل).

(٧) الأساس ١٩٩ مادة (دوى).

(٨) سورة الأنبياء الآية ٦٩.

(٩) المسند ٣٢٩/٣.

الظالمين فيها جثيا ﴾. قال محيي السنة [1] : [وفي الحديث تقول النار للمؤمن[2] : (جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي)].

قوله : ((الحمّى من فيح جهنم)) وتمامه : فأبردوها بالماء . أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها[3]. النهاية[4] : [الفيح سطوع الحرّ وفورانه].

قوله : ((قرئ ﴿ ننجي ﴾[5])) بالتخفيف الكسائي والباقون بالتشديد، والقراءتان شاذتان[6] .

قوله : ((فمعنى ﴿ ثم ننجّي الذي اتقوا ﴾ أن المتقين يساقون إلى الجنة، عقيب ورود الكفار)) يعني : إذا جعل الورود للكفار خاصة، ينبغي أن يفسّر (ننجي) بالسَّوق ليتقابلا لقوله تعالى : ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ﴾[7] وقوله : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ﴾[8] وعلى الأول قوله : ﴿ ننجي الذين اتقوا ﴾ مقابل لقوله : ﴿ ونذروا الظالمين فيها جثيا ﴾ لأنها برمّتها بمعنى الهلاك . فإن قلت : إذا كانت الآية من

---

(١٠) محي السنة البغوي في تفسيره ٥/٢٤٩.

(٢) الحديث رواه أبو نعيم في الحلية ٩/٣٢٩ . والخطيب في تاريخ بغداد ٥/١٩٤، ٩/٢٣٣ وفي سنده سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح ١٠/١٧٤ كتاب لطب، باب الحمى من فيح جهنم برقم ٥٧٢٢ . ومسلم ٤/١٧٣١ كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما برقم ٢٢٠٩ وعائشة برقم ٢٢١٠ . والترمذي ٤/٣٥٣ كتاب الطب، باب ما جاء في تبريد الحمى بالماء برقم ٢٠٤٧.

(٤) النهاية ٣/٤٨٤ مادة (فيح).

(٥) قرأ ﴿ ننجي الذين ﴾ بالتخفيف من أنجى الكسائي ويعقوب، والباقون بالتشديد من نجيت . الإتحاف ٣٠٠ . والسبعة لابن مجاهد ٤١١.

(٦) قوله : (القراءتان شاذتان) ليس بصحيح، وإنما هما سبعيتان، كما بينا. إلا إذا كان يقصد (ثَم) بفتح الثاء ابن عباس والجحدري وابن أبي ليلى، و(ثَمّه) ابن أبي ليلى أيضا، وهاتان القراءتان شاذتان قطعا . شواذ القرآن لابن خالويه ٨٦.

(٧) سورة الزمر الآية ٧١.

(٨) سورة الزمر الآية ٧٣.

التقابل[1] فلم خولف بين قوله : ﴿ الذين اتقوا ﴾ وقوله : ﴿ الظالمين ﴾ ؟. قلت : ليؤذن بترجيح جانب الرحمة، وبأن التوحيد هو المنجي، والإشراك هو المردي، فكأنه قيل : ثم ننّجي من وجد منه تقوى ما هو إلا احتراز من الشرك، ونُهلك من اتّصف بالظلم، أي : بالشرك، ويثبت عليه قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾[2] أي : الذين وجدتم منهم الظلم، ولم يقل : الظالمين، وفي إيقاع (نذر) مقابلاً لقوله (ننجي) اللطيفة أيضاً . قال الراغب[3] : [يقال : فلان يذر الشيء أي : يقذفه لقلة اعتداده به ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾[4] والوذرة قطعة من اللحم، وسميت به لقلة الإعتداد بها نحو قولهم فيما لا يعتدّ به : هو لحم على وضم[5] . فإن قلت : إن يراد عنكم ضمير[6] جنس الإنسان رواية ودراية . أما الرواية : فكما سبق، وأما الدراية فإن (ننجي) إذا ترك على ظاهره ليقع مقابلاً لنذر كما سبق، ويكونان كالتفصيل لقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ على إرادة الجنس، كان أحسن من التأويل وفقدان التفصيل . فإن قلت : موقع (ثم) في قولِهِ : ﴿ ثم ننجي ﴾ على ذلك الوجه أحسن، لأنها حينئذٍ لبيان التفاوت بين ورود الكافرين النار وسوق المتقين إلى الجنة، وأن أحدهما للإهانة، والآخر للكرامة . قلت : وعلى هذا الوجه ينبني على التفاوت بين فعل الخلق، وهو ورودهم النار، وفعل الحقّ سبحانه وهو النجاة والدمار زماناً ورتبة.

---

(١) التقابل، هو المقابلة، وهي ذكر الشي مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها . انظر كتاب ابن القيم الفوائد المشرق إلى علوم القرآن . وعلم البيان ١٤٧ . وقال الطيبي في كتابه التبيان : هي أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما ٣٤٦.

(٢) سورة هود الآية ١١٣.

(٣) الراغب ٥١٨ مادة (وذر).

(٤) سورة الأعراف الآية ٧٠.

(٥) (الوضم) يقال : أوضمت اللحم جعلت له وضما، وهو كل ما وقي به من الأرض من خشبة أو خصفة. الأساس للزمخشري ٦٨٠ مادة (وضم).

(٦) في م : إن يراد بمنكم ضمير، بدل عنكم.

قوله : ((دليل على أن المراد بالورود الجثوّ حواليها)) يعني سبق أن المراد بالجثو إما الدخول أو الجواز على الصراط أو القرب والدنوّ من جهنم أو الجثوّ حولها، والذي يدل على ظهور الوجه الأخير قوله : ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ لما قلنا : إن (ننجي) و (ونذر) تفصيل لقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ فإذا قيل : ﴿ ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ بمعنى نتركهم على ما كانوا عليه، علم أن حال المتقين بخلافه، فيلزم اشتراكهم في الجثوّ . ولا بدّ على هذا الوجه من تقدير مضاف، أي : نذر الظالمين في حول جهنم جثياً، ويؤيده أيضاً قوله : ﴿ ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾.

قوله : ((أو ظاهرات الإعجاز))[1] عطف على قوله : ((مرتلات الألفاظ)) وعلى الأول : ﴿ بينات ﴾ من بان الشيء عن الشيء انفصل وانقطع، وعلى الثاني من بان الشيء بياناً ظهر. الأساس[2] : [بان الشيء عنه بيناً وبينونة وباينة مباينه] فقوله : ((مرتّلات الألفاظ)) اعتبارها بحسب الفصاحة. وقوله : ((ملخصات المعاني)) بالنظر إلى البلاغة . وقوله : ((مبينات المقاصد)) بالنسبة إلى الأصول والفروع، لأن المعنى إما نصّ ملخّص، فهو المحكمات، وإما مؤول مبين مقاصده فهو المتشابهات التي تبعها البيان، إما بالقرآن أو بالسنة. والسنة إما قول الرسول صلى ا لله عليه وسلم أو فعله أو تقريره.

قوله : ((والوجه أن تكون حالاً مؤكدة)) يعني : (بينات) يحتمل أن تكون حالاً منتقلة من آياتنا، وأن تكون مؤكدة لمضمون الجملة . والوجه الثاني أوجه وإن لم تكن الجملة عقدها من اسمين، لأن المعنى عليه كقوله تعالى : ﴿ شهد ا لله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ﴾[3] وإما بيان النظم، فإنه تعالى لما حكى عن المشركين طعنهم في البعث والحشر بقوله : ﴿ ويقول الإنسان

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ﴾ مريم الآية ٧٣. تفسير قوله تعالى : ﴿ بينات ﴾.

(٢) الأساس ٥٨ مادة (بين)

(٣) سورة آل عمران الآية ١٨.

إئذا ما متّ لسوف أخرج حياً ﴾[1] وأجابهم ذلك الجواب العتيد، شرع في طعنهم في القرآن المجيد. وقال : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا ... الآية ﴾.

قوله : ((ينتدون))[2] الأساس[3] : [وانتدوا وتنادوا تجالسوا] الراغب[4] : [النداء رفع الصوت وظهوره، وقد يقال للصوت المجرد، كقوله تعالى : ﴿ كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءا ونداءً ﴾[5] أي : لا يعرف، أي : الصوت المجرّد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام، ويقال للمركب الذي يفهم منه المعنى ذلك كقوله تعالى : ﴿ وإذ نادى ربك موسى ﴾[6] وقوله : ﴿ وإذا ناديتم إلى الصلاة ﴾[7] أي : دعوتم. ونداء الصلاة مخصوص بالألفاظ المعروفة، وأصل النداء من الندى أي : الرطوبة، يقال : صوت ندي رفيع . واستعارة النداء للصوت من حيث إنه يكْثر رطوبة فمه، حسُنُ كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق، يقال : ندىً وأنداء وأندية، ويسمى الشجر ندى لكونه منه، وعبّر عن المجالسة بالنداء حتى قيل للمجلس: النادي والمنتدى والنُّدِيّ، وقيل ذلك للجليس قال تعالى : ﴿ فليدع ناديه﴾[8] ومنه سُمِّيت دار الندوة بمكة، وهو مكان يجتمعون فيه، ويعبّر عن السخاء بالندى، فيقال : أندى كفّاً، من فلان ويتندّى على أصحابه، أي : يتسخّى، وما نديتُ بشيء من فلان، أي : ما نلت منه ندى].

---

(١) سورة مريم الآية ٦٦.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ نديا ﴾

(٣) الأساس ٦٢٦ مادة (ندى).

(٤) الراغب ٤٨٦ مادة (ندا)

(٥) سورة البقرة الآية ١٧١.

(٦) سورة الشعراء الاية ١٠.

(٧) سورة المائدة الآية ٥٨.

(٨) سورة العلق الآية ١٧.

وإبدال وحذف. قال ابن جني[1] : [قرأ طلحة : ﴿ وريا ﴾ خفيفة بلا همز، وقرأ : ﴿ وزِيّا ﴾ بالزاي سعيد بن جبير، والنظر من ذلك في ﴿ ورِيّاً ﴾ وهو في الأصل فِعُلٌ بكسر الفاء وضم العين من رأيت، فأصله رئيا كرِعْيا على قراءة أبي عمرو وغيره، أريد تخفيف الهمز فأبدلت الهمزة ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم أدغمت الياء المبدلة من الهمزة في الياء الثانية التي هي لام الفعل، فصارت ﴿ رِيّاً ﴾ . ويجوز أن يكون من رويت، قال أبو علي : لأن للريان نضارة وحسناً . وأما ﴿ ريا ﴾ مخفّفة غير مهموزة فتحتمل أمرين . أحدهما : أن تكون مقلوبة من فِعْلٍ إلى فِلْعٍ، فصارت في التقدير : ﴿ ريئياً ﴾ ثم خفف فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على الياء فصارت ﴿ ريّا ﴾ . وثانيهما : أن يكون ﴿ ريا ﴾ من رويت، ثم خفّفت بحذف إحدى اليائين، وينبغي أن تكون المحذوفة الياء الثانية لأنها هي المكررة، وبها وقع الاستثقال، ولأنها لام وقد كثر حذف اللام حرف[2] علة كمائة ورئة وفِئَة . وأما (الزِّيُّ) بالزاي فَفِعل من زَوَيتُ، وذلك أنه لا يقال لمن له شيء واحد من آلته زيٌّ حتى تكثر آلته المستحسنة، فهي إذا من فزويت، أي : جمعت من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (زُوِيَت لي الأرض) أي : جمعت فأصلها زِوْى بكسر الزاي وسكون الواو، فقلبت على ما مضى، وأدغمت في الياء].

قوله : ((﴿ أولم نعمركم ما يتذكر ﴾[3] أي عمّرناكم العمر الذي يتذكر فيه من يتصدى للتذكير . قال مجاهد : هو العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم . روينا في صحيح البخاري[4] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أعذر الله إلى امرئ

---

(١) المحتسب لابن جني ٢/٤٣-٤٤ بتصرف.

(٢) اللام (لأنها) حرف ما بين القوسين في م. وهو الصواب.

(٣) سورة فاطر الآية ٣٧.

تفسير قوله تعالى : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ﴾ الآية ٧٥.

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ١١/٢٣٨ كتاب الرقائق، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله تعالى : ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴾ الآية برقم ٦٤١٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخّر أجله حتى بلغه ستين سنة) النهاية[1] : [أعذر الله إلى امرئ، أي : لم يبق فيه موضعاً للاعتذار، حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر، يقال : أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العذر].

قوله : ((أو كقوله)) عطف من حيث المعنى على قوله : ((ليقطع معاذير الضال)) أي : أخرج على لفظ الأمر ليقطع معاذير الضالّ كقوله : ﴿ أولم نعمركم ﴾ أو ليكون مبالغة في إرادة ازدياد الضلالة كقوله تعالى : ﴿ إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ﴾[2] أي : ما نملي لهم إلا لهذا.

قوله : ((أو ﴿ من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ﴾ في معنى الدعاء . وفي بعض النسخ فمد له الرحمن في معنى الدعاء، هو عطف على قوله : ((مدّ له الرحمن)) فإن قلت : الآمر والداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة قوله : ﴿ قل من كان في الضلالة ﴾ فعلى التقديرين دعاء لا أمر. قلت :كل من الأمر والدعاء يقتضي الإنشاء، وأن لا يكون المطلوب حاصلاً لكن الدعاء طلب ما يتوقع حصوله، والأمر طلب الإيجاد على الفور، وهو أقرب إلى التحقيق، وتقديره : قل لهم : قولي لك فليمدد له الرحمن . وفيه معنى التجريد لأنه تعالى أمر به نفسه على سبيل الغيبة، وفي تخصيص ذكر الرحمن تتميم وتربية بمعنى الاستدراج والإمهال كقوله تعالى : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . وأملي لهم إن كيدي متين ﴾[3] فلمّا أريد في الوجه الأول الإخبار عن الحصول قطعاً قال : اخرج على لفظ الأمر، ولهذا صرّح بالماضي حيث قال : أي : مَدّ له الرحمن، وفائدته : تصوير تلك الحالة الماضية، وعدم انقطاعها وقتاً فوقتا، وأتى في الثاني بالمضارع، وهو أن يمهله الله تعالى.

---

(١) النهاية ١٩٦/٣ مادة (عذر).

(٢) سورة آل عمران الآية ١٧٨.

(٣) سورة القلم الآية ٤٤-٤٥.

قوله : ((وينفس في مدة حياته))[1] الأساس : [ومن المجاز وأنت في نفس من أمرك في سعة . وتنفّس النهار طال، وتنفّس به العمر وبلّغك ا لله أنفس الأعمار].

قوله : ((في هذه الآية، أي : قوله : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون ﴾ قوله : ((الآية التي هي رابعتها))، أي : بالآية التي هذه الآية رابعة تلك الآية وهي قوله : ﴿ وإذا تتلى عليهم ﴾ قوله : والآيتان ﴿ كم أهلكنا ﴾ ﴿ وقل من كان ﴾ . وأما بيان وجه الاعتراض فهو أن مضمون الآيتين الإنكار على الكفرة في أنهم حين تتلى عليهم آيات ا لله ليهتدوا بها للإيمان يفتخرون بالحظوظ الدنيوية ويرجحونها على السعادة الأخروية، فأكد هذا المعنى بقوله : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم ... إلى قوله : ﴿ فليمدد له ﴾ وظهر من هذا أن حمل قوله : ﴿ فليمدد ﴾ على الأمر للاستمرار أولى من الدعاء، وتصريح قل لبيان الاهتمام وأن سنّة ا لله جارية على هذا، وأما إذا اتصل (حتى)[2] بقوله : ﴿ من كان في الضلالة فليمدد ﴾ فيكون قوله : ﴿ قل من كان في الضلالة ﴾ أمر بالجواب عن قولهم : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ﴾ معنى أنكم تفتخرون على الفقراء بما نلتم من الحظوظ الدنيوية وتزعمون أنها كرامة من ا لله، وما تدرون أن ذلك استدراج وإملاء وإمهال، فتزدادوا بها إثما فيأخذكم عذاب الاستئصال في الدنيا وعذاب النار في العقبى، فيكون قوله : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئياً ﴾ معترضة، وإنما لم يقل : خير أثاثاً كما قيل في الفواصل الثلاث اللاتي هذه الجملة معترضة فيها، لأن ما عليه المشركون شرٌّ كلُّه، ولا يليق بمظاهر حالهم إلا أن يقال : (أحسن) وإنما أتى في الفاصلة الأخيرة بالخير للمشاكلة ومطابقة الجواب على السؤال[3] ولو حمل ﴿ فليمدد ﴾ في هذا الوجه على الدعاء لكان له وجه.

قوله : ((لا ينفكّون)) حال من ضمير الفاعل في قالوا.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ﴾ قال (ز) : في معنى الدعاء : بأن يمهله ا لله ((وينفس في مدة حياته)).

(٢) ما بين القوسين س من ب.

(٣) الجواب (للسؤال) في ب بدل (على).

قوله : ((لأن مقامهم هو مكانهم)) تعليل لمعلل مقدر، يعني : ذكرت أن هذه الآية مقابلة لتلك وقد ذكر هناك ﴿ خير مقاماً ﴾ وفسّرته بقولك : أي الفريقين أوفر حظّاً من الدنيا، والمذكور هنا شرٌّ مكاناً، وذكر هناك : ﴿ وأحسن نديا ﴾ والندي المجلس ومجتمع القوم، وههنا أضعف جنداً فأين التقابل، أجاب : وإنما كانا متقابلين، وكذلك ﴿ جنداً ﴾ مقابل لقوله : ﴿ نديا ﴾ لكن من حيث التصريح والكناية، فإن الجند هم الأنصار والأعوان، والنديّ المجلس عُبِّر به عن وجوه الناس، والأعوان كما يقال : لمجلس العالي عزت أنصار دولته فحصل التقابل.

قوله : ((﴿ مدّاً ﴾)) ويمدّ له الرحمن، هذا الاختلاف مبني على اختلاف التفسيرين هناك، فإذا كان ﴿ فليمدد ﴾ بمعنى الأمر على التأويل الاخبار عن الماضي يقدر مد ويعطف عليه يزيد [وإذا كان بمعنى الدعاء يقدر يمد مضارعاً ويعطف عليه يزيد](١) ومن ثم قدره هناك بأن يمهله الله وينفس في مدة حياته، وفي قوله معطوف على موضع ﴿ فليمدد ﴾ بحثٌ، لأن المعطوف على جزاء الشرط ينبغي أن يصلح جزاء له. ولو قلت : من كان في الضلالة يزيد الله الذين اهتدوا هدى، لا يستقيم إذا لا عائد فيه ولا رابطة معنوية . قيل : الجواب أن الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد كما ذكره صاحب المفتاح، فقوله : فليمدد في معنى يمدّ أو مدّ له، والشرط كالقيد، والعطف لا يقتضي الاشتراك في جميع القيود، فكأنه قال : مدّ الرحمن مداً لمن كان في الضلالة ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾، وأقول إنما صح العطف، لأن قوله : ﴿ الذين اهتدوا ﴾ حكاية أعدائهم، فكأنه قال : من كان في الضلالة فيزيد الله ضلالته، ويزيد هداية أعدائهم من المؤمنين تشويراً لهم وغيظاً، لأن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم، فكان داخلاً في جملة التنكيل بهم، فوضع الظاهر موضع المضمر. وقال القاضي(٢) : [﴿ ويزيد

(١) ما بين القوسين س من م.

(٢) القاضي البيضاوي ٤/١٤.

ا لله ﴾[1] عطف على الشرطية المحكية بعد القول، كأنه لما بيّن أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله، أراد أن يبيّن أن قصور حظّ المؤمن منها ليس لنقصه، بل لأن ا لله تعالى أراد به ما هو خير] وقلت وا لله أعلم : قد سبق أن قوله : ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً ﴾ أمر للرسول صلى ا لله عليه وسلم، بأن يجيب عن قول المعاندين الذين إذا تليت عليهم آيات ا لله قالوا للذين آمنوا : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ﴾ فالواجب على المجيب أن يراعي المطابقة في الجواب، ويذكر الفريقين أيضاً أصالة لا استطرادا، كما عليه كلام القاضي، فكأنه قيل : من كان في الضلالة من الفريقين فليمهله ا لله وينفس في مدة حياته ليزيد في الغيّ ويجمع ا لله له عذاب الدارين، ومن كان في الهداية يزيد ا لله هدايته فيجمع له خير الدارين، والجواب من الأسلوب الحكيم، وفيه معنى قول حسّان :

** أتهجوه ولست له بكفء ** فشركما لخيركما فداء **

في الدعاء والإحتراز عن المواجهة.

قوله : ((** وهل يرد بكائي زنداً ... أوله :

** ما إن جزعت ولا هلعـ ** ـت وهل يَرُدّ بُكاي زنداً **[2]

الزند مثل في القلة . مضى شرحه في سورة الرعد[3] .

قوله : ((كأن لمفاخراتهم ثواباً)) والمراد بالمفاخرات قولهم : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً ﴾ وتفسير ما سبق، أي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين أوفر حظاً من الدنيا . ويروى : أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون، هذا التفسير يعضد ما ذهبنا إليه أن قوله : ﴿ قل من كان في الضلالة ﴾ أمر بالجواب عن قولهم : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ﴾.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ويزيد ا لله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات ... الآية ﴾.

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب . انظر شواهد الإنصاف ٣٨/٣.

(٣) سورة الرعد الآية ٢٠ .

قوله : ((** فأعتبوا بالصيلم ** أوله :

** غضبت تميم أن يقتل عامر ** يوم النسار فأعتبوا بالصيلم **[1]

مضى شرحه في البقرة[2] .

قوله : ((** شجعاء جرتها الذميل ... البيت[3]

شجعاء من الشجاعة بالسجع في الإبل سرعة نقل الأقدام . يقال : ناقة شجعة، والجِرَّةُ بالكسر ما تَجْتَرّه الإبل من أجوافها من العلف، والذميل ضرب من السير، واللوك مضغ الشيء، إذا راح، أي : دخل في الرواح، وهو من زوال الشمس إلى الليل، وغراثا أي : جياعاً من السير، تقول : تسير هذه الناقة الشجعاء لمفازة فسيرها لها بمثابة الاجترار لغيرها إذا كان سائر المطايا لا تسير، ومثله في المعنى قول أبي تمام :

** وركب يساقون الركاب زجاجة ** من السير لم يقصد لها كفّ قاطب **

جعل الشاعر بالادعاء أفراد جنس الجرّة قسمين، متعارف هو ما تفعله الإبل عند إخراج العلف، وغير متعارف وهو السير، وكنّى عنه بأحد قسميه وهو الذميل . والبيت إنما استشهد به لهذا المعنى فقط.

قوله : ((هذا من وجيز كلامهم)) أي : في الكلام حذف وإضمار ومن الأمثلة العسل أحلى من الخلّ، وحاصل الجوابين أنه سأل أوّلا عن الإشتراك في الثواب، وأجاب أنه من باب التهكم على وجه لزم منه وجه التفصيل، ثم سأل ثانياً عن وجه التفصيل، وأجاب بوجه (عام)[4] غير ما لزم أولا، أي : ثواب المؤمنين أبلغ في بابه من عقابهم في بابه، فلا يكون السؤال الثاني مستدركاً . قال صاحب الفرائد : هذا بعيد عن الطبع والإستعمال، ولم أظفر في تراكيبهم بما يفيد هذا المعنى، ولم يذكر ما يكون دليلاً على تحقيقه في كلامهم، ثم إنه أراد بما قال : إن الأعمال الصالحة في ثوابها خير من مفاخرتهم في ثوابها، وهو النار، ويمكن أن يقال : المراد ثواب الأعمال الصالحة في الآخرة خير من

---

(١) البيت لبشر بن أبي حاتم الأسدي . انظر شواهد الإنتصاف ١٠٥/١.

(٢) البقرة الآية ٢٥.

(٣) ** شَجْعاءُ جِرَّتُها الذّميل تلوكُه ** أصلاً إذا راحَ الْمطِيُّ غِراثا **

انظر مشاهد الانصاف ٣٨/٣.

(٤) ما بين القوسين س من ب ، م .

ثوابهم في الدنيا، وهو ما حصل لهم منها من الخير بزعمهم،ومما أوتوا من المال والجاه والمنافع الحاصلة منهما . وقال صاحب التقريب : وفي قول المصنف نظر، إذ يؤل إلى أن ثوابهم في بابه أبلغ من عقابهم في بابه، وهو غير محقّق ولا مناسب للتهديد، بل الأولى أن تجرى الخيرية أيضاً على التهكم، كما ذكر في الثواب، كأنه قال : ثوابهم النار، وهو ثواب حسن علىالتهكم . وهذا أحسن منه وخير، والجواب عن قوله : ولم أظفر في تراكيبهم ما يفيد هذا المعنى، هو أن الزجاج[1] ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ أذالك خير نزلا أم جنة الخلد التي وعد المتقون ﴾[2] [إن قال قائل : كيف يقال الجنة خير أم النار ؟. وليس في النار خير البتة. فيقال : إنما وقع التفضيل فيما دخل فى صنف واحد، فالجنة والنار قد دخلا في باب المنازل في صنف واحد، فلذلك قيل : ﴿ أذلك خير أم جنة الخلد﴾ كما قال : ﴿ خير مستقراً وأحسن مقيلا ﴾] وقلت : [والذي يقتضيه النظم أن قوله : ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً ﴾ تتميم لمعنى قوله : ﴿ ويزيد ا لله الذين اهتدوا هدى ﴾ ومشتمل على تسلية قلوب المؤمنين مما عسى أن يختلج فيها من مفاخرة الكفرة شيء، كما أن قوله : ﴿ حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شرّ مكاناً وأضعف جنداً ﴾ تتميم لوعيدهم، وكلاهما من تتمة الأمر بالجواب عن قولهم : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا ﴾ كما قررنا يدل عليه قول المصنف ههنا قوله : ((كأن لمفاخرهم شركاء فيه)) وتفسير المفاخرة هو ما قال : ﴿ أي الفريقين ﴾ أو فر حظاً من الدنيا . وقال : يدّعون أنهم أكرم على ا لله منهم، وتحقيقه أن الكفرة لما بنوا الخيرية في قولهم : ﴿ أي الفريقين خير مقاماً ﴾ على زعم المؤمنين جيء في الجواب بما يردّ ذلك على طريق المشاكلة، واطباق الجواب على السؤال، فقيل : ﴿ خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾ ولا يخلو من شائبة الوعيد والتهكم بهم.

---

(١) الزجاج ٤/٦٠.

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٤.

قوله : ((استعملوا (أرأيت) في معنى أخبر))[1] قال صاحب الفرائد : ذكر أهل التفسير هذا المعنى، أعني إقامة (أرأيت) مقام أخبرني، ولا بدّ فيه من ملاحظة معنوية بينهما، بحيث ينتقل الذهن في المعنى المذكور إلى المراد، ولا شكّ أن الذهن ينتقل من معنى (أرأيت) إلى معنى علمت وينتقل أيضاً إلى معنى طلب الرؤية، لأن أرأيت سؤال عن الرؤية في الماضي من الزمان، فإن لم تكن الرؤية حاصلة في الماضي كان هذا السؤال باعثا له على تحصيلها في المستقبل منه، كأنه قيل: وإن لم تره فره لتعجبه[2] من حاله هذا في الظاهر أقرب . وقلت : مآل كلام المصنف يعود إلى التعجب، لأن طلب ا لله الإخبار، وهو عالم الغيب والشهادة، يعود إلى أن هاتين القضيتين مما لا ينبغي أن يتركا، والمعنى تعجب أيضاً من قضية هذا الكافر عقيب تعجبك من تلك القضية .

قوله : ((** لاقيت مُطَّلَع الجبال وُعورا **[3] [4] .. أوله :

** إني إذا مضَرٌ عليّ تحدّثَتْ **

الوعر، المكان الصلب، والجمع الوعور، مطلع الجبل مصعده ومرتقاه، وُعُوراً انتصب على الحال من (مطلع)، ويجوز أن يكون مفعولاً به . يقول : إذا مضر تحدّثت عليّ، أي : تقوّلوا في مالا أرضى به لقيت رؤس الجبال التي هي بمثابة الحصون.

قوله : ((وتألّى عليه)) أي : حلف، وهو مستفاد من قوله : ﴿ لأوتين مالاً ﴾ فإنه جواب قسم محذوف.

قوله : ((وقيل في العهد : كلمة الشهادة)) شروع في تفسير قوله : ﴿ أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ وتعداد الأقوال فيه، وسميت كلمة الشهادة عهداً لأنه تعالى وعد قائلها إخلاصاً ان يدخله الجنة البتة، فهو كالعهد الموثق الذي لا بد أن يوفى به.

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً ﴾.

(٢) (ليتعجب) في م ، ب .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ أطّلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ مريم الآية ٧٨.

(٤) البيت لجرير . شواهد الإنصاف ٣٩/٣.

قوله : ((والمشهور أنها في العاص بن وائل)) روينا عن الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي عن خباب بن الأرت[1] . قال : كنت (قينا)[2] في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد. فقال : لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث، فقال : إني لميت ثم مبعوث . قلت : نعم. قال : دعني حتى أموت وأبعث . فسأوتي مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت : ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال ...الآيات ﴾.

قوله : ((ولا حين تبعث)) أي : لا أكفر أبداً ما دمت حيّا ولا ميتا ولا في حال بعثك أيها الكافر وأنت معذب، يعني أُمن بثوابي بعد الموت وعقابك بعد البعث، يدّل عليه ذكره الموت والبعث.

قوله : ((﴿ كلا ﴾ ردع وتنبيه))[3] الراغب[4] : [﴿ كلاّ ﴾ ردع وزجر وإبطال لقول القائل، وذلك نقيض أي في الإثبات. قال تعالى : ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا ... إلى قوله : أم اتخذ عند الرحمن عهدا . كلاّ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

قوله : ((وهو كما قاله))[5] أي يكتب عند صدور القول منه من غير تأخير، والكاف لمقارنة الوجود . قال صاحب اللباب : تجيء الكاف لقران الوقوع، وفي

---

(1) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٢٩/١٠ كتاب التفسير، باب ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا ... الآية ﴾ برقم ٤٧٣٢ ورقم ٢٠٩١، ٢٢٧٥، ٢٤٢٥، ٤٧٣٣، ٤٧٣٤، ٤٧٣٥ . ومسلم في صحيحه ٢١٥٢/٤ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح ... الخ. برقم٢٧٩٥، ٣٦٣٥ . والترمذي كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم رقم ٣١٦٢ . والنسائي في تفسيره ٣٧/٢ برقم ٣٤٢ ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا ﴾ . وأحمد في مسنده ١١٠/٥، ١١١.

(2) القين : الحدّاد والصانع . انظر النهاية ١٣٥/٤.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّاً ﴾.

(4) الراغب ٤٤١ مادة (كلا).

(5) تفسير قوله تعالى : ﴿ سنكتب ﴾ قال (ز) : بسين التسويف، ((وهو كما قاله)) كتب من غير تأخير.

الحديث: (خير الناس رجلٌ ممسك بعنان فرسه كلما سمع هيعة[1] أو فزعة طار إليها) رواه النسائي عن أبي سعيد[2] .

قوله : ((** إذا ما انتسبنا لم تلدني لئمة ** [3] تمامه :

** ولم تجدى من أن يقرّي بها بُدّا **

[قيل : البدُّ العوض، الجوهري[4] : [لا بدّ من كذا، أي لا فراق منه] (لم تلدني) جواب إذا، وهو ليس في معنى الاستقبال، لأن الولادة كانت قبل . والمعنى على البيتين[5] ، يقول : إذا انتسبت علمت يا فلانة أني لست بابن لئيمة، وظهر لك ما تضطري به إلى الإقرار بذلك .قال : لم تلدني لئيمة، لأن الأمّ إذا كانت من الكرام فالأب أولى.

قوله : ((فجرد لمعنى الوعيد)) أي : ليشتمل التركيب على معنى إثبات العمل المؤدي إلى المجازاة، فجوّد لأحد المعنيين، كأنه قيل : كلا سننتقم منه وإن استأخر الزمان . وحاصل الجواب أن القصد في كتابة الأعمال إظهار ما فيها على العامل وإعلامها إياه ليُسرّ به أو يحزن، ثم مجازاته بمقتضاها إن خيراً فخير وإن شرا فشر. فالجواب الأول مبني على الأول، والثاني على الثاني.

قوله : ((أو نزيده من العذاب ويضاعف له من المدد)) فإن قلت : أليس هذا مخالف لما ذكر في البقرة : ﴿ ويمدهم في طغيانهم ﴾[6] أنه من مدّ الجيش وأمدّه إذا أزاده

---

(1) (الهيعة) الصوت الذي تفزع منه وتخافه من العدو . النهاية ٥/٢٨٨.

(2) أخرجه النسائي في تفسيره، ١/٦٣٦ برقم ٢٩٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ومسلم ٣/١٥٠٢ كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط برقم ١٨٨٩ . وابن ماجه كتاب الفتن، باب العزلة رقم ٣٩٧٧ بلفظ : (من خير معاش الناس لهم رجل ممسك ... الخ).

(3) قائله زائد بن صعصعة.

(4) الجوهري ٢/٤٤٥ مادة (بدّد)

(5) البيتين هما :

** رمتني عن قوس العدوّ وباعدت ** عبيدة زاد الله ما بيننا بعدا **

** إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ** ولم تجدي من أن تقرّى بها بدّا **

وقائلهما زائد بن صعصعة . شواهد الإنصاف ٣/٤٠.

(6) البقرة الآية ١٥.

إلى آخره، وليس من المدّ في العمر والإملاء، ولأن الذي بمعنى أمهله إنما هو مدّ له مع اللام، كأملي له . قلت : بلى وقد تقرر هناك ما هو عليه.

قوله : ((ويدّل عليه ﴿ ونمد له ﴾)) لأنه جاء أمددت الدواة بالمداد ومددتها بمعنى الزيادة.

قوله : ((ومعنى ﴿ ما يقول ﴾)) عطف على مسمّى ﴿ ما يقول ﴾ على سبيل البيان.

قوله : ((يكذبه)) وفي نسخة يكذّبه بالتشديد. الجوهري [1]: [أكذبت الرجل ألفيته كاذباً وكذّبته إذا قلت له : كَذَبْت. قال الكسائي : أكذبته إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه، وكذّبته إذا أخبرت أنه كاذب. وقال ثعلب : أكذبته وكذبته بمعنى].

قوله : ((أو لا ننسى قوله هذا)) هو عطف على قوله : ((نزوي عنه ما زعم)) أنه يناله، يريد أن معنى نؤته إما نزوي عنه . قال في الأساس[2] : [زوى المال وغيره اختاره . وزوى عنه حقّه . وزوى الرجل الميراث عن ورثته، عدل به عنهم، وقد انزويت عنا أي : انقبضت] أو نثبته ولا ننساه من قوله صلوات الله عليه وسلم : (واجعله الوارث منّا)[3] قال صاحب النهاية[4] : [أي : ابقهما أي السمع والبصر صحيحين سليمين] والقول الأول على وجهين. أحدهما : أن يروى عن القائل مسمّى ما قال، وهو ماله وولده حقيقة، فيحال بينه وبينهما في الآخرة، ويعطى من يستحقه . وثانيهما : يحتمل وجهين أيضاً . أن يُزوى عنه ماله وولده تقديراً، وهو كما إذا تمنى ذلك فيقال في حقه : هب أنا أعطيناه ما اشتهاه إما نزْوى عنه في العاقبة ما تمناه ويأتينا فرداً بلا مال وولد، وأن يحال بينه وبين قوله ذلك كما قال : إذا قبضناه حِلْنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا فردا عنه غير قائل له .ولما كان الوجه الأول هو الوجه، لِما سبق من حديث

---

(1) الجوهري ٢١٠/١ مادة (كذب).

(2) الأساس ٢٧٩ مادة (زوى) . قال : ومن المجاز زوى .... الخ.

(3) أخرجه الترمذي ٤٩٤/٥ كتاب الدعوات، باب ٨٠ برقم ٣٥٠٢ جزء من حديث طويل . والسنة للبغوي ١٧٤/٥ . والحاكم في المستدرك ٥٢٨/١ وسكت عليه الذهبي.

(4) النهاية ١٧٢/٥ مادة (ورث).

العاص بن وائل، قال في الوجهين الآخرين : ويحتمل قال أبو البقاء[1] : [في (ما) في (ما يقول) وجهين . أحدهما : هي بدل من الهاء، وهي بدل الاشتمال، أي : نرث قوله . والثاني : هو مفعول به، أي : نرث منه قوله.

قوله : ((﴿ فرداً ﴾)) على الوجه الأول حال مقدرة، وهو أن يراد بما (يقول) مسمى ما يقول وهو المال والولد، والمراد من الفردية الإنقطاع منهما في العاقبة بالكلية، ولا شك أن مثل هذه الفردية لا تحصل إلا للكافر، وإلا فالمؤمن والكافر سواء عند البعث في كونهما منفردين عن المال والولد، لقوله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾[2] ثم يتفاوتون بعد ذلك، فالمؤمن يلاقي أحبّته وأولاده وما اشتهاه . والكافر يحال بينه وبين ما يشتهيه وينفرد عنه أبداً . ومثل هذا الانفراد لا يحصل في بقية الوجوه.

قوله : ((لأنه وغيره سواء)) تعليل للشبه الحال المقدرة بقوله : ﴿ فادخلوها خالدين ﴾ في أن المراد منها خاتمة الأمر وعاقبته . وأما اتّصال قوله : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ﴾[3] بما قبله، فإنه عطف على ﴿ ويقول الإنسان ﴾ وسبق أن قوله : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا ﴾ عطف عليه حكى الله تعالى عنهم أولاً إنكارهم الحشر، ثم طعنهم في القرآن، والافتخار بالمال والولد، ثم إثبات الشريك لله تعالى.

قوله : ((زيداً مررت بغلامه))[4] أي جزت زيداً مررت بغلامه، كذلك ﴿ كلاّ ﴾ منصوب بفعل يدل عليه ﴿ سيكفرون ﴾ مناسب هذا المفعول، لأن المراد من ﴿ سيكفرون ﴾ إنكار الآلهة، وكل ما نسب المشركون إليها من الشفاعة والنصرة والإنقاذ من النار الدال عليه قوله : ﴿ ليكونوا لهم عزّا ﴾ فيقدر الناصب سيجحدون.

---

(1) أبو البقاء ٢/١١٧

(2) سورة الأنعام الآية ٩٤.

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّا ﴾ الآية ٨١ مريم.

(4) تفسير قوله : ﴿ كلا سيكفرون بعبادتهم ... الآية ﴾ قال (ز) : كقولك : ((زيد مررت بغلامه)).

قوله : ((في محتسب ابن جني))[1] [وفيه ﴿ كلا سيكفرون ﴾ قراءة ابن نهيك، وينبغي أن تكون مصدراً لقولك : كلّ السيف كلاً ومنصوب بفعل مضمر، فكأنه تعالى لّما قال : ﴿ واتخذو من دون ا لله آلهة ليكونوا لهم عزاً ﴾ قال ا لله رداً عليهم ﴿ كلاً ﴾ أي : كلّ هذا الاعتقاد كلاًّ، كما يقال : ضعفاً لهذا الرأي، ثم استأنف ﴿ سيكفرون ﴾ والوقف إذا على عزّا، ثم استأنف فقال : كلّ رأيهم كلاًّ، ثم وقف ثم قال : ﴿ سيكفرون ﴾.

قوله : ((كما في قوله ﴿ قواريرا ﴾ أي : قلب ألف إطلاقه نوناً، قال الشاعر [2]:

** أقلّي اللوم عاذلِ والعابن **

قوله : ((أي يكونون عليهم ضداً)) لما قصدوه وأرادوه، المعنى طلب العزة فانقلب ضدها وهو الذل، فيكون من الطباق[3] الطباق المقدر.

قوله : ((أو يكونون عليهم عوناً)) والعون ها هنا على التهكم[4] كما في قوله تعالى : ﴿ بئس الرفد المرفود ﴾[5] أي : بئس العون المعان، فيلزم التقابل [6] أيضاً لأن ضد المعين لا يكون إلا الخاذل المذل، قال القاضي[7] : [ومعنى كونهم ضداً أنها تكون معونة في عذابهم، بأن توقد بها نيرانهم].

---

(1) عزا الزمخشري هذه القراءة لابن جني في المحتسب . قال ابن جني : (ومن ذلك قراءة أبي نهيك (وهو علباء بن أحمر) : ﴿ كلاً سيكفرون ﴾ بفتح الكاف والتنوين ٢/٤٥.

(2) الشاعر : جرير بن عطية الخطفي . ديوانه ص ٨١٣ والأشموني ٣١/١ :

** أقلّي اللوم عاذلِ والعتابن ** وقولي إن أصبت لقد أصابن **

(3) الطباق : هو الجمع بين لفظين مُقابلين في المعنى، فيكون تقابل المعنيين ومخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة نحو ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ وقوله : ﴿ وإنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا ﴾ جواهر البلاغة ٢٦٦.

(4) (التهكم) الاستهزاء والسخرية . القاموس ١٩١/٤ مادة (التهكم).

(5) سورة هود الآية ٩٩.

(6) التقابل : هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله في سورة الضحى الآية ٥-١٠ ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ انظر جواهر البلاغة ٣٦٧

(7) القاضي البيضاوي ١٥/٤.

قوله : ((وكأن العون سُمي ضداً لأنه يضاد عدوك وينافيه)) الراغب[1] : [الضدان الشيئان اللذان تحت جنس واحد، وينافي كلّ منهما الآخر في أوصافه الخاصة، وبينهما أبعد البعد، كالسواد والبياض، والخير والشر، وما لم يكونا تحت جنس واحد، لا يقال لهما ضدان، كالحلاوة والحركة، وكثير من المتكلمين وأهل اللغة يقولون : الضدان ما لا يصح اجتماعهما في محلّ واحد . وقيل : ا لله تعالى لا ندّ له ولا ضد، لأن الندّ هو الاشتراك في الجوهر، والضد هو أن يَعتقِبَ الشيئان المتنافيان على جنس واحد، وا لله تعالى منزّه عن أن يكون جوهراً، فإذا لا ضدّ له ولا ندّ].

قوله : ((وهم يدٌ على من سواهم)) الحديث[2] من رواية النسائي عن أبي حسان، عن علي رضي ا لله عنه : (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم) النهاية[3] : [(تتكافأ دماؤهم)، أي : تتساوى في القصاص والديات، والكفؤ النظير والمساوي] وهم يد على من سواهم، أي : مجتمعون على أعدائهم لا يسعهم التخاذل، بل يعاون بعضهم بعضاً على جميع الأديان، كأنه جعل أيديهم يداً واحدة وفعلهم فعلاً واحداً، ونظيره اجعل الفساق يداً يداً أي : فرق بينهم، فإذا أفردت اليد في مقام الجمع، دلّ على الاتفاق والاجتماع، وإذا جمعت أُريد الشتات والافتراق. وقال صاحب الفرائد : إنما وحد لأنه ذكر في مقابلة قوله : ﴿ عِزّاً ﴾ وهو مصدر يصلح أن يكون جمعاً، فهذا وإن لم يكن مصدراً لكن يصلح أن يكون جمعاً بالنظر إلى ما يراد منه، وهو الذل وكأنه قيل : ويكونون عليهم خلافاً.

قوله : ((﴿ ويكونون عليهم ﴾ أي أعدائهم جاء في كلام الناس عليكم أي : عداؤكم، ومنه : اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وعلى هذا الضمير في ﴿ عليهم ﴾

---

(1) الراغب ٢٩٣ مادة (ضد).

(2) أخرجه النسائي ٣٨٧/٨-٣٨٨ كتاب القسامة، باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس برقم ٤٧٤٨ من حديث علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه . وأبو داود ١٨٣/٣ كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر رقم ٢٧٥١ . وابن ماجه ٨٩٥/٢ كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم برقم ٢٦٨٣ من حديث ابن عباس رضي ا لله عنهما . وأحمد في مسنده ١١٩/١ ، ١٢٢، ١٨٠/٢، ١٩٢، ٢١١، ٢١٥.

(3) النهاية ١٨٠/٤ مادة (كفأ).

للمعبودين وفي ﴿ سيكفرون ﴾ ويكونون للكفرة، أي : يكونون على معبوديهم كـافرين بعد أن كانوا عابدين.

قوله : ((وشـدة الإزعـاج))[1] الراغـب [2] : [قـال تعـالى : ﴿ تـأزهم أزاً ﴾ أي : تزعجهم إزعاج القدر إذا أزّت أي : اشتدّ غليانها. وروى في الحديـث[3] : (كـان يصلـي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) وأزّه أبلغ في هزّه] .

قوله : ((بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة، وهي قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسـان أئـذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾ وأشار بالعتاة والمراد إلى ما في قوله : ﴿ أيهم أشد علـى الرحمـن عتياً ﴾ وبقوله : ((وأقاويلهم)) إلى قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسـان ﴾ وقـال الذيـن كفـروا للذين آمنوا﴾ وبقوله : ((ملاحتهـم ومعـاندتهم)) إلى قولـه : ((لأوتـين مـالاًوولداً)) فهـذه الآية ورادة كالتذييل لتلك الآيات، والتقرير لمضمونهـا لأن المقصـود مـن أقـاصيصهم تسـلية رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم، وقلّة اكتراث منـه إلى أحوالهـم، ومنـع مـن الدعـاء عليهـم بالاستئصال، ومن ثم رتّب عليها قوله : ﴿ فلا تعجل عليهم ﴾.

قوله : ((عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه)) الأساس[4] : [أعجلته عـن إسـلال سيفه، وتعجّلت إخراجه : كلّفته أن يعجله، واستعجل الكفار العذاب].

قوله : ((كأنها في سرعةٍ نقضيها الساعة)) يريد أن قوله : ﴿ إنما نعدّ لهـم عـدّا ﴾ كناية عن سرعة تقضي أجلهم . قال في قوله تعالى : ﴿ دراهم معـدودة ﴾[5] قليلـة تعـدّ عدّاً، وقيل للقليل معدود، لأن الكثير يمنع من عدّه كثرته.

قوله : ((إذا كانت الأنفاس بالعدد إلى آخره، وفي معناه قول القائل[6] :

** إن الحبيب من الأحباب مختلس ** لا يمنع الموت بواب ولا حرس **

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزّاً ﴾.

(2) الراغب ١٦ مادة (أزّ).

(3) الحديث أخرجه أبو داود ١/٥٥٧ كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة برقم ٩٠٤ . والترمذي في الشمائل ص ٢٥٥ وإسناده قوي وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي ١/٢٦٤ . انظر فتح الباري ٢/٢٠٦ ومعالم السنن ١/٢١٥.

(4) الأساس ٤١٠ مادة (عجل).

(5) سورة يوسف الآية ٢٠.

(6) لم أقف على قائله.

** وكيف تفرح بالدنيا ولذتهـــا ** يا من يعدّ عليه اللفظ والنفـس **

قوله : ((كما تفد الوفاد على الملوك))(1) يعني ذكر الوفد تمثيـل وتشـبيه لحالـة المتقـين بحالة الوفود ، النهاية(2) : [الوفد هم القوم يجتمعون ويردون البلاد، واحدهم وافد، وكذلـك الذين يقصدون الأمراء لزيادة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك، تقول : وفد يفد فهـو وافـد] . قال الراغب (3) : [وفد القوم تفد وفادة، وهو وافد وهم وفد ووفود، وهـم الذيـن يقدمـون على الملوك مستنجزين الحوائج، ومنه الوافـد من الإبـل، وهـو السـابق لغـيره . قـال تعـالى : ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾] قال القاضي(4) : [ولاختيار الرحمـن في هـذه السـورة شأن ولعلّه أن سياق الكلام فيها لتعداد النعم الجسام، وشرح حال الشاكرين لهـا والكـافرين بها] كأنه قيل : يوم نحشر المتقين إلى ربهم الذي غمرهم برحمته وشملهـم برأفتـه . وقلـت : في التقابل(5) بين الوفد والرحمن وبين الورد وجهنم إعلام بتبجيل الوافد وتحصيـل مطالبـه، وأنهـا من جلائل النعم وإعظام بالوافد الذي الموفود إليـه مـن اسمـه الرحمـن، وإشـعار بإهانـة الـوارد وتهكّم به كقوله : عتابه السيف ومُقَوِّمُهُمْ لـهـْذَمِياتٌ(6) . وكفى بـالعطش الـذي ورده النـار التي هي أعظم النيران.

قوله : ((رِدي رِدي))(7) البيت(8) صماء قيل: إنها مـن الصمـم لا تسـمع صـوت القانص فَتَفِرّ كَدْرِيَةِ، أي : قطاة كدرية غبر اللون، يخاطب ناقته أي : رِدِي الماء كما يـرد القطا، يعجبها برد الماء.

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾.

(2) النهاية ٢٠٩/٦ مادة (وفد).

(3) الراغب ٥٢٨ مادة (وفد)

(4) القاضي البضاوي ١٥/٤.

(5) التقابل : تقدم تعريفه.

(6) اللهذم : القطع، يقال : سيفٌ مهذم وهذام قاطع حديد، ومدية هذام . اللسان مادة (هذم).

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾.

(8) وتمام البيت . ولم أقف على قائله :

** رِدي رِدي وَرْدَ قطاةٍ صَمّا ** كُدْرِيَةٍ أعجبها برْد الما **

انظر الكشاف ٤٣/٣.

قوله : ((فسمى به الواردون)) أي : حقيقة الورد المسير إلى الماء فشبّه من يقصد الجواد ويستجديه بمن يسير إلى الماء ليرتوي منه، فاستعير له . وقيل : الوارد . الراغب[1] : [الورود أصله قصد الماء، ثم يستعمل في غيره، يقال : وردت الماء قال تعالى : ﴿ ولمّا ورد ماء مدين ﴾[2] والوِرْدُ الماء المُرَشَّحُ للورود، واستعمل في النار على سبيل الفظاعة، قال تعالى : ﴿ فأوردهم النار وبئس الورد المورود ﴾ والوارد الذي يتقدم القوم فيستقي لهم، قال تعالى : ﴿ فأرسلوا واردهم ﴾[3] أي ساقيهم. وقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾[4] فقد قيل : هو مثل وَرَدْتُ ماء كذا إذا حضرته و إن لم تشرع فيه. وقيل : بل يقتضي ذلك الشروع فيه، ولكن من كان من أولياء الله لا تؤثر فيهم بل يكون حاله فيها كحال إبراهيم عليه السلام، ويعبّر عن المحموم بالمورود، وعن الحمّي بالوِرْدِ وشَعْرٌ واردٌ قد ورد العَجُز أو المتن .والوَرْدُ قيل : هو من الوارِدِ تسميته بذلك لكونه أول ما يرد من ثمار السنة، يقال لنور كل شجر ورد ويقال ورَّدَ الشجر يورد خرج نَوْره . وشُبّه به لون الفرس فقيل : فرسٌ ورد، وقيل : في صفة السماء إذا احمرّت احمرارا كالورد قامت القيامة[5] قال تعالى : ﴿ فكانت وردة كالدهان ﴾[6] .

قوله : ((والفاعل من اتخذ))[7] هذا على أن يكون الضمير في : ﴿ لا يملكون ﴾ علامة للجمع. قال أبو البقاء[8] : [﴿ إلا من اتخذ ﴾ استثناء متصل إذا كان الضمير في ﴿ يملكون ﴾ للمتقين والمجرمين . وقيل : هو في موضع رفع بدل من الضمير في : ﴿ يملكون ﴾ أو في موضع نصب على الإستثناء المنقطع] الانتصاف[9] : [في هذا الوجه

(١) الراغب ٥١٩ مادة (ورد).

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.

(٣) سورة يوسف الآية ١٩.

(٤) سورة مريم الآية ٧١.

(٥) وفي الراغب : وفي صفة السماء إذا احمرت احمراراً كالورد أمارة للقيامة .٥٢٠.

(٦) سورة الرحمن الآية ٣٧.

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً ﴾ الآية ٨٧.

(٨) أبو البقاء ١١٧/٢.

(٩) الإنتصاف مع الكشاف ٤٣/٣.

تعسف لأنه إذا جعله علامة ثم أعاد على لفظها الإفراد بضمير اتّخذ كان إجمالاً بعد إيضاح، وهو عكس طريق البلاغة التي هي الإيضاح بعد الإجمال، فالواو على إعرابه وإن لم تكن عائدة على (من) إلا أنها كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد له].

قوله : ((وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم)) الحديث والدعاء إلى آخره، أورده الإمام[1] أحمد بن حنبل عنه في مسنده مع تغيير يسير.

قوله : ((طبع عليه بطابع)) النهاية[2] : [الطابَع بالفتح الخاتم يريد أنه يختم عليها وترفع كما يفعل الإنسان بما يعزّ عليه].

قوله : ((أعهد إليك)) الجوهري[3] : [عهدت إليه أي أوصَيته، ومنه اشتقّ العهد الذي يكتب للولاة].

قوله : ((أو يكون من عهد الأمير)) عطف على قوله : ((واتخاذ العهد الاستظهار)) وحقيقة هذا الوجه تعود إلى قولك : عهد إليه واستعهد منه، إذا وصّاه أو شرط عليه في الأساس.

قوله : ((عهد الأمير إلى فلان بكذا)) يريد أن عهده مضمّن معنى الأمر، وعدي بالباء، فعلى هذا الباء في التنزيل محذوف نحو قوله : أمرتك بالخير.

---

(1) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في تفسير الكشاف ٢/٣٣٩ : غريب مرفوعا ولم أجده إلا موقوفاً، ورواه الحاكم في مستدركه ٢/٣٧٧ وصححه ووافقه الذهبي وابن أبي شيبة ١٠/٣٢٩ في كتاب الدعاء برقم ٩٥٧٥ ما يقرب منه، ولم أقف عليه في مسند أحمد .

والحديث هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم : (أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهداً . قالوا : وكيف ذلك ؟. قال : يقول كل صباح ومساء : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد ألا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك، وانك إن تكلني إلى نفسي تقرّبني من الشر وتباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع، ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة).

(2) النهاية ٣/١١٢.

(3) الجوهري ٢/٥١٥ مادة (عهد).

قوله : ((قرئ إداً بالكسر والفتح))[1] بالكسر السبعة والفتح شاذ[2].

قوله : ((قال ابن خالويه)) قال ابن الأنباري في النزهة[3] : إنه كان من كبار أهل اللغة أخذ عن ابن دريد ونفطويه وابن الأنباري وأبي عمرو الزاهد، قيل : إنه اسم مركب مبني على الكسر في ظاهر المذهب كسيبويه.

قوله : ((تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء)) التحتاني والباقون بالتاء.

قوله : ((وقرئ ﴿ ينفطّرن ﴾)) الحرميان وحفصٌ والكسائي بالتاء الفوقانية وفتح الطاء مشددة. والباقون بالنون ساكنة، وكسر الطاء مخففة . قال أبو البقاء[4] : [القراءة الأولى، هو مطاوع، فطّر بالتشديد، وهو هنا أشبه بالمعنى . والثانية مطاوع فطر بالتخفيف].

قوله : ((وكرّر الفعل)) يعني أن فعّل للتكثير نحو قطّعت وغلّقت,

قوله : ((أو مفعول له)) يعني (هدّاً) إما مفعول مطلق أو حال أو مفعول له، وهو وإن لم يكن من فعل الجبال، لكن إذا تهدّ يحصل له الهدّ فصحّ أن يكون مفعولاً له وإليه الإشارة بقوله : لأنها تهدّ.

قوله : ((والثاني : أن يكون استعظام للكلمة[5] وتهويلاً)) يريد أنه من باب التمثيل والتصوير وأخذ الزبدة من الجمل كلها من غير نظر إلى مفرداتها . كقوله تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾[6] قال صاحب الانتصاف : [ويظهر لي أنه استعار لدلالتها على وجود ا لله وعلى وصفه بصفات الكمال

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئا إدّا ﴾.

(٢) القراءة الشاذة عن علي بن أبي طالب رضي ا لله عنه . شواذ القرآن لابن خالويه ٨٦.

(٣) نزهة الألباء ص ٢٣٠ مطبعة المنار بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، وابن خالويه هو أبو عبد ا لله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني المتوفي سنة ٣٧٠ .

(٤) أبو البقاء ٢/١١٧-١١٨.

(٥) المراد بالكلمة قول الكفار المذكور في قول : ﴿ أن دعوا للرحمن ولداً ﴾.

(٦) سورة الزمر الآية ٦٧.

كونها مسبّحة بحمده في قوله : ﴿ تسبح له السموات السبع ... الآية ﴾[1] ولما دلت عليه، وهي كلّ ذرّة أنه مقدّس عن نسبة الولد إليه، فالمعتقد لذلك عطل وجه دلالتها على تقدسه ووحدانيته، فاستعير لما فيه من إبطال روح الدلالة التي خلقت لأجلها إبطال صورتها . بالهدّ والإنفطار . وقال صاحب الانتصاف : استشهد هذا القائل على دلالة الموجودات على وحدانية الله بقول الشاعر [2] :

** وفي كل شيء له آية ** تدلّ على أنه واحد **].

وأقول الموجودات تدُلّ على أن لها خالقاً قادراً عالماً حكيماً، لأن الأثر دالّ على المؤثر، والمقدور على القدرة، وإتقان العمل دليل على العلم والحكمة . وأما دلالة الموجودات على الوحدانية، فلا وجه له، وأصعب ما تحقق به هذا الأصل قول الشاعر[3] ، ظن أن الموجودات تدل على الوحدانية، والنكتة التي أبداها، إنما تتم له بناء على أن الموجودات شاهدة، بنفي الولد، وقد ظهر لك ما فيه . وقلت : كلام صاحب الانتصاف أحسن ما ذهب إليه في هذا المقام.

قوله : ((علّل الخرور بالهدّ، والهدّ بدعاء الولد)) يعني هو من تداخل العلة كقوله تعالى : ﴿ أعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون ﴾[4] قالوا محل ﴿ أن لا يجدوا ﴾ نصب على أنه مفعول له، وناصبه المفعول له الذي هو ﴿ حزنا ﴾.

قوله : ((أي هدّها دعاء الولد)) قيل : هو كما تقول : شاهدت ضرباً زيداً أي أن أضرب زيداً.

قوله : ((وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات)) اعلم أنه ذكر أحوال المتقين، وكرّر فيها هذه الكلمة مرتين ليعلق بها أوّلاً ما يخصهم من الله من فضيلة التبجيل والإكرام . وثانيا ما ينبئ عن القرب من الله والزلفى عنده من مزية درجة الشفاعة،

---

(1) سورة الإسراء الآية ٤٤.

(2) القائل أبو العتاهية في ديوانه ص ٢٢.

(3) أبو العتاهية في طبقات الشعراء لابن المعتز :

** وفي كل شيء له آية ** تدل على أنه واحد **

(4) سورة التوبة الآية ٩٢.

وعلّل حصول هذه المرتبة باتخاذ العهد وهو التوحيد والقيام بمواجب الشكر والعبودية، وعقبه بقوله : ﴿ قالوا تخذ الرحمن ولداً ﴾ وقوله : ﴿ إن الذين آمنوا ﴾ إلى قوله : ﴿ سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ إعلاماً بعظم تأثير هذه الكلمة من الموافقين والمخالفين في الدنيا ليكون تكميلاً لتأثيره في العقبى، فأتى أوّلاً بذكر المخالفين، وكرّرها أربع مرات تشديداً لكفران النعم التي موليها الرحمن وتعكيساً لآرائهم، يعني كان من حقّ مولي أصول النعم وفروعها وخالق العالمين وما فيها أن لا يشكر غيره، فقد كفروا به بأن اتّخذوا له ولداً كقوله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذّبون ﴾[1] ثم ثنّى بذكر الذين اتخذوه عنده عهداً وأوثقوه توثقة شديدة حتى علقت به عقدة المحبة والمودّة تعريضاً بالمخالفين، وأنهم المبغوضون، ولذلك وصفوا بالمغضوب عليهم.

قوله : ((طلباً للعموم والإحاطة)) أي لم يقل : دعوا عيسى ولداً ولا عزيراً ولا الملائكة، طلباً للعموم على منوال، فلانٌ يعطي ويمنع، لكن اقتصر على أحد مفعوليه .

قوله : ((** إنا بني نهشل لا ندعي لأب ** [2] ... تمامه :

** .... ** عنه ولا هو بالأبناء يشرينا **

قوله : ((انبغى مطاوع بغى))[3] الجوهري[4] : [قولهم : ينبغي لك أن تفعل كذا، فهو من أفعال المطاوعة . تقول : بغيته فانبغى].

قوله : ((وما ينطلب)) أي ما يحصل طلبته.

قوله : ((﴿ من ﴾ موصوفة لأنها وقعت بعد كل))[5] قال أبو البقاء[6] : [﴿ مَن ﴾ نكرة موصوفة، و ﴿ في السموت﴾ صفتها، و ﴿ إلا آتي ﴾ خبر كلّ، ووحّدَ ﴿ آتي ﴾ حملاً على لفظ كلّ،وقد جمع في موضع آخر حملاً على معناها،ومن الإفراد ﴿ وكلّهم آتيه ﴾.

---

[1] سورة الواقعة الآية ٨٢.

[2] القائل بشامة بن حزن النهشليّ. انظر مشاهد الانصاف ٣/٤٥.

[3] تفسير قوله تعالى : ﴿ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ﴾ الآية ٩٢ مريم.

[4] الجوهري ٦/٢٢٨٣ مادة (بغى).

[5] تفسير قوله تعالى : ﴿ إن كلّ من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾.

[6] أبو البقاء ٢/١١٨.

** رُبّ من أنضَجْتُ غَيظاً صدره **   تمامه :

** قد تمنّى لِيَ موتاً لم يطع ** وبعده :

** و يراني كالشجى في حلقه** عسرا مخرجه ما ينتزع **[1]

نضج اللحم والعنب ينضج نضجاً فهو نضيج. والشجا ما نشَبَ في الحلق من غصّة هَمٍّ أو نحوه، و(من) في : (من أنضجت) موصوفة أي رجل أنضجتُ.

قوله : ((فهدم ا لله الكفر الأول فيما تقدّم من الآيات))[2] وأما الكفر الأول، وهو قوله : ﴿ اتخذ الرحمن ولداً ﴾ فهدمه قوله : ﴿ لقد جئتم شيئاً إدّا . تكاد السموات يتفطرن ... الآية ﴾ وهذا إنما يصحّ هدماً إذا ذهب إلى ما ذكره صاحب الانتصاف، أي : لو صحّ هذا تعطّل وجه دلالة المكونات على تقدّسه سبحانه وتعالى ووحدانيته، فاستعير لما فيه من روح الدلالة التي خلقت لأجلها إبطال صورتها بالهدم بالانفطار . وأما الكفر الثاني : وهو ما يلزم من إشراك الأولاد الآباء في المالكية، فهدمه قوله : ﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ... الآيات ﴾ لأن من يأوى إلى الرحمن ويلتجئ إلى ربوبيته يكون عبداً منقاداً مطيعاً خاشعاً لا يكون إلا ذليلاً فضلا عن أن يكون شريكاً.

قوله : ((لا يدعي لنفسه)) الضمير المرفوع راجع إلى قوله : ما من معبود، وهو الذي استتر في ﴿ آتي ﴾ وقوله : ((كما يجب عليهم)) جملة معترضة تؤكد معنى : ((كما يفعل العبيد)) بل[3] وهي معطوفة عليه نحو : أعجبني زيد وكرمه.

قوله : ((مهيمن)) الجوهري[4] : [أصله مأءا من البينَت الثانية، وقلبت ياء، وقلبت الأولى هاء].

---

(1) البيتان لسويد بن أبي كاهل اليشكري. انظر مشاهد الانصاف٣/٤٦.

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ لقد أحصاهم وعدّهم عدّاً ﴾.

(3) (بل) س من ب ، م.

(4) الجوهري ٦/٢٢١٧ مادة (همن) والذي فيه : (أصله أأمن فهو مُؤَأْمِنٌ بهمزتين، قلبت الهمزة الثانية ياء، فصارت مُأيمَنٌ، ثم صيرت الأولى هاء.).

قوله : ((وجاء الإسلام))[1] الأساس[2] : [ومن المجاز ثوب داج سابغ غطّى جسده كله، وكان ذلك مُذْ دَجا الإسلام، وثوب الإسلام داج].

قوله : ((يقول ا لله عز وجل يا جبريل : قـد أحببـت فلاناً)) الحديث من رواية البخاري ومسلم والترمذي عن أبـي هريـرة أن النـبي صلـى ا لله عليـه وسـلم قـال : (إذا أحبّ ا لله العبد نادى جبريل إن ا لله يحب فلاناً فأحبّوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضـع لـه القبول في الأرض)[3] .

قوله : ((فكأنه قال))[4] الفاء جواب شرط محذوف، أي : إذا كـانت الآيـة خاتمـة للسورة،فكأنه قال : بلغ هذا المنزّل،وفيه إشعار بأن الفاء التنزيلية أعني ﴿ فإنما يسرناه ﴾ فاء فصيحة، لأن السبب المحذوف إما قوله : بلّغ هذا المنزل، أو قوله : بشر وأنذر، يعني بلّغ المنزّل لأنا أنزلناه بلغتك ليسهل عليك إبلاغه، فبشّر وأنذر . وقال : بشّر وأنذر فإنـا سهلنا بلسانك، وفصّلنا مواقع البشارة والنذارة، وإنما كـان خاتمـة للسـورة، بـل للقـرآن بأسره، لأنها مشتملة على البشارة لأولياء ا لله والنذارة لأعدائه، قال القاضي[5] : [ضمّن ﴿ يسّرناه ﴾ معنى أنزلناه بلغتك وعدّي بالباء . وإلا فحقّه على لسانك].

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً ﴾ آية ٩٦ . قال (ز) : سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم ... الخ . فوعدهم ا لله تعالى ذلك ((إذا جاء الإسلام)).

(2) الأساس ١٨٣ مادة (دجى).

(3) البخاري مع الفتح ٣٠٣/٦ كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقـم ٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥ . ومسـلم في صحيحـه ٢٠٣٠/٤ كتـاب البر والصلـة والآداب، بـاب إذا أحـب ا لله عبـداً حببـه إلى عبـاده برقـم ٢٦٣٧. والترمذي ٢٩٧/٥-٢٩٨ كتاب التفسير، باب ومن سورة مريم برقم ٣١٦١.

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ فإنما يسّرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدّا ﴾ الآية ٩٧ . قـال (ز) : هذه خاتمة السورة ومقطعها ((فكأنه قال :)) بلغ هذا المنزل، أو بشّر به وأنذر.

(5) القاضي البيضاوي ١٦/٤.

سورة طـه مكية (1) وهي مائة وأربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو عمرو فخم الطاء ، قال صاحب التيسـير (2) : [قـرأ أبـو بكـر وحمزة والكسـائي بإمالة فتحة الطاء والهاء ، وورش وأبو عمرو بإمالة الهاء خاصة ، والباقون بفتحهما].

قوله : ((أو قلبت في يطأ))(3) ، أي قلبت الهمزة في (يطأ) ألفاً ، وبنى الأمر عليه ، كما قالوا في هناك : لاهناك ، وإذا بنى عليه الأمـر فيكـون كمـا يكـون الأمـر يرىرى (4) ثم ألحق هاء السكت فصار طـه .

قوله : ((** لا هناك المربع)) (5) .

أوله : ** راحت بمسلمة البغال عشية ** فـارْعَيْ فـزارة لاهَنـاكِ المربــع**

الرواح نقيض الغدوّ ، لاهَناكِ دعاء على الناقة من الهنوأى ، لاهَناكِ رَعْيُ هذا المرتع ، راحت بمسلمة البغال ، نحو مُرْ بِفُلانٍ ، فزارة حيّ من الغطفان ، يخاطب ناقتـه ، وقـد رحل مسلمة بالبغال عشية ، وقد فقد بنى فزارة أي ما مقامك ههنا ورعيـك مرعاهـا فاقصدي بني فزارة وارعي مرعاها .

قوله : ((ويجوز أن يكتفى بشطري الاسمين)) ، أي بنصـف كـل واحـد مـن الطاء والهاء ، وقد سـبق في فاتحة البقـرة أنّهـا أسمـاء مسـمّياتها الحـروف المبسـوطة ،

---

(1) مكية إلا آيتي ١٣٠ و ١٣١ ، وعدد آيها ١٣٥ ، الزمخشري ٤٩/٣ . وقال في المحرّر الوجيز في عدّ آي الكتاب العزيز للشيخ محمد المتولي : وعدد آياتها ١٣٢ البصري ، و ١٣٤ المدني والمكي والكـوفي ، و ١٤٠ الدمشقي ١٣٨ الحمصي ، ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(2) صاحب التيسير أبو عمرو الداني ، انظره ص ١٥٠ . تفسير سورة (طـه) .

(3) قال (ز) : وعن الحسن رضي الله عنه : طـه ، وفسّر بأنه أمر بالوطء ، وأنّ النبي صلـى الله عليـه وسلم كان يقوم في تهجّده على إحدى رجليه ، فأمر أن يطأ الأرض بقدميه معاً ، وأن الأصـل (طأ) ، فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفاً في يطأ ، علماً بأن هذا هو أضعف الأقوال .

(4) في ب (يرر) ثم .

(5) القائل : الفرزدق يهجو عمرو بن زهرة الفزاري ، انظـر ديوانـه ٥٠٨ ، والصـواب أنّ طـه مـن الحروف المقطعة في أوائل السـور ، كما هو حال (طسم ، و طـس) . والله أعلم .

فأسقطت الألف من كل واحد منهما ، فقيل : ﴿ طـه ﴾ وعن نور الدين الحكيم : كأنّه قصد بهذا الكلام الذبّ عن الحسن ،فإنه اشتهر القول بأنّ هذه السورة من السور الثمان والعشرين المبتدأ فيها بفواتح السور ، فإذا كان يدرج ﴿ طـه ﴾ بالفواتح فقال : يجوز أن يكتفى بشطري الاسمين ، أي بهذين الحرفين من طا ها اللذين هما اسمان من الفواتح .

قوله : ((في لغة عك)) ، الجوهري [1] : [وهو عك بن عدنان ، أخو معّد ، وهو اليوم في اليمن] .

قوله : ((وا لله أعلم بصحّة ما يقال)) ، وجه آخر .

قوله : ((تصرّفوا في (ياهذا) فقلبوا حرف النداء طاءً ، واختصروا لفظة هذا بحذف الذال ، وقالوا (طا ها))) ، قال الواحدي [2] : [وأكثر المفسّرين على أنّ معنى (طـه) يا رجل ، يريد النبي صلى ا لله عليه وسلم ، وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير والضحّاك وقتادة ومجاهد وابن عباس [3] في رواية عطاء والكلبي ، غير أنّ بعضهم يقول : هي بلسان الحبشة وبالنبطية والسريانية ، ويقول الكلبي بلغة عك ، قال ابن الأنباري : ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى ، لأنّ ا لله لم يخاطب نبيّه صلى ا لله عليه وسلم بلسان غير قريش] ، وقد ذكر محي السنة [4] مختصراً من هذا ، والمصنف ما رضي بهذا القول ، حيث قال : وا لله أعلم بصحّة ما يقال . وقال : والأقوال الثلاثة في الفواتح هي التي يعول عليها الألباء المتقنون .

قوله : ((و﴿ القرآن ﴾ ظاهر أوقع موقع الضمير)) ، يعني ﴿ طـه ﴾ إذا كان اسماً للسورة كان مبتدأ خبره ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ، ولا بدّ في الجملة إذا وقعت خبراً من عائد ، وهنا أقيم مقام العائد ﴿ القرآن ﴾ ، وهو إمّا اسم للسورة ، فاستغنى عن الضمير به إشعاراً بالعلية وإيذاناً بأنّ ما هو رحمة لك لا يكون

(١) الجوهري ٤/١٦٠٠ ، مادة (عكك) .

(٢) الواحدي ٣/١٩٩ .

(٣) ذكر ذلك الماوردي ٣/٣٩٢ .

(٤) محي السنة البغوي ٥/٢٦٢ .

إنزاله لشقاوتك ، أو القرآن كله ، فاكتفى عن الضمير بالعموم ، كما في قولك : نعم الرجل زيد في وجه ، وقد أشار إلى الوجهين بقوله : لأنها قرآن .

قوله : ((والشقاء يجيء بمعنى التعب)) [1] ، قال تعالى : ﴿ فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى ﴾ [2] أي فتتعب ، الأساس [3] : [ومن ترك في شقاء من أمرٍ إنه في تعب ، وما زلت تشاقي فلاناً منذ اليوم مشاقاة تعاسره ويعاسرك] .

قوله : ((أتعب من رائض مُهْرٍ)) ، قال الميداني [4] : [هو كقولهم : لايعدم شقي مهراً ، يريد أن معالجة المِهارة شقاء ، لما فيها من التعب] .

قوله : ((فأريد ردّ ذلك)) ، أي قوله تعالى : ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ردّ لقول المشركين : إنّك تشقى بتركك دين آبائك ، وتعريض بأنّهم الأشقياء [5] ، لأنّ ﴿ طه ﴾ إذا جعل اسماً للسورة و ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن ﴾ خبره ، يكون القرآن من وضع المظهر موضع المضمر لما ذكرنا ، وللتفخيم تعظيماً له ، وأنّه هو السلّم في نيل كلّ فوز وسعادة ، ومن حرم فهو الشقي الخائب الخاسر ، وإذا جعل قسماً ، و﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ المقسم عليه ، دالّ أيضاً على شرفه ، كقوله : وثناياك إنها إغريض [6] ، من كون القسم والمقسم عليه من وادٍ واحد ، فقوله : ((وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها)) إشارة إلى معنى التعريض .

قوله : ((حتى اسمغدّت قدماه)) ، النهاية [7] : [وفي الحديث أنه صلى حتى اسْمَغَدَّتْ رجلاه [8] ، أي تورّمتا وانتفختا ، واسمغدّ الجرح إذا ورم] .

---

(1) تفسير قوله : ﴿ لتشقى ﴾ .

(2) سورة (طه) الآية ٣.

(3) الأساس ٣٣٥ ، مادة (شقو) .

(4) الميداني في أمثاله ٢٦٠/١ ، رقم المثل ٧٥٥ .

(5) بأنهم (هم) الأشقياء ، في م .

(6) في الأساس ٤٤٩ ، مادة (غرض)،كأن ثغرها إغريضٌ وريقها ريّقٌ غريضٌ يشفي بتر شفّه المريض.

(7) النهاية ٤٠٣/٢ ، مادة (سمغد) .

(8) ذكر نحوه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٣٤٨/٢ ، وعزاه للبيهقي في كتاب الدعوات الكبير ، والحديث هو أنّه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدّت قدماه ، فقال له جبريل عليه السلام: (أبقِ على نفسك فإنّ لها عليك حقاً) .

قوله : ((لِتُنْهِكَ نفسك)) الجوهري [1] : [نَهَكَتْه الحمّى إذا جهدته وأضنته] وقدحه الدّين أثقله ، وأمر قادح إذا غاله وبهظه .

قوله : ((لاستجماعه الشرائط)) ، الشرائط بالرفع في بعض النسخ ، وفي الحاشية عن المصنف لاستجماع الشرائط بغيرها ، هذا هو الصحيح ، لما ذكر صاحب المغرب [2] : [استجمع السيل اجتمع من كل موضع ، واستجمعت للمرء أموره اجتمع له ما يحبّه ، وهو لازم كما ترى . وقولهم : استجمع الفرس جريا نصب على التميز . وأما قول الفقهاء : مستجمعا شرائط الجمعة فليس بثبت . وأما قول الأبيوردي : [3]

** شامية ستجمع الشول حَرْجفٌ ** [4]

فكأنه قاسها على ما هو الغالب في الباب ، أو سمعه من أهل الحضر فاستعمله] تم كلامه ، ويمكن أن تصحح الرواية بالرفع بأن يقال : التقدير لاستجماع الشرائط فيه كقول الشاعر : [5]

** ويوم شهدناه سليما وعامرا ** .

قوله : ((نَصْبةً طارئة)) أي في قوله تعالى : ﴿ ...ولاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كجَهْرِ بعضِكُم لِبَعضٍ أن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُم لا تَشْعُرُونَ ﴾ [6] يعني كان من حقه دخول اللام لضعف دلالته على التعليل ، لأنه ليس على الشرطية لكنها نصبة عارضة كما في قوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَه ﴾ [7] ، قال صاحب الفرائد : هذا السؤال مبني على قوله : إلا أن الأول وجب مجيئه باللام ، يعني ذكرت الوجوب

---

(1) الجوهري ١٦١٣/٤ مادة (نهك)

(2) المغرب ١٥٩/١ مادة (جمع)

(3) الأبيوردي : هو أبو المغفّر محمد بن أحمد القرشي الأموي ، شاعر مؤرخ عالم بالأدب ، أنظر : محقق المغرب ١٥٩/١

(4) وصدر البيت : ** وتقرّون والآفاق يمري نجيعها ** .
والحرجف الريح الباردة .انظر الصحاح ١٣٤٣/٤ مادة (حرجف).

(5) لم أقف على قائله

(6) سورة (الحجرات) الآية ٢

(7) سورة (الأعراف) الآية ١٥٥

وليس به ، لأنه يجوز مجيئه بدون اللام كما في قوله تعالى :﴿ أنْ تَحْبَطَ أعمَالُكُمْ ﴾ [(١)] وخلاصة الجواب الواجب أن يجاء باللام ، إلا أنه حذف اللام تخفيفا لطول الصلة والموصول ، ولذلك قالوا : يحذف حرف الجرّ مع أن وإن كثيرا ، واللام ههنا متحقّق حكما ، ولم يكن متحقق في "تذكرة" لا حقيقة ولا حكما .

قوله : ((لاختلاف الجنسين)) ، قال صاحب الفرائد : هذا ليس بجواب أن يقال : المبدل منه لا بدّ من أن لا يكون مقصوداً في الكلام ، والمقصود هو البدل ، ولهذا يجوز اطّراحه إلا حيث لا يستقيم بقية الكلام ، كما في قولك : زيد أرأيت غلامه رجلاً صالحاً ، وههنا (لتشقى) مقصودفي الكلام ، واطّراحه يخلّ بالمقصود مع أن بقية الكلام يصحّ بعد اطّراحه . وقال صاحب التقريب : لا يجوز البدل لاختلاف الجنسين في الانتصاب ، لكنّه نصب على الاستثناء المنقطع . وقلت : الظاهر أنّ مقصود المصنّف من قوله : ((اختلاف الجنسين)) أنّ التذكرة والشقاوة لا تَتَراآ ناراهما ، ولو أبدلته منه لكنت جعلت الشيء بدلاً مّما لا يجانسه ، والقائم مقام الشيء لا بدّ أن يكون بينهما مجانسة ، ولأنّ البدل كالبيان للمبدل من حيث الإيضاح فكالتّأْكِيد له من حيث تكرير العامل ، كما سبق في ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ [(٢)] ، ولهذا جاز أن يكون استثناءاً منقطعاً ، لأنّ اختلاف الجنسية شرط فيه ، أمّا تحقيقاً نحو ما جاءني أحد إلاّ حمار ، أو تقديراً نحو ﴿ إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلاّ آل لوطٍ إنّا لمنجّوهم ﴾ [(٣)] على ما سبق ، ويؤيّده ما ذكره صاحب الكشف : لا يجوز البدل ، لأنّ التذكرة ليست من الشقوة في شيء ليس هو إياه ولا بعضه ولا مشتملاً عليه .

قوله : ((المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتتحمّل متاعب التبليغ)) يريد أن "لتشقى" تعليل "لأنزلنا" ثم دخل النفي على المعلّل والاستثناء متّصل إما على تقدير الحاَل ، فيقال : ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في حال من الأحوال إلا في حال

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ٢

(٢) سورة الفاتحة ، الآية ٦ – ٧ .

(٣) سورة الحجر ، الآية ٥٧ – ٥٨ .

التذكرة . وأما على تقدير أن يكون مفعولاً له ، فيكون التقدير : ما أنزلنا هذا القرآن المتعب لأمر من الأمور إلا تذكرة . وقال صاحب الانتصاف : [في هذا الوجه بُعد ، لأنه حينئذ يكون الشقاء سبب النزول . وما جرت به عادة الله مع نبيه صلى الله عليه وسلم ، لأنه نهاه عن الشقاء وضيق الصدر . قال تعالى : ﴿ فلا يكن في صدرك حرج ﴾ (١) ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ (٢) وقلت : ما ذكره ليس بشيء ، لأن المراد بالشقاء التّعب ، وقد جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴾ (٣) حيث فسره المصنف بقوله : إن المعنيّ بالقول الثقيل القرآن ، وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقّة ثقيلة ، لاسيما عليه صلوات الله عليه ، لأنه متحمّلها بنفسه ، فهي أثقل عليه . والمعنى على هذا التفسير : ما أنزلنا عليك القرآن المتعب إلا ليكون تذكرة ، لا لتحمل على نفسك قيام الليل وتذيقها المشقّة ، فحسبك منه ما تلقاه من متاعب ومشاق مقاولة الأعداء . ومعنى قوله تعالى : ﴿ فلا يكن في صدرك حرج ﴾ (٤) لا تخف تكذيب القوم وإعراضهم ، ولا يضيق صدرك من الأذى فنهاه عن مبالاتهم وهو صريح في تلقي المكاره وتحمل المتاعب . وقوله تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ﴾ (٥) معناه لا تتساقط عليهم حسرات إن لم يؤمنوا بهذا الحديث (٦) ودم على التبليغ ولا تتهاون . وتلخيص ذلك أن

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٣

(٣) سورة المزمل ، الآية ٥

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢

(٥) سورة الشعراء ، الآية ٣

(٦) اختلف المفسرون في معنى هذه الآية ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ على قولين وكل منهما يشهد له قرآن ، القول الأول : أن معناها ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ أى لتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا ، ويشهد لهذا القول قوله تعالى فى سورة فاطر الآية ٨: ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ وقوله في سورة الشعراء الآية ١-٣ : ﴿ طسم . تلك آيات الكتاب المبين . لعلّك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ وقوله في الكهف الآية ٦ : فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ . القول الثانى : أنه صلى الله عليه وسلم صلّى بالليل حتى تورّمت قدماه فأنزل الله ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ ويدل لهذا العموم قوله تعالى في سورة الحج الآية ٧٨ :

الشقاء الذي نهاه عنه غير الشقاء الذي هو سبب النزول ، وهو الذى نحن بصدده [1] .

قوله : ((لمن يؤول أمره إلى الخشية)) [2] ، هذا لأنّ القرآن تذكير للناس كلّهم الخاشي وغير الخاشي ، وخصّ الخاشي لأنّه المنتفع به .

قوله : ((ولمن يعلم الله)) عطف تفسيري لقوله : لمن ((يؤول أمره)) .

قوله : ((لأنّ الشيء لايعلّل بنفسه)) ، يعني تذكرة علة لأنزلنا ولو أبدل تنزيلاً عنه . رجع إلى كونه علة لأنزلنا ، فيلزم تعليل الشيئ بنفسه ، وإذا جعل حالا يكون بمعنى منزّلا ، فيكون حالا موطئة كقوله : ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ [3] بخلافه إذا جعل مفعولا له ، فإنه يبقى على مصدريته ، فيكون تعليلا لنفسه .

قوله ((لأن معنى : ما أنزلناه إلا تذكرة ، أنزلناه تذكرة)) تعليل لجواز أن يكون أنزلنا عاملاً في المصدر المؤكد بهذا التقدير ، لأنه لو كان منصوبا بأنزلنا لا على هذا التقدير ، بل على ظاهره ، يكون تقدير الكلام ما أنزلنا تنزيلا ممن خلق الأرض ، وهو فاسد .

قوله : ((وهو معنى حسن و إعراب بين)) لأن معنى ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكيراً لمن يخشى المنزل الذى شأنه أنه من جهة القادر العظيم القاهر السلطان الواسع الملك ، فإذاً خشية بدل الكفر إيمانا والعصيان طاعة ولا يتقدم على التكذيب ولا ارتياب .

وقوله : ((ما بعد تنزيلا إلى قوله : الأسماء الحسنى ؛ تعظيم وتفخيم لشأن المنزل)) فيه إيماء إلى ترتّب الحكم على الوصف .

﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ وقوله في سورة البقرة الآية ١٨٥ : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وانظر : أسباب النزول للواحد ، ٣٥١ .

(١) الظاهر أن إعراب قوله تعالى : ﴿ إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ أنه مفعول لأجله ، أي ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة ، أي إلا لأجل التذكرة لمن يخشى الله ويخاف عذابه ، انظر أضواء البيان ٤٠١/٤

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لمن يخشى ﴾ .

(٣) سورة (يوسف) الآية ٢

قوله ((ولا يخلو من أن يكون متعلّقه)) الضمير في لا يخلو راجع إلى قوله : ما بعد تنزيلا . وعليه قول صاحب التقريب في قول المصنف فيقع صلة ، ويمكن أن يقال : إن (مَن) فاعل ، أي لا يخلو من أن يكون ، يعني (ممن خلق) إما أن يكون معمولا (لتنزيلاً) أو لمقدّر ، وهو صفة تنزيلا ، والصفة أدخل في التفخيم والتعظيم المطلوب ، لأن الصفة حينئذ تكون مادحة .

قوله ((إنما هذه الصفات إنما سردت مع لفظ الغيبة)) (١) يعني قوله : خلق الأرض واستوى له ما في السموات ، الله لا إله إلا هو ، فلو دام على لفظ التكلم لم يحسن سرد هذه الصفات على ما هو عليه ، لأن المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن هو مستحق لأن يطاع فيما أمر ونهى ، وأن يعبد ويخضع له ، وأن لا يستعان إلا به لأنه متّصف بهذه الصفات الكاملة ، ومن الأسلوب قوله تعالى: ﴿ ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ﴾ (٢) فلم يقل استغفرت لهم تعظيماً لشأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتفخيماً لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان ، وأما قوله : إن هذه الصفات إنما سردت على لفظ الغيبة فمعناه أنه ما انتقل من ضمير المتكلّم إلى ضمير الغيبة كما عليه ظاهر الالتفات ، وإنما انتقل منه إلى ما من حقه أن يكون على لفظ الغيبة وهو المظهر ، كما في هذه الآية من لفظ الرسول ، فهو في الحقيقة من وضع المظهر موضع المضمر لتوّخي بيان العلّة ، لأن حق العود بعد المضمر أن يجاء بالمضمر .

قوله ((فضوعفت الفخامة من طريقين)) يعني إذا ابتدئ الكلام بنوع من التعظيم ، وهو إتيان الضمير الدّال على أن المتكلّم به معظم مطاع ذو سلطان ثم ثنّى بما يتمكن من إجراء الأوصاف الجليلة على الموصوف بنوع التعظيم وتكرّر المعنى المقصود . ويفوت هذا أن أجري الكلام على سنن واحد .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى ﴾ .

(٢) سورة (النساء) الآية ٦٤ .

قوله ((وإما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه إلى من خلق)) [١] يريد أن التعريف فيه كالتعريف في قوله ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ [٢] فإن المشار إليه ما يعلم من مفهوم قوله : ﴿ نذرت لك ما في بطني محررا ﴾ [٣] من الذكورة فإنه لمّا قيل ﴿ ممن خلق الأرض والسموات العلى ﴾ فهم منه معنى الرحمن ، وأنه مولى جلائل النعم ، ولا نعمة أجلّ من إيجاد الأشياء من العدم ، فأشير باللام إلى ذلك المعهود ، كأنه قيل: ذلك الخالق ﴿ على العرش استوى ﴾ ، وفيه إثبات وصفين مستقلين ؛ أي الخالقية والمالكية .

قوله ((قالوه أيضاً)) جزاء لقوله ((وإن لَم يقعد)) ، وقوله ((ملك)) مفعول لقوله ((ومساواته)) يعني أنهم يكنّون بقوله ((استوى فلان على العرش عن ملك ، سواء قعد على السرير أو لم يقعد)) [٤] لأن اللازم مساو في تأدية المعنى ، كما يقال يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى أنه جواد أو بخيل ، حتى إن لم يكن له يد رأسا قيل : هذا الكلام في حقه .

قوله ((وإن كان أشرح)) اسم كان ضمير يرجع إلى قولهم : استوى فلان على العرش لا إلى مَلَكَ ، كما ظن . المعنى قالوا استوى فلان على العرش يريد مَلَكَ سواء قعد على السرير أو لم يقعد لمساواة هذا اللفظ مَلَكَ في تأدية المقصود ، وإن كان هذا اللفظ أبسط من مَلَكَ وأبلغ منه ، كما علم في البيان أن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر لانك مع الكناية كمدّعي الشيئ بالبينة ، ولأنه لا يقال : فلان استوى على العرش إلا بعد تمكّنه على الملك [٥] واستقراره له ، بخلاف ما إذا قيل :

---

(١) تفسير قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال (ز) : (الرحمن) لأنه إما أن يكون رفعا على المدح على تقدير : هو الرحمن ، وإما أن يكون مبتدأ .. الخ

(٢) سورة (آل عمرآن) الآية ٣٦

(٣) سورة (آل عمران) الآية ٣٥

(٤) أول الزمخشري الاستواء بالملك وتبعه الطيبي في ذلك ، والأولى والأحرى عدم التأويل ، وأن يذهب في ذلك مذهب السلف . وهو الإثبات والتنزيه عن معرفة الكنه ، كما قال مالك رحمه الله : الاستواء معلوم والكيف مجهول .. الخ

(٥) (من) الملك في م

مَلَك ، ولأن في تلك العبارة تصوير لصورة العرش في الذهن ، وتخيّلا لحالة الاستواء عليه ولمزيد المعنى الآخر لا عكسه ، فيكون أبسط وأدّل .

قوله : ((والتمحل للتثنية من ضيق العطن)) يريد قولهم : إن معنى اليد النعمة ، فمعنى ﴿ يد الله مغلولة ﴾ [1] نعمة الله مقبوضة ، ومعنى ﴿ يداه مبسوطتان﴾ نعمته في الدنيا ونعمته في الآخرة ، نقله الواحدي [2] عن بعضهم .

قوله : ((من ضيق العطن)) أي من ضيق مجاله في المعاني والبيان ، الأساس[3] [ضرب القوم بعطن إذا أناخوا (حول الورد ، وإذا أناخوا) [4] حول الماء بعد السقي، والعطن والمعطن المناخ حول الورد ، فَأمّا في مكان آخر فَمُرَاحٌ

(1) سورة (المائدة) الآية ٦٤

(2) ذكره الواحدي ٢٠٧/٢ ، وهذا مذهب المؤولة ، أما مذهب أهل السنة والجماعة عدم تأويل آيات الصفات ، بل يوجبون الإيمان بها ، كما أخبر الله عن نفسه وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ، ﴿ أأنتم أعلم أم الله ﴾ ، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي قال فيه ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ النجم ، الآية (٣-٤) فمن نفى عن الله وصفا أثبته لنفسه في كتابه العزيز ، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم زاعما أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا ؛ فقد جعل نفسه أنه أعلم من الله وأعلم من رسوله بما يليق بالله جل وعلا ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ النور الآية (١٦) ومن اعتقد أن صفات الله تشابه صفات الخلق فهو مشبه ، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق ، فهو مؤمن جامع بين صفات الكمال والجلال والتنزيه عن مشابهة الخلق ، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل ، كما أوضح تعالى في قوله في سورة الشورى الآية (١٢) ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ لأن جميع الصفات من باب واحد ، لأن الموصوف بها واحد ، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفات الله ، فمن أثبت له جل وعلا أنه سميع بصير ، وسمعه وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم لزمه مثل ذلك في جميع الصفات ؛ كالاستواء واليد ونحو ذلك من صفاته جل وعلا ، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال . ومن المعلوم أن الذات والصفات من باب واحد ، فكما أنه جل وعلا له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق ، أنظر أضواء البيان ٧٢/٢ - ٢٨٨/٢ ، فالواجب على المسلم أن يثبت لله ما أثبته لنفسه جل وعلا أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل على غرار آية الشورى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ الآية (١٢) والله أعلم .

(3) الأساس ٤٢٦ مادة (عطن)

(4) ما بين القوسين ليس في الأصل

ومأوى . ومن المستعار ، فلان واسع العطن ، إذا كان رحب الذراع] وقال الإمام [1] في قوله : من غير تصور يد ولا غل ولا بسط نظر [لأنا لو فتحنا هذا الباب لانفتحت تأويلات الباطنية ، فإنهم يقولون أيضاً : المراد من قوله تعالى : ﴿ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ [2] الاستغراق في خدمة ا لله من غير تصور فعل . وقوله تعالى ﴿ برداً وسلاما على إبراهيم ﴾ [3] المراد منه تخليص إبارهيم من يد الظالم من غير أن يكون هناك نار ، وخطاب البتّة وكذلك القول في كلّ ما ورد في كتاب ا لله المجيد ، بل القانون أنه يجب حمل كل لفظ ورد في التنزيل على حقيقته إلا إذا قامت دلالة عقلية قطعية توجب الانصراف عنه وليت من لم يعرف شيئاً لم يخض فيه] ، وأقول : سلمنا أن الأصل إجراء اللفظ على حقيقته إلا إذا منع مانع ، لكن طريق العدول غير منحصر في المجاز في المفرد ، فكما جاز العدول عن الحقيقة الى المجاز جاز العدول من الاسناد إلى الإسناد ، في مثل قولنا : أنبت الربيع البقل وهزم الأمير الجند ، ومن المركب كما نحن بصدده ، فإنه عدول الى أخذ الزبدة والخلاصة من المجموع لمانع إجرائها على مفهومها الظاهري . ويسمى هذا بالكناية الإيمائية .

قوله : ((وما تحت الثرى)) ما تحت سبع الأرضين ، والثرى هو التراب النديّ .

قوله : ((وعن بعضهم أن (أخفي) [4] فعل ، قال محي السنة [5] : [روي عن زيد بن أسلم ؛ أي يعلم أسرار العباد ، وأخفى سرّه عن عباده ، فلا يعلمه أحد ،

---

(1) الإمام الفخر الرازي ٢٢/٧

(2) سورة (طه) الآية ١٢

(3) سورة (الأنبياء) الآية ٦٧

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ وأخفى ﴾

(5) محي السنة البغوي ٥ / ٢٦٤

تحريره أنه يعلم أسرار العباد والعباد لا يعلمون أسراره ، كقوله تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾ (1)

قوله ((وليس بذاك)) (2) أي الشرط لا يلائمه ، لأن الكلام ليس في إثبات العلم لله تعالى ونفيه عما سواه . قال صاحب الانتصاف (3) [يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الاسمية إن عطفته على الجملة الكبرى أو عطف الماضي على المضارع إن عطفت الجملة الصغرى ، هذا من اللفظ ومن المعنى القصد الحضّ على ترك الجهر وسقوط فائدته ، يعلم الله ما هو أخفى منه] وإذا جعلت فعلا ماضياً خرج عن قصد السياق ، وليس مثله قوله تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾ (4) إذ بين السياقين اختلاف .

قوله ((فاعلم أنه غنيّ عن جهرك)) فيه إيذان بأن السؤال عن وجه ترتب الجزاء على الشرط ، يعني أن من شرط الجزاء أن يكون مُسَبّباً عن الشرط ، وههنا الشرطية مفقودة . وأجاب بوجهين مآلهما إلى تقدير الإعلام والتنبيه والتوبيخ والجواب الأول مبنيّ على نفي الجهر وإثبات الغير ، والثاني على الإرشاد إلى وجه حكمته ، أما قوله : أوّلا ((فاعلم أنه غني عن جهرك)) فتوبيخ ؛ يعني جهرك بالقول سبب لأن أوقفك على قلّة جد واه ، لأن السامع قريب يسمع السرّ وأخفى ، ومنه تأديب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، روينا عن البخاري ومسلم (5) عن أبي موسى قال : كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اربعوا على أنفسكم إنكم

---

(1) سورة (طه) الآية ١١٠ ، وقوله تعالى في سورة الملك الآية ١٣ : ﴿ وأسرّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ﴾ وقوله في سورة التغابن الآية ٤ : ﴿ يعلم ما تسرّون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾

(2) يعني أن قوله تعالى : ﴿ وأخفى ﴾ فعل ماضٍ (ليس بذاك)

(3) الانتصاف مع الكشاف ٥٢/٣

(4) سورة (البقرة) الاية ٢٥٥

(5) البخاري مع الفتح ٣٧٢/١٣ كتاب التوحيد ، باب (وكان الله سميعا بصيرا) رقم ٧٣٨٦ ومسلم ٢٠٧٦/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر برقم ٢٧٠٤

ما تدعون أصمّ ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم) الحديث . وأما قوله : ثانيا أن يكون نهياً عن الجهر فمعناه : لا تجهروا بالقول في الدعاء بل اعتمدوا الخفية ، فإنها أبعد من الرياء وأقرب إلى الخضوع وأهضم للنفس كما قال تعالى : ﴿ واذكر ربّك في نفسك تضرعا وخِيفة ودون الجهر من القول ﴾ [1] . وأما قوله : ثالثا تعليما للعباد ، فتأويله إني ما كلّفتكم الجهر لأني لا أسمع إلا الجهر ، فإني أسمع السر وأخفى ، وإنّما كلّفتكم لأمر آخر فَرُومُوه من مظانه ، كأنه قيل : شرعية الأمر بالجهر سبب للتنبيه على وجه الحكمة ودفع الريبة ، قال القاضي [2] : [في شرعية الجهر ليس لإعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ، ومنعها عن الاشتغال بغيره وضمها بالتضرع والجؤار] ، وقلت : وقد أسلفنا في خاتمة الأعراف مراتب الدعاء بحسب اختلاف المقامات على لسان العارفين . ومن الاعتبارين ما روينا عن أبي داود والترمذي [3] عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر رضي الله عنه يخفض من صوته ، ومرّ بعمر رضي الله عنه يصلي يرفع صوته ، فسأل أبابكر فقال : قد أسمعت من ناجيتُ يا رسول الله ، وسأل عمر فقال : أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان . وأخرج الإمام أحمد [4] نحوه عن علي وزاد الحسن في حديثه فقال يا أبابكر ارفع من صوتك شيئا ، وقال لعمر : اخفض من صوتك شيئا . ورواه أبو داود [5] عن أبي هريرة أيضاً . واعلم أن هذه المعاني المذكورة مستنبطة من الآية باستعانة إشارة النص وأما عبارته فلإثبات علمه الشامل للكائنات من جُزْءياتها وكلياتها إيماء إلى التدبر التام ، وقوله : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ [6] إشارة إلى المالكية العامة ، فيكون قوله ﴿ وإن تجهر

---

(1) سورة (الأعراف) الآية ٢٠٥

(2) القاضي البيضاوي ١٨/٤

(3) أخرجه أبو داود ٨٢/٢ كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل رقم ١٣٢٩ ، والترمذي ٣٠٩/٢ كتاب الصلاة ، باب ما جاء في قراءة الليل رقم ٤٤٧ ، وقال : هذا حديث غريب

(4) أحمد في مسنده ١٠٩/١

(5) رواه أبو داود ٨٢/٢ كتاب الصلاة ، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل برقم ١٣٣٠

(6) سورة (البقرة) الآية ٢٥٦.

بالقول .. الآية ﴾ إثبات للعالمية ، فالمعنى تنبّه أيها السامع على أن علمه محيط بكلّ شيئ وإن أردت أن تجهر بالقول وتخفي في نفسك خلافه فاعلم أنه يعلم المضمر وأخفى منه مما ستسره فيها ، وهو في المبالغة في جانب العلم مثل ﴿ وما تحت الثرى﴾ في جانب الملك فينطبق على هذا التأويل مجيئ اسمه المقدّس الجامع لأجل ترتب الحكم بالتوحيد عليه وإرداف قوله ((له الأسماء الحسنى)) [١] به على التّتميم .

قوله : ((سائر الأسماء)) الجوهري [٢] [سائر الناس جميعهم] وذكره في السير مع الياء ، وقال ابن الأثير في النهاية [٣] : [السائر مهموز ، ومعناه الباقي ، والناس يستعملونه في معني الجميع ، وليس بصحيح ، وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث ، وكلّها بمعنى باقي الشيئ ومنه فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام أي باقيه] وفي المغرب [٤] [الأسآر جمع على أفعال جمع سؤر ، وهو بقية الماء التى يبقيها الشارب في الإناء ، ثم استعير لبقية الطعام وغيره] ، وقال الحريريّ في درة الغواص : [يستعملون سائر بمعنى جميع ، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي ، والدليل عليه قول النبي صلى ا لله عليه وسلم لغيلان حين أسلم وعنده عشرة نسوة : (اختر أربعاً منهن وفارق سائرهن) [٥] وما أنشد سيبويه :

ترى الثور فيها مدخل الظلّ رأسه *** وسائره باد إلى الشمس أجمع [٦]

قوله : ((قفّاه بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به)) الضمير راجع الى معنى قوله : ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ [٧] على أن يكون المعنى إنا أنزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء

---

(١) تفسير قوله تعالى (ا لله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) سورة (طه) الآية ٨

(٢) الجوهري ٦٩٢/٢ مادة (سير)

(٣) النهاية ٣٢٧/٢ مادة (سأر)

(٤) المغرب ٣٧٨/١ مادة (سأر)

(٥) أخرجه أبو داود ٦٧٧/٢ كتاب الطلاق ، باب في من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع برقم ٢٢٤١ والترمذي برقم ١١٢٨ وابن ماجه برقم ١٩٥٣ وأحمد ١٣/٢ رقم ٤٦٠٩

(٦) لم أقف على قائله

(٧) سورة (طه) الآيات ١-٣

الإسلام ومقابلتهم وغير ذلك ، كما أنزلنا على موسى التوراة لذلك ، فتكون الواو عاطفة قصة باستقلالها على قصة مثلها .

قوله : ((أعباء النبوة)) الجوهري [1] [العبء بالكسر الحِمْلُ ، والجمع الأعباء] .

قوله : ((ظرفا للحديث [2]، لأنه حدث أى مصدر هنا بدليل قوله : ﴿ فقال لأهله امكثوا ﴾ [3] بخلاف قوله : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ [4] فإنه بمعنى الخبر قال الجوهري [5] : [والحديث الخبر يأتي على القليل والكثير] ، الراغب [6] [كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع في يقظته أو منامه ، يقال له : حديث ، قال تعالى ﴿ وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثا ﴾ [7] وقال : ﴿ وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ [8] أي ما يحدث به الإنسان في نومه ، وسمى تعالى كتابه حديثا ، قال : ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ [9] وقال : ﴿ فما هـؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ﴾ [10] والحديث الطَّريُّ من الثمار ورجل حَدُوثٌ حسن الحديث ، ورجل حَدَثٌ ، وحديث السنّ بمعنى قوله ((شاتية))[11] قيل : هي من قولهم : شتوت بموضع كذا أقمت به الشتاء ، قوله : ((مثلجة)) أي ذات ثلج .

---

(1) الجوهري ٦١/١ مادة (عبأ)

(2) تفسير قوله تعالى (إذ رآى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى)الآية ١٠ طه

(3) سورة (طه) الآية ١٠

(4) سورة (الغاشية) الآية ١

(5) الجوهري ٢٧٨/١ مادة (حدث)

(6) الراغب ١١٠ مادة (حدث)

(7) سورة (التحريم) ٣

(8) سورة (يوسف) الآية ١٠١

(9) سورة (الجاثية) الآية ٦

(10) سورة (النساء) الآية ٧٨

(11) تفسير قوله ﴿ رأى نارا ﴾ قال (ز) : خرج موسى بأهله ، فولد له في الطريق ابن في ليلة ((شاتية)) مظلمة مثلجة

قوله : ((وقدح فَصَلَدَ زَنْدَهُ)) الجوهري [1] [وصلد الزند يصلِد بالكسر صلودا إذا صوّت ولم يخرج نارا] .

قوله : ((لما وجد منه الإيناس)) [2] يروى وجد معروفا ومجهولا ، والأول أوجه لمطابقة خيفة لهم أي لما وجد موسى من نفسه الإيناس خيفة للأهل بأن قال إني آنست بكلمة التحقيق ، قوله : من سعفة السعفة [3] الخرقة بلغة أهل مكّة ، والسعاف الخزاف .

قوله : ((إذا وجد الهداة فقد وجد الهدى)) [4] يريد أنه أطلق الهدى وأريد الهداة إطلاقاً اللازم على الملزوم ، ويمكن أن تكون الآية من باب قول ابن المنادر

**إن عبدالحميد لمّا تولـّى ** هـدَّ رُكْناً ما كان بالمهدود **

**ما درى نعشه ولا حاملوه ** ما على النعش من عفاف وجود **

لأنه إذا واجد الهدى في ذلك المكان ولا ارتياب في أنه لا يتقوم فيه بنفسه ، فقد وجد الهداة وعليه البيت المستشهد به في الكتاب [5] ، قوله ((وبات على النار))

قوله : ((كما قال سيبويه)) يعني جعل استعلاءه مكان يقرب منها بمثابة استعلائها كما جعل اللصوق بما كان يقرب من زيد بمثابة اللصوق بمكان زيد .

قوله ((أو لأن المصطلين بها)) أعلم أن على النار ظرف مستقر حال من (هدى) وكان صفة قد مت ، فصارت حالاً ، قال صاحب الفرائد : (على) حرف جر لا بدّ له من متعلق ، فالتقدير أو أوجد ذوي هدى مشرفين على النار لأنه لا بدّ في الاصطلاء بالنار من أن تكون النار تحت أذيالهم .

---

(1) الجوهري ٢/٤٩٨ مادة (صلد)

(2) تفسير قوله : ﴿ إني آنست نارا ﴾

(3) السَّعَفَةُ بالتحريك غُصْنُ النَّخل ، وسعوف البيت فرشه وأمتعته ، الواحدة سعف بالتحريك ، اللسان ٩/١٥١-١٥٢

(4) تفسير قوله : ﴿ أو أجد على النار هدى ﴾

(5) يشير إلى بيت الأعشى يمدح المحلّق

** تشبّ لمقرونين يصطليانها ** وبات على النار الندى والمحلق **

انظر : مشاهد الإنصاف ٣/٥٣.

قوله ((تكنّفوها)) الجوهري [1] تكتفّوه واكتنفوه أى أحاطوا به ، والتكنيف مثله .

** لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ** إلى ضوء نار في يفاع محرّق **

** تشبّ لمقرورنين يصطليانها ** وبات على النار الندى والمحلق **

** رضيعي لبان ثدي أمّ تقاسما ** بأسحم داج عَوْضُ لا تتفرّق ** [2]

قال الحريري في درة الغواص : بعد إنشاد البيتين الأخيرين يعني أن المحلق الممدوح والندى ارتضعا ثدي أمّ وتحالفا على أنهما لا يفترقان أبداً لأن عوضُ من أسماء الدهر، وهي مما بني على الضم والفتح وهو للمستقبل كما أن قطّ للماضي وعني بالأسحم الداجي ظلمة الرحم المشار إليها في قوله تعالى : ﴿ يخلقكم في بطون أمّهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ﴾ [3] وقيل : بل عني به الليل . ومعنى (تقاسما) على التقديرين تحالفا . وقيل : تقاسما اقتسما وأن المراد (بالأسحم الداجي) الدم ، و (البقاع) المكان المرتفع ، وهو أشهر النار للقاصدين (تشب) توقد ، و (المقرور) من أصابه القّرأيْ البرد ، و (المحِلّق) بكسر اللام وفتحها اسم رجل من بني عكاظ ، كان خاملاً فقيراً له عدة بنات لا يرغب فيهن فانعزل عن قومه إلى بعض المهامِه ، فنزل به الأعشى ذات ليلة ، فأحسن قراه ، ونحر ناقته ، ولم يكن عنده غيرها فوقع صنعه من أعشى موقعا جليلا فلمّا أراد الانصراف قال : ألك حاجة ؟ قال : أُريد أن تسير بذكري في بني عكاظ ؛ لعلي أشتهر ويرغب في بناتي فقد مسّهن الضرّ ، فتوجّه الأعشى إلى قومه ومدحه بقصيدة ذكر فيها محاسن شيمته ومكارم أخلاقه واستمال به قلوبهم إلى مواصلته فلم يَمْض قليلا حتى خطب إليه جميع بناته .

قوله ((أي نودي فقيل يا موسى)) [4] قال صاحب الكشف : فعلى هذا الذى قام مقام الفاعل في الحقيقة في نوديَ هو المصدر دون قوله (ياموسى) لأنه جملة

---

(1) الجوهري ٤/١٤٢٤ مادة (كنف)

(2) مشاهد الإنصاف ٣/٥٣.

(3) سورة (الزمر) الآية ٦

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ فلما أتاها نودي يا موسى ﴾

والجمل لا تقوم مقام الفاعل ألا ترى أنه قال في قولهم : ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه ﴾ (١) أن التقدير : ثم بدا لهم بدء ، ولا يقوم (ليسجننه) مقام الفاعل ، لأنه جملة والجمل نكرات ، والفاعل يضمر والمضمر أعرف المعارف ، فإذاً التقدير : نودي النداء ثم فسر فقيل (يا موسى) .

قوله ((بأني أسمعه من جميع جهاتي الستّ وبجميع أعضائي)) (٢) قال صاحب الانتصاف : إن كان الزمخشري قصد بهذا التعصب لمذهبه في حدوث الكلام لم يبعد منه وإن كان نقله ، كما وجده في كتب التفسير ، فلا عليه والمعتقد الحق (٣) أن الذي

---

(١) سورة (يوسف) الآية ٣٥

(٢) تفسير قوله : ﴿ إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ الآية ١٣ (طه) قال (ز) : وأن إبليس وسوس إليه فقال : لعلك تسمع كلام شيطان ، فقال : أنا عرفت أنه كلام الله ((بأني أسمعه .. الخ

(٣) هذا معتقد الأشاعرة في الكلام ، وأن الذى سمعه موسى من ربه ليس فيه حرف ولا صوت إلخ ، والمعتزلة يجعلون كلام الله مخلوقا . ومذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن هو كلام الله تعالى بألفاظه ومعانيه، كما صرح تعالى بأن هذا المسموع هو كلام الله في قوله تعالى في سورة براءة الآية ٦ : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ فصرح بأن هذا الذى يسمعه هذا المشرك المستجير هو كلام الله ، فالكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري ، وما يزعمه بعضهم من تجريد كلامه جل وعلا عن الحروف والألفاظ باطل . قال سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم الشنقيطي في مراقي السعود معرفا للقرآن:

** لفظ منـزل على محمـد ** لأجل الاعجاز وللتعبد **

فصرح بأن القرآن لفظ ، وأنه ليس مجرد المعنى القائم بالذات المجرد عن الألفاظ والحروف . انظر مذكرة أصول الفقه لشيخنا ـ المغفور له ـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٥٤ ، والله أعلم بكيفية كلامه جل وعلا ، فليس لنا إلا التصديق ، والعجز عن الكيفية ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ١٢/١٧٢ بعد أن استطرد ما قيل في كلام الله من المذاهب كلها . قال : [فبيّن الله ورسوله أن القرآن المسموع كلام الله لا كلام أحد من المخلوقين ، والناس يقرءونه بأصواتهم ، فمن قال : إن هذا القرآن المسموع ليس هو كلام الله أو هو كلام القارئين ، كان فساد قوله معلوم بالضرورة شرعا وعقلا ، كما أن من قال : إن هذا الصوت المسموع ليس هو صوت العبد ، أو هو صوت الله كان فساد قوله معلوما بالضرورة شرعا وعقلا . بل هذا هو كلام الله لا كلام غيره سمعه جبريل من الله ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل ، وسمعه المسلمون من نبيهم ، ثم بلغه بعضهم إلى بعض ، وليس لأحد من الوسائط فيه إلا التبليغ بأفعاله وصوته ، لم يحدث أحد منهم شيئا من حروفه ولا نظمه ولا معانيه ، بل جميع ذلك كلام الله تعالى .

سمعه موسى ليس حرفاً ولا صوتا إذا لو كان صوتا فالصوت عرض والعرض الواحد لا يوجد في الجهات الست ، فعبّر بنفي لازم كونه صوتا عن نفي الصوت ، كقوله صلوات الله عليه : (وكلتا يديه يمين) أي لو كانتا جارحتين لكانت إحداهما يسرى . ,إما أن الصوت لا يختلف بقرب وبعد فمما يجب تغليط[1] رواته . والذي يثبت صوتا ، وحيثما يقول : إن موسى قال : سبحانك أسمع صوتك ولا أرى شخصك ، وقلت : روى الواحدى ومحي السنة [2] [عن وهب نودي من الشجرة فقيل : يا موسى ، فأجاب سريعاً ـ ما يدرى من دعاه ـ فقال : إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت ؟ فقال : أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك ، فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله عزّ وجل فأيقن به] هذا كله لا يدلّ على لزوم الجسمية ، وكذلك القرب والبعد ، وقال القاضي : [3] [وهذا إشارة إلى أنه عليه السلام تلقى من ربّه كلامه تلقياً روحانياً ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحسّ المشترك فانتقل إليه من غير اختصاص بعضو وجهة] .

قوله : ((فألقيت عليه السكينة)) السكينة فعيلة من السكون وهي الطمأنينة.

قوله : ((عوسجة)) الجوهري [4] : [العوسج ضرب من الشوك الواحد منها عوسجة .

قوله : ((لأنهما كانتا من جلد حمار)) [5] عن الترمذي [6] عن ابن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (كان على موسى يوم كلمه ربّه سراويل صوف ونعلان من جلد حمار ميت) ، الراغب [7] : [الخلع خلع الإنسان ثوبه

---

(1) روايته في ب

(2) محي السنة البغوي ٥/٢٦٦ وعزاه السيوطي ٥/٥٥٤-٥٥٥ للإمام أحمد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبي حاتم، والواحدي ٣/٢٠٢ بلفظه .

(3) القاضي البيضاوي ١٩/٤

(4) الجوهري ٣٢٩/١ مادة (عسج)

(5) تفسير قوله : ﴿ فاخلع نعليك ﴾ قال (ز) : أمر بخلع النعلين ((لأنهما كانتا .. إلخ

(6) أخرجه الترمذي ١٩٦/٤ كتاب اللباس ، باب ما جاء في لبس الصوف برقم ١٧٣٤ قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج ، وهو منكر الحديث . ورواه الحاكم في المستدرك ٣٧٩/٢ وصححه على شرط البخاري ، ثم تعقبه الذهبي بقوله : بل ليس على شرط البخاري ، وإنما غرّه أن في الإسناد حميد بن قيس كذا ، وهو خطأ ، إنما هو حميد الأعرج الكوفي أحد المتروكين .

(7) الراغب ١٥٥ مادة (خلع)

والفرس جُلّه وعذاره ، وإذا قيل : خلع فلان على فلان معناه أعطاه ثوباً ، واستفيد معنى العطاء من هذه اللفظة بأنْ وصِلَ به على فلان بمجرّد الخلع] والنّعل معروفة ، وشبه به نعل الفرس ونعل السيف وفرس منعل في أسفل رسغه بياض ، ورجل ناعل ومنتعل ويعبّر به عن الغنى كما يعبّر عن الفقير بالحافي .

قوله : ((الحفوة تواضع)) الجوهري [1] [عن الكسائي رجل حافٍ بيّن الحِفْوَة والحِفَاء بالمد ، وقد حَفِي يحفي ، وهو الذى يمشى بلا خفّ ولا نعل . وأما الذي حَفِيَ من كثرة المشي ـ أي رقت قدمه أو حافره فإنه حَفٍ] .

قوله : ((طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف)) في معالم التنزيل [2] [قرأ أهل الكوفة والشام بالتنوين والآخرون بلا تنوين ، لأنه معدول عن طاوٍ] الراغب [3] [طويت طيّاً ، وذلك كطيّ الدرج ، وعليه قوله تعالى : ﴿ يوم نطوي السماء كطيّ السجل ﴾ [4] ومنه طويت الفلاة ، ويعبّر بالطي عن مُضِيّ العمر ، يقال: طوى الله عمره . وقوله تعالى : ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ [5] يجوز أن يكون من الأول وأن يكون من الثاني ، والمعنى مُهْلَكَاتٌ . وقوله تعالى : ﴿ إنك بالواد المقدس طوى ﴾ [6] قيل : هو اسم للوادي الذي حصل فيه ، وقيل : إن ذلك جعل إشارة إلى حالة حصلت له على طريق الاجتباء ، فكأنه طَوَى عليه مسافة لو احتاج إليها أن ينالها بالاجتهاد لَبَعُدَ عليه . وقيل : هو اسم أرض ، فمنهم من يصرفه ومنهم من لا يصرفه . وقيل : مصدر طَوَيْتُ فيصرف ويفتح أوله ويكسر نحو ثَنىً وِ ثِنىً ومعناه ناديته مرتين] .

---

(1) الجوهري ٢٣١٦/٦ مادة (حفا)

(2) معالم التنزيل للتغوي ٢٦٧/٥

(3) الراغب ٣١٢ ، ٣١٣

(4) سورة (الأنبياء) الآية ١٠٤

(5) سورة (الزمر) الآية ٦٧

(6) سورة (طه) الآية ١٢

قوله : ((وقيل مرتين نحو ثنّي الجوهري [1] ، قال بعضهم : مثل طِويً وهو الشيئ المُثنّي ، وقال : ثنيت فيه البركة والتّقديس مرتين] .

قوله : ((كرّة بعد كرّة)) نحو لبيك (وسعديك) [2]

قوله : وقرأ حمزة ﴿ وإنّا اخترناك ﴾ يعني أنّا بتشديد النون ، والباقون بتخفيف النون ، الراغب [3] [الاختيار طلب ما هو خير وفعله ، وقوله تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾[4] يجوز أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيرا ، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم ، والمختار في عرف المتكلّمين ، يقال : لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه ، فقولهم : هو مختار في كذا فليس يريدون به ما يراد بقولهم : فلان له اختيار .

قوله : ((لتذكرني))[5] فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار ، هذا الوجه .

وقوله : ((أو لتكون لي ذاكرا غيرنا س فعل المخلصين)) إلى أخره متقاربان ، لكن المراد بالإقامة على الأول تعديل أركانها . وعلى الثاني إدامتها وجعلت الصلاة في الأول مكانا للذكر ومقرّه وعلّته ، وعلى الثاني جعلت إقامة الصلاة أي إدامتها علّة لإدامة الذكر أي أدِم الصلاة لتستعين بها على استغراق فكرك وهمّتك في الذكر كقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾[6] ولخّصهما القاضي [7] [حيث قال : خص الصلاة بالذكر وأفردها بالأمر للعلة التي أناط بها إقامتها ، وهو تذكّر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره ، يعني ولثبوته الذكر أفردت الصلاة عن جنس العبادات وجعلت جنساً أشرف وأعلى منها ، ثم نيط بها الذكر للعلية ليؤذن بأن الذكر مخّ العبادة] تم كلامه . واعلم أنه تعالى كلّما خاطب كليمه عليه السلام في مقام القدس بخطاب رتّب عليه حكما ، قال : أولا ﴿ إني أنا ربك ﴾ فعقبه بقوله :

---

(١) الجوهري ٦/٢٤١٦ مادة (طوى)

(٢) ما بين القوسين س من ب

(٣) الراغب ١٦١ مادة (خير)

(٤) سورة الدخان الآية ٣٢

(٥) تفسير قوله تعالى (لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري)

(٦) سورة البقرة الآية ٤٥.

(٧) القاضي البيضاوي ٤/١٩

﴿ فاخلع نعليك ﴾ ، قال الإمام [1] : [نبّه به على تعظيم البقعة وعلى أن لا يطأها إلا حافيا ، ولذلك علّله بقوله : ﴿ إنك بالواد المقدّس طوى ﴾] وإكرام الديار لساكنيها ، كأنه أشير به ، إنك بوادي فقدّس جلال ا لله وطهارة عزّته ، فتجرّد عمّا سوى ا لله . ويمكن [2] أن يقال : خَلْعُ النعلين إشارة إلى تجريد ما وقع النظر عن السعي بالكلية ، لأن بالقدم يعبر عن السعي ، كما أن باليد يعبّر عن القوة ويوافقه ما رواه السلمي في الحقائق عن الشبلي : اخلع الكلّ منك تصل إلينا بالكلية ، فيكون ولا يكون ، فتحقّق في عين الجمع ليكون إخبارك عنّا وفعلك فعلنا ، وقال ابن عطاء: اخلع نعليك أنزع عنك قوة الاتصال والانفصال إنك بوادي الانفراد معي ، ليس معك أحد سواي . وا لله أعلم . وثانيا ﴿ وأنا اخترتك ﴾ فعقّبه بقوله ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ قال الإمام [3] : [﴿ وأنا اخترتك ﴾ لذلك المنصب العالي ابتداء لا أنه استحقاق منك على ا لله فتأهب له واجعل نفسك وعقلك مصروفا إليه ، فقوله : ﴿وأنا اخترتك﴾ يفيد نهاية اللطف والرحمة ، وقوله : ﴿ فاستمع ﴾ غاية الْهَيْبة والرهبة . وثالثا ﴿ إنّني أنا ا لله لا إله إلا أنا فاعبدني ﴾ قال الإمام [4] : [الفاء دلّت على أن إلهيته هي التي ألزمت العبادة ، هذا هو تحقيق قول العلماء] ﴿لا إله إلا هو﴾ معناه المستحقّ للعبادة . ورابعا ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدّنك عنها من لا يؤمن بها ﴾ رتّب نهي المخاطب عمّا يصدّه عن الآيات على مجيئ الساعة ، كما رتّب نهي مدّ النظر على إيتاء السبع المثاني في قوله تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم * لا تمدن عينيك إلى ما متّعنا به أزواجا منهم ﴾ [5] أي لا يصدّنك النظر إلى متمتّعاتهم التي هي زهرة الحياة الدنيا عن

---

(٥) الإمام الفخر الرازي ١٧/٢٢

(٢) وهذا من التفسير الاشاري ، ولذا استشهد بكلام السلمي في الحقائق عن الشبلي ، والشبلي : هو دلف بن حجر أحد النساك المتصوفة ، انظر وفيات الأعيان ١٨٠/١ وصفة الصفوة ٢٥٨/٢.

(٣) الإما م الفخر الرازي ١٩/٢٢

(٤) الإمام الفخر الرازي ١٩/٢٢

(٥) سورة (طه) الآية ٨٧

التهيئة لزاد المعاد ، والتفرغ للعبادة ، ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ (١) وقال الإمام (٢) : [قوله : ﴿ فاخلع نعليك ﴾ تخلية ، والثلاثة الأخرى تحلية ، فقوله : ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ إشارة إلى علم المبدإ ، وقوله : ﴿ فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ علم الوسط ، وهو مشتمل على العمل بالجوارح وبالقلب ﴿ فاعبدني ﴾ إشارة إلى الأول ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ إلى الثاني ، وقوله : ﴿ إن الساعة آتية ﴾ علم المعاد . وقلت : إذا تقرّر هذا المعنى انخرط فيه معنى قول سيّد المرسلين : (من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها) روينا عن مالك (٣) والترمذي وأبي داود ، وغيرهم عن أبي هريرة في حديث طويل : فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي صلاة الصبح حين نام عنها ، قال : (من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها ، فإن الله تعالى قال : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ لأن الحكمة في وضع إقامة الصلاة كما سبق تذكّر المعبود فيها ، وأنها مكانه ومحله ، فإذا ذكرت الصلاة بادر الحكمة في شرعيتها في الذهن ، فتكون الحكمة حاملة للمكلّف على إقامتها ، فصح أن يكون وجود ذكر الله سببا لإقامة الصلاة ، فالعدول عن هذا التأويل إلى الوجوه التي ذكرها المصنف في تأويل الحديث ، وجعلها متمحّلة تعسّف وتمحّل .

قوله : ((وكان ذلك لستّ ليال خلون)) (٤) ، قال الحريري في درة الغواص : [والاختيار أن يقال من أول الشهر إلى منتصفه : خلت وخلون ، وأن

---

(١) سورة (طه) الآية ١٥

(٢) الإمام الفخر الرازي ١٩/٢٢

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١٤/١ كتاب وقوت الصلاة ، باب النوم عن الصلاة برقم ٢٥ وأبو داود ٣٠٧/١ ، ٤٠٨ كتاب الصلاة ، باب من نام عن الصلاة أو نسيها رقم ٤٤٢ ومسلم ٤٧١/١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة برقم ٦٨٠ والبخاري مع الفتح ٧٠/٢ كتاب مواقيت الصلاة ، باب من نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها الخ برقم ٥٩٧ والترمذي ٣٣٦/١ أبواب الصلاة ، باب ما جاء في الرجل ينسى الصلاة رقم ١٧٨

(٤) قال (ز) عند قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ واللام مثلها في قولك : جئتك لوقت كذا ((وكان ذلك لستّ ليال)) الخ .

يستعمل في النصف الثاني بقيت وبقين ، على أنّ العرب تختار أن تجعل النون للتقليل والتاء للتكثير ، فيقولون : لأربع خلون ، وإحدى عشرة خلت .

قوله : ((وكان حقّ العبارة أن يقال : لذكرها)) كما قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : (إذا ذكرها) ، يعني حمل ﴿ لذكري ﴾ على ذكر الصلاة بعد نسيانها غير صحيح ، لأنّه لو أريد ذلك لقيل : ﴿ أقم الصلاة لذكرها ﴾ ولا يجاء بضمير ا لله سبحانه وتعالى ، كما أنّ رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم حين أراد هذا المعنى أتى بضمير الصلاة دون ضمير ا لله في قوله : (إذا ذكرها) .

قوله : ((ومن يتمحّل له)) ، تمحّل أي احتال فهو متمحّل . قاله الجوهري [١].

قوله : ((أو لأن الذكر والنسيان من ا لله تعالى في الحقيقة)) ، يعني لما كان الذكر والنسيان من ا لله تعالى حقيقة أسند إليه في الآية كما أسند في قوله : أنبت ا لله البقل ، والمستعمل أنبت الربيع البقل .

قوله : ((من اللطف)) [٢] ، لأنّ في الإعلام بتعيين وقوعها قطعاً ، وفي إخفاء الوقت مع الانتظار ساعة فساعة تحذيرا .

قوله : ((ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف)) ، يريد أنّه لابدّ لهذا الكلام من وجود قرينة على تعيين المحذوف ، والذي دلّ عليه الكلام الإتيان ، فيجب أن يقدّر ﴿ أكاد أخفي ﴾ إتيانها ، على حذف المضاف ، وقيل : والذي يدلّ على ذلك المقدّر إيجاب أخفيها من متعلّق ، وهو على من أخفيها ، فلا يجوز أن يقال : ﴿ أكاد أخفيها ﴾ من الخلق ، لأنه تعالى أخفاها عنهم ونصّ عليه بقوله : ﴿ إنّ ا لله عنده علم الساعة ﴾ [٣] ، وبقوله : ﴿ إنّما علمها عند ربي ﴾ [٤] ، وغير ذلك ،

---

(١) الجوهري ١٨١٧/٥ ، مادة (محل) .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنّ الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى ﴾ الآية ١٥ ، قال (ز) في قوله : ﴿ أكاد أخفيها ﴾ : ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها ((من اللطف)) .

(٣) سورة لقمان ، الآية ٣٤ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٨٧ .

فتعيّن أنه تعالى كاد يخفيها من نفسه على سبيل المبالغة ، قال محي السنة [1] : [وأكثر المفسرين على أن معناها أكاد أخفيها من نفسي ، وكذلك هو في مصحف أبيّ بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ﴿ أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهرها لكم ﴾ ، وهو على عادتهم إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون : كتمت سرّك من نفسي ، أي أخفيته غاية الإخفاء] ، روى صاحب الانتصاف [2] عن أبي علي : أخفيها أزيل خفاءها وأظهرها ، تقول : أخفيته أزلت خفاءه ، مثل : أشكيته وأعتبته ، ويؤيّده القراءة بالفتح [3] من خفاه إذا أظهره .

قوله : ((أخفيها بالفتح)) ، قال ابن جنّي [4] : [أخفيت الشيء كتمته وأظهرته جميعاً ، وخفيته بلا ألف أظهرته البتّة ، وقال أبو علي وابن جنّي [5] : [إذا كان ﴿ أُخفيها ﴾ بالضم [6] بمعنى أظهرها ، فاللام في قوله : ﴿ لتجزى ﴾ متعلّقة بنفس ﴿ أخفيها ﴾ ، ولا يحسن الوقف دونها ، وإذا كان بمعنى الإخفاء والستر فمتعلّقه بنفس آتية فالوجه أن يقف بعد أخفيها وقفة قصيرة] .

قوله : ((فإن تدفنوا الداء)) [7] البيت ، الأساس [8] : [ومن المجاز : فيه داء دفين ، وهو الذي لا يعلم به حتى يظهر شرّه] ، يقول : إن ترجعوا إلى الصلح لا تظهر العداوة وأن تبعثوا الحرب إي تعودوا إلى الحرب نعد إليها .

قوله : ((فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين)) ، أي القراءة المشهورة تحتمل ﴿ أخفيها ﴾ أي أكتمها ، وأخفيها ، أي أظهرها على ماسبق .

---

(١) محي السنة البغوي ٢٦٧/٥ .

(٢) صاحب للانتصاف أحمد بن منير المالكي ٥٦/٣ .

(٣) قرأ بالفتح ﴿ أخفيها ﴾ بفتح الهمزة سعيد بن جبير وأبو الدرداء ، مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٨٧ .

(٤) المحتسب لابن جنّي ٤٧/٢ .

(٥) المحتسب لابن جنّي ٤٨/٢ .

(٦) (بالفتح) في ابن جنّي ٤٨/٢ .

(٧) البيت لامريء القيس ، من شواهد الزمخشري ، وتمامه :

** فإن تَدْفِنوا الداءَ لا نُخْفِهِ ** وإن تَبْعَثوا الحربَ لا نَقْعُد **

(٨) الأساس ١٩١ ، مادة (دفن) .

قوله : ((لتجزي)) متعلق بآتية ، فيكون قوله : ﴿ أكاد أخفيها ﴾ معترضتان بين المتعلّق والمتعلّق مؤكداً لمعنى الإخفاء ، لأنّ قوله : ﴿ إنّ الساعة آتية ﴾ ﴿ لتجزي ﴾ دلّ على الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها وبيان الحكمة فيها .

قوله : ((والضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة)) (١) ، هذا هو الوجه ، وعليه تأليف النظم ، لأنّ قوله : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ من عطف الخاصّ على العام ، وهو ﴿ فاعبدني ﴾ أي أعبدني وانتظر وقت الجزاء ولا تقصّر في العبادة فيلحقك فيها فتور ، لأنك لا تدري متى تأتيك الساعة لقوله تعالى : ﴿ واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين ﴾ (٢) ، وإن اعتراك صادّ يصدّك عن العبادة فلا تلتفت إليه ، فعلى هذا المراد بقوله : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ أدم الصلاة لتكون ذاكراً غير ناسٍ فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربّهم على بال منهم وتوكيل همّهم وأفكارهم به ، كما قال : ﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ (٣) ، يدلّ عليه سياق الكلام ، وينطبق عليه تأويل نبي الله صلوات الله عليه : (من نسي صلاة فليقضها إذا ذكرها) (٤) يعني دوموا على إقام الصلاة ، فإذا طرأ النسيان الذي هو خلاف العادة فارجعوا إلى ما كنتم عليه ، لأن الشرط تعليق للحادث الطاريء .

قوله : ((العبادة)) ، يعني قوله : ﴿ ولا يصدّنّك عنها من لا يؤمن بها ﴾ وهو لنهي الكافر الغائب ، والمقصود نهي موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث تهييجاً أمره بالمداومة على التصديق له .

قوله : ((فيه وجهان)) أي في صلاح هذه العبارة لأداء هذا المقصود طريقان ، أحدهما أن الكافرين إذا صدّوه عليه السلام عن تصديقه البعث (٥) ، وأثر فيه ذلك ، كان سبباً بأن يكذب بالبعث ، فنهاهم عن الصدّ الذي هو السبب ،

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فلا يصدّنّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ الآية ١٦ ، قال (ز) : أي يصدنك عن تصديقها ((والضمير للقيامة)) إلخ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٩٩ .

(٣) سورة النور ، الآية ٣٧ .

(٤) تقدم تخريجه قريباً .

(٥) (بالبعث) في م .

وأريد المسبّب وهو نهي موسى عن التكذيب تهييجاً وإلهاباً . وثانيها أن الكافر إنما ينهى عن الصدّ إذا وجد في موسى ما يتأثر عن صدّ الكافر من الرخاوة واللين . فيكون تأثره سبباً للنهي ، فذكر المسبّب وهو النهي ، ليدل على السبب وهو الرخاوة واللين ، فيرجع المعنى إلى قوله : كن شديد الشكيمة صلب [1] المعجم (وفي اعتبار العكس إيذان بأن الملازمة بين المذكور والمطلوب مساوية ، وهذا شأن الكناية ، ويجوز أن يكون الأول مجازاً و الثاني كناية . قال صاحب المفتاح الانتقال من اللازم إلى ملزوم معين يعتمد مساواته إياه لكنّهما عند التساوي يكونان متلازمين، فيصير الانتقال من اللازم إلى الملزوم إذ ذاك بمنزلة الانتقال من الملزوم إلى اللازم) [2] وفي قوله : ((عن رخاوة الرجل أدب حسن حيث كنّى به عن نبي ا لله .

قوله ((الشكيمة)) الأساس [3] [إن فلانا لشديد الشكمية إذا كان ذا جدّ وصرامة] ، قوله : ((صليب المعجم)) الجوهري [4] [عجمت العود أعجمُه بالضّم إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره ، والعواجم الأسنان ورجل صليبُ المَعْجَمِ إذا كان عزيز النفس] .

قوله ((يعنى أن من لا يؤمن بالآخرة)) شروع في بيان كون موسى عليه السلام على الوصف الذي يراد نهيه عنه ، فجعل نهي الكافر وسيلة إلى ذلك النهي ، وهو كونه في رخاوة وعدم تصلّب (في الدين) [5] بحيث يهوله وفور الكفرة ، ولذلك لخّص المعنى بقوله : ((ولا تجعل الكثرة مزلّة قدمك)) إلى آخره ، وقلت : وا لله أعلم ويمكن أن يحمل (من لا يؤمن) على المعرض عن عبادة ا لله المتهالك في الدنيا المنغمس في لذّتها وشهواتها بدليل قوله : ﴿ واتّبع هواه فتردى ﴾ ويحمل نهي الصّد عن نهي النظر إلى متمتعاتهم من زهرة الحياة الدنيا ليكون على وزان قوله تعالى: ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدّن عينيك إلى ما متّعنا به

---

(1) (صليب) في م ، ب

(2) ما بين القوسين س من ب ، م

(3) الأساس ٣٣٦ مادة (شكم)

(4) الجوهري ١٩٨١/٥ مادة (عجم)

(5) ما بين القوسين س من ب

أزواجا منهم ﴾ (١) كما سبق ، وتحمل متابعة الهوى على الميل إلى الإخـلاد إلى الأرض كقوله تعالى : ﴿ ولكنه أخلـد إلى الأرض واتّبـع هـواه ﴾(٢) يعـني تفـرغ لعبـادتي ولا تلتفت إلى ما هم فيه فإنها مردية مؤدية إلى المهالك ، فإن ما أوليناك واخترناه لك هـو المقصد الأسنى ، فإن شئت فانظر إلى أحقـر مـا معـك ، وهـو العصـا فإنهـا تبطـل مـا معهم، وفي هذا حثّ عظيم على الاشتغال بالعبادة وزجر بليغ عن الركـون إلى الدنيـا ونعيمها .

قولـه : ((كقولـه (٣) : ﴿ وهـذا بعلي شـيخا ﴾ (٤) في انتصـاب الحـال . قـال أبـو البقاء (٥) : [(ما) مبتدأ و (تلك) خبره ، و (بيمينك) حال يعمل فيها معنى الإشارة] .

قوله : ((نضناضة)) (٦) الأساس (٧) [حية نضناضة تُنَضنِضُ لسانها تحرّكه ، قال : (٨)

** تَبِيتُ الْحَيّةُ النَّضْنَاضُ منه ** مَكَانَ الحب تستمع السَّرارا **

قوله : ((زبرة)) الجوهري (٩) [الزبرة القطعة من الحديد]

قوله : ((وقرأ الحسن عَصَايِ بكسر الياء)) قال ابن جنّي (١٠) [وقرأ الحسـن وعمرو ، وأيضا بخلاف عنهما وكسر الياء في نحو هذا ضعيف استثقالاً للكسرة فيهـا هرباً إلي الفتحـة والألـف في عصـاي أخـفّ مـن الكسـرة واليـاء في ﴿ مُصْرِخـيّ ﴾ . ورويناعن قطرب وغيره :

** قال لها هل لك يا تا فيّ **(١١)

---

(١) سورة (الحجر) الآية ٨٧

(٢) الأعراف الآية ١٧٦

(٣) تفسير قوله تعالى:﴿ وما تلك بيمينك يا موسى ﴾ قال (ز) ((كقوله تعالى : ﴿ وهذا بعلي شيخا﴾ الأعراف الآية ١٧٦.

(٤) سورة (هود) الآية ٧٣

(٥) أبو البقاء العكبري ١٢٠/٢

(٦) قال (ز) : في تفسير قوله : ﴿ بيمينك ﴾ إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه في الخشبة اليابسة ، (يعنى العصا) من قلبها حية ((نضناضة))

(٧) الأساس ٦٣٨ مادة (نضض)

(٨) القائل الراعي . اللسان ٢٣٨/٧ مادة (نضض)

(٩) الجوهري ٦٦٦/٢ مادة (زبر)

(١٠) المحتسب لابن جني ٤٨ ، ٤٥ بتصرف منه

(١١) لم أقف على قائله

أراد (فيّ) ثم أشبع الكسرة للإطلاق فأنشأ عنها ياء نحو مَنزِلي وَحوْمَلي وقول ابن مجاهد : هو مثل غلامي لا وجه له ، لأن الكسرة في ياء ﴿ عصاي ﴾ لالتقاء الساكنين ، والكسرة في ميم غلامي هي التي تُحْدِثها ياء المتكلّم] .

قوله : ((أكلت حِقّاً وابن لبون وجذع)) [١] ألحِقّ بالكسر ما كان من الإبل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة ، سمي لاستحقاقه أن يحمل عليه وينتفع به ، وابن لِبون إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة ، لأن أمّه وضعت غيره فصار لها لبن ، وهي نكرة تعرّف باللام والألف . والجذع قيل : الثّني ، وهو من الإبل ما طعن في السنة الخامسة ، وهو اسم زمن ، ليس بِسنَ تنبت ولا تسقط ، أراد بهشة نخب ثمار ذلك الوادي ، وسيلاً دفع ، ما انصبّ دفعات ، الأساس [٢] : [جاء الوادي بدفاع أي بالسيل العظيم] ، وفي المثل (آكَلُ من لقمان) قال الميداني [٣] : [يعنون لقمان ا بن عاد ، زعموا أنه كان يتغدى بجزور ويتعشّى بجزور ، وهذا من أكاذيب العرب].

قوله : ((أهُشّ)) ، أهِشّ بكسر الهاء لغة في ﴿ أهُشّ ﴾ ، فقد جاء يفعُل في مثل هذا متعدّياً ،كذا في المنتقى واللوامع ، وأمّا في الموضح ، فنقل عن قراءة النخعي [٤] ﴿ أُهِشُّ ﴾ بضم الهمزة وكسر الهاء والشين معجمة .

قوله : ((ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربّه)) ، لأنّه تعالى إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه من الخشبة اليابسة ، وموسى عليه السلام تفطن لذلك ، وأتى بالجواب مطابقاً للغرض ، وقال : ﴿ هي عصاي ﴾ إلى آخره .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأهش ﴾ قال (ز) : هشّ الورق خبطه أي أخبط على رءوس غنمي تأكله ، وعن لقمان بن عاد :

** أكلت حِقّاً وابن لبون وجذع ** وهشة نخب وسيلا دفع **
والحمد لله من غير شبع

انظر الكشاف ٥٧/٣.

و (نخب) واد قريب من الطائف .

(٢) الأساس ١٩٠ مادة (دفع)

(٣) الميداني في الأمثال ١٥٠/١ رقم المثل ٤١٦ .

(٤) في مختصر شواذ القرآن ص ٨٧ ، ﴿ وأهُسُّ ﴾ بها بالسين المهملة ، عكرمة ﴿ وأُهِشُّ ﴾ بالضم وكسر الهاء النخعي .

قوله : ((إنّما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في إكرامه)) ، ونحوه قول بعضهم [1] :

** تصاممت إذا نطقت غبشية ** تصيد الأسود بألحاظها **

** وما بي وقْـرٌ ولـكنّني ** أردت إعادة ألفـاظها **

ولعل موسى عليه السلام أطنب أولاً للاستصغاء انبساطاً ، وأوجز آخـر اللاستصغاء استلذاذاً .

قوله : ((اسم الْعَصَا نَبْعَةٌ)) ، وهي غير منصرفة للعلمية والتأنيث .

قوله : ((والحلاب)) وهو المحلب ، وهو الذي يحلب فيه اللبن ، قال [2] :

** صاح هلْ رَأيتَ أو سمعت براع ** ردّ في الضرع ما قرى في الحلاب **

قوله : ((وعرض الزَنْدَين علـى شـعبتيها)) ، الجوهـري [3] : [عـرض العـود على الإناء والسيف على فخذه يعرضه ويعرّضه أيضاً] ، الأساس [4] : [الزندان هما الزند الأعلى والزندة السفلى] .

قولـه : ((وتكونـان شمعتـين بـالليل)) ، قـال بعضهـم : يدفــع هــذا قولــه : ((وقدح فصلد زنده)) في تفسيره قوله تعالى : ﴿ إني آنســت نـاراً ﴾ ، وأجيـب أن المطلوب حينئذ هو النار لاستدفاء النفسا بها ، لا الضوء وحده ، ومّمـا يـدلّ علـى أن العصا لم تكن للنار .

قوله : ((ههنا وعرض الزنْدَين على شعبتيها)) ، لأنّ الزند إنّما يعّـد للنـار ، ولكن يدفعه هناك قوله : ((في ليلـة شـاتية مظلمـة مثلجـة ، وقـد ضـلّ الطريـق)) ، ولعلّ الجواب أن ا لله طمس نورها كما جعل الزند صلداً اضطراراً إلى الطلب ليفـوز بالمطلوب الحقيقي .

---

(١) لم أقف على القائل .

(٢) لم أقف على القائل .

(٣) الجوهري ١٠٨٢/٣ ، مادة (عرض) .

(٤) الأساس ٢٧٦ ، مادة (زند) . والمراد تعداد منافع العصا وكثرة مآربها .

قوله : ((عرف ما لقي آدم منها)) [1] ، يريد الحية التي كانت سبباً لإخراجه بسبب تمكن إبليس من الوسوسة .

قوله : ((بمعنى عاد إليه)) [2] ، الجوهري [3] : [عاد إليه يعود عَوْداً وعَوْدَةً ، رجع] .

قوله : ((** وَعَادَكَ أن تُلا قِيَها عِداءً **)) [4] ، أوله :

** فصرّم حبلها إذا صَرَمَتْهُ **

العهد ، قال أبو عمرو : وعادك بمعنى شغلك ، وقال القاضي الأصمعي : صرفك والعدا البعد والشغل ، وقال الأصمعي : الجور وعادك عطف على صرمته ، تقول : اقطع عهدها إذا قطعته هي وعاد إليك وشغلك البعد والجور عن ملاقاتها ، وتلخيص الآية ﴿ سنعيدها ﴾ إلى سيرتها الأولى .

قوله : ((وهو أن يكون ﴿ سنعيدها ﴾ مستقلاً بنفسه غير متعلّق بـ ﴿ سيرتها ﴾)) ، أي لا يكون عاملاً في (سيرتها) [5] ، بل يكون عاملها مضمراً ، ويكون حالا من الهاء في ﴿ سنعيدها ﴾ ، كما قدّر سنعيدها سائرة سيرتها الأولى ، والفرق بين هذا وبين الوجهين الأولين أن الحية في الوجهين انقلبت عصاً خشبة كسائر ما يسمى عصا ، وعلى هذا انقلبت إلى عصا ذات شعبتين ومحجن ، فإذا طال الغصن جناه بالمحجن إلى سائر ما ذكره المصنف من المآرب ، وقال أبو البقاء [6] : [يجوز أن يكون ﴿ سيرتها ﴾ بدل اشتمال من ضمير المفعول في ﴿ سنعيدها ﴾ ، لأن معنى سيرتها صفتها أو طريقتها] ، الراغب [7] : [السيرة الحالة التي يكون عليها

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ الآية ٢١ ، قال (ز) : وعن بعضهم إنّما خافها لأنه ((عرف ما لقي آدم منها)) .

(٢) تفسير قوله : ﴿ سنعيدها ﴾ .

(٣) الجوهري ٥١٣/٢ ، مادة (عود) .

(٤) القائل : زهير بن أبي سلمى كما جاء في حاشية محمد عليان المرزوقي على شواهد الكشاف ٥٩/٣.

(٥) ما بين القوسين س من م .

(٦) أبو البقاء ١٢٠/٢ .

(٧) الراغب ٢٤٧ ، مادة (سار) .

الإنسان وغيره غَرِيزِيّاً كان أو مكتسباً يقال لـه سيرة حسنة وسيرة قبيحة ، وقوله تعالى : ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ أي الحالة التي كانت عليها من كونها عوداً] .

قوله : ((لمجنَبَتَيْه)) [١] ، وهي الميمنة والميسرة .

قوله : ((و الأصل المستعار منه جنا حا الطائر)) هذه الاستعارة غير مسبوقة بالتشبيه ، كاستعارة الأسد للمقدام ، بل هي من المجاز الخالي من الفائدة ، نحو إطلاق المرسن على لطف الأسنان .

قوله : ((فكنّوا عنه بالأبرش)) [٢] ، الجوهري [٣] : [البرش في شعر الفرس نُكَتٌ صغار تخالف سائر لونه ، والفرس أبرش] ، والبرص البياض في ظاهر الجلد ، وفي زعم الأطباء مادة نفاحة بسبب اجتماع الرطوبات اللزجة ، وكان من أخبار جذيمة [٤] على ما ذكره ابن الأثير في الكامل [٥] : [أنه كان من أفضل الملوك رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكاية ، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضمّ العرب ، وكان به برص ، فكنّت العرب عنه فقيل : الوضاح والأبرش إعظاماً له ، وكانت منازله بين الحيرة والأنبار ، وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب العمليقي ، فحاربه جذيمة وقتله ، وملكت بعد عمرو ابنته (الزباء) واسمها نائلة ، فلما استحكم ملكها أجمعت لغزو جذيمة تطلب ثأر أبيها ، أشارت لها اختها زينب بترك الحرب وإعمال الحيلة ، فأجابتها إلى ذلك ، كتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، فلما انتهى الكتاب إلى جذيمة استخفه ما دعته إليه ، وجمع إليه ثقاته واستشارهم ، وأجمع رأيهم على المسير إليها ، فخالفهم (قصير) وكان أريباً حازماً ناصحاً قريباً منه وقال : (رأي فاتر وعدو حاضر) فذهبت مثلاً ، اكتب إليها فإن كانت صادقة فلتقبل إليك ، وإلاّ لا تمكّنها من نفسك وقد وترتها وقتلت

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ﴾ ، قال (ز): قيل : لكل ناحيتين جناحان كجناحَي العسكر ((لمجنبتيه)) .

(٢) قال (ز) : وكان جذيمة صاحب الزباء أبرص ((فكنوا عنه بالأبرش)) .

(٣) الجوهري ٩٩٥/٣ ، مادة (برش) .

(٤) جذيمة بن مالك بن نصر من بني أسد بن خزيمة، الأعلام للزركلي ١١٤/٢ ، واللباب ٢١٦/١.

(٥) ابن الأثير في الكامل ١٩٧/١ .

أباها ، فلم يوافق جذيمة رأيه ، فاستخلف جذيمة عمرو بن عدي ابن اخته على ملكه فسار في وجوه أصحابه ، فلمّا نزل الفرضة [1] استقبلته رسل الزبا بالهدايا والألطاف فقال : ياقصير كيف ترى ؟ ، فقال : (خَطْبٌ يسير في خطبٍ كبير) فذهبت مثلاً [2] وستلقاك الخيول فإن سارت أمامك فإنّ المرأة صادقة ، وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك فإن القوم غادرون ، فاركب (العصا) وكانت فرساً لجذيمة لايبارى ، فإني راكبها ومسايرك عليها ، فلقيته الكتائب فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ونظر إلى جذيمة مواليــاً على متنها فقال : ويل أمّة حزمها [3] على ظهر العصا ، فذهبت مثلاً ، فلما دخل جذيمة على الزبا تكشفت ، فإذا هي مظفورة الأسب بالباء الموحدة وهو شعر الأست . وقالت : يا جذيمة أدأب عروس ترى ؟ ، فذهبت مثلاً ، وقالت : أنبئت أن دماء الملوك شفاء من الكلب ، ثمّ أجلسته على نطع ، وسقته الخمر حتى أخذت منه ، ثم أمرت براهشيه [4] فقُطِعا ، وقدمت إليه طشتاً وقيل لها : إن قطر من دمه شيء في غير الطشت طُلب بدمه ، فلما ضعفت يداه سقطتا ، فقطر من دمه في غير الطشت ، فقالت : لا تضيعوا الدم ، فقال جذيمة : (دعوا دماً ضيعه أهله) ، فذهبت مثلاً ، فهلك جذيمة وخرج قصير حتى قدم على عمرو بن عدي ، فقال له قصير : تهيّأ واستعد ولا تطل دم خالك ، فقال : (وكيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو ؟) ، فذهبت مثلاً ، وكانت الزبا سألت عن هلاكها فقيل : سبب هلاكها عمرو بن عدي ، ولكن حتفك بيدك ، فحذرت عمراً واتخذت نفقاً من مجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها ، وصورت صورة عمرو فلا تراه إلاّ وعرفته ، وقال قصير لعمرو بن عدي : اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني وإياها ، فأبى عمرو ، فجدع أنفه وأثر بظهره وظهر كأنه هارب ، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به ، وقدم على الزبا فقالت : ما الذي بك ياقصير ؟ ، فقال : زعم عمرو أني غدرت خاله

---

(١) الفرضة : المشرعة ، وهي الثُلمة في النهر ، معجم البلدان ٢٤٣/٤ .

(٢) الأمثال للميداني ٤١٣/١ ، رقم المثل ١٢٥٠ ، وذكر القصة . كلها

(٣) حرماً في ب ، م ، وهو الصواب ، لأنه الموجود في الأصل ، يعني ابن الأثير .

(٤) (الراهش) عصب وعروق في باطن الذراع ، اللسان ٣٠٧/٦ ، مادة (رهش) .

وزينت له السير إليك ومالأتُكِ عليه ، ففعل ما ترين ، فأقبلت إليك وعرفت أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك ، فأكرمته وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة والمعرفة بأمور الملك ، فلمّا عرف أنها قد وثقت به ، فقال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وعطر ، فابعثيني لأحمل مالي وأحمل إليك من طرائفها ، فدفعت إليه أموالاً وجهزت معه عيراً ، فسار حتى قدم على عمرو بن عدي مستخفياً وأخبره الخبر وقال : جهّزني بالبزّ والطرف وغير ذلك ، لعل الله يمكن من الزبا فتصيب ثأرك ، فأعطاه حاجته ، فلما عرض عليها سرّها وازدادت به ثقة ، ثم جهّزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به أولاً ثم عاد الثالثة فأخبر عمراً الخبر وقال : اجمع ثقات أصحابك وجندك وهيىء لهم الغرائر واحمل كلّ رجلين في غرارتين واجعل معقد رؤوسها من باطنها ، وقال له : إذا دخلت مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها وتخرج الرجال من الغرائر فيصيحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قاتلوه ، ففعل ذلك ثم ساروا ، فلما قربوا تقدم قصير إليها فبشّرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف ، فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض ، فقالت : يا قصير

** ما للجمالِ مشيها وئيداً ** أجندلاً [1] يحملن أم حديداً ؟ **
** أم صَرَفاناً [2] تارزاً شديداً ** أم الرجال [3] جثما قعوداً ؟ **

فلما توسّطت الإبل المدينة خرج الرجال من الغرائر ، فنزل عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء موالية تريد الخروج من النفق ، فأبصرت عمراً قائماً فعرفته بالصورة ، فمصّت سَمّاً في خاتمها وقالت : (بيدي لا بيد عمرو) فتلقاها عمرو بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة ، ثم عاد إلى العراق وصار الملك له ، والصرفان : الرصاص ، والصرفان : نوع من التمر ، والله أعلم] .

---

(1) (الجندل) التراب ، أو الملح خاصة ، الأساس للزمخشري ٨٥ ، مادة (جدل) .

(2) الصرفان : نوع من التمر جيد أو الحديد ، الأمثال للميداني ، (تارزاً) صلباً ، انظر الصحاح ٨٦٦/٣ .

(3) في الميداني ٤١٨/١ : أن الزباء لما قالت :

** أم صرفاناً تارزاً شديداً **

قال قصير في نفسه : ** بل الرجال قيضاً قعوداً ** .

وانظر اللسان ٤٤٣/٣ مادة (وأد).

قوله : ((أحزّ للمفاصل)) [1] الأساس [2] [وهو أصفى من المفاصل ، وهو الماء الذي يقطر من بين العظمين إذا فصلا . وتقول : رب كلام بالمِفْصَلِ أشد من كِلاَمٍ بالمِقْصَلِ [3] ، وتكلم فأصاب المحزّ .

قوله : ((بيضاء وآية حالان معاً)) قال الزجاج [4] : [آية اسم في موضع الحال أي تخرج بيضاء مُبَيِّنة آية أخرى] ، وقال أبو البقاء [5] : [(بيضاء) حال ، و (من غير سوء) يجوز أن يتعلق بتخرج ، وأن يكون صفة (لبيضاء) أو حالا من الضمير في بيضاء ، و (آية) حال أخرى بدل من الأولى ، وحال من الضمير في (بيضاء) أي تبيضّ ، آية أو حالا من الضمير في الجار مع المجرور ، وهو قوله : ﴿ من غير سوء ﴾ [6] .

قوله : ((أو لنرينّك من آيانا الكبري)) فعلنا ذلك عطف على قوله : ((وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك)) ومن في قوله : ﴿ من آياتنا ﴾ إما للتبعيض ، وإليه الإشارة بقوله : بعض آياتنا ، أو للبيان ، وإليه الإشارة بقوله : ((أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا)) ، يؤيده قول ابن عباس : (كانت يد موسى أكبر آياته) [7] فيكون (من آياتنا) حالا من (الكبرى) قدمت عليها وإن كان ذو الحال معرفة مراعاة للفواصل .

قوله : ((لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي عرف أنه كُلّفِ أمراً عظيماً)) [8] إلى قوله : ((فاستوهب ربّه أن يشرح صدره)) يعني لما علل الله سبحانه وتعالى الأمر بالذهاب إلى فرعون بوصفه بالطغيان ، عرف موسى ذلك

---

(1) قال : (ز) ولا نرى أحسن ولا ألطف ولا ((أحَزّ للمفاصل)) من كنايات القرآن وآدابه

(2) الأساس ٤٧٤ مادة (فصل)

(3) (المقصل) السيف ، تقول : سيف قاصِلٌ وقصّال ومقصل ، الأساس ٥١١

(4) الزجاج ٣/٣٥٥

(5) أبو البقاء ٢/١٢٠

(6) سورة (طه) الآية ٢٢

(7) ذكر ذلك البغوي ٥/٢٧٠ والواحدي ٣/٢٠٥

(8) تفسير قوله تعالى : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى قال ربّ اشرح لي صدري ﴾ ٢٥

وطلب ما طلب ، والإمام [1] علّق قول موسى عليه السلام ﴿ رب اشرح لي صدري ﴾ بما خاطبه من لدن قوله : ﴿ أنا ربّك فاخلع نعليك ﴾ إلى هذا المقام ، قال : تارة إن شرح الصدر مقدمة لسطوع الأنوار الإلهية في القلب ، والاستماع أيضاً مقدمة لفهم كلام الله المجيد ، فلما كلفه الله بالمقدّمة التي هي الاستماع في قوله : ﴿ فاستمع لما يوحى ﴾ نسج عليه السلام على ذلك المنوال وطلب المقدمة ، وقال : ﴿ ربّ اشرح لي صدري ﴾ حتى يتمكن قلبي في بهو ضوء المعرفة ووسادة قذف النور من تلقي سماع كلامك . وقال أخرى : لما نصب موسى عليه السلام لذلك المنصب العظيم احتاج إلى تكاليف شاقة من تلقي الوحي وتبليغه إلى المعاندين والمواظبة على خدمة الباري وإصلاح العالم السفلي ، فكأنه كلّف بتدبير العالمين والالتفات إلى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر ، فطلب عليه السلام شرح الصدر حتى يفيض عليه كمالاً من القوة لتكون قوته وافية لضبط تدبير العالمين، الراغب [2] : [شرح الصدر بسطه بنور إلهي وسكينة من جهة الله تعالى . قال الله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾[3]] وقلت : يؤيد هذا التأويل قوله عليه السلام : ﴿كي نسبّحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا ﴾ بعد طلب تيسير الأمر وحلّ العقدة ومؤازرة أخيه للتبليغ ليطابق قوله : ﴿ فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾، وقوله : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ وعلى ما فسره المصنف يكون قوله : ﴿كي نسبّحك﴾ الآية أَجْنَبِيّاً ، وفيه نكتة أخرى ، وهي أن الله سبحانه وتعالى كما علّل إقامة الصلاة بذكره سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ أقم الصلاة لذكري ﴾ . وقوله : [﴿ أذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾ [4]] كذلك علّل عليه السلام مَطالِبهُ كلها بالقيام على تكثير ذكر الله عزوجل فآذن بأن ذكر الله لايطلب[5] فوقه . وفي حقائق السلمي عن عطاء . أنه قال : اكشف لى عن صدري حتى لا أشاهد غيرك

---

(١) الإمام الفخر الرازي ٢٢/٣١-٥٨ وذكر ذلك ضمنا في ثمانية مطالب انظرها

(١) الرغب ٢٥٨ مادة (شرح)

(٣) سورة (الزمر) الآية ٢٢

(٤) مابين القوسين س من أ

(٥) (لامطلب) فى م وهو الصواب

وسّير لى أمري حتى لاأنظر إلا بمعرفتك واحلل عقدة من لساني حتى لا أتكلّم إلا بما أبلغّه عنك . وقال جعفر قيل لموسى : استكثرت تسبيحك ونسيت بدايات فضلنا عليك في اليمّ وردّك إلى أمّك وتربيتك فى حجر عدّوك وأكبر من هذا كله خطابنا معك وكلامنا إياك وأكبر منه إخبارنا باصطنا عنا لك[1] .

قوله : ((ذو جأش رابط)) الاساس : [والجأش والجؤشوش الصدر] ، يقال: فلان قد ربط لذلك الأمر جأشا . ويقال : لمن يربط نفسه عن الفرار لشجاعته رابط الجأش .

قوله : ((يستقبل ما عسى يرد عليه)) [2] استعمل عسى بغير (أن) تشبيها لها [3] بكاد كما في قوله [4] :

**عسى الكرب الذي أمسيت فيه ** يكون وراءه فرج قريب **

قوله : ((مستتبّ أى)) مستقيم ، الأساس [5] : [استتبّ الطريق ذلّ وانقاد كما يقال : طريق معبد واستتبّ له الأمر] .

قوله : ((بذكرهما)) أى بذكر المشروح والميسّر .

قوله : ((لما روى من حديث الجمرة)) ، روى محي السنه [6] : [أنه نشأ موسى عليه السلام في حجر فرعون وامرأته فبيناهو يلعب وبيده قضيب فضرب رأس فرعون فغضب حتى همّ بقتله . فقالت آسية : أيها الملك إنه صغير لايعقل جرّبه أن شئت فجاءت بطشتين في أحدهما الجمر وفي الآخر الجوهر فأراد موسى أن يأخذ

---

(١) وهذا من التفسير الاشارى الذي ينتهجه بعض الصوفية ، و السلمى وعطاء من كبارهم .

(٢) قال (ز) : ((يستقبل ما عسى يرد عليه)) من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات .

(٣) على حدّ قوله في الخلاصة :

* وكونه بدون أن بعد عسى * نزر وكاد الأمر فيه عكسا * .

(٤) القائل هو هدبة بن خرشم الغذري . انظر معجم شواهد النحو الشعرية ٢٧٤ والأشمونى ٢٥٩/١.

(٥) الأساس ٥٩ مادة (تبب) .

(٦) محى السنة البغوي ٥/ ٢٧١ . وهذا جزء من حديث الفتون الطويل ذكره النسائى في تفسيره ٤١/٢ والطبري في تفسيره ، ١٦ / ١٦٤-١٦٧ وهو موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما . وانظر مجمع الزوائد ٧ / ٦٦ وابن كثير في تفسيره ٥ / ٢٧٩ .

الجوهر فأخذ جبريل عليه السلام يده فوضعها في النار فأخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه عقدة] الراغب (١) [اللسان الجارحة وقوتها وقوله تعالى : ﴿ واحلل عقدة من لساني ﴾ يعني به من قوة لساني فإن العقدة لم تكن في الجارحه وإنما كانت في قوته التى هي النطق به يقال : لكل قوم لسان ولِسِنٌ] .

قوله : ((أو من الوزر)) (٢) ، أى الملجأ وأصل الوزر الجبل ، الراغب (٣) : [الوزر الملجا الذي يُلْتجأ إليه من الجبل ، قال تعالى : ﴿ كـلا لاوزر ﴾ (٤) ، والوزر الثقل تشبيها بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الإثم ، قال تعالى : ﴿ ليحملو أوزارهم كاملة ﴾ (٥)] .

قوله : ((أومن المؤازرة وهي المعاونة ، قال في الأساس (٦) : [وزير الملك الذي يؤازره أعباء الملك أي يحامله ، وليس من المؤارة ، لأن واوها عن همزة وفعيل منها أزير] ، يقال : أزره أي شدّ به أزره ، وأردت كذا فآزرني عليه فلان إذا ظاهرك وعاونك ، وأجاز في الكتاب أن يكون منه بناء على الوزن وحمل النظير على النظير وذلك أن أزيراً أخو المؤازرة ، كما أن العشير والجليس والخليل إخوان المعاشر والمجالس والمخالّ ، وإذا ثبت أنه أخو المؤازر فكما قلبت الهمزة في أخيه ، وهو المأزر واوا . وقيل : موازر لانضمام ما قبله تقلب فيه ، وإن لم ينضم ما قبله حملا للنظير على النظير ، ونظر إلى المضارع منه والمصدر ، وهما يوازر والموازرة ، فقوله : ((ونظرا إلى يؤازر)) عطف على قوله : ((إن فعيلا جاء من حيث المعنى)) .

قوله : ((أو (لي وزيرا) مفعولاه)) فعلى هذا أيضاً قدّم الثاني على الأول عناية بشأن نفسه ، وأنه محتاج إلى عون ، ولذلك عقب به قوله : ﴿ يفقهوا قولي ﴾ كما قال : ﴿ هو أفصح منّي لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني ﴾ .

---

(١) الراغب ٤٥٠ مادة (لسن)

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى ﴾ ٣١ طه.

(٣) الراغب ٥٢١ مادة (وزر)

(٤) سورة القيامة الآية ١١

(٥) سورة النحل الآية ٢٥

(٦) الأساس ٦٧٣ مادة (أزر)

قوله : ((وإن جعل عطف بيان آخر جاز وحسن)) يعني (هارون) عطف بيان للوزير ، و (أخي) مثله ، وإنما جاز ذلك وحسن وإن لم يكن أشهر الاسمين ، مثل (هارون) لكونه بمنزلته في الشهرة . وقليلا ما نسمعه في التنزيل ، ولم يشع به وفي جاز وحسن إيماء إلى أن تقدير البدل أحسن .

قوله : ((قرؤا جميعا ﴿ اشدد ﴾)) وفي التيسير [1] [قرأ ابن عامر ﴿ أشدد به ﴾ بقطع الألف وفتحها في الحالين ، ﴿ وأُشركه ﴾ بضم الهمزة . والباقون بوصل الألف في الأول ، وَيَبْتَدِءُونَهَا بالضم وفتح الهمزة في الثاني] ، قال الزجاج [2] : [أما قطع الألف وفتحها وضم الألف في ﴿ وأشْرِكْهُ ﴾ فعلى جواب الأمر المعنى اجعل لي أخي وزيرا ، فإنك إن فعلت ذلك أشدد به أزري وأشركه في أمري على الإخبار عن النفس ، وأما من قرأ ﴿ أخي اشدد به أزري ﴾ بوصل الألف ، ﴿ وأشركه ﴾ بفتح الهمزة فعلى الدعاء . المعنى اللهم اشدد به أزري وأشركه في أمري] .

قوله : ((أي أوحينا إليها أمراً لا سبيل إلى التوصل إليه إلا بالوحي)) [3] هذا يؤذن أن الوحي الذي هو بمعنى الإلهام ، لا يكون إلا في أمر يعزّ على كل أحد .

قوله : ((ولا يُخَلُّ به)) بضم الياء وفتح الخاء من أخل الفارس بمركزه إذا ترك موضعه الذي عينه الأمير له .

قوله : ((القذف مستعمل في معنى الإلقاء)) [4] الراغب [5] [القذف الرمي البعيد ولاعتبار البعد فيه ، قيل : منزل قَذَفٌ وقديف وبلدة قذوف بعيدة . وقوله عز وجل : ﴿ فاقذفيه في اليم ﴾ أي اطرحيه فيه ، واستعير القذف للشتم والعيب ، كما استعير للرمى] .

---

(1) التيسير للداني ١٥١ وانظر كتاب السبعة في القراآت لابن مجاهد ٤١٨

(2) الزجاج ٣٥٦/٣ وانظر الكشف عن وجوه القراآت السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ٩٧/٢

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد مننّا عليك مرة أخرى إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ﴾

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمّ فليلقه اليمّ بالساحل يأخذه عدوّ لي وعدوّ له وألقيت عليك محبّة مني ولتصنع على عيني ﴾

(5) الراغب ٣٩٧ مادة (قذف)

قوله :

((** غلام رماه اليه بالحسن يافعا ** له سيمياء لا تشقّ على البصر **))(١)

غلام يافع ويفعه تحرك ولما يبلغ ، والسيماء العلامة وأصله الواو .

قوله : ((فيه هجنة)) والهجنة مصدر الهجين ، وهو الذي والدته أمة ، الأساس (٢) : [أنا أستهجن فعلك ، وفيه هجنة ، وهجنته تهجيناً ، وفي زِنَادِه هُجنة إذا كان أحد الزّنَدين وارياً والآخر صَلْوداً] .

قوله : ((سلك في ذلك)) (٣) جواب لما ، والمشار إليه قوله : ﴿ فليلقه اليم﴾ والمجاز من باب الاستعارة المكنية (٤) ، شبّه اليمّ بمأمورذي تميز أُورِدَ عليه أمْر آمِرٍ مطاع ، وجعل القرينة أمره بقوله : ﴿ فليلقه ﴾ .

قوله : ((لا يتمالك أن يصبر عليه)) الجوهري (٥) : [ما تمالك ما تماسك] .

قوله : ((وظاهر اللفظ)) عطف على قوله : ((روى)) أو حال من الضمير في روى ، يعني ظاهر لفظ القرآن يخالف الرواية المذكورة ، لأن اليمّ البحر والساحل هو شاطئه ، والقذف من اليم إنما يكون بالساحل ، وكذلك الالتقاط منه ، وليس فيه دخول التابوت البِرْكَةُ (٦) فيلتقط منها إلا أن يحمل اللفظ على أن الساحل كان متصلاً بِهُوْهَةِ فرعون ، وقلت : رواية الواحدي ومحي السنة (٧) [أن اليمّ هو نهر النيل والشاطئ هو شاطئ النيل ، وكان يشرع من النيل نهر كبير في دار فرعون

---

(١) القائل : أسيد بن عنقاء الفزاري ، انظر شواهد الانصاف على الكشاف ٦٢/٣

(٢) الأساس ٦٩٦ مادة (هجن)

(٣) تفسير قوله : ﴿ أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل ﴾ الآية ٣٩ سورة طه، قال (ز) ((سلك في ذلك سبيل المجاز ، وجعل اليمّ كأنه ذو تميز

(٤) الاستعارة أصلها من المجاز اللغوي ، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه ، فعلاقتها المشابهة دائما ، وهي قسمان ، تصريحية وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به ، ومكنية ، وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه . أنظر التلخيص ٣٢٤ والبلاغة الواضحة ٧٥

(٥) الجوهري ١٦١١/٤ مادة (ملك)

(٦) البِرْكَةُ : الحوض ، والجمع البرك ، وسميت بذلك لإقامة الماء فيها . الجوهري ٤ / ١٥٧٤ (برك)

(٧) محي السنة البغوي ٢٧٢/٥

فبينما فرعون جالس مع امرأته على رأس البركة إذا بتابوب يجيئ به الماء فأمر بإخراجه فأخرجوه] .

قوله : ((لأن الماء يسحله)) ، الجوهري (١) : [الساحل شاطئ البحر ، قال ابن دريد : (٢) هو مقلوب ، وإنما الماء سحله] .

قوله : ((وقذف به ثمته)) الفاعل المستتر في قذف للبحر ، وهو عطف تفسيري على ألقاه بساحله وما بينهما معترض .

قوله : ((فوهة نهر فرعون)) ، الجوهري (٣) : [وأفْوَاه الأزقة والأنهار واحدتها فُوَّهة بتشديد الواو] .

قوله : ((وإما أن يتعلق بمحذوف)) يعني الجار والمجرور (٤) يحتمل أن يكون ظرفا لغوا ، وأن يكون مستقرا وعلى الأول من ابتدائي ، فيكون إنشاء إلقاء المحبّة من ا لله ، ثم يسري منه إلى الخلق ، وإليه الإشارة بقوله : من أحبه ا لله تعالى أحبّته القلوب ، وعلى الثاني : إما أن يقدر عاملا عاماً ، كما هو المشهور ، وهو المراد من قوله : أي محبّة حاصلة أي كائنة موجودة منيّ أو خاصا لقرائن الأحوال ، وهو أن ا لله تعالى أوقع محبّته في قلب آسية وأعدى عدوّه فرعون وغيرهما ، وإليه الإشارة بقوله : ((قد ركزتها أنا في القلوب)) فلذلك أحبّك فرعون ، وكل من أبصرك ، والوجه الثاني : أشمل من حيث المنطوق ، والأول أدخل في البلاغة من حيث المفهوم ، ويساعد عليه ماروينا عن البخاري ومالك والترمذي (٥) عن أبي هريرة أن

(١) الجوهري ١٧٢٧/٥ مادة (سحل)

(٢) ابن دريد العلامة شيخ الأدب أبوبكر محمد بن الحسين بن دريد بن عتاهية الأزدي البصري ، صاحب التصانيف كثير ، حفظ الأدب مات سنة ٣٢١ انظر سير أعلام النبلاء ٩٦/١٥ وتاريخ بغداد ١٩٥/٢

(٣) الجوهري ٢٢٤٥/٦ مادة (فوه)

(٤) تفسير قوله : ﴿ محبة مني ولتصنع على عيني ﴾

(٥) أخرجه البخاري مع الفتح ٤٦١/١٠ كتاب الأدب ، باب المقة من ا لله تعالى برقم ٦٠٤٠ ومالك في الموطأ ٩٥٣/٢ كتاب الشعر ، باب ما جاء في المتحابين في ا لله برقم ١٥. والترمذي ٢٩٧/٥ – ٢٩٨ كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة مريم ، رقم ٣١٦١ ، ومسلم ٢٠٣٠/٤ كتاب البر والصلة والآداب ، باب إذا أحب ا لله عبدا حببه إلى عباده برقم ٢٦٣٧.

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أحبّ الله العبد نادى جبريل إن الله يحبّ فلانا فأحبوه ، فيحبّه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض) ورواية مسلم أبسط من هذا .

قوله : ((مسحة جمال)) ، الأساس (١) : [مسحه بالماء والدهن ومسح رأسه أمَرَّ يده عليه ، ومن المجاز به مسحة من جما ل] يعني كان الجمال مسح وجهه ، ومنه بيت الحماسة : (٢)

** على الوجه منّي مسحة من ملاحة ** وتحت الثياب الخري لو كان باديا **

قوله : ((وأنا مراعيك وراقبك)) وفي نسخة ورافيك من رفوته سكينة من رعب يريد أن على عيني حال من المستتر المرفوع في (لتصنع) وليس بصلة (لتصنع)

قوله : ((كما يراعي الرجل الشئ بعينيه إذا اعتنى به)) إشارة إلى أن في التركيب تمثيلا واستعارة ، قال الواحدي (٣) : [وتفسير قوله : ﴿ على عيني ﴾ بِمَرْأى منّي صحيح ، ولكن لا يكون في هذا تخصيص لموسى ، فإن جميع الأشياء بمرأى من الله . والصحيح لتغذّى على محبّتي وإرادتي . وهذا قول قتادة واختيار أبي عبيدة(٤) وابن الأنباري ، وقال زيد العرب : تقول اتخذ شيئاً على عيني على محبّتي] ، وقلت : هذا الاختصاص للتشريف كاختصاص (عيسى) عليه السلام بكلمة الله ، و (الكعبة) بيت الله فإن الكل موجود (بكن) وكل البيوت بيت الله ، على أن خلاصة الكلام وزُبدته تفيد مزيد الاعتناء بشأنه ، وأنه من الملحوظين بسوابق إنعامه .

قوله : ((وترأم)) الجوهري (٥) [رَئِمت الناقة ولدها رِئْمَانا إذا أحبّته] .

قوله : ((ولِتصنع)) بكسر اللام وسكونها ، قال ابن جنّي (٦) : [وهي قراءة أبي جعفر وليس دخول لام الأمر هنا كدخولها في قوله : ﴿ فبذلك

---

(١) الأساس ٥٩٣ – ٥٩٤ مادة (مسح)

(٢) البيت لذي الرمة كما في اللسان ٥٩٦/٢ مادة (مسح)

(٣) الواحدي في تفسيره الوسيط ٢٠٦/٣

(٤) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩/٢ والنكت والعيون للماوردي ٤٠٢/٣

(٥) الجوهري ١٩٢٦/٥ مادة (رأم)

(٦) ابن جني في المحتسب ٥١/٢ بتصرف منه

فلتفرحوا ﴾ (١) بالتاء لأن المأمور في ﴿ فلتفرحوا﴾ مخاطب ، وههنا غائب ، وهو كقولنا : ولْتُعنَ بحاجتي ولْتُوضَعْ في تجارتك ، لأن المعاني بها ، والواضع فيها غير المخاطبين ، نحو ليضرب زيد ولتكرم هند ، فأما قول الرجل خذ طرفك لآخذ طرفي ، وقولهم : لَنمش كلّنا وإنما جاء باللام ولم يخفّف قُم وسر ونحوهما ، لأنه لم يكثر أمر الإنسان كثرة أمره لغيره ، فلما قلّ استعماله لم يخفف] .

قوله : ((ولِتَصْنَعَ)) بفتح التاء والنصب وكسر اللام قرأها أبو نهيك (٢) .

قوله : ((العامل في إذ تمشي ألقيت أو تصنع)) (٣) ، قال صاحب الانتصاف (٤) : [ولتصنع أولى ، لأن معناه : إنك محفوظ مَكْلوٌّ وزمان التربية هو زمان ردّه إلى أمه ، وأما إلقاء المحبّة عليه ، فقيل : ذلك من أول ما التقطه فرعون] وقلت : والأولى تقدير اذكر ، لأن كونه مرا قبا قبل زمان ردّه إلى إمّه من حين وجوده وإلقائها له في التابوت واليمّ وغير ذلك وكأن (٥) الكلام سيق للامتنان فاستقلاّ له .

قوله : ((ونجّاه من فرعون أن ينشب فيه أظفاره)) بدل من فرعون بدل اشتمال أي نجاه من أن ينشب فرعون فيه الأظفار شبّه فرعون بسبع ضارٍ لقوة غضبه وشدّة شكيمته وأثبت له لازمه ، كقول الهذلي : (٦)

** وإذا المنيـــــة أنشبت أظفارها **

قوله : ((هاجربه)) الباء للتعدية أي جعله الله مهاجرا إلى مدين (٧) .

---

(١) سورة يونس الآية ٥٨

(٢) انظر المحتسب لابن جني ٥١/٢

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمّك كي تقرّ عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتنّاك فتونا ﴾ الآية

(٤) الانتصاف مع الكشاف ٦٤/٣

(٥) في ب (ولأن) الكلام

(٦) باقي البيت : ** ألفيت كل تميمة لا تنفع ** انظر اللسان ٧٥٧/١ مادة (نشب).

(٧) مدين : تعرف اليوم باسم (البدْع) ، وهي بلدة بين تبوك والساحل على بعد ١٣٢ كيلا غرب تبوك ، وشرق رأس الشيخ حميد على البحر ، بمسافة ٧٠ كيلا ، وهي في واد بين الجبال ، وواديها يسمى (عُفال) . معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٨٤

قوله : ((على فعول في المعتدي)) [1] إشارة إلى أن ذلك قليل ، وهو مع قلته قد جاء كالأمثلة المذكورة .

قوله : ((وجمع فتن)) من قولهم : فتن الذهب بالنار إذا خلصته بها .

قوله : ((وقضى أوفى الأجلين)) أي المذكورين في قوله تعالى حكاية عن شعيب ﴿ إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك .. إلى قوله .. فلما قضى موسى الأجل ﴾ [2]

قوله ((قَدْ وقّته لذلك)) أي المتكلم [3] والاستنباء ، المغرب [4] : [الوقت من الأزمنة المبهمة ، ثم استعمل في كل حدّ ، وقد اشتقّوا منه فقالوا : وقّت ا لله الصّلاة ووقتها وحدّده ، ثم قيل : لكل محدود موقوت وموقّت] .

قوله : ((هذا تمثيل لما خوله)) يعني قوله : ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ لا يجوز أن يجري على ظاهره لاستغنائه تعالى عن ذلك ، فهو استعارة تمثيلية [5] وبيانها قوله : ((مثل حاله بحال من يراه)) إلى أخره ، الراغب [6] : [الصنيعة ما اصطنعته من خير. وَفَرَسٌ صنيع أُحْسِنَ القيام عليه ، وعبّر عن الأمكنة الشريفة بالمصانع ، وكنّي عن الرشوة بالمصانعة والاصطناع المبالغة في اصلاح الشئ ، قال تعالى : ﴿ واصطنعتك لنفسي ﴾ [7] وقوله : ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ إشارة إلى نحو ما قال بعض الحكماء : إن ا لله تعالى إذا أحبّ عبدا تَفَقّده ، كما يتفقد الصديق الصديق ، والصنع إجادة الفعل ، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات ، كما ينسب إليها الفعل ، قال تعالى :

---

(١) قوله تعالى : ﴿ فتونا ﴾ كالثبور والشكور والكفور

(٢) سورة (القصص) الآية ٢٩

(٣) (للتكليم) في م ، ب

(٤) المغرب ٣٦٣/٢ مادة (وقت) بتصرف

(٥) الاستعارة التمثيلية : هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي ، انظر الايضاح ص ٤٤٤

(٦) الراغب ٢٨٧ مادة (صنع)

(٧) سورة (طه) الآية ٤١

﴿ صنع الله الذي أتقن كل شئ ﴾ (١) وللإجادة يقال للحاذق المجيد : صَنَعٌ وصَنَاعٍ] .

قوله : ((لئلا يكون أحد أقرب منزلة)) ، (كان) تامّة ، لئلاّ يوجد أحد أقرب منزلة منه .

قوله : ((ولا يؤتمن على مكنون سره إلاّ سواء ضميره)) ، الأساس (٢) : [سواء الشيء وسطه ، وضرب سواءه وسطه ومستوى مفرقه ، ﴿ فرآه في سواء الجحيم ﴾ (٣) أي وسطها] .

قوله : ((الوني الفتور والتقصير)) (٤) ، الأساس (٥) : [ونى في الأمر ضعف وفتر ، وفلان عمل فونى تعب ، وأونيته أتعبته] .

قوله : ((واتخذ ذكري جناحاً)) ، ولما عقب النهي عن الونى في الذكر بالأمر بالذهاب ، وكرّره إجمالاً وتفصيلاً حسن قوله : ((واتخذ ذكري جناحاً تطيران به))، يعني اذهبا بآياتي وأسرعا فيه واستعينا على إمضائها بمداومة ذِكْري ، فإنّ الأمر الذي وُجّهتما إليه ما يتمشى إلاّ بمداومة الذكر والاصطبار عليها ، وفيه تلويح إلى إشارات العارفين ، وأن الترقي إلى المقامات العالية والعروج إلى مظان الزلفى إنما يحصل بملازمة الذكر وشدّ أعضاده بالأعمال الصالحة ، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (٦) ، انظر كيف كرّر الذكر من أول ما بدأ بالتكليم ليعرف عائدته ، ومن ثمّ قال : إن أمراً من الأمور لا يتمشّى لأحد إلاّ بذكري.

---

(١) سورة (النمل) الآية ٨٨

(٢) الأساس ٣١٥ ، مادة (سوى) .

(٣) سورة الصافات ، الآية ٥٥ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري ﴾ الآية ٤٢ ، طـه ، قال (ز): لا تنسياني ، ولا أزال منكما على ذكر حيثما تقلّبتما ((واتخذا ذكري جناحاً)) تصيران بـه مستديمين بذلك العون والتأييد مني .

(٥) الأساس ٦٩٠ ، مادة (ونى) .

(٦) سورة فاطر ، الآية ١٠ .

قوله : ((وهذا من مظانّه ومجازه)) ، لأن الملعون قد أمتاز بقوله : ﴿ ربنا الذي أعطا كلّ شيء ﴾ ، بقوله : ﴿ لا يضل ربي ولاينسى ﴾ على سبيل التعريض ، كما مرّ لأنه زعم أن الربوبية مشتركة بينه وبين الله لقوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾[1]، فإجراء الأوصاف الباقية على المدح أحرى وأولى ، كأنه قال : ربّي المعروف بالمالكية المشهور بالربوبية الذي لا يخفى على كلّ عالم وجاهل ، وخالق كلّ شيء في السماء والأرض ومابينهما من الخلائق والمرافق .ومن صفات كماله أنه جعل لكم الأرض مهادا ، وأنزل من السماء ماء ، ولو جعل صفة لربي أفاد تميزا وأن الرب مشترك بينه وبين الله على زعمه ، لقوله : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ وفاتت الفوائد .

قوله : ((مهدا)) [2] ، قراءة أهل الكوفة [3] ، والباقون مهادا .

قوله : ((انتقل فيه من لفظ الغيبة إلى لفظ المتكلّم المطاع)) [4] ، قال صاحب الانتصاف : هذا ليس بالتفات ، لأن الالتفات يكون في كلام متكلم واحد ، وههنا حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون : ﴿ علمها عند ربي في كتاب إلى قوله : ولا ينسى ﴾ ، وقوله : ﴿ الذى جعل لكم .. إلى قوله : فأخرجنا به ﴾ ، إما أن يكون من كلام موسى ، فيكون كلام بعض خواصّ الْمَلِكِ : أمَرْنا وفعلنا يريدون الملك وليس بالتفات ، وإن كان الله تعالى ابتدأ وصف ذاته فليس التفاتا، وهو انتقال من حكاية إلى إنشاء خطاب ، وعلى هذا يوقف على ﴿ ولاينسى ﴾ [5] ، ويحتمل أن موسى وصف الله تعالى بهذه الصفة على لفظ الغيبة ، وقال : ﴿ فأخرجنا به أزواجا) فلما حكاه الله عنه أسند الضمير إلى ذاته ، لأن الحاكي هو المحكي عنه

---

(١) سورة النازعات ، الآية ٢٤ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتّى ﴾ الآية ٥٣ طه .

(٣) المراد بأهل الكوفة عاصم وحمزة والكسائي وخلف ، ووافقهم الأعمش (مَهْداً) هنا وفي الزخرف . والباقون (مهادا) . الإتحاف ٣٠٣ .

(٤) في قوله : ﴿ فأخرجنا ﴾ ، قال (ز) : ((انتقل فيه من لفظ الغيبة)) الخ .

(٥) انظرالمكتفى في الوقف والابتداء للداني ٣٨٠ . وقال الأشموني في كتابه منار الهدى في الوقف والابتداء : (ولاينسى) وقف تام لأنه آخر كلام موسى ، وما بعده من كلام الله مستأنف ٢٤٣ .

فمرجع الضميرين واحد ، وقلت : هذا الأخير له وجه ، لأنـه إذا نظـر إلى ا لله تعـالى حكي عنه وغير العبارة يكون التفاتـا ، وإذا نظـر أن موسـى عليـه السـلام سمـع هـذه الكلمات بعينها من ا لله تعالى فاقتبسه وأدرج في كلامه ، كان التفاتاً أيضاً ، ونحوه في الإدراج قوله تعالى في الزخرف (١) : ﴿ ولئـن سـألتهم مـن خلـق السـموات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم . الذي جعل لكم الأرض مهداً ﴾ إلى قولـه : ﴿ والـذي نزّل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ﴾ ، ومعنى ﴿ ليقولـنّ خلقهنّ العزيز العليم ﴾ إلى آخره لينسبنّ خلقها إلى الذي وصف بهـذه (الصفـات)[٢] وقيل في حقه تلك النعوت .

قوله : ((والإيذان بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لأمره)) ، يعني في وضـع صيّر الجمع موضع المفرد على سنن الملوك في هـذه الآيـات الدالّـة علـى سـرعة تـأتي المكونات على اختلافها لإرادته ، فإن الْمَلِكَ لا يأبى مـن تحـت تصرفـه مـع اختـلاف أصنافهم لسرعة إجابته وامتثال أمره ، وقـد أدمـج في الكـلام معنـى الاختصـاص ردّاً لزعم الطبيعيين (٣) على منوال أنا نفعل كذا أيتها العصابة ، كما قال : بأنا نحـن نقـدر على مثل هذا ، ولا يدخل تحت قدرة أحد ، أي الماء واحد والأرض واحدة والمخـرج مختلف ألوانه ، فلا يكون ذلك إلا بإيجاد قادر مختار لا يمتنع شيء من إرادتـه ومشـيئته كقولـه تعـالى : ﴿ وفي الأرض قطـع متجـاورات وجنـات مـن أعنـاب وزرع ونخيـل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل ﴾ (٤) .

قولـه : ((عـدّد ا لله عليهـم مـا علـق بـالأرض)) (٥) ، بيـان للنظـم وأن الآيـة كالتتميم للآية الأولى ، والتكميل للمنافع المنوطة بـالأرض ، دلّـت الأولى علـى بيـان مرافقهم وأصناف انتفاعهم ، وهذه على أنها أصلهم وفيها تقلبهم حيّا وميّتاً ، فكانت

---

(١) الآية ١٠ .

[٢] الأوصاف في ب ،م .

(٣) الطبيعيون : هم المنسوبون للطبيعة ، وهي : عبارة عن القوة السارية في الأجسام بها يصـل الجسـم إلى كماله الطبيعي . أنظر التعريفات للجرجاني ١٨٢ .

(٤) سورة الرعد ، الآية ٤ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ الآية ٥٥ طه .

كالأم البارة بولدها في جميع ما يفتقر إليه ، ومن ثم استشهد بقوله : تمسّحوا بالأرض[1] فإنها أم بارة [2] ، النهاية [3] : [أراد به التيمّم ، وقيل : أراد به مباشرة مباشرتها بالجباه في السجود من غير حائل ، وهذا أمر تأديب واستحباب لا وجوب] فإنها أم برّة ، أى مشفقة كالوالدة بأولادها ، يعني أن منها خلقكم ومنها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم .

قوله : ((كفاتهم إذا ماتوا)) ، هو من قوله تعالى : ﴿ ألم نجعل الأرض كفاتا ﴾ [4] ، قال : الكفات من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه ، وهو اسم مايكفت أى كافية أحياء وأمواتا .

قوله : ((بصّرناه وعرّفناه صحتها)) [5] ، يعني يجوز أن يكون (أريناه) من الرؤية بمعنى المعرفة ، وعلى التقديرين متعدّ إلى مفعولين ، وعلى الثاني المضاف محذوف ولا يجوز أن تكون (الرؤية) [6] بمعنى العلم ، لئلا يلزم حذف المفعول الثالث من الإعلام وهو غير جائز .

قوله : ((أن يكون موسى قد أراه)) ، والإضافة على هذا بمعنى اللام الاستغراقى ، ومعنى (أريناه) عرّفناه لأنه قدر مشترك بين الإراءة بالبصر بالنسبة إلى الآيات التى أظهرها الله على يد موسى و بين الإراءة التي هي الإعلام والإخبار بالنسبة إلى ما أوتيه غيره ، ولهذا قال : لا فرق بين ما نخبر عنه [7] وبين ما نشاهد به . قال القاضي[8] : [كلها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد على أن المراد

---

(1) أخرجه ابن أبى شيبه في مصنفه ١٦١/١ كتاب الطهارات ، باب ما يجزى الرجل في تيممه .

(2) في م ، ب فإنها (بكم برّة) وهو الصواب كما في النهاية وأبن أبى شيبة .

(3) النهاية ٣٢٧/٤ مادة (مسح) .

(4) سورة المرسلات الآية ٢٥ .

(5) تفسير قوله تعالى ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكّذب وأبى ﴾ الآية ٥٦ طه .

(6) مابين القوسين س من ب ، م .

(7) (يخبر عنه) في م ،ت .

(8) القاضي البيضاوي ٢٤/٤ .

بآياتنا آيات معهودة ، هي الآيات التسع المختصة بموسى وأنه عليه السلام أراه آياته وعدّد عليه ما أوتى غيره من المعجزات] ، وقال السجاوندي (١) : [كلها أى كل أجناس الآيات إيجاد المعدوم كإيجاد الضوء من اليد وإعدام الموجود كإعدام حبال السحرة وتغيير الموجود كقلب العصا حية وإعادتها حية .

قوله : ((العصا و اليد وفلق الحجر)) إلى آخره ، وليس في معالم التنزيل ذكر الحجر ولا نَتْقُ الجبل ، وفي رواية عن ابن عباس (رضي الله عنه) : والعقدة التي كانت بلسانه فحلّها ، وفي رواية عكرمة والسنون و نقص من الثمرات ، وفي رواية محمد بن كعب الطمس : وأما الحجر ونتق الجبل فغير مناسبين لأنهما من الآيات التي اختصّت ببنى إسرائيل بعد هلاك فرعون .

قوله : ((بين ما يشاهد به)) ، بكسر الهاء أى يحاضر به ويريه ، قاله نور الدين الحكيم (٢) .

قوله : ((وقيل فكذّب)) ، عطف على فكذبها جميعا يعني (أبى) ، حذف مفعوله إما بواسطة القرينة الظاهرة أو المعنوية ، فعلى الأول (أبى) تتميم ، وعلى الثاني تكميل لأن الحقّ أعمّ من المعجزات .

قوله : ((يلوح من جيب)) (٣) ، قوله الرواية (جيب) بالجيم والباء الموحّدة ويروى من (خيث) بالخاء المعجمة والثاء المثلثة ، وهو تصحيف ، والصحيح الأول ، وقد تضمنت الاستعارة الموشّحة بالترشيح ، وذلك أن قوله : ﴿ لتخرجنا من أرضنا ﴾ فيه إظهار تجلّد من اللعين للقوم ، وفي ضمنه استشعار خوف عظيم ، وقوله : ﴿ بسحرك ﴾ تعمية وإلباس على الحمقى والجهلة , لأن هذا الكلام ماصدر عن اللعين إلا بعد ما أيقن وحقق أن ما جاء به ليس من قبيل الباطل الذي هو السحر ، بل هو من

---

(١) السجاوندي : تقدم تعريفه . ولازال كتابه مخطوطا .

(٢) نور الدين الحكيم لم أقف له على ترجمة .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى ﴾ الآية ٧٥ طه ، قال (ز): ((يلوح من جيب قوله : ﴿ أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ﴾ أن فرائصه كانت ترتعد خوفا مما جاء به موسى .

الحق الساطع الغالب على كلّ باطل ارتكبه ، فإبرازه في معرض السحر استشعارا للخوف ، فشبّه بالثوب الساتر على عيوب لابسه مع اطّلاع ذى الدرية على عيبه من جيبه .

قوله : ((فرائصه)) ، الجوهري (1) : [عن الأصمعي الفريصة اللحمة بين الكتف والجنب التي لا تزال ترتعد من الدّابة] .

قوله : ((أن يجعل الزمان مُخْلِقاً)) (2) ، قال ابن الحاجب في الأمالى : [الظاهر أن الموعد الوعد ، لأنه وصف بقوله : ﴿ لا نخلفه ﴾ ، والإخلاف إنما يتعلق بالوعد ، يقال : أخلف وعده لا بمكانه ولا بزمانه ، ولو جعل مكانا وزمانا لوقع الإخلاف على غير الوعد وهو بعيد] .

قوله : ((وأن لايطابق قوله ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾)) لأنه يكون حينئذ ﴿فاجعل﴾ طلباً لمكان الوعد فلا يكون تعيين زمان الوعد مطابقاً للسؤال .

قوله : ((وقراءة الحسن غير مطابقه له)) (3) أى للموعد من جهة المكان والزمان أما المكان فظاهر ، واما الزمان فلأن زمان الوعد زمان التكلم لازمان الزينة وإنما يتوقع إنجازه فيه . قال ابن جنى (4) : [أما نصب ﴿ يوم الزينه ﴾ فعلى الظرف والموعد مصدر والظرف بعده خبر عنه على حذف المضاف أى إنجاز موعدنا إياكم في ذلك اليوم . ألاترى أنه لايراد في ذلك اليوم نعدكم وكيف ذا والوعد قد وقع الآن وإنما يتوقع إنجازه في ذلك اليوم] وإليه الإشارة بقوله : ((فالموعد في قراءة الحسن مصدر لاغير)) لأن التقدير اجعل بيننا وبينك إنجاز وعد فقيل : إنجاز وعدكم في يوم الزينة . وقال أبو البقاء : (5) [تقديره موعدكم واقع يوم الزينة] .

---

(1) الجوهرى ١٠٤٨/٣ مادة (فرص) .

(2) تفسير قوله تعالى ﴿ فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى ﴾ .

(3) قراءة الحسن والأعمش والثقفي ، ورويت عن أبى عمرو (يوْمَ الزينة) المحتسب لابن جنى ٥٣/٢ .

(4) المرجع السابق .

(5) أبو البقاء ١٢٣/٢ .

قوله : ((ومكانا بدل من المكان المحذوف)) وجاز الإبدال لتغايرهما بوصف الثاني بـ (سوى) .

قوله : ((فكيف طابقه)) [1] أتى بالفاء إنكارا يعنى قرّرت أنه لايجوز جعل الموعد مكانا لما يلزم منه عدم المطابقة بينه وبين قوله ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ وحين جعلته مصدرا على تقدير المضاف وقعت فيما فررت منه وأجاب أنه كان يلزم من الأول محذوران جعل المكان مخلفا وعدم المطابقة ، ومن الثاني محذور واحد وهو عدم المطابقة ، فتأول كما أشار إليه وذلك كما يقال لمن يقول لصاحبه : أين أراك يوم عرفة ؟ أى في عرفات . وقال صاحب الانتصاف : [2] [ويحتمل أن يجعل موعد اسم مكان فيطابق مكانا والزمان بماذكره ويعود الضمير في ﴿ لا نخلفه ﴾ على المصدر المفهوم من اسم المكان إذحروفه فيه . والموعد إذا كان اسم حاصله مكان وعد وكذا إذا كان اسم زمان حاصله زمان وعد ، وإذا جاز عود الضمير إلى ما دلّت عليه قوة الكلام فرجوعه الى ماهو كالمنطوق به أولى . قالوا : من صدق كان خيراً له فأعادوا الضمير على مصدر صدق لدلالة الفعل عليه ، ويكون على هذين التأويلين جواب موسى من جوامع الكلم ، سألوه مكانا فعلم أن الزمان لابد أن يسأل عنه فأجاب جواب مفرد كاف في الجميع فإن قيل : المسئول عنه جُعِلَ ضِمْناً وهو المكان وصرّح بما لم يطلب ، وهو الزمان فالجواب أن قرينة سؤالهم دلّت على المضّمن وما لم يسألوا عنه صرّح به إذ لاقرينة معه] وقلت في قوله : يعود الضمير إلى المصدر المفهوم من اسم المكان نظر لأن قوله ﴿ لا نخلفه ﴾ صفة لموعد أو الضمير فيه لايرجع إلا إليه قطعاً .

قوله : ((بالمصدر)) أى انتصب (مكانا) بالمصدر قال أبو البقاء : [3] وكلام صاحب التقريب والانتصاف فيه نظر لأن المصدر الموصوف لايعمل وغاية ما يقال فيه : إن عمله في الظرف من الاتساع . وقال ابن الحاجب : لايستقيم نصب مكانا

---

(1) تفسير قوله (مكانا) .

(2) الانتصاف مع الكشاف ٧٠/٣ مع تصرف منه .

(3) أبو البقاء ١٢٢/٢-١٢٣ .

بالوعد وإن كان مصدراً لأنه قد فصل بينه وبينه بالوصف فصار مثل قولك : أعجبني ضرب حسن زيداً وهو غير سائغ لأن المنصوب بالمصدر من تتمّته ولايوصف الشيء إلا بعد تمامه فكان كوصف الموصول قبل تمام صلته . وقال صاحب الفرائد : إن جعلته مصدراً فالتقدير اجعل لنا وعداً لانخلفه جاء يبين أو أتبين مكانا سوىً . وقال أبو البقاء : (١) [يجوز أن يكون مكانا مفعولاً ثانيا (لاجعل)] .

قوله ((كيف يطابقه الجواب)) أى قوله ﴿ موعدكم يوم الزينة ﴾ كيف يستقيم جوابا لقوله ﴿ اجعل بيننا وبينك موعداً ﴾ فإن يوم الزينة حمل على موعدكم وأجاب أنه على قول الحسن ظرف مستقر وعلى المشهورة يقدر في الخبر مضاف بأن يقال : وعدكم وعد يوم الزينة .

قوله : ((لأنه ضحى ذلك اليوم بعينه أى يوم الزينه فيوم الزينه ظرف والظرف من المخصّصات ، والمراد من قوله : ((على نية التعريف فيه)) أى في ضحى أنه لما وقع خبراً من المجموع لم يلتبس على أحد أنه ضحى غير ذلك اليوم فإنه وإن كان نكرة لفظا إلا أنه معرفة معنىً ونيةً ، إذ التقدير : موعدكم في يوم الزينة ضحاه . قال صاحب التقريب : وعلى هذا في نصب يوم الزينة نظر إلا أن يجعل صفة للضحى تقدمت عليه أى ضحى كائنا في ذلك اليوم وحينئذ يستغنى عن نية التعريف فيه ، وقلت : لايجوز أن يكون حالا من ضحى لفقد العامل .

قوله : ((وقرىء سُوى وسِوى)) عاصم وابن عامر وحمزة بالضم والباقون بالكسر ووقف أبوبكر وحمزة والكسائى (سوى) بالإمالة وورش وأبو عمرو بين بين والباقون بالفتح قال محى السنة (٢) [وهما لغتان لمثل عُدَى وعَدَى قال مقاتل وقتادة : مكانا عدلاً بيننا وبينك ابن عباس نصفا يستوى مسافة الفريقين إليه . قال مجاهد : منصّفا] .

قوله : ((لأن المسافة من الوسط إلى الطرفين مستوية)) تعليل لتصحيح قول مجاهد، أي لّما كان أصل سوى من الاستواء جعله بمعنى منصفا لأن المسافة أى البعد لكل فريق من السحرة والمؤمنين إلى ذلك المكان مستو لاتفاوت فيه . قال الزجاج:(٣)

(١) أبو البقاء ٢/١٢٢-١٢٣ .

(٢) محى السنة البغوى ٥/٢٧٩ .

(٣) الزجاج ٣/٣٦٠ .

[منصفا أى مكانا يكون النّصْف فيما بيننا وبينك] الراغب (1) سواء وسط ، ويقال: سواء وسِوىً قال تعالى : ﴿ مكانا سوى ﴾ أى يستوي طرفاه ويستعمل ذلك وصْفاً وظرفاً وأصل ذلك مصدرٌ والسّيّ المساوى كعدل ومعادل وقتل ومقاتل ، تقول : سِيَّانِ زيد وعمرو والمساواة متعارفة في المثْمنات يقال : هذا الثوب يساوى كذا] .

قوله : ((ومن لم يُنَوِّن فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقف)) قال صاحب التقريب : [وفيه نظر لأنه وقف حقيقة فعدم التنوين لكونه وقفا لإجراء الوصل مجرى الوقف إلا أن يثبت عدم التنوين في الوصل أيضا] وقال ابن جني (2) : [وهي قراءة الحسن وترك صرفه مشكل لأنه وصف على فُعَل وهو مصروف يقال : رجل حُطَمٌ (3) ودليل خُتَع (4) " ومال لبد (5) إلا أنه ينبغي أن يحمل على أنه محمول على الوقف عليه فجاء بترك التنوين ، فإن وصل على ذلك فعلى نحو قولهم : سبسبا (6) وكلكلا (7) فيجرى في الوصل مجراه في الوقف] دليل أى ماهو في الدلالة .

قوله : ((ومحل أن يحشر)) الرفع أو الجرّ عطفا على اليوم أو الزينة قال أبو البقاء : (8) [﴿ وأن يحشر الناس ﴾ معطوف على الزينة أى ويوم أن يحشر الناس فيكون في موضع جر ويجوز أن يكون في موضع رفع أى موعدكم أن يحشر الناس] وقال ابن جنى (9) في قوله تعالى [﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ : النَّظَر فظاهر حاله أنه مجرور ، كأنه قيل : موعدكم يوم الزينة وحشر الناس ضحىً ، ويجوز أن يكون مرفوعا عطفاً على الموعد كأنه قال : إنجاز موعدكم وحشر الناس ضحى في يوم

---

(1) الراغب ٢٥٢ مادة (سوا) .

(2) ابن جنى في المحتسب ٥٢/٢ (مكانا سوى) غير منون .

(3) الحطم : الظلوم ، من قولهم : راع حُطَمٌ أى ظلوم لماشيته كأنه يحطمها لعنفه في سوقها . الأساس ١٣٢ مادة (حطم) .

(4) دليل ختع : حاذق في الدلالة ، وخَوْتع ماهر . الأساس ١٥٣ مادة (ختع) .

(5) مال لبد : كثير متلبّدٌ بعضه فوق بعض . الأساس ٥٥٧ مادة (لبد) .

(6) والسبسب : المفازة ، يقال : بلد سبسب . الصحاح ١٤٥/١ مادة (سبب) .

(7) الكلكل : الصدر ، ويقال : رجل كُلْكل قصير غليظ مع شدة . الصحاح ١٨١٢/٥ .

(8) أبو البقاء ١٢٣/٢ .

(9) ابن جنى في المحتسب ٢/ ٥٣ .

الزينة فكأنه جعل الموعد عبارة عن جميع ما يتجدّد في ذلك اليوم من الثواب والعقاب وغيرهما سوى الحشر ، ثم عطف ﴿ أن يحشر ﴾ عليه فهو على منــوال ﴿ وملائكته وجبريل ﴾ (١) ومن رفع فقال : يوم الزينة ، فإن الموعد إذن زمان أي وقت وعدكم يوم الزينة ، وعطف ﴿ وأن يحشر ﴾ يؤكد الرفع ، لأن ﴿ أن ﴾ لا تكون ظرفا ، ألا ترى أن من قال : زيارتك إياي مقدم الحاج ، لا تقول : زيارتك إياي أن يقدم الحاج ، وذلك ان لفظ المصدر الصريح أشبه بالظرف من ﴿ أن ﴾ وصلتها التي بمعنى المصدر إذا كان اسما لحدث ، والظرف اسم للوقت والوقت يكاد يكون حدثا] .

قوله : ((وكبت الكافر)) الجوهري : [الكبت الصرف والإذلال ، يقال : كبت الله العدوّ أي صرفه وأذلّه] .

قوله : ((قرئ فَيُسْحِتَكُمْ)) (٢) حفص وحمزة والكسائي بكسر الحاء وضم الياء . والباقون بفتحها ، قال الزجاج (٣) : [يقال سحته الله وأسحته إذا استأصله وأهلكه ، قال الفرزدق :(٤)

** وعَضُّ زمان يا ابن مروان لم يدع ** من المال إلا مُسْحَتا أو مُجَلَّف **

لم يدع ، لم يستقرّ ، من الدّعة ، إلا مسحت بالرفع . والأكثر بالنصب ، فهذا بناء على قولهم : أسحت فهو مسحت] ، الجوهري (٥) : [المسحت المهلك ، والمجلّف بالجيم الذي بقيت منه بقية ، يريد إلا مُسْحَتاً وهو مجلّف] ، قيل : معنى لم يدع لم يبق ، حيث رفع به مجلّف . ومن روى مسحتا ، فهو على معناه ، وتمام تقريره مضى في قوله تعالى : ﴿ ومن لم يُطْعِمه فإنّه منّي ﴾ (٦) .

---

(١) سورة البقرة الآية ٩٨.

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ﴾ ، قرأ ﴿ فَيُسْحِتَكُمْ ﴾ حفص وحمزة والكسائي ورويس وخلف بضم الياء وكسر الحاء من (أسحت) رباعيا لغة تميم ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بفتح الياء والحاء من سحته ثلاثيا لغة أهل الحجاز ، الإتحاف٣٠٤

(٣) الزجاج ٣/ ٣٦١

(٤) قاله الفرزدق في ديوانه ٥٥٦

(٥) الجوهري ٤/١٣٣٨-١٣٣٩ مادة (جلف)

(٦) سورة (البقرة) الآية ٢٤٩

قوله : ((لا تزال الرُّكَبُ تَصْطكّ)) [1] مثل في عَقْدِه وعَضْلِه .

قوله : ((وعن وهب [2] لما قال ﴿ ويلكم ﴾ الآية قالوا : ما هذا بقول ساحر)) مؤذن بأن قوله : ﴿ قال لهم موسى ويلكم ﴾ كلام مع السحرة ، وبه صرّح الواحدي [3] ، وعليه ينطبق قوله : ﴿ فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى ﴾ أي ثم أتى بجميع ما رأى أن يؤتى به من القوم والسحرة والآلات ، فلما حضر موسى للميقات ونظر إلى السحرة وما استعدّوا به قال : ﴿ ويلكم لا تفتروا على ا لله كذبا ﴾ فحينئذ تنازع السحرة أمرهم وأسرّوا النّجوى . وقالوا : ما هذا بقول ساحر ، ثم اتّجه لسائل أن يقول : ما فعل فرعون وقومه عند هذا التقاعد والتواني وما قالوا للسحرة؟ أجيب قالوا : ﴿ إن هذان لساحران ﴾ إلى قوله : ﴿ استعلى ﴾ .

قوله : ((وتجاذبوا أهداب القول)) استعارة [4] ، وتجاذبوا ترشيحها ، والمجموع كناية عن أن الكلام ذو شجون . وفيه أن كلامهم كان أقوالا ملفقة لا حقيقة لها ، لأن هدبة الثوب مثل في الرخاوة ، يدلّ عليه قوله ((في تلفيق هذا الكلام وتزويره)) [5] ، ويروى وترويزه [6] من الوزر وهو الذوق ، يقال : راز العِدْل أي حرّكه ، هل يقدر على حمله أم لا ؟ .

---

(١) قال (ز) : مشيرا لبيت الفرزدق المذكور آنفا ((لا تزال الركب تَصْطَكّ)) في تسوية إعرابه . قال في اللسان ٤٥٦/١٠ ، مادة (صكك) الصّك : اضطراب الركبتين والعرقوبين من الإنسان وغيره.

(٢) وهب بن منبّه بن كامل بن سيح بن ذي كناز اليماني الصنعاني الذماري أبو عبدا لله ، كان يتهم بشيئ من القدر ، ثم ترك القول به ، ولد سنة ٣٤ ومات ١١٠ ، تهذيب التهذيب ١٦٦/١١

(٣) الواحدي ٢١١/٣

(٤) الاستعارة الترشيحية : هي اقتران الاستعارة بما يلائم المستعار منه . انظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٤٣٣ .

(٥) قال الزمخشري في الأساس : وزر حمله الوزر ، وهو الحمل الثقيل

(٦) الروز التجربة ، يقال : رازه يروزه روزا جرّب ما عنده وخبره ، اللسان مادة (روز)

قوله : ((خوفا من غلبتها)) يريد أن نجْواهم في السر كان لتلفيق ، قوله : ﴿إن هذان لساحران﴾ يعني إن صرحنا الحق نخاف من غلبتهما علينا بأن يقولا فاتبعونا إذن . ومن تثبيط الناس أيضا فإنّهم إذا سمعوا ذلك رغبوا في اتباعهما ، فالواجب أن يقول : إن هذين لساحران فيأمن من ذلك ، هذا يقوي رواية من روى تزويره بالراء بعد الزاي .

قوله :((قرأ أبو عمرو[1] ﴿ وإنَّ هَذَيْنِ ﴾ وفي التيسير [2] و قرأ ابن كثير وحفص ﴿ إنْ هذان ﴾ بإسكان النون والباقون بتشديدها . وقرأ أبو عمرو ﴿هذين﴾ بالياء والباقون بالألف قوله ﴿ أن هذان لساحران ﴾ [3] بفتح (أن) وبغير لام بدل من النّجوى)) هذا على أن يكون قوله : ﴿ إن هذان لساحران ﴾ من كلام السحرة كما قال ، والظاهر أنهم تشاوروا في السّر فيكون قوله : ﴿ قالوا ﴾ مقحما توكيداً لأن أسرو أنواع من القول وقوله ﴿ فأجمعوا كيدكم ﴾ كلام بعضهم مع بعض وفي الموضح [4] بحذف ﴿ قالوا ﴾ من السّرّ .

قوله : ((جعلوا الاسم المثنّى نحو الأسماء التي آخرها ألف كعصا)) قال الزجاج: [5] [حكى أبو عبيدة عن أبى الخطاب ، وهو رأس من رؤساء الرواة أنها لغة لكنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد وينشدون[6]

** فأطرق إطراق الشجاع ولو أرى ** مساغاً لِنَا بَاه الشجاع لصمّما **

ويقولون ضربته بين أذْنَاهُ ، وكذلك روى الكوفيون أنها لغة لبنى الحارث بن كعب وقالت النحاة القدماء : إن الضمير فيه مضمر أى أنه هذان لساحران وقالوا أيضاً : إن معنى (إن) نعم وينشدون [7]

---

(١) قرأ ابن كثير بإسكان نون (إنْ) و (هَذَانّ) بالألف مع تشديد النون والمدّ المشبع للساكنين وصلا ووقفا . وقرأ أبو عمرو بتشديد نون (إنّ) وفتحها و (هذين) بالياء مع تخفيف النون . وحفص بإسكان نون (إنْ) و (هذان) بالألف مع تخفيف النون والباقون بتشديد نون (أنّ) و (هذان) بالألف مع تخفيف النون . البدور الزاهرة ، ٢٠٥ .

(٢) التيسير للداني ١٥١ وفيه إجمال وعدم تفصيل .

(٣) قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، انظر الشواذ لابن خالويه ٨٨ بلفظ (إن ذان إلا ساحران)

(٤) الموضح لم أقف عليه .

(٥) الزجاج ٣٦٢/٣ وانظر المجاز لأبى عبيد ٢١/٢ .

(٦) هذ البيت للمتلمس ، وذكره ابن يعش ١٢٨/٣ واللسان (صمم) .

(٧) البيت لعبد بن قيس الرقيات العامرى . انظر خزانة الأدب ١٣٠/٣ .

**وَيَقُلْنَ شيب قد عــلا ** ك وقد كَبُرتَ فقلت إنّهْ **

وحكى صاحب المطلع (١) أن أعرابيا أتى ابن الزبير يستجديه فلم يعطه شيئا . فقـال : (لعن الله ناقة حملتـني إليـك) قـال ابـن الزبـير (إنْ) وراكبهـا أى نعـم . وقـال ابـن الحاجب في الأمالي : وهذه القراءة مشكلة ، أظهرها أن هـذان مبنـى لأنـه مـن أسمـاء الإشارة فجاء في الرفع والنصب والجر على حال واحدة وهي لغة واضحة ومما يقويها أن اختلاف الصيغ في اللغة الأخرى ليس إعرابا في التحقيق لوجود علة البناء من غـير معارض لأن العلة في هذا وهولاء كونها اسم إشارة . وقال (إنْ) بمعنى (نعم) شاذ

قوله : ((وقال بعضهم (إن) بمعنى نعم)) وقد أعجب بـه أبـو إسـحاق أى الزجاج (٢) قال بعد ما نقل كلام النحويين : [هذا جميع ما احتجوا به والـذي عنـدي والله أعلم وكنت عرضته على عالمينا محمد بن يزيـد يعنـى المبرّد وعلـيّ إسمـاعيل بـن إسحاق (٣) فقبلاه وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هـذا المعنـى أن تقديـره (نعـم) هـذان لهما ساحران وأن اللام قد وقعـت موقعهـا أى دخلـت علـى المبتـدإ لا الخـبر] وقـال النحاة: أصل هذا اللام أن تقع في الابتداء و وقوعها في الخبر جائز وأنشدوا :

** أم الحليس (٤) لعجوز شهربه (٥) ** ترضى من اللحم بعظم الرقبه **

أى لأم الحليس عجوز .

وقال أبو على(٦) في الأغفال : هذا غير مرضي لأن هذا اللام للتأكيد ويقبح أن يذكـر للتأكيد ويحذف نفس المؤكد لأن التأكيد إنما يحتاج إليه فيما خيف لبسه على السـامع

---

(١) صاحب المطلع لم أقف عليه .

(٢) الزجاج ٣٦٣/٣ .

(٣) إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد القاضي الجهضمي الأزدى فقيه على مذهب مالك ومن بيـت علم . جليل التصانيف نشر مذهب مالك في العراق ، كان من نظراء المبرد ولد سنة ٢٠٠ ومات سنة ٢٨٢. الاعلام ٣١٠/١ والديباج المذهب ٩٢ .

(٤) نسب بعضهم هذا البيت لعنترة بن عروس مولى بنى ثقيف ، ونسبه آخرون إلى رؤبة بن العجـاج ، انظر خزانة الأدب ١٣٠/٣ .

(٥) معنى (شهربه) كبيرة السنّ . الصحاح ١٥٩/١ مادة (شهرب) .

(٦) أبو على الفارسي في كتابه الإغفال . انظر مقدمة الحجة لأبى على المذكور ٤٢ .

فإذا بلغ به الحال الـتي يستجاز معها حذفه لعلم المخاطب بـه استغنى لذلك عن التأكيد ، ولهذا حمل النحويون قوله (أم الحليس لعجوز) على الضرورة حيث أدخل اللام على الخبر وحقها أن تدخل على المبتدإ ولو كان للذي ذكره وجه ما حملواهـذا على الضرورة بل قدّروا فيه ما قدروه في قوله : ويحذف نفس المؤكد نظرا لأن المؤكد مضمون الجملة كما نص عليه المصنف في قوله ﴿ ولسوف يعطيك ربـك فـترضى ﴾ [١] ثم قال أبو على : فإن قلت أليسوا قد أجازوا حـذف الخبر في نحو إن مُحِلاً وإن مرتحلا ؟ وإذا لم يمنع الحذف في الخبر مع إن لم يمتنع في المبتداءِ مع اللام قلت : لايـلزم من جواز هـذا جـواز ذاك وإن اجتمعا في التأكيد وتلقى القسـم لأن (إن) مشـبهة بـ (لا) من حيث كانت تعمل عملها وكانت نقيضتها وحمـل النقيض على النقيض شائع ، وإنما حسن الحذف مع (لا) لأن المنفى في تقدير التكرير لأنـه لايقـع إلابعـد إثبات مثبت وبعد إثباته يحسن الحذف .

قوله : ((سمّوا مذهبهم الطريقة المثلى[٢])) الراغب :[٣] [الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل قال تعالى ﴿ فاجعل لهم طريقا في البحر يبسا ﴾[٤] وعنه استعير كـلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداًكان أو مذموما قال تعالى ﴿ ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾] .

قوله : ((وقيل : الطريق اسم لوجوه الناس وأشرافهم)) قـال الزجـاج[٥] : يعنى طريقتكم المثلى جماعتكم الأشراف والمثلى تـأنيث الأمثـل ، والمثلـى ذو الفضـل الـذي بـه يستحق أن يقال هذا أمثل قومه والعرب تقول للرجل الفاضل : وإنمـا تأويلـه هـذا الـذي ينبغي أن يجعله قومه قدوة ويسلكوا طريقته ، والذي عندي أنه أهـل طريقتكـم كقولهـم : هذا طريقة قومه أى صاحب طريقة قومه ، وقال القـاضي[٦] :[﴿ بطريقتكـم المثلـى ﴾

---

(١) سورة الضحى الآية ٥ .

(٢) تفسير قوله تعالى ﴿ ويذهبا بطريقتكم المثلى ﴾ .

(٣) الراغب ٣٠٣ مادة (طرق) .

(٤) سورة طه الآية ٧٧ .

(٥) الزجاج ٣/٣٦٤ .

(٦) القاضي البيضاوي ٤/٢٥ .

أى مذهبكـم الـذي هـو أفضـل المذاهـب بإظهـار مذهبيهمـا وإعـلاء دينهمـا لقولـه : ﴿ أخاف أن يبدّل دينكم ﴾ (١)] .

قولـه : ((فـأجمعوا كيدكـم)) بوصـل الألـف وفتـح الميـم ، قرأهـا أبوعمــرو والباقون بقطع الألف وكسر الميم . قال صاحب الكشف(٢) : من قـال : (فـأجمعوا) بقطع الألف حذف الجار كما حذفها في قولـه : ﴿ ولاتعزمـوا عقـدة النكـاح ﴾ (٣) ، أى علـى عقـدة النكـاح كقولـه : ﴿ فـأجمعوا أمركـم وشـركاءكم ﴾ (٤) ومـن قـال : (فأجمعوا) فوصل لم يحتج إلى حذف الجار لأنه متعد بنفسه .

قوله : ((إما منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف)) (٥) ، قال أبو البقاء (٦) : [أى إما أن تفعل الإلقاء أو أمرنا الإلقاء] .

قوله : ((ووجه صحتـه)) (٧) ، أى صحـة هـذا المجـاز والعـدول مـن الحقيقـة وإرادة المصلى بوصف في قول فرعون : (ايتوا صفّا) بعد تقرير علاقـة المجـاز هـو أن يقع علما ويراد مصلى من المصليات .

قوله : ((هذا التخيير منهم استعمال أدب حسن)) ، قال في الانتصـاف (٨) : [سبق أدبهم في قولهم : ﴿ فاجعل بيننا وبينك موعدالا نخلفـه ﴾ ، جعلـوا الموعـد

---

(١) سورة غافر الآية ٢٦.

(٢) صاحب الكشف عن وجوه القرآت السبع مكى بن أبى طالب القيسي ١٠١/٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٣٥ .

(٤) سورة يونس ، الآية ٧١ .

(٥) تفسير قوله تعالى: ﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإمـا أن نكـون أول مـن ألقـى ﴾ . قـال (ز) : (أن) مع ما بعده ((إما منصوب)) الخ .

(٦) أبو البقاء ٢٨٢/١ في سورة الأعراف ، الآية ١١٥ .

(٧) قال (ز) : قال أبو عبيدة : إنه فسر الصـف بـالمصلى ، لأن النـاس يجتمعـون فيـه لعيدهم .

(٨) الانتصاف مع الكشاف ٧٣/٣ .

من موسى ثم قالوا : ﴿ إمّا أن تلقي ﴾ وألهم ا لله تعالى موسى عليه السلام أن يجعل الموعد يوم عيدهم ليفتضحوا على رؤوس الأشهاد وألهمه بأن يبدؤا ليكون إلقاؤه قذفا بالحق على الباطل] وقال القاضي[1][أمرهم بأن يبدءوا في الإلقاء اسعافا إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول في جانبهم وتغيير النظم إلى وجه أبلغ] وهو ﴿ إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون أول من ألقى ﴾ .

قوله : ((وهذا تمثيل ، و المعنى على مفاجأته)) ، قال صاحب التقريب : [والتقدير فاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم ، وهذا تمثيل و ليس عين المدعي ، لأن وقت في التقدير مفعول به لفاجأ ، والمدعي أنه ظرف ، فالأولى أن يقال : فاجأ موسى حبالهم في وقت تخيلها السعي ، وقد نبّه في قوله : ((والمعنى على هذا)) [2] . وقلت : المراد من قوله : ((هذا تمثيل)) أن ما ذكره ، وهوقوله : فاجأ موسى وقت تخيّل سعي حبالهم وعصيهم واردٌ على سبيل تنظير الآية به ، بحسب هذه القاعدة ، لكن معنى الآية على مفاجأته حبالهم وعصيّهم مخيّلة إليه السعي ، بناء على قولهم : (إذا) هذه للمفاجأة كأن الظرف سدّ مسدّ فعله ، قال ابن الحاجب [3] : [ولا يقع بعد (إذا) المفاجأة إلا المبتدأ والخبر والعامل فيها معنى المفاجأة ، وهو عامل لا يظهر، استغنوا عن إظهاره بقوة ما فيها من الدلالة عليه] .

قوله : ((وقرئ ﴿ ويخيل ﴾)) [4] ، على إسناده إلى ضمير الخيال : ابن ذكوان . والباقون بالياء التحتاني ، قال ابن جنّي [5] : [القراءة بالتاء الفوقانية

---

(1) القاضي البضاوي ٤/٢٥

(٢) على (غير) هذا في م ، ب

(٣) ابن الحاجب في كتابه الإيضاح في شرح المفصل ١/٥١٤ نقله بالحرف

(٤) قرأ ابن ذكوان وروح بالتاء من فوق ، في قوله ﴿ تخيل ﴾ على التأنيث على إسناده لضمير العصي والحبال ، ﴿ وأنها تسعى ﴾ بدل اشتمال من ذلك الضمير ، ووافقهما الحسن . والباقون بالياء على التذكير لإسناده إلى أنها تسعى ، أي يخيل سعيها . الإتحاف ٣٠٥

(٥) ابن جنيّ في المحتسب ٢/٥٥ .

(٦) سورة (ص) الآية ٥٠.

للحسن والثقفي ﴿ وأنها تسعى ﴾ بـدل من الضمـير في ﴿ تخيـل ﴾ وهـو عـائد إلى الحبال والعصي . كقولك : إخوتك يعجبونني أحوالهم . وقوله تعالى : ﴿ جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ﴾ في من جعل الأبواب بدلا من الضمـير في ﴿ مفتحـة ﴾ وهـذا أمثل من أن يعتقد خلوّ ﴿ تخيل ﴾ من الضمير] ، قال أبو البقاء [1] : [﴿ حبالهم ﴾ مبتـدأ والخبر إذا ، و ﴿ يخيل ﴾ حال] .

قوله : ((نبأة يسيرة)) [2] ، الجوهري [3] : [النباوة الصوت الخفى] .

قوله : ((﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ فيه تقدير لغلبته وقهره وتوكيده يجـوز أن يكـون قولـه : ((وتوكيد)) عطفا علـى قولـه : ((تقريـر لغلبتـه)) علـى البيـان وقولـه : ((بالإستئناف وبكلمـة التشديد)) أى التحقيق ، وهى (إن) [4] إلى آخره تعداد للمؤكـدات ، ويجـوز أن يكـون توكيـد غير الأول فيتعلق قوله بالإستئناف بقوله تقرير لغلبته بتعلق البواقي بقوله : ((وتوكيد)) أمـا دلالـة الاستئناف على تقرير الغلبة والقهر فهي أنه لما قيل لـه : ﴿ لاتخف ﴾ ، أى لا تبـال ، سأل لم ذاك والحال حال استشعار الخوف ؟ ، فأجيب : ﴿ إنك أنت الأعلى ﴾ ، وأما دلالة لام التعريف على تقرير الغلبة فإنها للجنس . وقد دخلت على الخبر فأفادت أن حقيقة العلـوّ والغلبة مختصـة بـك لا تتعدى إلى غيرك . وقوله : ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ أمر عطف علـى النهي وهـو ﴿ لا تخف إنـك أنت الأعلى ﴾ ، وفصّل فيه ما كان مجملاً في ﴿ أنت الأعلى ﴾ بقولـه : ﴿ تلقّـف مـا صنعـوا ﴾ إلى قوله : ﴿ آمنا برب هارون وموسى ﴾ .

قوله : ((جائز ان يكون تصغيراً لها)) [5] خـبر لقولـه : ﴿ مـا في يمينـك ﴾ ، ﴿ فمـا ﴾ حينئذ موصولة ، والصلة تدّل على التحقير ، أى ألق الذي اشتمل عليه يمينـك مـن العويـد [6] الخفيف الحقير ، وعلى تقدير أن يكون تعظيماً لها ، (ما) موصلة أنهـا منـه والتنكـير

---

(1) أبو البقاء ١٢٣/٢

(2) تفسير قوله تعالى ﴿ فأوجس في نفسه خيفة موسى ﴾ . قـال (ز) : ((توجُّـسُ الصـوت سَـمْعُ ((نبأة يسيرة)) منه .

(3) الجوهري ٧٤/١ مادة (نبأ)

(4) المراد بأن إلى آخره أى ﴿ انك أنت الأعلى ﴾ إلى آخر كلام الزمخشري .

(5) تفسير قوله تعالى ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ قال (ز) : ولم يقل عصاك ((جائز أن يكون)) الخ .

(6) العويد : تصغير للعود الصغير الجرم .

للتعظيم ، أى ألق شيئاً استقرّ في يمينك ، أى شيئا عظيماً ، وإلى الأول الإشارة بقوله الصغير الجرم الذي في يمينك . وإلى الثاني بقوله : ((لا تحتفل)) إلى قوله : ((فإن في يمينك شيئاً أعظم منها)) ، قال صاحب الانتصاف : ويحتمل وجها آخر : وهو أن الله تعالى إنما قال لموسى عليه السلام : ﴿ ألق ما في يمينك ﴾ ليتيقّظ بهذه الصيغة للوقت الذي قيل له : ﴿ وما تلك بيمينك ﴾ وأظهر له معجزتها فآنسه بأن خاطبه بما خاطبه به وقت ظهور آيتها لينبه على ما فيها من المعجزة القاهرة ، ويقوى قلبه .

قوله : ((يتلقّفها بإذن الله ويمحقها)) ، الراغب [1] : [لقفت الشيء ألقفه وتلقّفته تناولته بالْحِذْقِ ، سواء كان تناوله بالفم أو اليد] .

قوله : ((وقرىء تلقّف بالرفع)) [2] ، ابن عامر : [في المعالم [3] وفي التيسير[4] ابن ذكوان ، والباقون بالجزم على جواب الأمر] .

قوله : ((وقرىء كيد سحر)) [5] ، حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف والباقون بفتحها وألفٌ بعدها ، وإضافة الكيد إلى الفاعل أولى من إضافته إلى المفعول، قال الزجاج [6] : [ويجوز ﴿ كَيْدَ ساحر ﴾ بنصب الدال . وأما رفعها فعلى أن الذي صنعوه كيد ساحر على خبر إنّ و (ما) اسم . ومن قرأ بالنصب جعل (ما) مانعة [7] (لأن) من العمل ، وتسوغ لتنكير السعي[8] إذ لو عرف الدنيا صار السعي

---

(1) الراغب ٤٥٣ ، مادة (لقف) .

(2) قرأ (تَلَقَّفُ) بفتح اللام وتشديد القاف ورفع الفاء : ابن ذكوان على الاستئناف وقرأ حفص بإسكان اللام والفاء مع تخفيف القاف ، من لقف يلقف كعلم يعلم . والباقون بالتشديد والجزم ، على جواب الأمر الإتحاف ٣٠٥ .

(3) معالم التنزيل للبغوي ٢٨٤/٥ ، قال : قرأ ابن عامر (تُلَقفُ) برفع الفاء ها هنا .

(4) التيسير للداني ١٥٢ .

(5) قرا (كيد سحر) حمزة والكسائي وخلف بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف ، أى كيد ذى سحر ، أو هم نفس السحر على المبالغة . ووافقهم الأعمش . والباقون بفتح السين و بالألف وكسر الحاء ، فاعل من سحر ، وأفرد من حيث أن فعلهم نوع واحد من السحر . الإتحاف ٣٠٥ .

(6) الزجاج ٣٦٧/٣ .

(7) على حد قوله في الخلاصة :

** ووصل ما بذى الحروف منطل ** إعمالها وقد يبقى العمل **

(8) يشير إلى بيت العجاج الذي استشهد به الزمخشري :

** من نُزلِ إذا الأمور غبّت ** في سَعْي دُنْيَا طالما تعنّت **

معرفة ، والمراد تنكيره ، المعنى في سعي ما دُنيوىّ . قولـه : في (سَعْي دُنيا) ظرف (غبت) ، يقول : يوم القيامة ترى النفوس ما جعلته عدة من ترك يوم القيامة حين تبلغ الأمور أواخرها .

قوله : ((وفي حديث عمر رضي الله عنه)) ، النهاية[1] : [في حديث عمر رضي الله عنه قال :(إني لأكره أن أرى أحدكم سَبَهْلَلاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة) سَبَهْلَلاً أي فارغا . يقال جاء يمشي سَبَهْلَلاً إذا جاء وذهب فارغا فى غير شيء] التنكير في (دُنْيا) و (آخرة) يرجع إلى المضاف وهو للفعل أن يكون بعدها ونصب (كيد ساحر) بـ (صنعوا) .

قوله : ((لأن القصد إلى معنى الجنسية لا إلى معنى العدد)) [2] ، مضى بيانه في أول مريم عند قوله : ﴿ وهن العظم مني ﴾ مستوفى .

قوله : ((** في سعي دُنيا طالما تعنت **)) ، قبله :

** يوم ترى النفوس ما أعدّت ** من نزل إذاالأمور غبّت **

ما أعدت من نزل إذا الأمور غبّت ، ما أعدت أي جعلته عدة ، غبّت الأمور إذا بلغت أواخرها ، (ما) في طالما كافة أو مصدرية مضى شرحه في الخطبة ، مدت أى أمهلت ، فى جمعها وتهيئة أسبابها . وإنما نكّر دينا العمل كأنه قال : لا في عمل من أعمال الدنيا ولا في عمل من أعمال الآخرة .

قوله : ((حيث أتى كقولهم حيث يسير)) ، الراغب[3] : [حيث عبارة عن مكان مبهم ، يشرح بالجملة التي بعده ، نحو قوله تعالى : ﴿ وحيث ما كنتم ﴾ [4] ﴿ ومن حيث خرجت ﴾ [5]] .

---

(١) النهايه ٢/ ٣٤٠ مادةسبهل .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ﴾ ، قال (ز) : فإن قلت : لم وحد (ساحر) ولم يجمع ؟ ، قلت : ((لأن القصد)) الخ .

(٣) الراغب ١٣٤ ، مادة (حيث) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٤ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ١٤٩ .

قوله : ((قد ألقوا حبالهم ثم ألقوا رؤسهم ، فما أعظم الفرق بين الإلقاءتين)) [1] ، قال في الانتصاف [2] : [في تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن قوله : فسجدوا إشعاراً بلطفه في نقلهم من غاية الكفر إلى غاية الانقياد ، ويحصل ذلك بتكرير لفظ واحد لمعنيين متناقضين وفيه مناسبة لما قدمه ﴿ وألق ما في يمينك ﴾ ﴿ وما تلك بيمينك ﴾] .

قوله : ((شبّه تمكّن المصلوب إلى الجذع بتمكّن الشيء الموعي)) [3] ، بيان لمجاز استعمال (في) موضع (على) .

قوله : ((بدليل قوله : ﴿ آمنتم له ﴾)) ، يعني دلّ هذا على أن المراد من قوله : ﴿ أيّنا أشدّ ﴾ نفسه وموسى عليه السلام ، لأن معنى ﴿ آمنتم له ﴾ آمنتم لأجله وبسببه ، لأنّكم خفتم على أنفسكم أن يعذّبكم إن لم تؤمنوا له استهزاءً بموسى، لأنه لم يُعَذِّب قط .

قوله : ((وفيه نفاجة)) ، النهاية [4] : [النفاج الذي يمتدح بما ليس فيه ، من الانتفاج والارتفاع [5]] ، يعني تعلمون عادتي في العذاب ، ولا تشكّون في ضعف موسى .

قوله : ((أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف)) [6] ، قال القاضي [7] : [المعنى فاقض ما أنت قاضيه ، أي صانعه أو حاكم به ﴿ إنّما تقضي

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ فألقي السحرة سجدا قالوا آمنّا بربّ هارون وموسى ﴾ الآية ٧٠ طه .

(٢) الانتصاف مع الكشاف ٧٥/٣ .

(٣) تفسير قوله : ﴿ ولأصلبنّكم في جذوع النخل ولتعلمنّ أيّنا أشدّ عذاباً وأبقى ﴾ الآية ٧١ ، طه .

(٤) النهاية ٨٩/٥ ، مادة (نفج) .

(٥) في م و (هو) الارتفاع ، وهو الصواب .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ ، قال (ز) : قريء ﴿ تقضي هذه الحياة الدنيا ﴾ ، ووجهها ((أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف)) فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به .

(٧) القاضي البيضاوي ٢٦/٤ .

هذه الحياة الدنيا ﴾ أي إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى ، فهو كالتعليل لما قبله ، والتمهيد لما بعده .] .

قوله : ((والسائر من بني إسرائيل)) (١) ، مؤذن أن سائر من السؤر الباقي ، لا بمعنى الجميع ، كما مرّ عن صاحب النهاية (٢) .

قوله : ((قيل في هذه الآيات الثلاث)) ، أي قيل في شأنها وحقّها من كلام السحرة ، وهي حكاية الله قولهم ، والآيات قوله تعالى : ﴿ إنّه من يأت ربّه مجرماً ﴾ إلى قوله : ﴿ جزاء من تزكّى ﴾ ، كذا عن القاضي (٣) وصاحب التقريب .

قوله : ((وقريء يبساً ويابساً)) (٤) ، قال الزجاج (٥) : [فمن قرأ يابساً جعله نعتاً للطريق ، ومن قرأ يَبَساً فإنه نعته بالمصدر ، أي ذا يبس ، يقال : يبس الشيء يَيْبَسُ يَبَساً ويَبْساً ، ثلاث لغات بفتح الياء والباء وبضمها ، وسكون الباء وفتحها ، وسكون الباء .

قوله : ((** ومِعاً جياعاً **)) (٦) ، تمامه أنشد صاحب المطلع :

** كأنّ قُتُودَ رَحْلي حِينَ ضَمَّتْ ** حَوَالِبَ غُرَّزاً ومِعىً جِياعاً **

القتاد خشب الرحل ، والجمع أقتاد وقتود ، الحالبان ، عرقان مُكْتَنِفان بالسرّة ، والغارز الناقة التي قلّ لبنها ، والجمع الغرز والغازر بتقديم الزاي على الراء ، ضدّها من الغزارة ، وحوالب خبر كأن ، ومعى عطف عليه ، و(غرّزاً جياعاً) حالان ، وقيل : خبر كأن في البيت يليه (٧) ، وحوالب مفعول ضَمَّت ، أي سدَّت عليّ

---

(١) قال (ز) : روي أن السحرة كانوا اثنين وسبعين ، الاثنان من القبط ((والسائر من بني إسرائيل))

(٢) النهاية ٣٢٧/١ ، مادة (سأر) .

(٣) القاضي البيضاوي ٢٧/٤ .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾ .

(٥) الزجاج ٣٦٩/٣ .

(٦) قائل هذا البيت : القطامي في مدح زفر بن الحارث الكلابي ، كما ذكر محمد عليان في مشاهد الأنصاف على شواهد الكشاف ٧٧/٣ .

(٧) البيت الذي يليه هو :

** على وحشية خذلت خلوج ** وكان لها طلاطفل فضاعا **

حوالب ناقتي ، وقلت : الأظهر أن يقدّر مضاف ، أي ذات حوالب ، وهو مفعول ضَمَّت بفتح الضاد ، فحذف المضاف على حوالب ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، وغُرّزاً صفة حَوالب ، ومِعىً مع صفته ، عطف على حوالب وخبر كأن في البيت الذي يليه وهو قول : (على وحشة) شبّه حالة قتود رحله حين وضعت على ناقة موصوفة بالضمور بحالة وضعها على وحشية فقدت ولدها ، فحينئذ التشبّيه مركّب ، فهذه الرواية أصحّ معنىً وإعراباً ، أما من حيث المعنى ، فلأنّ غرض الشاعر تشبيه ناقته بالوحشية في الضمور والنفور لا تشبيه القتود بالحوالب ، وأما من حيث الإعراب فلأنّ حوالب ومعى نكرتان ، فلا يصحّ وقوعهما ذا الحال مقدّماً ، وبعده :

** على وحشية خُذلَت خلوجٍ ** وكان لها طَلاً طفلٌ فضاعا **

** فكرّت تبتغيه وصادفتـه ** على دَمِهِ ومصرعه السباعا **

والخلوج من النوق التي اختلج عنها ولدها فقلّ لذلك لبنها ، [قال الأصمعي [1] : إذا تخلّف الظبي عن القطيع قيل : خَذَلَ] ، جعله لفرط جوعه كجماعة جياع ، كذا جعل الطريق لفرط يبسها كاليبس ، والمعنى : ليس فيها ماء ولا طين ولا ندوة ، الانتصاف : [أوقدّر كلّ جزء من أجزاء الطريق طريقاً يابساً ، فكانت لذلك اثنتي عشرة طريقاً ، لكلّ سبط طريق .

قوله : ((لا تخف)) ، على الجواب ، حمزة ، والباقون برفعها وألفٌ قبلها ، قال الزجاج [2] : [لا تخاف ، أي لست تخاف ، أي ولا تخف أن يدركك فرعون ولا تخشى الغرق] ، فعلى هذا الألف للإطلاق .

قوله : ((الدَّرْك و الدَّرَك اسمان من الإدراك)) [3] ، الراغب [4] : [الدرك كالدرج ، والدرك أقصى قعر البحر ، ويقال لما يلحق الإنسان من تبعة درك كالدرك في البيع ، قال تعالى : ﴿ لا تخاف دركاً ولا تخشى ﴾ ، أي تبعه ، وأدرك الصبي بلغ غاية الصبا ، وذلك حين البلوغ] .

---

(1) ذكره الجوهري في صحاحه ١٦٨٣/٤ ، مادة (خذل) .

(2) الزجاج ٣٦٩/٣ .

(3) تفسير قوله : ﴿ لا تخاف دركاً ﴾ .

(4) الراغب ١٦٧ ، ١٦٨ ، مادة (درك) .

قوله :((لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمنٌ لا تخشى))، أي أنها جملة معترضة.

قوله : ((** كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً **)) [١] ، قبله :

** وتضحك منّي شيخة عبشمية **

القائل كان أسيراً يمانياً ، فمرّت به عجوز من عبد شمس ضحكت منه ، فقال البيت ، وعبشمية منسوب إلى عبد شمس ، كعبدريّ منسوب إلى عبد الدار ، وأثبت الألف مع الجازم في (لم تر) لضرورة الشعر ، قيل : ترى ، كأنه جاء على الأصل ترى ثم سكنه بالجازم .

قوله : ((تستقلّ مع قلّتها بالمعاني الكثيرة)) [٢] ، الأساس [٣] : [ومن المجاز هو مستقل بنفسه ، إذا كان ضابطاً لأمره ، وهو لا يستقل بهذا الأمر أي لا يطيقه .

قوله : ((ورّط جنوده)) [٤] ، الأساس [٥] : [وقع في ورطة لا يتخلّص منها في بلية ، وأورطه شرَّ مُورَطٍ] .

قوله : ((وما هدى تهكّم به)) ، قال في الانتصاف : [التهكم أن يؤتى بعبارة والمقصود عكس مقتضاها ، كقوله : ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ [٦]] ، وأما ﴿ وما هدى ﴾ فهو إخبار عن عدم الهداية . قال في الانتصاف : [الأمر كذلك لكن في العرف في قولك : ما هدى زيد عمراً ، إثبات كون زيد مهتديا عالما بطريق الهداية] ، وفرعون أصل الضالين ، فكيف يتوهّم أن يهدي غيره ، ولأن أصل فرعون كاف في المقصود من عدم الهداية زائداً عليه الإضلال ، فإن من لا يهدي قد يكون غير مضلّ . وقلت : وتوضيح معنى التهكم أن قوله : ﴿ وما هدى ﴾ من باب التلميح : وهو أن يشار في اثناء الكلام إلى قصة أو حال . فإن مجيء ﴿ ما هدى ﴾

---

(١) القائل : عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، كما في مشاهد الأنصاف على شواهد الكشاف ٧٨/٣

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ فغشيهم من اليمّ ما غشيهم ﴾ ، قال (ز) : من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي ((تستقلّ مع قلتها)) إلخ .

(٣) الأساس ٥٢١ ، مادة (قلل) .

(٤) وفاعل ﴿ غشيهم ﴾ إما فرعون ، لأنه الذي ((ورّط جنوده)) .

(٥) الأساس ٦٧٢ ، مادة (ورط) .

(٦) سورة هود ، الآية ٨٧ .

إشارة إلى ادّعاء اللعين الرشاد في قوله : ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾ [1] ، فهو كمن ادّعى دعوى وبالغ فيها ، فإذا حان وقتها ولم يأت بها قيل له : ما أتيت بما ادعيت تهكما .

قوله : ((والوجه هو الأول)) [2] ، إذ النظم يستدعيه لأن السابق واللاحق وهو قوله : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ فيهم .

قوله : ((وقرىء أنجيتكم)) [3] ، أى بتاء مضمومة حمزة والكسائى ، والباقون بالنون المفتوحة وألف بعدها .

قوله : ((وأن يَزْوُوا)) ، أى تصرفوا ، الجوهري [4] : [زوى فلان المال عن وراثة زياً] .

قوله : ((أن يبطروا ويأشروا)) ، الجوهري [5] : [البطر الأشر ، وهو شدة المرح والفرح والنشاط ، وقد بَطِرَ بالكسر يَبْطَرُ بفتح الطاء] ، الراغب [6] : [الأشر شدة البطر والأشر أبلغ من البطر ، والبطر أبلغ من الفرح ، فإن الفرح وإن كان في أغلب أحواله مذموما كقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يحب الفرحين ﴾ [7] ، فقد يحمد إذا كان على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب ، كما قال تعالى : ﴿ فبذلك فليفرحوا ﴾[8] .

قوله : ((قرىء ﴿ فيحلَّ ﴾)) [9] ، بالنصب جوابا للنهي ، والفاء عاطفة بتأويل المصدر على مصدر ما قبلها ، فيقدر : لا يكن منكم طغيان فحلول غضب

---

(١) سورة غافر ، الآية ٢٩ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ﴾ الآية . قال (ز) : خطاب لهم بعد إنجائهم من البحر وإهلاك آل فرعون ((وهو الأوجه)) .

(٣) قرأ (أنجيتكم) حمزة والكسائى وخلف بتاء المتكلم من غير ألف ، ووافقهم الأعمش ، والباقون بنون العظمة مفتوحة ، وألف بعدها . الإتحاف ٣٠٦ .

(٤) الجوهري ٢٣٦٩/٦ ، مادة (زوى) .

(٥) الجوهري ٥٩٢/٢ – ٥٩٣ ، مادة (بطر) .

(٦) الراغب ١٨ ، مادة (أشر) .

(٧) سورة القصص ، الآية ٧٦ .

(٨)سورة يونس الآية ٥٨

(٩) تفسير قوله تعالى : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾ .

- منّي ونحوه ائتني فأكرمك ، أي ليكن منك اتيان فإكرام منّي ، و (أن) مقدرة ، وقرأ الكسائى ﴿ فَيَحُلّ ﴾ بضم الحاء ﴿ ومن يحلُل ﴾ بضم اللام الأولى ، والباقون بكسر الحاء واللام .

قوله : ((وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول)) [1] ، الانتصاف [2] : [لا يسعه أن يذكر الغضب إلا بالعقوبة لأنه ينفي [3] الإرادة في جملة ما نفاه من صفات الكمال ، وعند أهل السنة يجوز أن تكون الإرادة من صفات الذات وعاملهم معاملة الغضبان لأنه صفة فعل ، ولا يأبى وصفه بالحلول أن يكون صفة ذات ويكون كقوله صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربّنا إلى سماء الدنيا) [4] بتأويله

---

(١) فقول (ز) : ((وغضب الله عقوبته)) فأول غضب الله بعقوبته ، وهذا لا يجوز ، فإنه يجب أن يوصف الله بما وصف به نفسه من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ، فالله جل وعلا وصف نفسه بالغضب إن انتهكت حرماته . وهذا الغضب تظهر آثاره في المغضوب عليهم ، قال تعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ﴾ ، وقال في سورة النساء الآية ٩٣: ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ﴾ ، ووصف جل وعلا الحادث بالغضب في سورة طه الآية ٨١ ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ﴾ وشتان ما بين الوصفين ، فغضب الله لائق بجلاله وكماله وعظمته ، ووصف المخلوق مناسب لعجزه وفقره ، وهذا هو الذي ينبغي أن يجرى في كل الصفات ، وكيفية غضب الله لا يعلمها إلا هو جل وعلا . والله أعلم .

(٢) الانتصاف مع الكشاف ٧٩/٣ .

(٣) قول الطيبي : ناقلا لكلام صاحب الانتصاف أحمد بن المنير رحمهما الله تعالى وعفا عنا وعنهما (لأنه ينفى الإرادة) يعني الزمخشري بذلك ، لأنه معتزلي والمعتزلة ينفون الإرادة عن الله تعالى ، وأحمد بن المنير يؤول الإرادة ، ومذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة لا ينفون الإرادة عن الله تعالى ولا يؤولونها ، فالله جل وعلا أثبت الإرادة لنفسه ووصف نفسه بها فقال في سورة هود الآية ١٠٧ : ﴿ فعال لما يريد ﴾ ، وقال في سورة يس الآية ٨٢ : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ وقال تعالى في سورة البقرة الآية ١٨٥ : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وقال جل وعلا في وصف المخلوق بالإرادة في سورة الأنفال ألآية ٦٧ : ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ وقال تعالى في سورة الأحزاب الآية ١٣ : ﴿ إن يريدون إلا فرارا ﴾ وقال في سورة التوبة الآية ٧٢ :﴿ يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ﴾ فالله جل وعلا له إرادة لائقة بكماله وجلاله ، وللمخلوق إرادة أيضا مناسبة لحاله ، وبين إرادة الخالق والمخلوق من المنافات ما بين ذات الخالق والمخلوق . وانظر هذا البحث في أضواء البيان لإيضاح القرآن بالقرآن لشيخنا المغفور له الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٢٧٢/٢ إلى ص ٢٨٩ ، والصفات بابها واحد لأن موصوفها واحد .

(٤) أخرجه البخاري مع الفتح ٢٩/٢ كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل رقم ١١٤٥ ومسلم ٥٢١/١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء آخر الليل رقم ٧٥/١ والترمذي ٣٠٧/٢ كتاب الصلاة ، باب ما جاء في نزول الرب عز وجل إلى السماء الدنيا رقم ٤٤٦ وقال : حديث حسن صحيح .

المعروف أو عبر عن حلول أثر الإرادة بحلول أمرهـا كقولـك : انظـر إلى قـدرة ا لله ، أى أثر قدرته ، قال المصنف في المنهاج [1] : وليـس لله تعـالى مثـل صفـة المريـد منّـا ، وهي القصد والميـل . وقـال الإمـام في نهايـة العقـول[2] : القـائلون بنفـي الإرادة مـن المعتزلـة أبـو الهذيـل [3] والنظـام [4] والجـاحظ [5] والبلخـي [6] والخوارزمـي [7] ، وقـد استقصينا القول فيه في أول البقرة عند قوله تعالى : ﴿ بماذا أراد ا لله بهذا مثلا ﴾ [8] .

قوله : ((* هَوَى من رَأْسِ مَرْقَبَةٍ *))[9] ، القائلة : الخنساء . والمرقبة ، مكان الدبران ، مَفْعَلَةٍ من رقب إذا نظر .

قوله : ((فَفَتَّتَ)) أى صارت فتاتاً دقاقاً .

قوله : ((هوت أمّه)) ، الجوهري [10] : [يقال لا أم لك ، وهو ذم ، وربّما وضع موضع المدح ، قال كعب بن سعد يرثي أخاه[11] :

** هَوَتْ أُمُّه ما يبعث الصبح غاديا ** وماذا يؤدى الليل حين يؤب **

---

(1) المنهاج في الأصول للزمخشري ، ولا زال مخطوطا .

(2) الامام الفخر الرازى فى كتابه نهاية العقول .

(3) أبو الهذيل : محمد بن الهذيل بن عبـد ا لله البصـري العـلاف المعـتزلى . المتوفـى سـنة ٢٢٦ ، انظـر تاريخ بغداد ٣٦٦/٣ وسير أعلام النبلاء ١٨٣/١١ .

(4) النظام : إبراهيم بن سيار بن هانيء البصري أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة مات ٢٣١ ، انظر ترجمته في الأعلام ٤٣/١ وتاريخ بغداد ٩٧/٦ .

(5) الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمـان ، كـبير أئمـة الأدب ورئيـس الفرقـة الجاحظيـة مـن المعتزلـة . ولـد سـنة ١٢٦ ومـات ٢٥٥ هـ ، انظـر الأعـلام ٧٤/٥ ، وتـاريخ بغـداد ٢١٢/١٢ .

(6) البلخي : لم أقف على ترجمته .

(7) الخوارزمي : لم أقف على ترجمته .

(8) انظر رسالة صالح عبد الرحمن الفائز تحقيق الجزء الأول من كتـاب الطيـبي هـذا ١/ ٤٥٩ فذكـره حرفيا .

(9) وبقية البيت :

** فَفُتِّتَ تحتها كَبِدُهْ **

وانظر الزمخشرى و ابن المنير ٧٩/٣ .

(10) الجوهري ٦/ ٢٥٣٩ ، مادة (هوى) .

(11) كعب بن سعد الغنوى من بنى غنى شاعر جاهليّ حُلْو الديباجة وقدرثـى أخـاه بكثـير مـن الشـعر الرقيق . انظر ترجمته فى الأعلام ٢٢٧/٥ وخزانة الأب ٦٢١/٣.

أي أيّ رجل بعثه الصبح ، وأي رجل يؤديه الليل ، على أن (ما) إبهامية للتفخيم والتعظيم ، أي حسدت أمه .

قوله : ((الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور)) [1] ، يعني لما أفاد قوله : ﴿ لمن تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ الهدى ، حمل قوله : ﴿ اهتدى ﴾ على الاستقامة عليها ، قال الإمام [2] : [المراد الاستمرار على تلك الطريقة ، إذ المهتدي في الحال لا يكفيه ذلك في الفوز بالنجاة حتى يستمر عليه في المستقبل ويموت عليه ، ويؤكده قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ ، وكلمة التراخي ليست لتباين المرتبتين بل لبيان الوقتين ، فكأنه قال : الإتيان بالتوبة والإيمان والعمل الصالح مما قد يتفق لكل أحد ، وإنما الصعوبة في المداومة عليها بعد ذلك] ، وقلت : ومعنى قوله : ((وكلمة التراخي)) دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين أن مرتبة الاستقامة والدوام أعلا من مرتبة الإحداث والإبداع . قال [3] :

** لكلّ إلى شأوِ العلى حركات ** ولكن عزيز في الرجال ثبات **

قوله : ((أي شيء عجل بك على وجه الإنكار)) [4] ، الراغب [5] : [العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه ، وهي من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة في عامّة القرآن ، حتى قيل : العجلة من الشيطان [6] ، وقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ [7] فيه تنبيه على أنه لا يتعرى من ذلك وأن ذلك أحد الأخلاق التي ركّب عليها ، وعلى ذلك قال : ﴿ وكان الإنسان عجولا ﴾ [8] ، وأما قوله : ﴿ وعجلت إليك ربي لترضى ﴾ [9] ، فذكر أن عجلته وإن كانت مذمومة فالذي دعا إليها أمر محمود وهو رضى الله] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ .

(٢) الإمام الفخر الرازي ٢٢/ ٩٧ .

(٣) لم أقف على قائله .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ .

(٥) الراغب ٣٢٣ ، مادة (عجل) .

(٦) أخرجه الترمذي بلفظ (الأناة من الله والعجلة من الشيطان) ، انظر عارضة الأحوذى ١٧٢/٨ .

(٧) سورة الأنبياء ، الآية ٣٧ .

(٨) سورة الإسراء ، الآية ١١ .

(٩) سورة طه ، الآية ٨٤ .

قوله : ((وكان قد مضى مع النُّقَبّاء إلى الطور على الموعد المضروب)) إلى قوله : ((وزلّ عنه أنه تعالى ما وقّت أفعاله إلا نظراً إلى دواعي الحكمة فيه)) ، إشعار بأنه عليه السلام كما تقدم القوم تقدّم الموعد المضروب أيضاً . وقال الإمام (١) : [﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ يدل على أنه ذهب إلى الميعاد قبل الوقت الذي عيّنه الله تعالى له] ، وقلت : يردّ هذا التأويل قوله تعالى : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة ﴾ (٢) إلى قوله : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾ ، قال المصنف : (لميقاتنا) لوقتنا الذي وقّتنا له وحدّدنا ، وإنما المراد ﴿ بعجلت إليك ﴾ عجلت عن قومي لا عن الميقات ، لقوله تعالى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى ﴾ والله اعلم .

قوله : ((قد تضمّن ما واجهه به ربّ العزة شيئين)) ، يريد أن قوله : ﴿ ما أعجلك عن قومك ﴾ في الظاهر سؤال عن سبب العجلة ، ولما تضمن معنى الإنكار أفاد أيضاً إنكار نقض العجلة ، لأن نفس العجلة لو لم تكن منكرة لم يكن الحامل عليها منكراً ، ولهذا قدم عذر نفس العجلة في الجواب على العذر على السبب الحامل عليها اهتماما بشأنه ، وإليه الإشارة بقوله : فكان أهم الأمرين إلى موسى بسط عذره تمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه ، وقال القاضي (٣) : [﴿ وما أعجلك ﴾ سؤال عن سبب العجلة ، يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها ، وانضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظيم عليهم] ، وقال صاحب الفرائد : الواو لمطلق الجمع والجواب (٤) مجموع الكلام ، فلا يلزم التقدم الذي ذكر ، ألا ترى إلى إنه قال : ﴿ وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ﴾ (٥) ، وقال في موضع آخر : ﴿ وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ﴾ (٦) ، والقضية واحدة ، فظاهر كلامه يقتضى أن يكون موسى عليه

---

(١) الإمام الفخر الرازي ٢٢/٩٨-٩٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٤٢ _ ١٤٣.

(٣) القاضي البيضاوي ٤/٢٨ .

(٤) في م والجواب (عن) مجموع .

(٥) سورة البقرة ، الآية ٥٨ .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٦١ .

السلام ردّ قوله تعالى : ﴿ وما أعجلك ﴾ بقوله : ﴿ هم أولاء على أثـرى ﴾ ، لأنـه قال في معناه ما هذا تقدم يعتد به ، فلم يكن هذا تعجّلاً مني في العادة . والوجه أن يقال : إنـي خشيت أن مثل هـذا التقـدم غير معتّد بـه نظـرا إلى العـادة . وقلـت : الأحسن أن يقال : إن الجواب هو قوله : ﴿ وعجلت إليك ربّ لترضى ﴾ ، وقوله : ﴿ هم أولاء على أثرى ﴾ كالتوطئة والتمهيد للجواب ، يعنى مـا كـانت عجلتـى إلا لرضاك ، وأن أكون من السابقين الذين يتقدمون على متابعتهم مسافة يسيرة يتقـدّم بمثلها الوفد رئيهم ، فجاء قوله : ﴿ وعجلت إليك ربّ لترضى ﴾ كالبيان لذلك . ويؤيده ما في المعالم [1] : [أن موسى عليه السلام اختار من قومـه سبعين رجـلاً حتّـى يذهبوا معه إلى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ، ثم عجل مـن بينهـم شـوقاً إلى ربّـه وخلفهم وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبـل ، فقـال ا لله تعـالى لـه : ﴿ ومـا أعجلـك عـن قومك يا موسى ﴾ ، (فقال) مجيبا : هم بالقرب منّي يـأتون علـى أثـري ، وعجلـت إليك لتزداد رضـى] ، ودلّ قولـه : لـتزداد رضـى علـى وجـود رضـى ، فـإن كيّـف التوفيق بين هذا الذي ركّب في هـذا المقـام ومـا سبق في الأعـراف أن قصتـه ميقـات الكلام وطلب الرؤية منه عليه السلام [2] ، غير قصّة الميقات للاعتذار لأجل عبـادتهم الْعِجْلَ وأنه عليه السلام اختار السبعين في الكرة الثانية ، وأنه لم يحضـر معـه القـوم في الكرة الأولى ، وما طلب الرؤية إلا لنفسه . قلت : وجهه أنه تعالى بعد هلاك فرعـون وَاعد بني اسرائيل بقوله : ﴿ يا بني إسـرائيل قـد أنجينـاكم مـن عدوّكـم وواعدنـاكم جانب الطور الأيمن ﴾ إحضارهم جانب الطـور ، ثـم إنـه عليـه السـلام اختـار منهـم سبعين فسار بهم ، ثم عجل مـن بينهـم إلى الجبـل شـوقا إلى ربـه فكلّمـه ربـه وطلـب الرؤية ، وليس فيه أنهم لحقوه وطلبوا الرؤية . والحاصل أنه اختـار السـبعين مرتـين ، ففي الثانية كانوا معه . وأما في الأولى فليس في التنزيل ولا في الروايات أنهم حضروا معه في المكالمة وطلب الرؤية ، على أنه يجوز أن يراد بالقوم جميع قومـه الذيـن خلفهـم مع هارون ، ويفسر ﴿ هم أولاء على أثري ﴾ بالقرب مـنيّ ينتظرونـي ، كمـا أورده

(١) معالم التنزيل للبغوي ٥/٢٨٨ .

(٢) يشير إلى قوله تعالى في الأعراف الآية ١٤٢-١٤٣ : ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة .... الآيتان ﴾ .

الإمام (١) . وقلت : ويؤيد هذا الوجه التعقيب بقوله تعالى : ﴿ فإنا قد فتنّا ﴾ بحرف الترتيب ، قول موسى عليه السلام : ﴿ عجلت إليك ربّ لترضى ﴾ ، كما عطف إبراهيم عليه السلام قوله : ﴿ ومن ذريّتي ﴾ (٢) على الكاف في قوله تعالى : ﴿ إنيّ جاعلك للناس إماما ﴾ ثم التصريح بقوله : ﴿ قومك ﴾ بعد قوله : ﴿ وما أعجلك عن قومك ﴾ يدلّ على أنهم هم ، لأن المعرف إذا أعيد كان الثاني عين الأول ، ولأن المفتونين ليسوا السبعين ، بل المتخلّفين ، ويحمل التعجيل على أنه عليه السلام ما صبر لانقضاء الميقات المضروب عند القوم ، بل حسب الميقات تمامه عند مجيئه إلى الميقات بدليل اللام في قوله : ﴿ لميقاتنا ﴾ ، أي لوقت ميقاتنا ، ولهذا كان من جواب الله : ﴿ فإنا قد فتنّا قومك ﴾ (٣) يعني إن فعلت ذاك ، فإنا قد فتنّاهم . وقال صاحب الانتصاف : [والمراد بسؤآل موسى تعليمه أدب السفر ، وهو أن يتأخر رئيس القوم ليحيط بصره بطائفته ، كما علّم لوطا بقوله : ﴿ واتبع أدبارهم ﴾ (٤) وموسى إنما أغفل ذلك لعلة طلب الرضى بمسارعته إلى الميعاد الذي يودّ لو ركب أجنحة الطير .

قوله : ((فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه : ﴿ إنا قد فتنا قومك ﴾ ، قال صاحب الفرائد : [لو كانت الفاء داخلة على تقدير التسليم المراد من قوله : ﴿ فإنّا قد فتنّا قومك ﴾ أردنا فتنتهم أو حكمنا بوقوع الفتنة ، كقوله تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ فجاءها بأسنا ﴾ (٦) ، وقال صاحب التقريب : ظاهر الآية وجود الفتنة أول زمان مفارقته لقوله : ﴿ من بعدك ﴾ أي من بعد انطلاقك ، و ﴿ من ﴾ للابتداء ، فوجه التوفيق : لا نسلّم أن ﴿ من ﴾ للابتداء بل بعدك ومن بعدك سواء في الاستقبال ، فيصحّ من بعدك ولو بعد عشرين ليلة ، والْفَاءُ ، وقدْ ليستا لتعقيب الفتنة ، بل هما للإخبار بالفتنة لأنفسهما . وقلت :

---

(١) الإمام الفخر الرازي ٢٢/٩٩

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٤

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلّهم السامري ﴾ طه الآية ٨٥

(٤) سورة (الحجر) الآية ٦٥

(٥) سورة (الإسراء) الآية ٤٥

(٦) سورة (الأعراف) الآية ٤

مراد المصنف من السؤال أنه تعالى كيف قال : ﴿ فإنا قد فتنا ﴾ بلفظ الماضي ، والمقتضي المستقبل يَدُلّ عليه جوابه : قد أخبر ا لله عن الفتنة المرتقبة بلفظ الموجودة الكائنة ، أي الماضي . وإنما قال : ﴿ فتنّا ﴾ لما أن مقدّمات الفتنة كانت (١) موجودة فجعلها لذلك كأنّها وجدت ، وإليه الإشارة بقوله : ((فكان بدء الفتنة موجوداً)) .

قوله : ((من أهل باجَرْ مَا)) (٢) في الحاشية أنها قرية من قرى موصل (٣) ، وقال الزجاج (٤) : [الأكثر في التفسير أن السامري كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة ، وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين] .

قوله : ((علجا من كرمان)) ، النهاية (٥) : [العلج الرجل القوي الضخم ، والعلج الرجل من كفار العجم وغيرهم والأعلاج والعلوج جمعه] .

قوله : ((في موت الفجأة راحة للمؤمن)) (٦) ، الحديث من رواية رجل من أصحاب النبي صلى ا لله عليه وسلم أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : (موت الفجأة أخذة أسف للكافر ورحمة للمؤمن) وفي رواية عن عبيدة بن مرة عن

---

(١) كائنة في ب

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وأضلهم السامري ﴾ قال (ز) السامرة من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم ، وقيل : كان ((من أهل باجرما))

(٣) قال صاحب معجم البلدان ٣١٢/١-٣١٣ (باجَرْمَا) بفتح الجيم وسكون الراء وميم وألف مقصورة قرية من أعمال (البليخ) قرب (الرقة) من أرض الجزيرة ، أما (جَبّارة) قرية في شرقي مدينة الموصل على نحو ميل . والجزيرة يقال لها الموصل ، قال الفرزدق :

** وبصرة الأزد منّا والعراق لنا ** والموصلان ومنّا مصر والحرم **

وأراد بالموصلين الموصل والجزيرة . الموصل : هي المدينة المشهورة ، سميت بذلك ، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق على طرف دجلة . أنظر معجم البلدان ٢٢٤/٥

(٤) الزجاج ٣٧١/٣

(٥) النهاية ٢٨٦/٣ مادة (علج)

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ﴾ الآية . قال (ز) : الأسف الشديد الغضب ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : ((في موت الفجأة)) رحمة للمؤمن . أخرجه أحمد في مسنده ، ١٣٦/٦ من حديث عائشة ، قالت : سألت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم عن موت الفجأة ، فقال : راحة للمؤمن ، وأخذة أسف للكافر .

النبي صلى الله عليه وسلم [1] ، وقال مرة عن عبيدة : (موت الفجأة أخذ أسف) أخرج الثانية أبو داود [2] . والأولى ذكرها رزين ، النهاية [3] : [أى أخذة غضب أو غضبان ، يقال : أسف يأسف أسفاً فهو أسيف إذا غضب] .

قوله : ((فأخلفوا موعده)) ، أى ما وعدوه ، قال تعالى : ﴿ فأخلفتم موعدي ﴾ إلى ما وعدتموني من الإقامة على الإيمان ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول .

قوله : ((﴿ بملكنا ﴾ [4] قرىء بالحركات الثلاث [5])) ، بالضم حمزة والكسائي ، وبالفتح نافع وعاصم ، والباقون بالكسر ، فالفتح مصدر مَلَكْتَ الشيء أملِكه مَلْكاً ، والملك ما ملك ، ويستعمل استعمال المصدر كالرزق وبالضم السلطان والقدرة ، أى لو ملكنا وقدرنا عليه وخلينا وراءنا .

قوله : ((وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى [6])) ، أى ليس له أن يأخذه إلا بإذنه حتى لو أخذ ماله بطريق الربا عند أبى حنيفة ، وإن جرى بينه وبين مسلم أسلم هناك ، كما يجوز للمسلم المستأمن أخذه من الحربى برضاه .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ، ٤٢٤/٣ عن تميم بن سلمة عن عبيد بن خالد رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (في موت الفجأة أخذة أسف) . وأخرج عبد الرزاق في مصنفه ٣٦٩/٣ موت الفجأة راحة على المؤمن وأسف على الكافر ، وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٣٥٣/٢ ، فذكر كل الروايات .

(٢) أبو داود ٤٨١/٣ كتاب الجنائز ، باب موت الفجأة ، برقم ٣١١٠ ، بلفظ (موت الفجأة أخذة آسف) ، والأسف الغضبان ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ .

(٣) النهاية ٤٨/١ ، مادة (أسف) .

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم ﴾ الآية .

(٥) قرأ (بَملِكنا) بفتح الميم نافع وعاصم وأبو جعفر ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم الميم ووافقهم الأعمش والحسن . والباقون بكسرها . قيل : لغات بمعنى وقيل : المضموم معناه لم يكن لنا مَلِكٌ فنخلف موعدك لسلطانه ، وإنما أخلفناه بنظر أدى إليه فعل السامرى . وفتح الميم مصدر من مَلَكَ أمره أى ما فعلناه بأنا ملكنا الصواب ، بل غلبتنا أنفسنا . وكسر الميم أكثر استعماله فيما تحوزه اليد ، ولكنه يستعمل فيما يبرمه الإنسان من الأمور ، ومعناه كالذي قبله . الاتحاف ٣٠٦ .

(٦) لأنهم أخذوا حلى القبط ، وكانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب ((وليس للمستأمن)) الخ .

قوله : ((وقرىء ﴿ حُمِّلنا ﴾ [1])) ، الحرميان وابن عامر وحفص بضم الحاء وكسر الميم مشدداً ، والباقون بفتحها تخفيفا .

قوله : ((حيزوم)) ، النهاية [2] : [في حديث بدر (أقدم حيزوم) جاء في التفسير[3] أنه اسم فرس جبريل عليه السلام] .

قوله : ((عجلاً خلقه ا لله من الحلى)) ، إنما قال خلقه ا لله ، لأنه قال في قوله تعالى : ﴿ ما يفرقون به بين المرء وزوجته ﴾ [4] : والسحر حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث ا لله تعالى عند العرك والنشور ابتلاء منه ، لأن السحر له أثر .

قوله : ((فلم خلق ا لله العجل من الحلي حتى صار فتنة)) [5] ، الانتصاف : [قد ثبت أن ا لله تعبدّنا بالبحث عن علل أحكامه لاعن علل أفعاله ، وحتّم ذلك بقوله : ﴿ لا يسأل عما يفعل ﴾ [6] ، والزمخشري يراعي قاعدة رعاية الأصلح [7] .

قوله : ((﴿ فنسي ﴾)) أي فنسي موسى ، يجوز أن يكون من كلام القوم والفاء فصيحة [8] ، أي قال بعضهم لبعض : ﴿ هذا إلهكم وإله موسى ﴾ الذى كنتم ترومونه منه فالزموا عبادته ولا تطلبوه في الموضع الذي ذهب إليه موسى للطلب فإن

---

(1) (حُمِّلنا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ورويس بضم الحاء وكسر الميم مشدّدة ، ووافقهم ابن محيصن . والباقون بفتح الحاء والميم مخففة . الإتحاف ٣٠٦ .

(2) النهاية ٤٦٧/١ ، مادة (حيزم) .

(3) وانظر سيرة ابن هشام ٦٣٣/١ شهود الملائكة وقعة بدر ، وكذا ذكره (ز) في الكشاف .

(4) سورة البقرة ، الآية ١٠٣ .

(5) قال (ز) : فإن قلت ((فلم خلق ا لله)) إلخ فأجاب : ليس بأول محنة محن ا لله بها عباده .

(6) سورة الأنبياء ، الآية ٢٣ .

(7) مذهب المعتزلة في رعاية الأصلح أن ا لله لا يفعل بالعباد إلا ما هو أصلح لهم في دينهم وأدعى لهم إلى العمل بما أمرهم به ، وأنه لا يدخر عنهم شيئا يعلم أنهم يحتاجون إليه في أداء ما كلفهم به . وهذا المذهب باطل ، لأن ا لله هو الفاعل المختار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وانظر كتاب المعتزلة وأصولهم الخمسة ١٨٩ .

(8) تقدم تعريفها .

موسى اعتراه النسيان فغفل عن ذلك ودلّ على المبالغة إتيان اسم الإشارة والمشيار إليه بمرأى منهم كقوله : (1)

** هذا أبو الصقر فردا في محاسنه **

وتكرير إله وتخصيص موسى بالذكر وإتيان الفاء ، أي قد ظهرت لكم الهيبة فلا تتركوا عبادته ، ولم يوفق موسى لذلك فغفل ونسي ، ومثله قول الشاعر (2) :

** خولان فانكح ** ، أي هؤلاء القوم يستحق أن ينكح منهم لجمال نسائهم ووفور حسنها ، فلا يغفل عن النكاح فيهم ، وأن يكون من كلام الله ، ﴿ ونسي ﴾ بمعنى ترك (3) ، وإليه الإشارة بقوله ، أي ترك ما كان عليه من الإيمان الظاهر .

قوله : ((يَرْجِعُ)) (4) من رفعه فعلي ، (أن) مخفّفة من الثقيلة ، قال الزجاج (5) : [هذا الاختيار ، والمعنى أفلا يرون أنه لا يرجع إليهم قولاً ، كما قال تعالى : ﴿ أولم يروا أنه لا يكلّمهم ﴾ (6) ، ويجوز أن لا يرجع ينصب بأن ، والاختيار مع علمت ورأيت أن يكون أن لا يفعل في معنى قد علمت أنه لا يفعل ، وكذا قال أبو البقاء (7) في قوله : ﴿ وحسبوا أن لا تكون فتنة ﴾ (8) : لا يجوز أن تكون المخفّفة

---

(1) قول الشاعر : لم أقف عليه .

(2) لم أقف عليه .

(3) نسي بمعنى ترك ، ومن ذلك هذه الآية ، وأيضاً قوله تعالى في السجدة الآية 14 : ﴿ فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ ، أي تركناكم في العذاب ، وفي سورة البقرة الآية 237 : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ ، أي لا تتركوا الفضل فيما بينكم ، وتأتي (نسي) بمعنى لم يحفظ ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة الأعلى الآية 6 : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ ، أي تحفظ فلا تنساه البتة ، وفي سورة الكهف الآية 63 : ﴿ فإني نسيت الحوت ﴾ يعني لم أذكره ﴿ وما أنسانيه إلاّ الشيطان ﴾ ، وقول موسى للخضر : ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ﴾ يعني بما ذهب عني .

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفلا يرون ألاّ يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضرّاً ولا نفعاً ﴾ .

(5) الزجاج 3/373 .

(6) سورة الأعراف ، الآية 148 .

(7) أبو البقاء 2/126 .

(8) سورة المائدة ، الآية 71 .

من الثقيلة مع أفعال الظنّ والشكّ ، ولا الناصبة للفعل مع علمت ، وما كان في معناها (1) .

قوله : ((من قبل أن يقول لهم السامري ما قال)) (2) ، قال الواحدي (3) : [ولقد قال لهم هارون من قبل رجوع موسى : يا قوم إنما ابتليتم بالعجل ﴿ وإن ربكم الرحمن فاتّبعوني ﴾ في عبادة الله وأطيعوا أمري في ترك عبادة العجل ، ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ ، وقيل : هذا أشد ملاءمة من كلام المصنف، لقوله : ﴿ لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ﴾ وقلت : تفسير المصنف أدخل في المعنى وأولى بالقبول ، لأن الكلام وارد على توبيخ القوم وتقريعهم على الغباوة ، وأن دليلي العقل والسمع تعاضدا على بطلان إلهية العجل ، وأنهم ما التفتوا إليهما وما رفعوا لهما رأساً ، وهذا إنما يستقيم على تقدير المصنف ، والنظم أيضاً يساعد عليه ، وذلك أنه تعالى لما حكى عن السامري أنه حين قال للقوم : ﴿ هذا إلهكم وإله موسى ﴾ قبلوا منه ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ عقّب ذلك بقوله : ﴿ أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولاً ﴾ الآيات ، تنبيهاً على غباوتهم ، فأتى بهمزة الإنكار داخلة على الفاء العاطفة المستدعيتين تقدير فعل يصلح أن يكون معطوفاً عليه لما بعد الفاء ، وهو أن يقال : أحرموا العقل الهادي ، فلا يتفكرون وينظرون بنظر البصيرة أن هذا المتخذ من هذه الأجرام لا يصلح للإلاهية ، أم عَمَوْا وصمّوا فلا يهتدون إلى أن الإله ينبغي أن يكون سامعاً لدعاء عابده ، عالماً بأفعاله ، دافعاً عنه المضار ، مثيباً ومعاقباً (4) ، مع أن دليل السمع شاهد ببطلانه ، وهو تنبيه نبيّ الله هارون بقوله : ﴿ ياقوم إنما فتنتم به

---

(1) كما قال ابن مالك في الخلاصة :

** وبلن انصبه وكي كذا بأن ** لا بعد علم والتي من بعد ظن **

** فانصب بها والرفع صحّح واعتقد ** تخفيفها من أن فهو مطرد ** .

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن ﴾ الآية .

(3) الواحدي ٣/٢١٩ .

(4) كما قال تعالى في سورة مريم الآية ٤٢ عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ، وقوله تعالى في سورة الشعراء الآية ٧٢ : ﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرّون ﴾ .

وإن ربكم الرحمن ﴾ على سبيل التوكيد والحصر قد سبق على وقوعهم في تلك الفتنة ، وأيضاً في إيثار المضارع في قوله : ﴿ أفلا يرون ﴾ ، وعطف ﴿ ولقد قال لهم هارون ﴾ عليه للدلالة على استحضار تلك الحالة القطعية في ذهن السامع واستدعاء الانظار عليهم ، ويجوز أن تكون الجملة الاسمية حالاً من فاعل ﴿ يرون ﴾ مقررة لجهة الإشكال ، أي ﴿ أفلا يرون ﴾ والحال أن هارون نبّههم قبل ذلك ببطلانها ؟ ، وأما جوابهم وهو قوله : ﴿ قالوا لن نبرح عليه عاكفين ﴾ فمن باب الأسلوب الأحمق نقيض الأسلوب الحكيم ، لأنهم قالوه عن قلة مبالاة بالأدلة الظاهرة ، كما قال نمرود في جواب الخليل : ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ (١)، وذكر القاضي (٢) الوجهين في تفسيره .

قوله : ((ومالك لم تلحقني)) (٣) ، قال محي السنة (٤) : [أي ما منعك من اللحوق بي وإخباري بضلالتهم ، فتكون مفارقتك إياهم زجراً لهم عمّا أتوه ؟] .

قوله : ((العدو المكاشف)) (٥) ، الجوهري (٦) : [كاشفه بالعداوة ، أي باداه بها ، ويقال : لو تكاشفتم ما تدافنتم] .

قوله : ((وكان أفرع)) ، أي تمام الشعر ، الأساس (٧) : [امرأة طويلة الفروع ، ولها فرع تطؤه] .

قوله : ((فاستأنيتك)) ، الجوهري (٨) : [واستأنى به ، أي انتظر به] .

قوله : ((وحفظ الدهماء)) ، الجوهري (٩) : [الدهم العدد الكثير ، يريد قوله : ضمَّ البشر ، أي المنشور ، وحفظ الدهماء قوله : ﴿ يا هارون اخلفني في قومي وأصلح ﴾ .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٨ .

(٢) القاضي البيضاوي ٢٩/٤ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألاّ تتّبعن أفعصيت أمري ﴾ .

(٤) محي السنة البغوي ٢٩١/٥ .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال يا ابن أمّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴾ الآية .

(٦) الجوهري ١٤٢١/٤ ، مادة (كشف) .

(٧) الأساس ٤٧١ ، مادة (فرع) .

(٨) الجوهري ٢٢٧٣/٦ ، مادة (أنا) .

(٩) الجوهري ١٩٢٤/٥ ، مادة (دهم) .

قوله : ((ما خطبك)) [1] ، (ما شأنك فمعناه) [2] ما طلبك له ، الجوهري [3] : [الخطب سبب الأمر ، تقول : ما خطبك] ، الأساس [4] : [ومن المجاز فلان يخطب عمل كذا يطلبه وما خطبك ما شأنك الذي تخطبه ، ومنه هذا خطب جليل] والظاهر أن المراد بما في الآية هذا الأخير لأن هذا السؤال المترتب بالفاء على ما سبق من السؤال عن القوم وعن هارون وجوابهم مما يدل على جلالة الخطب وعليه النظم ، لأنه عليه السلام لما وبّخ القوم بقوله أوّلاً ﴿ ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا ﴾ إلى آخره وأجابوا ﴿ ما أخلفنا موعدك بملكنا ﴾ أى بأن مَلكْنا أمرنا بل بسبب أن صدر كَيْتَ وَ كَيْتَ ورأينا خطباً جليلاً ثم ثنّى إلى أخيه بالمعاتبة وأجاب بما ظهر عجزه من جلالة الخطب ثم التفت ثالثا إلى السّامري بقوله ﴿ ما خطبك يا سامرّى ﴾ أجاب مما ينبأ عن عظم الشأن حيث قال ﴿ بصرت بمالم يبصروا به ﴾ أى علمت مالم تعلموه وفطنت مالم تفطنوا له كما نصّ عليه المصنف أى كان من خطبى أن أظهر للقوم أنى تفوّقت عليك بالعلم والبصارة ، وأنا أحق بالاتباع منك ، لكن تذييله الكلام بقوله ﴿ وكذلك سولت لي نفسي ﴾ دلّ على حمقه وأن جوابه من الأسلوب الأحمق وأنطقه الذي أنطق كل شيء به .

قوله : ((بصرت بمالم تبصروا به ، أى قوله فطنت ما لم تفطنوا له)) ، قال القاضي[5] : [وهو أن الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمسّ أثره شيئاً إلا أحياه] .

قوله : ((فقبضت قبضة)) ، بالضاد قال ابن جني [6] : [تقارب الألفاظ لتقارب المعاني ، وذلك أن الضاد المعجمة لتغشيها واستطال مخرجها جعلت عبارة عن الأكثر ، وهو القبض بكل اليد وأن الصاد المهملة لصفائها وضيق محلها وانحصار

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فما خطبك يا سامري ﴾ .

(٢) ما بين القوسين س من ب ، م .

(٣) الجوهري ١/١٢١ ، مادة (خطب) .

(٤) الأساس ١٦٨ ، مادة (خطب) .

(٥) القاضي البيضاوي ٤/٢٩ .

(٦) ابن جنى في المحتسب ٢/٥٥ .

مخرجها جعلت عبارة عن القبض بأطراف الأصابع ، ولعلنا لو جمعنا من هذا الضرب لكان أكثر من ألف موضع] .

قوله : ((ونحوهما الخضم والقضم)) ، الجوهري (١) : [الخضم هو الأكل بجميع الفم ، والقضم الأكل بأطراف الأسنان . قال الأصمعي : أخبرنا ابن أبي طرفة قال : قدم أعرابي على ابن عمّ له بمكة فقال له : إن هذه بلاد مقضم وليست ببلاد مَخْضمٍ] .

قوله : ((لو سمّاه الرسول)) ، يعني السامرّى كان يعرف جبريل فلم عدل عن اسمه وسماه الرسول ؟ ، قالوا : تلخيص الجواب أنه عرف منه أنه رسول مبعوث له شأن ، ولعله لم يعرف أنه جبريل حين جاء إلى موسى راكبا الحيزوم (٢) ، فيكون جوابا واحداً ، وعليه ظاهر كلام صاحب التقريب . وقلت : الظاهر أنه جوابان أحدهما أن السامرى عرف جبريل ، وإنما عدل إلى الرسول عن اسمه ليصور تلك الحالة البديعة ، وهو كونه راكب حيزوم جاء لأمر له شأن غريب ، وهو عرف الحال . يدل عليه قوله : ﴿ بصرت بما لم يبصروا به ﴾ ، على ما فسره الإمام علمت أن تراب فرس جبريل له خاصية الإحياء ، في كلام محي السنة إشعار بأنه عرف أنه جبريل عليه السلام . وثانيهما أنه لم يعرف إلاكونه رسولا مبعوثا لأمر فأتى بما عرفه .

قوله : ((أوحش من القاتل اللاجيء إلى الحرم)) (٣) ، قال المصنف : عند أبي حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل في الحلّ فالتجأ إلى الحرم لم يتعرّض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج .

قوله : ((باق فيهم ذلك إلى اليوم)) ، قيل : الصواب النصب روى سيبويه عن بعض العرب اليوم يوم الجمعة ، وعلى ذلك قوله : (٤)

** اليوم يوم بارد سمومه ** من جزع اليوم فلا تلومه **

---

(١) الجوهري ١٩١٣/٥ ، مادة (خضم) ومادة (قضم) ٢٠١٣ .

(٢) الحيزوم فرس جبريل .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنّه في اليم نسفا ﴾ الآية ٩٧ طه .

(٤) لم أقف على قائله .

اليوم إذا كان بمعنى الوقت بفتح ورَد بأنه يلزم أن يكون للزمان ظرف ، ولذلك أوّلوا اليوم الجمعة واليوم السبت من سبتت اليهود ، أي قامت بأمر سبتها ومن ثم لم يجر في سائر الأيام ، فلا يقال : اليوم الأحد ، وأولوا قولهم : اليوم يومك على غلبتك . ومثل هذه (التأويلات) (١) تبعد في الكتاب ، فإنه اسم معرب دخل فيه حرف الجرّ فلا وجه لنصبه .

قوله : ((﴿ لا مَسَاسِ ﴾ بوزن فَجَارِ)) ، قال ابن جنّي (٢) : [قرأها أبو حيوة . وأما قراءة الجماعة (لا مساس) فواضحة . وفي هذه القراءة نظر ، وذلك بأنها كنزال ودراك وحذار ، وليس هذا الضرب من الكلام ، أعنى ما سُمى به الفعل مما يدخل فيه (لا) النافية للنكرة ، نحو لا رجل عندك فـ (لا) إذا في قوله : ﴿ لا مساس ﴾ نفي للفعل ، كقولك لا أمسّك ولا أقرب منك] .

قوله : ((فلا عباب)) (٣) ، عَلَمٌ للعبّة من عبّ الماء شربه من غير مصّ ، والأَبَابُ علم للأبّة من الأب الطلب ، يصف الظباء بالصبر عن الماء أى إذا أوردت الماء فلا تفعل العبّ ، وإذا لم ترد لم تفعل الأب . قال الميداني : يقال إن الظباء إذا أصابت الماء لم تعبّ فيه ، وإن لم تصبه لم تأبأ إليه ، أى لم تتهيأ لطلبه ، يقال : أبّ يؤب أبّاً إذا قصد وتهيأ . قال : وليس شيء من الوحوش من الظباء والنعام والبقر يطلب الماء إلا أن ترى الماء قريبا منه فترده ، وإن تباعد عنه لم تطلبه ، ولم ترده كما يرد الحمير ، يضرب لرجل يعرض عن الشيء استغناء .

قوله : ((وقرىء ﴿ لن تخلِفَه ﴾)) (٤) ، ابن كثير وأبو عمرو بكسر اللام . والباقون . بفتحها .

---

(١) مابين القوسين س من ب .

(٢) ابن جنى في المحتسب ٥٦/٢ .

(٣) قال (ز) : في قوله تعالى : ﴿ لاَ مِساسِ ﴾ على القراءة الشاذة على وزن فجار ، ونحوه قولهم : في الظباء إذا وردت الماء ((فلا عباب)) وإن فقدته فلا أباب .

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (لن تخلِفَه) بضم التاء وكسر اللام مبنيا للفاعل متعديا لمفعولين ، ووافقهم اليزيدي والحسن وابن محيصن . والباقون بفتح اللام على البناء للمفعول . الإتحاف ٣٠٧ .

قوله : ((أثوى وقصر البيت أثوى أقام)) (١) ، وقيل : أثوى أى صار ضيفاً وقصر ليله ، جاء الوصال فمضى الليل ووجد الموعد من قتيلة اسم المحبوبة . يقول : صار العاشق ضيفا في الحى ليرى معشوقه ، وقصر ليله برجاء الوصال فمضى الليل ووجد الموعد من قتيلة خلفا ولم يتمتع بوصالها .

قوله : ((كما مر في ﴿ لأهب لك ﴾)) ، (قال : إنما أنا رسول ربك) أمرني أن أهب لك أو هي حكاية عن قول الله .

قوله : ((القراءتان من الإحراق)) (٢) ، أي لَنُحْرِقنه ، ولنحرّقنّه بمعنى .

قوله ((وذكر أبو على الفارسي (٣) في ﴿ لنحرقنه ﴾ : أنه يجوز أن يكون حرّق مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد)) ، وقال الزجاج (٤) : [﴿ لنحرقنه ﴾ إذا شدّد فالمعنى نُحرِّقه مرة بعد مرة . وقرئت لنحْرقنّه أي لنبردنّه بالمبرد ، يقال : حَرَقْت الشيء أحْرقه وأحرِق الشيء إذا بَردته . قال أبو علي : أن من قرأ ﴿ لنحرقنه ﴾ فحمله على الحرق بالنار بعيد ، لأنه لا يحتمل الإحراق ، يعنى لم يستعمل حرقته بالنار لكن أحرقته وحرقته .

قوله : ((وعليه القراءة الثالثة)) (٥) ، قال ابن جني (٦) : [قرأ علي وابن عباس رضي الله عنهما ﴿ لَنَحْرُقَنَّهُ ﴾ بفتح النون وضم الراء ، يقال : حرقت الحديد إذا بردته فتحاتّ وتساقط . ومنه قولهم : إنه لَيُحرق على الأرَّم (٧) أي يحكّ أسنانه بعضها ببعض غيظا عليّ] .

---

(١) البيت للأعشى . وتمامة :

** أثوى وأقصر ليله ليزوّدا ** فمضى وأخلف من قتيلة موعدا **

انظر الكشاف ٣/٩٧.

(٢) تفسير قوله : ﴿ لنحرّقنّه ﴾ قرأ ، ﴿ لَنُحرِقنّه ﴾ علي بن ابي طالب وأبو جعفر . وقرأ الكلبي والحسن ﴿ لَنُحرِقَنْه ﴾ وقرأ أبو نهيك ﴿ لَنَحْرُقَنْه ﴾ ، شواذ القرآن ٨٩ .

(٣) لم أقف على كلامه هذا في الحجة . وذكره الراغب ١١٤ .

(٤) الزجاج ٣/٣٧٥ .

(٥) هي قراءة على بن أبي طالب رضي الله عنه . كما سبق .

(٦) ابن جني في المحتسب ٢/ ٥٨ .

(٧) الأرّم الأضراس . قال الجوهري : يقال فلان يَحْرِق عليك الأرّم إذا تغيظ فحرّك أضراسه بعضها ببعض . اللسان ١٢/١٤ ، مادة (أرم) .

قوله : ((وهذه عقوبة ثالثة)) أولاها الدعاء عليه ، بقوله ﴿ لا مساس ﴾ ، وثانيها ﴿ لنحرّقنه ﴾ ، قال القاضي : [المقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتتنين به لمن له أدنى نظر] .

قوله : ((فنصبهما معا على المفعولية)) (١) ، قال ابن جني (٢) : [معناه خرّق كل مُصْمتٍ بعلمه لأنه بطن كل مُخْفىً ومستبْهِم ، فصار لعلمه فضاء متّسعا بعد ما كان متلاقيا .

قوله : ((تكثيراً لبيَناتك)) (٣) إلى آخره بيان لفائدة ذكر الأقاصيص في التنزيل ، فقوله : ((زيادة لمعجزاتك)) تفسير لقوله تكثيراً لبيّناتك ، لأن القرآن كما دلّ بنظمه الفائق على الإعجاز دلّ بذكر الأقاصيص فيها كما هي عليه من غير نقصان ولا زيادة على الإعجاز ، لأنه صلى الله عليه وسلم ما سمعها من أحد ولا قرأها في الكتب .

قوله : ((ويزداد المستبصر)) ويتأكد أي السامع إن كان الموافق فيزداد بصيرة على بصره ، وإن كان المخالف فيزداد الإلزام على الإلزام (٤)

قوله : ((وأن هذا الذكر الذي أتيناك)) إلى آخره تفسير لقوله : ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾ ، وقد أشار فيه إلى وجه نظمه مع الآية السابقة واللاحقة . أما ربطه بالسابقة فهو أن العطف فيه للتفسير ولذلك أعاد ذكر الأخبار والأقاصيص فيه واعتبر التّفكّر والاعتبار ، وأما بيان التِآمه مع الآية الثّالثَة فهو قوله : ((وأن هذا الذكر الذي أتيناك)) إلى قوله : لمن أقبل عليه فأذن به أنه مقابل لقوله : ﴿ من

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ﴾

(٢) ابن جني في المحتسب ٥٩/٢

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنّا ذكرا ﴾

(٤) وقد قصّ الله على نبيه صلى الله عليه وسلم كثيرا من أخبار وقصص من سبق ، كما في قوله تعالى في آل عمران الآية ٤٤ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيّهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون ﴾ وقوله في سورة هود الآية ١٠٠: ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ الآية ، وقوله في سورة يوسف الآية ١٠٢ : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعو أمرهم وهم يمكرون ﴾ ، وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن .

أعرض عنه ﴾ (١) فكأنه قيل : نحو ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون ، نقصّ عليك أخبار الأمم وقصص الأنبياء لتكثير بيّناتِك ومزيد معجزاتك ، من أقبل عليه فاز بالفلاح المعلّى ، ومن أعرض عنه فقد شقي وتردّى . وأما دلالته على قوله : ((وإنه لذكر عظيم ، وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة)) فإن التنكير في (ذكرا) وإيثار ضمير الجماعة في ﴿ آتيناك ﴾ واختصاص ﴿ من لدنا ﴾ مُنَادٍ بلسان طلق ، إن المؤتى مما لا يقادرُ (٢) قدْرُه ولا يُكْتَنَهْ كنهه ، كأنه قيل أعظم بمؤتى موليه عظيم الشأن قويّ السلطان ، وأنه من عنده ومن خزائن لطفه وكرمه في تخصيص اليوم بالذكر وتكرير الجمل في التذييل ، وهو سائلهم يوم القيامة حِمْلاً للإشْعار بأن الموجب للحمل في الدنيا أمر عظيم وخطب جسيم ، وهو الإعراض المؤدّى إلى تفويت السعادات والكمالات الدنيوية والأخروية ، وبأن تبعة الحمل في ذلك اليوم مما لا يدخل تحت الوصف ، فيجب أن يقدّر مثله في مقابله (٣) والمصنف اقتصر على لفظ النّجاة والسعادة اختصاراً وإيجازاً .

قوله : ((لذكر عظيم وقرآن كريم)) ، من عطف الشيء على نفسه تجريداً ، نحو قولهم : مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة .

قوله : ((الباهظة)) ، الجوهري (٤) : [بهظه الحمل يبهظه بهظاً ، إذا أثقله وعجز عنه ، وهذا أمر باهظ أي شاق] .

---

(١) تفسيرقوله تعالى: ﴿ من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾

(٢) يقدر في ب .

(٣) يعني أن من أعرض عن هذا الذكر وهو القرآن قد خسر الدنيا والآخرة ، كما دلّ عليه قوله في سورة الجاثية الآية ٨ : ﴿ ويل لكل أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم ﴾ ، وقوله في سورة لقمان الآية ٧ : ﴿ وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ﴾ ، ومثل هذه الآية كثير في القرآن جعلني الله من أهل القرآن المؤمنين به العاملين به قولا وعملا . وقال في سورة طه الآية: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ الآية ١٢٤ـ١٢٦

(٤) الجوهري ١١٧١/٣ ، مادة (بهظ) .

قوله : ((يفدح الحامل)) ، الجوهري (١) : [فدحه الدين أثقله ، وأمرٌ فادحٌ إذا عاله وبهظه] .

قوله : ((وينقض ظهره)) ، الجوهري (٢) : [وأنقض الحمل ظهره أي أثقله ، وأصله الصوت والنقيض صوت المحامل والرحال] .

قوله : ((ويلقي عليه بَهَرَه)) ، بَهَرَه بهراً أي غلبه ، والبُهْر بالضم تتابع النفس ، وبالفتح المصدر ، يقال (٣) : بهره الحمل يبهره بهراً ، أي أوقع عليه البهرة فانبهر أي تتابع نفسه .

قوله : ((أو لأنّها جزاء الوزر)) ، عطف على ((تشبيها)) ، فالوزر على الأول بمعنى الثقل ، وضع موضع العقوبة على الاستعارة ، وعلى الثاني بمعنى الإثم إقامة للسبب مقام المسبب .

قوله : ((جمع ﴿ خالدين ﴾ على المعنى)) ، أي حملا على المعنى .

قوله : ((وهي للبيان كما في ﴿ هيتَ لَكَ ﴾)) ، قال في قوله تعالى : ﴿ هيهات لما توعدون ﴾ (٤) : اللام لبيان المستبعد ماهو بعد التصويت بكلمة الاستعباد كما جاءت اللام في ﴿ هيت لك ﴾ (٥) لبيان المهيت به ، كأنه لما قيل : ﴿ وساء ﴾ قبل أن يقال ، فأجيب (لهم) فالعامل القول المقدر .

قوله : ((وأحزن الوزر لهم يوم القيامة حملاً)) ، قال أبو البقاء (٦) : [﴿ حملا ﴾ تمييز لاسم ﴿ ساء ﴾ ، وساء مثل بئس ، والتقدير : وساء الحمل حملا ، ولا ينبغي أن يكون التقدير : وساء الوزر ، لأن المميز ينبغي أن يكون من لفظ اسم بئس] .

قوله : ((بعد أن يخرج من عهدة هذه اللام)) ، لأن ﴿ ساء ﴾ يتعدى بنفسه ، الجوهري (٧) : [ساء يسوء سَوْءاً بالفتح نقيض سرّه] ، قيل : إنما كان صادا

---

(١) الجوهري ٣٩٠/١ ، مادة (فدح) .

(٢) الجوهري ١١١١/٣ ، مادة (نقض) .

(٣) أساس البلاغة ٥٥ ، مادة (بهر) .

(٤) سورة المؤمنين ، الآية ٣٦ .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٦) أبو البقاء ١٢٧/٢ .

(٧) الجوهري ٥٥/١ مادة (سوأ) .

لأنه لا يفهم من هذا التركيب معنى يصح التعبير عنه ، مع أن اللام لا وجه له في هذا الموضع إذ لا يقال : أحزن لهم ، بل أحزنهم ، والمنصوب لا يصح أن يكون تمييزا ، لأن الضمير إذا كان عائدا إلى الوزر لا يصحّ أن يميز بالوزر وغير التمييز لا وجه له . وفيه نظر لجواز أن يكون اللام للبيان كما في قوله تعالى : ﴿ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾(١) وحملا تمييزاً والمعنى أحزنهم حمل الوزر وثقله .

قوله : ((فيمن قرأ تنفُخ بالنون)) (٢) ، أبو عمرو بالنون مفتوحة وضم الفاء، والباقون بالياء مضمومة وفتح الفاء .

قوله : ((أو لأن الملائكة)) ، عطف على محذوف ، لأن المعنى أسند النفخ إلى الله تعالى لأنه الآمر به ، ولأن المقربين بالمنزلة العظيمة من رب العزة ، والحاصل أن هذا الإسناد مجازي (٣) ، أسند النفخ إلى الله تعالى لأنه سبب ، كما في بني الأمير المدينة ، أو لأن الملائكة المقربين بمنزلة عظيمة عنده فيكون فعلهم فعله .

قوله : ((وإسرافيل منهم)) هو جملة معترضة دخلت بين اسم إن وخبرها ولا يجوز أن يكون إسرافيل عطفاً على الملائكة ، لأنه لا يبقى لقوله منهم محلّ ((ومن رب العزة)) خبر لقوله : (هم) ، وبها متعلق بالفعل المقدر في الخبر نحو مقربون أو حال من ضمير الاستقرار في (بها) وهو الخبر ، وهو أيضاً متعلق به ، والمعنى أن الملائكة المقربون أو المتصلون من رب العزة بالمنزلة التي هم بتلك المنزلة ، أى بمنزلة عظيمة معلومة عند كلّ أحد ، وذلك من إيقاع (هم) بها صلة للمؤمنين ، لأن (من) حقّها أن تكون معلومة الانتساب عند السامع .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٤٣ .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ﴾ ، قرأ ﴿ ينفخ في الصور ﴾ أبو عمرو بنون العظمة مفتوحة مبنيا للفاعل ، والباقون بالياء . الاتحاف ٣٠٧ .

(٣) الاسناد المجازي من أقسام المجاز المرسل وعلاقته غير المشابهة ، وإنما علاقته إما السببية ، أو المسبّبية ، أو الجزئية ، أو الكلية ، أو اعتبار ما كان ، أو اعتبار مايكون ، أو المحلية ، أو الحالية . انظر الإيضاح في علوم البلاغة ٣٩٧ .

قوله : ((أصهب السبال)) (١) ، النهاية (٢) : [الصهبة مختصة بالشعر وحمرة تعلوها] .

قوله : ((تخافتهم)) (٣) ، التخافت من خفت صوته إذا أخفضه .

قوله : ((لأن أيام السرور قصار)) قال (٤) :

** تمتّع بأيام السرور فإنها ** قصار وأيام الغموم طوال **

قوله : ((ويقال لبث أهلها)) ، أى يعدّ قليلا ، النهاية (٥) : [وفي الحديث (٦) كأنهم تقالّوها أي استقلوها] ، أي عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو تفاعيل من القلة .

قوله : ((ويعضده ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ (٧))) ، أى يعّضد إرادة استقصار لبثهم في القبور هذه الآية . وفيه نظر لأنه فسرها في موضعها في آخر الروم بقوله : أرادوا لبثهم في الدنيا أو في القبور ، أو مابين فناء الدنيا إلى البعث للوجه الأول ، وهم يستقصرون عدة لبثهم في الدنيا بقوله : ﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ (٨) صحيح لتصريح ذكر الأرض .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ زرقا ﴾ ، قال (ز) : الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ، لأن الروم أعداؤهم ، وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدوّ : أسود الكبد ((أصهب السبال)) أزرق العيون .

(٢) النهاية ٦٢/٣ . مادة (صهب) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقولون أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ﴾ .

(٤) لم أقف على قائله .

(٥) النهاية ١٠٤/٥ ، مادة (قلل) .

(٦) أخرجه البخاري مع الفتح ٦٧/٦ كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، من حديث أنس رقم ٥٠٦٣ . يقول : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سيسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها ... إلى آخر حديث التبتل المشهور.

(٧) سورة الروم ، الآية ٥٥ ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ﴾ الآية .

(٨) سورة المؤمنين ، الآية ١١٢ .

قوله : ((يجعلها كالرمل)) [١] ، الراغب [٢] : [نَسَفَتِ الريح الشيء أقلعته وأزالته ، وكذا نسفته ، قال تعالى : ﴿ ويسألونك عن ذي الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً ﴾ ، ونسف البعير الأرض بمقدّم رجله ، قال تعالى : ﴿ ثمّ لننسفنّه في اليمّ نسفاً ﴾ ، أي نطرحه فيه طرح النُّسافة ، وهي ما تثور من غبار الأرض ، وانتسف لونه أي تغيّر عمّا كان عليه نسافه ، كما يقال : اغبّر وجهه] .

قوله : ((العِوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الأعيان)) [٣] ، قال الزجاج [٤] : [العوج في العصا والجبل أن لا يكون مستوياً ، والأمت أن يغلظ مكان ويدقّ مكان] ، قال القاضي [٥] : [عوجاً بالقياس ، وأمتاً بالإحساس] .

قوله : ((من الفلاحة)) ، الأساس [٦] : [الفلاحة الأكْرَة جمع أكّار لأنهم يفلحون الأرض أى يشقونها] .

قوله : ((بدلا بعد بدل)) [٧] ، يعنى ﴿ يومئذ ﴾ بدل من ﴿ يوم ينفخ ﴾ ، وهو من قوله : ﴿ يوم القيامة ﴾ في قوله : ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملا ﴾ ، والعامل ساء فيكون قوله : ﴿ ويسألونك ﴾ الآية وحدها استطراداً ، وعلى الأول العامل ﴿ يتّبعون ﴾ ﴿ ويسألونك ﴾ إلى قصة آدم استطراداً ، والأول أوجه لمجيء قوله : ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة ﴾ فيكون بدلاً ثالثا على الترقي .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربّي نسفاً ﴾ ، قال (ز) : ﴿ ينسفها ﴾ ((يجعلها كالرمل)) .

(٢) الراغب ٤٩٠ ، مادة (نسف) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عِوجاً ولا أمتاً ﴾ .

(٤) الزجاج ٣٧٧/٣ .

(٥) القاضي البيضاوي ٣٠/٤ .

(٦) الأساس ٤٨٠ ، مادة (فلح) قال : وأحسبك فَلاّحة اليمن ، وهم الأكرة .

(٧) تفسير قوله تعالى : ﴿ يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً ﴾

قولـه : ((يدعـوا [1] النـاس فيقبلـون مـن كـل أوب [2])) ، قـال محـي السنة [3] : [يقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن [4]] .

قوله : ((لا يعْوَجُ له مدعوّ)) [5] ، قيل كما يقال : لا عصيان له ، أى لا يعصى ولا ظلم له أى لايظلم .

قوله : ((والمراد بالوجوه وجوه العصاة)) [6] ، قال القاضي [7] : [ظاهرها يقتضي العموم ، ويجوز أن يراد بها وجوه المجرمين ، فتكون اللام بدل الإضافة ويؤيده قوله : ﴿ وقد خاب من حمل ظلما ﴾ ، وهو يحتمل الحال والاستئناف فلبيان ما لأجله عنت وجوههم] ، وكذا عن أبي البقاء [8] .

قوله : ((وقوله : ﴿ وقد خاب ﴾ وما بعده اعتراض)) يعني في هذا الكلام معنى التوكيد لما قبله ، وكان من الظاهر وذلّت وجوه العصاة وقد خابوا وخسروا ، فوضع موضعه ذلك وفيه رائحة من الاعتزال [9] ، والأولى أنه حال من الوجوه ووضع موضع الراجع ﴿ من حمل ظلما ﴾ ، كما في قوله : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ [10] ، أى لا نضيع أجرهم

---

(1) قال (ز) : هو إسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس ((يدعو الناس)) الخ .

(2) الأوب : الإتيان من كل وجه ومرجع . الأساس ٢٤ ، مادة (أوب) .

(3) محى السنة البغوي ٢٩٥/٥ . و الطبرى١٨٣/٢٦ بعدة روايات وزاد المسير ٢٤/٨ و الماوردى ٩٤/٤

(4) كما قال تعالى في سورة القمر الآية ٦-٨ : ﴿ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر * خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ وقوله في سورة ق الآية ٤١-٤٢ : ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق يوم الخروج ﴾ .

(5) تفسير قوله : ﴿ لا عوج له ﴾ .

(6) تفسير قوله تعالى : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ﴾ .

(7) القاضي البيضاوي ٣١/٤ .

(8) أبو البقاء ١٧٢/٢ .

(9) لم تتضح لي رائحة الاعتزال هنا .

(10) سورة الكهف ، الآية ٣٠ .

والمراد بالظلم الشرك لقوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (١) ، روى محي السنة (٢) عن ابن عباس : [خسر من أشرك با لله ، والظلم هو الشرك] ولأنه واقع في مقابلة قوله : ﴿ وهو مؤمن ﴾ ، والمراد بالوجوه الرؤساء والمتكبّرون لأن المقام مقام الهيبة ولصوق الذلة بوجوههم ، أولى وقد خاب مقابل لقوله : ﴿ فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴾ ، المعنى فلا يخاف الخيبة وإليه الإشارة بقوله : فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم ، فلا يستقيم حينئذ أن يكون اعتراضا .

قوله : ((وقرىء (فلاَ يَخَفْ))) (٣) ، على النهي ابن كثير ، والباقون ﴿ يخاف ﴾ بالرفع (٤) ، وهذه القراءة توافق لما يقابله وهو قوله : ﴿ وقد خاب ﴾ من حيث الإخبار وأبلغ من القراءة الأولى من حيث الاستمرار . والأولى أبلغ لأنهالا تحتمل التردد في الإخبار ، قال الواحدي (٥) : ﴿ فلا تخف ﴾ : [فليأمن لأنه لم يفرّط فيما وجب عليه ، ونهيه عن الخوف أمر بالأمن] .

قوله : ((وكذلك عطف على ﴿ كذلك نقص ﴾ (٦))) إشارة إلى بيان النظم ، وأن التكرير للتردد والترجيع إلى ما هو مهتمّ بشأنه وما سيق الكلام لأجله ، ذكره هناك وعلق به مدح القرآن ، ومن أقبل عليه ومن أعرض عنه وأشار إلى أن المُقْبل مربح مفلح والمعرض خاسر دامر . واستمرّ على وعيد المعرض ووعد المقبل إلى أن عاد إلى ماله سوق الكلام وهو مدح القرآن ، فحرّض على التمسك به واستعمال التؤدة والرفق في أخذه وعهد على العزيمة بأمره و ترك النسيان فيه ، وضرب حديث آدم مثلا للنسيان وترك العزيمة ، واستوفى حقّه ثم رجع إلى ما هو المقصود في الإيراد

(١) سورة لقمان ، الآية ١٣ .

(٢) محي السنة الغوي ٥/٢٩٦ .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴾ .

(٤) بالرفع خبر لمبتدأ محذوف أى فهو لا يخاف ، وقرأ ابن كثير بالقصر والجزم على النهى ووافقه ابن محيصن . والباقون بالمد والرفع كما تقدم . الإتحاف ٣٠٧ .

(٥) الواحدي في كتابه الوسيط ٣/٢٢٢ .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ .

حيث قال : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ﴾ (١) إلى أن قال : ﴿ كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ﴾ ، وإذا تأملت حديث موسى عليه السلام بطوله وجدته متمّما لحديث القرآن وما افتتح به السورة من قوله تعالى : ﴿ طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾ (٢) وهلم جراً ، إلى آخر السورة ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا ﴾ (٣) إلى قوله : ﴿ ورزق ربك خير ﴾ لأنه على وزان قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا ﴾ (٤) ، وينصره قوله تعالى : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا ﴾ (٥) ، ولأمر ما صدر عن صدر النبوة ومشكاة الرسالة صلوات الله عليه : (إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألف عام فلمّا سمعت الملائكة القرآن قالوا : طوبى لأمة ينزل هذا عليها ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا) (٦) ، أخرجه الدارمي عن أبي هريرة .

قوله : ((الوتيرة)) ، الجوهري (٧) : [هي الطريقة يقال : ما زال على وتيرة واحدة] .

قوله : ((ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير)) ، قال في الانتصاف (٨) : [الصواب ليكونوا على رجاء التقوى والتذكر إذ لو أراد الله تقواهم

---

(١) سورة طه ، الآية ١٢٤ .

(٢) سورة طه ، الآية ١-٢ .

(٣) سورة طه ، الآية ١٣١ .

(٤) سورة الحجر ، الآية ٨٧ .

(٥) سورة طه ، الآية ١٣٢ .

(٦) أخرجه الدارمي ٥٤٧/٢ كتاب التفسير ، باب في فضائل طه ويس برقم ٣٤١٤ ومجمع الزوائد ٥٦/٧ ، قال : ورواه الطبراني في الأوسط . وفيه إبراهيم ابن مهاجر بن سمار ضعفه البخاري بهذا الحديث . ووثقه ابن معين وابن كثير في تفسيره ، ٢٦٦/٥ ، وقال هذا حديث غريب ، وفيه نكارة ، وإبراهيم وشيخه تكلم فيهما .

(٧) الجوهري ٨٤٢/٢ ، مادة (وتر) .

(٨) الانتصاف مع الكشاف ٨٩/٣-٩٠ .

لكان . والعجب أن الزمخشري نقل عن سيبويه في أول هذه السورة في ﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [1] ، أي كونا على رجائكما ، ثم كعّ [2] عنه هـهنا لمعتقده .

قوله : ((والذكر كما ذكرنا)) عند قولـه : ﴿ وأقـم الصـلاة لذكـري ﴾ [3] أي لتذكرني ، فإن ذكري أن أُعْبَد ، يطلق على العبادة والطاعة أي مجاز الا أن الطاعة أثر الذكر والتذكير ، ومراده من هذا التأويل اعتبار المطابقة لتفسيره التقوى بالاجتناب عن المعاصي ليجمع بين فعل الطاعة وترك المعصية ، وفيه إيذان بأن التقوى قد يراد منه الاحتراز عما لا ينبغي كما قررناه في فاتحة البقرة [4] ، وقال محي السنة [5] والواحدي [6] : [﴿ لعلهم يتقون ﴾ أي يجتنبون الشرك ، ﴿ أو يحدث لهـم ذكـرا ﴾ أي يجدّد لهم القرآن عبرة وعظة ليعتبروا ويتّعظوا بذكـر عقـاب ا لله للأمـم] ، وقـال الإمام [7] : [وفيه وجهان ﴿ لعلهم يتقون ﴾ ، أي يصيرون محترزين عمّا لا ينبغـي أو يحدث لهم القرآن ذكـراً يدعوهـم إلى الطاعـات وفعـل مـا ينبغـي . أو أنزلنـا القـرآن ليتّقوا ، فإن لم يحصل ذلك ، فلا أقـل من أن يحـدث لهـم ذكـرا شـرفا وصيتـا حسـنا وكلمـة . أو كمـا في قولـك : جـالس الحسـن وابـن سـيرين وقـال القـاضي [8] : [﴿ لعلهم يتّقون ﴾ المعاصي فتصير التقوى لهم مَلَكَةً ﴿ أو يحدث لهم ذكـرا ﴾ عظـة واعتبارا حين يسمعونها فتثبّطهـم عـن المعاصي ، ولهـذه النكتـة أسـند التقـوى إليهـم والإحـداث إلى القـرآن] . وقلـت : والـذي يحضرنـا الآن وا لله أعلـم أن المعنـى ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا ﴾ أي فصيحـا ناطقـا بـالحقّ سـاطعا ببيانـه يحـدث لهـم

---

(١) سورة (طه) الآية ٤٤

(٢) (كعّ) رجع عن هذا التفسير الصحيح بسبب مذهبه الاعتزالي المعروف ، وكفي ما قـال صـاحب الانتصاف أحمد بن المنير

(٣) سورة (طه) الآية ١٤

(٤) انظر ذلك في رسالة د / صالح الفائز ص ٣٩٠ في تحقيقه لأول كتاب الطيبيّ ، فقرة ٩٢٧

(٥) محي السنة البغوي ٢٩٧/٥

(٦) الواحدي في الوسيط ٢٢٣/٣

(٧) الإمام الفخر الرازي ١٢١/٢٢

(٨) القاضي البيضاوي ٣١/٤.

التّأمّل والتّفكّر في آياته وبياناته الوافية الشافية فيذعنون ويطيعون ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ﴾ العذاب ففيه لفّ من غير ترتيب، فالآية على وزان قوله تعالى: ﴿ لعله يتذكّر أو يخشى ﴾ ، قال المصنف : يتذكر أي يتأمل فيبذل النصيفة من نفسه والإذعان للحق ويخشى أن يكون الأمر كما تصفان فيجرّه إنكاره إلى الهلكة .

قوله : ((وسكن بعضهم الثاء للتخفيف)) [1]، أي يحدث ، قال ابن جني [2] : [قرأ بها الحسن وينبغي أن يكون هذا مما يسكّن استثقالا للضمة . وأنشدنا أبو علي لجرير :

** سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ** ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب **

أي لا تعرفكم .

قوله : ((فاليوم أشرب غير مستحقبٍ [3] ، تمامه في المطلع :

** إثماً من الله ولا واغــــل **

مستحقب أي محتمل يقال : استحقب الإثم إذا احتمله واكتسبه مأخوذ من الحقيبة ، ووغل يغل إذا دخل على القوم في شرب من غير أن يدعى كالوارس في العظام . قبله :

** حلّت لي الخمر وكنت امرأ ** عن شربها في شغل شاغل ** .

قائله امرؤ القيس ، وكان حلف أن لا يشرب الخمر حتى يقتل بني أسد بأبيه حجر فوقع ببعضهم فقتل جماعة منهم فقال عند ذلك : حلّت البيت .

قوله : ((ولما يصَرف عليه))[4]، عطف على (له)، أي استعظام لما يصرف عليه عباده .وقوله : يُصَرِّف بضم الياء وفتح الصاد وكسر الراء المشدّدة ، الأساس[5] :

---

(١) من قوله تعالى : ﴿ أو يحدثْ ﴾

(٢) ابن جني في المحتسب ٢/ ٥٩ والبيت لجرير يهجو بني العم قبله

** ما للفرزدق من عزّ يلوذ به **إلا بني العم في أيديهم الخشب **

انظر ديوانه٤٩ و الأغاني٣/٢٥٧.

(٣) القائل : امرؤ القيس ، كما سيأتي للطيبي رحمه الله . و انظر الكتاب ٢٩٧/٢ والخصائص ٧٤/١

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربّ زدني علما ﴾ ، قال (ز) ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ((استعظام له ولما يُصَرف عليه)) عباده من أوامره ونواهيه .

(٥) الأساس ٣٥٣ ، مادة (صرف) .

[صرّفه في أعماله وأموره فيتصرّف فيها وتصرّفت به الأحوال] ، وليس فيه ولا في الصحاح تصرف عليه ولعله ضمنه معنى العلّو والاستيلاء ، أى يجبر الخلق على امتثال أوامره والانتهاء من نواهيه تصريفا كما ترى الملك الغالب النافذ التصرف في رعيته ، وهذا لا يوافق مذهبه وفي هذا التقدير إيذان بأن في ترتب حكم الإنزال والتصريف في ﴿ أنزلناه قرآنا عربيا وصرّفنا فيه من الوعيد ﴾ ، على قوله : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ بالفاء أمرا عظيماً وخطباً جليلاً ، فدلّ وصف الباري بالملك على التصريف القويّ في الملك والملكوت على مقتضى مشيئته بالأمر والنهي والوضع والرفع والثواب والعقاب ، فكان مناسباً [لقوله : ﴿ وصرفنا فيه من الوعيد ﴾ (١) ودلّ وصفه بالحق على البيان والظهور . وعلى الثبات في الصفات الكاملة ، فكان مناسبا] لقوله : ﴿ أنزلناه قرآنا عربياً ﴾ أي بيّنا برهانه ساطعاً نوره لا يحوم الباطل حوله ، فأعظم بمنزّل ومتصرف منزله الحق ومتصرفه الملك ، وفيه أيضاً معنى ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ ، يعني لا تستعجل بالقرآن خوفاً من أن ينفلت منك ، لأن المصرف قاهر والمبيّن محقّ لابدّ من إمضاء ما أراده ﴿ إن علينا جمعه ﴾ في صدرك لتحفظه ، وأجراه على لسانك لتدفع الباطل بالحق ، وهذه السنة قائمة في أمتك إلى يوم القيامة ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ، فإن له تحت كل كلمة بل كلّ حرف من هذا الكتاب العزيز أسراراً ورموزاً تتحير فيها الأوهام ، زادنا الله اطّلاعاً على أسرار تنزيله والتوفيق للعمل بما فيه بقدر الوسع والطاقة . قال صاحب المطلع : الذي بيده الثواب والعقاب فهو يملكها . والحقّ الثابت ذاته وصفاته الكاملة .

قوله : ((ولما ذكر القرآن وإنزاله قال على سبيل الاستطراد)) ، قلت : قد سبق بأن قوله : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ كالرابطة بين الكلامين ، وذلك أنه تعالى لما عظم شأنه في إنزال القرآن العربي وتصريف الوعيد فيه بأن أتى بصيغة العظمة والكبرياء في قوله : ﴿ أنزلنا ﴾ ﴿ وصرّفنا ﴾ امتناناً على حبيبه صلوات الله عليه

(١) مابين القوسين س من ب والصواب مافي ا .ت .م .

وبيّن أن المقصد في الإنزال والتصريف الترغيب والترهيب ، وأراد أن يرشده إلى حسن تلقيه لهذا المنزّل العظيم الشأن ، وأن يترك من عادته من العجلة وسّط بين الكلامين قوله : ﴿ فتعالى الله الملك الحق ﴾ ، وعطف عليه ﴿ ولا تعجل ﴾ على التنزيل الإخبارى منزلة الإنشائي ، لأن فيه إنشاء التعجب معنى حين نبّهت على عظمة جلالة المنزل وأرشدت إلى فخامة المنزل ، فعظّم جنابه الملك الحق المتصرف في الملك والملكوت وأقبل بِشَرًا (١) شرِكَ في تحفظ ألفاظ كتابه وتحقّق مبانيه ، وإذا وعيت فادع الله لاستزادة العلم لتدبّر حقائقه ومعانيه ، وقد سبق وجه نظمه مع قوله : ﴿ ولقد عهدنا ﴾ .

قوله : ((ريثما يسمعك)) (٢) ، الأساس (٣) : [ما ريّثك وما بطّأ بك وما قعدت لفلان إلاّ ريثما قال كذا] . النهاية (٤) : [وفي الحديث : فلم يَلْبَث إلاّ رَيْثَما ، قلت : أي إلاّ قدر ذلك ، وقد يستعمل بغير (ما) ، والمعنى أرفق على نفسك قدر ما يسمعك .

قوله : ((مساوقة لقراءته)) . الأساس (٥) : [فلان في ساقة العسكر في آخره ، جمع سائق ، وهويساوقه ، وتساوقت الإبل تتابعت ، وهو يسوق الحديث] ، النهاية (٦) : [المساوقة المتابعة ، كأنّ بعضها يسوق بعضاً] .

قوله : ((وقريء ﴿ حتى نَقْضِيَ ﴾)) . قال محي السنة (٧) : [قرأ يعقوب نقضي بالنون وفتحها وكسر الضاد وفتح الياء ، و ﴿ حيه ﴾ بالنصب] .

---

(١) الشراشر قال في الأساس ٣٢٦ ومن المجاز ألقى عليه شراشره إذا حرص عليه وأحبه .

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تحرّك به لسانك ﴾ . قال (ز) : وإذا لقّنك جبريل ما يوحى إليك من القرآن فتأنّ عليك ((ريثما يسمعك)) ويفهّمك .

(٣) الأساس ٢٦٣ ، مادة (ريث) .

(٤) النهاية ٢٨٧/٢ ، مادة (ريث) .

(٥) الأساس ٣١٤ ، مادة (سوق) .

(٦) النهاية ٤٢٣/٢ ، مادة (سوق) .

(٧) محي السنة البغوي ٢٩٧/٥ ، وقرأ : ﴿ نَقْضِيَ ﴾ إليك ﴿ وحيه ﴾ الجحدري والحسن ومجاهد . شواذ القرآن لابن خالويه ٩٠ .

قوله : ((عندما علم)) [1] ، ظرف يتعلّق بالشكر ، والشكر له عطف تفسيري على قوله : للتواضع لله ، لأنّ التواضع ههنا عين الشكر . كأنّه قيل : ياربّ إنّي لا أعلم شيئاً ، وإنّ افتقاري إلى جنابك الأقدس لا يزول ، فكما علّمتني كيفيّة ترتيب التعلّم ، وهو التحفّظ بعد التعلّم ، فلا تقطع هذه النعمة عنّي في كلّ ما أنا فيه من الأقوال والأفعال .

قوله : ((أي علّمتني ياربّ)) ، يعني أدّبتني في باب العلم أدباً جميلاً ، وهو التأنّي عند تلقين المعلّم ثمّ الإقبال عليه بالتحفّظ ، وهذا ما كنت أعلمه ، فزدني علماً أي أدّبني تأديباً إلى تأديب ، فإنّ لك في كلّ شيء حكمة . فقوله : ((ما كان عندي)) معترضة .

قوله : ((تقدّم الملِك إلى فلان)) [2] . الراغب [3] : [قدّمت إليه بكذا أمرته قبل وقت الحاجة إلى الفعل] ، أي قبل أن يدهمه الأمر أو الناس ، وعهد فلان إلى فلان ألقى العهد إليه وأوصاه بحفظه .

قوله : ((وأوعز إليه)) . الجوهري [4] : [أوعزت إليه في كذا وكذا أي تقدّمت ، وكذلك وعّزت إليه توعيزاً وقد يخفّف ، فيقال : وعزت إليه وَعْزاً] .

قوله : ((عطف الله سبحانه وتعالى قصة آدم عليه السلام على قوله : ﴿ وصرّفنا فيه من الوعيد ﴾)). فإن قلت : أليس هذا مخالفاً لما ذهبت إليه في النظم؟ وقولك : وضرب حديث آدم مثلاً للنسيان وترك العزيمة ، وأنّه متّصل بقوله : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ﴾ ، قلت : هيهات ما أشدّ الْتِآمه بما أسلفناه من أنّ تصريف الوعيد لأجل اتّقاء العذاب ، وأنّ قوله : ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ متصل بقوله : ﴿ ولقد صرّفنا ﴾ ، وذلك أنّ معنى قوله : ﴿ وصرّفنا فيه

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ربّ زدني علماً ﴾ . قال (ز) : متضمّن للتواضع لله تعالى والشكر له ((عندما علم)) من ترتيب التعلم .

(2) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ . قال (ز) : يقال في أوامر الملوك ووصاياهم : ((تقدم الملِك إلى فلان)) وأوعز إليه .

(3) الراغب ٣٩٧ ، مادة (قدم) .

(4) الجوهري ٩٠١/٣ ، مادة (وعز) .

من الوعيد لعلّهم يتّقون ﴾ هو أنّا كما نهيناهم عمّا لا ينبغي ورتّبنا عليه الوعيد لعلّهم يخافون العذاب ويجتنبون عنه ، كذلك نهيناك عن التعجيل لتلقّي التنزيل متأنّياً متدبّراً بجدّ وعزيمة ، فكأنّا عهدنا إليك بذلك لئلاّ تقع فيما لا ينبغي ، كما نهينا آدم عن أكل الشجرة لئلاّ يشقى ﴿ فنسي ولم نجد له عزماً ﴾ ، فالضمير في قوله قبل وجودهم لمن قيل في حقّهم ﴿ لعلّهم يتّقون أو يحدث لهم ذكراً ﴾ من قوم محمد صلوات الله عليه ، فسبيل حديث العجلة سبيل الاستطراد ، وسبيل حديث آدم سبيل التذييل ، وإليه الإشارة بقوله : ((إنّ أساس أمر بني آدم على ذلك)) .

قوله : ((فخالف إلى ما نهي عنه)) ، هو من قوله تعالى : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ [1] ، قال المصنّف [2] : [خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مولي عنه ، وتقول : خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه واردٌ وأنت صادرٌ] .

قوله : ((مخالفتهم)) مفعول مطلق ، لقوله : ((فخالف)) ، ((وتوعّد)) عطف على ((نهى عنه)) ، أي خالف المنْهي والمتوعّد في قوله : وصّيناه أن لا يقرب الشجرة ، وتوعّدناه بالدخول في جملة الظالمين مخالفة مثل مخالفة هؤلاء في النهي والوعيد .

قوله : ((لم يعن بالوصيّة ، أي لم يعتدّ بها الاعتداد الصادق)) ، الجوهري [3] : [عُنيتُ بحاجتك أُعْنى بها عناية وأنا بها مَعْنِيٌّ ، والأمر لِتَعْنَ بحاجتي] بضم التاء وسكون العين .

قوله : ((من الاحتراس)) ، الجوهري [4] : [تحرّست من فلان واحترست منه ، أي تحفّظت منه] .

---

(1) سورة هود ، الآية ٨٨ .

(2) المصنف الزمخشري ، قال ذلك في سورة هود ٢/٤٢٠ .

(3) الجوهري ٦/٢٤٤٠ ، مادة (عنا) .

(4) الجوهري ٣/٩١٦ ، مادة (حرس) .

قوله : ((عليّة أهله)) (١) ، الجوهري (٢) : [فلان من علية الناس ، وهو جمع رجل عليّ ، أي شريف رفيع ، مثل صبيّ وصِبْيَة] .

قوله : ((سراتهم)) ، الجوهري (٣) : [وهو جمع السَّرِي ، لا يعرف جمع فعيل على فَعَلَة غيره] ، الأساس (٤) : [هو سَرِيّ من السراة ومن أهل السُّرْوِ ، وهو السخاء والمروءة] .

قوله : ((وذلك معصوب برأس الرجل)) (٥) ، أي موكل إليه ، الأساس (٦) : [الأمور تعصب برأسه] ، النهاية (٧) : [سمّوا السيد المطاع مُعَصَّباً ، لأنّه تعصّب به امور الناس أي تردّ إليه وتراد به ، قال عتبة بن ربيعة : ارجعوا ولا تقاتلوا وأعصبوها برأسي ، يريد السبة التي تلحقهم بترك الحرب ، أي انسبوها إليّ وإن كانت ذميمة].

قوله : ((قريء ﴿ وإنّك ﴾ بالكسر والفتح)) (٨) ، بالكسر ابن كثير ، وبالفتح الباقون ، قال الزجاج (٩) : [إذا كسرت فعلى الاستئناف وعطف جملة على جملة ، وإذا فتحت فعلى معنى إنّ لك أن لا تظمأ فَتَنسَقُ بأنك على قوله : ﴿ أن لا تجوع ﴾ ويكون ﴿ أنك ﴾ في موضع نصب ، ويجوز أن يكون في موضع رفع والعطف على محلّ إنّ واسمها ، لأنّ معنى إنّ زيداً قائمٌ زيدٌ قائمٌ ، فالمعنى وذلك إنك لا تظمأ] ، وقال أبو البقاء (١٠) : [وجاز أن تقع (أن) المفتوحة معمولة لأن لما

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى ﴾ .

(٢) الجوهري ٢٤٣٥/٦ ، مادة (علا) .

(٣) الجوهري ٢٣٧٥/٦ ، مادة (سرا) .

(٤) الأساس ٢٩٤ ، مادة (سرو) .

(٥) تفسير قوله تعالى : ﴿ فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوٌّ لك ولزوجك فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى ﴾ ، قال (ز) : أسند الشقاء لآدم دون حوّاء بعد إشراكهما في الخروج ، إمّا للفاصلة ، أو أريد بالشقاء التعب في طلب القوت ((وذلك معصوب برأس الرجل)) وهو راجع إليه .

(٦) الأساس ٤٢٢ ، مادة (عصب) .

(٧) النهاية ٢٤٤/٣ ، مادة (عصب) .

(٨) قرأ : ﴿ وإنك ﴾ بكسر الهمزة نافع وأبوبكر عطف على قوله : ﴿ إنّ لك ﴾ ، أو على الاستئناف ، والباقون بفتحها عطفاً على المصدر المنسبك من ﴿ أن لا تجوع ﴾ . الإتحاف ٣٠٨ .

(٩) الزجاج ٣٧٨/٣ .

(١٠) أبو البقاء ١٢٨/٢ .

فصل بينهما ، التقدير : إن لك الشبعُ والرّيُّ] ، وقيل : يجوز أن عندنا أن زيداً منطلق .

قوله : ((الواو لم توضع لتكون أبداً نائبة عن إنّ ، إنّما هي نائبة عن كلّ عامل)) ، قال صاحب التقريب : [يريد أنّ الواو تنوب عن كلّ عامل ، ولم توضع للتحقيق خاصة ، والممتنع تلاقي الحرفين موضوعين للتحقيق] ، وقلت : يعني أن الواو وإن نابت مناب إنّ ، لكن بالنظر إليها واعتبار وضعها ليست نصّاً في التحقيق مثل إنّ ، فلا يهمل وضعها الحقيقي ، وقال القاضي [1] : [حرف العطف وإن ناب عن (إنّ) لكنه ناب من حيث إنه عامل ، لا من حيث إنه حرف تحقيق] ، وقيل : الواو إن كانت نائبة إلاّ أنها ليست في قوة المنوب عنه ، فلذلك عومل معها مالا يعامل معه ، كقولك : ليس زيد قائماً ولا قاعداً ،ولا يجوز أن تقول : ليس لا قاعداً.

قوله : ((الشبع والري والكسوة والكنّ)) ، أورد على خلاف ما عليه ترتيب الآية ليشير إلى أنه من باب التّتميم والاستيعاب . يعني كان من الظاهر أن يضمّ الشبع والريّ في قرن واحد . والكسوة والكنّ في آخر ، فخولف لينبّه على أنّ المذكور في الأقطاب التي يدور عليها الكفاف . يعني إنّما ضمّ الشبع واللبس ليؤذن بعدم استغناء الإنسان عنهما ، وأنهما من أصول النعم ، وجمع الاستظلال والريّ ليشير إلى أنّهما تابعين لهما ومكمّلين لمنافعهما ، وهذا أدخل في الامتنان من الظاهر لما في تقديم أصول النعم وجلائلها ، وأردف توابعها ولواحقها لإعلام باستجلابها لسائر ما يفتقر إليها في الكفاف ، كما سبق في تقديم (الرحمن) على (الرحيم) ، وينصر هذا التأويل اختلاف العبارتين في الفقرتين ، وهو إنّ لك وأنّك ، وألاّ و لا ، فدلّت الأولى على استقرار الإكرام وثبوت الاحترام بتقدير متعلّق الخبر ، وإتيان اللام ، وكذا في تنسيق المذكورات الأربعة مرتّبة هكذا مقدّماً ما هو الأهمّ فالأهمّ ، ثمّ في جعلها تفصيلاً لمضمون قوله : ﴿ فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقى ﴾ وتكرير لفظة (فيها) ، وإخراجها في صيغة النفي مكرّرة الأداة [2] والإيماء إلى التعريض بأحوال

---

(1) القاضي البيضاوي ٣٣/٤ .

(2) (الأداء) في م .

الدنيا ، وأنّه لا بدّ من مقاساتها فيها ، لأنّها خلقت لذلك ، وأنّ الجنّـة ما خُلقـت إلاّ للتنعيم ولا يتصوّر فيها غيره ، وما ذكره من تصويـر ما ينفـر السـامع ويحـذره حتـى يتحامى بعض من ذلك .

قوله : ((استجماعها [1])) ، وفي بعض النسخ : اجتماعها ، هو الثاني مفعول ذكّر ، أي ذكّر الله تعـالى آدم اسـتجماع هـذه الأشـياء لـه في الجنـة أي اجتماعهـا ، المغرب [2] : [استجمعت للمرء أموره ، اجتمع لـه مـا يحبّه ، وهـو لازم ، وقولهـم : استجمع الفرس جرياً ، نصب على التمييز ، وأمّا قـول الفقهـاء : مسـتجمعاً شـرائط الجمعة ، فليس بثبت] ، والـلام في لنقائضهـا لضعـف عمـل النفـي بسـبب التعريـف أو الفرعية .

قوله : ((كيف عدّى وسوس)) [3] ، سؤال عـن موقـع استعماله مـع حـرف الجر ، ووجه صحّته وتحقيق وضعه . قال الجوهري [4] : [﴿ فوسـوس لهمـا الشـيطان ﴾ يريد إليهما ولكنّ العرب توصّل بهذه الحروف كلّها الفعـل] ، وأجـاب أنّ (وسـوس) مأخوذ من الوسوسة ، وهي حكاية صوت ، وحكمها حكم صوت ، وكـذا وكـذا ، وهو فعل لازم فإذا عدى باللام كان لبيان الموسوس له كما في قوله تعـالى : ﴿ هيـت لك ﴾ [5] ، وقوله : ((أجرس)) لها وقال : ﴿ هيت لك ﴾ ، واللام من صلة الفعل. وأمّا في الأصوات فللبيـان . وإذا عـدّى بإلى ضمّـن معنـى الإنهـاء [6] ، المغـرب [7] : [الوسوسة الصوت الخفي . يقال : وسوس الرجل بلفظٍ ما ، سمّـي فاعلـه إذا تكلّـم

---

(١) قال (ز) : فذكّره ((استجماعها)) له في الجنّة .

(٢) المغرب ١٥٩/١ ، مادة (جمع) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يآدم هل أدلّك على شجرة الخُلد ومُلك لا يبلى ﴾ ، قال (ز) : فإن قلت : ((كيف عدّى وسوس)) تارة باللام في قوله : ﴿ فوسـوس لهمـا الشـيطان ﴾ وأخرى بإلى .

(٤) الجوهري ٩٨٨/٣ ، مادة (وسوس) .

(٥) سورة يوسف ، الآية ٢٣ .

(٦) في م (الإنتهاء) .

(٧) المغرب ٣٥٢/٢ ، مادة (وسوس) .

بكلام خفيّ يكرّره ، وهو فعل لازم كوَلْوَلَت المرأةُ ، ووَعْوَع الذئبُ ، ورجل موسوِس بالكسر ، ولا يقال بالفتح . ولكن موسوس إليه أوّله أي تلقى إليه الوسوسة ، وقال أبو الليث : الوسوسة حديث النفس ، وإنّما قيل : موسوس ، لأنه يحدّث بما في ضميره] .

قوله : ((وسوس المبرسم)) ، المغرب [١] : [بُرْسِمَ الرجل على ما لم يسمّ فاعله فهو مُبَرْسَمٌ بفتح السين إذا أخذه البرسام بالكسر ، وفي التهذيب : بالفتح وهومعرّب عن ابن دريد [٢] ،وفي الأسباب والعلامات : هو ورمٌ يحدث في الحجاب المعترض بين الكبد والمعدة . فيزول العقل لاتصال هذا الحجاب بحجب الدماغ] .

قوله : ((وهو موسوس بالكسر ، والفتح لحن)) ، قال الحريري في درّة الغواص : يقولون بَاقِلاَّ مدوَّد وطعام مسوّس ورجل موسوَس وخبز مكرَّج ومتاع مقارَب ، يفتحون ما قبل الحرف الأخير من كلّ كلمة . والصواب كسره . ويقال : في الفعل من المدوّد . قدداد ،وأ داد ،ودوّد ،وديّد .

قوله[٣]: ((** وسوس يدعو مُخْلَصاً ربّ الفلق **)) ، تمامه :

** سرّاً وقد أونّ تأوين العقق ** في الزَّرْبِ لو يمنع شربا ما بصق **

أوَنَ البعير إذا عظم بطنه من شرب الماء . والعقق جمع عقوق ، وهي الحامل . وسوس صوت حكاية للصوت ، لأن رؤبة يصف قَانِصاً يُخفي شخصه ويخفت صوته حتى إنه لو مضغ حنظلاً ما بصق خوفا من أن يحسّه الصيد فينفر ، الأساس [٤] : [ومن المجاز الصائد في زَرْبِه وَزَرِيَبتِه وهي قترته ، شبّهت بزرب الْبُهْمِ] .

قوله[٥]: ((** أجْرِس لها يا ابن أبى كباش ** ، تمامه في المطلع :

** فمالها الليلة من إنفاش **)) .

أجرس لها أى أحْدُ للإبل لتسمع الحداء فتسير ، وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت ، وجرس الطير صوتت بمناقرها على شيء تأكله ، قوله : ((لها)) ، أي

---

(١) المغرب ٧١/١ ، مادة (برسم) .

(٢) ابن دريد في جمهرة اللغة ٣٠٥/٣ .

[٣] القائل : رؤبة .انظر مشاهد الانصاف ٩٣/٣.

(٤) الأساس ٢٦٩ ، مادة (زرب) .

(٥) القائل غير مسمى . والبيت في الجوهري ، مادة (جرس) واللسان كذلك .

لأجلها ، الإنفاش من أنفش الغنم إذا تركها ترعى ليلاً بلا راع [1] أي سربها ولا تتركها الليلة لترعى .

قوله : ((﴿ وملك لا يبلى ﴾ دليل على قراءة الحسن [2])) ، ﴿ إلاّ أن تكونا مَلِكَين ﴾ بالكسر في الأعراف [3] ، لأنّ الملك غير مطابق للمَلَكَين بالفتح ، وقلت : يجوز أن يطابقه من حيث انضمام ﴿ لا يبلى ﴾ مع الملك ، لأنّه حينئذ كناية عن الخلود ، فهو بمنزلة ﴿ أو تكونا من الخالدين ﴾ هناك .

قوله : ((كان لباسهما الظفر)) [4] ، النهاية [5] : [أي شيء يشبه الظفر في بياضه وصفائه وكثافته] .

قوله : ((فيه لطف للمكلّفين ومزجرة بليغة)) ، خبر لكن ، أي لكن قوله : كنت وديت في لطف ، يعني كان من الظاهر أن يقال في حقه : زلّ وأخطأ ، فجعله عاصياً ثمّ أوقع الغيَّ سبباً عنه للتغليظ ، كما قال تعالى : ﴿ و لله على الناس حِجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر .. ﴾ [6] ، يدلّ عليه قوله بهذه الغلظة .

قوله : ((فبشم)) [7] ، الجوهري [8] : [البشم التّخمة ، يقال : بَشِمْتُ من الطعام ، وبشِمَ الفصيل من كثرة شرب اللبن] .

---

(1) ومنه قوله تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ إذ نفشت فيه غنم القوم ﴾ الآية ٧٨ .

(2) في شواذ القرآن لابن خالويه : قرأ الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهما والزهري : ﴿ مَلِكَين ﴾ ، سورة الأعراف ، الآية ٢٠ . الشواذ ٤٢ .

(3) سورة الأعراف ، الآية ٢٠ .

(4) تفسير قوله تعالى : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنّة وعصى آدم ربّه فغوى ﴾ ، قال (ز) في قوله تعالى : ﴿ يخصفان ﴾ : يلزقان الورق بسوآتهما للستر ، وقيل : ((كان لباسهما الظفر)) ، فلمّا أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع .

(5) النهاية ١٥٨/٣ ، مادة (ظفر) ، قال : كان لباس آدم عليه السلام الظُفر ((أي شيء)) إلخ ، والأظفار جنس من الطيب ، القطعة منه شبيهة بالظفر .

(6) سورة آل عمران ، الآية ٩٧ .

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ فغوى ﴾ ، قال (ز) : ((فبشم)) .

(8) الجوهري ١٨٧٣/٥ ، مادة (بشم) .

قوله : ((جبى إليّ كذا فاجتبيته)) [1] ، من قولك : اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه ، أي جمعه ، فقوله : هلاّ جبيت إليك فاجتبيتها ، معناه : هلاّ جمعت إليك فاجتمعتها افتعالاً من عند نفسك ، فإنّهم كانوا يقولون : ﴿ إنْ هذا إلاّ إفكٌ افتراه ﴾ .

قوله : ((جليت عليّ العروس فاجتليتها)) ، أي نظرت إليها مجلوة .

قوله : ((﴿ وهدى ﴾ أي وفقه لحفظ التوبة)) ، فسر الهداية المطلقة لاقترانها بالتوبة بما يناسبها تتميماً ، فعلى هذا ينبغي أن يفسر الغواية في قوله : ﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ﴾ بما يناسب العصيان من متابعة هوى النفس بتسويل الشيطان ، لا بالغواية الحقيقية ، كقول إخوة يوسف : ﴿ إنّ أبانا لفي ضلالٍ مبينٍ ﴾ [2] .

قوله : ((ونظيره إسنادهم الفعل إلى السبب ، وهو في الحقيقة للمسبب)) [3] ، نحو : بنى الأمير المدينة ، وكسى الخليفة الكعبة ، يعني خوطب آدم وحواء بقوله : ﴿ بعضكم لبعض عدوّ ﴾ لأنه حال من الضمير في ﴿ اهبطا ﴾ ، أي متعاديين ، عقب بقوله : ﴿ فإمّا يأتينّكم منّي هدى ﴾ على لفظ الجماعة ، ولم تحصل منهما العداوة ولا كانا تابعين لأحد من الأنبياء ، لكن لّما كانا سببي البشر ومنهما نشأ ، أو جعلا كأنّهما البشر فخوطبا مخاطبتهم ، وفي عكسه خطاب اليهود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بنحو قوله : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ﴾ [4] .

قوله : ((وعن ابن عباس : ضَمِنَ الله لمن اتبع القرآن أن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة [5])) ، ونحوه في المعالم [6] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ،

---

(1) تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى ﴾ .

(2) سورة يوسف ، الآية ٨ .

(3) تفسير قوله تعالى : ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدوٌّ فإمّا يأتينّكم منّي هدى فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى ﴾ ، قال (ز) : لما كان آدم وحواء أصلَي البشر ، جعلا كأنهما البشر ، فقيل : ﴿ فإمّا يأتينّكم ﴾ ، ونظيره إسنادهم)) إلخ .

(4) سورة البقرة ، الآية ٥٠ .

(5) ذكره السيوطي ٥/٦٠٧ ، وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبيد بن حميد و محمد ابن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصحّحه والبيهقي في الشعب من طرق عن ابن عباس .

(6) في معالم التنزيل للبغوي ٥/٣٠٠ .

وعن الشعبي عن ابن عباس ، وقلت : هذه إشارة إلى الترجيع الذي بُنيت هذه السورة الكريمة عليه كما سبق ، وإلاّ فلِم خصّه بالقرآن ههنا وتركه في البقرة على العموم والقصة القصة حيث قال : ﴿ فإمّا يأتينّكم منّي هدى ﴾ [1] برسولٍ أبعثه إليكم وكتابٍ أنزله عليكم ، بدليل قوله : ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ [2] في مقابلة قوله : ﴿ فمن اتبع هداي ﴾ ، والقرينة ههنا ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ إلى قوله : ﴿ وكذلك أتتك آياتنا فنسيتها ﴾ ، روينا عن أبي داود [3] عن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم) [4] ، وزاد رزين : واقرؤوا إن شئتم : ﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ ، وإنما خصّ خير الأمة لا تضل بالدنيا ولا تشقى بالآخرة لأن قصة آدم عليه السلام كانت مصدرة بقوله : ﴿ فلا يخرجنّكما من الجنة فتشقى ﴾ ومختمة بقوله : ﴿ فعصى آدم ربه فغوى ﴾ [5] ، وإنهما مقابلان لقوله : ﴿ فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [6] .

قوله : ((الضنك مصدر)) [7] ، الراغب [8] : [ضنكا أي ضيقا وقد ضَنُكَ عيشه ، وامرأة ضِنَاكٌ مُكتَنِزة . والضُّنَاكُ الزكام والمضنوك المزكوم] .

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٣٨ .

(2) سورة البقرة ، الآية ٣٩ .

(3) أبو داود ١٥٨/٢ كتاب الصلاة ، باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ، رقم ١٤٧٤ .

(4) والأجذم مقطوع اليد . وقيل : يلقى الله خالي اليدين من الخير ، وقيل : لقي الله لا حجة له ، وفي سند هذا الحديث يزيد بن أبي زياد ولا يحتج بحديثه ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٨٢ : يزيد ابن أبي زياد القرشي الدمشقي متروك من السابعة . وأخرجه أحمد في مسنده ، ٢٨٥/٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(5) سورة طه ، الآية ١٢١ .

(6) سورة طه ، الآية ١٢٤ .

(7) تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

(8) الراغب ٢٩٩ ، مادة (ضنك) .

قوله : ((إن مع الدين التسليم)) ، تأويل المعنى قوله : ﴿ ذكرى ﴾ المراد منه القرآن لأن الدين منه ، ويؤيّده قوله : ﴿ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (١) .

قوله : ((فيعيش عيشاً رافعاً)) ، الجوهري (٢) : [الرفع السعة والخصب ، يقال : رفع عيشه بالضم رفاعة اتسع فهو عيش رافع ورفيع أى واسع طيب] ، الراغب (٣) : [العيش الحياة المختصة بالحيوان ، وهو أخصّ من الحياة ، لأن الحياة تقال في الحيوان ، وفي البارى وفي المَلَكِ ، وتشتقّ منه المعيشة لما يتعيّش منه . قال تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ (٤) ، وقال في أهل الجنة : ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ (٥) وقال صلى الله عليه وسلم : (لا عيش إلا عيش الآخره) (٦) .

قوله : ((وعن الحسن هو الضريع)) ، عطف على قوله : ((إن مع الدين التسليم والقناعة)) إلى الآخرة من حيث المعنى ، يعنى معنى ﴿ معيشة ضنكا ﴾ أما ما يلقاه المعرض في الدنيا من الضيق في العيش بسبب الحرص وجمع المال أو الذلة والمسكنة أو قلّة الرزق أو الابتلاء بالجدب والقحط . وأما ما يلقاه في الآخرة من أكل الزقوم والضريع ، وقال الله : ﴿ يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٦ .

(٢) الجوهري لم أجده فيه .

(٣) الراغب ٣٥٣ ، مدة (عيش) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ .

(٥) سورة القارعة ، الآية ٧ .

(٦) عن أنس بن مالك قال : قالت الأنصار يوم الخندق :

** نحن الذين بايعوا محمّدا ** على الجهاد ما بقينا أبدا **

فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم :

** لا عيش إلا عيش الآخرة ** فأكرم الأنصار والمهاجره **

رواه البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أصلح الله الأنصار والمهاجرة ، ١١٨/٧ ، برقم ٣٧٩٦ ، ومسلم ١٤٣١/٣ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق ، رقم ١٨٠٥ .

مكان ﴾ (1) فتلخيصه : المعرض عن الديـن شـأنه في الدنيا كيْـت و كيْـت ، و عيشـه صنـك و عن الحسن المعرض عن الدين شأنه في الآخرة أكل الضريع والزقوم ، يشهد للقـول الأول رعاية التقابل فإن قوله : ﴿ فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمـى ﴾ مقابل لقولـه : ﴿ ولا يضل ولا يشقى ﴾ كما سبق .

قوله : ((وهذا مثل قولهم : ﴿ ونحشـرهم يـوم القيامـة علـى وجوههـم عميـا وبكماً وصمّاً ﴾ (2) لأنه من أعمى البصر . وقيل أعمى عن الحجة لقوله : ﴿ كذلـك أتتك آياتنا ﴾ والوجه هو الأول لقوله : ﴿ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴾ .

قوله : ((وكما فرّ الزرق بالعمى)) يعني في قوله تعـالى : ﴿ ونحشـر المجرمـين يومئذ زرقا ﴾ (3) قال العمى لأن حدقة من يذهب بنور بصره يزراق .

قوله : ((لما توعد المعرض)) يريد أن قوله : ﴿ ولعذاب الآخرة ﴾ إما مؤكد لمعنى قوله : ﴿ ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ وبيّن لما قصد به أو لقوله : ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴾ .

قوله : ((ثم فسر بأن آياتنا أتتك)) يعني لما قال القائل : ﴿ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴾ وأجيب بقوله : ﴿ كذلك ﴾ والمشـار إليـه السـابق أى كمـا أنـا حشرناك أعمى وكنت بصيرا . مثل ذلك فعلت أنت قال : ما فعلت يارب . فقيـل : أتتك آياتنا واضحة مستيرة ، وأنـت بصـير صحيـح فعميـت عنهـا . فلمّـا وضـع في التنزيل موضع فعميت عنها فنسيتها وضعا للمسبب موضع السـبب ، لأن مـن عمـى عن شيء نسيها(4) وتركها رتب عليه ﴿ وكذلك اليوم تنسى ﴾ ولذلك بدل المصنـف الواو فاء .وأما معنى كذلك الثالث فالتذيل والتقرير ، ولذلـك عـمّ المعنـى بقولـه : ﴿من أسرف ﴾ فالمشبه في التشبيه الأول فعلهم ، وهو عماهم عن الآيات والمشبّه بـه حشرهم أعمى ، وفي التشبيه الثاني المشبه فعل الحق ، وهو تركه إياهم على عماهم ،

---

(1) سورة إبراهيم الآية ١٧ .

(2) سورة الإسراء الآية ٩٧ .

(3) سورة طه الآية ١٠٢ .

(4) نسيه وتركه في م .

والمشبّه به تركهم آيات الله ، وفي التشبيه الثالث المشبه به الجزاء الخاصّ والمشبّه به الجزاء العام .

قوله : ((وفاعل ﴿ لم يهد ﴾ الجملة)) (١) قال صاحب الكشف(٢) فاعل ﴿ يهد ﴾ مضمر ، والمعنى أفلم يتبين لهم إهلاكنا ؟ ولا يكون كم في ﴿ كم أهلكنا ﴾ فاعلا ولا مفعولا ، لأن الاستفهام لايعمل فيه ماقبله ، ولكنّه منصوب بـ ﴿ أهلكنا ﴾ وهو مفعول مقدم أى وكثيرا من القرى أهلكنا وإذا كان الضمير في ﴿ يهد ﴾ لله أو للرسول ، فكم أهلكنا الجملة في تأويل المفعول . قال المصنف في قوله تعالى : ﴿ أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم ﴾ (٣) : إنما عدّى فعل الهداية باللام ، لأنه بمعنى التبيين . فإذا قرىء بالنون كان المعنى أولم يهد لهم هذا الشأن كذلك المعنى أولم نبيّن لقريش هذا الشأن ، وهو إهلاكنا كثير من القرى الخالية والحال أنهم يمشون في مساكنهم والبيان مثل قوله تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ (٤) في اللباب قال الكوفيّون : فاعله ﴿ كم أهلكنا ﴾ (وهذا لايجوز عند البصريين) (٥) ، لأن الجملة لاتكون فاعلة وقالوا : فاعله مضمر يفسره ﴿ كم أهلكنا ﴾ والباء في قول المصنف بمعناه ، مثله كتبت بالقلم أى فاعل ﴿ لم يهد ﴾ هذا بواسطة مضمونه .

قوله : ((هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة)) (٦) قال القاضي (٧) : [أى تأخير عذاب هذه الأمة] .

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ﴾ الآية

(٢) صاحب الكشف عن وجوه القرآت السبع وعللها وحججها : أبو محمد مكي بن أبى طالب القيسي المتوفى سنه ٤٣٧هـ وهذا الكلام ذكره في كتابه مشكل إعراب القرآن ٧٨/٢ بتصرف من الطيبى رحمه الله

(٣) سورة الأعراف الآية ١٠٠ ١٣٢/٢ .

(٤) سورة الروم الآية ٩ .

(٥) مابين القوسين س من ب .

(٦) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لزاما وأجل مسمى ﴾ قال (ز) : الكلمة السابقة : ((هي عدتهم الخ .

(٧) القاضي البيضاوي ٣٣/٤ .

قوله : ((لزاز خصم)) [1] أى ملّح الأساس [2] : [هذا لزاز الباب لنُجافة الذي يُلَزبه ، وأنه لِزازُ خصم ، ولزاز مال مصلح له] والنجاف العتبة .

قوله : ((من أن يكون معطوفا على (كلمة))) قال صاحب الكشف التقدير : [لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمّى لكان العذاب لازما لهم ، فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بكان واسمها وخبرها .

قوله : ((وتعمّد آناء الليل)) [3] قال صاحب المطلع : أى بعض ساعات الليل واحدها أَنى مثل رَحَىً وإِنَىً كمعىً وأَنْيٌ كنجى .

قوله : ((مختصاً لهما بصلاتك)) اعتبر في تقديم الظرف الاختصاص ، وقدر يعمد لقرب معناه من قوله تعالى : ﴿ وإياى فارهبون ﴾ أى إياى ارهبوا فارهبون وأريد بالاختصاص الاهتمام [4] ، لأنه ليس المراد خصّص هذين الوقتين بالصلاة دون غيرهما ، ويجوز أن يراد بلاختصاص أى تعمّد هذين الوقتين بالفضل وخصّص فضليتهما على سائر الأوقات .

قوله : ((عند بعض المفسرين)) وهو مجاهد لقوله في قوله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ﴾ [5] هي الفجر لأنها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل ، وبيان النسبة ، هو أن قبل طلوع الشمس وقبل غروبها تناول صلاة الفجر والظهر والعصر ، وآناء الليل صلاة العتمة ثم جيء بقوله : ﴿ وأطراف النهار ﴾ فعلم منه صلاة المغرب وصلاة الفجر . على أن صلاة الفجر كررت على تلك الوتيرة أى على عطف الخاص على العام . فقوله : ((على التكرار)) متعلق بصلاة الفجر بدليل قوله : ((كما اختصت)) أى صلاة الفجر لا صلاة المغرب والفجر كما ظن .

---

(١) تفسير قوله : ﴿ لزاما ﴾ .

(٢) الأساس ٥٦٣-٥٦٤ مادة (لزز) .

(٣) تفسير قوله تعالى : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ .

(٤) كما في قوله تعالى سورة المزمل الآية ٦ : ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً ﴾ وقوله في سورة الزمر الآية ٩ : ﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ﴾ الآية .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٣٨ .

قوله : ((هُدُوّ الرجل)) الجوهري (١) : [أتانا فلان هُدُواً أى بعد نومه وبعد ما هدأ الناس أى ناموا] والرواية هدو الزَّجَلُ (٢) بالزاي والجيم المفتوحه الصوت .

قوله : ((مجيئ الأمرين)) أي التثنية والجمع . قوله : (٣)

** ظَهْرَاهُمَا مثلَ ظهور التُّرْسَيْـن **

قبلـه : ** ومَهْمَهَيْنِ قَذَيْن مـرْتَيـــن **

وبعده : ** جُبْتَهُما بالنَّعْتِ لا بالنَّعْتَيْـن **

المهمهة ، المفازة البعيدة ، والمرتين ، بسكون الراء مفازة لا نبت فيها ولا ماء ، والفَدْفَدُ الأرض المستوية ، والواو بمعنى ربّ وجوابها جبتهما وظهراهما صُلْباهما ، لأن ظهر التّرس يأتي بالنعت بالفرس فرس نعت متناه في الجري ، لأن النّعت وصْفُكَ الشيئ بما فيه من الحسن ، هكذا ذكر الخليل ، وكل شيئ جيد بالغ فيه فهو نعت . وقيل : المراد قطعها ولم ينعت لي إلاّ مرة واحدة يصف نفسه بالفطانة والخبرة بسلوك المفاوز . وقيل : إنما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين التثنيتين إحداهما في المضاف وثانيهما في المضاف إليه . كقوله تعالى : ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ (٤) .

قوله : ((ولعل للمخاطب)) أي الترجي راجع إلى المخاطب ، كما أن الشك في قوله تعالى : ﴿ أو يزيدون ﴾ (٥) راجع إلى المخاطب لا إلى المتكلّم سبحانه وتعالى .

قوله : ((وقرئ : تُرْضَى)) (٦) بضم التاء الكسائي ، الراغب (٧) : [رضي يرضي رضاً فهو مرضيٌّ ومرضوّ ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه ،

---

(١) الجوهري ٨٣/١ مادة (هدأ) .

(٢) الزجل بالتحريك : الصوت . الصحاح ١٧١٥/٤ مادة (زجل)

(٣) القائل : خطام المجاشعي . وقيل : هميان بن قحافة . انظر مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان ٩٧/٣

(٤) سورة (التحريم) الآية ٤

(٥) سورة (الصافات) الآية ١٤٧

(٦) قرأ الكسائي وأبوبكر ﴿ تُرْضَى ﴾ بضم التاء مبنيا للمفعول ، وحذف الفاعل للعلم به أي لعل الله يعطيك ما يرضيك ، أو لعله يرضاك ، والباقون بفتحها مبنيا للفاعل أي لعلك ترضى بها ، الإتحاف ٣٠٨

(٧) الراغب ١٩٧ مادة (رضي)

ورضا الله عن العبد ، هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهياً عن نهيه ، قال الله تعالى : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ (١)

قوله : ((بَادَهَ الشي)) (٢) بادهه فاجأه ، والاسم البداهة والبديهة .

قوله : ((أزواجا منهم)) أصنافا من الكفرَه)) الراغب (٣) : [الزوج ، يقال : لكل من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة وفي غيرها كالخفّ والنعل ، ولكلّ ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضاداً . قال تعالى : ﴿ أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ (٤) أي أقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم . وقال تعالى : ﴿ ولا تمدنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ﴾ أي أشباها وأقرانا]

قوله : ((ويجوز أن ينتصب حالاً من هاء الضمير)) أي في (به) وتقديره . وهو أصناف . وقوله (منهم) على هذا مفعول به والعامل ﴿ مَتَّعنَا ﴾ و (من) للتبعيض ، وناساً في الكتاب تفسير لقوله : بعضهم ، المعنى : (لا تمدّن عينيك) إلى أصناف الزخارف التى متّعنا به بعضا من الكفرة كالملابس الفاخرة والمناكح المؤنّقة والمراكب الفائقه و الروائح الطّيّبة ، وعلى الأول كان الفعل واقعا على (أزواجا) و (منهم) صفة و (من) بيان أي (لا تمدّن عينيك) إلى الزخارف التي متّعنا بها أصنافاً من الكفرة كاليهود والنصارى والمشركين ، قال صاحب التقريب (منهم) هو المفعول به .

قوله : ((وعلى تضمين)) (متّعنا) معنى أعطينا وخوّلنا أي ملّكنا ، قال صاحب التقريب : فالباء في (به) على هذا للآلة ، أي إلى المال الذي أعطينا تشبيه الكفّار زهرة ، إذ لو كان صلة متّعنا لزم أن يكون له ثلاث مفاعيل . وقال ابن الحاجب في الأمالي : [الأظهر أن تكون (زهرة) منصوباً بفعل مضمر دلّ عليه

---

(١) سورة البينة الآية ٨

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾ . قال (ز) : وفيه أن النظر غير الممدود معفو عنه ، وذلك مثل نظر ((من بَادَهَ الشيء)) بالنظر ، ثم غضّ الطرف

(٣) الراغب ٢١٥ مادة (زوج)

(٤) سورة (الصافات) الآية ٢٢

الكلام] أي جعلنا لهم أو آتيناهم ، لأنه إذا متّعهم بها جعلها لهم وآتاها إيّاهم ، هـذا قول الزجاج [1] . وقال ابن الحاجب : ويجوز أن يكون الفعـل المقـدر ، قولنـا : أعـني بيانـا (لمـا) أو للضيمـر في (بـه) أو (لأزواجـا) وهـو الـذي يسـمى نصبـا علـى الاختصاص ، وأن يكون بدلاً مـن (أزواجـاً) علـى حـذف المضـاف أي أهـل زهـرة الدنيا بدل الكل من الكل على المبالغة ، كأنه جعلهم الزهـرة علـى الحقيقـة ، وجعلـه بدلا من (به) ضعيف لأنه لا يقال : مررت بزيد أخاك ، ولأن الإبدال من الضمـير العائد إلى الموصول يجعلـه مـن بـاب قولـك : زيـد رأيـت غلامـه رجـلاً صالحـاً . وفي جوازها قولان . وكذا عن صاحب التقريب .

قولـه : ((وعلـى إبدالـه مـن محـلّ الجـار والمجـرور)) هـذا اختيـار صـاحب الكشف[2] قال : هو عندي بدلٌ من موضـع (مـا) في قولـه : ﴿ إلى مـا متّعنـا) لأن موضع الجارّ والمجرور نصب كقوله تعالى : ﴿ دينا قيّما ﴾ [3] وقوله : ﴿ ملّة أبيكم ﴾ بعد قوله : قل إنني هداني ربّي إلى صراط مستقيم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وجـاهدوا في ا لله ﴾ وقلت : أما وجه النصب على الاختصاص والذم فيقضي تحقير شـأنها وازدراء حالها ، كقوله تعالى : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ﴾ [4] والمقـام يأبـاه ، لأن المعنى أن النفوس مجبولة على النزوع إليها راغبة فيها حقّ رغبتها حتى لا تكاد ترغـب عنها نفوس الأنبياء ، فلذلك نهى النبيّ صلّى ا لله عليه وسلّم عـن مـدّ العينـين إليهـا ، ويعضّده ما رويناه عن البخاري [5] ومسلم عن أبي سعيد عـن رسـول ا لله صلـى ا لله عليه وسلم : (إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج ا لله لكم من زهرة الدنيا ، قالوا:

---

(1) الزجاج ٣/٣٨٠

(2) صاحب الكشف مكي بن أبي طالب القيسي ذكره في كتابه (كتاب مشكل الإعراب) ٢/٧٨-٧٩ بتصرف من الطيبي رحمه ا لله .

(3) سورة (الأنعام) الآية ١٦١

(4) سورة (العنكبوت) الآية ٦٤

(5) أخرجه البخاري مع فتح الباري ٣/٣٢٧ كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى برقـم ١٤٦٥ وكتاب الجهاد ، باب فضل النفقة في سبيل ا لله ٦/٤٨ برقـم ٢٨٤٢ واللفـظ لـه ، ومسـلم ٢/٧٢٨ كتـاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا برقم ١٠٥٢ باب ١٢٢

وما زهرة الدنيا يا رسول الله ، قال : بركات الأرض ، وعن مسلم والنسائي (١) عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون) ولتوافقه التعليل في قولهم ﴿ لنفتنهم فيه﴾ ولاستشعار الخوف بسبب زخرفها وزينتها وبهجتها ، ويجوز أن تكون (زهرة) بدلا من (أزواجا) على تقدير أن تكون حالاً من هاء الضمير ، فلا يحتاج إلى تقدير ذوي

قوله : ((كما جاء في الجهرة الجهرة)) وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر ، قرأ يعقوب (٢) : ﴿ زَهَرَة ﴾ بفتح الهاء ، والباقون بسكونها .

قوله : ((وتهلل وجوههم)) الجوهري (٣) : [تهلّل السحاب ببرقة تلألأ ، وتهلّل وجه الرجل من فرحه واستهل] .

قوله : ((وشارتهم)) الشارة اللباس والهيئة .

قوله : ((والتّقشّف)) الجوهري (٤) : [والتقشّف أن يتبلغ بالقوت والمرقع]

قوله : ((هو خير منه)) أي مما متّع به الكافر في نفسه ، لأنه الخير المحض الذي لا يشوبه ما يكدّره في نفسه ، ولا يلحقه ما يفنيه .

قوله : ((أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوّة)) هذا الوجه أوفق لتأليف النظم على ما سبق ، وعليه ينطبق قوله : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ أي دين الإسلام والنبوة من الكتاب والسنّة خير فشتغل بذلك وتمسّك بالحبل المتين ، ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ لأن الذي بعثت لأجله هؤلاء الخصال ، لا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٩٨/٤ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ... الخ رقم ٢٧٤٢ والترمذي ٤١٩/٤ كتاب الفتن . باب ما جاء ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة رقم ٢١٩١ ، وابن ماجه ١٣٢٥/٢ كتاب الفتن ، باب فتنة النساء رقم ٤٠٠٠ ، وأحمد في مسنده ، ١٩/٣ ولم أجده في النسائي بهذا اللفظ

(٢) قرأ يعقوب ووافقه الحسن ﴿ زَهَرَة ﴾ بفتح الهاء ، والباقون بسكونها ، وهما بمعنى واحد كنَهْر ونَهَر . الإتحاف ٣٠٨

(٣) الجوهري ١٨٥١/٥ مادة (هلل)

(٤) الجوهري ١٤١٦/٤ مادة (قشف)

لتكون تاجرا كسوبا أو حريصاً بجمع المال (١) ، فلا تهتمّ بأمر رزقك فإن رزقك مكفي عندنا ، ونحن رازقوك ، ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك ففرّغ بالك في التبليغ والإنذار والاشتغال بالعبادة والأمر بالمعروف لأهلك وأمتك و ﴿ العاقبة ﴾ أي الجنة لأهل التقوى ، ولمن اتّقى حطام الدنيا وزينتها ، كما جاء عن خير البرية . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا .

قوله : ((لا أقرضته)) (٢) قيل هو على سبيل الدعاء ، كأنه قال : لا كان إقراضي إياه إلا برهن ، كما تقول : لا رحمك الله ، وأوجه من هذا أن يكون حاكيا لما يقوله بعد إقراضه برهن للمبالغة بحظه .

قوله : ((في عمله)) قيل : معناه . كان ملائكة الله الموكلون بكفاية الاعمال في تحقيق عمله .

قوله : ((خصاصة)) النهاية (٣) [الخصاصة الجوع والضعف وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء]

قوله : ((إن القرآن برهان)) (٤) ما في سائر الكتب المنزلة ، قال القاضي (٥) : [لأن القرآن مشتمل على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي به أمّي لم يرها ولم يتعلّم ممّن علمها ، وفيه إشعار بأن القرآن كما يدلّ على نبوّته برهان لما تقدمه من الكتب ، من حيث إنه مصداق لها وهو معجز وتلك ليست كذلك ، بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها] .

---

(٥) جمع الدنيا في ب . م

(٢) قال (ز) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال : قل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرضني إلى رجب ، فقال : والله لا أقرضته إلا برهن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأمين في السماء وإني لأمين في الأرض ، احمل إليه درعي الحديد فنزلت : ﴿ ولا تمدّن عينيك

(٣) النهاية ٣٧/٢ مادة (خصص)

(٤) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾

(٥) القاضي البيضاوي ٣٤/٤

قوله : ((ذكر الضمير)) (١) أي في قوله ﴿ من قبله ﴾ والظاهر أنه راجع إلى معنى ﴿ تأتيهم ﴾ أي قبل مجيئ البينة ويؤيده قوله ﴿ لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ﴾ لأن مجيئ هذه البيّنة لا يكون إلا مع إرسال الرسول .

قوله : ((كل واحد منا ومنكم متربّص للعاقبة وما يؤول أمره إليه)) (٢) فيه معنى المتاركة وأن الإنذار والتذكير بلغ غايته ، كقوله تعالى : ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ (٣) اعلم أن هذه خاتمة شريفة ناظرة إلى الفاتحة ، وهي قوله تعالى : ﴿ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ (٤) فإنه تعالى لما أمر حبيبه صلوات الله عليه بالإعراض عن الكفار وعمّا أوتوا من زهرة الدنيا والاقبال بكليته إلى دين الحقّ والاشتغال بالعبادة والصبر عليها وبأمر أهله ، أي أمّته رَمْزاً إلى ما بدئ به أي اشتغل بالعبادة على مقدار طاقتك وصبرك ، وأمر من ينجع فيه تذكيرك ووعظك . وأما هؤلاء المعاندون الذين ما توانيت في إنذارهم ، وألزمت الحجة عليهم ، وظهر إفحامهم حيث اقترحوا الآيات ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه ﴾ وأنت قد أتيت بأم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز يعني القرآن فأعرض عنهم واتركهم ، لأن التذكير إنما ينفع فيمن يخشي وأوعدهم بقولك : ﴿ قل كل متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدي ﴾ .

والحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على خير أنبيائه .

(تمت بحمد الله وحسن توفيقه) (٥)

---

(١) تفسير قوله تعالى : ﴿ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ﴾

(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ قل كلّ متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السويّ ومن اهتدى﴾

(٣) سورة (الزخرف) الآية ٨٩

(٤) سورة (طه) الآية ٢

(٥) ما بين القوسين س من ب

انتهى ما رمت تحقيقه من كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للحسين بن عبدالله الطيبي رحمه الله وإني لأرجو الله أن يجعله عملا خالصا لله تعالى . وكان الفراغ منه يوم الأربعاء ثمانية في ربيع الثاني من سنة ١٤١٥هـ .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والكرامات.

وبعد : فإني أحمد الله على تمام ما رمته من تحقيق جزء من كتاب الإمام العظيم (الحسين بن عبدالله الطيبي) المسمى (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) الذي حشى به (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل). للإمام محمود بن عمر الزمخشري رحم الله الجميع وأسكنهما فسيح جناته، وأثابهما على أعمالهما.

وبعد أن عشت مع الطيبي برهة من الزمن وتتلمذت عليه، اتضح لي أنه إمام دهره وفريد عصره في شتى العلوم والمعارف ولا سيما في اللغة العربية وسائر فروعها من نحو وصرف وبلاغة وأدب وأمثال وغير ذلك.

وحقاً أنه شرح الكشاف وعلق عليه وجال معه وصال في كل ما تعرض إليه الكشاف في تفسيره، ورد عليه اعتزالياته التي هي محور حاشيته عليه، وشرح كل غامض في الكشاف من تفسير وقراآت ولغة ونحو وصرف وأدب وتاريخ، وكان رحمه الله فارس ميدان هذه الفنون.

وقد أحسن عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه حيث قال في مقدمة كتابه ٥٥٦/١ : "وقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين، وهو شرف الدين الطيبي من أهل توريز من عراق العجم. شرح فيه كتاب الزمخشري وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها، ويُبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، وفوق كل ذي علم عليم".

ومع هذا فلا شك أن هناك بعض الملاحظات على هذا الإمام، ومن أشدها أنه انتهج في تفسيره نهج الأشاعرة في تأويل بعض الصفات، كما هو الواقع لكثير من أجلاء العلماء، وإني لأحسن بهم الظن، ولكن ينطبق عليهم قول الشاعر :

* رام نفعاً فضرّ من غير قصد * ومن البر ما يكون عقوقا *

ومع ذلك فإنه ردّ على أهل البدع والأهواء من الباطنين والفلاسفة وغلاة الصوفية المدعين معرفة علم الغيب، وأبدع في مباحث اللغة العربية والقراآت والاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة، ومع هذا فقلما يخلص مصنف من الهفوات، أو ينجو مؤلف من العثرات.

وقد حاولت بكل ما أملك من جهد أن أوضح وأبين ما أجمله الطيبي رحمه الله في كتابه هذا عازياً كل قول لقائله، وتخريج كل حديث استشهد به، وعزو كل قراءة أتى بها، ومسألة فقهية استنبطها، وبيت شعر أو مثل أو حكاية جاء بها، أو آية فسر بها، وإني لأعلم علم يقين أنما قمت به من تحقيق يحتاج إلى تحقيق لعلمي بجهلي وقلة بضاعتي، وكثرة خطئي.

وصدق الله العظيم في قوله : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾[1] وإني لأرجو المعذرة فيما كتبت، وقد أحسن من قال[2] :

* ومن رأى من أهل ذا الفن الخطا * فيما كتبت أو أصاب غلطا *

* فليغمض الجفن على قذاه * ولا يلم في زلة أخاه *

* قد يعثر الجواد في الرهان * وينثني الرمح لدى الطعان *

* وقد يُزنُّ المحصن البريء * ويتحامى الكلأ المريء *

* وقلما ينجو امرؤ من خلل * أو يحتمي مؤلف من زلل *

وأخيراً فإني أحمد الله تعالى على ما أولاني من النعم وأن وفقني حتى أتممت هذا العمل، وأسأله تعالى أن يتجاوز عني وأن يغفر لي زللي وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) سورة النساء الآية ٨٢.

(2) القائل : الشيخ محمد العاقب بن مايابي الجكني الموريتاني.

فهرس الآيات الواردة المستشهد بها

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة الجن

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الإنشقاق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة العلق

سورة البينة

سورة القارعة

سورة العصر

سورة الهمزة

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس القراآت

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	القافية	البحر/الحرف	القائل	الصفحة
١- أبت الروادف والثدى لقمصها	طهورا	الراء	لم يعلم	٤٤٧
٢- أتهجوه ولست له بكفء	فداء	الهمز	حسان بن ثابت	٥٦٩
٣- اجرس لها يا ابن كباش	انفاش	الشين	لم يعرف	٦٩٧
٤- أحين أتى أن أحتني ثمر الرضا	يرضخ	الخاء	لا يعلم	٥٥٠
٥- أدعا بأسماء نبزا في قبائلها	أسماءي	الهمز	لم يعرف	٤٨١
٦- إذا الخيل حالت عن صريع نكُرها	عوابسا	السين	العباس بن مرداس	٣٦٢
٧- إذا قالت الأنساع للبطن الحق	انخنق	القاف	أبو النجم	٤٤٦
٨- إذا قلت قدني قال با لله حلفة	أجمعا	العين	حريث بن عتاب	٥٢٥
٩- إذا نزل السماء بأرض قوم	غضابا	الباء	معاوية بن مالك	٥١٤
١٠- أزهير هل من شيبة من مصرف	متكلف	الفاء	أبي كثير الهذلي	٤٢٣
١١- أكل امرئ تحسبين امرأ	نارا	الراء	أبو دؤاد	٣٩٠
١٢- إذا ما اشددنا شدة نُصبوا لنا	المداعسا	السين	العباس بن مرداس	٣٦٢
١٣- إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة	بدّا	الدال	زائد بن صعصعة	٥٧٤
١٤- إذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى	الهجر	الراء	لم يعرف	١٩٨
١٥- أضحت يمينك من جود مصورة	الجود	الدال	لم يعرف	١٨٨
١٦- أعدّ سنيني فارحاً بمرورها	أشهر	الراء	البحتري	٥٤١
١٧- افتحي الباب وانظري في النجوم	بهيم	الميم	لم يعرف	٤٥
١٨- أقلّي اللوم عاذلي والعتابن	أصابن	الباء	جرير	٥٧٧
١٩- أكرّ واحمى للحقيقة منهم	الفوانسا	السين	العباس بن مرداس	٣٦٢
٢٠- ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه	المقادر	الراء	ذو الرمة	٣٥٣
٢١- ألا ليت ما هذا الحمام ليه	حمامتيه	الياء	زرقاء اليمامة	٤٨٧
٢٢- إلى ظعن يقرض أقواز مشرف	الفوارس	السين	ذو الرمة	٣٦٦
٢٣- أمسى ببلدة لا عم ولا خال	ولا خال	اللام	النابغة	٤٨٦
٢٤- أمهتي خندف والياس أبي	أبي	الباء	قصي بن كلاب	١٤٩
٢٥- أنا أبو النجم وشعري شعري	صدر	الراء	أبو النجم	٢٩٥
٢٦- إنا بني نهشل لا ندعي لأب	يشرينا	النون	بشامة بن حزن	٥٨٥

فهرس التعريفات

فهرس الأعلام

فهرس المصادر

أولاً المصادر المخطوطة :

١- الإنصاف مختصر الإنتصاف لابن الأثير دامادا إبراهيم باشا رقم ١٦٠

٢- تفسير الراغب الإيضاح في التفسير، نسخة أيا صوفيا رقم ٢١٢

٣- التقريب في التفسير للسيرافي، نسخة أيا صوفيا رقم ٨٨

٤- التوضيح شرح مقامات الحرير لصدر الأفاضل، نسخة مصورة من المكتبة الوطنية في برلين رقم ٨٥٤٣

٥- حدائق البيان في شرح كتاب التبيان لعلي بن عيسى، نسخة ميكروفلم بالجامعة الإسلامية برقم ٥-٠٦٩

٦- شرح أسماء الله الحسنى للطيبي، نسخة دار الكتاب المصرية رقم ٢٥٨٨٠

٧- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب

أ/نسخة دار الخزانة العامة للكتب بالرباط مصورة ميكروفلم في جامعة أم القرى برقم ٤١٠.

ب / نسخة محمود باشا رقم ٦١

ج/ نسخة بني مدرسة رقم ٤٨

٨- لطائف التبيان في علم المعاني والبيان للطيبي نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٧٩٦.

٩- الميسر شرح مصابيح السنة للتوربشتي مصورة روضة خيري بمصر ١٥٦ ومنه نسخة بجامعة الإمام تحت رقم ٩٨٨ حديث.

ثانياً : المصادر المطبوعة

* أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
* أحكام القرآن لأبي بكر المعروف بابن العربي، خرّج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية.
* الأدب المفرد للإمام البخاري، ترتيب وتقديم :كما يوسف الحوق، عالم الكتب، الأولى ١٤٠٤هـ.
* الأزمنة والأمكنة لأبي علي المرزقي الأصفهاني، دار الكتاب الإسلامي.
* أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود ، دار المعرفة.
* أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري، وبهامشه الناسخ والمنسوخ لهبة الله أبي النصر ، دار المعرفة.
* أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري، تحقيق محمد إبراهيم البنا ورفاقه، دار الثعلب.
* الأشموني حاشية الصبان على ألفية بن مالك، عيسى البابي الحلبي.
* أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب.
* أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، راجعه وعلق عليه طه سعد، دار الجيل.
* الأعلام، (قاموس تراجم) للزركلي، دار العلم، السادسة ١٩٨٤م.
* الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، مصور عن مطبعة دار الكتب.
* أمالي الزجاجي لأبي القاسم عبدالرحمن الزجاج ، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة العربية الحديثة.
* الأمالي النحوية (أمالي القرآن الكريم) لابن الحاجب، تحقيق هادي حسن حمودي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية الأولى ١٤٠٥هـ.
* الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المأمون، الأولى.
* الأمثال والحكم للرازي، تحقيق عبد الرزاق حسين، دار البشير عمان.
* الأنساب للإمام السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان.
* أنوار التنزيل وأسرار التأيل للإمام البيضاوي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٨هـ.
* أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء،تأليف قاسم القونوي، تحقيق أحمد الكيس، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الثانية.
* الإبهاج شرح المنهاج لعلي السبكي وابنه، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٤هـ.
* إتحاف فضلاء البشر في القراآت الأربع عشر لأحمد عبد الغني الدمياطي الشهير بالبنا.

* الإحسان في تقريب صحيح بن حبان، ترتيب : علي الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ
* إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) لياقوت الحموي، دار المأمون ١٩٣٦م . ودار الكتب العلمية، الأولى ١٤١١هـ.
* إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني، المكتب الإسلامي، الثانية.
* الإستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر بن عبد البر، تحقيق علي بن محمد البجاوي، طبع مطبعة نهضة مصر.
* الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد أبي شهبة، مكتبة السنة الرابعة ١٤٠٨هـ.
* الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (بهامشه الاستيعاب) دار إحياء التراث العربي، مصور عن الطبعة الأولى.
* إصلاح المنطق لابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، الأولى.
* الإصمعيات لعبد الملك بن قريب تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون. دار المعارف.
* إضاءة الدُّجنّة في عقائد أهل السنة، منظومة لأحمد المقري التلساني . مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
* إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش، اليمامة، دار ابن كثير.
* إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراآت لأبي البقاء العبكري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
* إنباه الرواه على أنباء النحاة للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤٠٩هـ.
* الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب النحوي . تحقيق د.موسى بناي العليلي، مطبعة العاني بغداد.
* الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب اللبناني ١٤٠٣هـ الخامسة.
* الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، لابن الرفعة الأنصاري، دار الفكر ١٤٠٠هـ.
* اعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق الدكتور زهير غازي، مكتبة القاني، بغداد.
* بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق كل من علي محمد وعادل أحمد. دار الكتاب العليمة . بيروت.

* البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الغرناطي، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة والمكتبة التجارية بمكة المكرمة، بعناية الشيخ عرفات حسونة.
* البداية والنهاية للحافظ ابن كثيرن نشر مكتبة المعارف ، بيروت.
* البدر الطالع للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة.
* البدور الزاهرة في القرآت العشرة المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة ، تأليف عبد الفتاح القاضي
* البديع في البديع في نقد الشعر لابن منقذ، تحقيق/ عبد الأعلى مهنا، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٧هـ.
* بطلان المجاز وأثره في فساد التصور، لمصطفى عيد الصياصنة، دار المعارج للنشر والتوزيع، الأولى ١٤١١هـ.
* بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لبعد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة الآدار.
* بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية.
* البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع لعلي الجابري ومصطفى أمين.
* البيان في غريب إعراب القرآن، تأليف أبي البركات ابن الأنباري، وتحقيق د.طه عبد الحميد. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
* البيان والتبيين للجاحظ عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون مطبعة الخانجي. بالقاهرة، الرابعة.
* تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، شرح ونشر السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية.
* تاج العروس من جوامع القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
* تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني، دار القلم الأولى.
* تبصرة المتذكر وتذكر المتبصر للكواشي، رسالة علمية من إعداد الطالب : عبد الله نافع العمري، الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية..
* التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، لشرف الدين الطيبي . تحقيق د.هادي عطية، توزيع مكتبة النهضة.
* تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للحافظ المزي . المكتب الإسلامي
* تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف، للإمام الزيلعي، تحقيق مجموعة من طلاب كلية الحديث بالجامعة الإسلامية.
* تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، لابن جماعة، دار الكتب العلمية.

* تراث العرب العلمي في الرياضات والفلك لقدري طوقان، دار القلم، الثالثة ١٣٨٢هـ
* الترجمان والدليل لآيات التنزيل ، تأليف المختار أحمد محمود الشنقيطي، دار روضة الصغير الرياض.
* التعريفات للجرجاني على بن محمد بن علي، بتحقيق الأبياري . دار الكتاب العربي.
* التعليق المغني لأبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، مطبوع مع الدارقطني.
* تفسير أبي السعود محمد بن محمد العماري المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزاي القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان.
* تفسير أبي المغفر السمعاني . توزيع دار البخاري . بريدة . المدينة المنورة.
* تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر.
* تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير الدمشقي . تقديم : يوسف المرعشلي، دار المعرفة.
* تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق بن هشام الصنعاني . تحقق د.مصطفى مسلم محمد. مكتبة الرشد، الرياض.
* التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) للإمام الرازي، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ الأولى.
* تفسير النسائي لأحمد بن شعيب بن علي النسائي . تحقيق سعيد الحليمي . وصبري. مكتبة السنة.
* تفسير النسفي لعبد ا لله بن أحمد بن محمود النسفي . عيسى البابي الحلبي.
* تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر، بعناية محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الثالثة.
* تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق : شعبان محمد إسماعيل، مكتبة بن تيمية .القاهرة.
* تلخيص تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر للكواشي، رسالة علمية إعداد الطالب : محمد بن عبد ا لله العيدي، كلية أصول الدين . جامعة الإمام .
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد ا لله بن عبد البر. الأولى.
* تهذيب اللغة للإمام الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون ومحمد على النجار، دار القومية العربية للطباعة.
* تهذيب تاريخ الخلفاء للسيوطي، تهذيب وتحقيق وتعليق / نايف العباس، دار الألباب.
* التوحيد لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز إبراهيم الشوان، دار الرشيد بالرياض ١٤٠٨هـ الأولى.
* تيسير الكريم الرحمن في تيسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي ، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، مركز ابن صالح بعنيزة ١٤٠٧هـ.
* التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.

* جامع الأصول في أحاديث الرسول (مع التتمة) للإمام ابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، والتتمة بتحقيق بشير محمد عيون، طبعة دار الفكر.
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٤٠٥هـ دار الفكر.
* الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للإمام السيوطي، دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠هـ.
* الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي . دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة.
* الجدول في إعراب القرآن وصرفه، تأليف محمود صافي . مطبعة دار الرشيد . دمشق . بيوت.
* الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم الموسوم بمشارق الأنوار النبوية على صحاح الأخبار المصطفوية لأبي الفضائل الصاغاني، تعليق أشرف عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية ، الأولى ١٤٠٩هـ.
* جمهرة اللغة لابن دريد تحقيق رمزي منير البعلبكي، دار العلم، الأولى ١٩٨٧م.
* جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد الهاشمي.
* الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.
* حاشية الدسوقي على الشرح الكبير . تأليف محمد عرفة الدسوقي ، دار الفكر.
* حاشية الشهاب . المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي . دار صادر.
* حاشية يحي محي الدين شيخ زاد على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، محمد ازمير ديار، بكر تركيا.
* الحاكم الجشمس ومنهجه في التفسير لعدنان زرزور.
* حجة القرآات لأبي رزعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة . مؤسسة الرسالة.
* الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، الأولى، دار المأمون للتراث.
* حلية الأولياء وطبعقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . دار الكتاب . بيروت . لبنان.
* الحماسة البصرية لأبي الفرج البصري تحقيق مختار الدين أحمد، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد.
* الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل ١٤٠٨هـ.
* خزانة الأدب وغاية الارب لابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتوا دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧م الأولى.
* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، دار صادر بيروت.
* الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي.
* الخلاصة في أصول الحديث للطيبي، تحقيق صبحي السامرائي.

* خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل لمحمد إسماعيل البخاري . مؤسسة الرسالة.
* الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لابن السمين الحلبي، تحقيق أحمد ىمحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الأولى.
* الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١١هـ.
* درء تعارض العقل مع النقل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
* درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،نهضة مصر.
* دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي، مطابع الرسالة.
* دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للإمام البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب ١٤٠٥هـ.
* ديوان أبي الأسود الدؤلي تحقيق محمد حسين آل ياسين، الأولى ١٩٧٤م.
* ديوان أبي النجم العجلي.
* ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، الثالثة دار المعارف.
* ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق عبد الحفيظ السطلي.
* ديوان أوس بن حجر، شرح وتحقيق محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة ١٤٠٦هـ
* ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، السابعة ١٤٠٣هـ
* ديوان الأفواه الأودي (ضمن الطرائف الأدبية تحقيق عبدا لعزيز الميمني، دار الكتب العلمية)
* ديوان الخنساء شرح ثعلب، تحقيق أنور أبو سويلم، دار عمار للنشر والتوزيع.
* ديوان الطرماح تحقيق عزت حسن، مطبوعات وزارة الثقافة دمشق ١٩٦٨هـ.
* ديوان العجاج بشرح الأصمعي، تحقيق عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس دمشق ١٩٧١م.
* ديوان الفرزدق، تحقيق علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ.
* ديوان القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة ١٩٦٠م.
* ديوان المتنبي بشرح العكبري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين مكتبة البابي الحلبي ١٣٩١هـ.
* ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الثانية، ١٩٨٥م.
* ديوان النمر بن تولب (ما نسب له ولغيره).
* ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الرابعة ١٩٨٤م.
* ديوان جميل بثينة، تحقيق أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، الأولى، ودار صادر ١٤١٢هـ.

* ديوان حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ.
* ديوان حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية ١٩٥١هـ.
* ديوان دريد بن الصمة، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف.
* ديوان ذي الرمة تحقيق عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان الثانية ١٤٠٢هـ
* ديوان عبيد بن الأبرص تحقيق حسين نصار، مصر ١٣٧٧هـ
* ديوان عدي بن الرقاع العاملي تحقيق احسان عباس، نشر وزارة الاعلام الكويتية ١٩٨٤م.
* ديوان عمرو بن معديكرب الزبيدي، جمع مطاوع الطرابيشين مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤٠٥هـ
* ديوان لبيد بن ربيعة العاملي، تحقيق إحسان عباس، نشر وزارة الإعلام الكويتية ١٩٨٤م.
* رصف المباني لأحمد بن عبد النور المالكي، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، الثالثة.
* روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني للألوسي، دار الفكر.
* الروض الريان في أسئلة القرآن لشرف الدين بن الحسين بن سليمان بن ريان، تحقيق عبد الحليم بن محمد.
* روضة الطالبين للإمام أبي زكرياء يحي بن شرف النووي، طبع المكتب الإسلامي.
* روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقة على مذهب الإمام أحمد بن قدامة المقدسي، ومعها : نزهة الخاطر العاطر لابن بدران، دار المعارف بالرياض، الطبعة الثانية.
* زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج ابن الجوزي، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله، وخرج أحاديثه السعيد بسيوني زغلول، دار الفكر ١٤٠٧هـ.
* زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية، تحقيق الأرنؤوطي، مؤسسة الرسالة.
* السبعة في القراآت لابن مجاهد بتحقيق د.شوقي ضيف، دار المعارف.
* سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام للأمير الصنعاني، بتحقيق : فواز أحمد زمرلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربين الطبعة الثانية.
* سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ومكتبة المعارف بالرياض.
* سمط اللآلي في شرح آمال القالي لأبي عبدي البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الثانية.
* السنة للإمام أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الأولى ١٤٠٠هـ.

* سنن أبي داود ومعه : معالم السنن للإمام الخطابي، إداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس وعادس السيد، دار الحديث، حمص، سوريا.
* سنن ابن ماجه، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار البيان للتراث.
* سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الثانية ١٣٩٨هـ.
* سنن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم البدني، دار المحاسن للطباعة، ١٣٨٦هـ.
* سنن الدارمي، تحقيق فواز زمرلي وخالد السبع، دار الكتاب العربي، الأولى، ١٤٠٧هـ.
* السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر.
* سنن النسائي، بشرح الحافظ السيوطي، طبع دار البشائر الإسلامية.
* سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة.
* السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا ورفيقه، مؤسسة علوم القرآن.
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، إداد أحمد إبراهيم محمد، دار الكتب العلمية، الأولى.
* شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي، تحقيق محمد على سلطاني، دار المأمون، دمشق ١٩٧٩م.
* شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار العروبة القاهرة ١٣٨٤هـ.
* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث القاهرة.
* شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة، الأولى\١٩٦٥م.
* شرح التصريح على التوضيح، خالد عبد الله الزهري، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
* شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط نشر المكتب الإسلامي.
* شرح العقيدة لابن أبي العز، تحقيق عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ. (الطحاوية)
* شرح العقيدة الواسطية للدكتور : صالح بن فوزان الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض.
* شرح المفصل في صنعة الإعراب (التخمير) لصدر الأفاضل الخوارزمي. تحقيق : عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.
* شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، عالم الكتب، بيروت.
* شرح ديوان الحماسة لأبي علي المرزوقي، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
* شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي، تحقيق محمد سيد جاد الحق، مطبعة الأنوار المحمدية.

* شرح مقامات الحريري، لزين الدين أبي بكر الرازي، رسالة علمية من إعداد أحمد سعيد قشاش، كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة.
* شعر ابن ميادة، تحقيق حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤٠٢هـ.
* شعر الأخطل أبي مالك الثعلبي النصراني، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الأمانة الجديدة، الطبعةالثانية ١٣٩٩هـ، مع شرحه لإيليا سليم.
* الشعر والشعراء، (طبقات الشعراء) لابن قتيبة الدينوري. تحقيق : مفيد قميحة ونعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
* الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، تحقيق محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧م.
* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة.
* صحيح مسلم بشرح النووي، دار القلم، الأولى ١٤٠٧هـ.
* ضعيف سنن أبي داود للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
* ضعيف سنن ابن ماجة للألباني، أشرف على طبعه زهيرالشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
* ضعيف سنن الترمذي للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
* ضعيف سنن النسائي للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.
* طبقات الشافعية لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق عبد الله الجبوري، بغداد ١٣٩١هـ.
* طبقات الشافعية للسبكي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
* طبقات اللغويين والنحويين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف الثالثة ١٩٨٤م.
* طبقات المفسرين للداودي، دار الكتب العلمية.
* طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، شرحه / محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة.
* العرش وما روي فيه للحافظ ابن أبي شيبة العبسي، تحقيق : محمود بن حمد الحمود، الطبعة الأولى، مكتبة المعلاء، الكويت.

* العظمة لأبي الشيخ الأصفهاني، تحقيق رضاء الله بن محمد المبارك فوري، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
* العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، الثالثة، ودار الكتاب العربي ١٤٠٣هـ.
* علل الحديث للإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم، دار المعرفة، الثانية ١٤٠٥هـ.
* العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، الأولى ١٣٩٩هـ.
* عمل اليوم والليلة للنسائي، تحقيق د.فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الثانية/ ١٤٠٦هـ.
* عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري، دار الكتب.
* عيون المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني للسجاوندي، رسالة علمية مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (أول الكتاب فقط).
* غرائب البيان ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطية عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
* غريب الحديث لأبي سليمان حَمد بن محمد الخطابي، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ.
* غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، دار الكتاب العربي، مصور عن دائرة المعارف العثمانية.
* غريب الحديث لابن قتيبة، تحقيق عبد الله الجبوري، طبع وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة العاني، بغداد، الأولى ١٩٧٧هـ.
* الفائق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثانية.
* فتح الباري بشرح صحيح البخاري بخدمة محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، وابنه قص، دار التراث، الأولى ١٤٠٧هـ.
* فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان، مطبعة العاصمة، القاهرة.
* الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني لأحمد عبد الرحمن البنا، الشهير بالساعاتي.
* الفتح السماوي بتخرج أحاديث القاضي البيضاوي لزين الدين عبد الرؤف المناوي، بتحقيق أحمد مجتبى بن نذير، دار العاصمة الرياض.
* فتح العزيز شرح الوجيز وهو الشرح الكبير للإمام الرافعي، مطبوع بذيل المجموع للإمام النووي، طبع دار الفكر.

* فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني، دار إحياء التراث.
* الفتوحات الإلهية لابن عمر الشافعي، الشهير بالجمل، دار التراث العربي ، بيروت، لبنان.
* الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الرابعة، نشر قصي محب الدين الخطيب.
* فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي، منشورات مكتبة الحياة.
* الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي بتصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، نشر دار إحياء السنة ١٣٩٥هـ.
* الفوائد البهية في تراجم الحنفية لعبد الحي اللكنوي، دار المعرفة.
* القاموس المحيط للفيروزابادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الثانية ١٤٠٧هـ مؤسسة الرسالة.
* القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح القاضي، مطبوع بذيل البدور الزاهرة له، نشر دار الكتاب العربي، الأولى.
* الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، مطبوع بذيل الكشاف، طبع دار المعرفة.
* الكامل في التاريخ لابن الأثير (المؤرخ) دار الكتب العلمية.
* الكامل في اللغة والأدب للمبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى ١٤٠٦هـ.
* الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني . دار الفكر.
* كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف ليحي بن حمزة العلوي اليمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
* الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان (سيبويه) تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب الثالثة.
* الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، دار المعرفة.
* كشف الأسرار على أصول البرذوي للبخاري ومعه أصول البرذوي، نشر الصدف ببلشرز، كراتشي باكستان.
* كشف الأستار على زاوئد البزار على الكتب الستة للإمام الهيثمي، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.
* كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى بغداد.

* الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الرابعة.
* الكنى والأسماء للدولابي، الطبعة الهندية، مصورة عن الطبعة الأولى.
* لباب التفسير للكرماني، رسالة علمية إعداد : ناصر العمر، مقدمة لجامعة الإمام، (المطبوع صدر الكتاب فقط).
* لسان العرب لابن منظور، دار صادر.
* لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني الحنبلي، مطبعة المدني.
* المؤتلف والمختلف للآمدي، دار الكتب العلمية، الثانية ١٤٠٢هـ
* المبسوط في القراءات العشر لابن مهران، تحقيق : سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
* المبسوط لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة.
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (الأديب) تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة، طبع نهضة مصر ، الأولى.
* مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
* المجروحين لابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زائد، دار الوعي بحلب، الأولى ١٣٩٦هـ.
* مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري الميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة.
* مجمع البحرين في زوائد المعجمين للحافظ الهيثمي، تحقيق عبد القدوس بن محمد نذير، مكتبة الرشد، الأولى.
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، الثالثة ١٤٠٩هـ.
* مجمع اللغة لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، الثانية.
* المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا النووي، دار الفكر.
* محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر ١٣٩٨هـ الثانية.
* المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني، تحقيق على النجدي ورفيقه، لجنة إحياء التراث.
* المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي.
* المحلى لابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. الطباعة المنيرية.
* مختارات ابن الشجري، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.
* مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن الموصلي، دار الندوة الجديدة .
* مختصر العلو لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ الأولى.

* مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . المطبعة الرحمانية بمصر، بجمعية المستشرقين الألمانية.
* مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم، تحقيق محمد حامد فقي. دار الكتاب العربي.
* المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع وتحقيق : عبد الإله الأحمدي، دار طيبة، الأولى ١٤١٢هـ.
* المستدرك على الصحيحن للحاكم وبذيله التلخيص للذهبي طبع المعرفة بإشراف يوسف المرعشلي، والطبعة الأولى بتحقيق مصطفى عطاء دار الكتب العلمية.
* مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، الأولى.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، قرطبة.
* مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف لمحمد بن عليان المرزوقي، مطبوع بذيل الكشاف.
* مشكل اعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي بتحقيق ياسين محمد السواس . دار المأمون للتراث.
* مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق يوسف المرعشلي، ورفيقه، دار المعرفة ، الأولى١٤٠٧هـ.
* المصاحف للحافظ أبي بكر بن أبي داود، طبع المطبعة الرحمانية بمصر، الأولى.
* المصباح في المعاني والبديع لابن الناظم، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف، طبع ونشر مكتبة الآداب.
* المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة، دار الفكر، الأولى.
* المصنف للصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبع المجلس العلمي الثاني.
* المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر العسقلاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مكتبة الباز.
* معالم التنزيل (تفسير البغوي) للإمام محي السنة الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وعثمان ، دار طيبة ١٤٠٧هـ.
* معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام الخطابي (مطبوع بذيل سنن أبي داود) دار الحديث حمص، سورية.
* معاني القرآن لأبي زكرياء الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار،دار السرور لبنان.
* معاني القرآن للأخفش (سعيدة بن مسعدة البلخي) دراسة وتحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب.
* معاني القرآن وإعرابه للزجاج، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، الأولى.

* معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة ١٣٦٧هـ
* معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
* معجم البلاغة العربية لبدوي طبانة، دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، الثالثة.
* معجم البلدان لياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، الأولى.
* معجم الشعراء للمزرباني، دار الكتب العلمية، الثانية ١٤٠٢هـ.
* المعجم الفلسفي لجيل صليبا، دار الكتاب اللبناني ١٩٧٩م.
* المعجم الكبير للإمام الطبراني، طبع وزارة الأوقاف العراقية من (١-٩) الثانية، ومن ١٠ إلى آخر الكتاب.
* معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، للمقدم عاتق بن غيث البلادين دار مكة للنشر والتوزيع.
* المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف لونك مكتبة بريل بلندن.
* المعجم الوسيط للدكتور إبراهيم وغيره.
* معجم شواهد النحو الشعرية للدكتور حفا جميل حداد .دار العلوم ١٤٠٤هـ.
* معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، السادسة.
* معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل، الأولى.
* مفتاح العلوم للسكاكي، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية.
* مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، تأليف السيوطي، بتعليق د.مصطفى ديب البُغا، مؤسسة علوم القرآن . دمشق . بيروت.
* المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
* المفصل في علم اللغة للزمخشري بتحقيق د.محمد عز الدين السعيدي، دار إحياء العلوم.
* المفضليات للمفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف ١٩٦٤م.
* مقامات الحريري ، عناية محمد قطة العدوي، شركة مصطفى البابي الحلبي.
* المقتضب لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.
* مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.
* المقصد لتلخيص ما في المرشد للأنصاري.
* المكتفي في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني، بتحقيق د.يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة.

* منارا لهدى في بيان الوقف والإبتدا، تأليف أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأسموني، مصطفى البابي الحلبي.
* منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز لمحمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، مطبوع مع الجزء العاشر من تفسير أضواء البيان.
* المنهاج الواضح للبلاغة، تأليف حامد عوني، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.
* منهج ودراسات لآيات الصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام (رسالة).
* موسوعة أطراف الحديث النبوي، إعداد أبو هاجر محمد السيعد بن بسيوني زغلول، عالم التراث، بيروت.
* الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
* الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس، طبع مطبعة السعادة، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.
* نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري، تحقيق إبراهيم السامرائي، طبع دار المنار، الثالثة.
* النشر في القراءات العشر لأبي الخير ابن الجزري، دار الفكر.
* نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي، مطبوعات المجلس العلمي، الثانية ١٣٩٣هـ.
* النكت والعيون تفسير الماوردي البصري، بتعليق السيد بن عبد المنصور بن عبد الرحيم . دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان.
* النهاية في غريب الحديث والأثرة، تحقيق بشير محمد عيون، تحقيق طاهرأحمد الكاوي ومحمود الطناحين دار الكتب العلمية.
* نواسخ القرآن لابن الجوزي، تحقيق محمد أشرف الملباري، من منشورات مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة.
* نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
* الهداية في شرح البداية للإمام الميرغاني.
* الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، تحقيق محمد بشير عيون، نشر وتوزيع دار البيان، ومكتبة المؤيد.
* الوسيط بن المقبوض والوسيط للإمام الواحدي، (مطبوع منه البقرة والفاتحة رسالة علمية بكلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤٠٥هـ)

فهرس الموضوعات

سورة الحجر

رقم الصفحة

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

فهرس المحتويات